دورية دولية محكمة

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية

ISSN: 2625-8943

العدد الثاني والثلاثون-حزيران- جوان 2024م المجلد8

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية

المركز الديمقراطي العربي

Journal of cultural linguistic and artistic studies

International scientific periodical journal

رقم التسجيل
VR.3373.6326.B

Germany: Berlin 10315
Gensinger- Str: 112
http://democraticac.de

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية
Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية

دورية علمية محكمة فصلية

تصدر عن
المركز الديمقراطي العربي
برلين – ألمانيا

ISSN : 2625-8943

JOURNAL OF CULTURAL LINGUISTIC AND ARTISTIC STUDIES

An International scientific Periodical Quarterly Journal Issued by

The Democratic Arabic Center

تعنى المجلة بالبحوث والدراسات الاكاديمية الرصينة التي يكون موضوعها متعلقا بجميع مجالات علوم اللغة والترجمة والعلوم الإسلامية والآداب، والعلوم الاجتماعية والإنسانية، وكذا العلوم الفنية وعلوم الآثار، للوصول الى الحقيقة العلمية والفكرية المرجوة من البحث العلمي، والسعي وراء تشجيع الباحثين للقيام بأبحاث علمية رصينة

© Democratic Arabic Center
Germany - Berlin
ISSN: 2625-8943
E-MAIL
culture@democraticac.de

الهيئة المشرفة على المجلة

رئيس المركز الديمقراطي العربي

أ. عمار شرعان

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية

دورية علمية دولية محكمة

تصدر عن

المركز الديمقراطي العربي

ألمانيا – برلين

وتعنى بنشر الدراسات والبحوث في التخصصات التالية

- الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية
- اللغات والترجمة والآداب والعلوم الاسلامية
- العلوم الفنية وعلوم الآثار

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد جودات
جامعة محمد الخامس بالرباط / المغرب

أ.د. الغالي بن لباد
جامعة تمنغاست / الجزائر

أ.د. ضياء عني العبودي
جامعة ذي قار / العراق

د. أحمد حسن إسماعيل الحسن
الجامعة الهاشمية / الأردن

د. جمال ولد الخليل
جامعة حائل/المملكة العربية السعودية

د. رسول بلاوي
جامعة خليج فارس – بوشهر / إيران

د. محمود خليف خضير الحياني
الجامعة التقنية الشمالية / العراق

نائب رئيس التحرير

أ.د. عبد الكريم حمو
باحث بالمركز الوطني للبحث
في الانتروبولوجيا الاجتماعية - وهران

مساعد رئيس التحرير

أ.د. بدرالدين شعباني
جامعة قسنطينة 2/ الجزائر

رئيس التحرير

أ. د. سالم بن لباد

التصميم والإخراج الفني

أ.د. بدرالدين شعباني

شهادة تحكيم

المؤشر العربي لقياس جودة المجلات العلمية

بناءً على تقرير السادة الخبراء ؛ يشهد مدير مركز مؤشر للاستطلاع والتحليلات بأن:

مجلة (لدراسات الثقافية واللغوية والفنية)

الحاملة للترقيم المعياري:

ISSN: 2625-8943

قد تحصلت على درجة 100/57

وعليه فهي حسب مؤشر (AIMQSJ) تعتبر من المجلات الحسنة ؛ فئة (B+)

Germany
Berlin 10315
Gensinger
Str: 112

المؤشر العربي لقياس جودة المجلات العلمية

Arabic Index of Measuring the Quality of Scientific Journals

Indexpolls.de
برلين/ ألمانيا

مدير مركز مؤشر للاستطلاع والتحليلات

رئيس اللجنة العلمية

أ.د/ بدرالدين شعباني

جامعة قسنطينة 2 - عبد الحميد مهري

اللجنة العلمية والاستشارية

أ.د. الغالي بن لباد جامعة تمنغاست / الجزائر

أ.د. ضياء غني العبودي جامعة ذي قار/ العراق

أ.د. عبد الحليم بن عيسى جامعة وهران1/ الجزائر

أ.د. محمد أحمد سامي أبو عيد جامعة البلقاء التطبيقية / الأردن

أ.د. عبد الكريم حمو باحث بالمركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية وهران / الجزائر

أ.د. الزاوي لعموري جامعة الجزائر 2/ الجزائر

أ.د. سالم بن لباد جامعة غليزان/ الجزائر

أ.د. بدرالدين شعباني جامعة قسنطينة 2/ الجزائر

أ.د. جميلة ملوكي جامعة تمنغاست / الجزائر

أ.د. الزهرة قريصات جامعة تيارت/ الجزائر

أ.د. صديق بغورة جامعة المسيلة / الجزائر

أ.د. نعيمة بن علية جامعة البويرة / الجزائر

أ.د. ليلى مهدان جامعة خميس مليانة/ الجزائر

م.أ.د. علي عبد الأمير عباس الخميس جامعة بابل / العراق

أ. د. حبيب بوسغاي جامعة عين تيموشنت / الجزائر

د. رجاء أبو علي جامعة طهران / إيران

د. مناد لطيفة جامعة سيدي بلعباس / الجزائر

د. جمال ولد الخليل جامعة حائل/ المملكة العربية السعودية

أ.د. أرزقي شمون جامعة بجاية / الجزائر

د. نصيرة شيادي جامعة تلمسان/ الجزائر

د. رشيدة بودالية جامعة البويرة / الجزائر

أ.د. كمال علوات جامعة البويرة / الجزائر

د. طه حميد حريش الفهداوي كلية الامام الاعظم جامعة بغداد / العراق

أ.د. سعيدي الدراجي المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة / الجزائر

د. مالكي سميرة جامعة وهران 2/ الجزائر

د. حسام عزمي العفوري أكاديمية مينيسوتا لتعليم اللغات/ تركيا

د. هدية صارة باحثة دائمة بالمركز الوطني للبحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية وهران/ الجزائر

د. محمد بن لباد المركز الجامعي مغنية/الجزائر

د. محمود خليف خضير الحياني الجامعة التقنية الشمالية / العراق

د. علي مولود فاضل مدرس في علوم الاتصال والإعلام كلية الإسراء الجامعة / العراق

د. محمد ياسين عليوي الشكري كلية التربية للبنات جامعة الكوفة / العراق

د. ليلى كواكي مركز البحث العلمي والتقني في علم الإنسان

د. نورالدين بن نعيجة مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة الأغواط/ الجزائر

د. فاتح كرغلي جامعة البويرة / الجزائر

د. سليم مزهود المركز الجامعي ميلة / الجزائر

د. محمد أحمد محمد حسن مخلوف جامعة الأزهر / مصر

د. روح الله صيادي نجاد كاشان/إيران

د. فاطمة الزهراء ضياف جامعة بومرداس/ الجزائر

د. سمية قندوزي جامعة / الجزائر

د. فتيحة بوشان جامعة البويرة/ الجزائر

د. محمد بوعلاوي جامعة المسيلة / الجزائر

د. آمنة شنتوف مركز تطوير اللغة العربية وحدة تلمسان / الجزائر

أ.د. بن عزوز حليمة جامعة تلمسان / الجزائر

د. بن عطية كمال جامعة الجلفة/ الجزائر

د. خالد حوير شمس جامعة بغداد/العراق

د. كاتب كريم جامعة وهران 1 / الجزائر

د. حميدش مونيرة جامعة الجزائر 2

د. محمد رزق الشحات عبد الحميد شعير جامعة هيتت / تركيا

د. أمينة بن قويدر جامعة تيارت/ الجزائر

د. سوسن بوزبرة جامعة تيارت/ الجزائر

د. محمد بلحسن المركز الجامعي مغنية/ الجزائر

د. عبد القادر قدوري جامعة الأغواط/ الجزائر

د. رسول بلاوى جامعة خليج فارس – بوشهر/ إيران

د. بابو سقال مريم جامعة سعيدة/ الجزائر

د. فاطمة الزهراء نهمار جامعة البليدة 2/ الجزائر

د. أحمد حميد أوغلوا جامعة إبراهيم جاجان/ تركيا

د. بوزياني فاطمة الزهراء جامعة تلمسان/ الجزائر

د. صليحة لطرش جامعة البويرة/ الجزائر

د. نسيمة بغدادي جامعة المسيلة/ الجزائر

د. هبري فاطمة الزهراء جامعة تلمسان/ الجزائر

د. علاء الدين عبد اللطيف عبد العاطي محمد أبو العنين جامعة القاهرة/ مصر

د. كاهية باية جامعة محمد بوضياف المسيلة/ الجزائر

د. نبيل أحمد عبد العزيز رفاعي كلية الدراسات الإسلامية والعربية بسوهاج/ مصر

د. عبد القادر عوادي جامعة سيدي بلعباس / الجزائر

د. علي ساحي جامعة الأغواط /الجزائر

مقاييس وشروط النشر

تخص البحوث المرسلة الى المجلة الى مجموعة من الشروط تتمثل فيما يلي

1. يجب أن تتوفر في البحوث المقترحة الأصالة العلمية الجادة وتتسم بالعمق.
2. على صاحب البحث كتابة إسمه وعنوانه الالكتروني والجامعة والبلد الذي ينتمي اليه أسفل عنوان البحث، مع إرفاق سيرة ذاتية وتكون في صفحة خاصة ضمن البحث.
3. ترتب المراجع والهوامش في نهاية المقال حسب الطرق المنهجية المتعارف عليها ووفقا للتسلسل العلمي المنهجي وبطريقة يدوية.
4. ترفق المقالات بملخص لا يتجاوز 10 أسطر باللغة العربية ويترجم الملخص الى اللغة الانجليزية أو العكس مع التطرق الى الكلمات المفتاحية.
5. حجم البحث لا يقل عن 10 صفحات ولا يزيد عن 15 صفحة.
6. تكتب المقالات بحجم 16 بصيغة Traditional Arabic بالنسبة للمتن وبحجم 12 بصيغة Times New Roman بالنسبة للهوامش، أما بالنسبة للغات الأجنبية الأخرى يكون بحجم 12 بصيغ Times New Roman بالنسبة للمتن و10 بالنسبة للهوامش وبنفس الصيغة.
7. إرفاق البحث بملخص باللغتين العربية والانجليزية.
8. على البحوث المقترحة أن تراعي القواعد المنهجية والعلمية المتعارف عليها.
9. ترسل المقالات المقترحة لهيئة أمانة التحرير لترتيبها وتصنيفها، كما تعرض المقالات على اللجنة العلمية لتحكيمها.
10. يجب ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم الى مجلة أخرى.
11. ترسل المقالات الى البريد الالكتروني للمجلة.
12. تمتلك المجلة حقوق نشر المقالات المقبولة ولا يجوز نشرها لدى جهات أخرى الا بعد الحصول على ترخيص رسمي منها.
13. لا تنشر المقالات التي لا تتوفر على مقاييس البحث العلمي أو مقاييس المجلة المذكورة.
14. المجلة غير ملزمة بإعادة البحوث المرفوضة الى أصحابها.
15. تحتفظ المجلة بحق نشر المقالات المقبولة وفق أولوياتها وبرنامجها الخاص.
16. البحوث التي تتطلب تصحيح أو تعديل مقترحا من قبل لجنة القراءة تعاد الى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها.
17. ألا تكون البحوث المرسلة مستلة من مطبوعة، او جزء من أطروحة.
18. أن تتضمن البحوث المرسلة على قائمة المراجع تدرج في الأخير.

الهوامش

تكتب بنظام APA على الشكل الآتي: في المتن يكتب بين قوسين: لقب الكاتب والسنة والصفحة (اللقب: السنة، ص ..)

المراجع

تكتب المعلومات الكاملة في آخر المقال على هذا النحو : إسم ولقب الكاتب، عنوان الكتاب، الجزء، دار النشر، الطبعة، بلد النشر، سنة النشر، الصفحة.

التحكيم

تخضع كل البحوث المقترحة للتحكيم العلمي المزدوج من طرف لجنة القراءة وبسرية تامة، بحيث

- **يحق للمجلة اجراء بعض التعديلات الشكلية الضرورية على البحوث المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها.**
- **يقوم الباحث بتصحيح الأخطاء التي يقدمها له المحكمين في حال وجودها وإعادة ارسالها للمجلة.**
- **لغات المقالات: العربية، والأمازيغية، الفرنسية، الإنجليزية، الألمانية، الإسبانية، الإيطالية، والروسية.**

- المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي المجلة -

ترسل البحوث المقدمة للنشر عبر البريد الالكتروني

culture@democraticac.de

الفهـرس		
الرقم	العنـوان	الصفحـة
1	كلمة العدد	12
2	**أثر العقيدة والأيديولوجيا في تأصيل ثقافة العنصرية والدموية الصهيونية** **The impact of ideology and doctrine on the establishment of the culture of racism and Zionist ethnocentrism.** أ.م. د. محمد فاضل أحمد الفقيه/أستاذ مشكلات المجتمع المشارك بكلية العلوم التطبيقية والتربوية النادرة – جامعة إب أ.د. عبد الله محمد علي الفلاحي/ أستاذ علم الفلسفة ومناهج البحث بجامعة إب	58-13
3	**الإيقاع الفني بين ظاهرتي الحشد و التلاشي في شعر سعد الحميدين** **The artistic rhythm between the phenomena of accumulation and vanishing in the poetry of Saad al-Hamidin** أ.د/ عمار بشيري المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ـ ميلة ـ الجزائر	67-59
4	**العلاقة بين اللغة والدين والثقافة والسياسة والهوية** **The relations between language, religion, culture, politics and Identity** د. مرتضى فرح علي (أستاذ مساعد، جامعة ظفار)	77-68
5	**الفلاحة في بلاد الأندلس وأثرها الحضاري في أوروبا** **Agriculture in Andalusia and its cultural impact on Europe** د.النّاصر الهمّامي/دكتوراه في اللّغة والأدب والحضارة العربيّة/كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعيّة بتونس	93-78
6	**"الدراسة المعجمية" -قضاياها وأدوارها في إتقان تعلّم اللغة العربية وتعليمها-** **"lexical study"** **-Issues and roles in mastering learning and teaching the Arabic language-** أ.د. محمد أزهري/ قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان في المملكة المغربية أ.د. غريبو أحمد غريبو / قسم اللغات الشرقية والتواصل بين الثقافات، كلية اللغات الأجنبية، جامعة خاركوف الوطنية كارازينا ف.ن. في أوكرانيا د. مكسيم كريفانوس/ قسم اللغات الشرقية والتواصل بين الثقافات، كلية اللغات الأجنبية، جامعة خاركوف الوطنية كارازينا ف.ن. في أوكرانيا	112-94
7	**تجلّيات المكان في الرواية الإندونيسية - رواية عساكر قوس قزح نموذجًا** **Manifestations of place in the Indonesian novel – 'Asakir Rainbow' as an example**	131-113

	د. مناف بسام علي الخصاونة/وزارة التربية والتعليم - مؤسسة الإمارات للتعليم المدرسي - الإمارات العربية المتحدة	
8	**مفهومُ النَّص في الدَّرس اللسانيّ المعاصر** **The concept of text in contemporary studies** ط.د/عائشة عبد الكريم الآفه ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة حماة، سوريا بإشراف: أ.د رود محمد خبّاز	148-132
9	**الصلات الثقافية والعلمية بين بلاد الحجاز والجزائر خلال القرن الثامن عشر ميلادي- الرحلات الحجازية أنموذجا.** **Cultural and scientific links between the countries of hijaz and algeriaduring the Hijazi trips as an axample-eighteenthcentury.** د. تيرس سعاد، أستاذ التعليم العالي، جامعة الجيلالي ليابس /الجزائر	166-149
10	**الترجمة والتأويل: من المقابل اللغوي إلى آفاق التمثل.** **Translation and Interpretation : From Linguistic Encounter to Horizons of Representation.** د.محمد جودات، جامعة محمد الخامس/ المغرب	175-167
11	**العمارة وصناعها** **Architecture and Its Industry** غالب مصطفى المير غالب/سوريا	188-176
12	**تطوير الذات باستخدام نماذج مصفوفة إدارة التغيير بتسخير الذكاء الاصطناعي بالتطبيق على جامعة النيل الأبيض 2024** **Self-development using change management matrix models by harnessing artificial intelligence by application to White Nile University 2024** د.سلبي عثمان محمد قسم الله – أستاذ علوم الحاسوب المساعد - كلية علوم الحاسوب وتقانة المعلومات – جامعة السودان المفتوحة-السودان	207-189
13	**ظلالي التي تعرج لكلثوم عيّاشية: هدرة ثلاثيّة الإخراج: محاولة للموازنة بين التفريج وتوسيع الفرجة.. هل تحقّق الانفراج؟** **The novel « My shadows that limp » by Kolthoum Ayachia:** **Plot with triole direction: An attempt to balance relief and expanding the spectacle .. has relief been achieved ?** **رجاء عمّار، باحثة في علوم الإعلام والاتّصال، جامعة منوبة – تونس**	220-208
14	**المحكيات السردية ومفهوم الحجة:** **Narratives and the Concept of Argument** **المؤلف: كريستوف تيندال (Christopher Tindale)**	234-221

	المترجم: د. كمال الزماني، جامعة القاضي عياض، كلية اللغة العربية، مراكش	
246-235	**دراسة قضايا المرأة في رواية واحة الغروب لبهاء طاهر** **A study of women's issues in the novel Oasis of Sunset by Bahaa Taher** - الدكتورة عزت ملا ابراهيمي (أستاذة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، إيران) - زهرا السادات حسيني (طالبة ماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، إيران)	15
261-247	**التعليم الصريح، مقاربة بيداغوجية لتدبير التعلمات و بناء الاستراتيجيات الميتامعرفية** **Explicit teaching, a pedagogical approach to managing learning and building metacognitive strategies** د. محمد مياة، أستاذ محاضر بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة البيضاء سطات-المغرب	16
274-262	**تعزيز مبادئ حقوق الانسان والديمقراطية ودورهما في تحقيق التنمية المستدامة** **Promoting the principles of human rights and democracy and" their role" in achieving sustainabl"e development"** ا.د. صفية شاكر معتوق/أ.م.د. علاء رزاك فاضل جامعة البصرة/مركز دراسات البصرة والخليج العربي	17
298-275	**جدلية النظريات الأدبية بين القديم والجديد - نظرية الانزياح نموذجاً** **The dialectic of literary theories between the old and the new- The theory of deviation as a model** جهاد فيض الـ إسلام أستاذ مساعد في جامعة طهران - إيران	18
305-299	**الخطابة السياسية الأموية: ظروف النشأة وبواعث الازدهار** **Umayyad political rhetoric: conditions of upbringing and drivers of prosperity** أحمد الرويني، دكتوراه في اللغة والخطاب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، المغرب	19
317-306	**التنوع التداولي في مسائل العدول عن الأصل- التقديم والتأخير أنموذجا** **Advancement and delay as a model-Pragmatics variation in issues of deviation from origin** طالبة الدكتوراه شواف يمنة/أ.د بلقاسم عيسى مخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة في الجزائر/جامعة ابن خلدون تيارت	20
330-318	**الاكتساب/التعلم اللغوي وفق الطرح التوليدي** **The Generative Approach to Language Acquisition and Learning** عز الدين الزياتي، جامعة محمد الخامس بالرباط، المغرب	21
346-331	**الأنساق الثقافية في رواية 'العلامة'- المثقف الشمولي بين التاريخ والسلطة** **Cultural paradigms in IbnKhaldûn'snovel' -he holistic intellectual between history**	22

	and power جمال مورو، باحث في سلك الدكتوراه، مختبر اللغة والمجتمع، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة/المغرب د.فاطنة الغزي، أستاذة التعليم العالي، تخصص اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة/المغرب	
362-347	الغرب والوجه الآخر غزة نموذجا The West and the other side: Gaza is an example محمدالقطاري، باحث في سلك الدكتوراه جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس/المغرب	23
384-363	النماذج التفسيرية للصحة و المرض وفق المقاربة السسوسيوأنثربولوجية Explanatory models of health and disease according to the socio-anthropological Approach سعدية جديلي، طالبة دكتوراه، جامعة عنابة /الجزائر	24
398-385	مكانة الكفايات الاجتماعية ضمن المرجعيات الناظمة لمنظومة التربية والتكوين ومنهاج مواد الاجتماعيات بالمغرب The status of social skills within the references regulating the education and training system and the curriculum (history, geography, civic education) in Morocco. عرابي مراد، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين الدار البيضاء-سطات، المغرب	25
418-399	مفهوم الشعرية: تباين الرؤى وتعدد التوجهات The Concept of Poetics: Diverse Perspectives and Varied Directions سكينة الروكي، جامعة السلطان مولاي سليمان كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال – المغرب.	26
435-419	القتل والقتال في النص القرآني: دراسة تحليلية نقدية Murder and Combat in the Quranic Text: A Critical Analytical Study ذ. يوسف المساتي، طالب باحث في سلك الدكتوراه، تخصص التاريخ وعلم الآثار كلية الآداب عين الشق، جامعة الحسن الثاني، المغرب	27
457-436	النظرية والمنهج في اللغة والأدب Theory and method in language and literature حمزة رشيد، طالب باحث في سلك الدكتوراه، جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال المغرب	28
470-458	تحديد الاسم عند ابن حزم في كتابه الفصل Translation: Ibn Hazm's Determination of the Noun in his Book "Al-Fisal"	29

	الباحث رشيد العمارتي بأكاديمية فاس -مكناس المغرب	
498-471	**Human language and its theories-A descriptive and analytical study of human language** **اللغة الإنسانية ونظرياتها- دراسة وصفية وتحليلية للغة البشرية** Jihad Faiz Al-Islam - Assistant Professor in the Department of Arabic Language and Literature - University of Tehran – Iran	30
514-499	**LA " RECONVERSION " PATRIMONIALE ENTRE SURVIE ET REGENERATION TERRITORIALE.** **إعادة التحويل" الثقافي بين البقاء وتجديد النشاط الترابي"** Ibtissem KHLIFI.Affiliation : ESICMED, LR11S28, Manouba, Tunisie. Faculté des Lettres, des Arts et des Humanités de la Manouba. TUNISIE. Doctorante et Assistante contractuelle à ISAM Sidi Bouzid.	31
543-515	**Les secrets de la séduction féminine dans les cinémas : occidental, égyptien et marocain au XXe siècle** **أسرار الجاذبية الأنثوية في السينما الغربية والمصرية والمغربية في القرن العشرين** Laaroussi Elmostafa,- Université sultan Moulay Slimane, faculté des lettres et des sciences humaines, Beni mellal-Maroc	32
559-544	**The Value Spectrum in Algerian Society: Between Heritage and Sweeping Changes.** **الطيف القيمي في المجتمع الجزائري: بين التراث والتغيرات الجذرية** D: NACER BAADACHE. Mila University Center. Algeria.	33
584-560	**Translation in Undergraduate Degree Programmes: Rising Students' Awareness toward Translation as a Means to Enhancing their English Language Production** **الترجمة في برامج مرحلة التّدرّج الجامعية: رفع وعي الطلاب تجاه الترجمة كوسيلة لتعزيز إنتاجهم للغة الإنجليزية** Dr Ouided SEKHRI, Department of Arts and English, Frères Mentouri University-Constatine 1, Algeria.	34
608-585	**Reviewing the technical, literary and social dimensions of the poems of returning to the homeland** **النازحون في الشعر الفلسطيني- دراسة، صفية وأدبية وفنية واجتماعية لقصائد العودة إلى الوطن** Jahad Faiz alslam - Assistant Professor in the Department of Arabic Language and Literature - University of Tehran – Iran Kobara Rosno - Education teacher -Iran -	35

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام، على رسول الله سيدنا محمد وعلى وآله وصحبه أجمعين وبعد،

تعد مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، من منابر العلمية الدولية الرائدة أروبيا باعتبار صدورها في برلين/ألمانيا، ولها جناح خاص في المكتبة الوطنية في المدينة نفسها، وعربيا لأنها تعنى بالدراسات الثقافية واللغوية والأدبية والفنية الرصينة في العالم العربي.

وجاء هذا العدد وما يحمل من أبحاث علمية ذات رؤى نافذة وأقلام واعية وبلغات متعددة ومجالات متنوعة، وفق قواعد علمية ومنهجية مضبوطة، ليحمل دراسات علمية قيمة ومتنوعة، تساير مجال اختصاص المجلة واهتماتها.

وكالعادة تلقينا الكثير من البحوث، التي تعد من المواد العلمية والمعرفية المهمة في مجال الدراسات اللغوية والثقافية والفنية، قد خضعت لتحكيم علمي موضوعي، لذلك صعب علينا انتقاءها.

ونحن نجدد الاعتذار من الذين لم يتسن لهم نشر ورقتهم البحثية في هذا العدد، ونضرب لهم موعدا في الأعداد المقبلة بحول الله تعالى.

في الأخير نجدد الشكر لكل من ساهم في اصدار هذا العدد، وشكر خاص للسيد رئيس المركز الديمقراطي العربي.

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور سالم بن لباد

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية تصدر عن المركز العربي الديمقراطي ببرلين – ألمانيا
ISSN : 2625 - 8943
Journal of cultural linguistic and artistic studies issued by the democratic Arabic center – Germany - berlin

أثر العقيدة والأيديولوجيا في تأصيل ثقافة العنصرية والدموية الصهيونية

The impact of ideology and doctrine on the establishment of the culture of racism and Zionist ethnocentrism.

أ.م. د. محمد فاضل أحمد الفقيه
أستاذ مشكلات المجتمع المشارك بكلية العلوم التطبيقية والتربوية النادرة – جامعة إب
أ.د. عبدالله محمد علي الفلاحي
أستاذ علم الفلسفة ومناهج البحث بجامعة إب

ملخص البحث:

تناول البحث موضوع العقيدة والأيديولوجيا الصهيونية اللذان يؤصلان لجرائم الحرب والإبادة الجماعية في العقلية الصهيونية وسلوكها اليومي، وذلك من خلال وقوفنا على عدة مفاهيم (العقيدة، الأيديولوجيا، الأساليب والطرق) التي يتميز بها الكيان الصهيوني ويستخدمها ضد الشعب العربي الفلسطيني، وقد خلُص في النهاية إلى أن هذا الكيان يزاوج ما بين العقيدة والأيديولوجيا عند تنفيذه جرائم الإبادة الجماعية في حق أبناء فلسطين، كما لوحظ في هذا البحث أن الشعب العربي الفلسطيني متمسك بالأصول العربية من خلال مقاومته المنظمة والفردية، والوعي بالتراث اليهودي والصهيوني. وإعادة قراءة هذا التراث بمنهجية في إطار المبادئ العامة والمقاصد الكلية للأيديولوجيا والعقيدة اليهودية تخطر ليس على العالم العربي والإسلامي بل على العالم أجمع، لتحافظ على هويتها والكشف عن مظاهر تأصيل العقيدة والأيديولوجيا الصهيونية اليهودية في مجال الأخلاق والاجتماع والسياسة والتربية والإعلام ووسائل التنشئة الاجتماعية اليهودية الأخرى، وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وقد خلُص البحث إلى جملة من النتائج كان من أهمها ما يأتي:

- قامت الديانات السماوية على فكرة واحدة تمثلت في التوحيد والسلام والتسامح، إلا أن الديانة اليهودية تدعو إلى العنف والقتل والتهجير، فالنصوص التوراتية (المحرفة المعتمدة لدى الصهيونية اليوم) تحتوي على العديد من الشواهد التي تؤكد على التربية العدوانية والتي ترتكز على العنف والإرهاب الذي يتحول بفعل هذه التعاليم إلى طقوس وشعائر يتعبد فيها ويمارس اليهود من خلالها فعل تطرفهم وعدوانيتهم تجاه الشعب الفلسطيني والعالم أجمع.

- تقوم النصوص التلمودية بتثبيت مفاهيم التوراة وعقائدها بتأصيل ذهنية اليهودي ونظرته لسواه من (الأغيار)، فهو يسقط عنهم الصفة الإنسانية، وبعد هذا الحذف أو الإسقاط العقائدي النظري يصبح القتل والاستئصال المادي منهجاً سلوكياً يكمل الإيمان، بل تتحول إلى نوع من الطقوس والشعائر عند الملتزمين بأصول الدين اليهودي.

- الأدب اليهودي ليس سوى ترجمة للفكر والممارسة النظرية والعملية، ومن طرف آخر فإن سمة التحريض على القتل لا تكاد تفارق أي نتاج أدبي أو فني في الثقافة الصهيونية.

- أن التعليم في "إسرائيل" هو مجرد تعبئة روحية لإعداد الجنود ليوم الحرب يتضمن المنهج التاريخي وتاريخ الحركة الصهيونية وتمجيد الجيش اليهودي ودراسة التوراة المحرفة والتلمود كل ما من شأنه أن ينمي في نفوس الناشئة الروح العدائية للعرب والمسلمين.

إدراك أن الصراع بين الكيان الصهيوني والأمة العربية هو صراع فكري وحضاري يتطلب من مفكرين الأمة العربية والإسلامية مواجهة فكر الكيان الصهيوني وفضح مرتكزاته الدينية والعنصرية بأسلوب علمي وموضوعي يثبت أن إسرائيل كيان عنصري إرهابي فكراً وممارسة.

يجب الاهتمام بالتاريخ الفلسطيني القديم لإثبات الهوية القومية العربية لفلسطين.

عقد ندوات ومؤتمرات تشارك فيها المنظمات والمؤسسات الثقافية العربية والإسلامية لدعم قضية فلسطين.

الكلمات المفتاحية: العقيدة، الأيديولوجيا، ثقافة العنصرية، الصهيونية.

Abstract:

This research investigated the subject of the Zionist belief and ideology, which gives a firm foundation for war crimes and genocide in the Zionist mentality and its daily behavior, by examining several concepts (belief, ideology, techniques and methods) which the Zionist entity has and use against the Palestinian Arab people. The research concluded that this entity combines belief and ideology when it carries out genocide crimes against the people of Palestine. It was also noted in this research that the Palestinian Arab people adhere to Arab origins through their organized and individual resistance, awareness of the Jewish and Zionist heritage and re-reading such heritage systematically within the framework of the general principles and overall goals of Jewish ideology and belief as a threat not to the Arab and Islamic world but to the entire world, in order to preserve its identity and reveal the manifestations of the rooting of the Jewish Zionist belief and ideology in the field of ethics, society, politics, education, media and other means of Jewish socialization. The researchers followed the descriptive analytical approach. The research concluded with a number of results, the most important of which are the following:

The heavenly religions were based on one idea of monotheism, peace, and tolerance. However, the Jewish religion calls for violence, killing, and displacement. The Torah texts (the perverse texts adopted by Zionism today) contain many evidences that confirm aggressive education, which is based on violence and terrorism, which is in turn transformed due to such teachings into rites and rituals in which Jews worship and through which Jews practice their extremism and aggression towards the Palestinians and the entire world.

The Talmudic texts establish the concepts and beliefs of the Torah by rooting the Jew's mentality and his view of other (other people), as a Jew strips other people of their human character. After this theoretical doctrinal deletion or projection, killing and physical eradication become a behavioral approach that complements faith, and even turns into a type of rite and ritual for those committed to the fundamentals of the Jewish religion.

Jewish literature is nothing but a translation of theoretical and practical thought and practice. On the other hand, the characteristic of incitement to killing is almost no exception to any literary or artistic production in the Zionist culture.

Education in "Israel" is merely a spiritual mobilization to prepare soldiers for the day of war, which includes the historical curriculum, history of the Zionist movement, glorification of the Jewish army, and the study of the perverse Torah and the Talmud, which all would develop the hostile spirit toward Arabs and Muslims in the hearts of young people.

The conflict between the Zionist entity and the Arab nation is an intellectual and civilizational conflict that requires the thinkers of the Arab and Islamic nation to confront the thought of the Zionist entity and expose its religious and racist foundations in a scientific and objective manner that proves that Israel is an intellectually and practically racist, terrorist entity.

Attention must be paid to the ancient Palestinian history to prove the Arab national identity of Palestine.

Seminars and conferences in which Arab and Islamic cultural organizations and institutions participate should be held to support the Palestinian issue.

Keywords: Belief, ideology, racism culture, Zionism.

.

مقدمة

الإنسان كائن اجتماعي يعيش ويقضي معظم وقته في جماعة وفي جماعات، يؤثر فيها ويتأثر بها، ويتحدد سلوكه الاجتماعي ضمن متغيرات جوهرية أخرى من شخصيته فهو ينمو جسمياً وفسيولوجيا، وينمو انفعالياً وينمو عقلياً والفرد منذ ولادته وحتى وفاته.

ولعل الناحية الاجتماعية والفكرية والعقدية هي قطب رحى موضوعنا هذا، فمنذُ طفولة الفرد تنمو لديه القدرة تدريجياً على إنشاء العلاقات الاجتماعية مع الآخرين ويكتسب الأساليب السلوكية والاجتماعية والاتجاهات والقيم والمعاير ويتعلم الأدوار الاجتماعية، وهو يتعلم ما اصطلح عليه بالتفاعل الاجتماعي مع رفاق السن، وينمو أخلاقياً ودينياً خلال الجزء الأكبر من حياته.

لذلك صار لزاماً علينا معرفة دوافع الإنسان اليهودي المتصهين لممارسة ثقافة العنف وشيطنة الآخر واستباحة دمه وعرضه واغتصاب أرضه وتجريده من وجوده الأبدي المتشكل عبر مراحل الحياة الإنسانية لنخرج بفهم موضوعي لهذا السلوك العدواني فهماً صحيحاً ويأتي بحثنا هذا ليمدنا بمادة معرفية مناسبة تقدم إجابات مهمة لكل التساؤلات المعرفية والتربوية، فمسالة النشء مسألة جوهرية وهي ما تركز عليها الأيديولوجيا والعقيدة اليهودية في تشكيل شخصية الإنسان اليهودي والصهيوني على وجه الخصوص من خلال عدة مؤسسات ومنظمات أهمها المدارس ومناهجها ووسائل الإعلام والخطاب العقائدي والفكري بشكل عام.

ويحاول المؤرخون الصهاينة تزييف وقائع التاريخ ليقدموا لليهود بشكل خاص والبشرية بشكل عام، إنهم أصحاب حضارة ومكانة بين الأمم وأنهم سلسلة تجمع الأجيال اليهودية المتعاقبة في كل تاريخي موحد وهذا طبعاً ما لم تذكره أي حضارة من الحضارات المتعاقبة على المنطقة العربية. وذلك لسبب بسيط هو أن قيام مملكة إسرائيل وبعدها مملكة يهود التي لم يسن لها الاستمرار فترة زمنية طويلة، من أجل بناء حضارة ومكانة بين الحضارات. كما يدعي الصهاينة اليوم الذين لم يعثروا على أي أثر يهودي يثبت صحة ادعائهم. بالرغم من الحفريات الكثيرة وخاصة تحت جدران الأقصى للبحث عن الهيكل الذي هدمه وأزاله الإمبراطور الروماني تيتوس عام 70 قبل الميلاد وأصبح مكانه مكباً للقمامة. فالديانة اليهودية في جوهرها ومضمونها ليست إلا الشكل الديني للغيتو اليهودي (**هو حي مقصور على إحدى الأقليات الدينية أو القومية، وتستخدم بشكل خاص للإشارة لأحياء اليهود في أوروبا...**) (المسيري وحسين، 1975: ص154).

مشكلة البحث وتساؤلاته:

تتحدد مشكلة البحث الحالي في التساؤلات الآتية:

1- ما مفهوم الأيديولوجيا والعقيدة اليهودية؟
2- ما هي التعاليم الأيديولوجية والدينية الصهيونية التي تحدد علاقة اليهود بالأُمم الأخرى؟
3- ما هي الطرق والأساليب التي تعتمد عليها العقيدة والأيديولوجيا اليهودية في تحقيق هدفها الوجودي؟
4- ما هي الأساليب والطرق التي يواجه بها العرب هذه الأيديولوجيا والعقائد الصهيونية اليهودية؟
5- ما هي المنهجيات التي تعتمد عليها العقيدة والأيديولوجيا اليهودية في تحقيق أهدافها؟
6- ما هي آثار وسلبيات الأيديولوجيا والعقيدة اليهودية على سكان فلسطين الأصليين وعلى واقعنا المعاصر؟

أسباب اختيار البحث:

أسباب تتعلق بالباحثين مفادها الرغبة الشديدة في المزيد من التعرف على هذه الظاهرة على أمل أن تكون مساهمة يمنية متواضعة تضاف إلى الجهود العربية التي اهتمت وتهتم بهذه الإشكالية القديمة الجديدة.

حرب الإبادة الجماعية التي تمارسها الصهيونية ضد شعبنا الفلسطيني منذُ اغتصبت أرض فلسطين وحتى وقتنا الحاضر في غزة منذُ 8 أكتوبر 2023م هذه المجازر والإبادة الجماعية التي يمارسها الصهاينة المحتلين في حق أبناء الشعب العربي الفلسطيني فرضت علينا إعادة قراءة وتمحيص العقائد والأفكار اليهودية والصهيونية التي تؤصل للإبادة الجماعية في حق صاحب الأرض الحقيقية ومالكها.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في الآتي:

1- إعادة قراءة هذه العقائد والأيديولوجيا بمنهجية علمية ونقدية وكشف بطلانها وزيف ادعاءاتها.
2- ممارسة النقد والتمحيص للعقائد والأيديولوجيا الصهيونية في التراث اليهودي.
3- يساهم في تحقيق هدف عام مشترك وهو توجيه النشء العربي والإسلامي لما يساعده في مواجهة التطرف اليهودي.
4- يمكن أن يكون عوناً لأصحاب القرار السياسي في معاركهم ومواجه سياسة هذا الكيان.
5- يعتبر إضافة علمية جديدة للمكتبة اليمنية كونها تفتقر لمثل هكذا أبحاث.
6- توضيح أساس العقيدة والأيديولوجيا الصهيونية في نظرتها للذات والآخر.
7- يساهم في معرفة الأسس والمنهجيات التي تقوم عليها العقيدة والأيديولوجيا.
8- الكشف عن الوجه العنيف لهذا الكيان الغاصب وإبطال منطلقاتهم الأيديولوجية والدينية بطريقة علمية مبنية على التحليل والحقائق التي تفضح وجود هذا الكيان الغاصب للأرض العربية الفلسطينية تحت حجج وأباطيل زائفة لا يمكن وصفها إلا بأساطير تنطلق من الخرافة وإلى الخرافة.

9- معرفة المؤثرات الفكرية والدينية في شخصية اليهودي.

أهداف البحث:

1- بيان التأصيل التوراتي للعقيدة والأيديولوجيا الصهيونية

2- استعراض مرتكزات الفكر العقائدي الصهيوني وجذوره التاريخية.

3- الكشف عن العلاقة بين العقيدة والأيديولوجيا الصهيونية والتطرف والإرهاب والعنصرية الصهيونية المعاصرة.

4- توضيح الأساليب التربوية والثقافية التي تؤسس للعقيدة والأيديولوجيا الصهيونية في المجتمع الصهيوني في فلسطين المحتلة.

منهجية البحث:

استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لمناسبتهما لموضوع البحث من خلال تحليل مضامين النصوص المأثورة في الفكر اليهودي ووصف مظاهر العنف والتطرف والعنصرية والإرهاب في محتواها المعتمد والمحرف لدى المجتمع الصهيوني وأوساطه الثقافية والتربوية.

الدراسات السابقة:

1- دراسة رمزي بو عبيد (2020): هدفت هذه الدراسة إلى تحليل العلاقة بين الفكر الصهيوني والديانة اليهودية وقيام دولة إسرائيل، حيث عرضت للقارئ مفهوماً متكاملاً عن نشأة الصهيونية وماهيتها كحركة وكفكر يشمل التعريف، الأهداف، حجج وذرائع ظهورها الدينية والتاريخية، وكذلك أسباب قيامها، وأهم أفكارها ومرجعيتها الفكرية.

2- دراسة ناجي علي الصناعي (2019): ناقشت هذه الدراسة موضوع الهوية اليهودية المتخيلة لدى الكيان الصهيوني والمطروحة عنواناً ومطلباً تفاوضياً يعيق مسار المفاوضات مع الفلسطينيين بدعوى الاعتراف الفلسطيني بيهودية دولته. وتطرقت للإشكاليات والتناقضات التي تثيرها الهوية اليهودية على صعيد البُنى الداخلية والخارجية للكيان الصهيوني، وذلك من خلال الوقوف على المقومات والمفاهيم الفكرية والأيديولوجيا الصهيونية للهوية اليهودية وبيان تناقضاتها مع واقع التكوينات المعرفية والثقافية للجماعات اليهودية في فلسطين.

3- دراسة عبدالوهاب المسيري (2010): هدفت إلى الكشف عن حقيقة الصهيونية بأسلوب تحليلي تفسيري بمعزل عن الخطاب التآمري والتعبوي، والأسلوب التفسيري لا يعني رفض الواقع الموضوعي، بل يعني الجمع بين الموضوعية والذاتية، حيث حاولت الدراسة طرد الأوهام التي تساور المهزومين بشأن الحركة الصهيونية من قوة وقدرة على التنبؤ.

دراسة ميشيل شيحة (2003): اعتمدت الحركة الصهيونية لضمان بقائها واستمرار كيانها المصطنع (إسرائيل) على أساسها العنصري، القائم على الانغلاق والتمييز العنصري. حيث يرجع الدافع للانغلاق العنصري لدى اليهود إلى اعتقادهم التام بالتفوق العنصري الذي يرجع إلى الكتب المقدسة لديهم، والتي زوروها وملؤوها بأحلامهم، وبنصوص تتفق وأهوائهم، فهم يعدون أنفسهم شعب الله المختار، وكل ما عداهم من البشر أدنى منهم درجات، وقد تأثر اليهود منذُ القرون الأولى للميلاد بهذا الزعم، مما دفعهم إلى العزلة عن غير اليهود في كل أنحاء العالم.

محاور البحث وتقسيماته:

يتكون البحث من مقدمة منهجية وثلاثة محاور وخاتمة تفرعت إلى نقاط وعناوين داخلية أخرى، هي:

المحور الأول: التأصيل التوراتي للعقيدة والأيديولوجيا الصهيونية

المحور الثاني: الفكر والعقيدة والتطرف والإرهاب الصهيوني

المحور الثالث: العقيدة والأيديولوجيا والتربية الصهيونية

خاتمة البحث: وقد تضمنت أهم النتائج والتوصيات والمقترحات ألحقناها بقائمة الهوامش والمراجع.

مصطلحات البحث:

العقيدة (Doctrine):

لغةً: من العقد وهو الربط والشد والإبرام.

اصطلاحاً: هي التصديق الجازم بوجود الخالق وكل عقيدة تقدم تصورتها لمعتنقيها من هنا يأتي الصدام بين العقائد حيث تؤمن كل ديانة بأنها الحق بينما الآخرين كفار.

الأيديولوجيا (The Ideology):

لقد وردت تعاريف كثيرة حول مصطلح الأيديولوجيا منها:

تعريف قاموس "أكسفورد" Oxford التعليمي:

يعرفها بأنها أسلوب في التفكير يتميز به شخص أو مجموعة ما، خاصة في صياغة أسس النظام الاقتصادي (خليل،2002، ص112).

تعريف قاموس "لاروس" Larrousse:

ويعرفها بأنها علم الأفكار أو مجموعة الأفكار الخاصة ببيئة أو عصر تجسيداً لوضع تاريخي، وهي عقيدة نظري وتجد فكرة غير متحققة (المرجع نفسه، ص113).

الأيديولوجيا اليهودية (Zimist Ideology):

إن مشكلة الأيديولوجيا في المعنى، حيث أن عبارة "الأيديولوجيا" لا تمتلك في حد ذاتها معنى محدد متفق عليه، والسبب في ذلك أنها تعود إلى نظم اعتقادية عما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني شمولاً أو استبعاداً، كما أن البعض ينظر إلى المعتقدات نفسها من ناحيتين: الأولى: أنها عقلانية، والثانية: أنها وهمية، ما يوضح أن المصطلح هو خلافي بالأساس لدرجة ينظر فيها البعض إلى أن المعتقدات الدينية إنما هي نمط أيديولوجي، بينما يقصر الآخر الأيديولوجيا على المعتقدات السياسية وعليه **يعرف الباحثان** الأيديولوجيا الصهيونية **إجرائياً:** بأنها مجموعة الأفكار التي تعكس معتقدات ومصالح أمة أو نظام سياسي. أو أنها فكرة ومنظومة من الأفكار الكاذبة أو المظللة والتي يعتقد بها الصهاينة نتيجة أسباب وعلل خاطئة، ولكنها مع ذلك موضوع الإيمان والقناعة بأنها غير قابلة للدحض. ذلك التأمل الخيالي أو الوهمي: أي أنها مجموعة المفاهيم التي قدمتها الحركة الصهيونية والتعاليم اليهودية عن أوضاعها في ظرف معين، وهنا يجب القول أنه من الصعوبة بمكان التفريق بين الأيديولوجيا الصهيونية والعقيدة نظراً لعملية التزاوج بين التعاليم الدينية اليهودية والأفكار السياسية الصهيونية، التي أدت إلى دفع اليهود المتديّنين خارج حدود الكيان المصطنع في فلسطين إلى تبني واعتناق الصهيونية كفكر وممارسة، كما سعوا في نفس الوقت إلى إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين بهالة من القداسة واعتبارها امتداداً وخُلقاً ومعتقداً لسياسة اليهود القدماء منذُ قيام مملكة إسرائيل وحتى ظهور النبي موسى عليه السلام وحتى ظهور هرتزل ونوردا وسكولوف وإيفرمان وغيرهم من موسسي الحركة الصهيونية في بداية القرن العشرين، وهذه أسباب حقيقية أدت بنا إلى عدم التفريق بين العقيدة والأيديولوجيا فمن المؤكد أن أكبر حاضنة للأيديولوجيا هي الأديان ومشكلة الأديان أنها تأتي بثوابت شبه مطلقة كون الأيديولوجيا أفكار ثابتة تلزم منتسبيها بعدم تغييرها حتى النهاية.

العقيدة اليهودية (jewish - Faith):

يعرفها الباحثان إجرائياً: بأنها الاعتقادات التي يعتقد بها الإنسان اليهودي – الصهيوني المتصلة بالتعاليم الدينية التي أُرسلت على النبي موسى ثم تم تحريفها من قبل حامليها.

الثقافة العنصرية (Racist Cultuv) إجرائيا":

أختلف العلماء على تعريف مفهوم الثقافة وهذا يعود أن كل باحث ينطلق من التخصص الذي ينتمي إليه، وبما أن الثقافة هي أسلوب التفكير لفرد ما لشعب ما ينعكس ذلك كمنتج ماد ي من طرق العيش ومقتنياته وأساليبه لتصبح الثقافة هي ما ينتجه الإنسان في الجانب المادي والمعنوي وهي في الواقع عبارة عن تصورات الفرد والشعب والأمة تجاه الذات وكذلك تجاه الآخر.

وإذا ما تحيزت لذاتها كعنصر مميز عن بقية الثقافات تمركز عرقي ديني أيديولوجي تدعي الصفاء أي نحن وهم، نحن المتميز في الدين في اللغة وفي العرق الخ... فأنها تكون قد وضعت نفسها كثقافة للكراهية ويتم نشرها كثقافة عنصرية تعمم ذاتها في المدارس والجامعات ودور العبادة ووسائل الاتصال قد يصل الأمر إلى طريقة الملبس والمأكل ليس كخصوصية وإنما كعنصرية تشيطن الأخر وتبخسه وتحط من قدر وتدعوا إلى إزالته من الحياة نفسها تغرس الكراهية ولا تعترف بالحوار أو العيش المشترك طريقها العنف في التعامل مع الآخر المختلف وقد تنهل تشريعاتها وسلوكها من تراثها المجتمعي أو من نصوص دينية تدعي أنها مرجعية ملزمة وهذا هو الحال بالنسبة للثقافة اليهودية الصهيونية عندما تعتمد القتل وسيلة بل غاية تجاه المختلف عقيدة لا تترك نفسًا حية ..

عقيدة واضحة في الكتاب المقدس..

فإذا لم تقتلهم اليوم سيسعون اليوم لقتلك..

فإرهابيوا اليوم هم أطفال الأمس

الذين تركناهم يومًا أحياء..

والنساء في الحقيقة هم من يصنعن الإرهابيين. [1]

الصهيونية:

هي حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين، وهي مشتقة من اسم (جبل صهيون) في حيث بنى داوود قصره بعد انتقاله من الخليل إلى بيت المقدس في القرن الحادي عشر ق.م، وهذا الاسم يرمز إلى مملكة داوود وإعادة تشييد هيكل سليمان من جديد بحيث تكون القدس عاصمةً لها (ديب، 2009: ص1).

المحور الأول: التأصيل التوراتي للعقيدة والأيديولوجيا الصهيونية:

البعد الديني للإرهاب في الفكر الصهيوني:

قامت الديانات السماوية على فكرة واحدة تمثلت في التوحيد والسلام والتسامح، إلا أن الديانة اليهودية تدعو إلى العنف والقتل والتهجير، فالنصوص التوراتية (المحرفة المعتمدة لدى الصهيونية اليوم) تحتوي على العديد من الشواهد التي تؤكد على التربية العدوانية والتي ترتكز على العنف والإرهاب الذي

---

[1] ينبغي أن ننبه إلى أن النصوص التوراتية المعنية هنا هي النصوص التوراتية التي يعتمد عليها اليهود الصهاينة وهي بالطبع المحرفة والمعدلة والتي لا يمكن أن تكون النصوص الأصلية منها تتضمن مثل هذه الخرافات وتكريس العنف والإرهاب والعنصرية في التراث اليهودي الصهيوني شأن الكتب السماوية والصحف القديمة التي نزلت على الأنبياء السابقين واللاحقين، على موسى وعيسى عليهما السلام أصلاً، وقد نبهنا على ذلك في متن البحث ص7–8، وللمزيد من التفاصيل ينظر: حافا لازاروس يافيه: "الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط"، ترجمة: محمد طه عبدالحميد، ط1، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة (2007م)، ص ص 12–108 بتصرف.

ISSN : 2625 - 8943

يتحول بفعل هذه التعاليم إلى طقوس وشعائر يتعبد فيها ويمارس اليهود من خلالها فعل تطرفهم وعدوانيتهم تجاه الشعوب. وهي تتمحور حول العناوين الآتية: (سوسة، 1972: ص147-148)

- الأمر بالاستباحة والتحريم: لقد جمعت قوانين الحرب في العهد القديم في سفر التثنية، (المعتمد لدى الصهيونية اليوم) وفيه تحدد لليهود كيفية الاستيلاء على المدن وأسلوب التعامل مع أهل البلاد في الإصحاحات التالية 10/20، 21/14، 23/10، 23/16، 24/5)، وقد أصبحت هذه الأسفار مرجعاً ومصدر إلهام ووحي للقادة الصهاينة فيما بعد، وهي تنفذ كما الطقوس والشعائر، وهكذا طبق (يشوع بن نون) ما ورد فيها: "واقتلوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم بحد السيف".

- الأنبياء القدوة والسيف: أنبياء التوراة القدوة عند الصهاينة تتميز بالقسوة والعنف، فموسى عندما انتصر على المديانيين، وجاءوا بالسبايا والغنائم قال لهم: فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر أقتلوها، لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات" (السفر، 17/3)، ويوصي الرب موسى قائلاً: "فتطردون كل سكان الأرض من أماكن وتمحون جميع تصاويرهم، وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخرين جميع مرتفعاتهم" (البار، 1989: ص150).

- الروح الاستئصالية: تعرف التربية عند اليهود بأنها ذات نزعة استئصالية تجاه الأغيار، وتظهر بوضوح في العديد من النصوص التوراتية مثل: هو ذا شعب كلبؤة يقوم، وكشبل ينهض لا يريض حتى يأكل الفريسة ويشرب دم الصرعي (الإصحاح 23، فقرة (24)، وفي سفر التثنية ورد: الرب إلهك يطر هؤلاء الشعوب من أمامك ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحو أسمهم من تحت السماء (سفر التثنية الإصحاح 23، الفقرة 19-20)، وتظهر عملية الاستئصال الدموية للشعوب المغايرة بأنها أمر الهي: أما مدن أولئك الأمم التي يعطيها لك الرب إلهك ميراثاً فلا تستبق منها نسمة (الإصحاح (13) لا مهرب من تنفيذ الأمر الإلهي، فالتحذير من مغبة المخالفة واضح فيما ورد : إن لم تطردوا أهل الأرض من وجهك، كان من تبقونه كإبرة في عيونكم وحربة في جنوبكم، يضايقونكم في الأرض التي أنتم تقيمون بها فإن عبارة القتل والإفناء والاستئصال تتكرر في الأسفار التوراتية عند كل حديث عن قتال أو احتلال لمدينة وقرية، ويعدد التوراة عدد الملوك الذين قتلهم يشوع وأفنى شعوبهم فيقول : جميع الملوك واحد وثلاثون (سفر يشوع، 24:12)، وليس غريباً أن يعمد الصهاينة إلى التذكير الدائم بهذه الوقائع وتصويرها على أنها بطولات يمكن استعادتها بقالب عصري وحديث، بل ويجري تلقينها للأطفال، ليس كأساطير، بل كوقائع وتاريخ يجب تمثله والاستفادة من عبره ودروسه (الهباهبة، 2015: ص74).

- تشريع القتل وتطهيره: ذكر التلمود أن قتل غير اليهودي لا يعتبر جريمة عند اليهود بل فعل يرضى الله، وجاء أيضاً: "أقتل الصالح من غير الإسرائيليين ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من هلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها، لأنه بذلك يكون قد حفظ حياة أحد الوثنيين" (لوران، ص84-85)، وجاء في موضع آخر منه: أنه من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر لأن من يسفك دم الكافر كمن يقدم قرباناً إلى الله، وأن من يقتل مسيحياً أو أجنبياً أو وثنياً يكافأ بالخلود في الفردوس والجلوس هناك في السراي الرابعة)، أما من قتل يهودياً فكأنه قتل الناس أجمعين، ومن تسبب بخلاص يهودي فكأنه خلص الدنيا بأسرها (برنايتس، 1991: ص147-148).

تقوم النصوص التلمودية بتثبيت مفاهيم التوراة وعقائدها، كذلك بتأصيل ذهنية اليهودي ونظرته لسواه من (الأغيار)، فهو يسقط عنهم الصفة الإنسانية، وبعد هذا الحذف أو الإسقاط العقائدي النظري يصبح القتل والاستئصال المادي منهجاً سلوكياً يكمل الإيمان، بل تتحول إلى نوع من الطقوس والشعائر عند الملتزمين بأصول الدين اليهودي، فالمذبحة التي قام بها باروخ غولد شتاين عام 1994م في الخليل والتي قتل فيها 27 شخصاً وجرح أكثر من خمسين من المصلين المسلمين في قلب الحرم الإبراهيمي أثناء تأديتهم الصلاة، هذه المذبحة كانت ترجمة لهذا المناخ الفكري الذي يعتبر كل من يسفك دم شخص غير يهودي عمله مقبول عند الله كمن يقدم قرباناً إليه فضح التلمود) صفحة (146)، حسبما هو منصوص عليه في التلمود، وقد تحول غولد شتاين بفعلته هذه إلى بطل قومي ومنها مذبحة مخيم جنين 3/29 – 2002/4/9 (الجزيرة نت، 2016).

قامت أوروبا المسيحية في القرون الوسطى بشن هجوم ضد اليهود مما دفع ذلك رجال الدين اليهود إلى تزييف وتحريف التوراة، وذلك ليحتوي على الكراهية والعدوانية تجاه المسيحيين (خان، 1972: ص33). أما اليهود المحافظون والاصطلاحيون فلا يقبلون بالسلطة الإلزامية الكلية التلمود، رغم اعترافهم بالدور العظيم الذي لعبه التلمود في تحديد وحسم عقائد اليهودية بقولهم إن الذي جعل اليهود يتشبثون بتعاليم التلمود هو الانهيار المفاجئ لشوكتهم، وإغلاق مدارسهم دفعة واحدة، الأمر الذي جعلهم يبحثون عن تعاليم جديدة للمرحلة القادمة، ووجدوها في التلمود الذي يعلمهم على مواصلة الحياة بالانغلاق والسيطرة على المجتمع تمهيداً لإقامة إمبراطورية عالمية (حسين، 2002: ص17). ففي سياق ذلك، أشار الباحث الدكتور أفابيان إلى التلمود وأثره في الحياة اليهودية بقوله: إن الحياة اليهودية حتى هذا اليوم، مؤسسة إلى حد كبير، على التعاليم والأسس التلمودية، فطقوسنا وكتاب صلواتنا واحتفالاتنا وقوانين زواجنا، بالإضافة إلى قوانين وأسس أخرى كثيرة مستخرجة مباشرة من التلمود والتلمود هو الذي تعزى إليه الصفات التي يتميز بها اليهودي (خان، 1972: ص33).

أشار رجال الدين اليهود من خلال تزويرهم للتوراة وتحريفه إلى التحريض على الإرهاب والعنف ضد غير اليهود، وذلك بهدف إلقاء الخوف والرعب في نفوس الناس كي تترك أرضها وممتلكاتها تحت وطأة الإرهاب والإبادة وسفك الدماء، وترحل أمام اليهود لكي تخلي المناطق التي يريدها اليهود بعد أن ينقذ اليهود فيها حملات الإبادة والتدمير وحرق القرى والمدن حتى تكون خالية من أصحابها، وتقول: بنو الغرباء يبنون أسوارك، وملوكهم يخدمونك، يقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغربة حراثيكم وكراميكم، أما أنتم فتدعون كهنة الرب. تأكلون على الأمم وبمجدهم تفتخرون، وتنطلق عنصرية الشعب الإسرائيلي من التعاليم اليهودية المشبعة بالعنف والانتقام والتمييز والاستعلاء والإبادة الجماعية التي تنص على أن اليهودي وحده هو الإنسان وأن كل شيء مسخر لخدمته، وأن اليهود جزء من العزة الإلهية، وإن الدنيا وما فيها ملك لهم، لهم عليها حق التسلط وتنص التوراة على أن اليهود هم شعب الله المختار، حيث جاء في سفر التثنية: اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض (الموعد، 2001: ص127-128).

ففي ظل ذلك، أشار الحاخام أيار بانيل أن الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير، وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم (حسين، 2016: ص21)، ويعتبر التلمود أن قتل غير اليهودي لا يعد جريمة عند اليهود، بل فعل يرضى عنه الله من هنا استغلت الصهيونية الديانة اليهودية وتعاليمها العنصرية وفق النصوص المحرفة والمعتمدة لديهم واستخدمتها لمصلحتها ولمصلحة الدول الاستعمارية الأوروبية واعتمدت عليها كركيزة أساسية في زعمها، فاليهودية قومية على الرغم من فقدانها لأهم مقومات القومية وهي الأرض واللغة والتاريخ، إلا أنها استغلت أكذوبة الحق التاريخي المزعوم لليهود في فلسطين لكي تكسب أوساطاً واسعة من اليهود وتحملهم على الهجرة إليها، وإقامة دولة اليهود فيها كمقدمة لفرض هيمنة إسرائيل على البلدان العربية وعلى هذا فإن مقولة شعب الله المختار جاءت كدعوة لليهود للاعتقاد بتفوقهم وتميزهم على غيرهم من شعوب العالم، مما دفع إيمان اليهود بتفوق المفكرين الصهاينة إلى الترويج للأفكار والمقولات العنصرية وعدم ولاء اليهودي للبلد الذي يعيش فيه، وسارت أوساط يهودية واسعة في اتجاه الترويج إلى تفوق اليهود وعبقريتهم، ومقاومة الاندماج، والهجرة إلى فلسطين، لاستعمارها وتحقيق الاستعمار الاستيطاني اليهودي في قلب الوطن العربي. وفي السياق ذاته، وبالرغم من ذلك، إلا أن المفكرون الصهاينة رفضوا اندماج الشعب اليهودي مع الشعوب الأخرى انطلاقاً من مفاهيم ومقولات عنصرية يهودية، فرفض ليون بينسكر (1) في كتابه التحرر الذاتي فكرة الاندماج بسبب يهوديته قائلاً: إن الشعب اليهودي عنصر متميز عن الشعوب وغير قابل للذوبان أو الاندماج في كيان أية أمة (المرجع

نفسه، ص22) وعلى هذا الأساس استخدمت الصهيونية الترويج إلى مقولة تفوق اليهود وتميزهم وعبقريتهم لكي تقاوم الاندماج وتحقق الانعزال والفصل والانغلاق العنصري، لتحقيق الهدف الصهيوني الأساسي وهو تهجير اليهود إلى فلسطين وترحيل العرب منها لتحقيق الانغلاق العنصري بإقامة غيتو يهودي كبير في المنطقة، وتظهر عنصرية الصهيونية ووحشيتها في كتاب هرتزل دولة اليهود، حيث يقول: إن دولة اليهود ستكون حصناً للتفوق الحضاري في مواجهة الهمجية الآسيوية (المرجع نفسه، ص23) أشار الاحتلال الصهيوني في ظل سيطرته على الأراضي الفلسطينية إلى أن فلسطين أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض، وبالتالي تجاهلت وجود الشعب الفلسطيني على أرض وطنه، كذلك اعتبر حزب الماباي حزب العمل، إن السيادة على فلسطين تعود لجميع اليهود في العالم، لذلك يجب ترحيل العرب منها لإفساح المجال أمام المهاجرين اليهود، وقد نجحت الصهيونية في تأسيس شركة الكيرن كيمت"، للاستيلاء على الأراضي العربية والتي تعتبر من أكبر المؤسسات اليهودية عنصرية، حيث تحرّم بيع الأراضي التي بحوزتها إلى العرب وتعتبر أن الأراضي التي تملكها لليهود فقط ولا يجوز تأجيرها، أو بيعها لغير اليهود على الإطلاق (المرجع نفسه، ص24). ولقد طبق الكيان الصهيوني منذ تأسيسه هذا المبدأ العنصري، إذ لم تنتقل قطعة أرض واحدة من ملكية الشركة إلى أحد المواطنين العرب، كما منعت العمال العرب من العمل في الأراضي التابعة لها، وحرمت على اليهود استخدام العمال العرب، وفي حال إخلال المستعمر اليهودي بهذا الشرط تسترجع منه الأرض أو تفرض عليه عقوبات مالية كبيرة (العتيبي، 2005: ص56-57) قام الاحتلال الصهيوني، في ظل تحقيق هدفه لتهويد الأراضي الفلسطينية والعمل في الأراضي اليهودية برفع شعار العمل العبري، إذ وصلت العنصرية بالعمال اليهود عام 1905م حداً قاموا فيه بقلع أشجار الزيتون من غابة هرتزل في مزرعة بن شيمس التي زرعها العمال العرب وأعادوا زراعتها لكي لا تدنس ذكرى هرتزل يزرع غابته من قبل العمال العرب. وانتقلت عدوى العنصرية من المنظمة الصهيونية العالمية وشركة كيرن كيمت والعمل العبري إلى الأحزاب اليهودية التي تأسست فيما بعد في فلسطين وخارجها، وخاصة حزبي حيروت والماباي (أي الليكود والعمل) وبقية الأحزاب الدينية (الموعد، 2001: ص130-131). فقد بلور حزب الماباي (العمل) موقفه العنصري من العرب إبان الانتداب البريطاني على فلسطين عام 1920م في اعتباره أن الحقوق في فلسطين تعود لليهود الذين يسكنونها ولكل يهود العالم الذين ينوون القدوم إليها، بينما يملك العرب الفلسطينيون حق السكن فيها فقط، ويفقدون هذا الحق في اللحظة التي يتركون فيها البلد". وأعتبر حزب الماباي حزب بن غوريون وديان ورابين وبيرس، أن السيادة على فلسطين تعود لليهود فقط، ويجب ترحيل العرب وحملهم على ترك فلسطين ومغادرتها وعدم السماح لهم بالعودة إليها (حسين، 2016: ص25). كما قام النشاط

الصهيوني في فلسطين على تهويد الأرض العربية وإقامة المستعمرات اليهودية عليها، وطرد الفلاحين العرب منها واستبعادهم من العمل والإنتاج فيها لتحقيق شعار العمل العبري، ومقاطعة المنتجات العربية وتهويد السوق والاعتماد على القوة لتنفيذ هذه الأسس، مما يبين ذلك سياسة التمييز العنصري التي بدأت الصهيونية في تطبيقها منذ وقت مبكر داخل فلسطين وفي ضوء ذلك، قام الهستدروت (1) بلعب دوراً مهماً ورئيسياً في تحقيق العمل العبري ويقصد به مقاطعة المنتجات العربية، إذ رفع الصهاينة شعار : لا تشتروا من تاجر أو من بائع خضار أو فواكه عربي، لا تتعاملوا مع طبيب أسنان عربي وبالتالي تكون الصهيونية هي أول من أدخل (الهستدروت) هو اختصار لي الاتحاد العام للعمال اليهود، وقد تأسس في ديسمبر عام 1920م أي في عهد الانتداب سلاح المقاطعة الاقتصادية في المنطقة العربية، فقد دمرت عنصرية الصهيونية اندماج اليهود في مجتمعاتهم الأصلية واستخدمت كافة أساليب الضغط والابتزاز والترغيب تجاههم لإجبارهم على الهجرة إلى فلسطين العربية وترحيل العرب منها إلى البلدان العربية المجاورة، وذلك للمحافظة على النقاء العنصري للمجتمع اليهودي، وأصرت على إقامة دولة عنصرية لليهود على أرض فلسطين العربية بقوة السلاح، وبدعم وتأييد كاملين من بلدان أوروبا الاستعمارية كبريطانيا، وأصبح الاستعمار الاستيطاني اليهودي ملتصقاً بالطابع العنصري للصهيونية (حسين، 2002: ص28).

من خلال ما سبق، يمكن الاستنتاج بأن ما ورد في التلمود، يعتبر تأكيداً لنزعة العنف اليهودي على شعوب الأرض باعتبار أنهم الشعب المختار وأن الله اصطفاهم دون سواهم من شعوب الأرض، لذلك، كانوا حريصين على ألا يطلع على التلمود غيرهم.

لقد شكلت كتب العقيدة اليهودية مثل العهد القديم (التوراة، والأنبياء والمكتوبات) وكتب الشارحين المفسرين من الحاخامات والربانية كالتلمود المشناة والجمار) والمدراش، والهلاخا واله فدا). بما تتضمنه من أصول للمعتقد والفكر والأحكام والنصوص التاريخية والأخلاقية وقوانين اليهود السياسية والمدنية والدينية، التي شكلت بمجملها الاتجاه والمنطلق الفكري الذي ترتكز وتستند عليه العملية التربوية الصهيونية في توجهاتها تحت عناوين ومسميات متعددة (سمعان وآخرون، 2004: ص85). كذلك استمدت الكتب المنهجية والتعليمية التي تغذي الأجيال اليهودية بمحتوياتها من التعاليم الدينية التي تحثهم على القيام بأعمال وتعلم مواضيع متداخلة مثل: الهجرة إلى فلسطين لاحتلالها، والاستيطان فيها، وترحيل وطرد شعبها الفلسطيني التي تسميهم بـ (الجوييم أي الأغيار وتطلق على غير اليهود) من أرضهم أو مصادرتها ضمن حملاتها العسكرية التوسعية التي تقوم بها ضدهم بين الحين والآخر (العطار، 2007: ص65).

- تحرض هذه الكتب التي تكتب باللغة العبرية اليهود على الاتجاه العدواني العنصري ضد العرب، وتدعو اليهود لاحتلال أراضي غيرهم والاستيلاء عليها ونهب خيراتها، وتبين لهم أن خيرات الأرض والعالم أجمع منحة وهبها الله لهم وحدهم، وكل ما في أيدي (الجوييم) غير اليهود هو ملك لليهود (بني ملحم، 2012: ص143).

- استغلت الحركة الصهيونية ما جاء في هذه الكتب (التي جرى تحريفها في فترة السبي البابلي أو ما بعدها) في تحقيق أهدافها، إذ تعد فكرة العودة إلى أرض فلسطين (أرض الأجداد أرض إسرائيل) حجر الأساس لقيام الدولة اليهودية الخالصة النقية والطاهرة من غيرهم من الأجناس الأخرى (عبد العال، 2005: ص35).

إن النصوص التوراتية المزيفة والمحرفة تنص على اعتبار اليهود أولاد الرب (سفر التثنية: الإصحاح 2/14)، وميزهم عن شعوب العالم ليكونوا له. وتأكيداً لذلك تنص التوراة مثلاً على العبارة الآتية: "أنا الرب إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب ويكونون لي قديسين، لأن قدوس، أنا الرب، وقد ميزتكم عن الشعوب لتكونوا لي" (سفر اللاويين: الإصحاح 24/40).

تبين هذه النصوص وغيرها أن بذور العنصرية والتعصب تستند في جذورها على التعاليم الدينية التي توجد في التوراة والعهد القديم والتلمود بعد أن حرفت وزورت، وأصبحت فكرة التفوق العنصري إحدى أهم الركائز التي استند إليها الفكر الصهيوني، وأدى بهم ذلك إلى الشعور بأن مرتبتهم أعلى من سائر البشر (بني ملحم، 2012: ص143).

- يرى أصحاب الاتجاه الديني المتشدد في دولة الاحتلال الإسرائيلي أن الأراضي العربية المحتلة هي هبة من الله لهم ولا يحق لهم التنازل عنها لأنها أعطيت لهم بمشيئة الله وحده (الحاجر، 2002). ونتيجة لتفضيلهم عن أبناء المجتمعات الإنسانية الأخرى، لا يجوز الاعتداء عليهم، ويجوز لهم الاعتداء على غيرهم، فمثلاً ينص التلمود في أحد الأسفار بالقول: "إذا ضرب الوثني يهوديا فإن الأول منهما يستحق الموت" و"من ضرب يهودياً على فكه كأنه اعتداء على الحضرة الإلهية" و "من يقتل مسلماً أو مسيحياً أو أجنبياً أو وثنياً يكافأ بالخلود في الفردوس والجلوس هناك في السراي الراجعة" (سفر عبودة زارة).

لقد حرصت وزارة التعليم الإسرائيلية على تغذية وتنمية الوعي اليهودي بالتعاليم الدينية المتشددة والمتطرفة ضد الشعب الفلسطيني، وغرس المبادئ الصهيونية في نفوسهم، وعلى تلقينهم حب إسرائيل والانتماء للشعب اليهودي ولأرض إسرائيل (عبدالعال، 2005: ص28). وخدمة للمصالح الصهيونية العالمية تم توثيق هذا النوع من النصوص والتعاليم الدينية في كتب المناهج الدينية في المجتمع الإسرائيلي مما ساهم في بث القيم العدوانية في نفوس الطلاب بثاً كبيراً، وحتى تستطيع الدولة السيطرة العسكرية

على المجتمع فقد زرعت كراهية الآخر في نفوس الطلبة وذلك بالاستعانة بالتعاليم والنصوص المحرفة والمزيفة.

المحور الثاني: الفكر والعقيدة والتطرف والإرهاب الصهيوني:

أ- الجذور الفكرية للإرهاب الصهيوني بين الطبيعة والاكتساب:

من المؤكد أن الإرهاب وعقدة العدوانية وجه واحد من وجوه العنف وإذا حاولنا تقصي طبيعة الإرهاب اليهودي الصهيوني فإننا بوجه أو بآخر نقوم بتقصي عقدة العدوانية ومحاورها في الشخصية اليهودية الصهيونية، وهذا ما يجعلنا نقف طويلاً عند التحليل النفسي وآرائه حول هذه العقدة التي تمتعت بها الشخصية اليهودية الصهيونية.

يقول فرويد والتأكيد ذاته على الوصية "لا تقتل تجعل من اليقيني أننا نخدر من سلالة من المجرمين لا نهاية لها كانت الشهوة إلى القتل تجري في عروقهم كما يمكن أن يكون الحال معنا نحن أنفسنا الآن".

وطبيعي أن فرويد يحلل وصية التوراة - لا تقتل - تحليلاً يستنتج من ورائه أن اليهود يخدرون من سلالة من المجرمين تجري في دمهم عقدة القتل.

ومسار الشخصية اليهودية الصهيونية وتاريخها يعطينا عدة مؤشرات تفصح عن أن طبيعة هذه الشخصية اندمجت بشكل أو بآخر بعقدة العدوان أما كيف جاءت مفصحة عن تركيبة طبيعية فإن كثير من العوامل ساهمت في عجن هذه الشخصية:

1 – **العامل التوراتي:** فالتوراة كتبه عدد من أحبار اليهود في أزمنة متباينة ومتباعدة حتى وصلنا كما نراه اليوم هذا الكتاب كونه كتاباً دينياً لليهود يكرس في توجهه التربوي عقيدة القتل والاعتداء ويحض عليها. فالإله التوراتي يدعو إلى القتل والإرهاب والفتك بالناس وكذلك الكهنة والحاخامات يدعون إلى هذه العقيدة من خلال التلمود وكتبهم الأخرى. لقد كرس أخبار اليهود وحتى منظروهم العلمانيون مقولات التوراة في العدوان والإرهاب وهذا التكريس ظل مستمراً مئات السنين حتى أصبحت الطبيعة اليهودية مندمجة تماماً بالعدوانية.

والعامل التوراتي يعد أقوى العوامل كلها كونه يحتوي بقية العوامل الأخرى. ومن خلال رؤيتنا لطبيعة العدوان في هذا الكتاب نرى أنه عدوان ذو وجوه متعددة فهناك العدوان الفردي. القتل الفردي - العدوان الجماعي - العدوان المقدس - العدوان الموجه للداخل (قتل اليهودي لليهودي).

وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد في سفر الخروج 2 - 11 - 112 وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر في أثقالهم فرأى رجلاً مصرياً يضرب عبرانياً من أخوته فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أنه ليس هناك أحد فقتل المصري وطمره في الرمل.

فنرى أن النص التوراتي يركز على الإخوة التي تستند على أساس عرقي. ومن المعروف أن موسى عندما قتل المصري لم يكن نبياً، ولا هو مسؤول أمام ربه. وموسى كشاهد على القتل الفردي يعتبر مثلاً أعلى لليهودي العنصري يُحتذى أينما وجد يهود. والشواهد على القتل الفردي كثيرة وسفر الملوك الأول يعج بقصص القتل الفردي الخارجي والداخلي.

ففي سفر يشوع الإصحاح السادس / 21 / وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف.

وفي السفر نفسه / 22 / الإصحاح 8. وضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت وأما ملك عاي فأمسكوا به حياً وتقدموا به إلى يشوع وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحد السيف.

وفي الإصحاح الأول - الآية 24: ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من الخيش إلى عجلون فنزلوا عليها وحاربوها وأخذوها في ذلك اليوم وضربوها في حد السيف وحرموا كل نفس فيها، وفي منحى آخر لطبيعة العدوان نرى أن الإرهاب اليهودي الصهيوني نفسه يتجه نحو الداخل حيث يصبح قتل اليهودي لليهودي أمراً عادي شائعاً بينهم. والمواقف لا تعد ولا تحصى وهي تفصح عن تلك العقيدة العدوانية. فيرد في سفر القضاة 20: 41 - 48 ورجع رجال "إسرائيل" وهرب رجال بنيامين برعوة لأنهم رأوا أن الشر قد مسهم ورجعوا أمام بني إسرائيل في طريق البرية. ولكن القتال أدركهم والذين من المدن أهلكوهم في وسطهم فخاوطوا بنيامين وطاردوهم بسهولة وأدركوهم مقابل (جمعة) لجهة شروق الشمس فسقط من بنيامين ثمانية عشر ألف رجل، وكان جميع الساقطين من بنيامين خمسة وعشرين ألف رجل.

إذاً فالقتل والعدوان تملكا التوراتيين وأصبحا أمراً مهماً في العقيدة اليهودية. وما دام التوراة يبيح هذه الشريعة فإن معتنقي الديانة اليهودية الصهيونية يتمثلون طبيعة التكوين التوراتي الدموي.

2 - **العامل العنصري:** لقد كان وما يزال من الواضح أن الشخصية اليهودية انفردت عن غيرها بالتقوقع والانحسار وعدم الاختلاط كونها تشعر بفوقية خاصة وعنصرية حادة. وقد كان للغيتو اليهودي أثره في تكريس عقدة العدوان والتحفز الدائم.

ومن هنا كان لا بد من العودة إلى الجذور الفكرية الأولى التي تابعت سير المنهج التوراتي عبر التاريخ تلك الجذور التي زرعها المفكرون الصهاينة ليخلقوا ذلك التوجه الإرهابي على مستويين (مستوى نظري - مستوى تطبيقي عملي مدروس بشكل فاضح على كل المستويات) (الباش، 2009: http://www.mafhoum.com/press4/116S23.htm).

ويركز الفكر الصهيوني ونظريته العنصرية على إنشاء منظمات إرهابية كثيرة في فلسطين وخارج فلسطين وتطال يد هذه المنظمات المجتمع الأمريكي الذي يحمي قادة الصهاينة حماية كاملة وقد كلفت هذه المنظمات بأعمال متنوعة وتختص كل منها بعمل ما قد ينحصر هذا العمل في منطقة ما أيضاً دون عمل المنظمة الأخرى ومنطقتها.

1- حركة لجنة الأمن: (جمعية المحافظة على الأمن) وقد أسست عام 1979م.

2- حركة متسياء وقد أسسها وطورها الحاخام العنصري حايم دور كمان وهدفها تهجير العرب وإقامة حكم التوراة في دولة (إسرائيل الكبرى).

3- مجموعة لفتا وقد أسسها الصهيوني شمعون برادة وقد خططت لتدمير المسجد الأقصى.

4- المنتقمون: وهي إحدى حلقات كاخ وقامت بإلقاء قنابل على مقهى عربي في القدس.

5- مجموعة عين كارم إحدى روافد التنظيم الإرهابي TNT.

6- حركة أرض إسرائيل الكبرى وقد أسست بعد عام 1967م على يد الجنرال أبراهام ليوفه.

7- مركز هارب: هي مدرسة الحاخام كوك وتعتبر من أهم المدارس العنصرية.

8- غوش إمونيم: وتشكل فلسفة هذه الحركة المبادئ الأساسية للاستيطان في الأرض.

9- حركة كاخ: ومؤسسها الحاخام العنصري ماتر كاهانا وتعتبر من أكثر الجماعات الصهيونية تطرفاً.

10- حركة تسومت: وقد أسسها روفائيل إيتان ويعتبر من أوائل من أدخلوا العنف والمعاملة الفظة ضد العرب على أيدي الجيش الصهيوني المغتصب (المرجع نفسه، 2009).

ومن أساليب الإرهاب الصهيوني في داخل فلسطين قيام هذه الحركات الإرهابية بتسميم مياه الشرب ووضع مواد كيماوية غازية مسممة على أبواب ونوافذ بيوت العرب لأجل تسميمهم.. إضافة لذلك فإن عمليات الإرهاب تتنوع وتتشعب، فتبدأ بالإرهاب الفردي حيث يقتل أفراد هذه المنظمات بعض العرب الذين ينفردون في الطرقات والشوارع والمزارع والحدائق إضافة لاستخدام الرصاص والسكاكين وغيرها من الأدوات (المرجع نفسه، 2009)..

أما الإرهاب الجماعي فقد يشمل الهجوم على البيوت والقرى وتكون النتيجة مزيداً من القتل والإرهاب للإنسان العربي.

ومنذ بدء الانتفاضة بدا واضحاً أن قرارات السلطة الصهيونية المغتصبة كانت ولا تزال تقتضي مزيداً من العنف ومزيداً من الإرهاب المنظم والقتل. وقد استخدم جيش العدوان أساليب شتى لمواجهة الأطفال والنساء والرجال.. فهذه هي طبيعة اليهود الإرهابية، أنها تواصل واضح لمقولات التوراة والتلمود، وهي بذلك تشكل أكبر خطر على الأمة العربية والإسلامية بل على العالم كله.

لم يحدث في عصر من عصور التاريخ أن كان الدين محورا للاهتمام. الدرجة التي اختلط فيها الدين بالأمس والمبادئ التي تبنى عليها معظم النظريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية مثلما هو حادث في عصرنا الحالي فقد محل الدين وما يتبعه من فكر ديني إلى اغلب الاهتمامات الإنسانية وأصبح هو المحور الذي تدور حوله كل إشكالات الحوار، وإذ به يتدخل بشكل أو بآخر في توجيه الجماهير، ومع تساعد الضغوط الاقتصادية والسياسية في الشرق وارتفاع المد الحضاري المادي في الغرب أصبح الدين هو الملجأ الأخير والثابت الذي تتعلق به الحضارات وعلى الرغم من أهمية الدين في الحضارات القديمة إلا أنه اليوم لا يقوم بالدور نفسه الذي أداه في التاريخ القديم بل هو شريك أساسي في كل الأدوار والنظريات، وتحول من وسيلة تنظم علاقة الإنسان بالله إلى غاية في حد ذاته وبذلك أصبح وسيلة لتحقيق أهداف نفعية سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية (عبدالجبار، 2014: ص133-135).

وقد أصبحت اليهودية حركة قتالية (الحركة الصهيونية) حظيت منذُ تكوينها بعطف ودعم لا يُضاهى في شتى المجالات من الغرب المسيحي، الأمر الذي أدى إلى قيام ما يُعرف بالكيان الصهيوني وخلق المشكلة الفلسطينية، وقد اتخذ هذا الدعم والتأييد تفسيرات متعددة من رجال السياسة والمحللين والمهتمين بشؤون الغرب وأمريكا على وجه الخصوص إذ يعزو البعض ذلك الدعم إلى:

أ- النقاء الهدف الصهيوني مع الاستعمار الغربي (أي الأبعاد السياسية التوسعية).

ب- البعد الاقتصادي والحضاري وهو ما يعرف بعلاقة الإسلام باليهود والنصارى منذُ صدر الإسلام واستمرار العداوة حتى تعمقت في فترة الحروب الصليبية.

ولكن قلة قليلة تدرك أن هذا الدعم والتأييد المتواصل الإسرائيل يرجع إلى أسس دينية عميقة الجذور في البنية الثقافية المسيحية وإلى جهد ديوب ومنظم بذلته الكنيسة الغربية عبر العصور ومن خلال التاريخ تكتشف أن الكنيسة قد حافظت على موقفها من المسألة اليهودية وفسرت بذلك كل التنبؤات والإشارات المتعلقة باليهود في الكتاب المقدس بما يحقق أهدافها في عودة المخلص الإله)، وصارت أرض الميعاد حقيقة روحية وليست رقعة جغرافية مادية، وظهرت الحركات الدينية والمجموعات الأصولية الإنجيلية التي تسعى لتحقيق هذا الهدف. وتمثل فكرة المسيح المنتظر لب تصورات هذه الحركات والمجموعات.

أخذت فكرة المسيح المنتظر من عقلية اليهود العصور والظروف التي عاشوا فيها - أشكالاً مختلفة، كل جيل منهم صنع مسيحه حسب هواه وطبقاً للصورة الخيالية الوجدانية التي يعلم بها (المرجع نفسه، ص133-135)..

فقد التف المنفيون بسبب المهانة السياسية إلى الدين بعد حالة التشرد والسبي إلى بابل على يد البطل البابلي (نبوخذ نصر) عام 587 قبل الميلاد.

هذه الفكرة كانت قائمة في التاريخ القديم وانتشرت عند العديد من الباحثين اليهود بوجه خاص، وقد اعتمدوا في ذلك على الفقرات الآتية:

-(لا يزول صولجان من يهوذا ومشرع من سلالته على باتي المسيح وتطيعه الشعوب) سفر التكوين الإصحاح: 49: 10.

- أما في سفر العدد: 24: 17 (إنني أراه وليس حاضرا أبصره وليس قريباً يبرز كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من إسرائيل فيعظم مؤاب وكنعان ويضف كل أبناء الغرور).

- (أنا الرب إلهكم فاسلكوا في فرائضي واحفظوا أحكامي وقدسوا سبوتي، فتكون علامة بيني وبينكم إني أنا الرب إلهكم وميزتكم بين البرية لتكونوا لي) (سفر حزقيال الإصحاح 20: 20-25).

المهم في هذه النصوص الخرافية هو مدى تعلق اليهود بفكرة المخلص وطبيعة البناء الفكري الذي ارتبط بهذا الأمل وأصبح حافلاً بحكايات كثيرة وشخصيات عديدة، وبقيت هذه الفكرة إلى يومنا هذا من الأركان الغيبية في الفكر الديني اليهودي وكثر الحديث عنها في التلمود وفي كتب الشروح اليهودية المختلفة.

ثم بدأت مرحلة جديدة من مراحل الديانة اليهودية عبرت عنها رؤيا حزقيال (نبي المنفى) إن بعد أن سقطت المملكة اليهودية المزعومة وبعد تدمير الهيكل على به نبوخذ نصر اتبع الفكر اليهودي في زمن السبي أن يدرك أن يهوه هو الإله الواحد للعالم كله وأن ما حل بهم هو نتيجة مؤكدة لعدم اتباعهم شريعة يهوه، وتكاثر عدد الأنبياء وأصبح جميعهم يفكرون في الخلاص، وتجدد الأمل في حياة جديدة حول المعبد الذي سيبنى من جديد وفُسرت مصائبهم وما حل بهم بسبب ابتعادهم عن الهيكل فجاءت دعوة حزقيال من أجل تطهير الشعب وتهيئته للعودة (سفر حزقيال الإصحاح 20: 20-21).

-(احرق بالنار من في وسط المدينة إذا تمت أيام الحصار وخذ ثلثاً واضربه بالسيف وذره في الريح والق بالآخرين في وسط النار واحرقهم بالنار هكذا قال الرب هذه أورشليم وسط الشعوب أقمتها لكم وحواليها الأراضي التي تصير لكم) (سفر حزقيال الإصحاح 5: 2).

- أما النبي أشعيا فيقول في عودة أورشليم التي يقيم فيها الرب على جبل صهيون ويتجمع فيها المشردون من بني إسرائيل (ويمسح الرب الدموع عن جميع الوجود ويزيل عار شعبه عن كل الأرض، لأن الرب قد تكلم فيقال في ذلك اليوم هو ذا إلهنا الذي انتظرناه تبتهج ونفرح بتخليصه) (سفر أشعيا الإصحاح 25: 8-10).

اتفق المعلقون على أن مبعث هذه النصوص هو التعصب القومي وشدة الحقد وتعلق بفكرة غيبية خرافية في فكرة الحق الإلهي في السلطة الدينية مما يؤدي إلى حالة من التعطش والرغبة في تحقيق المغانم المادية الضخمة.

الغريب في الأمر أن هذه الرؤيا (رؤيا حزقيال) قد أخذت مكانة في الفكر الديني اليهودي؛ إن تخيل المفسرون أن هناك قوة شيطانية تعمل وعد الله بمجيء المسيح، وبذلك استخدموا رموزاً غريبة لا يفهمها إلا أصحاب هذه الرموز فجاءت الأخطاء في هذه التفسيرات لأنها أرجعت تفسير هذه الكتابات الكتاب نفسه المقدس ولم يؤخذ في الاعتبار الرمزية والتطرف المصاحب لها.

ومن هذه الرؤى:

- رؤيا النبي أشعيا: في 681 ق.م.
- رؤيا النبي أرميا: في 586 ق.م.
- رؤيا النبي حزقيال: في 571 ق.م.
- رؤيا يوحنا العمدان موجودة في العهد الجديد 19 م.

وقد صدر في الفترة 1796 - 1859م تفسير الوادي الرؤيا تحت عنوان (من أجل إحياء عظام بني إسرائيل). والمثير أن صاحب هذا التفسير هو (جورج بوش) الجد السابع لآل بوش وهو أحد رجال اللاهوت اليهودي (عبدالجبار، 2014: ص133-135).

وصدر ضمن سلسلة التلمود مع بداية الألفية الجديدة ما يعرف بالتلمود الثامن، ويحتوي هذا العدد على وصايا الرب البني إسرائيل في كيفية قتل الأغيار وسفك دمائهم. ومن واجب اليهودي ألا يكتفي بقتل الكنعانيين وأشلاء أجسامهم مبعثرة في الشوارع والطرقات وأن دمائهم تسيل كما الأنهار في كل مكان.. تلك هي وصايا الرب.

ب- مواقف الغرب من الخرافات الموجودة في الفكر الديني اليهودي:

ولابد من كشف مدى استغلال بعض رجال الدين في الغرب وأمريكا تلك الآراء والأفكار التي تعمل على إهاجة المشاعر وحقن العقول بأمور ساذجة وإقناعهم بأنها وحي من السماء لتأجيج نار الفتنة الدينية وتحقيق الخرافة ودفع البشرية إليها:

1- القس (جورج أوتيس) رئيس منظمة مسيحيي العصمة التوراتية يقول:

نحن نؤمن بأرض إسرائيل كما تؤمن بأن كل الأرض المقدسة في أورشليم وما حولها في ميراث الشعب اليهودي وهو غير قابل للنقل أو التصرف، وهو الوعد الذي أعطاه الله لبني إسرائيل، كما تؤمن بأن تأسيس إسرائيل الحديثة هو وفاء لصحة النبوة التوراتية وتأكيد الرؤيا المدير بمقدم المسيح المبارك بلا

مرة أخرى على الأرض، كما تؤمن بأن اليهود في أي مكان من العالم هم شعب الله المختار وأن الله يبارك من يباركهم (الحسن، 1990: ص119).

أما مدير مركز الأبحاث في المعهد المسيحي في نيويورك فقد قام بدراسة معمقة عن أثر هذه الأفكار عند الشخصيات السياسية المهمة في الحكومة الأمريكية، واكتشف أن رؤساء أمريكا على التوالي هم من المؤمنين بقوة بهذه الأفكار.

أما كينيت كوبلاند فهو يدعو في برنامجه الإعلامي إلى مناصرة إسرائيل ويقول: "إننا نعبر عن حبنا لليهود؛ لأننا نرى فيهم الممثلين الذين لابد منهم على مسرح النظام الديني لأن الله قد أقام إسرائيل الحديثة وجميعاً نشاهد الله يتحرك من أجل إسرائيل". ويقول في موضع آخر: "الإسلام هو العقبة الوحيدة في وجه عودة المسيح، وزوال الإسلام يعني ضمان عودة المسيح لتتمتع الأرض بحياة بلا أشرار، وهذا لن يكون قبل أن يضرب الله ضربته العظمى، فلتعمل معاً من أجل إسرائيل لترضى عنا السماء ويعود المنتظر ليحكم العالم" (عبدالجبار، 2014: ص133-135).

يعتبر الإرهاب الصهيوني من أهم المرتكزات الأساسية لتنفيذ المشروع الصهيوني، فهو ليس مجرد وسيلة قبلية للعقلية اليهودية الرجعية المغرقة بسفك الدماء والانتقام ولا هو رد فعل عشوائي على أضرار لحقت بالمشروع الصهيوني، وإنما هو عقيدة ومخطط ورسالة أبدية ودائمة ومستمرة يوجهها المفكر والمسؤول الإسرائيلي السياسي والعسكري للعرب والمسلمين وجميع الشعوب غير اليهودية، واختارت العصابات الإرهابية اليهودية وأدى تغلغل العنصرية والاستعمار الاستيطاني وتهويد الأرض والمقدسات العربية إلى بروز العديد من المنظمات الإرهابية اليهودية.

2- **حركة كاخ:** وتعتبر من أكبر الحركات العنصرية الإرهابية في إسرائيل وفي أوساط يهود العالم. ويتواجد ثقلها في أوساط الشباب في المستعمرات اليهودية في الضفة الغربية المحتلة. ويقوم هدفها الأساسي في طرد العرب وترحيلهم من فلسطين باعتبارها على حد زعمهم "أرض إسرائيل" وأن الوجود العربي فيها يلوث جوهر اليهودية وروحها. ويتزعمها باروخ مزرال المقيم في مدينة الخليل. ويؤمن حوالي 33% من الشباب الإسرائيلي بمبادئ هذه الحركة العنصرية (المسيري، 2001: ص44).

3- **حركة كاهاناحي:** أنشقت عن حركة كاخ العنصرية، وأسسها بنيامين كاهانا ابن الحاخام الإرهابي مائير كاهانا، وتقوم لجنة "تأمين الطرق في الضفة الغربية" المتفرعة عنها بالاعتداء على الفلسطينيين وقتلهم والاستيلاء على أراضيهم. وتفرعت عنها أيضاً "حركة أمناء جبل الهيكل" التي تطالب وتعمل على تدمير المسجد الأقصى المبارك وإقامة هيكل سليمان المزعوم على أنقاضه. وتفرعت عنها "جماعة قمع الخونة" التي تعمل على تصفية العناصر اليهودية التي تقف ضد مبادئ حركة كاخ العنصرية.

4- **منظمة ايل:** وهي منظمة يهودية إرهابية مسلحة ينتمي إليها الإرهابي اليهودي إيغال عامير، الذي قتل الجنرال اسحق رابين ويتزعمها الفيشاي دفيف. ويوجد مقر لها في مستعمرة كريات أربع الواقعة على مشارف الخليل وفروع أخرى في العديد من المستعمرات اليهودية في الضفة الغربية، ويرتكب أعضاؤها الاعتداءات المستمرة على سكان الخليل. وتهدد الإسرائيليين الذين يسيرون في عملية التسوية بالمصير الذي لاقاه رابين.

5- **منظمة سيف داوود:** أشتهرت هذه المنظمة الإرهابية بأن أعضاءها يلبسون الزي العربي ويندسون في وسط التجمعات العربية للقيام بارتكاب جرائمهم الوحشية وتوجه نشاطاتها ضد العناصر القيادية الفلسطينية التي تقود المظاهرات ضد عنصرية إسرائيل تجاه المواطنين العرب في الأراضي المحتلة عام 1948، وتقوم بتصفيتهم. واغتالت العديد من العرب منهم ثلاثة أفراد من عائلة واحدة (عائلة بطابطا) في بلدة ترقوميا في جبل الخليل.

6- **حركة غوش ايمونيم:** برزت هذه الحركة الفاشية في أعقاب حرب حزيران العدوانية عام 1967. وتعتبر أن الأراضي التي احتلتها إسرائيل من العرب جزء من الأرض التوراتية التي وهبها يهوه "لشعبه المختار". وتعمل بشكل أساسي في أوساط المستعمرين اليهود في المستعمرات اليهودية في الضفة الغربية المحتلة. لذلك يعمل أعضاؤها بالدرجة الأولى على ترسيخ المستعمرات وجمع التبرعات من اليهود من أجل تمويل الدفاع عنها وترشيحها ويصف الكاتب اليهودي دان عومر الحركة بأنها تشكل المخزون البشري للفاشية اليهودية الجديدة.

واصلت الحكومات الإسرائيلية بعد قيام الكيان الصهيوني على تطوير الأفكار والبرامج والنهج بشكل أوسع وأرسخ ضد الشعب الفلسطيني، حيث امتلكت هذه الدولة إمكانات هائلة مالية، عسكرية وإعلامية فشنت الحروب الإرهابية التدميرية ومارست أبشع أشكال الممارسات العنصرية الغاشمة ضد أهل فلسطين فأقترفت وما تزال سلسة بلا نهاية من الجرائم الحربية المستخدمة في ذلك أجهزة وأدوات محترفة للإرهاب وهي بالعناوين: (حسين، 2002 :25).

- الجيش الإسرائيلي.
- جهاز الموساد السري الإرهابي.
- جهاز الشاباك - المخابرات العامة - الإسرائيلية.
- التنظيمات الإرهابية اليهودية.
- ثم دولة المستوطنين اليهود في الأراضي المحتلة.

يتضح مما سبق أن الإستراتيجية الصهيونية، التي تعمل على تجميع أكبر عدد من يهود العالم وإسكانهم على الأراضي الفلسطينية بدلاً من الشعب الفلسطيني، تشكل أبشع أنواع وأشكال العنصرية الصهيونية والقائمة على الدين اليهودي، ولأن ذلك قاد إسرائيل لارتكاب أبشع المجازر الجماعية والحروب العدوانية والاعتداءات اليومية برا وبحراً وجواً لترحيل العرب، والاستيلاء على أملاكهم وأراضيهم وإخضاعهم لفرض هيمنة إسرائيل على الاقتصادات والبلدان العربية.

ج - مرتكزات الفكر العقائدي الصهيوني:

1- الثوابت العقائدية:

أسست الصهيونية قواعد ثابتة منذ البداية، وتعد بمثابة مرجعية عند صياغة أهدافها، فبدأت الأطراف الصهيونية المختلفة تروج لفكرة ترى في الحركة الصهيونية رمزاً لنهاية مسيرتها الطويلة، وتضع حداً لمرحلة الشتات، فكانت فكرة الدولة الصهيونية، التي يتحقق فيها وعد الخلاص الذي جاء به أنبياء بني إسرائيل، وتصديقاً السلسلة الأحداث التاريخية التي رسمها آباء الصهيونية على شكل حضارة لها خصائصها المميزة التي ترتبط باليهود وحدهم، لذا فقد حددت الحركة الصهيونية ثوابت أيديولوجية تمثلت بما يلي: (الهزايمة، 2004: ص122).

- **التوراة:** عملت الحركة الصهيونية على تحويل العقيدة اليهودية إلى نظرية سياسية تطالب بحق تاريخي، وتستند إلى وعد إلهي، ولهذا اعتبر الدين اليهودي قاعدة أيديولوجية ارتكز عليه الفكر التوسعي للكيان الصهيوني القائم، مبرراً جميع خطواته العدوانية بوعود الله الأنبياء بني إسرائيل، الذي قطع فيها العهد على نفسه بتملكهم أرض فلسطين والعرب، ففي وعد الله لإبراهيم عليه السلام يوم اجتيازه لأرض شكيم، وكان يقطن فيها الكنعانيون قال: "ارفع عينيك وانظر في الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وغرباً، لأن جميع الأرض الذي أنت ترى، لك أعطيها، ولنسلك إلى الأبد، واجعل نسلك كتراب الأرض" (سفر التكوين، الإصحاح 13 (14-18))، ومثل هذا الوعد أعطي لإسحاق وموسى عليهما السلام الذي حدد الله لهم فيه حدود أرض إسرائيل بقوله: كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان من النهر نهر الفرات إلى البحر العربي تخومكم (سفر التثنية، الإصحاح 11: (23، 34). (ديب، 1985: ص11-12).

بالإضافة إلى وعد الله ليوشع خليفة موسى (سفر يوشع الإصحاح 1: (1-4)) وداوود وولده سليمان عليهما السلام من بعده (سفر الملوك، الإصحاح 1: (9-13))، وعللوا كل ذلك باختيار الله لهم من دون البشر، والغريب بالأمر كيف يؤمن اليهود بهذه الوعود التي جاءت على لسان أنبياء كذابين زناة سارقين على حد وصفهم لهم (الهزايمة، 2004: ص123).

تحولت النصوص التوراتية إلى نظرية سياسية جعلت اليهود يقنعون الغرب بصحة نصوصها، فأمنوا بها نتيجة إيمانهم بالكتاب المقدس الذي يؤلف التوراة شقه الأول، فحصلوا على المساعدات وذللوا الصعوبات واجتازوها وصولا للوطن القومي لليهود في فلسطين.

- **التاريخ اليهودي:** تصور التوراة التاريخ اليهودي القديم كتاريخ عسكري، فجنود موسى ويهودا وداود لم يتوقف القتال حتى فيما بينهم، فلم يكونوا متساهلين حتى مع أعدائهم المهزومين (مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية العسكرية الصهيونية، 1974: ص18-22). ويقول بن غوريون: إن كل تاريخ إسرائيل القديم يرويه لنا الكتاب المقدس، فهو بالدرجة الأولى تاريخ إسرائيل العسكري، لقد حارب اليهود الأوائل الآشوريين والبابليين والمصريين والكنعانيين والعموريين والفرس والإغريق والرومان وعندما هزموا على يد تيطس قتلوا أنفسهم في مسعدة رمزاً لإراداتها في ثورة باركوبا ابن الشمس على الرومان ، لذا دأب العسكريون الإسرائيليون على ربط معارك اليهود في الماضي السحيق بمعاركهم في الزمن الحاضر ليقنعوا أنفسهم قبل غيرهم بأنهم أصحاب مهمة ربانية (مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية العسكرية الصهيونية، 1974: ص16). حاول دعاة الحركة الصهيونية تثبيت مثل هذه المفاهيم في وجدان أي صهيوني، وخلق رباط تاريخي متين بين الماضي والحاضر. لأن الحرب حتمية تاريخية لا مفر منها لإنجاز الرسالة اليهودية وتحقيق أماني الحركة الصهيونية، ولهذا عقدوا المقارنات بين فرسان داوود وسليمان عليهما السلام ودبابات موشيه ديان في عام 1967.

رأى منظرو الحركة الصهيونية في تلقين الجيش الإسرائيلي، دروس التاريخ العسكري اليهودي القديم بالإضافة إلى الدروس الحربية المستقاة من التاريخ العسكري العالمي القديم والحديث، أمراً تقتضيه الضرورة ومستلزمات المرحلة التاريخية، التي هي بمثابة امتداد لمراحل التاريخ اليهودي وامتداد لتاريخ داود وموسى وشاؤول الذين جابوا أرض فلسطين قبل آلاف السنين منتصرين، فقيمة المعارك التي خاضوها لا تقل شأناً عن معارك اليهود اليوم مع أعدائهم الدول العربية، ونظريات التاريخ العسكري الحديث تدلل على صدق تلقينهم (الكيلاني، 1962: ص65).

وقد كان نتيجة هذه الدروس أن صاغ اليهود تاريخهم الدموي في مذابح من مثل دير ياسين وقبية وكفر قاسم وصبرا وشاتيلا، على غرار صياغة يوشع بن نون لهذا التاريخ في (عاي) و (أريحا) عام 1260 ق.م (الهزايمة، 1989: ص8). هذا مضمون تاريخهم الذي انبرت عشرات الكتب والدراسات التاريخية تردد أن لليهود حضارة وتاريخاً عريقاً مستقلين، إليهما يرجع الفضل في حفظ الهوية اليهودية عبر مئات السنين، فهم يعزون سبب تخلف منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط نتيجة رحيلهم عنها، وقرنوا تقدمها بعودتهم إليها (قاسم، 1989: ص35).

أدرك اليهود أهمية وقيمة العرض والشرف والخوف عليهما عند العرب فأشاعوا الخوف حول هذه القيمة، فأخليت قرى كاملة خوفاً من اعتداءات اليهود على أعراضهم (المرجع نفسه، ص37)، فجعلوا من ذلك نصراً ضموه لتاريخهم وتفاخروا به، لتكتمل صورة التاريخ اليهودي الحديث مع صورته القديمة القائمة على القتل والتشريد والتخريب (الهزايمة، 2004: ص125).

حاولت الحركة الصهيونية صياغة التاريخ اليهودي القديم بما يتلاءم مع الوقت الحاضر، وذلك لجمع شمل اليهود في المعارك المختلفة مع الدول العربية. (المرجع نفسه، ص125).

2- المنطلقات العقائدية: ارتكزت الأيديولوجية الصهيونية على ركيزتين أساسيتين هما التاريخ اليهودي والتوراة، وبنت عليهما جل أفكار الصهيونية السياسية، لذا فقد عمدت إلى التاريخ وصاغته بما يتلاءم مع هذه الفكرة، وجاءت بالنصوص التوراتية المحرفة لتلبس ذلك الحدث ثوب القدسية والشرعية، وعلى الرغم من هذا فالحركة الصهيونية لا تعبر عن أيديولوجية مترابطة أو متناسقة، وإنما تضم اتجاهات تعبر كل منها عن فكرة فضفاضة تتسع لكل الآراء الناقدة (الجارد، 1988: ص145).

المحور الثالث: العقيدة والأيديولوجيا والتربية الصهيونية:

أولاً: التربية الصهيونية من عنصرية التوراة - إلى دموية الاحتلال:

تمهيد:

لا شك أن الثقافة التربوية بمفهومها العام تشكل أهم الدعائم لقيام الكيان الصهيوني وتطلعاته الاستعمارية في المنطقة. وانطلاقاً من أفكار (هرتزل) ومنظري الحركة الصهيونية راح زعماء العدو الصهيوني في فلسطين المحتلة وخارجها يوجهون مشروعهم الضخم نحو ربط الواقع الجغرافي والسياسي بواقع ثقافي متصور وواقع تربوي مبرمج تكون مهمته ذات أبعاد كثيرة ومتشعبة ومتجهة نحو عدة اتجاهات وجبهات.

ويبدأ المشروع الثقافي التربوي الصهيوني بالظهور عملياً منذ أن رسخ العدو نفسه في المناطق المحتلة بقوة السلاح، وأخذت تظهر غاياته على السطح منذ البداية مما جعل صيغة التحدي العربي الثقافي تتحرك لمواجهة الأساليب والطرق التي لا تحصى والتي يستخدمها العدو خلال صراعه المستمر في المنطقة للحفاظ على مكتسبات التطلع الاستعماري في الوطن العربي.

أ- الأساليب والطرق:

1- العنصرية والتوراة والتاريخ: بالمحصلة الأولى يركز هذا المشروع على ربط المفاهيم السياسية بالمفاهيم الدينية والتاريخية، ولما كان - التوراة - حجة تاريخية بيد الصهاينة فإنهم راحوا يعملون على إحياء ارتباط متوهم بين الوجود الصهيوني الحالي وبين ما كتبه حاخامات اليهود في التوراة. ربط الفرد الصهيوني

بتعاليم التوراة القائلة بأن فلسطين أرض لليهود، والربط التاريخي بالفكرة الدينية، فراحوا يشرحون التوراة تاريخياً، والربط بين الآفاق المعاصرة وبين الماضي اليهودي السحيق، وافتراض أن الأرض الفلسطينية خالية من البشر. وتنتظر عودة الشعب اليهودي إليها. وإلغاء حيثيات التاريخ والجغرافيا والمجتمع وإبقاء الرابط اليهودي (فقط) بهذه الأرض.

وبهذا المعنى نقول نظريتهم إن اليهود أمة واحدة أرضها فلسطين، وما دامت كذلك فإن الأمة العربية المتواجدة في المنطقة لا يمكن أن تضعف أو تنهار دون زرع ثقافة إقليمية وطائفية.

وبسبب ضخامة المهمة يتوجه المشروع نحو خلق الأفكار الإقليمية وإبعاد الأفكار القومية عن العقول العربية والمفكرين العرب الدكتور شارك مالك المفكر الإقليمي اللبناني أنموذجاً.

2- **العنصرية والإعلام:** ولما كان الإعلام الثقافي من أهم الوسائل المتاحة لخلق المشروع فإن الكيان الصهيوني خلق أساليب عدة تصب بمجملها في الغاية الثقافية الصهيونية. برنامج نافذة على الأدب العبري الحديث أسبوعياً أنموذجا يركز على إبراز شخصيات يهودية وعربية تتعاون في سبيل الحفاظ على التعايش السلمي المزعوم في فلسطين والأراضي العربية.

وبرامج أخرى حديثة تركز الأسئلة حول الديمقراطية المزعومة والتعايش السلمي مع اليهود، كل ذلك ليظهر الكيان الصهيوني بمظهر الديمقراطية الحرة القائل بأن العرب واليهود يعيشون بسلام في الأرض المحتلة. وتظهر الصهيونية في الكيان المغتصب أن الديمقراطية الثقافية هي سمة من سمات تجمعها لا سيما حين تبرز ذلك أمام المثقفين الغربيين. فهي تسمح لبعض الكتاب والشعراء العرب بالسفر لحضور المؤتمرات والندوات الأدبية وذلك ليمثلوا الحزب الشيوعي في الكيان، سميح القاسم أنموذجاً ...

3- **العنصرية والصحافة:** في مجمل الصحافة فإن الكيان الصهيوني سمح في فترات عدة بوجود صحف كالفجر والجديد والاتحاد مع أنه يقوم بأعمال المراقبة الدقيقة لكل ما ينشر، تركز على إبراز اليهودي كشخصية حضارية مثقفة تقديمة إنسانية غير مغلقة، ومحبة للسلام وبالمقابل يركز على إبراز الشخصية العربية كشخصية ضعيفة ، والمحصلة النهائية ، إلغاء الشخصية الوطنية الفلسطينية كشخصية مستقلة وإلغاء الشخصية الفلسطينية الوطنية القومية كشخصية لها جذورها وانتماؤها، وتتميز بالثورية الإنسانية، والمتمسكة بقوميتها، ورفض الثقافة الصهيونية المزعومة وحليفتها الثقافة الإقليمية المهلهلة.

4- **العنصرية والتربية:** لعل من أعقد مسائل التربية خضوع شعب ما لنوع من الاستيطان الاستعماري العنصري والدموي.

فلقد مرت التربية في فلسطين المحتلة بمراحل عدة، بدءاً من عام 1948 أقام الصهاينة حصاراً ثقافياً على عرب الوطن المحتل، فمنعوا عنهم الثقافة العربية الآتية من مصر وسورية ولبنان، وبرمجة الكتب التي

تدرس في المدارس العربية بثقافة ذات تخطيط صهيوني مبرمج، ورغم قلة المدارس العربية، وتدني المستوى التعليمي أيام النكبة الأولى فقد أقبل العرب على تعليم أبنائهم في المدارس الخاصة أو الرسمية مع الاحتفاظ بحذر كامل من السموم التي تبث في الكتب الموجهة من قبل السلطات الصهيونية المحتلة.

وبعد أعوام 1965 - 1967 - 1970، واجه الصهاينة عرب فلسطين بمنع انتشار الأحاسيس الثورية القومية والأعمال البطولية التي يقوم بها أبناء الشعب العربي في فلسطين المغتصبة، والبحث في هذه المسألة يدوران حول نقاط ثلاثة مهمة:

1- التخطيط التربوي الصهيوني المبرمج عنصرياً لخلق تربية مناسبة للإيديولوجيا الصهيونية.

2- الموقف العربي المتصدي لذلك المخطط وتخطيطه.

3- التطلعات المستقبلية لإيجاد تربية عربية قومية ثورية تضمن استمرار الثورة ضد المحتل.

ب- التخطيط التربوي الصهيوني:

تركز سلطات الاحتلال على تأليف كتب موجهة وضمن خط يخدم المصلحة الاستعمارية الصهيونية ولعل أهم الكتب التي تؤلف للمدارس العربية وللطلاب العرب هي كتب التربية الدينية وكتب التاريخ وكتب التربية النفسية أي التربية بمفهومها الخاص.

أما كتب التربية الدينية فتركز على حذف كل ما يمس اليهود سلبياً إن كان ذلك في التاريخ الديني القديم أو في التاريخ الديني ما بعد السيد المسيح وحتى الآن، أما الكتب التاريخية فهي التي تتعرض أكثر وأكثر العملية التزوير والتشويه والخداع لا سيما حين تتحدث عن تاريخ العرب والمسلمين بعد بعثة الرسول محمد (ﷺ) وتزيين التاريخ اليهودي وتزيد عليه وتخترع له تفسيرات عصرية وتقلبه تماماً ليصبح هو التاريخ الذي يناسب الفكرة الصهيونية ودواعيها.

وقد ذكرت بشور (1971) في كتيب لها صدر عن مركز الأبحاث تحت عنوان تشويه التعليم العربي في فلسطين المحتلة وتظهر من خلال منهج التاريخ المتبع عدة أهداف من الممكن إيجازها بـ:

أ - إكساب الطالب معلومات عن الشعب العربي في مختلف أطواره الحضارية.

ب - إكساب الطالب معلومات عن تاريخ إسرائيلي مزعوم في مختلف العصور.

جـ - إكساب الطالب معلومات عن تاريخ الكيان المغتصب بعد عام 1948 إضافة إلى بعض الأهداف الجزئية التي تخدم في النهاية الفكرة العملية العنصرية للصهيونية (ص23).

أما كيف يكسبون الطالب معلومات عن تاريخ العرب؟ في صورون العرب عبارة عن بدو يتناحرون من خلال حس قبلي أناني ويوردون شواهد من التاريخ كالحروب القديمة، وحينما يتعرضون

لتحليل الرسالة الإسلامية فإنهم يطمسون كل تعاليمها الإيجابية، ويوردون ما تناقله رواتهم الذي اندسوا في الإسلام ليشوهوا تعاليمه وأفكاره.

وحينما يتعرضون لتاريخ بني أمية وتحليله أو العباسيين فإنهم يركزون على أن الأمويين فتحوا البلاد ونشروا الإسلام بحد السيف متجاهلين تماماً أن الإسلام حرر الشعوب من العبودية ومن الإقطاع والفقر والجهل، ثم يقولون إن العباسيين أقاموا حضارتهم على أكتاف الأعاجم من العلماء كابن سينا والفارابي وغيرهما، وبالطبع فإنهم يتغافلون عن عمد ما لدور العرب

وفكرهم في تطور الحضارة والثقافة في تلك العصور (المرجع نفسه: ص42).

وحين يتحدثون عن المثل العربية القديمة والحديثة فإنهم يحللونها بشكل يثير التشكك لدى القارئ العربي، فالوحدة العربية مثلاً ما هي إلا شعار فاشل، ودليل فشله الوحدة التي قامت بين مصر وسورية عام 1958، ودون ذكر الظروف التاريخية والاجتماعية التي أدت إلى الفشل ودون ذكر ما لدور مؤامرات الاستعمار الغربي والصهيوني في إفشالها.

والمهم برأي المنهج العنصري الصهيوني وضع الطروحات النظرية التي من شأنها تشويه المثل العربية، ووضع التحليل على هذا الشكل يجعل عقل العربي في فلسطين في حالة تشكك بذاته كونه ينتمي للأمة العربية ولتاريخها الطويل، وحينا يذكرون الصفحات الطوال عن تاريخ اليهود يركزون على ارتباط الإنسان بالأرض التي يزعمون أن الرب وعدهم بها وبنوا عليها حضاراتهم المزعومة وهذا ما تركز عليه الكتب أي ارتباط اليهود بأرض الآباء والأجداد وهي الأرض التي تعرف تاريخياً بأنهم فتحوها فتحاً من ساكنيها وقتلوهم وغدروا بهم ونكلوا بهم قبل آلاف السنين متناسين بذلك عدة أمور أهمها:

1- فلسطين أرض العرب الكنعانيين منذ الألف الثالثة ق.م وجاء اليهود إليها غزاة غادرين عام 1200 ق.م وهذا حسب رأي التوراة اليهودية نفسها، وحسب رأي الباحثين في تاريخ فلسطين وآثارها.

2- اليهود الذين يقيمون الكيان الصهيوني ليس لهم صلة بيهود الأمس المندثرين، والمعاصرين هم خزريون آريون وليسوا من العرق السامي.

3- نظرة متفحصة إلى اليهود تدلنا على أنهم ليسوا من عرق واحد بل من سبعة عشر عرقاً.

وهذا باختصار ما يكون الاتجاه العنصري السائد في كتب التاريخ، فالعملية من أساسها تستهدف تربية الأجيال على معلومات خاطئة أو مزيفة وبالتالي تخلق التشكيك وعدم الثقة في الشخصية الوطنية العربية لدى الطلب العرب.

أما على نطاق التربية الحديثة أي التربية المسلكية فإن السلطات الصهيونية تلجأ إلى بث المسلك الصهيوني الذي يطلب من العربي معاملة الصهيوني كأخ له يجب الحفاظ عليه وخلق الروابط المتينة بينهما

متغافلين عن كون هذا الصهيوني يسرق أرض العربي كل يوم بل ويقتله معنوياً ومادياً ويريده أ، يبقى عبداً لسيادته.

جـ - العربي في مناهج التربية العنصرية:

بغض النظر عن المواد التي يدرسها الطلبة فإن المناهج الثقافية والفكرية والأدبية لا تكاد تخرج عن نطاق اقصى التطرف العسكري ودمويته.

ومن المسلم به أيضاً أن التربية تلعب دوراً أساسياً في تحديد الأطر الفكرية للطلبة لا سيما في مراحلهم الأولى.

ومن المحتم أن الطفل الذي هو كالعجينة يصبح في متناول ثلاث بؤر للتربية بيت + مدرسة + مجتمع، ومن تفحص المناحي الثلاثة نصل إلى حقيقة التوجه التربوي الصهيوني فمن المعروف أن مراحل الدراسة في الكيان الصهيوني تنقسم إلى مرحلة (ابتدائية -إعدادية - ثانوية - عالية أو جامعية). إضافة إلى مرحلة الحضانة والتحضيري قبل الابتدائي وفي كل مرحلة خطة تربوية مختلفة غير أن مسألة تصوير الشخصية العربية من خلال هذه التربية مسألة أساسية، ففيها التوجيه الديني والتوجيه الفكري والتوجيه الأدبي، وضمن التوجيه الديني يدخل التوجيه التاريخي والاجتماعي والجغرافي إلى جانب التوجيه النفسي.

في البدايات تركز التربية على جانبين: 1- جانب ديني محض. 2- وجانب فكري.

وفي الجانب الأول تختار هيئات التربية نصوصاً من التوراة والتلمود وتحفظ للطلبة بعد شرح مفصل لها، وبتركيز أكثر توضح النصوص علاقة اليهود بالكنعانيين العرب والفلسطينيين والعمالقة وغيرهم من بطون الشعب العربي القديم الذي عاش في المنطقة منذُ فجر التاريخ البشري على الأرض.

ومن جانب أولى تظهر النصوص أعداء (إسرائيل) بأنهم مجرمون خونة قتلة وتجب إبادتهم. ومن جانب ثان تظهر النصوص عظمة اليهود عنصراً وفكراً وروحاً فهو من شعب الله المختار الذي لا يعادله شعب آخر ويجب أن يعيش فوق الأرض المقدسة لوحده.

ومن هذا القبيل نرى أن التلاميذ يرددون وبشكل دائم وفي كافة مراحل تعليمهم نشيد موسى وبني (إسرائيل) التليد حسب زعمهم:

يقول سمعي: يا شعوب المقهورين، فليمتلك الخوف منا الفلسطينيين وليرتعد من هولنا صناديد البتراء، وليرتجف عول وموآب، وليرتعد كل سكان كنعان وليخيم على سمائهم الذعر والرهبة فجبروت بطشك جمدهم كالحجارة وعندئذ ينتقل شعب الله المختار إلى حيث أراد الله.

ولو عرجنا قليلاً على تربية النشء قبل مجيئه إلى فلسطين لوجدنا أن الصهيونية ومن خلال "الغيتو" الذي ساد قبل الحرب الكونية الثانية بكثير قد ركزت جهودها على خلق اليهودي الحاقد الذي رسمت بذهنه صورة العربي الذي لا يستحق الحياة، ومن هنا يمكن أن نفسر الأعمال الإجرامية التي وقعت ضد الشعب العربي في فلسطين ولبنان منذ ما قبل 1948 وحتى الآن.

جاء في صحيفة "يديعوت أحرونوت" بتاريخ 1972/17/14 النص الآتي:

"لقد ربوني على الاستهتار بالسكان العرب ولم يقولوا لي بشكل مفصل أن العرب هم حثالة البشرية، وعندما قدمت إلى فلسطين عام 1945 وعشت في الكيبوتس لم يربوني على احترام الجار العربي".

هذا الحديث ليشعيا هو بن فورات في مقال له بعنوان الخطأ والسذاجة والتون وعندما نقول إن التربية الدينية أساسية في التعليم الصهيوني فإن ذلك يؤكد ما للتشويه الصهيوني من دور. يلجأ الحاخامات المتعصبون إلى التركيز على هذه الزاوية بحيث يخدمون الفكر الصهيوني دينياً وتاريخياً، والطفل الذي يتلقى التعاليم الدينية من رجال الدين الذين لهم وزنهم السياسي في الكيان الصهيوني لا يمكن أن يعيشوا في حالة من التشكيك في عدم جدوى التوجيه الديني في الطلبة، لأن العامل الديني مهم جداً في عملية غسل الدماغ والإقناع طالما أن الادعاء الصهيوني يركز على مسألة أرض الميعاد والتاريخ اليهودي المزعوم عن المنطقة.

وما يصح على الجسم (المادة) يصح أيضاً على النفس (الروح) إذ أن أصل أرواح شعوب العالم هو من طبقات النجاسات الثلاث بينما أصل أرواح بني إسرائيل هو من الروح القدس ذاتها (الأحمد، 1978: ص62).

ولا يقتصر الحقن العنصري على النصوص النثرية في الكتب، بل يشمل أيضاً قطعاً شعرية ومسرحيات تمتلئ بالحس العنصري الدموي. نرى مثلاً أن مقطوعة شعرية صغيرة ترد في كتاب للصف السابع تقول:

حول قلوبنا إلى حجارة
كي لا ترتعش أو تلين
حينما نغرس رماحنا في أجسادهم
ونرى دماءهم التي أرقناها (المصدر نفسه: ص40).

وقد نشرت الكاتبة (تمارا ماروز) تحليلاً لبعض كتب الأطفال وذلك في ملحق صحيفة هآرتس بتاريخ 1974/9/20 م تقول الكاتبة: (في الآونة الأخيرة بدأ بعض الآباء يكتشفون مضمون هذه الكتب. ويقول أحد الآباء: من المذهل حقاً رؤية مدى انجذاب الأطفال لهذه الكتب فهي تحتوي

أوصافاً مفزعة سادية، أوصاف تنكيل مفصلة ورسومات سافرة للعرب الذين يوصفون بالجبناء الحقيرين)، وتقول صاحبة مكتبة كبيرة عشرات هذه الكتب التي توزع منها آلاف بل عشرات الآلاف من النسخ تدور كلها حول موضوع واحد هو (العرب الذين يقتلون يهوداً للتلذذ، والطفل اليهودي الذي ينتصر على العرب الخنازير الجبناء) ثم تورد الكاتبة تصريحاً لأحد مؤلفي هذه الكتب وهو العنصري حزي لوفيان يقول فيه "ثم أن العرب محتالون انهم عدو شرس وغير غبي. أنا نفسي أكره العرب لقد نشأت على كتاب يحتوي على صور القتلى عام 1936م وببساطة أريد لكل طفل أن يقتل. أريد أن أقبض على العربي وأخنقه".

وتعلق الكاتبة: هذه الكتب مليئة بالغرور ومشاعر التفوق وتساعد أكثر من أي شيء آخر على الكراهية وطالما أن العدو الأول للصهيونية هم العرب فمن المفترض أن يلجأ الكُتاب الصهاينة كما يرى الدكتور الصهيوني أدير كوهين المشرف على مركز أدب الأطفال في حيفا، أن قصص الأطفال تحوي توجيهاً عنصرياً ضد العرب إذ تركز هذه القصص على:

1- شخصية العربي المتخلف في مقابل اليهودي المتحضر.

2- العربي الجبان مقابل اليهودي الشجاع (الأحمد، 1978: ص40).

ثانياً: التربية الصهيونية في الرؤية الأدبية العنصرية (العنصرية والأدب):

إن كان الشعب الصهيوني يدعو إلى القتل والتدمير أو كان يصرخ أو يحتج على القتل والتدمير فهو في النتيجة شعر موجه مبرمج من قبل الفكر الصهيوني ومفكريه ومنظريه شعر يختلف في أساليبه وطرقه ويتفق في أهدافه وغاياته التي تقول: البقاء للكيان، والفناء للعرب.

أ- الشعراء الصهاينة يقتلون الأطفال:

في كل الأحوال فإن الأدب وخاصة الشعر بالذات لا ينبع إلا من حس إنساني بالدرجة الأولى، فإذا كانت عاطفة الشاعر تتجه لتقتل طفل أو لقتل البراءة بشكل عام فهناك أمران لابد من إدراكهما:

1- أن يكون الإنسان شاعراً يعني أن يكون متمتعاً بالحس الإنساني.

2- أن يكون الإنسان مجرماً أو يدعو لقتل الأطفال يعني انه ليس بشاعر وليس بإنسان في آخر المطاف.

فالشاعر الصهيوني (افرايم سيدون) ينشر قصيدة بعنوان: (الطفلة الصغيرة ذات الرداء الأحمر) في جريدة دافار بتاريخ 1982/6/15 م.

في أثناء الحرب على لبنان، لنا أن نتصور رسالة الشعر الصهيوني المرافقة لرسالة التدمير وقتل الشعب الفلسطيني الأمن، تقول بعض المقاطع:

هناك في حقول بلاد الأرز الجنوبية

ISSN : 2625 - 8943

نامت الطفلة الصغيرة
ذات الرداء الأحمر
بلون الدماء التي تسيل من جسمها
النحيل الصغير
وتسألني لماذا

ففي البداية يصف الشاعر الدموي طفلة فلسطينية طعنت بحربة جندي، وسألته لماذا تقتلني ونتصور معا كيف كان الرد:

لو لم يكن والدك مخرباً عنيداً
وشقيقك اللعين
صياد دبابات
لأجبتك يا طفلتي الصغيرة
أنه ما كان يجب أن تموتي

فالافتراض المتصور والموقف السلفي الذي يتخذه الجندي هو أن الطفلة الفلسطينية هي ابنة فدائي أو شقيقة مناضل. ولا يحيط بها من الطفولة أية صفة إنسانية. فلذلك يجب أن تُقتل وتقطع أوصالها.

فمن الطبيعي أن السلطة الصهيونية الحاقدة توجه مؤسساتها التعليمية بحيث تزرع الحقد المشرب بالدم في نفوس أطفالها، فكل جيل صهيوني يدخل سلك القتل والحرب لابد من أن يمر بمرحلة التهيئة النفسية المتكاملة، والمؤسسة الصهيونية الحاكمة تركز جهودها على انتقاء هذا النوع من النصوص المسممة ونتابع معاً قراءة بعض المقاطع في قصيدة (افرايم سيدون):

كل النساء في صيدا وصور
كل الأمهات، كل الحوامل
كل المسنين والأرامل
ها نحن قادمون لنعاقبكم
لنقتصَّ منكم

فهذه المقولات الدموية ليست غريبة بالنسبة للتجمع الصهيوني، وليست غريبة على تعاليم التوراة. ففي سفر يشوع الإصحاح السادس يرد بالحرف الواحد قول التوراة وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة. من طفل وشيخ. حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف.

ونتذكر هنا قول (هرتزل) زعيم الصهيونية ومؤسس حركتها في يومياته: (يجب علينا القيام بحملة صيد كبيرة نجمع فيها الحيوانات وتلقي بينهم القنابل المميتة).

وبالطبع فإن الحيوانات في نظر هرتزل هم العرب ومقولته هذه ليست إلا إحدى الدعائم التي يرتكز عليها الفكر الصهيوني وأدبه يقول (سيدون) في آخر مقطع من قصيدته:

أطفال صيدا وصُور
إني ألعنكم أتهمكم
ستنامون محطمي العظام
في الحقول في الطرقات
لا تسألوا لماذا
فإنه العقاب
والآن حان عقابكم

فعلى غرار قصيدة (افرايم سيدون) نشرت صحيفة معاريف قصيدة للشاعر العنصرية (نعمة شيمر) بتاريخ 1982/9/23م بعنوان (ذوو العقول المغلقة).

وقد كان الزمن وقتها زمن القتل والذبح، الدماء لم تجف، والخرائب تزداد رعباً، والناس في لبنان يجرفهم تيار الحزن، والألم، والمحنة التي شهد عليها العالم دون أن يكترث لها سوى المحروقين بالنار والنازفة دماؤهم كالأنهار. تقول نعمة شيمر):

لو أنهم تلاميذ مجتهدون
يتقنون الدرس
لكانوا نصبوا مدافعهم
على مداخل المخيمات
وأمطروها بالقنابل
بالقذائف، بالحديد الملتهب
ومسحوا المنازل مع سكانها

فهذه طبيعة التوجه الصهيوني الفكري، وطبيعة التعاليم التوراتية، ولا نرى في دعوة (نعمة شيمر) إلا صدى لما خاطب به (يهوه) إله اليهود (يوشع بن نون) وطلب منه أن يدخل كل القرى، ويبيد سكانها، ويحرق منازلها، ويمحوها من الوجود. وقد جاء في سفر يشوع الإصحاح قول التوراة: "وضربوا كل نفس فيها (حاصور) بحد السيف حرموهم ولم تبق نسمة وأحرق حاصور بالنار".

وقد مثل الإرهابي (بيغن) قمة جوهر الحركة ولا سيما حين كان يقود بنفسه أكبر حركة ذبح ضد الشعب العربي في فلسطين عام 1947 م.

ففي رأي (شيمر) أن "إسرائيل" جميلة وتبق جميلة طالما أن العرب يقتلون وطالما أن هناك حرباً بين العراق وإيران:

لقد قالها بيغن ذات يوم
كلاب تقتل كلاباً
فلماذا لا نكون سعداء
وما حدث في بيروت
كان سيحدث لنا حتماً
لو أن العرب كانوا هم المنتصرين

فنرى القتل يصبح عقدة العقد عند اليهودي، لا ترتاح نفسه إلا إذا شاهد سيل الدماء ينزف غزيراً من الجسد العربي.

العنصرية والدموية في الرواية الصهيونية: نموذج (رواية الأرز) للصهيوني الإرهابي (امنون شيموش).

ففكرة الرواية تسليط الضوء على بعض خفايا المجتمع العربي في لبنان. وتبدأ الرواية بوجود اثنين من قوات البالماخ اليهودية التي كانت تعمل مع قوات جيش الاحتلال الإنجليزي في زحلة. يسمعان أغنية تشيد بمفاخر هذه المدينة. ويحصل لقاء بين فتاة اسمها (مارغو) وهي (مارونية) من زحلة وبين (أبي سليم) الشاب الفلسطيني الذي جاء - حسب زعم الرواية - متطوعاً مع عناصر الجيش.

أبو سليم يضعُف أمام مذاق العرق الزحلاوي بينما (مارغو) تشعر بعدم الراحة حين يراها أقاربها مع (أبي سليم). وحسب ما يورده الكاتب - فإن (مارغو) - فتاة مارونية مسيحية وأبو سليم شاب مسلم يخدم في مخابرات العدو العسكرية. واللقاء الذي تم بينهما هو بداية تفاهم قد يسميه تفاهما عاطفياً غير انه لم يكن كذلك لأنه يتم بين متجانسين في الفكر والنفس ولا أهمية للقضية الدينية في مجمل الظروف ولكن لنرى كيف يستخدم الكاتب سلاح الطائفية في سرد روايته ثم لنرى كيف تزخر الرواية بالعنصرية حتى بين اليهود أنفسهم، ثم لنرى كيف تعبر الشخصيات عن هذه الأفكار جميعها.

ومن المفيد أولاً أن نتوقف عند دراسة الشخصيات، فهي تصب الأفكار إلى جانب ما يصبه الكاتب نفسه. وكما قلنا (فمارغو) فتاة لبنانية مسيحية، وأبو سليم شاب فلسطيني مسلم تفرض عليه الخدمة في البالماخ. ويوسف أفندي يهودي يمني يخدم في الجيش و (نيرو) شاب يهودي من الغرب وهو مجند فيا لجيش أيضاً وهناك شخصيات ثانوية كبعض الجنود.

إذاً فالمسألة التي يطرحها الكاتب مسألة مقارنة التعامل عند العرب والتعامل عند اليهود. لكنه أي الكاتب يسقط في كشف زيف الواقع الذي يدعيه. فمن المعروف أن التمييز العنصري يلحق بالعرب لكنه يلحق باليهود الشرقيين أيضاً. فاليهود اليمنيون أناس من الطبقة الدنيا في المجتمع الصهيوني.

إن هذا اليمني يتحدث وكأنه سياسي محترف. ويجيبه زميله: لو لم يكن يمنياً لأصبح شيئاً كبيراً وهذا يعني أن التمييز العنصري يجعل من اليمني مهما بلغ من علم وثقافة في مصاف طبقته الدنيا ولا يمكن أن يبلغ شأناً طالما أن اليهودي الغربي يتحكم في كل شيء. ذلك هو واقع (يوسف) وواقع كل الشرقيين، والمعروف انهم يشكلون 60% وليس الشرقيون سوى جنود يموتون دفاعاً عن وهم صنعه منظرو الحركة الصهيونية.

ومن زاوية أخرى نرى الحديث عن يوسف اليمني يأخذ منحى عنصرياً هاماً يقول نيرو: لقد أصبحوا يخجلون من أصلهم وينكرون ماضيهم وأظن أن ابتعادهم عن الحضارة هو سبب عدم اندماجهم الكامل بغيرهم، وعدم تعلمهم لغة جديدة، وأظن أنه لا مناص لهم من التمايز فلباسهم وعاداتهم ولهجتهم تؤكد ذلك).

ب- العنصرية والدموية والمسرح: نموذج مسرحي - المواطن - اليهودي البشع:

وفي هذا الصدد تستوقفنا مسرحية (الوطني) تدور حول صهيوني يدعى (أرئيل إيفرمان) تصيب هذا الرجل حياة الملل وخيبة الأمل، فيقرر الهجرة إلى الولايات المتحدة، ويحصل إيفرمان) على التأشيرة ويبصق على "إسرائيل" ومنها فيها، ويسافر ولكنه ما أن يصل إلى أمريكا حتى يتم استدعاؤه إلى الكيان الصهيوني للاشتراك في حرب يخوضها مع ألبانيا!! ويتخلل المسرحية مشهد مؤثر حيث يقوم الصهاينة خلاله بركل فتى عربي ثم قتله رغم توسلاته التي تقطع نياط القلوب لكن غضب الجمهور الصهيوني على هذه المسرحية لم يأت كما يتبادر إلى الذهن من انتقادها المفعم بالسخرية للحروب المتواصلة التي يشنها الكيان وعصاباته ضد العرب بل لأنهم وجدوا قسوة وصدمة من كشف الحقيقة أمام أنفسهم، لقد أنكر الصهاينة الذين شاهدوا المسرحية شخصية (إيفرمان الصهيوني، وقالوا إنها لا تشبههم ولا هم يشبهونها وإذا كان الأمر كذلك فلماذا السخط؟ ولماذا هذه المرارة؟

إن السخط والمرارة هو أن الصهيونية قد خسرت معركتها ضد ما يسمى بعمليات تشويه صورة اليهودي، وبالتالي فإن اليهودي التائه ما يزال يعيش بين الناس أي في الكيان الصهيوني ذاته، واغلب الظن أن غالبية الصهاينة تشارك الكاتب في استنتاجاته، والسؤال لابد من طرحه هنا هو هل كانت الصهيونية تسعى لتغيير اليهودي أم صورة اليهودي، مهما يكن فإن المسرحية تقول بأن شيئاً لم يتغير. الصهاينة جُبلوا على الحقد والدموية والتعصب الفوقي.

جـ - التربية النفسية والشذوذ الأخلاقي والعنصرية:

وحين نراجع نصوصاً من التوراة وأسفارها وما فيها من حس عنصري وشذوذ أخلاقي فإنها تفتح أعيننا على الأسباب التي تجعل شباب العصر في الكيان يميلون إلى الشذوذ الأخلاقي والحس العنصري.

ففي باب التعامل العنصري يعتمد الصهيوني في علاقات الزواج على مقولة توراتية تقول: عندما شاخ اسحق دعا ابنه يعقوب قائلاً (لا تأخذ لك زوجة من بنات كنعان) هذا على المستوى الديني العنصري أما على مستوى المسلكية الشاذة فقد ورد في سفر القضاة أنه كان رجل متغرباً وهو (لاوي) في عقاب جبل افرايم فجاء إلى مقابل (يبوس) ومعه حماران وسريته معه ذهب وإياهم إلى الجبعة التي (لبنيامين) وجلسوا في ساحة المدينة ولم يضمهم أحد إلى بيته وإذا برجل شيخ جاء من شغله من الحقل والرجل من جبل افرايم وجاء به إلى بيته وعلف حميرهم وفيما هم يطيبون قلوبهم إذا رجال المدينة رجال بني (بليعال) أحاطوا بالبيت قارعين الباب وكلموا الرجل صاحب البيت قائلين اخرج الرجل الذي دخل بيتك فتعرفه (أي تمارس اللواط معه نخرج اليهم الرجل وقال لهم لا تفعلوا شراً لا تفعلوا هذه القباحة هي ذا ابنتي العذراء وسريته دعوني أخرجهما فأذلوهما وافعلوا ما يحلو في أعينكم فلم يرد الرجال أن يسمعوا له فامسك الرجل سريته وأخرجها فعرفوها استخدموا اللواط معها، وتعللوا بها الليل كله) فهذه القصة الموجودة في سفر القضاة تدل أن قبيلة (بليعال) اليهودية كانت تلجأ إلى اللواط الذي هو أكثر شذوذاً من أية ممارسة لا أخلاقية أخرى وننظر إلى واقع الحياة الصهيونية في الكيان فنجد أن ظاهرة اللواط تنتشر شكل واسع بين جيل الشباب والطلبة الصابرا) وطالما أن تاريخهم الديني يعترف بقيام جماعات منهم بفعل هذا الشذوذ فلا يجدون حرجاً في تقليد ما فعله سفله الشعوب في التاريخ القديم . يقول جاك ديروجي معلقاً على هذه الظاهرة ثمة بغاء في إسرائيل بين الذكور يستند أساساً إلى اللواط).

بالطبع فإن التربية الدينية الصهيونية تفسر هذه النصوص التوراتية تفسيراً يخدم فكرتها. ويحاول مفكروها ومنظروها وعن طريق الخداع والتضليل تغيير هذه الظواهر وتفشيها بين اليهود في القديم على أساس أن (يهوه) إله اليهود يبيح لهم بعض المعاصي ويسامحهم أن ارتكبوها.

والحقائق الاجتماعية الواقعية التي توصل إليها الباحثون الاجتماعيون ترى ومن خلال الأرقام أن الكيان الصهيوني من الكيانات المتقدمة في احتواء المومسات يقول ديروجي دون أن نحسب النساء اللواتي يبعن سحرهن في المناسبات تستطيع أن نحصي من خمسة آلاف إلى سبعة ألاف مومس لا تبلغ الصغيرات منهن سن الثالثة عشرة من عمرهن ومن بينهن من يتحدرن من عائلات ممتازة.

إن التربية النفسية الصهيونية التي تفتخر بجيل الصابرا ينبع اعتزازها من كون هذا الجيل محارباً يكره العرب ويحقد عليهم ومن ثم لا داعي للقلق على شذوذ الفتيات والشبان طالما أنهم في المحصلة يخدمون أغراض الأطماع الصهيونية في التوسع.

أنه لا يوجد في التشريع الصهيوني في الكيان نص قانوني يمنع ممارسة أقدم مهنة في العالم ولكن إذا أرادت مومس أن تستقبل عندها زبوناً في الخفاء أو في غرفتها في الفندق تحكم بعقوبة السجن مدة خمس سنوات وعلى العكس من ذلك إذا اصطادت زبوناً علناً في صالة الفندق أو الشارع فهي لا تتعرض سوى للحكم ستة أشهر مع وقف التنفيذ أو بالغرامة المالية الفادحة. وهذا يعني أن السلطة الصهيونية لا تسمح للمومس أن تكسب أجرها وحدها بل تريد أن تفعل ذلك أمام الناس حتى تشارك في الأجر من جراء بيع جسدها.

وإذا كان الصهاينة في فلسطين يؤهلون الأشكنازيم اليهود الغربيين ليكونوا ضباطاً ومسؤولين فإنهم يقذفون السفارديم اليهود الشرقيين في الشوارع ليتحول رجالهم إلى مجرمين وتجار مخدرات ولتتحول فتياتهم إلى مؤسسات في الكيان الصهيوني وخارجه.

وقد ظهرت التفرقة العنصرية في آخر وجه لها في الانتخابات التي تجري في الكيان دوماً مما حدا بعض الشرقيين من اليهود إلى القول: أننا أصبحنا نقرف تماماً من هؤلاء الغربيين الذين يمارسون علينا الفوقية ولذلك أصبحنا نكرههم تماماً وكأنهم ليسوا يهوداً.

د- الصهيونيةُ والإرهابُ:

تتميزُ الصهيونيةُ من بينِ كافة الحركات الاستعمارية كافةً بالعنفِ والإرهابِ، وهذا الإرهابُ يحظى لدى مفكريها وتربوييها باهتمامٍ يصلُ حدَّ القدسيّةِ، يتسعُ ليشملَ أَنماطَ التفكيرِ والتطبيقِ. وهوَ الوسيلةُ الأَهم للحفاظِ على استمراريةِ الكيانِ الصّهيوني وبقائِه حياً في الوجودِ.

لقدْ ادّعتْ الصهيونيةُ أَنَّ فلسطينَ أرضٌ بلا شعبٍ، وأنّ اليهودَ شعبٌ بلا أرضٍ، ومنْ أجلِ تحقيق التوازنِ المنطقيّ الصُّهيوني يجبُ أنْ تكونَ فلسطينُ خاليةً من السكّانِ لتستوعبَ الصهاينةَ القادمين من بلدانِ العالمِ، وأن يُقيموا عليها كيانًا قوميًا مخترقًا كلَّ القوانينِ الاجتماعيةِ المتعارفِ عليها لدى الشعوبِ، ويكونُ هذا الكيانُ ذا قومية دينيّة وسيلتُه الإرهابُ لتحقيق أهدافه مهما كانت النتائجُ.

وإذا كانَ لكلِّ منهجٍ فكريٍ أهدافٌ مرحليةٌ واستراتيجيةٌ، وإذا كانَ لكلِّ نظريةٍ فكريةٍ غايتان فإنَّ لمنهجِ الإرهابِ الصهيوني غاياته أيضًا، ولا يمكنُ أنْ يكونَ هذا المنهجُ ناجحًا دونَ أنْ تتحدّدَ الغاياتُ

الكبرى منهُ، وبالتالي تصبحُ أُسسًا راسخةً في الذهنيّةِ الصهيونيةِ لا يحيدُ عنها المفكرون، ولا القائمون على رأسِ السلطةِ في الكيانِ، ولا حتّى المستوطنون.

إنَّ هذه الغاياتِ بجعلِ فلسطينَ يهوديةً بأرضِها ومعالمِها وسكانِها وتراثِها، ومنْ ثمَّ تهديد الوطنِ العربيّ والأمةِ الإسلاميةِ وتراثِها، وقمع أيّ تحركٍ ثوريّ فيه، ومن ثمَّ جعل الكيانِ الصهيونيَّ دولةً تتفوقُ على ما عداها من جيرانِها، عسكريًا واقتصاديًا وسياسيًا، وباختصارٍ فإنَّ هذه الغايات هي وظائف للإرهابِ الصّهيوني يمارسُها الصهاينةُ منذُ نشوءِ حركتِهمْ وحتَّى الآنَ (الباش، 2009: "http://www.mafhoum.com/press4/116S23.htm".

ثالثاً: جذور ومصادر العنصرية والكراهية للعرب والفلسطينيين في "مناهج التربية والتعليم الإسرائيلية":

بعدَ ظهورِ الحركةِ الصّهيونيةِ في أوروبا خلالَ القرنِ التاسع عشر، والتي أَيدتْ قيامَ دولةٍ يهوديةٍ على أرضِ فلسطينَ التاريخيةِ، والذي ظهرَ بشكلٍ واضحٍ من خلالِ انعقادِ مؤتمرِ بازل بسويسرا عامَ (1897م) حيثُ دعا (تيودور هيرتزل) ((Theodor Herzl (1860م-1904م) إلى جمعِ شتاتِ اليهودِ، وإقامةِ وطنٍ قوميٍ لليهودِ في فلسطينَ، والتي وصفها بأرض الميعادِ حسبَ معتقداتهم.

وقدْ أوجد الاستعمار الأوروبي الحركةَ الصهيونيةَ، ومهّد الطريق أمام قيامِ المشروعِ الصّهيوني استنادًا إلى المصالحِ الاستراتيجيةِ المشتركةِ بينَ الكيانِ الصّهيوني ودولةِ بريطانيا، وذلك من خلالِ ما اصطُلحَ عليه لاحقًا ب "وعدِ بلفور"، وكانَ وراءُ هذا الوعد دوافعَ استعماريةً لهذهِ الدولِ الأوروبيةِ، خصوصًا بعدَ اكتشافِ النفطِ في المنطقةِ العربية، ونظرًا لأهميةِ فلسطينَ الدينيةِ والتاريخيةِ، والإستراتيجية لقرب فلسطين من قناة السويس (المسيري، 1974: ص22).

اتسمَ موقفُ الغربِ بالدّعمِ الكبيرِ لإقامةِ المخططِ الصّهيوني، وإقامةِ دولةٍ يهوديةٍ في أرضِ فلسطينَ التاريخيةِ بدرجاتٍ متفاوتةٍ، ويهدفُ هذا الدعمُ إلى زرعِ كيانٍ غريبٍ في المنطقةِ العربيةِ: ثقافيًا، ودينيًا، وحضاريًا، وذلك لخدمةِ المصالحِ الإستراتيجيةِ للدولِ الاستعمارية الإمبريالية، بل وصَلَ الأمرُ بهذهِ الدولِ للتنافسِ على دعمِ هذا المخططِ للظفرِ بأكبرِ حصّةٍ في تحكّمها في المنطقةِ، لتستغلَّ بريطانيا أكثر من غيرِها منَ الدولِ الأوروبيةِ، انتشارَ فكرةِ القوميةِ واللاساميةِ في القرنِ التاسع عشر؛ لحملِ اليهودِ إلى الهجرةِ إلى فلسطينَ، وإقامةِ كيانٍ سياسيٍ ذي طابعٍ دينيٍ، تحتَ شعارِ "العودة إلى أرضِ الميعاد".

ومنذُ ذلكَ الوقتِ والتوافد اليهودي يتزايدُ في قدومِه إلى الأراضي الفلسطينيةِ، وبدأَ الصراعُ إلى أنْ بلغَ ذروتَهُ في حربٍ واسعةِ النطاقِ في عامِ (1948م)، ترتّبَ عليها حملة تهجيرٍ قسريٍ للفلسطينيين من قراهِم ومدنِهم، وإعلان قيامِ دولةِ إسرائيلَ. واستمرتْ إسرائيلُ في استعداداتِها وتسلحِها وصولًا إلى حربِ عام (1967م) التي قامت بين الجيوشِ العربيةِ والكيانِ الصّهيوني، انتهت بهزيمةِ العربِ.

ومنذُ تأسيسها عام (1837م) حرصتْ الحركة الصهيونية ولاحقًا دولة إسرائيل على تعليمِ الأجيالِ اليهوديةِ البغضاءَ والكراهيةَ للعربِ، مستخدمةً شتّى الوسائلِ والأساليبِ، ولعلَّ أهمَّهَا مؤسسة التربيةِ والتعليمِ. ففي عامِ (1953م) قامتْ إسرائيلُ بسنِّ "قانونِ التعليمِ للدولةِ"، حيثُ تنصُّ المادةُ الثانيةُ من هذا القانون على أنَّ "التعليمَ في دولةِ إسرائيلَ يجبُ أنْ يرتكزَ على قيمِ الثقافةِ اليهوديةِ والولاءِ لدولةِ إسرائيلَ، وتحقيق مبادئِ العملِ الصهيوني" (المرجع نفسه، 1974).

ولتحقيقِ ذلكَ، تنطلقُ العنصريةُ اليهوديةُ في دولةِ إسرائيلَ من تربيةِ الأطفالِ في سنٍّ مبكرةٍ على الاعتقادِ بأنّهم "شعب اللهِ المختارِ"، ومنْ واجبِهم أنْ يتصرّفوا على هذا الأساسِ، فينظر الأطفال إلى أنفسِهم بطريقةٍ فوقيةٍ واستعلائيةٍ، معتبرين سائرَ الشعوبِ غرباء، حيث يعبرُ عنْ ذلكَ الحاخام (آرييل) (Ariel) بقولهِ "إذا كانَ غيرُ اليهودي قدْ خُلِقَ على هيئةِ الإنسانِ، فما ذلكَ إلّا ليكونَ لائقًا لخدمةِ اليهودِ الذين خُلقتْ الدنيا لأجلِهم" (http://www.aljazeera.net/news/reporfsandiuterviews/2018/04/23).

كما ويعبّرُ قادةٌ إسرائيليون عن أنَّ الهدفَ من هذهِ التربيةِ هو الإعدادُ للمهمّةِ النهائيةِ، المتمثلة في قتالِ العربِ، يقولُ (زبلون هامر) (Zeplon Hammer) أحدُ وزراءِ المعارفِ والثقافةِ في إسرائيلَ عامَ (1982م-1983م): "إنَّ أفضلَ إنجازٍ هوَ أنْ يكونَ الفردُ يهوديًا إسرائيليًا، فهذا تحدٍ كبيرٌ في القرنِ العشرين، ونحنُ من أجلِ ذلكَ مستعدون لخوضِ الحروبِ، إذا كانتْ هنالكَ ضرورةٌ لتحقيقِ هذه الأمنيةِ" (http://www.aljazeera.net/news/reporfsandiuterviews/2018/04/23).

أ- عسكرة التعليمِ في إسرائيلَ:

يؤمنُ قادةُ الحركة الصهيونيةِ وقياداتُ دولةِ إسرائيلَ أيضًا بحقيقةِ مفادها أنَّ الدولةَ الإسرائيليةَ تعيشُ مشكلةَ وجودٍ سترافقُها للأبدِ، وذلكَ لوجودِها في وسطٍ عربيٍّ لا يقبلُ بشرعيّتِه، وأنّ طبيعة الصراع القائمِ بينَ العربِ وإسرائيلَ صراع وجودٍ وليس صراعًا على حدودٍ أو أرضٍ. في ضوءِ هذهِ الرؤيةِ يعتقدُ القادة الصهاينةُ ضرورة سيادة الطابعِ العسكري للمجتمع الإسرائيلي، وتتفوقُ دولةُ إسرائيلَ لمواجهة هذا الصراعِ الذي لن تكونَ الغلبةُ فيه إلّا للأقوى، ويتضح ذلكَ من فلسفة (مناحم بيغن) التي نسجَها على منوال (ديكارت) (Dekart) حينما قال: أنا أفكرُ إذنْ أنا موجودٌ. فحوّلَها بيغن رئيس وزراء إسرائيل السابق إلى: "نحنُ نحاربُ إذن فنحن نكونُ" (الشامي، 1986: ص160).

ويقول (زئيف جابوتنسكي) (Rene Descartes 1596-1650) فيلسوف الحربِ والإرهابِ في الحركةِ الصهيونية، في حديثه لمستشارِ الطلبةِ اليهودِ في ڤينا: "تستطيعُ أن تلغيَ كلَّ شيء، القبعات والأحزمة والإفراط في الشرابِ والأغاني، أمّا السّيفُ فلا يمكنُ إلغاؤه. عليكم أن تحتفظوا بالسّيفِ، لأنَّ

الاقتتال بالسيفِ ليسَ ابتكارًا ألمانيًا، بل هوَ ملكٌ لأجدادِنا الأوائلِ. إنَّ السيفَ والتوراة نزلا علينا من السماء" (المرجع نفسه، ص159).

فالتعليم الإسرائيليُ لا يتجهُ إلى تربيةِ الأطفالِ، أو تثقيفِهم، أو تعليمِهم تعليمًا سليمًا وموضوعيًا وحياديًا يحث على التسامح والمحبة وعدم العنصرية، بل يغذّيهم بالعنفِ وكراهيةِ الآخرِ المتمثلِ في الفلسطيني والعربي المحيطِ بالكيانِ الصُّهيوني المحتلّ، ويقدّمُ شرائحَ من الخريجين اليهودِ، وقد تمكنتْ العنصريةُ المتعصّبةُ من عقولِهم وقلوبِهم، فالتربيةُ العسكريةُ (عسكرةُ التعليمِ) والأيدولوجية الصُّهيونية، وعمليةُ السلامِ، وتاريخُ تأسيسِ دولةٍ يهوديةٍ في فلسطينَ لا يمكنُ أنْ تكونَ في الهوامشِ، ولذا يتم تبرير التعليمُ لقتل الآخر بالنصوصِ الدينيةِ على أنه عباده، والأمثلة التاريخية وفتاوى الحاخامات حولت القتل إلى عبادةٍ، ثم طبقَ ذلكَ كلهِ على أرضِ الواقعِ، فتمخَّضَ منْهُ جيلٌ عسكري لا يؤمنُ إلّا باليهودِ وخصوصيتِهم.

ومنْ مظاهرِ عسكرةِ التعليمِ في إسرائيلَ عقدُ رحلاتٍ للطلبةِ إلى قواعدِ الجيشِ الإسرائيلي، وأخذُ صورٍ تذكاريةٍ معهم، والاعتزازُ بألويةِ الجيشِ وتثبيتِها على المؤسساتِ التربويةِ، وتقديمُ الهدايا للجنودِ والتّقدّمُ لهمْ بالشكرِ والامتنانِ لما يقدّموهُ للوطنِ، وتقديم من يقتل في أرضِ المعركةِ بأنّهم أبطالٌ يستحقونَ كلَّ الاحترامِ والتقديرِ، وحضورُ معارضَ فنيةٍ تخلّدُ ذكرى الجنودِ الذينَ قُتلوا في حروبِ إسرائيلَ، سيّما متحف (ياد لبنيم) (Yad Labanim)، وكتابة الأطفالِ اليهودِ للرّسائلِ مع توقيعهم على القذائف التي تُلقى على الأحياء العربيّةِ لقتلِ الأطفالِ هناكَ، وتم بث ذلكَ على شاشاتِ التلفزةِ في حربِ لبنانَ (2006م) (المرجع السابق، 1986: ص195).

ب- العرب في مناهج التربية الإسرائيلية:

تعبّرُ المناهجُ التعليميةُ في أيّ بلدٍ عن انعكاسِ الفلسفةِ التربويةِ لذلكَ البلدِ، فالمواطنُ يعتبرُ ثمرةً مباشرةً لهذهِ المناهجِ التعليميةِ، لأنَّ المخطّطَ التعليميَّ والتربويَّ هو جزءٌ من المخططِ القوميّ لكلّ مجتمعٍ يسهمُ في تحقيقِ أهدافهِ المنبثقةِ من فلسفتهِ، المستمدةِ من تراثهِ وواقعهِ وحاجاتهِ ومشكلاتهِ، وذلكَ لإعدادِ القوى البشريةِ المتوافقةِ مع حاجاتِ المجتمعِ، وقد أدركتْ دولة الاحتلال الإسرائيلية أهميةَ التربيةِ والتعليمِ، حيثُ اعتبرتْها من مستلزماتِ الدفاعِ الوطني، بلْ اعتبرتْ أن دورَها يفوقُ دورَ دباباتِ (السنتوريون) التي تشكّل عاملًا مهمًّا من عواملَ الأمنِ والسلامةِ بالنسبةِ لمستقبلِ إسرائيلَ القريبِ، بينما تمثلُ التربيةُ العاملَ الأكثرَ أهميةً بالنسبةِ لمستقبلِ إسرائيلَ البعيدِ (حمد، 2009).

وقد "كانَ أفلاطونُ أولَ من أشارَ في كتابهِ "الجمهوريةِ" إلى دورِ التربيةِ في كونِها الضمانَ الأكيدَ لبقاءِ الدولةِ، وذلك بتربيةِ أبنائِها وبناتِها تبعًا لمخططٍ محددٍ". وعندَ إلقاءِ نظرةٍ على المناهجِ الإسرائيليةِ تفيدُنا

بوضوحٍ تام أنهُ "لم يكنْ إيمانُ الصهيونيةُ ودولتُها إسرائيلَ بأهميةِ التربيةِ ودورِها في ضمانِ مستقبلِها، بأقلَّ من إيمانِ ألمانيا وإيطاليا أو اليابان، أو أسبرطة من قبلِها جميعًا، في تنميةِ المشاعرِ القوميّةِ المتطرّفةِ وتشكيلِ شخصيةِ مواطنيها بطريقةٍ صارمةٍ (القاضي، 1994: ص24).

وإنَّ العداءَ ليتجاوز النصوصَ الحديثةَ إلى المصادرِ التراثيّةِ والمعاجمِ اللّغويةِ، سواءَ ما كانَ من ذلك في العبريةِ، أو سِواها ممّا انتقلَ إليها من العبريةِ، ومن ذلكَ كلمةُ (Saracens) التي تُطلقُ في العادةِ على العربِ، وأحيانًا على الشرقيّين، وهي مشتقةٌ من (سارا كنوا) المحوّرةِ عنْ (قنيّة سارة)، أيّ عبيدِ سارة، زوج إبراهيمَ عليهِ السلامِ، ويريدونَ بذلكَ أبناءَ هاجرَ إسماعيل عليه السلام وأبناءه، وهمْ العربُ. فأنّى لنا أن نمحوَ هذه العقيدة اللاإنسانية التي تعشّشُ في العقليةِ اليهوديةِ، والتي انتقلتْ منها إلى عقلياتِ شعوبٍ غربيةٍ أخرى، إذْ نجدُ الكلمةَ متجذّرةً في المعجمِ الإنجليزي، وتأتي الكتبُ الدراسيّةُ في الدولة الإسرائيليةِ على أحقيّةِ اليهودِ فيما يُسمى بأرضِ إسرائيلَ، الأمرُ الذي نجدهُ بجلاءٍ في عنوانِ كتابٍ (القدس والضفة الغربية: 1994م)، فقد أُطلقَ عليهِ اسمُ (يروشلايم يهودا فشومرون)، ليعني القدسَ والضفةَ الغربيةَ، ويتأكّدُ هذا التكريسُ للوجودِ الصهيوني من خلالِ وضعِ صورةِ نجمةِ داوود وإحدى المستوطناتِ اليهوديةِ التي تحيطُ بمدينةِ القدسِ على غلافِ الكتابِ، هذا إلى جانبِ صورةِ أحدِ أحياءِ الشطرِ الغربي من القدسِ، التي ظهرتْ فيها بعضُ المؤسساتِ اليهوديةِ، وفي الغلافِ الخلفي صورٌ للمقارنةِ بين ما اعتبرهُ تخلّفًا عربيًا، يقابلُه تقدمٌ حضاريٌ يهوديٌ على إثرِ الاحتلالِ للقدسِ والضفةِ الغربيةِ، وفي كتابٍ (لنكن مواطنين في إسرائيلَ في دولةٍ يهوديةٍ ديمقراطيةٍ، 2000م)، تتردّدُ بينَ دفتيهِ الادعاءاتُ والمزاعمُ بالتواصلِ التاريخيّ لكياناتٍ يهوديةٍ تعاقبتْ على أرضِ فلسطينَ، التي يطلقونَ عليهِ اسم أرضِ إسرائيلَ، توافقًا مع دعواهُم وإرهاصاتِهم بأنَّ لهمْ بقايا ثقافاتٍ فوقَ هذه الأرضِ (الخبتي، 2009: ص167).

الخاتمة: تتضمن الخاتمة خلاصة بأهم النتائج التي يمكن إجمالها بالآتي:

1- قامت الديانات السماوية على فكرة واحدة تمثلت في التوحيد والسلام والتسامح، إلا أن الديانة اليهودية تدعو إلى العنف والقتل والتهجير، فالنصوص التوراتية (المحرفة المعتمدة لدى الصهيونية اليوم) تحتوي على العديد من الشواهد التي تؤكد على التربية العدوانية والتي ترتكز على العنف والإرهاب الذي يتحول بفعل هذه التعاليم إلى طقوس وشعائر يتعبد فيها ويمارس اليهود من خلالها فعل تطرفهم وعدوانيتهم تجاه الشعب الفلسطيني والعالم أجمع.

2- تقوم النصوص التلمودية بتثبيت مفاهيم التوراة وعقائدها بتأصيل ذهنية اليهودي ونظرته لسواه من (الأغيار)، فهو يسقط عنهم الصفة الإنسانية، وبعد هذا الحذف أو الإسقاط العقائدي النظري يصبح

القتل والاستئصال المادي منهجاً سلوكياً يكمل الإيمان، بل تتحول إلى نوع من الطقوس والشعائر عند الملتزمين بأصول الدين اليهودي.

3- قرارات السلطة الصهيونية المغتصبة كانت ولا تزال تقتضي مزيداً من العنف ومزيداً من الإرهاب المنظم والقتل. وقد استخدم جيش العدوان أساليب شتى لمواجهة الأطفال والنساء والرجال.. فهذه هي طبيعة اليهود الإرهابية، أنها تواصل واضح لمقولات التوراة والتلمود، وهي بذلك تشكل أكبر خطر على الأمة العربية والإسلامية بل على العالم كله.

4- تبين لنا أن بذور العنصرية والتعصب تستند في جذورها على التعاليم الدينية التي توجد في التوراة والعهد القديم والتلمود بعد أن حرفت وزورت، وأصبحت فكرة التفوق العنصري إحدى أهم الركائز التي استند إليها الفكر الصهيوني، وأدى بهم ذلك إلى الشعور بأن مرتبتهم أعلى من سائر البشر.

5- من خلال رؤيتنا لطبيعة العدوان الذي يمارسه الكيان الصهيوني تأكد لنا أنه عدوان ذو وجوه متعددة فهناك العدوان الفردي. القتل الفردي - العدوان الجماعي - العدوان المقدس - العدوان الموجه للداخل (قتل اليهودي لليهودي).

6- لقد كان وما يزال من الواضح أن الشخصية اليهودية انفردت عن غيرها بالتقوقع والانحسار وعدم الاختلاط كونها تشعر بفوقية خاصة وعنصرية حادة. وقد كان للغيتو اليهودي أثره في تكريس عقدة العدوان والتحفز الدائم.

7- تأكد لنا اليهودية حركة قتالية (الحركة الصهيونية) قد حظيت منذُ تكوينها بعطف ودعم لا يُضاهى في شتى المجالات من الغرب المسيحي، الأمر الذي أدى إلى قيام ما يُعرف بالكيان الصهيوني وخلق المشكلة الفلسطينية.

8- ارتكزت الأيديولوجية الصهيونية على ركيزتين أساسيتين هما التاريخ اليهودي والتوراة، وبنت عليهما جل أفكار الصهيونية السياسية، لذا فقد عمدت إلى التاريخ وصاغته بما يتلاءم مع هذه الفكرة، وجاءت بالنصوص التوراتية المحرفة لتلبس ذلك الحدث ثوب القدسية والشرعية، وعلى الرغم من هذا فالحركة الصهيونية لا تعبر عن أيديولوجية مترابطة أو متناسقة، وإنما تضم اتجاهات تعبر كل منها عن فكرة فضفاضة تتسع لكل الآراء الناقدة.

9- الأدب اليهودي ليس سوى ترجمة للفكر والممارسة النظرية والعملية، ومن طرف آخر فإن سمة التحريض على القتل لا تكاد تفارق أي نتاج أدبي أو فني في الثقافة الصهيونية.

10- أن التعليم في "إسرائيل" هو مجرد تعبئة روحية لإعداد الجنود ليوم الحرب يتضمن المنهج التاريخي وتاريخ الحركة الصهيونية وتمجيد الجيش اليهودي ودراسة التوراة المحرفة والتلمود كل ما من شأنه أن ينمي في نفوس الناشئة الروح العدائية للعرب والمسلمين.

11- من خلال تقصي طبيعة الإرهاب اليهودي الصهيوني فإننا بوجه أو بآخر قد قمنا بتقصي عقدة العدوانية ومحاورها في الشخصية اليهودية الصهيونية، وهذا ما جعلنا أن نقف طويلاً عند التحليل النفسي وآرائه حول هذه العقدة التي تمتعت بها الشخصية اليهودية الصهيونية.

12- مسار الشخصية اليهودية الصهيونية وتاريخها يعطينا عدة مؤشرات تفصح عن أن طبيعة هذه الشخصية اندمجت بشكل أو بآخر بعقدة العدوان.

13- أن الشعارات التي تطرحها المنظمات الإرهابية لا تخاز عن تعاليم التوراة ومن ثم تعاليم هرتزل وجابوتنسكي وماكس نورد أو وبيغن وابن غوريون وبقية المفكرين الصهاينة بل هي ترجمة للنظرية الصهيونية وأفكارها التي تنمو باطراد.. أن وجود مثل هذه المنظمات يركز على قوة العنف الموجهة للعرب وتوسيعه وتنظيمه بحيث يشمل كافة القطاعات العربية وكافة أشكال الإرهاب.

توصيات البحث:

يوصي البحث بالآتي:

- إدراك أن الصراع بين إسرائيل والأمة العربية هو صراع فكري وحضاري يتطلب من مفكرين الأمة العربية والإسلامية القدرة على مواجهة فكر الكيان الصهيوني وفضح مرتكزاته الدينية والعنصرية بأسلوب علمي وموضوعي يقوم على الحقائق التاريخية التي تثبت أن إسرائيل دولة عنصرية.
- يجب الاهتمام بالتاريخ الفلسطيني القديم لإثبات الهوية القومية لفلسطين.
- عقد ندوات ومؤتمرات تشارك فيها المنظمات والمؤسسات الثقافية العربية والإسلامية لدعم قضية فلسطين.

مقترحات البحث:

يقترح الباحثان إجراء أبحاث تخصصية مثل:

- أثر الحركة الصهيونية والعقيدة اليهودية في السياسة الدولية.
- دور الحركة الصهيونية في انتشار ثقافة العنف.
- خطر الصهيونية على الاستقرار العالمي.
- دمج هذا البحث ضمن مقرر الصراع العربي الإسرائيلي.

- إنشاء مركز بحثي يهتم بإشكالية الصراع مع الكيان الصهيوني لتزويد أصحاب القرار بأبحاث جادة ضمن منهجية علمية موضوعية تمكن الأجيال من فهم هذه الظاهرة ومواجهتها.

المصادر والمراجع:

1- الأحمد، نجيب. (1978). الصهيونية هدفاً وفكراً وممارسة. مركز الدراسات الفلسطينية، دمشق.
2- البار، محمد. 1989). المداخل لدراسة التوراة والعهد القديم. دمشق، دار القلم.
3- الباش، حسن. (2009). التربية الصهيونية من عنصرية التوراة إلى دموية الاحتلال: متوفر على الرابط الإلكتروني: "http://www.mafhoum.com/press4/116S23.htm".
4- برنايتس، الأب آي بي. (1991). فضح التلمود: تعاليم الحاخاميين السرية. بيروت، دار النفائس.
5- بشور، نجلاء نصير. (1971). تشويه التعليم العربي في فلسطين المحتلة، مركز الأبحاث، بيروت.
6- بن فورات، يشيعاهو، صحيفة يديعوت أحرونوت، 1973/07/19م.
7- بني ملحم، غازي صالح النهار. (2012). أبعاد الفكر الصهيوني وانعكاساته على الصراع العربي الإسرائيلي في زمن السلام. مجلة شؤون اجتماعية، ع114، صيف 2012.
8- بو عبيد، رمزي. (2020). دور الفكر الاستراتيجي الصهيوني في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. [رسالة ماجستير غير منشورة]، جامعة قالمة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر.
9- تمارا ماروز، صحيفة هآرتس 1974/09/20م.
10- الجارد، عادل. (1988). دراسة في الأيديولوجية الصهيونية. مجلة العلوم السياسية، ع2.
11- الحسن، يوسف. (1990). البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
12- حسين، غازي. (2002). العنصرية والإبادة الجماعية في الفكر والممارسة الصهيونية. دمشق، اتحاد الكُتّاب العرب.
13- حسين، غازي. (2002). العنصرية والإبادة في الفكر والممارسة الصهيونية. دمشق، اتحاد الكُتّاب العرب.
14- حمد، عبير. (2009). مظاهر العنصرية في التربية الإسرائيلية. [رسالة ماجستير غير منشورة]، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
15- خان، ظفر الإسلام. (1972). التلمود: تاريخه وتعاليمه. بيروت، دار النفائس.
16- الخبتي، علي بن صالح. (2009). صورة العرب في مناهج إسرائيل. دار الفجر للنشر والتوزيع، الكويت.

17- خليل، بكري. (2002). الأيديولوجيا والمعرفة. دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، فلسطين.
18- ديب، سهيل. (1985). التوراة بين الوثنية والتوحيد. بيروت، دار النفائس.
19- سفر التكوين، الإصحاح 13.
20- سفر التثنية، الإصحاح 11.
21- سفر يوشع، الإصحاح 1.
22- سفر الملوك، الإصحاح 1.
23- سوسة، أحمد نسيم. (1972). العرب واليهود في التاريخ. دمشق، العربي للإعلان والطباعة والتوزيع.
24- الشامي، رشاد عبدالله. (1986). الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية. **عالم المعرفة**، الكويت.
25- شيحة، ميشيل. (2003). جذور الفكر الصهيوني وسياسة التمييز العنصري في إسرائيل. 19(2)، مجلة جامعة دمشق، سوريا، ص385-420.
26- الصناعي، ناجي علي محمد. (2019). إشكالية الهوية اليهودية المتخيلة للكيان الصهيوني وإمكانية الإفادة العربية منها في دراسة المقومات الفكرية والأيديولوجية. ع13، مجلة جامعة الناصر، صنعاء، ص311-386.
27- عبدالجبار، سالمة. (2014). الأبعاد الدينية للصراعات الحضارية (الصراع العربي الإسرائيلي نموذجاً). مركز الحضرة للدراسات السياسية، ص133-135.
28- عبدالعال، صفاء محمود. (2005). تربية العنصرية في المناهج الإسرائيلية. الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
29- العتيبي، سعد بن بجاد. (2005). الجوانب العدوانية في العقيدة اليهودية. [رسالة ماجستير غير منشورة]، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية.
30- العطار، محمد محمود. (2007). لا إنسانية مناهج التعليم في إسرائيل وعدوانيتها. مجلة شؤون اجتماعية، ع95، خريف 2007.
31- قاسم، عبده قاسم. (1989). نحو رؤية عربية للمشروع الصهيوني: البعد الثقافي في الصراع العربي الإسرائيلي، مجلة الوحدة، ع56، أيار.
32- القاضي، وائل أمين. (1994). التربية في إسرائيل. مركز البحوث للدراسات التربوية، نابلس.
33- الكيلاني، هيثم. (1962). المذهب العسكري الإسرائيلي. دمشق، وزارة الدفاع السورية.

ISSN : 2625 - 8943

34- لوران، روهلنج شارل. (1968). الكنز المرصود في قواعد التلمود. ترجمة: يوسف حنا نصر الله، بيروت.
35- مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية العسكرية الصهيونية. م2، القاهرة، مؤسسة الأهرام.
36- المسيري، عبدالوهاب محمد وحسين، سوسن. (1975). موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية "رؤية نقدية". مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.
37- المسيري، عبدالوهاب محمد. (1994). تاريخ الفكر الصهيوني: جذوره ومساره وأزمته. القاهرة، دار الشروق.
38- المسيري، عبدالوهاب محمد. (2001). الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى. القاهرة، دار الشروق.
39- المسيري، عبدالوهاب محمد. (2010). الصهيونية في مائة عام. ع25، ثقافتنا للدراسات والبحوث، ص81-104.
40- مشعطي، طلال. (2018). تربية الكراهية في إسرائيل: متوفر على الرابط الإلكتروني: (http://www.aljazeera.net/news/reporfsandiuterviews/2018/04/23).
41- الموعد، حمد سعيد. (2001). الأبارتيد الصهيوني. دمشق، اتحاد الكُتّاب العرب.
42- الهباهبة، مصلح. (2015). لقاء في دار الندوة ناقش كتاب جذور الإرهاب في النص التوراتي.
43- الهزايمة، محمد عوض. (2004). قضايا دولية تركة قرن مضى وحمولة قرن آتي. عمان، المؤلف.
44- الهزايمة، محمد عوض. (1989). القدس في الصراع العربي الإسرائيلي. [رسالة ماجستير غير منشورة]، الجامعة الأردنية، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، قسم العلوم السياسية.

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية تصدرعن المركز العربي الديمقراطي ببرلين – ألمانيا
ISSN : 2625 - 8943
Journal of cultural linguistic and artistic studies issued by the democratic Arabic center – Germany - berlin

الإيقاع الفني بين ظاهرتي الحشد و التلاشي في شعر سعد الحميدين(1)

The artistic rhythm between the phenomena of accumulation and vanishing in the poetry of Saad al-Hamidin

أ.د/ عمار بشيري المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ـ ميلة ـ الجزائر
bechiriammar@gmail.com

ملخص:

ترمي هذه الورقة إلى إبراز جانب الإيقاع الفني في اللغة الشعرية لدى سعد الحميدين، باعتباره شاعرا حداثيا تعامل مع اللغة تعاملا ذكيا وفنيا، جعلها طيعة في صياغة أحاسيسه ومشاعره بتقنية متميزة، ارتسمت في ظاهرتي الحشد والتلاشي. هذا ما سنحاول التطرق إليه في هذه الورقة البحثية.

كلمات مفتاحية:الإيقاع الفني،الحشد،التلاشي،سعد الحميدين.

Abstract:

This paper aims to highlight the artistic rhythmic aspect of the poetic language of Saad Al-Hamidin, as a modernist poet who dealt with the language in an intelligent and artistic manner, making it obedient in formulating his feelings and feelings with a distinctive technique, which was marked by accumulation and fading phenomena. This is what we will try to explain.

Keywords: Artistic rhythm, accumulation, vanishing, Saad al-Humidin.

1 ـ مقدمة:

لا شك أنّ الشعر بناء لغوي مميز ينبني على تفجير طاقة اللغة، ويجعلها تضيف إلى نفسها ومن داخلها عنصراً آخر هو الإيقاع، الذي يسهم - بدوره - في شحن الدفقة الشعرية، تبعاً لحالة الشاعر الشعورية (الانفعالية)، لذلك يمكننا القول: "إن لغة الشعر هي الوجود الشعري الذي يتحقق في اللغة انفعالاً وصوتاً موسيقياً وفكراً"(الورقي، 1983، ص 8)، لأن أولى مميزات الشعر استثمار خصائص اللغة، بوصفها مادة بنائية، فالكلمات والعبارات في الشعر يقصد بها بعث صورة إيحائية، ومن خلال هذه الصور يعيد الشاعر إلى الكلمات قوة معانيها التصويرية الفطرية في اللغة.

فللشعر لغة لا تبتغي الإفهام بقدر ما تبتغي التأثير وإحداث التحولات، فهي لغة تهتم بالظلال النفسية و الدلالات الوجدانية، وتُعنى بتجسيد تلك الأحاسيس والمشاعر الإنسانية بالاعتماد على مجموعة

ISSN : 2625 - 8943

من الوسائط الفنية والأدائية، هذا ما جعلها تتحول من لغة قياسية نمطية هدفها التوصيل إلى لغة وجدانية مؤثرة. هذه الوسائط آلت إلى ظواهر فنية، انتظمت وفق مجال يتصل بتقنية اللغة، تمثلت فيما تمثلت في الحشد و التلاشي، فأعطت للغة إلى حد ما سلطة في مملكة الشعر وخاصة الشعر الحديث، الذي سنتناول بالدراسة فيه هاتين الظاهرتين الفنيتين لشعر سعد الحميدين، هذا الأخير ـ سعد الحميدين ـ الذي حاول من خلال ملكته الشعرية أن يتخير من ألفاظ اللغة ما يعتقد أنها أقدر على إثارة المشاعر و أوقع في نفس المتلقي، وهذا الجهد هو ما اصطلح على تسميته بالتجربة الشعرية، أو الانفعال الوجداني الذي يصاحب الشاعر عند صياغة أفكاره وأحاسيسه في قوالب لغوية غير معهودة في منظور القاعدة اللغوية.

والسؤال المطروح هو إلى أي مدى أسهمت هاتين الظاهرتين بإيقاعهما الفني في ترجمة أحاسيس الشاعر، وتبليغها المتلقي؟ هذا ما سنحاول الوقوف عليه في ورقتنا هذه.

2 ـ ظاهرتا الحشد و التلاشي:

حاولت من خلال هذا المقال التطرق إلى الإيقاع الفني المتمثل في ظاهرتي الحشد و التلاشي اللتين وظفهما الشاعر سعد الحميدين في لغته الشعرية، وذلك لأجل تفجير الطاقات الإبداعية الكامنة في التجربة الشعرية، وإيصالها إلى المتلقي في صياغة خارقة للعادة اللغوية:

أ ـ الحشد :

يقال في اللغة: حشدوا اجتمعوا، وبابه ضرب، وكذا احتشدوا، وعندي حشْد من الناس بوزن فَلْس أي جماعة، وأصله المصدر.(الجوهري، د.ت، ص 44)

وفي البلاغة يفيد جمع الدلالات من خلال العناية بقواعد الإسناد في الجملة أو النص، ويعتمد على تضافر المباني، مفردة أو تركيبا، وتتابعها في بؤرة محددة. (أبوهيف، 2002،ص 156) وقد يشمل الحشد العمل الفني كله، ولا يتوقف عند حدود البناء فحسب، وإنما يتعداه إلى المادة المقدمة في هذا العمل أو ذاك، فضلا عن تكثيف المادة وتحديد دلالاتها وتقنيتها، واكتشاف ما هو أساس فيها، والابتعاد عما هو عرضي وزائد وتوظيف ما يجسد تلك المادة ويوحي بها دلاليا.(العساف، 2007م، ص 73).

أما في الشعر الحديث فقد تطور الحشد إلى تسويغ هذه المباني في تركيب جديد، يجعل من نحو اللغة علامات أو دلالات تعبيرية، وهذا ما رآه علاء الدين رمضان السيد في القصيدة الحديثة ليصير " على هيئة مبررات متلاحقة أو مجموعة من الجمل الإخبارية التي تنتهي بنتيجة، وهذه النتيجة إما تأتي تراتبية، مبنية بحسب مقدمات، وهي نتيجة منطقية، لتلك المقدمات، أو الانقلابية، والنتيجة الانقلابية هي تلك

ISSN : 2625 - 8943

النتيجة التي تأتي على خلاف التوقعات بشكل غير محتمل ــ منطقيا ــ بالنظر إلى المقدمات المطروحة " (السيد، 1996م، ص 89).

و يتَّخذ هذا النَّوع بعدا لُغويا/ لفظيا كاستعمال مفردات بعينها أو أسماء أو أفعال أو حروف لصياغة مستوى دلالي وإيقاعي مؤثِّر، على أن لا يكون لهذا "الحشد"موقعا محددا في النَّص، فهو يخضع لما تقتضيه الحالة الشعرية وما يفترضه نسقها الإيقاعي الذي يتشكل كلّما أوغل النَّص في تنويع "الحشد".

وفي شعر الحميدين، غلب على تقنية الحشد عنده " جمع الدلالات نفورا من فيض الشروح والإنشاء اللغوي إلى ضبط تفاصيل نسق القول الشعري " (أبوهيف، 2002م، ص 159) ففي قصيدة " صفحة من دفتر الوجد " من ديوان (رسوم على الحائط)، علامات التعلق بالمرأة، من خلال وفرة التفاصيل الدالة على تقرير الحال لدوام السر وشرط البوح به، إذ يقول :

" ما كنت أحسب أن في عينيك قيدا،
شفتاك أم عيناك .. لا،
مهما اجترأت فإن لي قلبا،
وقلبي لن يبوح ..
من قبل أن يأتي المساء ". (الحميدين، 1991م، ص 124)

ويستعين الحميدين بالحشد، " لتفريد القول في المراودة الوجدانية والنفسية لإرادة المجابهة والمواجهة لأسباب الهوان والخذلان ".(المرجع السابق، ص 159) فأعلن بدْأ الانطلاقة " خطوة .. خطوة "، ثم عاين جوانب لهذه المراودة في قصيدة " رحلة خارج المكان " من ديوان (خيمة أنت والخيوط أنا)، وظهر تنامي الفعلية في المطلع محاطا بتراكم الأفعال، لتحيل على الدواخل البشرية المضغوطة، وهي تبدي تدرج الحال:

" خطوة .. خطوة ..
خلفها خطوتان
- قالت إحدى الخُطا :
جرّني حبل موقفي ..
شدّني نحوه مرار.
لم أقاوم .. وإنما
كان نفسي المزار
زرتها .. زرتها ..

ISSN : 2625 - 8943

خشية أن تزار
ما أرى فعلتي
غير شيء له قرار "(الحميدين، 1992م، ص 57)

وفي المجموعة الأخيرة (أيورق الندم ؟)، يلاحظ أن الحميدين طور تقنية الحشد، " بأن أضاف إلى جمع الدلالات وظيفة نفسية تعضد الوظائف البنيوية والدلالية والجمالية.لقد انتظمت تقنية الحشد في طلب الأثر النفسي بغية التعاطف الصريح مع مرجان وجماعته المغمورة"(المرجع السابق، ص 160) ، فهذا النوع من الحشد يرتكز على روابط ذات سلطة دلالية، غرضه البحث عن نتائج يريد الشاعر الوصول إليها، وذلك ما نراه من خلال قصيدة "مرجان" فجاء في افتتاحية القصيدة :

" مرجان ..
وجه محترق كالحرة بلهيب الشمس
مرجان ..
يُقرؤني في التاريخ الماضي
بالقطعة والحرف.
بالكسرة والضمة
أحيانا بالفتح ..
وحينا بالحذف
فألملم أطراف الأحداث
وأنظمها في خيط الكلمات .."(الحميدين، 1995م، ص 11)

وسرعان ما اندغمت تقنية الحشد بتلوينات مختلفة، إظهارا للعمق المأساوي العام في حياة أمثال مرجان، فجمع في مقطع تال مسوغات منطقية لانفتاح وضع مرجان على الوضع العام لأمثاله :

" مرجان يجيب الدعوات
بدْء بالباب الأول
ويكون الثاني، والثالث
والرابع، والخا ...
حتى آخر باب في الحي.
فالليل طويل
والشارع يفضي للشارع.

يشرع باب "(المرجع نفسه، ص 13)

وقد استعمل الحميدين التجاوز والانقطاع على سبيل التداعي بتفاصيل أخرى داعمة للمشهدية، وهذا بوصفه تقنية لتضافر الحشد حين يتحدث الشاعر عن موضوع معين، ولكنه ما يلبث أن " يهمله ليتحدث عن موضوع آخر لا علاقة بينه وبين الموضوع الأول، ولا يجمع بينهما أي جامع عقلي واضح، وبهذا يقطع التسلل الفكري في القصيدة، حتى وإن استخدم حروف العطف المعروفة كأدوات للربط بين الجمل الشعرية "(العاني، 1999م، ص 13 – 14).

ومن ناحية أخرى، فإننا نقف على تنامي الفعلية (التحفيز) عند الحميدين أنه قد بلغ ذروته، وذلك من خلال جمع أفعال متلاحقة " على سبيل التداعي الوظيفي لإحداث أثر نفسي ووجدان ينفع التعاطف مع مرجان وفئته الإنسانية المغمورة بوصف شقائها اليومي "(أبوهيف، ص 163)، ولاسيما عمله في الحقل مثل الثيران، ثم في المقابل لا يكاد يحصل على قوته وقوت عياله، فجاءت الأفعال متراكمة، متتابعة، لترسم دلالة عامة من الشقاء الإنساني لمثل هذه الجماعة البشرية المغمورة :

" قدرك يا مرجان ..
أن تحيا تزرع تحصد
حتى آخر ثانية في العمر
تضحك .. تلعن .. سيان
مرجان
مرجان
مرجان
في كل زمان .. في كل الأوطان "(الحميدين، 1991م، ص 20)

وقد يقوم توالي صيغة المضارع ـ فيما سبق ـ دون عاطف بوظيفة الحشد الذي يهيئ للحظة عالية من لحظات الصياغة الدرامية للوجدان، حيث تقوم الصور فيها على قدر كبير من التركيز والاختزال.(حمدون، 1413ه، ص178)

فالملاحظ على الشاعر سعد الحميدين ـ كما هو واضح ـ اعتماده الكبير على المهارة الفنية والمقدرة على الالتقاط وتفجير المواقف حتى وإن كانت هينة وبسيطة.

و من جانب آخر، فقد أعمل الحميدين حشداً متساوقاً في سبيل الفعل وجوابه، وسبيل التقرير بما يماثل عطف البيان في مدى الفعل، والعطف وعطف البيان في جوابه، فأطلق فعلاً مؤكداً بتكرار المبنى و

المعنى و "تدور تدور" دخولاً في فعلية الإحساس المأساوي بالحياة، كما في قصيدته "ورقة من اعترافات شاعر" (من ديوانه: رسوم على الحائط..):

"وتدور تدور الطاحونة..

موتى..

أشلاء..

أحجار..

وصداها يحفر في أذني..

جسر..

وحذاء..

عكاز".(الحميدين، ص 42-43)

ب ـ التلاشي :

يحمل التلاشي في اللغة معنى الاضمحلال و الفناء والزوال. أما الذي نعنيه في دراستنا بوصفه ظاهرة فنية تعتور لغة الشعر الحديث، فيقوم على شحن النص بمتشابهات، في الجذر أو في الصياغة أو في الفكرة، لكنه بعد ذلك يتخلص من تلك المتراكمات تدريجيا ليعود مرة أخرى إلى البسط الذي منه بدأ، أو ربما ليتلاشى كلية ويزول.(السيد، ص 115)

كما يعد التلاشي ظاهرة لغوية وإيقاعية وتشكيلية تتصل بالتركيب اللغوي وعلائقه الداخلية البنيوية من جهة، وبالقيمة الصوتية لموسيقى الحروف والألفاظ والعبارات من جهة ثانية، وبرسم هذه الحروف والألفاظ والعبارات من جهة ثالثة .. وما تقنية التلاشي إلا مظهر من مظاهر نظريات الاتصال بين الفنون، بالإضافة إلى ما يسمى بالإيقاع الخطي أو التشكيل الموضعي أو التوازي البصري أو إيقاع البياض أو الإيقاع العروضي الخارج عن عمود الشعر العربي الحديث، وهذا المعنى لاحظه عبد السلام المساوي عند دراسته لشعر أمل د نقل، الذي جعل هذه المظاهر تقانات بنيوية في صلب قصيدته، فكان للون الأبيض، على سبيل المثال، " في الصفحة الشعرية حضور مستمر، تغنيه الأسطر الشعرية القصيرة والانفراجات القائمة بين المقاطع، وقد يعمد الشاعر إلى تأكيده عن طريق وضع أسطر فارغة من الكلام، ولكنها منقطة بشكل رباعي أو ثلاثي أو ثنائي وهكذا ".(المساوي، 1994م، ص 39)

ولا شك، في أن التلاشي تقنية صوتية وبصرية فائقة الأهمية في إحداث أثر جمالي لدى المتلقي وقد بلغ سعد الحميدين " شأوا عاليا في تنويعه لاستخدام التلاشي مكونا رئيسيا من مكونات التركيب الشعري الجديد توقيعا موسيقيا جذابا وتشكيلا ماتعا لعلاقات الألفاظ والعبارات فيما بينها "(أبوهيف، ص

169)، وذلك عندما تتواشج الأصوات بمدلولاتها من خلال توزيع محكم على أجزاء مقطع القصيدة، وهذا التواشج هو الذي يشد أجزاءها بإتقان جمالي لا يتيحه إلا تمكن من اللغة وإدراك لأسرارها ولا توفره إلا معرفة بمواعيدها الآسرة، وهذا ما لوحظ في قصيدة " للحروف .. رماد " التي تحولت إلى لوحة تشكيلية وإيقاعية مؤثرة:

" أصوات ..
أصوات
أصوات
في كل مكان .. أصوات
لكن
د
و
ن
حـ .. ر .. ا .. ك "(الحميدين، ص 88)

الملاحظ فيما سبق أن الحميدين يعمد إلى تكسير بنية الأبيات ليجعل من طريقة الكتابة عنصرا أسلوبيا تعبيريا خارجيا، أي لا يعتمد على اللغة ذاتها، فهو تصوير بالكتابة للمدة الزمنية التي تتخلل النطق بهذه الكلمات عندما ـ يقتضي الحال ـ نطقها على هذا الحال(العبد، أكتوبر1986/ مارس1987، ص 13) إضافة إلى ذلك، فإن هذا النص يكتسي امتدادات إيقاعية من كثافة الأصوات، يبدأنها تشارك في إظهار صورة التلاشي الذي يتمحور هذا المقطع حوله، فهذه الأصوات غير المجدية كـــ (صرخة في واد ونفخة في رماد).

وربما الذي يميز ظاهرة التلاشي عند سعد الحميدين، هو وظيفته في البنية والدلالة لضبط نسق التنضيد الشعري داخليا وخارجيا(أبوهيف، ص 170) فأعطى القصيدة طاقة بنيوية وجمالية تدغم التنغيم الصوتي والتشكيل البصري في إثراء محتوى العمل الشعري، وهذا واضح في قصيدته " حالات " التي ترجمت صوت الشاعر المأساوي في تشكيل بديع متسق النغمات، تعبيرا عن عناء الحياة :

" وأفيق عند أول مُنحنى
خان الطريق خطاي فيه
لكن سأمعن في المسير ..
حتى يتيه الدرب ..

ويجيء معتذرا إليها
لتبدأ رحلة اليوم الطويل
أجل
رحلة اليوم
ا
ل
ط
و
ي

ل "(الحميدين، 94)إن التلاشي في المقطع السابق يبدأ حينما نبدأ في قراءة الأسطر الستة الأخيرة كل واحد بمفرده، كأن الفكرة تنسحب في هدوء وسلاسة، مستغرقة من الزمن أكبر قسط ممكن، حتى إذا تلاشت كانت قد تركت أثرها المرجو بسلطته الكاملة. فهو شبيه بصدى الصوت الذي يتردد في زوايا الأمكنة المتباعدة والمتباينة حتى يخفت شيئا فشيئا.

3ـ الخاتمة:

ما يمكن استنتاجه مما سبق:

ــ اعتماد الشاعر الحميدين على الحشد بجميع تلويناته لتستحيل المباني إلى تركيب جديد، يجعل من نحو اللغة علامات أو دلالات تعبيرية، تأخذ المتلقي إلى أحضان النص الشعري، وذلك في إيقاعات فنية ساحرة.

ـ قدرة الحميدين على توظيف تقنية التلاشي الخارج عن عمود الشعر العربي الحديث في إحداث أثر جمالي لدى المتلقي، وأسره بين البنيات الإيقاعية الموسيقية والبؤر البصرية الممتدة عبر معمارية النص الإبداعي.

هذا كله ينمّ عن مقدرة الشاعر في تعامله وتلاعبه باللغة عموما وباللغة الشعرية خصوصا، حتى أضحت طيعة تخدم إبداعاته الشعرية.

5 ـ قائمة المصادر والمراجع:

1 ـ الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: إميل بديع يعقوب و محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ج2، د.ت.

ISSN : 2625 - 8943

2 ـ الحميدين، سعد، رسوم على الحائط، نادي الطائف الأدبي، ط2، 1991م.
3 ـ الحميدين، سعد، خيمة أنت والخيوط أنا، منشورات دار الأزمنة، القاهرة، ط3، 1992م.
4 ـ الحميدين، سعد، أيورق الندم؟، دار شرقيات، القاهرة، ط2، 1995م.
5 ـ السيد، علاء الدين رمضان، ظواهر فنية في لغة الشعر العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1996م.
6 ـ العاني، شجاع مسلم، قراءات في الأدب والنقد، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1999م.
7 ـ عبد الله ،أبو هيف ، الحداثة في الشعر السعودي، قصيدة سعد الحميدين نموذجا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002.
8 ـ العساف، عبد الله خلف، مصطلح الإيحاء بين الصورة الفنية والغموض والاقتصاد في اللغة، مجلة الوطن، ع 1586، السنة الخامسة، 2007م.
9 ـ محمد العبد، سمات أسلوبية في شعر صلاح عبد الصبور، مجلة فصول، مج7، العددان2/1، أكتوبر1986/ مارس1987هيئة الكتّاب، القاهرة.
10 ـ محمد حمدون، ظواهر لغوية في الشعر المعاصر، مجلة المنهل،مج54،ع504، شوال/ ذو القعدة1413ه، جدة.
11 ـ المساوي، عبد السلام، البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1994م.
12 ـ الورقي، السعيد، لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط 2، 1983م.

ISSN : 2625 - 8943

العلاقة بين اللغة والدين والثقافة والسياسة والهوية

The relations between language, religion, culture, politics and Identity

د. مرتضى فرح علي (أستاذ مساعد، جامعة ظفار)
Dr. Murtada Farah Ali (Ass.Prof, Dhofar University)
أميل: mwidaa@du.edu.om

ملخص:
تهدف هذه الدراسة للكشف عن العلاقات التبادلية بين اللغة من ناحية والدين والثقافة والسياسة من الناحية الأخرى، وذلك ما بينها من تشابكات وتداخلات، وقد تم تناول الموضوع من خلال الحديث عن: العلاقة بين الدين واللغة، العلاقة بين الثقافة واللغة، العلاقة بين السياسة واللغة. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي.
توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج من أبرزها: أن العلاقات التبادلية بين اللغة والدين والثقافة والسياسة تتمركز في الهوية؛ ذلك لأن هذه المكونات كلها من عناصر تكوين الهوية.
الكلمات المفتاحية: اللغة، الدين، الثقافة، السياسة، الهوية.

Abstract:
This study aims to reveal the reciprocal relations between language on one hand and religion, culture and politics on the other hand and that is the intertwining and overlapping between them. The study was addressed by talking about: the relation between religion and language, the relation between culture and language, and the relation between politics and language. The study relied on the descriptive analytical method.
The study reached many findings the most prominent of which are: the reciprocal relations between language، religion، culture and politics are centered on identity، because these components are all components of Identity formation.
Key words: The language، religion، the culture، politics، identity

ISSN : 2625 - 8943

1-مقدمة:

ما من ظاهرة إنسانية تناولتها الدراسات، وما زالت مستمرة مثل اللغة، فكل علم يحتاج لتوظيف اللغة لحفظه، وفهمه، وتفسيره؛ ولعل هذا سبب لتعدد مفاهيمها حسب الحاجة والوظيفة؛ فهي أصوات، وهي وسيلة تواصل، وهي سلوك بشري، وهي سلوك مجتمعي، وغير ذلك.

هذا، والمجتمعات بطبيعتها لا يمكن أن تعيش بدون لغة مهما كان من أمر، وبجانب اللغة لكل مجتمع دينه أو اعتقاداته التي يدين بها، كما أن له ثقافته التي تخصه وتميزه عن كثير من المجتمعات الإنسانية، هذا بالإضافة للظروف السياسية التي تدير أموره، وتشكل ملامح متعددة من حياته.

هذه الثلاثة (الدين، الثقافة، اللغة) لها علاقات واضحة العالم باللغة كما أن اللغة لها علاقات بهذه الثلاثة؛ لذلك يمكن القول: إنّ العلاقة بين هذه المكونات (الدين، الثقافة، السياسة) واللغة علاقات تبادلية.

مشكلة الدراسة: نتيجة لهذا التشابك بين (الدين، الثقافة، السياسة) واللغة، فمن الطبيعي أن تكون هناك تأثيرات وتأثر واضحة المعالم، وهذا ما تسعى هذه الدراسة للكشف عنه.

عليه يُطرح السؤال التالي:

ما العلاقات التبادلية بين اللغة من ناحية والدين والثقافة والسياسة من ناحية أخرى؟

ويمكن تفريع هذا السؤال إلى الأسئلة التالية:

- ما علاقة اللغة بالدين، والدين باللغة؟
- ما علاقة اللغة بالثقافة، والثقافة باللغة؟
- ما علاقة اللغة بالسياسة، والسياسة باللغة؟
- ما علاقة اللغة والدين والثقافة والسياسة بالهوية؟

وتوصل الإجابة عن هذه الأسئلة للنتائج المرجوة من الدراسة، ويمكن وصفها بأنها نتائج علمية.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة للكشف عن ملامح العلاقات التبادلية بين اللغة من جانب، والدين والثقافة والسياسة من جانب، وما تضيفه اللغة لهذه المكونات، وما تضيفه هذه المكونات للغة.

أهمية الدراسة: تنبع أهمية الدراسة من خلال الحوار القائم بين اللغة والثقافة في العديد من الأزمان، والتركيز عليه، مع إغفال الحوار بين الدين واللغة، والسياسة واللغة، فتلفت هذه الدراسة أهمية الحوار بين الدين والسياسة واللغة، والذي لا يقل أهمية عن الحوار بين الثقافة واللغة.

منهج الدراسة: تقتضي طبيعة الدراسة أن يكون منهجها هو المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك لوصف العلاقات والآثار بين اللغة والمكونات الثلاثة، ثم الوقوف عليه بالتحليل الذي يوصل لاستخلاص النتائج.

محاور الدراسة: وفقًا لما سبق فالدراسة تقع في المحاور التالية:

مقدمة، وتشمل مقدمة موجزة، مشكلة الدراسة، أهدافها، أهميتها، منهجها، ومحاورها.

- العلاقة بين اللغة والدين.
- العلاقة بين اللغة والثقافة.
- العلاقة بين اللغة والسياسة.
- **خاتمة،** وتشمل أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

2-العلاقة بين اللغة والدين:

تربط اللغة بالدين والاعتقادات ارتباطا وثيقا، فاللغة هي الوعاء الذي يحمل في طياته الدين بأبعاده المختلفة، كما أن الدين من المصادر المهمة لحفظ كثير من اللغات ولا سيما العربية.

خصائص لغة الدين: هذا، ومن الملاحظ أن لغة الدين لغة خاصة على الرغم من استعمالها من لدن المجتمعات بكثرة وتكرار، ومن أبرز خصائصها: (السعران، 1963: 109)

1-**القداسة والحفظ:** فعلى سبيل المثال لما كانت العربية لغة الإسلام، وكانت من أهم مصادره القرآن الكريم، والحدث الشريف، نجدهما قد أحيطا بالقداسة كما أنهما وجدا من العناية الفائقة لحفظهما من التغير.

2-**استعمال بعض الكلمات الغامضة:** وقد تكون هذه الكلمات غير متداولة في لغة المجتمع الذي يمارس هذا الدين ومعتقداته، ومنه مثلا الحروف المقطعة في كتاب الله العزيز، فقد دار خلاف حول دلالاتها ومعانيها، وما هذا الخلاف إلا دليل على عدم وضح دلالات محددة لها. (علي،2005 :6-10).

3-**استعمال كلمات قديمة:** وهذه الكلمات تظل محفوظة في النصوص المقدسة فقط، وتمارس بها العبادة، وقد تكون هذه الكلمات من الدخيلة على اللغة من لغات أخرى، كما هو الحال عن الكهانة والسحرة.

الدين عامل من عوامل حفظ اللغة: يلعب الدين دزرا مهما في الحفاظ على اللغة، لأنها لغة الشعائر، وبالتالي يتم تكرارها في العبادات، وأحكام الدين ودروسه. وينطبق هذا على اللغة العربية والإسلام تماما. يقول فك: " لم يحدث حدث في تاريخ اللغة العربية أبعد أثرا في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام ففي ذلك العهد...تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد، كانت ذات دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة"(فك،1980: 13).

هذا، وقد فطن اليهود لهذا الأمر فعملوا على بعث اللغة العبرية، وربطوها بالدين، حتى يضمنوا لها الاستمرارية والحياة بعد أن كادت تموت وتنقرض.

الدين عامل من عوامل انتشار اللغة: يشكل الدين عاملا بارزا من عوامل انتشار اللغة التي تحمله، فالعربية لولا الدين الإسلامي لظلت في شبه الجزيرة العربية إلى يومنا هذا، ولكن بظهور الإسلام، وانتشاره عبر الرحلات، التجارة، الفتوحات، والبعثات التي ما زالت مستمرة ليومنا هذا.

ولم يكن الدين الإسلامي هو عنصر انتشارها فحسب، بل جعلها تؤثر في العديد من اللغات للقوميات التي اعتنقت الإسلام، ولا سميا المفردات والمعاني التي تتعلق بالدين، فاللغة الفارسية والأردية تكتب بالحرف العربي، وكانت التركية والملايوية إلى عهد قريب تكتب به كذلك، هذا فضلا عن أن الفارسية حوالي 60 بالمائة من مفرداتها عربية، وإذا أخذنا اللغة الملايوية مثالا لهذا التأثر، نجد كثيرا من الكلمات قد دخلت من العربية إليها بتغيير بسيط، مثل: ربوع، سبتو، للأربعاء والسبت، وعلمو للعلم، ومعاف للعفو ويبدو أن فيها تغير في البناء، وسنت وجمعت، للسنة والجمعة، وغيرها.(المدني، 2015،العدد9534)

اللغة والدين من مكونات الهوية: يعد الدين مكونا أساسيا من مكونات الهوية، ذلك لأنه عنصر من عناصر الثقافة، وكما سلف أن الثقافة بالاشتراك مع اللغة يعدان من أهم مكونات الهوية.

ولعل أهم قضية تجاهلها الحوار الدائر اليوم حول الهوية هي (علاقة الدين بالهوية) ولا يخفى على حد علاقة الدين الإسلامي بالهوية العربية، حيث يشكل بعدا مهما في الهوية العربية، فمتى ما ذكرت الهوية العربية والقومية العربية ظهر الإسلام، ومتى ما ذكرت العربية والعروبة ذكر الإسلام.

ولعل الانقسامات التي حدثت في الغرب لم تكن على أساس اللغة فحسب، بل كانت انقسامات على أساس مذهبي، فأصبحت قوميات طائفية يمكن تصورها تاريخيا ونظريا كالهوية البريطانية وعلاقتها بالكنيسة الأنجليكانية أو الهوية الأميركية وعلاقتها بالبروتستانتية.

عليه، فالدين شأنه شأن اللغة يعد مكونا مهما من مكونات الهوية، بل يضيف للهوية ما يمكن أن نسميه بالبعد الروحي. بل هو معين القيم الأخلاقية، والفضائل، حيث لم تكن الأمة تجمعها المناسبات الدينية فحسب كما يرى البعض، فالدين يكوّن أساس راسخ للهوية، كما هو الحال في الإسلام والعربية اللذان يشكلان النموذج الحي للتلازم بين الدين واللغة من خلال تكوين الهوية.

3-العلاقة بين اللغة والثقافة:

بدءا يمكن القول إن اللغة والثقافة هما نتاج المجتمع، فلكل مجتمع ثقافته من ناحية ولغته من ناحية أخرى، واللغة هي وعاء يحمل في طياته عناصر الثقافة.

عليه فهناك تشابك وارتباط بين اللغة والثقافة. ولعل هذا ما عبر عنه كرامش بقوله: "اللغة هي الوسيلة الرئيسة التي ندير بها حياتنا الاجتماعية، وعندما تستخدم اللغو في سياقات التواصل تتعقد الصلة بينها وبين الثقافة في نواح كثيرة ومتعددة" (كرامش،2010 :15).

وتتشابك العلاقة بينهما تشابكا كبيرا بحث لا يمكن الوقوف عليه بصورة نهائية؛ ذلك لأن اللغات والثقافات في تطور مطرد في البيئات الزمانية والمكانية. لكن يمكن رسم الخطوط العريضة التي تلتقي فيها اللغة بالثقافة، والثقافة باللغة، وهي:

الناحية العلمية ومنهج البحث: كلاهما له علم يختص به؛ فهناك علم الاجتماع الثقافي الذي يهتم بدراسة التشابه والاختلاف في السلوك لدى الجماعات البشرية، ووصف طبائع الثقافة في المجتمعات البدائية والحضرية، كما أن هناك علم الاجتماع اللغوي الذي يشير إلى أن اللغة تعد جزءا من ثقافات الشعوب. (حسام الدين، د.ت :98-116)

يعدان من مكونات الهوية: إذا كانت اللغة مكون أساسي من مكونات الهوية فإن الثقافة تعد من المكونات المهمة للهوية؛ فهي تمثل الوجه الحقيقي للهوية؛ ذلك لأن ثقافة أي مجتمع من المجتمعات تعرف بهذا المجتمع من حيث العادات والتقاليد، والدين، وطرق الحياة والعيش، وغيرها، وهي مكونات الثقافة. هذا من جانب، ومن جانب آخر فمن الوسائل التي تؤدي إلى فهم الهوية: الثقافة واللغة؛ فكيف نحدد هوية فرد أو مجتمع دونهما؟

فـ "هوية الجماعة ليست حقيقة راسخة من حقائق الطبيعة، ولكنها فهما ثقافيا...لأن فهم الهوية الاجتماعية لشخص ما إنما تحدده الثقافة إلى حد كبير" (كرامش،2010 :114) ولعل الدور ذاته ينطبق على اللغة.

وهذا الأمر ما لفت كثير من المهتمين بتعليم اللغات للناطقين بغيرها؛ إذ إنهم عمدوا مؤخرا إلى تعليم اللغات من خلال ثقافاتها؛ حتى يكون الفهم الصحيح للغة التي تمثل الوعاء الذي يحمل الثقافة.

اللغة تعد محددا مهما للثقافة: حسب نظرية سابير روف فإن بنية اللغة التي يستعملها الفرد في المادة تؤثر على الطريقة التي يفكر ويتصرف بها تبعا لها (المرجع نفسه:27) والفرد عضو فاعل في المجتمع. فالتفكير الجمعي يكون أثير اللغة، ومن خلال التفكير ومنتوجه تتكون الثقافة؛ لذلك تنوعت الثقافات وفق تنوع اللغات؛ حيث كانت الثقافة العربية متوافقة مع اللغة العربية، والثقافة الألمانية متوافقة مع اللغة الألمانية...إلخ.

الثقافة مصدر من مصادر اللغة: تعد الثقافة مصدرا مهما من مصادر أي لغة من اللغات؛ فمن خلال الأدب العربي بنوعيه: الشعر والنثر، والفصيح والعامي (وهو من المكونات الأساسية للثقافة) نقف على الأصوات، والصيغ، والتراكيب، المعاني، والسياقات اللغوية للمعاني والألفاظ، وهذه في مجملها مكونات اللغة. زد على ذلك إننا إذا أردنا التعرف على الظروف والعوامل التي أثرت في اللغة عبر أطوارها المتباينة فما من طريق سوى الرجوع إلى تاريخها الثقافي الطويل.

القابلية للانتشار والانحسار: هذا الأمر يتعلق بطبيعة اللغة والثقافة نفسها. فضلا عن العديد من العوامل، مثل: التخطيط السليم لنشر اللغة والثقافة، الاحتكاك بين المجتمعات، الاستعمار، وغيرها. وقد أشار العلامة ابن خلدون إلى المغلوب دائما يتبع ثقافة الغالب أي: إن ثقافة الغالب تكون عاملا من عوامل انحسار ثقافة المغلوب، ويتضح هذا من خلال قوله: "المغلوب مولع ابدا بالاقتداء بالغالب في شعاره، وزيه، ونحلته، وعوائده". (ابن خلدون،2004 :1: 283)

لكن يمكن لثقافة ولغة المغلوب أن تنتشر على حساب لغة وثقافة الغالب كما هو الحال بالنسبة للغة العربية وثقافتها حين حكم الأتراك العثمانيون العالم العربي؛ حيث تعلموا العربية، بل وانتقلت اللغة والثقافة العربية إلى تركيا، حتى إن لغتهم كتبت بالحرف العربي آنذاك.

هذا، وهناك ثقافات ولغات انتشرت بسبب الوسائط، والتعليم، والدعم المالي السخي من الجهات التي تقف وراء هذا البرنامج. وفي المقابل انحسرت لغات وثقافات لم تجد الاهتمام من أصحابها كما هو الحال في الجزر اللغوية في معظم أنحاء العالم.

ومما يجب التنبيه إليه أن اللغة الإنسانية لا يمكن أن تعيش ولا تنتقل وتنتشر إلّا من خلال ثقافة المجتمع الأصل الذي يتحدّثها. (الراجحي،2013: 56)

والأمر المهم الذي يجب التنبيه إليه أن انتشار اللغة والثقافة العربية فضلا عن ثرائها فإنه يرجع لارتباطها بالدين الإسلامي، وهذا ما نبه عليه العديد من العلماء والباحثين، ومن أبرزهم المستشرق الألماني يوهان فك إذ يرى أن الإسلام هو الحدث المهم الذي أثر في مستقبل اللغة العربية، والمحافظة عليها، وانتشارها، في غير مواطن العرب. (فك، 1980: 13)

4-العلاقة بين اللغة والثقافة:

تربط اللغة بالسياسة ارتباطا وثيقًا، إلا أن الباحثين ركزوا دراساتهم على علاقة اللغة بالثقافة والهوية، ولم يعيروا هذا الجانب كبير اهتمام؛ فقديما أشار إلى هذا الجانب ابن خلدون إشارات في مقدمته؛ حيث يرى أن لغة الغالب دائما تؤثر في لغة المغلوب، وضرب مثالا لذلك تأثير اللغة العربية على لغة أهل الأندلس. (ابن خلدون، 2004 :1: 283) كما تناول مؤخرا الفيلسوف الأمريكي نعوم تشومسيكي اللغة والسياسة، هذا فضلا عن بعض المقالات أو الدراسات، لكن عموما لم تكن بحجم دراسات اللغة والثقافة والهوية.

لكن، ومن الوضوح بدرجة كبيرة نلحظ أن للسياسة أثرا كبيرا على اللغة عموما، ويمكن تناول هذا الأمر من خلال ما يلي:

الاستعمار واللغة: نجد أن المستعمر دائما يسعى لبسط ثقافته ولغته، ويجعل اللغة الرسمية في التعليم والدواوين الحكومية هي لغته على حساب لغة أهل المستعمرات الأصلية. وهذا ما حدث بالضبط في الدول التي بسط عليها الاستعمار الأوربي سيطرته رزحا من الزمان. فالدول التي كانت مستعمرة لدى بريطانيا كانت لغتها الرسمية الإنجليزية، وبعضها لم يزل، والدول التي استعمرتها فرنسا كانت لغتها الفرنسية وبعضها لم يزل، وغيرها من المستعمرات الإيطالية، والبلجيكية، وغيرها. وهذا الأمر يؤدي إلى إضعاف اللغة الأم من جانب ونشر لغة المستعمر من جانب، ويظهر هذا الأمر بوضوح في الجزائر؛ حيث كانت الغلبة للغة الفرنسية، بل ومعظم دول غرب إفريقيا الفرانك فورنية.

فقد تمددت اللغة الفرنسية على حساب اللغة العربية، ولغة الولف، وغيرهما من اللغات المحلية، وكذلك اللغة الإنجليزية على حساب اللغة العربية في البلدان العربية (خاصة فيما يتعلق بالتعليم والدواوين الحكومية) ولغة الهوسا في نيجريا، واللغة الهندية في الهند، ولغة الزولو في جنوب إفريقيا.

لكن اللغة العربية لها وضع خاص؛ وذلك لارتباطها بالدين؛ لذلك كانت محافظة على سماتها دون اللغات الأخرى؛ ولكن هذا لا ينفي التأثر بلغات المستعمرين؛ حيث دخلها عدد من الكلمات الغربية؛ مثل: ماجستير، ماستر، ليسانس، في مجال التعليم وبندورة، ساندويتش في مجال الأطعمة، وغيرها.

ولعل الهدف من نشر المستعمر للغته وثقافته هو طمس هويات من استعمرهم؛ وبالتالي تكون ثقافته بأبعادها المتعددة هي السائدة مما يسهل عليه أمر إدارة هذه المستعمرات.

ولعل هذا الأمر انطبق تماما على السكان الأصليين في أستراليا، فقد "تحدّث السكان الأستراليون الأصليون قبل هجوم الاستيطان الأوروبي إليهم بأكثر من 250لغةً، ثم انقرضت هذه اللغات، ولم يتبقَ منها إلا 15 لغة، ومن الممكن أن نقول بأنّ اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية في أستراليا" (أبو مفرح، 2017).

الحدود السياسية واللهجات الحديثة: من عوامل تكون اللهجات عوامل اجتماعية سياسية تتعلق باستقلال المناطق التي انتشرت فيها اللغة بعضها عن بعض؛ وذلك لأن اتساع الدولة يولد ضعف السلطان المركزي، وكثرة الدويلات المنقسمة بعضها عن بعض إلا ما ندر. وهذا يعني انفصام الوحدة السياسية والتي تؤدي إلى انفصام الوحدة الفكرية واللغوية؛ فقد عزا العلماء انشعاب اللغات إلى لهجات إلى: (هلال، د.ت: 41-44): اختلاف البيئات الجغرافية، وتنوع الظروف الاجتماعية، والاتصال البشري.

عليه فهذه الحدود تجعل من المناطق التي تنتشر فيها اللغة الواحدة أقاليم متعددة، وبالتالي يعيش أهل كل إقليم في ظروف مختلفة عن الأقاليم الأخرى، ويعبرون عن حاجاتهم بكلمات وطرائق كلام تختلف

عن الأقاليم الأخرى، وهذه هي اللهجات المتولدة عن هذه الحدود وما تركته من أثر، ولتقييد تحرك البشر من دولة لأخرى يكون التواصل المباشر والمستمر متعذرا، إلا في حالات قليلة واستثنائية.

لكل ما سبق نتجت لهجات حديثة، وينطبق هذا الأمر على اللغة العربية تماما؛ فهناك العامية المغربية، والسودانية، والمصرية، وغيرها من العاميات، وهذه الاختلافات الناتجة عن اللهجات لا بد أن تؤثر في الهوية فتنتج هويات مختلفة. (هدسون،1990: 81)

اللغة والقرارات السياسية: يتضح هذا الأمر جلياً فيما يتعلق بقضايا التعليم في الغالب، فكثيرا من الدول العربية عربت لغة التعليم بخروج المستعمر، فأصبحت اللغة العربية هي لغة التعليم، وقد يكون القرار من دولة لا تتحدث العربية لغة أما، وذلك رغبة من السلطات في التواصل بأبعاده المتباينة مع العالم العربي، كما هو الحال الآن في كوريا الجنوبية؛ حيث جعلت دراسة اللغة العربية مهمة في مناهجها الدراسية.

كما أنه يمكن للحكومات، أو الجهات التي تملك القرار أن تطلب مستوى محددا في لغة ما لشغل بعض الوظائف، وهو شرط يؤثر في إجادة اللغة للقطاع العامل بهذه الوظائف. (فاسلود،2000: 448)

هذا، وقد تسهم القرارات السياسية في إحياء بعض اللغات بعض أن شارفت على الموت أو الانقراض، وهذا ما حدث بالضبط للغة العبرية من خلال قرارات الكيان الصهيوني؛ فأصبحت الآن هي اللغة الرسمية.

وبالمقابل قد تؤدي هذه القرارات إلى إضعاف بعض اللغات؛ فكثيرا من الدول تجعل لغتها الرسمية هي اللغة الإنجليزية، أو الفرنسية على حساب لغتها الأم فتضعف اللغة المحلية، وتكون بعيدة عن الصيانة اللغوية، بل قد تكون مجرد لهجة بمرور الزمن، وقد تتعرض للانقراض والموت. وهذا الأمر ما تنبهت له العديد من الدول فجعلت لغتها الأم هي لغة التعليم، والمعاملات، والسياسة، مثل: الصين، اليابان وغيرها.

اللغة والسياسة والهوية: اللغة عنصر مهم من عناصر الهوية-كما سبق القول-وكذلك السياسة؛ حيث ظهرت هويات تعبر عن الدول والوحدات السياسية؛ فهناك الهوية: السودانية، المصرية، العمانية، المغربية، وما هذه الهويات إلا نتاج هذه الوحدات السياسية. يقول عصيد: "وإذا كانت السياسة تدبيرا للظرفي، فإن ذلك لا يمكن أن يحدث بمعزل عن طبيعة الكيان الدولتي وهويته، هذه الهوية التي تشكلت بالطبع في التاريخ وانبنت عبر صيرورة الأحداث والوقائع والتجارب. ومن الطبيعي أن تسعى الدولة عبر مختلف بنياتها إلى ترسيخ هويتها الجامعة لدى الأفراد والجماعات المنضوين تحت سلطتها لضمان ولائهم لها والحفاظ عبر ذلك على الاستقرار. غير أن المشكل يثور عندما يجد الفرد تنافرا بين وعيه الفردي بالانتماء الهوياتي وهوية الدولة الرسمية". (عصيد، 2010).

عليه، ونتيجة لما سبق أصبحت العاميات هي أحد مكونات الهويات للشعوب في العصر الحالي؛ فالتعرف على الشخص إلى أي بلد أو دولة ينتمي يمكن أن يكون من خلال التحدث معه، فنعرف إلى أي بلد ينتمي.

5-خاتمة:

في ختام هذه الدراسة يمكن سرد أبرز النتائج التي توصلتْ إليها، وهي:

- يعد الدين من عوامل حفظ اللغة وانتشارها.
- تشترك اللغة والثقافية في مناهج البحث، وإنهما قابلتان للانتشار والانحسار، كما أن اللغة من أبرز محددات الثقافة بينما تشكل الثقافة مصدر مهما من مصادر اللغة.
- لعب الاستعمار بجانب القرارات السياسية دورا فاعلا في إضعاف بعض اللغات، وتقوية الأخرى، بل وإحياء بعض اللغات التي شارفت على الموت.
- الحدود بين الدول، وهي حدود جغرافية سياسية أفرزت العديد من اللهجات الحديثة بجانب عوامل تكون اللهجات.
- تشترك اللغة مع الدين والثقافة والسياسة في تكوين الهوية، وجميعها من العناصر المهمة في تكوين الهوية، بحيث لا يمكن إهمال أحدها.

توصيات: بناء على ما توصلت إليه الدراسة من نتائج يوصي الباحث بما يلي:

- تضمين المقررات الدراسية العوامل والمكونات التي تعمل على الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية.
- توظيف الثقافة العربية والدين الإسلامي في المحتوى الدراسي للغة العربية.
- العمل على التقارب الثقافي بين الدول العربية من خلال المحتوى الدراسي، والإعلام بغرض الحفاظ على الهوية العربية مع مراعاة خصوصية كل بلد.

قائمة المصادر والمراجع

- حسام الدين، زكي كريم، **الثقافة واللغة**، د.ت، د.ط، مكتبة طريق العلم.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **المقدمة**، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش،2004م، دار يعرب، دمشق.
- الراجحي، عبده، **اللغة وعلوم المجتمع**، ط1، 2013م، دار الصحابة للتراث، طنطا.
- السعران، محمود، **اللغة والمجتمع (رأي ومنهج)**، ط2، 1963، الإسكندرية.

- علي، مرتضى فرح، الحروف **المقطعة في القرآن الكريم (دراسة صوتية سياقية)**، ط1، 2014، مطبعة عبد الوهاب، الخرطوم.
- فاسلود، رالف، **علم اللغة الاجتماعي للمجتمع**، ترجمة: إبراهيم صالح الفلاي، د.ط، 1421هـ-2000م، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.
- فك، يوهان **العربية**، ترجمة: رمضان عبد التواب، د.ط، 1980، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- كرامش، كلير، **اللغة والثقافة**، ط1، 2010م، وزارة الثقافة، قطر.
- هدسون، **علم اللغة الاجتماعي**، ترجمة: محمود عياد، ط2، 1990، عالم الكتب، القاهرة.
- هلال، عبد القادر حامد، **اللهجات العربية**، د.ط، د.ت، دار غريب، القاهرة.

المجلات:

- المدني، عبد الله، **تأثر لغة الملايو باللغة العربية**، صحيفة الأيام البحرينية، عدد9534، بتاريخ:17 مايو2015م.

الدراسات في المواقع الإلكترونية:

- أبو مفرح، أفنان، **سكان استراليا الأصليين**، موقع موضوع بتاريخ 12 يوليو2017م.
- https://mawdoo3.com
- عصيد، أحمد **الهوية والتاريخ والسياسة**، الحوار المتمدن العدد: 3194، 23 نوفمبر 2010 https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=236061

الفلاحة في بلاد الأندلس وأثرها الحضاري في أوروبا

Agriculture in Andalusia and its cultural impact on Europe

د.النّاصر الهمّامي/دكتوراه في اللّغة والأدب والحضارة العربيّة/كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعيّة بتونس
البريد الإليكتروني: naceurhammami56@yahoo.ca

ملخّص:

تقوم الفلاحة، منذ أقدم العصور، بدور محوري هامّ في حفظ حياة الإنسان وإعمار الأرض وازدهار الحضارات، إذ تعدّ مظهرا من مظاهر التمدّن والعمران والتحضّر. وقد ارتأيت في هذه الدّراسة البحث في موضوع الفلاحة في بلاد الأندلس وأثرها الحضاري في أوروبا. نظرا إلى خصوصية التجربة الفلاحية الأندلسية التي استفادت من روافد عديدة: مشرقية ومحلّية إسبانية. وجمعت بين الفكر الفلاحي النظري والممارسة العملية التّطبيقية والتطوّر التّقني الهامّ، فكوّنت بذلك مدرستها الفلاحية الأندلسيّة المخصوصة التي ساهمت في إخصاب الأرض وإثراء الغطاء النباتي والزراعي في شبه الجزيرة الإيبيرية، وكان لها إشعاع حضاري محسوس وتأثير كبير في تطور الممارسة الفلاحية والزراعية بأوروبا، فشكّلت بذلك حلقة وصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية.

الكلمات المفتاحية: الفلاحة- الأندلس- أوروبا

Abstract:

Since ancient times, agriculture has played a pivotal and important role in preserving human life, rebuilding the earth and the prosperity of civilizations, as it is a manifestation of urbanization, urbanization and urbanization. In this study, I considered researching the subject of agriculture in Andalusia and its cultural impact on Europe. Due to the peculiarity of the Andalusian agricultural experience, which benefited from many tributaries: Levantine and Spanish locality. It combined theoretical peasant thought, applied practice and important technical development, thus forming its own Andalusian agricultural school, which contributed to the fertilization of the land and enrichment of vegetation and agricultural cover in the Iberian Peninsula, which had a tangible civilizational radiance and a great impact on the development of agricultural and agricultural practice in Europe, thus forming a link between Arab-Islamic culture and Western culture.

Keywords: Agriculture - Andalusia - Europe

مقدمة:

شهدت بلاد الأندلس في القرون الوسطى حضارة بارزة ومتميزة في التاريخ الإنساني، إذ تجمعت فيها العديد من العوامل الطبيعية والثقافية والاقتصادية التي أدت إلى تحقيق نهضة زراعية استثنائية وازدهارٍ للقطاع الزراعي. كما أنّ ازدهار الزراعة في تلك الفترة لم يكن مقتصراً على الأراضي الزراعية فحسب، بل شهد أيضاً تقدمًا في التقنيات والممارسات الزراعية والاهتمام بالبحوث العلمية والابتكار ، فقد شكلت بلاد الأندلس في تلك الفترة ساحة خصبة وثريّة للحوار الثقافي بين الثّقافة العربية الإسلامية والثّقافات المحلّية الرّومانية والإسبانية، مما أسهم بشكل كبير في تطوير القطاع الزراعي وتبادل المعارف والتجارب الفلاحية بين الثقافات المختلفة. وقد أنتج ذلك تجربة فلاحية أندلسية مخصوصة كان الأثر الحضاري البالغ على المستوى المحلّي في منطقة شبه الجزيرة الإيبيريّة، وكذلك على المستوى الأوروبي. وتهدف هذه الدراسة التي استندت إلى المصادر الفلاحية والتاريخية القديمة إضافة إلى الدراسات الحديثة إلى استكشاف مظاهر التطوّر الفلاحي في بلاد الأندلس خلال القرون الوسطى، وإلقاء الضوء على العوامل الطبيعية والجغرافية والحضارية التي أدت إلى تحقيق هذه الثّورة الفلاحية الرّائدة, كما سنعمل على تبيّن خصائص الفكر الفلاحي الأندلسي وإبراز أهمّ روّاده وعلمائه، إضافة إلى تحليل مظاهر التطوّر والتّجديد في الفلاحة الأندلسية على مستوى التّقنيات والمنهج. كما سنسعى إلى إبراز مدى التّلازم بين التطوّر التّقني والازدهار الزّراعي الذي نشأ في تلك الحقبة التاريخية. والذي كان له أثر بيّن في تطور الفلاحة والزّراعة بكامل أرجاء أوروبا.

*** صلب الموضوع:**

1- الخصائص الطبيعية والجغرافية ببلاد الأندلس:

تقع بلاد الأندلس في جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية (المعروفة الآن بإسبانيا والبرتغال) كانت حضارة رائدة في العصور الوسطى. قدمت العديد من العوامل والمؤهلات التي جعلتها بلداً زراعياً مميزاً بامتياز، حيث تأثرت هذه البلاد بالعديد من الثقافات والحضارات، بما في ذلك الثقافة الإسلامية والمسيحي ومن بين العوامل التي ساهمت في جعل بلاد الأندلس زراعية بامتياز، نجد المناخ: فقد كان المناخ في بلاد الأندلس معتدلاً مع طقس معتدل في فصول الربيع والخريف، وهذا ساهم في تسهيل زراعة مجموعة متنوعة من المحاصيل الزراعية. وتتميّز شبه الجزيرة الإيبيرية بتنوّعها المناخي، إذ يوجد بها مناخان: مناخ البحر الأبيض المتوسط الذي يسود الجهات الشرقية والجنوبية منها، وهو يجمع بين الشتاء الممطر والصّيف الحارّ الجافّ الذي يتأثّر بتأثيرات الرياح الغربية الآتية من المحيط الأطلسي طوال

السنة، ومناخ غرب أوروبا البارد الذي يسود الجهات الشمالية الغربية. (أحمد موسى، 1983، ص 54) كما تتميّز بلاد الأندلس بتنوّع تضاريسها، إذ نجد بها الجبال والأودية والسهول والهضاب، ومن أهمّ الجبال التي توجد ببلاد الأندلس جبل الثّلج (Sierra Nievada) وقد عرف بهذا الاسم لأنّ الثّلج لا يفارقه صيفا ولا شتاء، كما أنّه شديد البرودة ويؤثّر برده على مدينة غرناطة في الشتاء نظرا لقربه منها، إذ ليس بينه وبينها سوى عشرة أميال.(الحموي، 1977، ص 360) ونجد كذلك جبال البرتات (Prinios) وهي الجبال التي تفصل بلاد الأندلس عن الأرض الكبيرة (فرنسا) وجبل الشّرف (Aljaraf) وهو جبل يطلّ على مدينة إشبيلية، وسمّي بالشّرف لإشرافه على الأندلس. ورغم وعورة التضاريس الجبلية فقد استخدمت بعض هذه الجبال للزّراعة مثل جبل الشرف الذي كان دائم الخضرة وبه أشجار الزيتون. (أبو الفداء، 1840، ص 169) كما توجد ببلاد الأندلس العديد من السّهول الواسعة الفسيحة، مثل سهل الكنبانية جنوب قرطبة (ومعناه السهل الفسيح) وهو سهل كثير المياه والمزروعات. كما يوجد بمدينة غرناطة سهل المرج أو الفحص الذي اشتهر بخصوبة تربته. (الخطيب، 1958، ص 52)

وتتميّز بلاد الأندلس بخصوبة التربة فقد كانت التربة في الأندلس غنية وخصبة، مما جعلها مناسبة لزراعة مجموعة واسعة من النباتات والمحاصيل وكذلك بوفرة المياه ونظام الري المتطور، إذ تشقّها العديد من الأنهار والأودية، ومن أهمّها: نهر الوادي الكبير (Guadalquivir) وهو من أهمّ أنهار الأندلس. وتصبّ فيه معظم الأودية الأخرى. فهو ينبع من جبل شقورة (Sedura) ويشق بلاد الأندلس مارّا بمدينتي قرطبة ثم إشبيلية، ليصبّ بالمحيط الأطلسي. (أبو الفداء، 1840، ص 46) وكذلك نهر يانه او آنه (Guadian) ونهر تاجه (Eltajo) إضافة إلى العديد من الأودية، مثل وادي المريّة (Cuada Al-mariyya) ووادي حدرة (Cuada El-darro) ووادي العسل (Cuada El-asal) ويقع قرب الجزيرة الخضراء، وتستخدم مياهه للشّرب وسقي الأراضي الزراعية، إذ تنتشر على ضفافه بساتين كثيرة. (المقدسي، 1909، ص 235) وكذلك تعدّ الثّلوج التي تتساقط بالجهات الشمالية لبلاد الأندلس مصدرا هامّا للمياه، إضافة إلى ثراء المياه الجوفية، إذ تنتشر الآبار والعيون في مناطق مختلفة من بلاد الأندلس، وقد استخدمت لسقي الأراضي الزراعية وللشّرب، إذ تميّزت بعذوبة ماءها وبرودته صيفا. (المقدسي، 1909، ص 233). ومما ساعد على تطوير الفلاحة والزّراعة كذلك الموقع الجغرافي الاستراتيجي، إذ كانت بلاد الأندلس تتركز في موقع جغرافيا حيوي لطرق التجارة بين أوروبا وأفريقيا والشرق الأوسط. وقد ساهم هذا في تبادل المعرفة الزراعية والعلمية بين الثقافات المختلفة، كما كان هناك احتكاك مستمر بين الأندلس الإسلامية والممالك المسيحية القريبة، مما أدى إلى انفتاح البلاد على

ثقافات مختلفة وانتقال المعرفة والفكر بينها. باختصار، كانت بلاد الأندلس ذات مؤهلات طبيعية وجغرافية تجعلها بيئة زراعية مثالية، إذ يصفها الجغرافي ابن حوقل قائلا:" وطولها شهر في عرض نيف وعشرين يوما، وفيها غامر وأكثرها عامر مأهول. ويغلب عليها المياه الجارية والشّجر والثّمر والأنهار العذبة، والرّخص والسّعة في جميع الأحوال." (ابن حوقل، 1938، ص 115) أمّا المقدسي فقد اعتبرها من فرط خصوبتها وثراء غطائها النّباتي جنّة أرضية من جنان الدّنيا:" أمّا الأندلس، فيقال: إنّها جنّات الدّنيا، ومستفاض جنّات الدّني أربع: غوطة دمشق ونهر الأبله وروضة الصّغد." (المقدسي، 1909، ص 33)

2- علماء الفلاحة ببلاد الأندلس: مثّل وصول العرب والمسلمون إلى شبه الجزيرة الإيبيرية بداية الثّورة الزّراعية بلاد الأندلس، بعد حالة التخلّف والكساد الزّراعي التي أصابتها في عهد القوطيّين الغربيّين، فإضافة إلى العوامل الطّبيعية والجغرافية الملائمة فقد استفاد المسلمون من التّراث الزّراعي الإسباني المحلّي إضافة إلى التّراث الفلاحي العربي المشرقي وعلى رأسها "كتاب الفلاحة النبطية" لصاحبه أبو بكر أحمد (909 م)، المعروف أيضًا باسم ابن علي المعروف بابن وحشية النبطي. وقد قام بترجمته من السريانية القديمة أو لغة النبط، ويرجع نسبه إلى شخص يُدعى قطامى، الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد. وقد ضم فيه شروحًا لطرائق الزراعة القديمة للبابليين والأشوريين واليونانيين. (انظر كتاب: الفلاحة النّبطية لابن وحشية، وهو أوّل أثر علمي عربي في ميدان الزّراعة). ثمّ قاموا بتطوير علوم وتقنيات زراعية جديدة من أجل إعمار الأرض وتحقيق الرّخاء، إذ ينظر العالم الفلاحي الأندلسي أبو عبد الله بن محمد بن مالك الطّغنري (توفي سنة 494ه/ 1103م) إلى الفلاحة والزّراعة باعتبارها مقوّما أساسيا من مقوّمات الحياة. "والزّراعة والغراسة التي بهما قوام الحياة وقوت النّفوس." (الطّغنري، ص 133) كما ساهم الاحتكاك الثّقافي بالحضارة البيزنطية في تحفيز البحث العلمي في مجال النّبات والزراعة، وقد تجلّى ذلك خاصّة في إهداء الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السّابع نسخة من كتاب ديوسقوريدس وعنوانه (Medica Materi) إلى الخليفة الأندلسي عبد الرحمان الثالث وقد كان لهذا الكتاب الذي اهتمّ بالحشائش والأدوية كان له تأثير هام في تطور الدراسات النباتية والطبية في الأندلس.(الجيوسي، 1999، ص 1368)

يعدّ القرن الرابع هجريا/العاشر ميلاديا بداية المرحلة التي بدأ فيها علماء الفلاحة الأندلسيون بتقديم إضافات علمية جديدة وأصيلة في مجال الفلاحة والزراعة، فقد أخذت المدرسة الفلاحية الأندلسية تستقلّ تدريجيّا عن المدرسة المشرقية وتكتسب مقوّماتها الخاصّة القائمة على الجمع بين الجانب النظري والممارسة التّطبيقية المعتمدة على التّجارب الحقلية والمعاينة والملاحظة المباشرة. وبلغت الثّورة الزراعية

الأندلسية أوج ازدهارها في فترة ملوك الطّوائف نتيجة تنافس ملوك وأمراء الأندلس في إنشاء الحدائق والبساتين الخاصّة، وتشجيعهم علماء الفلاحة على استجلاب نباتات ومزروعات جديدة لم تعرفها بلاد الأندلس من قبل. وفي هذا السّياق، يصف المؤرخ والجغرافي أحمد بن عمر العذري الذي عاصر تلك الفترة أحد البساتين الملكية، وهو بستان الصُّمادحية بمدينة ألمريّة بقوله مندهشا:" وبنى المعتصم بخارج مدينة ألمريّة بستانا وقصورا متقنة البيان، غريبة الصّناعة. وجلب إليها من جميع الثّمار الغريبة وغيرها، ففيها من كلّ شيئ غريب، مثل أنواع الموز المختلفة وقصب السكّر وأنواع سائر الثّمرات ما لا يقدر على صفته." (العذري، 1965، ص 85) وكنتيجة لكلّ هذا العوامل المشجّعة والمحفّزة تكوّنت مدرسة فلاحيّة أندلسية ذات خبرة علمية وعمليّة ثريّة. كان لها تأثير حضاري واسع. ووصل علماء الأندلس إلى مستوى راقٍ في مجال العلوم النباتية. وأصبحت الزراعة تخصصاً يثير الاهتمام للبحث والتأليف، إذ اعتمد العلماء المشاهدة المباشرة كطريقة علمية تجريبية، وأولوا اهتماماً خاصاً للزراعة والنباتات كفرع من البحث في علوم الطبيعة. وقد ساهم هؤلاء العلماء في تنشيط البحث العلمي في مجال الزراعة وفنونها في بلاد الأندلس. وقاموا بتأليف مصنفات في علم الفلاحة تتناول النباتات وكيفية زراعتها ونموها وتسميدها وحصادها، بالإضافة إلى دراسة الدورات الزراعية والأوقات المناسبة لكل عملية زراعية. وأخذوا يتخصصون في هذا المجال وأدخلوا بلاد الأندلس في مستوى راقٍ من البحث والتطوير خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي (القرن الخامس هجريا).

* **أبو الحسن القرطبي عريب بن سعيد (توفي 369 هـ/969 م)**: يُعَدُّ كتاب "الأنواء" أو تقويم قرطبة (Clendario Cordoba) للطبيب والمؤرخ القرطبي أبو الحسن القرطبي عريب بن سعيد، أولّ وأقدم ما كتب في الزراعة الأندلسية. يعد هذا الكتاب عملاً فلكياً حسابياً يتناول العلاقة بين الشمس والمحاصيل الزراعية المناسبة لكلّ شهر من السنة، وذلك وفقاً للتقويم الروماني الشمسي. ويصف كيفية زراعة الأشجار والعناية بالبساتين والجنان. وقدكتاب أهدي إلى الخليفة الأموي الأندلسي الحكم الثاني. (الجيوسي، 1999، ص 1368)

* **أبو القاسم خلف بن عبّاس الزّهراوي (توفي 404 ه)**: وقد كان طبيبا للبلاط في عهد الخليفة الحكم الثاني وكذلك المنصور، وقد عرف في النصوص اللّاتينية باسم (Abulcasis) ورغم أنّه كان طبيبا بالأساس، فقد كان مهتمّا بالعلوم الزراعية وذلك في إطار الترابط بين العلوم الطبيعية المختلفة، وقد صنّف كتابا بعنوان: مختصر علم الفلاحة. ويعدّ من مؤسّسي المدرسة الزراعية الأندلسية. (الجيوسي، 1999، ص 1369)

ISSN : 2625 - 8943

* **أبو المطرف عبد الرحمن بن وافد (893 - 740 م):** يُعتبر من العلماء الذين ذاع صيتهم نظراً إلى مساهمته الفعالة في مجال التأليف الفلاحي. وقد عرف في العالم اللّاتيني باسم (Abenguefith) وفقد كان طبيباً ووزيراً ليحى بن المامون بن ذي النون، أمير طليطلة في عصر ملوك الطوائف الذي كان له شغف واهتمام خاص بالفلاحة والأزهار. ممّا أكسب العالم الوافدي خبرات عملية ومعرفة بالنباتات وزراعاتها وطرق تسميدها ودراية واسعة بخصوصية الأرض والمناخ.. وقد صنّف كتاب المجموع في الفلاحة الذي حضي بشهرة فائقة وانتشار كبير، إذ ترجم إلى القشتالية والقطلانية، وأثّر في علم الزراعة لعصر النهضة الأوروبي، وقد ظهر هذا التّأثير جليّا في أعظم عمل في الزراعة لعصر النّهضة، وهو كتاب: الزّراعة العامّة (Agricultura General de Espagne) لغابرييل ألونسو دي هيريرا. (الجيوسي، 1999، ص 1372)

* **ابن بصال، أبو عبيد الله محمد بن إبراهيم الطليطلي (601 هـ / 1204 م):** ويعدّ ابن بصّال من الأسماء البارزة التي اشتهرت نظراً لمساهمته الفعالة في مجال الكتابة الزراعية. فقد كان طبيباً ووزيراً للأمير يحي بن المامون بن ذي النون، حين عهد إليه أمر تدبير حدائقه الملكية. وبفضل ذلك، اكتسب تكويناً زراعياً عمليّا، نتيجة التجارب الزراعية العديدة التي أجراها على النباتات المستوردة من مختلف مناطق الأندلس أو من خارجها. وكان على دراية بالزّراعات من حيث تكوينها وتقليمها وعلاجها من الأمراض. كما استفاد في تكوينه الزراعي أيضًا من رحلاته الاستكشافية التي قام بها إلى المشرق وصقلية، مما مكّنه من اكتساب معارف جديدة حول أنواع النباتات والشجيرات، واطلاعه على الأساليب المعتمدة في ممارسة الزراعة في البلدان التي زارها. وقد أفضت تجربته وخبرته إلى تأليف كتاب قيّم سماه "ديوان الفلاحة"، وقد كان له أثر مرجعي بالغ في تاريخ علم الزراعة بشكل عام وفي علماء الزراعة الأندلسيين اللّاحقين بشكل خاصّ، نظرا إلى دقّته وخصوبة معلوماته. ومنهجه التّجريبيّ. " وترجم مصنّفه ديوان الفلاحة إلى اللّغة القشتالية القروسطية، ويتميّز عن غيرة من المؤلّفات الزّراعية الأندلسية، بأنّ مؤلّفه قد اعتمد بشكل كامل على تجاربه الخاصّة، دون أن يذكر أيّ مصدر آخر أو يشير إليه، كما أنّه لم يدرج في رسالته مساءل غريبة عن الممارسة الزراعية كعادة سواه من علماء الزراعة من قبل." وإثر سقوط طليطلة في أيدي النّصارى انتقل ابن بصّال إلى إشبيلية، وواصل مشروعه الزراعي، إذ عمل في خدمة المعتمد بن عبّاد الذي كلّفه بالإشراف على بستان: حائط البستان، فجمع حوله مجموعة من طلبة علم الفلاحة، مؤسّسا بذلك لمدرسة زراعية جديدة في إشبيلية تعدّ امتدادا لمدرستي قرطبة وطليطلة. (غارثيا سانشيز، 1999، ص 1376)

* **أبو عمر أحمد بن محمّد بن حجّاج الإشبيلي:** وهو شاعر وعالم فقه وحديث وقد عاش بإشبيلية وألّف كتابه: المقنع في الفلاحة (سنة 464ه/1072م) واعتمد في تأليف كتابه على التّراث الزراعي اللّاتيني القديم وعلى الموروث الزراعي العربي المشرقي وأثراه بتجاربه الزراعية والحقلية الخاصّة. وهو مصنف زاخر بالمعلومات، فقد أحاط بالعديد من المواضيع التي تهمّ علم الفلاحة والنبات والأشجار وتربية الطيور. فقد استهلّ مصنّفه ببيان طرق معرفة جيّد الأراضي. ثمّ وضّح أساليب البحث عن الماء وأنواعه، وتخيّر أنواع البذور وكيفية دفع الآفات الزراعية وتحديد أوقات الحراث والزراعة، ووصف طرق غرس الأشجار المثمرة وطرق تقليمها وتطعيمها وقطافها، وكيفية غراسة أشجار الزيتون وعصره وتصفيته، إضافة إلى كيفية زراعة الخضروات والعناية بها. كما تحدّث في كتابه عن البيطرة وطرق علاج الطيور.(ابن حجّاج، 1982، صص 133- 137)

* **أبو عبد الله بن محمد بن مالك الطّغنري (توفي سنة 494ه/1103م):** كان أديبا وشاعرا. عاش بغرناطة إبّان حكم الأمير الزّيري عبد الله بن بلغين، ثم اضطرّ إلى الارتحال إلى مملكة ألمرية بسبب خلافاته السياسية مع أمير غرناطة. وفي ألمرية لقي حضوة عند ملكها فأجرى شتّى التجارب الزراعية في حدائق القصور الملكية. ثم طاف في أرجاء شمال إفريقيا وبلاد المشرق حيث اكتسب المعارف واقتبس تجارب زراعية جديدة. وقد تنقلّ بين غرناطة وإشبيلية حيث تتلمذ على ابن بصال ، وأخذ عنه الكثير من علمه وتجاربه . وقد أفاده منصبه وزيرا لعبد الله بن بلقين بن باديس أمير غرناطة في صقل معارفه وخبراته فى ميدان الفلاحة والبستنة . ولعل في حديثه عن زراعة وتقليم الكروم ، وما يتطلبه ذلك من أدوات ومستلزمات ، ودقة فى طريقة العناية ببعض الأشجار، ما يفيد بأنه أسس طريقة عمله على منهج علمي تجريبي يستند إلى نظرة طبيعية للكون. ويعدّ كتاب "زهر البستان ونزهة الأذهان" الذي صنفه التغزي وقدّمه كهدية لحاكم غرناطة المرابطي أبو الطاهر محمد بن يوسف بن تاشفين، من أفضل الرّسائل الأندلسية الزراعية نظاما وترتيبا، إذ تمتزج فيه المعرفة النظرية العميقة بالخبرة والتّجربة الميدانية. ويُشير الطّغنري في كتابه إلى أن الفلاحة تحتاج إلى علم بممارستها وعلم في فهمها. العلم بالفلاحة يتضمن معرفة كيفية زراعة النباتات واختيار البذور المناسبة وما يساعد في نموها وما يعوق نموها. أما العلم في الفلاحة فهو تعلم القوانين والأحكام المتعلقة بالزراعة وما يجوز وما يحرم، وما يحبذ وما يكره من أعمال الفلاحة. ويزخر كتاب الطّغنري بمعلومات كثيرة حول مختلف المزروعات والأدوات الزراعية، إذ يذكر منافع العديد من المزروعات مثل الورد وورق العنب والحناء والكزبرة واللفت والفجل والزعفران والكرنب والخس، كما يذكر أسماء مجموعة من الأدوات الزراعية المستخدمة في العمل الزراعي، مثل الفؤوس التي تستخدم في قلب الأرض، والمحراث الذي يستخدم في حرث الأراضي وعمارتها، والسكين

المبسطة الأطراف، والقادومكة التي تستخدم لنقل الأشجار. وهذه المعلومات توضح أهمية الأدوات الزراعية في العملية الزراعية. (غارثيا سانشيز، 1999، ص 1374)

* **أبو زكرياء بن العوّام الإشبيلي الأندلسي (توفي حوالي 553ه/1158م):** وهو من علماء الزّراعة المتأخّرين ببلاد الأندلس. كان خبيرا بالنّبات وشؤون الزراعة، وقد عاش بمدينة إشبيلية وبمنطقة الشّرف تحديدا، وممّا يدلّ على ذلك أنّه كان كثيرا ما يشير إلى هذه المنطقة في كتاباته. "زرعت حبّة الصّحاح في الشّرف (...) وأمّا في جبل الشرف فما رأيت قطّ شجرة تين بين غرس في كرم." (ابن العوّام، 1802، ص 13) وقد ألّف مصنّفا ضخما، يحتوي على أربعة وثلاثين فصلا خصّصه للبحث في شؤون الزّراعة والفلاحة من تطعيم وتسميد وريّ وكذلك تربية المواشي والطيور. وقد استفاد ابن العوّام من النصوص الزراعية المشرقية والأندلسية السّابقة، وبفضل ذلك فقد أحاط هذا المصنف بجميع المعارف الزراعية والحيوانية الشائعة في عصره. وتميّز هذا الكتاب بمنهجه التجريبي القائم على الملاحظة والتّجربة. " ولم أثبت فيه شيئا من رأي، إلّا ما جرّبته مرارا فصحّ."(ابن العوام، 1802، ص 10).

3- مظاهر التطوير والتّجديد في الفلاحة الأندلسية:

أ- التّقنيات:

استفاد الأندلسيون من التّقنيات الزراعية للحضارات السّابقة التي استوطنت شبه الجزيرة الإيبيريّة، وأضافوا إلى هذا التراث المحلّي الإسباني معارف وتقنيات جديدة ومبتكرة. كما استثمرت الفلاحة الأندلسية مجزات علم الحيل النافعة (الميكانيكا) ومن أبرز رواده في الأندلس العالم المهندس أحمد بن خلف المرادي (عاش في القرن 11م) والعالم إبراهيم بن يحي الزّرقالي (420-480ه/1029-1087م) اللّذان قاما بابتكار آلات ميكانيكية حيليّة جديدة، تسعى إلى تحقيق الفعل الكبير عن طريق الجهد اليسير. فقد استخدم المهندسون الأندلسيون آلات متنوّعة لتسهيل عملية الريّ وتنظيمها، سواء المتعلقة برفع المياه من الأنهار أو الآبار أو المتعلّقة بتصريف المياه وتوزيعها، ومن أشهر الآلات المستخدمة لرفع المياه نجد:

* **الناعورة:** هي آلة مستخدمة منذ عهد الرّومان، تعمل على سحب الماء، وتكون أكثر استخداماتها في المناطق التي تكثر فيها جداول الماء التي تجري في منسوب أقلّ ارتفاعا من الحقول المحيطة بها (هودجز، 1988، ص 202) ومازالت بعض النّماذج منها قائمة على نهر "العاصي" الذي يمرّ بمدينة حماة السّورية. وتتكوّن هذه الآلة من محور خشبيّ أو حديديّ، يكون حوله إطار من الخشب القويّ، يشدّ إليه المحور بواسطة الأوتاد. وتنطلق من هذا الإطار المركزي قضبان خشبية، تحمل طرف الدّولاب. ويوجد العديد من الحجيرات في هذا الطّرف، وبين كلّ زوج من هذه الحجيرات يوجد مغدف خشبيّ (لوح خشبيّ

بارز)، وعندما يتحرّك الدّولاب بفعل قوّة الماء، تغطس الحجيرات في الماء، ثمّ تحمل إلى قمّة الدّولاب حيث تفرغ حمولتها من الماء في حوض أماميّ متّصل بقناة، وفي بعض النّواعير تربط قلل فخارية على أطراف الدّولاب بدلا عن الحجيرات (الحسن وهيل، 2002، صص 81، 82) وقد قام المهندس بديع الزّمان الجزري بتطوير آلة النّاعورة كي تصبح مضخّة مائيّة متطوّرة أكثر فعاليّة ونجاعة من النّاعورة في رفع المياه، وهي مفيدة خاصّة في بلاد الجزري، أي في المنطقة التي تقع ما بين المرتفعات الشّمالية لكلّ من نهري دجلة والفرات، حيث أنّ منسوب المياه هناك، في مستوى أدنى من مستوى الحقول المحيطة. وقد كانت هذه التقنية منتشرة في العراق وبلاد الشام، ثمّ انتقلت هذه التّقنية من بلاد المشرق إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، فقد فقام الأندلسيون بإدخالها إلى بلاد الأندلس واستثمارها بطريقة جيدة نظرا إلى كثرة دائمة الجريان ببلاد الأندلس وبساطة صيانتها.(مياس بيروسكا، 1975، ص17) وانتشر استخدام آلة النّاعورة بكثرة في المدن الأندلسية، مثل مرسية وطليطلة وسرقسطة التي يوجد بها ناعورتان. (الإدريسي، ص 551) فساهم ذلك في زيادة مساحة الأراضي المزروعة وازدياد العمران. وقد قام النّصارى باقتباس هذه التقنية ونقلها إلى أوروبا. فكان لها الأثر الكبير على تطوّر الزّراعة بشبه الجزيرة الإيبيريّة. " استخدم الفلّاحون المسلمون في الرّيف الأندلسي، العديد من آلات الريّ، كان أهمّها النّاعورة، (مازال إلى حدّ الآن يطلق عليها في اللّغة الإسبانية تسمية: Noria)، التي أدخلها العرب إلى إسبانيا. إذ لم يكن لها وجود هناك قبل دخولهم، وكان دخول النّاعورة إلى إسبانيا بمثابة ثورة في المجال الزّراعي آنذاك، لأنّ وجودها في المناطق التي تعتمد على ريّ الأنهار، كان يعني تقليل اعتماد القنوات على تغيّرات مستوى مياه النّهر. ولمّا كان بناؤها غير مكلف، علاوة على بساطة صيانتها، فإنّها أحدثت رقيّا وازدهارا في المناطق التي دخلتها، فزاد الإنتاج الزّراعي، كما زاد عدد السكّان، واستتبع ذلك زيادة التحضّر والتمدّن في المجتمع." (قرني، 2012، ص 108)

الدّولاب أو الطّواحين المائية: كانت تقنية الدّواليب التي تشتغل بقوّة المياه معروفة عند الحضارات القديمة، وقد تجلّت في ثلاثة نماذج: النّموذج الأوّل هو الدّولاب السّفلي الدّفع، المعروف باسم دولاب فيتروفيوس (ماركوس فيتروفيوس :Marcus Vitruvius) (80/70 ق، م/ 23م) وهو كاتب ومهندس معماري روماني، ينسب إليه اختراع الدّولاب المائي ذي الدّفع السّفلي) والذي وصفه هذا العالم الرّوماني في كتابه في القرن الأوّل قبيل الميلاد. وهو نوع من الدّواليب، يركّب فوق محور أفقيّ على جدول للماء، ويدار بواسطة سرعة المياه. أمّا النّموذج الثّاني فهو دولاب علويّ الدّفع، ذراعه مقسّم إلى دلاء تشبه الحجيرات التي تجر إليها المياه من أعلى، فتدير الدّولاب بثقلها وليس بسرعتها. وأمّا النّموذج الثّالث فهو دولاب الماء الأفقي، الذي يتكوّن من مجموعة من المراوح، تتحرّك بالتّناوب، ويحرّك

ISSN : 2625 - 8943

الدّولاب عادة خرطوم من الماء موجّه على ريشة المروحة من خلال فوهة مركّزة في الأسفل (هودجز. 1988، صص 202- 209)

قام المهندسون المسلمون بتطوير تقنية الدّواليب المائيّة، واستخدموها لريّ المزروعات ولطحن الحبوب، ولعديد المآرب والنّشاطات الاقتصادية الأخرى، ذلك أنّ إنشاء المدن الإسلامية وتوسّعها الكبير، جعل الحاجة ملحّة لإنشاء المصانع الضّخمة لطحن الحبوب. واستخدمت قوّة المياه كمصدر هامّ لتشغيلها، فأقيمت العديد من الطّواحين المائيّة على ضفاف الأنهار والجداول وحذو السّدود، على امتداد كلّ أقاليم العالم الإسلامي، في العراق وإسبانيا وإيطاليا وشمال إفريقيا وبلدان آسيا الوسطى. وقد انتشرت الدّواليب في مناطق عديدة بالأندلس وخاصّة على نهر شقورة في مرسية بمدينة طليلطلة. وقد ساهمت هذه التّقنيات الجديدة في توفير كمّيات كبيرة من المياه لريّ المزروعات الجديدة التي استجلبها المسلمون إلى بلاد الأندلس، والتي تحتاج إلى سقي منتظم. وقد عرفت الأندلس منذ القرن الحادي عشر ميلاديّا تناميا متزايدا للمقدرة على التحكّم بالمياه وبراعة في التّقنيات المستخدمة في ذلك المجال، مثل إنشاء القناطر والجسور والسّدود ومدّ القنوات والسّواقي. وقد اتّضح ذلك من خلال تهيئة قنوات واسعة للرّي يبلغ طولها حوالي 28 ميلا. مثل تلك التي توجد بقرطبة وغرناطة وبمدينتي بلنسية (Valence) ومرسية (Murcia) ، ممّا جعل المهندسين الزّراعيّين الأندلسيّين يتمتّعون بشهرة واسعة في كلّ أنحاء العالم العربي والإسلامي. فقد استثمرت كلّ الأنهار ببلاد الأندلس لتوفير الطّاقة المائيّة، وتسخيرها لأغراض زراعيّة وصناعيّة. فأنشئت الطّواحين المائيّة على أنهار مدن مربلة (Marbella) وكويمبرا (Coimbra) وعلى طول الواد الكبير (Guadalquivir) (نهر بإسبانيا يتدفّق من منطقة الأندلس وبصبّ في المحيط الأطلسي) الممتدّ حتى قرطبة، وقد بلغ عددها بمملكة غرناطة في القرن الخامس عشر، مائة وثلاثين طاحونة مائيّة، تروي الأراضي المزروعة والتي عرفت بجودة شعيرها. أمّا بمدينة لاردة (Lerida) الواقعة على الحدود الشّمالية لبلاد الأندلس، فقد كان يوجد بها في القرن الثّاني عشر ميلاديّا العديد من المطاحن المائيّة المخصّصة لطحن القمح والزّيتون وكذلك لتشغيل آلات تقوم بنشر الخشب.(Viollet, 2005, p50)

ب- منهج التأليف الفلاحي:

* **الاعتماد على التجربة الحقلية:** اعتمد معظم علماء الفلاحة الأندلسيين على التجربة والممارسة العملية للعمل الفلاحي، وممّا ساعدهم على ذلك وجودهم في مراكز نشطة زراعيّا، مثل طليطلة وإشبيلية وغرناطة. كما حضوا بتشجيع كبير من طرف ملوك الطوائف عن طريق الإشراف والعمل الميداني المباشر في الحدائق الملكية الملحقة بالقصور. فقد كان ابن بصّال مشرفا على الحديقة الملكية لملك طليطلة المأمون ذي النّون، وقد صنّف كتابه بناء على تجربته الحقلية الميدانية، ويؤكّد العالم ابن العوّام ذلك بقوله

واصفا ابن بصّال:" بأنّه العارف بالفلاحة علما وعملا، لأنّه كان مجرّبا وخبيرا بالزّراعة وبارعا فيها." (ابن العوّام، ص 3) وقد تكّن ابن بصّال بفضل تجاربه الفلاحية الميدانية أن يبتكر طرقا جديدة لمقاومة الآفات الزراعية التي تصيب الأشجار المثمرة تشبه الطرق الحديثة المعتمدة، يذكر الطّغنري "أنّ مرضا اعترى بعض أشجار طليطلة، وتركها شبه محترقة، فقام ابن بصّال بقطع الأشجار المريضة، وأحرقها في فصل الربيع، حتى لم يبق منها شيء على سطح الأرض." (الطّغنري، 2005، ص 16) كما يتحدّث العالم الأندلسي ابن حجّاج عن تجاربه الفلاحية قائلا:" قد غرست قطعة من عود الزيتون فيها عجز وأضجعتها في الحفرة وطمرتها بالتّراب. ولم يظهر منها شيء، فعلقت أحسن علوق وأثمرت." (ابن حجّاج، 1982، ص 97) واعتبر الاستدلال العقلي والتّجربة مصدرا أساسيا في تأليف كتابه. " ورأيت أن أكتب لك ما أكنّه ضميري، وأتت عله تجربتي." (ابن حجّاج، 1982، ص 5) كما اعتمد عالم الفلاحة الأندلسي أبو الخير التجربة الحقلية الخاصّة لعلاج أسباب ضعف المحاصيل الزراعية. "وما خرج ضعيفا وأبطأ نشره. فهو الذي لا يخصب في تلك السنة. ولا يفلح، وقد جرّبنا هذا سنين متوالية." (أبو الخير، 1938،ص 179) كما ينتقد، عن تجربة وخبرة، الطريقة المغلوطة الشائعة في تقليم الأشجار:" كثير من الناس يحملون جميع أنواع الشجر في التّنقية محملا واحدا، وإنّما ولّد عليهم ذلك قلّة التجربة، وترك الاهتمام بأمور الشجرات، فتتأذّى الشّجرات ويقلّ حملها." (أبو الخير، 1938،ص 106) وفي هذا السياق اعتبرت الباحثة الإسبانية إكسبيراثيون غارثيا سانشيز أنّ كتب الفلاحة الأندلسة:" تنمّ عن منهج نظري وعملي في آن واحد، وعن توازن واضح بين الثقافة الكتابة الممحّصة بشكل دقيق والتّجارب الشخصية. كما نجد فيها تصوّرا عضويّا وانسجاميّا للزّراعة، بوصفها شكلا من أشكال استثمار الطبيعة بصورة متوازنة." (غارثيا سانشيز، 1999، ص 1376)

* **العقلية النّقدية:** لعلّ أهمّ ما يميّز التّراث الفلاحي الأندلسي النظرة النّقدية الواقعية القائمة على الملاحظة والتجربة والاستنتاج والاستدلال العقلي، بعيدا عن كلّ تصوّر غيبيّ أو رؤية أسطورية ميتافيزيقية، فلم ينقل علماء الفلاحة الأندلسيين الموروث الفلاحي اليوناني والروماني والقوطيّ نقلا حرفيّا بل تعاملوا معه بأسلوب نقدي يقوم على اقتباس المحاسن ونبذ المساوئ مع الحرص على التطوير وابتكار أساليب فلاحية وزراعية جديدة. فقد شكّك ابن حجّاج في قول الفيلسوف اليوناني ديمقراطيس وغيره من السّابقين حول ذكرهم بأنّ الجارية العذراء إذا دارت حول الزّرع سلم من الآفات، معتبرا أنّ هذه الأساطير، تعدّ تثبيطا وتعطيلا للسّعي البشري من أجل ابتكار أساليب علمية لمقاومة الآفات الزراعية. (ابن حجّاج، 1982، ص 12) أمّا في مجال اختيار البذور الملائمة، فقد قارن ابن حجّاج بين المصنّفات الفلاحية، وتعامل معها تعاملا نقديا ممحّصا. " وخير ما زرع منه (أي البذور) ابن عام أو عامين، وما جاوز ذلك

من البذور فلا خير فيه إلّا الجاروس (الذّرة) فيما يزعم ديمقراطيس، وأمّا أنطرليوس، فإنّه ذكر أنّ ما جاوز الثلاث سنين والأربع." .(ابن حجّاج، 1982، ص 11) ويصرّح في كثير من المواضع في كتابه بضرورة الاحتكام إلى التجربة وعدم الرّكون إلى التّقليد. "وقد أمر بعض الحكماء ان يوضع في كلّ حفرة قضيبان، وهذا يحتاج إلى التّجربة." (ابن حجّاج، 1982، ص 21) كما ينتقد عالم الفلاحة الأندلسي أبو الخير تقاليد الفلاحة الرومانية في التعرّف إلى مواطن المياه، معتمدا القياس والاستدلال العقلي." وذكر صاحب كتاب الفلاحة الرّومية، أنّ النّجم الغليظ الأصل والحلفاء، يدلّان على قرب الماء. وما أراه إلّا واهم في قوله، ولست أعرف على أيّ شيء قاس ذلك." (أبو الخير، 1938، ص 92)

4- تأثير الفلاحة الأندلسية في أوروبا:

شكّكت جماعة من المستشرقين الإسبان المتخصّصين في الدّراسات العربية ودراسات القرون الوسطى من أمثال آسين بالاثيوس (Miguel Asin Palacios) وكلوديو سانشيز ألبورنوز (Claudio San chez Albornoz) في مدى قدرة الثّقافة العربية الإسلامية على التّأثير الحضاري في شبه الجزيرة الإيبيرية وفي أوروبا بشكل عامّ. واعتبروا أنّ الفتح الإسلامي لهذه المنطقة لم يضف إلّا بريقا سطحيّا لسكّان البلاد الأصليّين الذين استمرّوا في تمثّل سمات الشّخصية الثّقافية الإسبانية. وقد وجد هذا الموقف القومي الإسباني المتعصّب قبولا، وشهد انتشارا واسعا أثناء فترة الحكم الفاشي للجنرال فرانشسكو فرانكو (Francisco Franco) من سنة: 1939 حتى سنة: 1975 وعرف لدى المؤرّخين بنظريّة: الاستمراريّة (Continuism) لكن سرعان ما وقع تجاوزه بعد انتهاء نظام الحكم الدّكتاتوري وعودة الحكم الدّيمقراطي إلى إسبانيا. فقد تخلّى الباحثون الإسبان المعاصرون عن نظرية الاستمرارية وعن التّسميات المضلّلة، مثل الثّقافة الإسبانية/العربية (Hispano-Arab) ليتمّ تبنّي نظرية الثّقافة الأندلسية المتميّزة القائمة على الاندماج الثقافي والحضاري بين المسلمين والسكان الأصليّين. (غليك، 1999، صص 1349- 1354) وفي هذا الإطار وقع الاعتراف أخيرا بالتّأثير الحضاري الكبير للثّقافة العربية الإسلامية في إسبانيا، ومن أوجه هذه التّأثيرات الحضارية مجال الفلاحة والزّراعة.

ظلّ سائدا في العقلية الغربية أنّ الثورة النّباتية التي عرفتها أوروبا في القرن الخامس عشر، إنّما مرجعها اكتشاف كريستوف كولمبس للقارّة الأمريكية والذي نتج عنه إدخال أصناف نباتية جديدة إلى أوروبا. ولكن أحد الباحثين الغربيين المنصفين، وهو جون هارفي، انتبه إلى وجود صحائف أثرية، تحوي قوائم تذكر أنواع النباتات التي كانت موجودة بشبه الجزيرة الإيبيرية قبل رحلة كولمبس، وتتمثّل في قوائم نباتية مبوّبة مستمدّة من أعمال العلم الفلاحي الأندلسي ابن بصّال وابن العوّام، والتي قامت الرّاهبة إغواراس بترجمتها من العربية إلى اللّاتينية. (Harvey, 1975, p 22) وهو ما يثبت بجلاء أنّ المسلمين

هم الذين أدخلوا أصنافا جديدة من النّباتات والأشجار إلى أوروبا، مع تطوير الزّراعات المحلّية التي كانت موجودة، فساهموا بذلك في إثراء الفلاحة والزراعة بالعالم الغربي. أدخل المسلمون أصنافا كثيرة من الأنواع النباتية التي نجحوا في تكييفها مع المناخ الأندلسي عن طريق استعمال وسائل وتقنيات جديدة، ومن أهمّها زراعة أشجار الحمضيّات، مثل اللّيمون الهندي وبرتقال إشبيلية. ومن الزّراعات الجديدة التي أدخلها المسلمون إلى الأندلس ومنها انتشرت في بقية أرجاء أوروبا، نجد زراعة قصب السكّر والأرز التي ورد ذكرها في مصنّف تقويم قرطبة في القرن الرابع هجريا/العاشر ميلاديا. (غارثيا سانشيز، 1999، ص 1377) وتتميّز المزروعات الأندلسية الموصوفة في المؤلّفات الفلاحية بالتنوع والثّراء، إذ نجد الحبوب والبقول التي منحت أهمية قصور من أجل تحقيق الأمن الغذائي لأهل الأندلس، كما نجد زراعة الخضر والبقول وزراعة أشجار الزيتون والكروم وأشجار التّين والرمّان، واعتني كذلك بزراعة النباتات الصناعية، مثل زراعة الكتّان والقنّب الذي يستخدم في صناعة الورق والحبال وحياكة البسط، ونظرا إلى الرّخاء الذي عرفته الأندلس فقد ت انتشرت زراعة النباتات العطرية التي تستخرج منها التوابل، مثل الزعفران والكراوية والمردقوش والكمّون والنّعناع واليانسون، وكذلك الورود ونباتات الزّينة " التي بلغ الاهتمام بها جودة عالية. وأثّرت بشكل عميق في إسبانيا وعموم أوروبا إبّان عصر النّهضة. ونجد في الرّسائل الزراعية الأندلسية إشارات كثيرة إلى الورود والقرنفل والبنفسج والزّنبق." (غارثيا سانشيز، 1999، ص 1378) كما ساهم تطوّر المجال الزراعي والفلاحي بالأندلس في تطوير علم الطبّ والصّيدلة، وقد تجلى هذا التّكامل والتّرافد بين علم الطب وعلم النّبات في مصنّف : عمدة الطبيب في معرفة النّبات، للعالم الفلاحي أبي الخير الإشبيلي، والذي ساعد الصّيادلة على تحويل النباتات والحشائش إلى أدوية ومفردة ومركّبة، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الإسبانية، ولقي رواجا كبيرا في أوروبا. كما ابتكر العالم ابن بصّال منهجا أصيلا لتصنيف النباتات والأشجار التي تنمو في مختلف الأقاليم، وقسّمها حسب نوعية التربة إلى: أشجار مائية وزيتية وحليبية وصمغية، وقد اقتبس الأوروبيون هذا التصنيف. ونسب بعد قرون عديدة إلى العالم الطبيعي الفرنسي جورج كوفير (Georges /Cuvier 1769- 1832).

نتيجة لتطوّر علوم الفلاحة والزراعة بالأندلس، ظهر تخصّص فلاحيّ جديد، وهو علم البستنة، ويهتمّ بإنشاء الحدائق وتنظيمها وتنسيقها. وساعدت هذه الحدائق على إثراء التنوّع النباتي ببلاد الأندلس، إذ قام البستانيون الأندلسيون بجلب أنواع حديدة من النباتات من مختف البقاع، ونجحوا في تكييفها مع مناخ شبه الجزيرة الإ يبيرية. ومن أشهر الحدائق الأندلسية: بستان الرّصافة بقرطبة وجنّة العريف بغرناطة وحديقة البحيرة في إشبيلية. وتعدّ الحديقة الأندلسية بحسنها وخصوبتها شكلا من أشكال الحديقة الفردوسيّة، ومحاكاة للجنّة السّماوية الموعودة. "وأضحت هذه الحدائق في الأندلس أماكن يستمتع

ISSN : 2625 - 8943

التاس فيها بالأحاسيس التي أثارتها فيهم طبيعة بالغة الخصوبة، وتشمل هذه الأحاسيس: النّظر وأصوات المياه، وتغريد البلابل، وروائح الزّهور، والملمس الرقيق للزّهور على الجلد، كلّ ذلك في جوّ من الجنّة القرآنية." (Prieto-Morento,1980,p 72) وإضافة إلى الوظيفة الاقتصادية للحديقة الأندلسية، والتي تتمثّل في إنتاج المحاصيل وتوفير الغذاء، فقد كان لها بعد فنّي جمالي. وقد صف المؤرخ ابن الخطيب جنان الأندلس وبساتينها وصفا شاعريا أخّاذا:" فتعدّدت القرى والجنّات، وحفّت بالأمّات منها البنات، ورقّ النّبات، وتدبّجت العنبات، وتقلّدت اللبّات، وطابت بالنّواسم المهبات، ودرات بالأسوار دور السّوار المنى والمستخلصات، ونصبت لعرائس الروض المنصّات، وقعد سلطان الربيع لعرض القصّات." (ابن الخطيب، 1958، ص 90). ويعدّ فنّ البستنة وتنسيق الحدائق مظهرا راقيا من مظاهر المدنية الأندلسية وقد تأثّر الأوروبيون، أثناء زيارتهم بلاد الأندلس وسياحتهم في أرجائها بهذا الفنّ، وسعوا في مرحلة متأخرة إلى الاقتداء به وتطبيقه في بلدانهم، والدّليل على ذلك أنّه، ما انقضي العهد العربي الإسلامي بالأندلس حتى عادت أرض شبه الجزيرة الإيبيرية جرداء مقفرة. " إنّه ما إن مضى قرنان من الزّمان حتّى أدّى دمار الغابات وانجراف التربة إلى إيجاد أراض جرداء جافّة. كان بوسع الذاهب فيها في الماضي أن يتنقّل من جبل طارق حتى جبال البرنات، دون الاضطرار إلى النزول من الأغصان إلى الأرض على الإطلاق. وقد ترك العرب أثرا لا يمحى في البستنة الأوروبية، فقد أدخلوا إلى جانب الياسمين الموجود في كلّ مكان، والذي تفوح رائحته في كلّ أرجاء إسبانيا في فصل الربيع، الرمّان والخرشوف وأشجار النّخيل."(دكي، 1999، ص 1435).

الخاتمة:

تميّزت التّجربة الفلاحية العربية الإسلامية بالأندلس بالثّراء والتنوّع. فقد حضيت بلاد الأندلس بخصائص طبيعية وجغرافية مؤاتية وبتقنيات وممارسات فلاحية جديدة ومبتكرة، أهّلتها لإنجاز ثورة فلاحية متميزة بشبه الجزيرة الإيبيرية. وقد استفادت الفلاحة الأندلسية من التراث الفلاحي المشرقي ومن الموروث الفلاحي الإسباني المحلّي، لكنّها سرعان ما استقلّت عن كليهما، لتؤسّس مدرسة فلاحية أندلسية مخصوصة ومتميّزة على مستوى التأليف العلمي وعلى مستوى الممارسة العملية القائمة على التّجربة الحقلية، وقد كان للفلاحة في بلاد الأندلس قدرة كبيرة على الإشعاع والتّأثير في معارف الغرب وممارساته الزراعية. لذلك يمكن أن نعدّ التّثاقف الفلاحي الذي حصل بين الأندلس وأوروبا في فترة القرون الوسطى، رافدا مهمّا من روافد التواصل والحوار العلمي بين الشعوب والحضارات.

المراجع:

1- أحمد بن عمر بن أنس العذري، ترصيع الأخبار وتوزيع الآثار، تحقيق: عبد العزيز الأهوازي، مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، 1965.
2- أحمد بن محمد بن حجّاج الإشبيلي، تحقيق: صلاح جرار وجاسر أبو صفية، الأردن: مجمع اللغة العربية الأردني، 1982.
3- أحمد يوسف الحسن ودونالد هيل، التقنية في الحضارة الإسلامية، ترجمة: صالح خالد ساري، ط 1، الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 2001.
4- إكسبيراثيون عارسيا سانشيز، الزراعة في إسبانيا المسلمة، ط 2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999.
5- أبو بكر أحمد بن علي ابن وحشية، الفلاحة النّبطية، تحقيق: توفيق فهد، دمشق: المعهد العلمي الفرنسي للدّراسات العربية.
6- حسن، قرني.المجتمع الرّيفي في الأندلس في عصر بني أميّة، ط1، القاهرة: المجلس الأعلى للثّقافة،2012، ص: 108.
7- خوسيه ماريا مياس بيبروسكا، علم الفلاحة عند المؤلّفين العرب بالأندلس، ترجمة: عبد اللّطيف الخطيب، تطوان: معهد مولاي حسن، 1975.
8- أبو الخير الإشبيلي الشجّار الأندلسي، كتاب في الفلاحة، ط 1، فاس: المطبعة الجديدة، 1938
9- أبو زكريّاء يحي بن محمّد العوّام الإشبيلي، كتاب الفلاحة، مدريد: المعهد الثّقافي العربي الإسباني، د. ت، ج 1.
10- سلمى الخضراء الجيوسي، ط 2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999.
11- الشّريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بورسعيد/ مصر: مكتبة الثقافة الدينية.
12- شمس الدين المقدسي، أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 2 بيروت: دار صادر، 1909.
13- عزّ الدّين أحمد موسى، النّشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السّادس هجريا، ط 1، بيروت: دار الشرق، 1983.
14- أبو عبد الله بن مالك الغرناطي الطّغنري، زهرة البستان ونزهة الأذهان، تحقيق: مولود خلف الشهداني، الجزائر: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، 2005.
15- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، تقويم البلدان، باريس: دار الطباعة السلطانية، 1840.
16- أبو القاسم بن حوقل، صورة الأرض، ط 2، بيروت: دار صادر، 1938.

17- لسان الدّين الخطيب، مشاهدات لسان الدين الخطيب في بلاد المغرب والأندلس- مجموعة من رسائله، تحقيق: أحمد مختار العبادي، الإسكندرية: مؤسّسة شباب الجامعة للباعة والنّشر، 1983.

18- لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والدّيار، تحقيقك أحمد مختار العبادي، الإسكندرية: مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958.

19- هنري هودجز، التقنية في العالم القديم، ترجمة: رندة قاقيش، ط 1، عمّان: الدار العربية للتوزيع والنّشر، 1988.

20- ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، 1977.

21- Francisco Prieto-Mornto, La Hambra yel Generalif, Madrid, 1980.

22- Pierre-Louis, Viollet. Histoire de l'énergie Hydraulique (Moulins, pompes, roues et Turbines de l'antiquité au 20 siècle), France : Presse de l'Ecole Nationale des Ponts et Chaussées, 2005, p: 50.

"الدراسة المعجمية" -قضاياها وأدوارها في إتقان تعلُّم اللغة العربية وتعليمها-

"lexical study"

-Issues and roles in mastering learning and teaching the Arabic language-

أ.د. محمد أزهري* ،أ.د. غريبو أحمد غريبو **،د. مكسيم كريفانوس***

* قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان في المملكة المغربية

البريد الالكتروني: mohamed.azhari1@gmail.com

** قسم اللغات الشرقية والتواصل بين الثقافات، كلية اللغات الأجنبية، جامعة خاركوف الوطنية كارازينا ف.ن. في أوكرانيا

البريد الالكتروني:garibogaribo@gmail.com

*** قسم اللغات الشرقية والتواصل بين الثقافات، كلية اللغات الأجنبية، جامعة خاركوف الوطنية كارازينا ف.ن. في أوكرانيا

البريد الالكتروني:friendbest112@gmail.com

الملخص باللغة العربية

نفذ هذا البحث بالتعاون بين قسم اللغة العربية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة السلطان مولاي سليمان في المملكة المغربية، وقسم اللغات الشرقية والتواصل بين الثقافات في كلية اللغات الأجنبية، بجامعة خاركوف الوطنية كارازينا ف.ن.في أوكرانيا.

نتناول في هذا البحث موضوع الدراسة المعجمية من خلال محورين اثنين:

-أولهما خاص بالقضايا المرتبطة بالدراسة المعجمية، وهي كثيرة، نركز في بحثنا هذا على أربعة منها، وهي:

تعريف "الدراسة المعجمية"، وأنواع "الدراسة المعجمية"، وضوابط "الدراسة المعجمية" وشروطها، ومشاكل "الدراسة المعجمية" وصعوباتها.

وأما المحور الثاني، فهو خاص بأدوار "الدراسة المعجمية" في إتقان تعلم اللغة العربية وتعليمها: فهي تلعب أدوارا عدة، نذكر منها: دور التعرف على مدار المادة اللغوية للفظ، ودور التعرف على كل الشروح التي شُرح بها اللفظ، و دور التعرف على التطور الدلالي للفظ، وعلى أنواع المعاني وعلى طبيعة العلاقات بينها.

الكلمات المفتاحية: الدراسة المعجمية ، قضايا وأدوار، إتقان تعلُّم اللغة العربية.

الملخص باللغة الانكليزية

This research was carried out in cooperation between the Department of Arabic Language at the Faculty of Arts and Humanities at Sultan Moulay Slimane University in the Kingdom of Morocco and the Department of Oriental Languages and Intercultural Communication at the Faculty of Foreign Languages at Kharkiv National University Karazina V.N.in Ukraine.

In this research, we will address the topic of lexical study through two axes:

The first of them is specific to the issues related to lexical study, which are many.We will focus in this research on four of them, which are:

Definition of "lexical study", types of "lexical study", controls and conditions for "lexical study", and problems and difficulties of "lexical study."

As for the second axis, it is specific to the roles of "lexical study" in mastering the learning and teaching of the Arabic language: it plays several roles, among which we mention: the role of identifying the entire linguistic material of a pronunciation, the role of recognizing all the explanations with which a pronunciation is explained, and the role of recognizing the semantic development of a pronunciation. And on the types of meanings and the nature of the relationships between them.

Keywords: lexical study, issues and roles, mastery of learning the Arabic language

تصميم البحث:

- مقدمة:
- 1- قضايا الدراسة المعجمية:
- 1-1- قضية تعريف "الدراسة المعجمية"
- 1-2- قضية أنواع "الدراسة المعجمية"
- 1-3- قضية ضوابط "الدراسة المعجمية" وشروطها
- 1-4- قضية مشاكل "الدراسة المعجمية" وصعوباتها
- 2- أدوار "الدراسة المعجمية" في إتقان تعلم اللغة العربية وتعليمها:
- 2-1- دور التعرف على مدار اللفظ
- 2-2- دور التعرف على كل الشروح التي شُرح بها اللفظ
- 2-3- دور التعرف على التطور الدلالي للفظ وعلى أنواع المعاني وعلى طبيعة العلاقات بينها
- خاتمة.

بيان الرموز والمختصرات:

أ = الأستاذ.، **أ.د.**= الأستاذ الدكتور. **ت** = توفي. **د** = الدكتور. **دة** = الدكتورة.

ص = صفحة. **ط** = طبعة. **م** = ميلادية. **هـ** = هجرية.

/ (بين رقمين) = حاجز على يمينه رقم جزء الكتاب، وعلى شماله رقم الصفحة.

- (بين رقمين) = عارضة على يمينها رقم الصفحة التي بدأت بها الإحالة، وعلى شمالها رقم الصفحة التي انتهت بها.

/ (بين حرف أو حرفين وكلمة) = حاجز على يمينه رمز المعجم، وعلى شماله المادة اللغوية.

مقدمة:

إن موضوع "**قضايا الدراسات الشرقية في أوكرانيا**" هو موضوع يُتوخى منه تكثيف البحث للتغلب على المشاكل المرتبطة بالدراسات الشرقية في المجالات العلمية المختلفة: اللغة، والترجمة، والأدب، والتاريخ، والثقافة، والسياسة، والاقتصاد، وطرق تدريس اللغات الشرقية، وما إلى ذلك... وقد اخترنا عنوان البحث:

"الدراسة المعجمية: -قضاياها وأدوارها في إتقان تعلُّم اللغة العربية وتعليمها-"

نهديه إلى محبي اللغة العربية، وعاشقي علومها، ومُقَدِّري جهود أعلامها وعلمائها في أوكرانيا...وكذا إلى كل من وضع لبنة في صرح المعاجم العربية، العامة والخاصة، اللغوية والاصطلاحية، سواء منهم

من نظَّر ووضع الأسس والقواعد، أو من اقتحم عقبة التأليف المعجمي، أفرادا ومؤسسات، أو من تتبع تلك الأعمال بالتقييم والتقويم.

على سبيل الاستهلال: حاولنا- قبل الدخول في صلب الموضوع- أن نوظف عناوين مجموعة من المعاجم العربية اللغوية والاصطلاحية توظيفا معينا، تم الحديث فيه عن طبيعة تلك المعاجم باستعمال بعض الألفاظ والعبارات الواردة في عناوينها، ووضعها بين مزدوجتين بخط مضغوط، ليكون ذلك تمييزا لها عن بقية الكلام. فقلنا(ينظر:أزهري،2020،ص: 13-15):

«إن "لسانَ العَرَب" هو البحْرُ الخِضَمُّ، و"المُحيطُ الأعظمُ"، يحْوي الكنوزَ الغالية، و"الجواهرَ" النَّفيسة، و"اللُّبَابَ الفاخر". وإنَّ مَن يقتحم غمرات ذلك "العُباب الزاخِر"، يمكن أن يستخرجَ منه اللؤلؤَ المكنون، والمرجان المَصُون، فينضّدَه، ليصنعَ منه "التاج"، ومظاهر "الزينة" التي يمكن أن تُجْلَى فيها "العروس"، يوم زفافها، مما قد يشكّل لها "مفتاح السعادة" الذي تحلم به كل مُقْبِلَةٍ على الزواج.

ويظن من لا شرب له من هذه "العَيْن" أن الرجوع إلى المعاجم مجرد ترف علمي؛ ولا يدري المسكين أنها من المصادر المهمة؛ إذ هي - على حد قول الأستاذ الدكتور أمجد الطرابلسي، رحمه الله تعالى-: ((المرجع الذي لا غنى عنه في كل بحث، مهما كان نوعه، بل هي المرجع الذي يستوي في الحاجة إليه الناشئُ المتعلِّمُ والباحثُ المنقِّبُ)) (الطرابلسي،1986 ص:9).

والمعاجم تختلف مادة:

- منها: "المخَصَّص في اللغة": اجتهد أصحابه في أن يكون باللغة "مُحيطا"، وبِ "صِحاح العربية" مُعْتَنِياً، فعمِلوا على جمع "مَتْنِها"، وواظبوا على "تهذيبها" من الشوائب، وبحثوا لها عن الضوابط و"المقاييس"، لتكونَ من الصنف "البارع في اللغة"، وتصبح بمثابة "المصباح المنير"، و"الأساس" المتين، المعتمَدَين من لدن "جمهرة" المهتمين، وتصيرَ "عُمدةَ الحفَّاظ".

- ومنها معاجم ارتأى أصحابها أن تكون **"لاصطلاحات العلوم والفنون" "كشافا"**، وتصير لِ **"المصطلحات والفروق اللغوية" "مفتاحا"**، مُوَضِّحةً مختلف **"التعريفات"**، مجتهدةً في **"التحقيق"**، لتصبح بمثابة **"دستور للعلماء"**، وبمنزلة **"الشمس للعلوم"**، وفي مقام البلسم الشافي، والدواء المُعَافي من **"الكُلوم"**

والمعاجم تختلف منهجا أيضا: فقد اجتهد مؤلفوها في جمع موادها، واعتنوا بمناهج تأليفها، وطرق ترتيبها؛ فكان منها "المجمَل"، وكان منها "المفصَّل"، و"الشامل". واختلفت أحجامها أيضا، فكان منها "الكبير"، و"المتوسط"، و"الوجيز". وحُرص فيها على أن تكون وِردا "صافيا" لكل من أقبل عليها.

1- قضايا "الدراسة المعجمية":

إن القضايا المرتبطة بالدراسة المعجمية كثيرة، نركز في بحثنا هذا على أربعة منها، وهي:

- أولا: قضية تعريف "الدراسة المعجمية".
- ثانيا: قضية أنواع "الدراسة المعجمية".
- ثالثا: قضية ضوابط "الدراسة المعجمية" وشروطها.
- رابعا: قضية مشاكل "الدراسة المعجمية" وصعوباتها.

نتناولها مفصلة على هذا النحو:

1 -1- قضية تعريف "الدراسة المعجمية":

"الدراسة المعجمية" ضميمةٌ وصفيةٌ مكونة من لفظين: أولهما هو "الدراسة"، وثانيهما هو "المعجمية"، فما المراد بكل واحد منهما؟ وما المراد بهما مركبين ذلك التركيب الوصفي؟

1-1-1- مفهوم "الدراسة":

1-1-1-1-معاني "الدراسة" لغة:

أصْلُ "الدراسة": ((الرِّيَاضةُ والتَّعَهُّد للشيء)) (ابن منظور،1970/درس) .وهي مصدر فعل "دَرَسَ". ويستعمل هذا الفعل لازما، فيقال: ((دَرَسَ الدارُ، معناهُ: بقيَ أثَرُها، وبقاءُ الأثرِ يقتضي انْحَاءَهُ في نفسه)). (الراغب، بدون تاريخ/درس).

ويستعمل متعديا، فتقول: ((درستُ الحنطةَ وغيرَها في سُنبُلها، إذا دُسْتَها. فهذا محمول على أنها جُعلت تحت الأقدام، كالطريق الذي يُدرَسُ ويُمشَى فيه)) (ابن فارس،1371هـ/درس). وجاء في (اللسان): ((ودرَسُوا الحنطة دِرَاساً، أي: دَاسُوها)) (ابن منظور، 1970/درس). ويقال: ((دَرَسَ دَرْساً البعيرَ وغيرَهُ: راضَهُ وذَلَّلَهُ، وهو الأصْلُ في المعنى)) (العاملي، 1959/درس).

1-1-1-2-مفهوم "الدراسة" اصطلاحا:

يمكن تجميع مفهوم "الدراسة" اصطلاحا، انطلاقا مما جاء من شروح فعل "دَرَسَ" متعديا إلى مفعول به واحد، ومما يمكن أن يُستنتج منها. قال ابن فارس: يقال: ((درسْتُ القرآنَ وغيرَه، وذلك أن الدارسَ **يَتَتَبَّعُ** ما كان **قرأ**، كالسالك للطريق يتتبَّعُه)) (ابن فارس، 1371هـ/ درس). وقال الراغب: ((درَسْتُ العلمَ: **تناولتُ أثره بالحِفْظ.** ولما كان تناول ذلك **بمداومة القراءة** عُبِّرَ عن إدامة القراءة **بالدَّرْس**)) (الراغب، بدون تاريخ/درس). وقال ابن منظور: ((دَرَسَ الكِتَابَ يدرُسُه درْساً ودراسةً ودَارَسَهُ، من ذلك، كأنه عاندَهُ حتى انقاد **لحفْظه**))(ابن منظور، 1970/درس). وتقول: ((درسْتُ الكِتَابَ أدرُسُهُ درساً، أي: **ذَلَّلْتُهُ بكثرة القراءة** حتى خفَّ حفظه عَلَيَّ)) (ابن منظور، 1970/درس). ومن ثم، فَ ((مصْدرُ دَرَسَ، بمعنى قَرَأَ، يجيء على الأصل درْساً، ومنه سُمِّيَ تعليمُ العِلم درْساً. ويجيء

على وزن **الفِعَالة: دراسة**، وهي زِنَةٌ تدل على معالجة الفعل، مثل: الكِتَابة والقراءة، إلحاقا لذلك بمصادر الصناعات، كالتجارة والخياطة)) (ابن عاشور، 1974، ص:296).

وقد عرّف الدكتور فريد الأنصاري "الدراسة"، فقال: ((هي ما نسميه بِـ (المرحلة التركيبية) من البحث العلمي. ونعني بها توظيف (النصوص) المقمّشة - بعد الانتهاء من إعدادها- في (تركيب) البحث، (مناقشةً)، و(استنتاجا)، لبناء التصورات، ووضع المقدمات، و(استنباط) النتائج، ونقض الآراء، وما شابه ذلك، حتى تقوم (المباحث) و(الفصول) و(الأبواب) بالفعل)). (الأنصاري ، 2013، ص: 218).

وعليه، فالدراسة، اصطلاحا، هي ((**قراءةٌ بإعادةٍ وتكرير**))، من أجل الإحاطة بالموضوع وتَقَصّي ما فيه، بُغية فهمه الفهمَ السليم، واستيعابِه استيعابا جيدا، والتمكن منه للخروج بالخلاصات والنتائج الجيدة، ولذلك يقال: ((دَرَسَ الكِتَابَ، إذا **قرأه بتمهُّل لحفظه، أو للتدبر**)). قال محمد الطاهر ابن عاشور: ((ومادة درس تستلزم التمكُّن من المفعول، فلذلك صار **دَرْسُ الكِتَاب مجازا في فهمه وإتقانه**)) (ابن عاشور، 1974، ص:296).

والذي يعنينا من تلك الشروح أن الدراسة تقتضي القراءات الكثيرة، في تمعن وتدبر، بغية الفهم والاستيعاب والتمكن من المدروس. وقد قال الدكتور مصطفى فوضيل، في هذا الصدد: ((يمكن اعتماد هذا المعنى في موضوعنا من جهة كون **إدامة القراءة** للنص الواحد مرات متعددة سبيلا إلى **الكشف عن مكنوناته ومكوناته**)) (فوضيل، 2005،ص:42).ومن ثم، فالدراسة، بالمفهوم العام، عملية مركبة من مهارات عدة، هي:

- القراءات المتعددة الفاحصة المدققة المتمعنة المتأنية.
- الكشف والوصف.
- الفهم والاستقراء.
- التحليل والتعليل.
- الشرح والتفسير.
- الاستنباط والاستنتاج.

1-1-2- مفهوم "المعجمية":

"المعجمية": ((هي الدراسة المتعلقة بالمعجَم)) (القاسمي ،2014،ص: 41)؛ لذا، يتعين علينا تعريف "المعجم"، لغة واصطلاحا.

1-1-2-1-معاني "المعجم" لغة:

"المعجَم": اسم مفعول من "الإعجام"، وهو أحد مشتقات مادة (ع.ج.م). وقد ورد الإعجام بمعنيين متضادين، هما:

أولا: الإعجام: هو ((الإبهام)) ؛ ومنه: ((بابٌ مُعْجَمٌ: مُبْهَمٌ)) وتقول: ((أَعْجَمْتُ الكلامَ، ضد أَعْرَبْتُ)) ويقال: "الأَعْجَمُ": ((مَن في لسانه عُجْمَة)) (الراغب، بدون تاريخ/عجم)؛ أو ((الذي في لسانه حُبْسَة، وإنْ كان عربيا))(ابن منظور، 1970/عجم)؛ أي: ((الذي لا يُفْصِحُ ولا يُبين كلامه)) (ابن منظور، 1970/عجم)؛ و((العُجْمَةُ: خِلافُ الإبانة)) (الراغب، بدون تاريخ/عجم).

ثانيا: الإعجام: هو: التبيين والإيضاح. تقول: ((أَعْجَمْتُ الكتابَةَ: أَزَلْتُ عُجْمَتَها)) (الراغب، بدون تاريخ /عجم).

وقد بين ابن جني كيف تم الانتقال في تحديد المراد بالمعجَم من المعنى الأول إلى المعنى الثاني، فقال، تحت عنوان: "باب في السلب":((اِعْلَمْ أن كل فِعل أو اسم مأخوذٍ من الفعل أو فيه معنى الفعل فإن وضع ذلك في كلامهم على إثبات معناه لا سلبهم إيّاه...ألا ترى أن تصريف(ع.ج.م) أين وقعت في كلامهم، إنما هو "الإبهام"، وضد البيان...ثم إنهم مع هذا قد استعملوا ألفاظا من كلامهم من الأفعال ومن الأسماء الضامنة لمعانيها في سلب تلك المعاني لا إثباتها... ثم إنهم قالوا: أعجمتُ الكتابَ، إذا بيَّنتُهُ وأوضحتُهُ، فهو إذن لسلب معنى الاستبهام، لا إثباته)) (ابن جني، 1957، ص:75- 76).

1-1-2-2-: مفهوم " المعجم"[1] اصطلاحا:

"المعجم": هو الاسم الذي يسمى به الكتاب الخاص الذي يجمع عددا من الألفاظ اللغوية أو الاصطلاحية، مرتبة ترتيبا معينا حسب المنهج الذي ارتضاه صاحب المعجم، مصحوبة بشروحها وتعريفاتها. قال الدكتور علي القاسمي، مثلا، في تعريفه: هو ((كتابٌ مخطوط أو مطبوع أو محوسَب، يحتوي على ألفاظ منتقاة، تُرتَّبُ وفق نظام معيَّن، مع معلومات ذات علاقة بها، سواءٌ أُعطيت تلك المعلوماتُ باللغة ذاتها (المعجم الأحادي اللغة)، أم بلغة أو لغات أخرى (المعجم الثنائي أو الثلاثي اللغة أو المتعدد اللغات).)). (القاسمي،2014، ص:41).

1-1-3-مفهوم الدراسة المعجمية:

يقصد بالدراسة المعجمية، هنا، دراسة معنى اللفظ أو معانيه المختلفة في المعاجم اللغوية، أولا، ثم في المعاجم الاصطلاحية، ثانيا، قديمها وحديثها على السواء.

1 -2- قضية أنواع "الدراسة المعجمية":

[1] - المقصود هنا هو المعجم اللغوي، ومعجم المصطلحات. ويستثنى من هذا التعريف بقية المعاجم الأخرى، مثل: معاجم البلدان، أو الأعلام، أو الاستشهادات، أو ما إلى ذلك...

يتبين من التعريف السابق أن الدراسة المعجمية للمصطلح تنقسم إلى نوعين، هما:

1-2-1- الدراسة المعجمية اللغوية:

ومن أهم مصادرها: المعاجم اللغوية العربية العامة[2]، وما في حكمها، ومنها القديم والحديث. وهي تختلف مادة ومنهجا، ومن ثم، وجب على الدارس المعجمي الرجوعُ إليها بأجمعها، من أجل الوقوف على كل الشروح التي شُرح بها اللفظُ في أصله اللغوي، أو أصوله إن تعددت، ودراستُها ((دراسةً تبتدئ من أقدم ما اعتُمد عليه منها مسجِّلةً أهم ما فيه، وتنتهي بأحدث ما اعتُمدَ عليه منها مسجِّلة أهم ما أضاف)) (البوشيخي، 1982، ص: 16).فمن المعاجم اللغوية القديمة، مثلا:

- (معجم العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت.175هـ).
- و(جمهرة اللغة) لابن دريد: محمد بن الحسن: (ت.321هـ).
- و(البارع في اللغة) لأبي علي القالي (ت.356هـ).
- و(تهذيب اللغة) للأزهري: أبي منصور محمد بن أحمد (ت.370هـ).
- و(المحيط في اللغة) للصاحب بن عباد (ت. 385هـ).
- و(تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري (ت.393هـ).
- و(معجم مقاييس اللغة)، و(المجمل في اللغة) لأحمد بن فارس (ت.395هـ).
- و(المحكَم والمحيط الأعظم) لابن سِيدَه: أبي الحسن علي بن إسماعيل (ت.458هـ).
- و(مفردات ألفاظ القرآن) للراغب الأصفهاني (ت. 503هـ).
- و(أساس البلاغة)، للزمخشري (ت.538هـ).
- و(مختار الصحاح) للرازي (ت. 666هـ).
- و(لسان العرب) لابن منظور (ت. 711هـ).
- و(القاموس المحيط) للفيروزآبادي (ت.817هـ).
- و(تاج العروس) للشيخ مرتضى الزبيدي (ت. 1205هـ).
- وغيرها ومن المعاجم اللغوية الحديثة، مثلا:
- (معجم متن اللغة) لأحمد رضا العاملي (ت. 1372هـ).

[2] - هذا إذا كانت المصطلحات المدروسة كلها ذات أصل عربي! أما إذا كانت منقولة بألفاظ معرَّبة، أو مترجمة ترجمة لفظية حرفية، كالسوسيوكريتيك، والهرمونتيك، والكلاسيك، وغيرها... ففي هذه الحال لا حديث مع تلك الألفاظ بالعربية، ويتعين على الدارس الرجوع إلى أصولها الغربية، كما هي عند أهلها، وكما هي في مصادرهم ومعاجمهم!

- و(المعجم الكبير) لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، و(المعجم الوسيط)، و(المعجم الوجيز) للمجمع نفسه.

- و(معجم الفرائد) للدكتور إبراهيم السامرائي.

و(المعجم الصافي في اللغة العربية) لصالح العلي الصالح وأمينة الأحمد.

- وغيرها...

إن هذا التتبع المستوعب للشروح التي شُرح بها اللفظ في أصله اللغوي يأتي من كون المعاجم اللغوية ((متكاملةً متساندة. ومن مظاهر تكاملها:

1 - أن يكون في بعضها تعميم، وفي بعضها تخصيص.

2 - أن يكون في بعضها معنى حسي أو وضعي، وفي بعضها معنى عقلي أو مجازي.

3 - أن يكون اللفظ قد شُرح في بعضها بما يكمِّل ما شُرح به في بعضها الآخر)) (اليعقوبي، والهاشمي، 1999، ص: 1-2).

1-2-1-2- الدراسة المعجمية الاصطلاحية:

وتتعدد مصادرها، إلا أن أهمها هو المعاجم الاصطلاحية، العامة والخاصة، القديمة والحديثة، وما في حكمها. فمن المعاجم الاصطلاحية القديمة، مثلا:

- (كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية) للرازي: أبي حاتم أحمد بن حمدان (ت. 322هـ).

- و(شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكُلوم) لنشوان بن سعيد الحميري (ت. 573هـ).

- و(كتاب التعريفات) لعلي بن محمد الجرجاني (ت. 810هـ).

- و(مفتاح السعادة ومصباح السيادة) لطاش كبرى زادة: عصام الدين أبي الخير أحمد بن مصطفى (ت. 968هـ).

- و(التوقيف على مهمات التعاريف) لمحمد عبد الرؤوف المناوي (ت. 1031هـ).

- و(الكليات) لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت. 1094هـ).

- و(كشاف اصطلاحات الفنون) لمحمد بن علي التهانوي (ت. 1158هـ).

- و(جامع العلوم في اصطلاحات الفنون) الملقب بـ (دستور العلماء) لعبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (كان معاصرا للتهانوي).

- وغيرها...

ومن المعاجم الاصطلاحية الحديثة، مثلا:

- (المعجم الأدبي) لجبور عبد النور.
- و(معجم النقد العربي القديم) للدكتور أحمد مطلوب.
- و(الشامل: معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها) لبلال جنيدي.
- و(معجم علوم اللغة العربية (عن الأئمة)) للدكتور محمد سليمان عبد الله الأشقر.
- و(معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب) لمجدي وهبة وكامل المهندس.
- و(معجم المصطلحات اللغوية) للدكتور رمزي منير بعلبكي.
- وغيرها...

وقد بين الدكتور الشاهد البوشيخي أنه لا ينبغي الاقتصار - في الدراسة المعجمية- على معجم واحد، أو على بعض المعاجم فقط، بل ينبغي الاجتهاد في الرجوع إلى أكبر عدد منها مع الاستعانة بكل ما يؤدي وظائفها، مما يعتبر في حكم المعاجم؛ وذلك لأن ((المعاجم اللغوية - على كثرتها- اهتمت، أو كادت لا تهتم، إلا بلغة بعض القرون، وهو تراث أعلامٍ ومدارسَ واتجاهاتٍ وعلومٍ وفنون وصناعات، و"لكل صناعة ألفاظ"، و"لكل قوم ألفاظ"، كما قال أبو عثمان الجاحظ. والمعاجم الاصطلاحية - على قلتها- لم تُعْنَ، أو كادت لا تعنى، إلا برأي الجمهور في اصطلاحات العلوم والفنون)) (البوشيخي، 2010، ص: 27-29).

وهكذا، فمن **المصادر التي في حُكْم المعاجم اللغوية**:

1- **كتب تفسير القرآن الكريم**، مثل: (جامع البيان في تأويل آي القرآن) لمحمد بن جرير الطبري (ت. 310هـ)، و(تفسير القرآن العظيم) للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير (ت. 774هـ).

2- **كتب شرح الحديث النبوي الشريف**، مثل: (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) لأبي زكريا يحي بن شرف النووي (ت. 676هـ)، و(فتح الباري شرح صحيح البخاري) لابن حجر العسقلاني (ت. 852هـ).

3- **كتب الأشباه والنظائر**، مثل: (كتاب الأشباه والنظائر) لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت. 771هـ)، و(كتاب الأشباه والنظائر) لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت. 911هـ).

4- **كتب المترادفات اللغوية**، مثل: (الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى) لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت. 382هـ)، و(المنجد في المترادفات والمتجانسات)، لرفائيل نخله، و(معجم المترادفات العربية)، لغريد الشيخ.

ISSN : 2625 - 8943

5- **كتب الأضداد**، مثل (كتاب الأضداد) لقطرب: أبي علي محمد بن المستنير (ت. 210هـ)، و(ثلاثة كتب في الأضداد) للأصمعي: عبد الملك بن قريب. ت. نحو 216هـ) و السجستاني: أبي حاتم سهل بن محمد (ت. 255هـ)، وابن السكيت: أبي يوسف يعقوب بن إسحاق. ت. 242هـ، و(كتاب الأضداد) لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (ت. 351هـ).

6- **كتب الفروق**، مثل (الفَرْق في اللغة) لقُطرب (ت.210هـ)، و(الفروق في اللغة)، لأبي هلال العسكري (ت. 395هـ)، و(كتاب الفَرْق) لأحمد بن فارس (ت.395هـ).

7- **كتب النوادر**، مثل (كتاب النوادر في اللغة)، لأبي زيد الأنصاري (ت.215هـ).

8- **كتب شرح الشعر**، مثل،(شرح الصولي لديوان أبي تمام) لأبي بكر الصولي (ت. 335هـ)، و(شرح الأشعار الستة الجاهلية) لعاصم بن أيوب البطليوسي (ت. 494هـ).

9- **كتب شرح الأمثال**، مثل، (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال)، لأبي عُبَيْد عبد الله البكري (ت. 487هـ)، وهو شرح لكتاب الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت. 224هـ).

10- **كتب شرح المقامات**، مثل،.(شرح مقامات الحريري) لأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي (ت. 619هـ).

11- وغيرها...

ومن المصادر التي في حكم المعاجم الاصطلاحية: ((كتب العلوم ذات القيمة المصطلحية الكبرى، مثل مقدمة ابن الصلاح في علم مصطلح الحديث الشريف، وبعض مصادر البلاغة العربية المتأخرة، وبعض كتب الحدود في النحو والأصول والفقه...الخ)) (اليعقوبي،2006 ، ص: 33).. ومنها أيضا:

- مفاتيح العلوم، للخوارزمي.
- ومفتاح العلوم للسكاكي وغيرها.

1-3- قضية ضوابط "الدراسة المعجمية" وشروطها:

1-3-1- ضوابط "الدراسة المعجمية":

ينبغي أن تخضع الدراسة المعجمية لبعض الضوابط، حتى تؤدي أهدافها ومن تلك الضوابط:

1-ضرورة مراعاة الأمانة العلمية أثناء نقل النصوص من المعاجم اللغوية والاصطلاحية. ويكون ذلك بما يلي:

- عزو الكلام إلى قائليه.
- عدم التصرف في النصوص بالزيادة أو الحذف بدون إشارات مميزة.

- عدم استبدال كلمات بأخرى، أو صيغ تركيبية بأخرى.

2- ضرورة شكل النصوص اللغوية، وخاصة ما يحتمل أن يُقرأ قراءات متعددة قد تخل بالكلام أحيانا.

3- ضرورة مراعاة التسلسل الزمني أثناء عرض الشروح، انطلاقا من الأقدم دوما، بهدف تتبع التطور التاريخي الذي قد يعرفه تعدد الدلالات.

4- ضرورة الاقتصار على ما يحقق المطلوب من الدراسة المعجمية، من غير زيادة ولا نقصان، وذلك بأن ((يُنتقى من الشروح أدقُّها وأجمعها وأقدمها)) ، مع العناية في المفاهيم الاصطلاحية بما ((يُظن أن منه أو من بعضه أُخِذت الدلالة الاصطلاحية)) (البوشيخي، 1982،ص: 18).

1-3-2-شروط الدراسة المعجمية:

تشترط في الدراسة المعجمية مجموعة من الشروط، جمعها الدكتور. مصطفى اليعقوبي في خمسة، هي: الاستيعاب، والتدرج، والتكامل، والاقتصار على ما يفي بالحاجة، والتوثيق. (ينظر:اليعقوبي،2006،ص:34-37). ومن ثم، أصبحت الاستفادة من كل الكتب التي هي في حكم المعاجم ملحة، قديما وحديثا، من أجل التغلب على أي نقص موجود في تلك المعاجم.

1-4- قضية مشاكل "الدراسة المعجمية" وصعوباتها:

تتعدد المشاكل التي تعترض الدارس في مرحلة الدراسة المعجمية، إلا أن أهمها:

1-4-1- المشاكل الموضوعية: ومنها:

- مشكلة الإعداد العلمي الجيد للمعاجم وما في حكمها. وتلك لعمري مشكلة عامة يعاني منها من يشتغل على النص التراثي بصفة عامة. وهي التي يسميها الدكتور الشاهد البوشيخي: "معضلة النص". (ينظر: البوشيخي، 1998،ص:5- 12). وهي معضلة تشكل حاجزا كبيرا، هو ((حاجز المعجم اللغوي العربي الذي ما زال ينتظر الحسم في معضلة النص، لإعادة بنائه موثَّقا مدقَّقا مؤرَّخا)) (البوشيخي، 2002، ص: 15).

ومن صورها:

أ- عدم الفصل بين كلام صاحب المعجم، وكلام غيره ممن نقل عنهم.

ب- عدم التمييز بين النقول الحرفية، والنقول التي تصرف فيها صاحب المعجم.

ومن نماذج المشكلتين معا ما وجدناه في هذا المعجم، مثلا: ((قال اللَّيْثُ: رَجُلٌ عَزِقٌ، أي في خُلُقِه عُسْرٌ وبُخْلٌ. قال: والعَزْوَقُ: حَمْلُ الفُسْتُق في السَّنَة التي لا يَنْعَقِدُ لُبُّه، وهو دِبَاغٌ. قال: وعَزْوَقَتُه: تَقَبُّضُه)).(الأزهري،1966 /عزق) ومنه أيضا: ((أبو عبيد عن الأصمعي: أَزْعَقْتُه فهو مَزْعُوقٌ، ومعناه:

المذعُور، في باب أفْعَلْتُه فهو مفعُولٌ. قال: وقال الأموي: زَعَقْتُهُ، بغير ألِف، فَانْزَعَقَ، أي: فَزِعَ)) (الأزهري، 1966 /زعق)، فقارئ هذه النصوص وغيرها عليه أن يتثبت حتى لا يخلط بين كلام الأزهري، وكلام من نقل عنهم: الليث، والأصمعي، والأموي...

ج- عدم ذكر تواريخ وفيات بعض الأعلام الذين أخذ عنهم صاحب المعجم، مما يصعّب على الدارس رصد التطور الدلالي والمفهومي للفظ أو للمصطلح المدروس في المعجم، وهو ما يجعله يخوض في أمر تحديد تواريخ أولئك الأعلام، في كتب التراجم، وكتب الطبقات، وما إلى ذلك... وهو ما يزيده عبئا جديدا هو في غنى عنه أصلا.

د- عدم تحديد أسماء من قال ببعض التعريفات والشروح، والاكتفاء بما يلي:

- بذكر بعض العبارات المبهَمة، من قبيل: "قال قوم"، و"قال آخرون"، وغير ذلك...

- بذكر بعض الألفاظ والعبارات العامة، مثل: "النحاة"، و"الفلاسفة"، و"أصحاب العروض"، و"علماء الكلام"، وغير ذلك... جاء في (الكليات)، مثلا: ((الالتزام: هو في اصطلاح البديعيين: أنْ يلْتزِم النّاثرُ في نَثْره والنّاظِمُ في نظْمه بحَرْف قَبْلَ حرْف الرَّوِيّ، أو بأكثر من حرْف، بالنسبة إلى قدرته مع عدم التكلف)) (الكفوي، 1992/الالتزام).

فعلى الرغم من إصدار مجموعة من المعاجم اللغوية والاصطلاحية، في طبعات يشار في أغلفتها إلى كون المعجم محققا، إلا أننا لا نجد في كثير منها الفهارس والكشافات الضرورية التي يكون من أهدافها تسهيل الاستفادة منها بالنسبة للدارس.

1-4-2-المشاكل الذاتية:

وأغلبها ناجم عن انعدام التثبت، أو قلته، مما قد يتسبب في:

أ- نقل النصوص نقلا فيه خلل ما ناتج عن بتر، أو تحريف، أو تصحيف، وهذا أمر ينطبق عليه ما قاله العطار في مقدمة تحقيقه لمعجم (الصحاح). فقد يسقط الدارس في ((التصحيف والتحريف لبعض الشعر أو المواد اللغوية أو الأعلام، أو نسبتِه قولَ إمام إلى إمام آخر، ونقلِه أقوالَ العلماء بغير دقة...)) (العطار، 1377هـ (ج: 1،ص:24).

ب- القيام بإسقاط الدلالات غير الصحيحة.

وهذه أمور لن تسمح للدارس بالإحاطة بالمراد بالدقة المطلوبة.

2- أدوار "الدراسة المعجمية" في إتقان تعلم اللغة العربية وتعليمها:

تلعب "الدراسة المعجمية" أدوارا عدة في إتقان تعلم اللغة العربية وتعليمها، نذكر منها هذه الأدوار:

-أولا: دور التعرف على مدار المادة اللغوية للفظ:

- ثانيا: دور التعرف على كل الشروح التي شُرح بها اللفظ:
- ثالثا: دور التعرف على التطور الدلالي للفظ وعلى أنواع المعاني وعلى طبيعة العلاقات بينها:

ونتتبع هذه الأدوار بشيء من التفصيل على هذا النحو:

2-1- دور التعرف على مدار المادة اللغوية للفظ:

والمراد بالمدار هو المعنى المحوري العام للجذر اللغوي للفظ المدروس. وهو الذي عبر عنه بعض اللغويين وأصحاب المعاجم بـ: "الأَصْل"، ومنهم على وجه الخصوص: أحمد بن فارس، والراغب الأصفهاني.

ويكون الوقوف على المدار بالرجوع إلى الجذر اللغوي، ثم التعرف على أصله العام في اللغة، وضبط ما إذا كان ذلك الأصل واحدا، أو اثنين، أو أكثر. وهذه هي الطريقة المباشرة التي اتبعها أحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة. يقول، مثلا: ((الحَاءُ والدَّالُ والثَّاءُ أَصْلٌ واحِدٌ، وهو كَوْنُ الشيء لم يَكُنْ. يقال: حَدَثَ أَمْرٌ بَعْدَ أن لم يَكُنْ)) (ابن فارس، 1371هـ/حدث).

ويسهل، انطلاقا من هذه الطريقة، إدراك مدار المادة، بينما يُحتاج في إدراكها، من خلال المعاجم الأخرى، إلى قراءة المادة اللغوية كلها، من بدايتها إلى نهايتها، ليتسنّى استخراج الأصل العام الواحد، أو الأصول المتعددة. و((القصدُ في ذلك تبيّن أصل استعمال المادة لغة...سعيا وراء ضبط منبع دلالة اللفظ، حتى لا يضل[3] في متاهات المجازات التي ربما تحجب عنه أساس الاستعمال الذي هو القصد من طَرْق أبواب المعاجم)) (الأنصاري، 2013، ص: 183).

2-2- دور التعرف على كل الشروح التي شُرح بها اللفظ:

توجد ألفاظ عدة تتعدد معانيها اللغوية كثيرا، وعلى الدارس أن يتتبع كل الشروح التي شُرحت بها، ثم يقتصر على ما يفي بحاجة البحث، وذلك بأن يختار من ((الشروح أدقها وأجمعها وأقدمها))، وأن ينتقي من الدلالات ((ما يُظَنُّ أن منه، أو من بعضه أُخِذت الدلالة الاصطلاحية)) (البوشيخي، 1982،ص: 18، والبوشيخي، 1993 ص: 13). وفي ذلك ما فيه من دقة وضبط، وتجنب للحشو والتطويل.

أما أن يورد الدارس مجموع الشروح - بما فيها تلك التي لا علاقة لها بمأخذ المصطلح- فهو أمر ينبغي أن يُتجنب. إن التقيد بهذا الأمر سيجنب الدراسة لا محالة شر أحد الحدين المذمومين: الاختصار المخل، والحشو الممل. ويكون ذلك من خلال تتبع التعريفات التي عُرِّف بها المصطلح، سواء في معاجم اللغة، أو في معاجم الاصطلاح العامة والخاصة، من أجل الوقوف على المفهوم الجديد أو

[3] - يعود ضمير الغائب هنا على: "الباحث".

المفاهيم الجديدة التي اكتسبها المصطلح، بعد أن أُخِذ من دلالته اللغوية الأولى ليفيد مفهوما معينا في عِلم من العلوم، أو فن من الفنون.

ولا بد من التأكيد، هنا، على أن المقصود بمعرفة شروح المصطلح، لا يعني إسقاطها البتة، كما هي، بل يُتوخّى منها مجرد الاستئناس بها، من أجل إضاءة المفهوم الاصطلاحي الخاص للمصطلح المدروس، من خلال النص المدروس، في انتظار ما ستسفر عنه الدراسة النصية أولاً، والدراسة المفهومية ثانياً، إذ ((كُلُّ إناءٍ يَرْشَحُ بما فيه)) (الميداني، 1988،ج: 2، ص:192). والإسقاط الذي ينبغي أن نحذَره قد يكون:

أ - إسقاط مفهوم خاص: ورد لدى عالم بعينه، أو في كتاب معيّن، أو في فترة زمنية سابقة لزمن المتن المدروس أو تالية له، على النص المدروس مصطلحُه، مع كونه لا يفيد المفهوم نفسه.

ب - إسقاط مفهوم خاص في علم من العلوم على علم آخر مختلف عنه: فلا ينبغي، مثلا، أن نُسقط مفهوم مصطلح ما في علم التنجيم، ونحن نبحث عن مفهومه في أصول الفقه. جاء في تعريف مصطلح "الغريب"، مثلا: ((وهو يُطلَق على معان، منها: الكوْكب الواقع في موضع لا حظّ له فيه، وهذا مصطلح المنَجّمين. ومنها ما هو مصطلح أهل العروض، وهو البحْر الذي وزنه "فاعلن" ثماني مرات... ومنها ما هو مصطلح أهل المعاني، قالوا: الغرابة: كون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة الاستعمال...، ومنها ما هو مصطلح الأصوليين: وهو وصْف ثبت اعتبار عينه في عين الحكم بمجرد ترتُّب الحُكم وفْقَه...، ومنها ما هو مصطلح المحدّثين، وهو حديث يتفرّد بروايته شخص واحد في أي موضع وقع التفرد من السَّنَد...)) (الكفوي،1992/ الغريب) ؛ ولذلك قال الدكتور عبد العالي الودغيري: إنه ((كثيرا ما يحدُث أن يداول اللفظَ الواحد عددٌ من المتخصصين في علوم مختلفة، فيعطيه كل واحد منهم دلالة مخالفة لما عند الآخَر)) (الودغيري، 1989، ص: 194).

2-3- دور التعرف على التطور الدلالي للفظ وعلى أنواع المعاني وعلى طبيعة العلاقات بينها:

ويكون ذلك بتتبع اللفظ المدروس من خلال المعاجم القديمة والمتأخرة، وحصر دلالاته المختلفة، حتى يصبح بإمكان الدارس - بعد ذلك - أن يتبيَّن ما عرفه اللفظ من تطور دلالي، فيميّز بين ما يلي:

- بين المعنى الحسي والمعنى العقلي.
- وبين المعنى الوضعي والمعنى المجازي.
- وبين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي.
- وبين المعنى الأصلي والمعنى الفرعي.(ينظر: البوشيخي،1982،ص: 18).
- وبين المعنى العام والمعنى الخاص.

ولا يخفى أن الغرض من هذا التتبع، بهذا التفصيل، هو التدقيق والضبط. وهذا الأمر سبق أن أكد عليه الدكتور أمجد الطرابلسي، حينما قال: ((لمعاجم الألفاظ في اللغة العربية- ولاسيما الكبيرة منها- فوائد أخرى لا سبيل إلى إحصائها هنا، يعرفها المتمرِّس بهذه المعاجم حق المعرفة، منها: ضبط الألفاظ، والاطلاع على تطوّر معاني المفردات من عصر إلى آخر)).(الطرابلسي،1986،ص:11).

ومن ثم، يتحتّم على الدارس المعجمي ألا يُغفل أي نوع من أنواع المعاني التي يبدو أن منها تم أخذ المفهوم الاصطلاحي الواحد، أو المفاهيم الاصطلاحية المتعددة لنفس المصطلح.

وعليه، فالدراسة المعجمية تقفنا على مأخذ المصطلح: أي التعرف على المعبَر الذي عبرت منه الدلالة اللغوية، ليصبح لها مفهوم اصطلاحي في مجال علمي ما. وهذا مطلب أساس في الدراسة المعجمية.

ونتيسر معرفة مأخذ المصطلح بحسن إدراك ما يلي:

أولا: طبيعة العلاقة بين الدلالة اللغوية والمفهوم الاصطلاحي:

إن الدراسة المعجمية للمصطلح، من خلال المعاجم المختلفة، تمكننا من التعرف على العلاقات الموجودة بين المصطلح وبين أصله اللغوي. فقد اشترط العلماء فيه نوعا من المناسبة. قال الجرجاني: ((**الاصطلاح**: إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر **لمناسبة** بينهما)) (الجرجاني، 1983/الاصطلاح). وبيّن التهانوي بعض أنواع هذه المناسبة، فقال معرفا الاصطلاح: ((هو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم، بعد نقله عن موضوعه الأول لمشابهة بينهما، كالعموم والخصوص، أو لمشاركتهما في أمر، أو مشابهتهما في وصف، أو غيرها)) (التهانوي، 1947/ الاصطلاح).

وهكذا يتبين أن المفاهيم الاصطلاحية ((التي يتلقاها المخاطَب تكون مؤسسة على المعاني اللغوية، علما بأن المعاني اللغوية مغروزة في مداركه العقلية)) (عبد الرحمان، 1994، ص: 288)؛ ولذلك تظل العلاقة وطيدة بينهما .إن العلاقة بين المفهوم الاصطلاحي والمعنى اللغوي إما أن تكون ظاهرة، وإما أن تكون خفية:

-1- العلاقة الظاهرة:

ويقصد بها تلك العلاقة الواضحة بين الدلالتين: اللغوية والاصطلاحية، إذ يمكن الوقوف عليها بسهولة ويسر، وذلك للتقارب الشديد فيما بينهما. ونمثل لهذا اللون من العلاقة بمصطلحَي: "الرِّوَايَة" و"الرَّاوِيَة". قال ابن فارس في المقاييس ((الرَّاءُ والوَاوُ والياءُ أَصْلٌ واحد، ثم يُشْتَقُّ منه. فالأصل: ما كان خِلاف العَطَش، ثم يُصَرَّفُ في الكلام لحامل ما يُرْوَى منه. فالأصل: رَوِيتُ مِن الماء رِيًّا...وهو رَاوٍ من قَوْم رُواة: وهم الذين يأتون بالماء...ثم شُبِّه به الذي يأتي القومَ بعِلْمٍ أو خَبَر فيرويه، كأنه أتاهم

بريّهم من ذلك))؛ (ابن فارس، 1371هـ/ روي)؛ ومنه: ((رِواية الحديث والشِّعْر: دَرْسُكَ إيَّاه))(ابن دريد، 1351هـ/روي). والرَّاوية: ((البَعيرُ أو البغْل أو الحِمَار الذي يُسْتَقَى عليه الماء، والرَّجُل المُسْتقِي أيضا ...والمَزادة فيها الماء)) (ابن منظور، لسان العرب/روي).

فالعلاقة بين المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي- هنا - واضحة، تتجلى في حَمْل شيء ما: هو في المعنى اللغوي أمر محسوس: الماء، وهو في المفهوم الاصطلاحي أمر معنوي: العِلْم وما شاكله. ومن ثم لُقِّب الرجُل الذي يحمل العِلم أو الشِّعْر أو الحديث راوية، على غرار البعير الذي يحمل الماء. قال الجاحظ: ((الرَّاوية: هوالجَمَل نفسه. وهو حامل المزادة، فسُميت المزادةُ باسم حامل المزادة. ولهذا المعنى سمَّوا حامل الشِّعر والحديث راوية)) (الجاحظ، بدون تاريخ:ج:1، ص:333).

2- العلاقة الخفية:

والمقصود بها تلك العلاقة التي لا تتضح للوهلة الأولى، بل تتطلب وقفات عديدة ومتأنية من أجل التوصل إلى إدراكها. ويكون خفاؤها نتيجة أحد شيئين:

أ - إما لكون العلاقة بينهما بعيدة: بحيث لا تُدرك إلا بصعوبة كبيرة. ونمثل لذلك بمصطلح "الشِّعر". فالعلاقة بين دلالتَيْه: اللغوية والاصطلاحية لا تكاد تبدو إلا للدارس الحصيف المدقِّق. جاء في كتاب ((البوشيخي، 1993، ص:99): ((تدور مادة (ش.ع.ر) في المعاجم على أصلين، ((يدل أحدهما على ثَبَات، والآخَر على عِلْم وعَلَم، فالأول: الشَّعْر معروف والواحدة شَعْرة... والباب الآخَر: الشِّعَار الذي يَتَنَادى به القوم في الحَرْب، ليَعْرِف بعضُهم بعضا. والأصل قولهم: شَعَرْتُ بالشيء: إذا عَلِمْتَهُ وفَطِنْتَ له)).

وقد علق الدكتور الشاهد البوشيخي، بهذا الصدد، على ما جاء في معاجم اللغة، فقال: ((والظاهر- بعد التأمل - أن الأصل الحسي الذي تطورت منه المادة كلها هو شَعْر الجَسَد)) (البوشيخي، 1993، ص: 99).

ب - وإما لاختلاف العلماء في إبراز حقيقة تلك العلاقة: ذلك أن كل عالم يجتهد اجتهادا، في محاولة الربط بين المفهوم الاصطلاحي وأصله اللغوي. فتكون النتيجة أن يُرجّح هذا العالِم دلالة لغوية ما ليست هي نفسها عند العالم الآخر.

خاتمة:

حاولنا في هذا البحث بيان المراد بالدراسة المعجمية، والوقوف عند بعض قضاياها، وإبراز الأدوار التي تلعبها في مجال تعلم اللغة العربية وتعليمها. والله الموفق للصواب.

ISSN : 2625 - 8943

لائحة المصادر والمراجع:

- ابن جني، أبو الفتح عثمان ،الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية (القسم الأدبي)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1376هـ / 1957م.
- ابن دريد، الأزدي، جمهرة اللغة، طبعة بالأوفست، مكتبة المثنى، بغداد، (مصورة عن الطبعة: 1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، تصحيح محمد بن يوسف السورتي وزين العابدين الموسوي ثم المستر سالم الكرنكوري، 1344 / 1351هـ).
-ابن عاشور، لمحمد بن الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- ابن فارس ،أحمد ،معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة: 1، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي، القاهرة، 1366هـ/1371هـ.
- ابن منظور، لسان العرب = لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، مطابع أوفست تكنوبريس الحديثة، بيروت، 1389هـ / 1970م.
- أزهري، محمد، تجارب في تأليف المعاجم الاصطلاحية- جهود بعض المؤسسات والأفراد، سلسلة الدراسة المصطلحية، رقم: 2، منشورات جامعة السلطان مولاي سليمان، المملكة المغربية، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، الطبعة:1، 2020م.
- الأزهري، أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: يعقوب عبد النبي، مراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1966م، (سلسلة تراثنا).
-الأنصاري، فريد، أبجديات البحث في العلوم الشرعية: "محاولة في التأصيل المنهجي"، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة: 3، 1434هـ/2013م.
- البوشيخي، الشاهد مصطلحات نقدية وبلاغية = مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيُّن للجاحظ، الطبعة: 1، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1402هـ/1982م.
- البوشيخي، الشاهد ،مصطلحات النقد العربي = مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين: قضايا ونماذج، الطبعة: 1، دار القلم، تصفيف دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1413هـ / 1993م.
- البوشيخي، الشاهد،"البحث العلمي في التراث ومعضلة النص". بحث منشور ضمن أعمال ندوة: "تحقيق التراث المغربي الأندلسي- حصيلة وآفاق"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، سنة 1998م.

-البوشيخي، الشاهد، مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية، سلسلة: دراسات مصطلحية، رقم: 1، مطبعة أنفوبرنت، فاس، الطبعة: 1: 1423هـ/2002م.

- البوشيخي، الشاهد، نظرات في المصطلح والمنهج، مطبعة آنفو - برانت، فاس، الطبعة: 1، سلسلة "دراسات مصطلحية"، رقم: 2، 1423هـ/ 2002م.

- البوشيخي، الشاهد، أولويات البحث العلمي في الدراسات القرآنية، جريدة المحجة، العدد: 26، سبتمبر 2010م.

- الجاحظ، أبو عثمان، البيان والتبيُّن، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة: 4، سلسلة مكتبة الجاحظ، (بدون تاريخ).

- الجرجاني، الشريف علي بن محمد، كتاب التعريفات، ، تصحيح جماعة من العلماء، الطبعة: 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1304هـ/ 1983م.

- الجوهري، أبو نصر، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، 1377هـ.

- الراغب، الأصفهاني،معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،بدون تاريخ.

- الزبيدي ،مرتضى ،تاج العروس من جواهر القاموس، الطبعة: 1، المطبعة الخيرية بمصر، 1306هـ.

- الطرابلسي، أمجد، نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب،1986.

- العاملي، العلامة أحمد رضا، معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1378هـ/1959م.

- عبد الرحمن، عائشة بنت الشاطئ،الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق- دراسة قرآنية لغوية بيانية، الطبعة: 3، دار المعارف، القاهرة ، 1994م.

-فوضيل، مصطفى، الدراسة النصية للمصطلح، مجلة (دراسات مصطلحية)، العدد: 5، 1426هـ/2005.

- القاسمي، علي، صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة: 1، 2014م.

- اليعقوبي، مصطفى،الدراسة المعجمية للمصطلح، ضمن مجلة (دراسات مصطلحية)، العدد: 5، 1427هـ/ 2006م.

ISSN : 2625 - 8943

- اليعقوبي، مصطفى، والهاشمي، عبد الحفيظ، الدراسة المعجمية للمصطلح، (مرقون)، ورقة قدمت ونوقشت في الدورة التدريبية الأولى التي نظمها معهد الدراسات المصطلحية بفاس لفائدة الباحثين في المصطلح، في موضوع: "كيف ندرس المصطلح"، يومي:28 -29 محرم 1420هـ/15 - 16 ماي 1999م.

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية تصدرعن المركز العربي الديمقراطي ببرلين – ألمانيا
ISSN : 2625 - 8943
Journal of cultural linguistic and artistic studies issued by the democratic Arabic center – Germany - berlin

تجلّيات المكان في الرواية الإندونيسية - رواية عساكر قوس قزح نموذجًا

Manifestations of place in the Indonesian novel – 'Asakir Rainbow' as an example

د. مناف بسام علي الخصاونة
وزارة التربية والتعليم - مؤسسة الإمارات للتعليم المدرسي - الإمارات العربية المتحدة
Manafkhassawneh5@gmail.com

الملخّص

يلعب المكان دورًا مهماً في الأدب، ذلك أنّه ملجأ الأديب ووطنه ومأواه، يحمل آلامه وآماله، وقد تناولت هذه الدراسة المكان وأنماطه في رواية (عساكر قوس قزح للكاتب الإندونيسي أندريا هيراتا)، حيث تضطلع على تقدمة للأدب الإندونيسي وتاريخ إندونيسيا، ثمّ تُحلّل نماذج متعددة من أنماط المكان، مرتكزة على المنهج الوصفي، يتخلّله الحديث عن مفهوم المكان لغة واصطلاحا، المكان في الأدب، وقفة مع تاريخ إندونيسيا السياسي، الأدب الإندونيسي، ثم تحليل أنماط المكان في الرواية وعلاقتها بالشخصيات.

ولعلّ ما توقفت عنده الدراسة، أنّ للمكان أهميّة كبيرة في حياة الإنسان حيث يفرض واقعيته على الشخصيات التي تصنع الأحداث، وفقًا للمكان الذي تنتمي إليه، فتبدأ عملية التأثّر والتأثير بين الإنسان والمكان، وقد نجح أندريا هيراتا في توظيف المكان في الرواية وجعله محور الرواية الرئيس، فكان التركيز على: أرض الجزيرة، المدرسة، شجرة الفيلسيوم، متجر النثريات الفوضوي، المُلكية، الغابة (طريق لينتانغ)، حيث ارتبطت هذه الأماكن بشخصيات الرواية الرئيسة بطريقة مباشرة، من خلال تأزّم الأحداث وصولا إلى الحلّ.

الكلمات المفتاحية: الأدب الإندونيسي، أندريا هيراتا، جزيرة بيليتونغ، القصدير، المدرسة المحمدية، المكان.

Abstract

Place plays an important role in literature; This is because it is the writer's refuge, his homeland, and his refuge, carrying his pains and hopes. This study has dealt with the place and its patterns in the novel (Asakir Rainbow by the Indonesian writer Andrea Hirata). It is based on the descriptive approach, interspersed with talking about the concept of place linguistically and idiomatically, place in literature, a pause with the political history of Indonesia, Indonesian literature, then analyzing the patterns of place in the novel and its relationship to the characters.

Perhaps what the study stopped at is that the place has great importance in human life, as it imposes its realism on the characters who make the events; According to the place to which you belong, the process of influencing and influencing man and place begins. Andrea Hirata succeeded in employing the place in the novel and making it the focus of the novel: Island land, school, phyllo Sium tree, messy sundry shop, estate, forest (Lintang Road), where these places were directly related to the main characters of the novel, through the escalation of events leading to a solution.

Keywords: Indonesian literature, Andrea Hirata, Belitung Island, tin, Muhammadiyah school, place.

ISSN : 2625 - 8943

- **المقدمة:**

تتناول هذه الدراسة "المكان في الأدب الإندونيسي- رواية عساكر قوس قزح نموذجًا - للكاتب الإندونيسي أندريا هيراتا" بهدف الوقوف على دلالات المكان واستظهار أنماطه، وأثرها وتأثرها في الشخصيات، حيث يشكل المكان أداة متغيّرة تسهم في إبراز جماليات النص الأدبي.

لقد استطاع المكان أنْ يهيمن على أحداث الرواية بوصفه مرآة تعكس علاقة الشخصيات، حيث كان للأبعاد النفسية والاجتماعية والسياسية أثر كبير في الرواية وأحداثها.

إنّ راوية عساكر قوس قزح تطرح العديد من التساؤلات، أبرزها: ما الفكرة الرئيسة في الرواية؟ وهل أثّر وتأثّر المكان في الشخصيات؟ وهل كان للكاتب رسالة أراد أو يوصلها؟ وهل كان لكلّ مكان حدث في الراوية؟

ولعلّ منْ أهم دوافع اختيار هذا الموضوع، أنّنا لم نجد أعمالا تناولت الأدب الإندونيسي بطريقة مباشرة، وأنّ النّص الذي اختارته الدراسة هو نصّ سرديّ اعتمد على المكان، ومحاولة من الدراسة للوقوف على دلالات الأمكنة، وعلى إثره حاولت الدراسة الوقوف على أدب جديد له قواعده وأسسه وأغراضه، فجاءت دراسة الأدب الإندونيسي. لقد بدأت الدراسة بالتعريف بالمكان لغة واصطلاحا وفلسفة، ثم الحديث عن المكان في الأدب، تمع وقفة حول تاريخ إندونيسيا، والأدب الإندونيسي، وصولا إلى المكان في رواية عساكر قوس قزح.

- **تعريف المكان:**

جاء تعريف المكان في المعاجم على أنّه وهو "الموضع الحاوي للشيء"(الأصفهاني: 1972، ص491) وهو "موضع لكينونة الشيء" (الفراهيدي:1978، 5\387) ، وهو "مكان الإنسان وغيره" (ابن دريد: 3\171) ، ويقول ابن منظور: هو اسم مشتق من الكون، مصدر كان يكون كوناً وكينونة، والكون: الحدث، تقول العرب لمن تَشَنُؤُهُ: لا كان ولا تكون، لا كان: لا حلق، ولا تكون: لا تحرك، أي مات (ابن منظور: 6\مادة:كون)، ثم أورده في مكان آخر فقال: "المكان الموضع، والجمع أمكنة كقَذالِ وأقذلة، وأماكن جمع الجمع (ابن منظور: مادة: مكن)، " أمّا الزبيدي فيرى أنّ "المكان مشتق مِنْ كان يكون، ولكنه لمّا كثر من الكلام صارت الميم كأنها أصلية"(الزبيدي:ج9\مادة: كون). ويُفهم مما سبق أنَّ المكان اسم مشتق للدلالة على موضع الحدث والخلق، والوجود، والاستقرار، والصيرورة. "وحين نضيف المكان إلى الإنسان نحصل على لفظ يدل دلالةً عميقة على صيرورة الحياة الإنسانية: فالمكان هو الموضع الذي يولد ويُخلق ويوجد فيه الإنسان والموضع الذي يستقر فيه" (اسليم:1998، ص 1).

- **المكان في اصطلاحًا وفلسفة:**

لم يَغْفل القدماء عن المكان لأهميته وارتباطه بالحياة الإنسانية، إذ أخذ المفهوم الاصطلاحي عندهم بعداً فلسفياً، "ويقصد بالمكان فلسفياً هو كل ما فيه الشيء أو يحوي ذلك الشيء ويميزه ويحده ويفصله عن باقي الأشياء" (العبيدي:1987، ص19). وإذا تتبّعنا تاريخ أوّل استعمال اصطلاحي للمكان في الفلسفة، نلحظ أنّ أفلاطون عده حاويا وقابلا للشيء، (بدوي: 1979، ص 196)، وهو بطبيعته أنّه "لا يقبل الفساد ويوفر مقاما لكل الكائنات ذات الصيرورة والحدوث، وهو لا يلمس بالحواس، بل يضرب من البرهان الهجين المختلط"(العبيدي: 1987، ص 27-28)، وهذا المكان بحسب أفلاطون يبدو "كشرط ضروري لإدراك المحسوسات أو بمثابة الستار الذي تظهر على سطحه صورة الحقائق المنعكسة على المرآة"(أبو ريان: 1966، 2\84).

ثم جاء بعد أفلاطون مجموعة من الفلاسفة ومنهم أرسطو الذي عرف المكان بأنّه "الحد اللامتحرك المباشر للحاوي" (بدوي: 1984، 1\108-109)، ويرى أنه من الممكن إثبات وجود المكان طالما نحن نشغله بالفعل ونستطيع الانتقال منه إلى مكان آخر.

أما الفلاسفة المسلمون فقد كانت لهم مواقف حول المكان، أخذت عن الفلسفة اليونانية، فالكنْدي (ت252هـ) سار على خُطى أفلاطون وأرسطو، وهو يحدّد المكان بحدّين الأول "نهايات الجسم"، والثاني "التقاء أفقي المحيط والمحاط به" (الكندي: تح: أبوريدة، 1\167)، ثم جاء الفارابي (ت339هـ)، في كتابه الحروف -الفصل العاشر- وتحدّث عن المكان في حيث رأى أنّ "المكان موجود ولا يمكن إنكاره" (الفارابي: تح: محسن مهدي، ص 88).

وعند الانتقال إلى الفلسفة العربيةِ الحديثة والمعاصرة نجد أن مفهوم المكان أصبح يشغل أهمية خاصة بوصفه باباً نقدياً وجمالياً، فدراسة الدكتور حبيب مؤنسي (فلسفة المكان في الشعر العربي - قراءة موضوعاتية جمالية) بحثت في هذا الجانب الحيوي من جوانب الفلسفة بحثاً إبداعياً جمالياً (مؤنسي: 2001، ص76).

- **المكان في الأدب:**

لقد "اهتم الأدب طوال تاريخه بالمكان؛ لأنّ الإنسان دائماً ما يوجد في المكان، ولأنّ الأحداث دائماً ما تدور في مكان" (الحافظ: 1986، ص 76). لذا فإنّ المكان في الأدب نال حظاً واسعاً في الدراسة الأدبية؛ لأنّه الركيزة الأساسية لوقوع الحدث، فدوره "يمثل محوراً أساسياً من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب" (قاسم وآخرون: 1988، ص3)، وهو منْ أهمّ الأسس التي ترتكز عليها التجربة

ISSN : 2625 - 8943

الأدبية، وعلى الأديب أنْ يصنع المكان في عمله الإبداعي بصورة تشحن الواقع شحنات مختلفة من المشاعر والأجواء النفسية (قاسم: 1984، 84).

وحتى يكون المكان مؤثرًا في الأعمال الأدبية، "يجب أنْ تكون دلالته تحاكي شيئاً ما في نفس الأديب أو في الذات الاجتماعية؛ لأن المكان هو الكيان الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه" (النصير: 2010، 2\16-20).

وللمكان أهمية كبيرة في أي عمل أدبي، سواء أكان شعراً أم نثراً، وهو "يتولّد عن طريق الحكاية، وهو الذي تتحرك الشخصيات أو يفترض أن تتحرك فيه" (السماوي: 1971، ص71). وتزداد أهمية المكان ودوره من خلال ارتباطه ببقية الأبعاد الفنية الأخرى في العمل الأدبي مما يثري التشويق والمتعة في نفس القارئ و"يؤدي بالتالي إلى تعميق الصلة بين النص والمتلقي" (الشوابكة: م9\ع2، ص10). وعليه فإنّ معايشة الإنسان للمكان وتآلفه معه، أو معاداته له، يشكّل الخلفية الارتكازية لكلّ تصور أو توجّه أو تشكيل فني (عقاق:2002، ص17).

تاريخ إندونيسيا:

تعاقبت على احتلال إندونيسيا دول وحضارات، ويُعدّ الرحالة والتاجر الإيطالي ماركو بولو، أوّل أوروبي يزور جزر الهند (إندونيسيا) في العام (1292م). (انظر: ماركو بولو: ت: عبد العزيز جاويد:1995). وفي أوائل القرن السادس عشر (1509) وصل البرتغاليون إلى جزر الهند ضمن جهودهم للكشف عن أرض التوابل حيث احتلوا جزر ملقا، ثمّ تمكّنوا بعد ذلك من احتلال جزر مالوكو (جزر الملوك) حيث تكثر التوابل. وجاء من بعدهم البريطانيون فالهولنديون الذين نجحوا في فرض سيطرتهم واستعمارهم لجزر الهند. وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية، وامتدّ نطاقها إلى منطقة المحيط الهادي، احتلّ اليابانيون جزر الهند الهولندية(إندونيسيا) في مارس (1942) بعد استسلام الجيش الهولندي، ولكنْ، هبّ الشعب الإندونيسي بعد ثلاثة أيام من استسلام اليابان للحلفاء أي في 17 أغسطس (1945) بقيادة زعمائه الوطنيين، الذين قادوا الكفاح الوطني منذ العشرينيات، وأعلنوا استقلال البلاد وقيام الجمهورية الإندونيسية. (الموسوعة الجغرافية في العالم الإسلامي: م7، ص 342-343).

وقد أطلق قديما مجموعة الجزر الإندونيسية أسماء عديدة من بينها: (نوسنتارا: وهي تركيب من كلمتين، نوسا ومعناها (الوطن)، وأنتارا معناها (بين). ومن بين التسميات أيضا (جزائر الملايو)، و(جزائر الهند الشرقية الهولندية - كما يسميها الهولنديون-). (انظر: الإندونيسي: 1947، ص17-18). ورغم كلّ ما سبق فإنّ " الحكومة الهولندية لم تعْترف رسميا بهذا التسمية، إلا في الأيام القريبة بعد الثورة الأخيرة،

والسبب في ذلك واضح جلي، هو أنّ استعمال هذا الاسم، يؤدّي إلى اتحاد سكان مجموع هذه الجزائر، وهذا الاتحاد هو ما سعى إليه الإندونيسيون منذ بدء حركتهم القومية" (الإندونيسي:1947، ص19).

وعليه فإنّ "الذي حدا بالمحدثين، إلى إطلاق اسم إندونيسيا على مجموعة من الجزائر، هو أنه وسيلة من الوسائل الفعالية، لتوحيد تلك البلدان، وللربط بين مجموع هذه الجزر، وفعلا أصبح هذا الاسم رمز الأماني القومية، التي طالما تغنى بها الإندونيسيون، وكافحوا كفاحا مجيدا لأجلها، فليست هذه التسمية - كما زعم البعض - مبنية على شيء وهمي، لا فائدة من ورائه ولا غاية له، على أننا لو نظرنا إلى لفظ إندونيسيا لوجدناه مركبا من كلمتين، إحداهما (إندو) وهي محرّفة من لكمة (الهند) ، والثانية (نيسيا) ومعناها الجزر ، فمعنى إندونيسيا إذن (جزائر الهند)" (الإندونيسي: 1947، ص18). وكانت هذه الجزر "معروفة للهنود القدماء باسم (سورانا دوبيا) أي جزر الذهب، ولأوروبا بـــ (أرض التوابل). (الموسوعة الجغرافية في العالم الإسلامي: باب إندونيسيا، ص341).

- **الأدب الإندونيسي:**

إنّ الأدب الإندونيسي الحديث في خصائصه الرئيسية، يمثّل كفاح الشعوب والقبائل الإندونيسية منْ أجل استقلالها عن الاستعمارَين البرتغالي والهولندي وفي سبيل إقامة دولة موحّدة، وكذلك بهدف نشر لغة تكون رابطة إندونيسية للسكان كافة، بغض النظر عن انتمائهم العرقي أو الديني، فاعتُمدت اللغة الملاوية لحمل هذه المهمة الوطنية؛ بسبب سعة انتشارها، ولكونها لغة الدواوين والثقافة والتجارة. ومنذ مطلع القرن العشرين قام العلماء على تطويرها حتى أعلنت في العام (1945)، لغة رسمية للدولة المستقلة باسم (بهاسا إندونيسية؛ وهي كلمة سنسكريتية الأصل تستخدم في اللغات الهندية، والإندونيسية والملاوية بمعنى (لغة). ولغة الباهاسا إندونيسيا هي اللغة الرسمية في المصالح الحكومية والمؤسسات ولغة التعليم، ولذلك يتكلم معظم الإندونيسيين خاصة المتعلمين منهم لغتين: اللغة القومية باهاسا إندونيسيا ولغته المحلية. (الموسوعة الجغرافية في العالم الإسلامي: باب إندونيسيا، ص 341)، وفي هذا السياق كانت القضية المحورية لدى الأدباء المحدثين هي تجاوز الأجناس الأدبية التقليدية الجامدة في الأدب الملاوي وإيجاد أجناس جديدة قادرة على استيعاب قضايا العصر ومعالجتها. حيث طالب الأدباء بالحرية الفردية المطلقة على النطاق الاجتماعي، وبالانعتاق من أسْر التقاليد الأخلاقية الموروثة التي تقيد هذه الحرية. وكانت أوّل رواية مهمة تعبّر عن هذه الأفكار هي (سيتي نوربايا) في العام(1922)، حيث عرض فيها كاتبها (مرح رسلي) مصير الشابة سيتي التي تحطّم حبّها على صخرة التقاليد الأخلاقية والاجتماعية (انظر: https://2u.pw/Mo43jzhk). وفي العام (1928) نشر الكاتب والصحفي -بطل إندونيسيا القومي- (عبد المعز) روايته (تربية خاطئة)، التي حاول أنْ يثبت فيها

تعارض الحضارة الغربية مع التقاليد المحلية، مِنْ زواج مختلط بين إندونيسي وأوروبية (انظر:https://2u.pw/NlFjcp). وفي العام (1933) أصدر الروائي (سوتان تقدير علي)، مجلته الثقافية (الأدب الجديد) التي جمعت أهم أقلام الثورة الأدبية (انظر: https://proleksis.lzmk.hr/7987/)، وبدأت مرحلة جديدة في الأدب الإندونيسي، فعن طريق موادّها المتنوعة أصبح الكتّاب نقاداً للحركة الثقافية، ولكن سرعان ما انقسموا إلى تيارين متعارضين، أوّلهما يطالب بالتخلي عن الموروث الثقافي المحلي وبالتوجه نحو الغرب الحديث، كما في رواية (أشرعة منتفخة) لصاحب المجلة نفسه، وثانيهما يطالب بالنهل من مَعين التراث وتطويره باتجاه الحداثة(https://2u.pw/NlFjcp).

المكان في رواية عساكر قوس قزح:

إنّ المكان في الرواية له أثر كبير، فهو يمثل" شخصية متماسكة ومسافة مقاسة بالكلمات، ورواية لأمور غائرة في الذات الاجتماعية. ولذا لا يصبح غطاء خارجيا أو شيئا ثانويا، بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلا بالعمل الفني" (النصير: 2010، ص17).

وقد توقف البحث عند المكان في (رواية عساكر قوس قزح)، خلال الفترة الزمنية التي جاءت بعد تحرّر إندونيسيا من الاستعمار الهولندي، واستيلاء الحكومة الإندونيسية على الأصول والخيرات الطبيعية في البلاد، حيث بقي الحال كما كان إبّان الاستعمار، وبقيت العقلية الإقطاعية كما كانت.

وقد جاءت قراءة المكان في الرواية وفق الآتي:

أرض الجزيرة (مكان المفارقات):

تعود تسمية جزيرة بيليتونغ – المكان الذي دارت فيه أحداث الرواية-، بهذا الاسم إلى الاستعمار الهولندي وهو كما أشير إليه في الرواية أنّه "في سنة 1922 أطلق الهولنديون على حجر السطام اسم "بيليتونيت" ومن هنا حصلت جزيرتنا على اسمها(بيليتونج)" (هيراتا: ص186).

إنّ أفضل عنوان يطلق على جزيرة (بيليتونج) أنّها أرض المفارقات العجيبة؛ ذلك أنّها كانت تعجّ بالخيرات والثروات الطبيعية التي استغلها الإقطاعيون لمصالحهم الشخصية، وتركوا الفتات لعموم الناس، وكان من أهمّ الثروات الطبيعية التي اكتشفت في هذه الأرض، القصدير، حيث يقول راوي الأحداث إكال:" وكان ثمة سرّ بقي مدفونا في الأرض إلى أن اكتشفه الهولنديون، ففي أعماق الأرض الموحلة تدفّق الكنز: القصدير، القصدير المبارك، القصدير الذي تساوي حفنة منه عشرات الدلاء من الأرز (هيراتا: ص33).

ومع اكتشاف القصدير ظهرت أيضا مواد أخرى معها، لكنها ظلت حبيسة الحكومات الإندونيسية، التي أبقت على سياسة الاستعمار الهولندي حاضرة حتى بعد زواله، حيث الظلم والجور كما يقول إكال:"مباركة هي الأرض التي يتدفق فيها القصدير، لأنه مع القصدير تظهر دائما مواد أخرى:(طين، كوزينوتايم، ذهب، فضة....)، تحت البيوت القائمة على الركائز حيث عشنا حياتنا المحرومة، قبعت طبقات وطبقات من الثروة،

إنّ رحلة دفاع عساكر المحمدية عن مدرستهم وصمودهم لسنوات أمام زحف شركة الـ(ب.ن)، التي حاولت مرارًا وتكرارًا إزالة المدرسة بهدف البحث عن القصدير والمعادن تحتها، يمثّل حالة فريدة من؛ ذلك أنّ هذا الفريق تشكّل من عشرة تلاميذ، ومعلّمين اثنين هما:(باك هرفان، وبومس)، وبومس تلك الفتاة ذات الخمسة عشر عاما التي أنهت المرحلة الإعدادية في المدرسة المهنية، وقرّرت الوقوف إلى جانب السيد باك هرفان، للدفاع عن المدرسة المحمّدية.

وهنا تكمن المفارقة حيث (الأرض) محور القضية، أرض الجزيرة التي كان عموم ساكنيها يعملون في استخراج القصدير، "وكنا نحن أهالي بيليتونغ مثل مجموعة من الجرذان تتضوّر جوعا في مخزن يغصّ في الأرز(هيراتا: ص33).

إنّ تنوّع المجتمع في بيليتونج بين شعوب الساوانج والسارونغ وشعوب الصين بالإضافة إلى الملايويين وغيرهم (هيراتا: ص112)، لم يكن له أثر اجتماعي على الأرض، ولم يظهر الفرق بين هذه المجتمعات إلا في العادات والتقاليد من زي وطعام، مما شكّل حالة توافق على الظلم الذي ارتكبته الحكومة الإندونيسية بنهب خيرات هذه الأرض.

ورغم اقتراب آليات لهدم والإزالة من المدرسة المحمّدية، بقي صمود بومس حتى بعد وفاة باك هرفان، على الرغم من يأسها في حالات عديدة عند قدوم الموظفين وأخذ العيّنات من أرض المدرسة، التي كما أشار أحدهم أنها أرض غنية بالمواد الأخرى،" همس شخص ما من الفريق بسرّية: وجدنا الألمينايت أيضا مع التانتالوم، ويرجّح وجود بعض اليورانيوم. يعدّ الألمينايت والتانتالوم سلعة غالية، أثمن عشر مرّات من القصدير (هيراتا: ص203).

إنّ العديد من العوامل تعمل على قلب موازين، ففي تسعينيات القرن الماضي حيث " هبطت أسعار القصدير العالمي من 16000 دولارا لكل طن متري إلى 5000 دولار، فركّعت الـ(ب.ن)، وأغلقت منشآتها" (هيراتا: ص334)، وبالتالي أصبحت أرض الجزيرة خاوية على عروشها بعد فرار موظفي الشركة من منطقة الملكية واقتحام أهالي بيليتونغ للمدينة التي بقيت عصية عليهم ومنعوا من دخولها لسنوات. وعليه فإن المفارقة المكانية ظهرت، بعد أن كانت أرض الجزيرة تعوم على بحر من الخيرات،

لكنها لم تدر بالطريقة الصحيحة، بل استخدم السكان كعمّال سخرة يكدّون ويشقون ثم تقدّم الخيرات على طبق من ذهب للأغنياء.

مدرسة المحمدية (المكان المركزي):

تبدأ أحداث الرواية بانتظار الطلاب العشرة الذين تم الاتفاق عليهم؛ لبقاء المدرسة مفتوحة هذا العام، ذلك الاتفاق الذي كان بين (بومس وباك هرفان) وبين موظفي الوزارة. بدأ توافد الطلاب وأصبح عددهم تسعة بانتظار الطالب العاشر، ومع اقتراب الموعد المتفق عليه شعر وباك هرفان وبومس بالحزن الشديد؛ لأنّ خِطاب إغلاق المدرسة سيقدّم للوزارة لإغلاقها، إلا أنّ لحظة السعادة كانت عندما "صاح تراباني وأشار إلى طرف فناء المدرسة مروّعا الجميع بصياحه.... "هارون!" (هيراتا: ص17). ولعلّ الكاتب أبدع في اختيار شخصية المنقذ للمدرسة أن يكون من أصحاب الهمم؛ حيث كان هارون مصاب بمتلازمة داون، جاءت به أمّه إلى المحمّدية وقالت لباك هرفان:"رجاء اقبل هارون، مدرسة ذوي الاحتياجات الخاصة في بانجكا، ولا نملك المال لنرسله، وارتياده المدرسة هنا أفضل من أن يبقى في البيت ويتفرّغ لمطاردة دجاجاتي" (هيراتا: ص17)، وبالتالي أراد الكاتب أنْ يوصل رسالة مفادها، أنّ بإمكان الجميع المساعدة العون.

إنّ تسمية المدرسة بالمحمدية جاءت نسبة إلى الجمعية المحمّدية، وهي "إحدى الجمعيات الكبرى في إندونيسيا، وتتميّز عن غيرها من الجمعيات في كونها تتحرك في خدمة الأمة في مجال التعليم مثل بناء المدارس والجامعات والمعاهد وتتحرك أيضا في مجال الخدمات العامة مثل بناء المستشفى والبيت الخاص لرعاية الأيتام ....، ولم يكن لها اتصال بالعمل السياسي لذلك كانت من أسرع الجمعيات نموا من حيث عدد المشتركين وإنجاز المشروعات الخيرية. وكلمة محمّدية يقصد بها أتباع النبي (ﷺ)، وتم اختيار هذه الكلمة كاسم للجمعية لمَعَان سامية منها، أنّها تشير إلى الهدف من حركة الجمعية المحمدية وهو الرجوع إلى هدي النبي عليه الصلاة والسلام وتعاليمه الصحيحة (إسمنتو: https://2u.pw/tgXkXI ،ص7). فطبيعة التركيبة السكانية في إندونيسيا واعتناق غالبية السكان الدين الإسلامي كان له أثر كبير في نشوء هذه الجمعيات الإسلامية، فالإسلام لم يدخل إندونيسيا بالسيف، بل دخل منْ خلال الخلق الإسلامي الذي اتّصف به المسلمون الذين قدموا إليها بغرض التجارة (انظر: شاكر: 1979، ص24-30).

في هذا المكان لعب هؤلاء التلاميذ، درسوا، حفظوا القيم الإسلامية، أحبّوا، فارقوا من أحبوا، في هذه المدرسة البسيطة التي كانت ترتكز على جذع نخلة وضعه باك هرفان لحمايتها منَ السقوط، لم تكن هي الوحيدة في إندونيسيا، فحالها حال المدارس في المناطق الفقيرة في إندونيسيا، يقول (إكال) " ليس من

الصعب كثيرا وصف مدرستنا، كانت من ضمن آلاف المدارس الفقيرة في إندونيسيا، لو نطحها ثور لتهدّمت وانهارت (هيراتا: ص25).

ورغم كلّ الظروف والمآسي وفقد المحمّدية لأدنى معايير المدارس إلّا أنّها مثّلت حالة فريدة عند تلاميذها، فقد أحبّوها كثيرا وتعلّقوا بها، يقول الراوي:" كنّا مهووسين بحبّ مدرستنا الفقيرة، ولم نشأ أنْ نفقدها (هيراتا: ص80).

ورغم مرور سنوات إلا أنّ المحمدية بقيت على حالها، غرفة صفية واحدة تخلو من أساسيات المدرسة، حيث المقاعد المهترئة، والسقف الذي يدلف ماء عند نزول المطر، إلا أنّها في أعين التلاميذ بقيت جميلة ساحرة، يقول إكال:" أصبحت الشهور سنوات، وبدأنا نقترب من سن المراهقة قبل أنْ ندرك ذلك ومع أن مدرستنا الفقيرة بقيت فقيرة، ما فتئت روعتها تزداد في أعيننا" (هيرتا: ص 53).. حتى خزانة العرض الزجاجية "تقف في الزاوية خاوية على عروشها، كانت مجرّد شكل ثابت مثير للشفقة لا يحتوي شيئا " (هيراتا: ص27). إنّ إصرار باك هرفان وبومس وصمودهما في وجه العابثين بأحلام التلاميذ شكّل هاجسا كبيرا، فها هو المفتش صمديكون في كلّ مرّة يزور فيها المدرسة يصرّ على إعطائها درجة متدنية جدًا في التقييم، فقد ظلّ باحثا عن السلبيات، فقد كان طلاب المحمدية يجتهدون في سبيل الثبات يقول إكال: " كجزء من كفاحنا لننقذ المدرسة من مساعي السيد صمديكون الحثيثة لإقفالها (هيراتا: ص104). وحتى عند غياب باك هرفان عن المدرسة بسبب مرضه، "لم تسمح (بومس) لمشكلة السيد صمديكون أنْ تثبط عزيمتها على الرغم من قلقها" (هيراتا: ص83).

ولم يكن تعلّق التلاميذ بالمحمّدية عند باب الاجتهاد بالدرس فحسب، بل تجاوزه إلى الاهتمام بمحيط المدرسة فزرع التلاميذ الأزهار الجميلة، مثل زهور (الكانا) فـ"عندما يحلّ الموسم وتبدأ البراعم بالإزهار، تغدو مثل كعكة ذات طبقات موضوعة على صينية فاخرة" (هيراتا: ص123).

وكنوع من إثبات الذات، شرعت المحمّدية بالمشاركة في الأنشطة الخارجية مع المدارس الأخرى، رغم أنّ هذا الأمر كان يشكل قلقًا كبيرا عند التلاميذ، نظرا لشحّ الإمكانات المادية، إلا أنّها نجحت في الحصول على كأس أفضل أداء فني في كرنفال عيد الاستقلال " وهي المرة الأولى التي تحصل فيها مدرسة القرية على الكأس" (هيراتا: ص144)، ويعود الفضل في هذا الإنجاز لــ(مهار)، ذلك الفتى المبدع الذي قاد الفريق لتحقيق الكأس، على الرغم من تعلّقه بأفكار الخرافات والسحر. وأصرّت بومس على توثيق تلك اللحظات لتثبت للسيد صمديكون أنها قادرة على التحدّي إلّا أن السيد صمديكون "لم يتأثّر ولا قيد أنملة بصورة كأس الكرنفال التي فزنا بها، وأعاد الصورة إلينا، وبذلك بقي التهديد بإغلاق مدرستنا ساري المفعول" (هيراتا: ص202).

لم يتوقّف طموح المحمدية وإصرارها للمحافظة على بقائها عند هذا الحدّ، فقد نجحت في الفوز في كأس التحدي الأكاديمي الذي نافست فيه العديد من المدارس، واستطاعت الحصول على كأس التحدي، والذي كان للينتانغ دور كبير في الحصول عليه؛ بفضل عبقريته في الرياضيات والهندسة، "تجمّعنا في اليوم التالي أمام خزانة العرض الزجاجية، كان دور لينتانغ ليحظى بشرف وضع الكأس في خزانة العرض، وهكذا أخذ كأس التحدي الأكاديمي مكانه إلى جانب كأس الكرنفال" (هيراتا: ص 235).

استمرّ كفاح التلاميذ وصمودهم لسنوات إلا لحظة الحزن الكبير كانت عند وفاة باك هرفان "يقول إكال:" كنّا كلّ مساء على مدى شهور بعد أن ننتهي من درس القرآن نهرع إلى المدرسة ليعطينا باك هرفان دروسا إضافية ثم في إحدى الأمسيات وبعد أن انتظرنا فترة في الصف لم يحضر باك هرفان، ذهبنا إلى مكتبه قرب حديقة المدرسة، قرعنا الباب، ولم نلقّ جوابا، فتحنا الباب، ورأينا باك هرفان...لمستُ يده فوجدتها بادرة كالثلج، لم يكن يتنفس، لقد رحل عنّا" (هيراتا: ص235).

رحل باك هرفان وبقيت المحمّدية، وفي لحظة ضعف أوشك هذا المكان على الزوال فقد أصبح الأمر خطيرًا عندما" بدأ النجاح يحالف أطفال القرية الذين لا يذهبون إلى المدرسة، قد حقّقوا المكاسب من العمل بقطف ثمار الفليفلة، وحراسة الدكاكين، وجلفطة المراكب، وبشر جوز الهند أو حتى قضاء حاجات أصحاب قوارب الصّيد" (هيراتا: ص237). فنور المحمدية بدأ ينطفئ مع غياب التلاميذ واحدًا واحدًا، حيث بدأت المعاناة بغياب كوتشاي الذي ذهب للعمل في قطف ثمار الفليفلة، تبعه شمشون، ثم مهار، ثم آكيونج... (هيراتا: ص254-256). وعلى إثرها هبطت عزيمة بومس، وتغيّبت عن المدرسة بعد غياب عدد من التلاميذ عن المدرسة، إلا أنّ أحدا من سكان القرية فاجأ بومس بأنّ المكان الذي أحبّته وتعلّقت به وكافحت من أجل بقائه – المدرسة-، مأهول بالتلاميذ، فما كان منها إلا الذهاب إلى المدرسة واستطلاع الأمر، وهنا كانت المفاجأة السارّة؛ فقد وجدت بومس لينتانغ يتقمّص دور المعلم، واقفا أمام (سهارى وهارون وترابانى وفلو) حيث قررت العودة من جديد، وسعت لعودة طلاب المحمدية مرة أخرى (هيراتا: ص260-266).

نجحت المحمّدية في النهوض من جديد بعد عودة التلاميذ مرة أخرى لحضن هذا المكان، غير أنّ شركة الـ(ب.ن)، كانت دائما ما تعكّر صفو اللحظات السعيدة فقد "بدأ البناؤون يشيّدون الثّكنات للعمال حول مدرستنا، وأثارت أعصابنا أصوات الجرافات الصّاخبة التي كانت تزداد اقترابا منّا" (هيراتا: ص247).

ومع اقتراب الخطر من المحمّدية أكثر فأكثر و"تزايد أعداد القادمين إلى مدرستنا من موظفي شركة الـ(ب.ن) الذين لم يتورّعوا عن دخول صفّنا وحفر أرضه لاستخراج عيّناتهم...غاصت أرواحنا لأنّ ذلك دلّ على شيء واحد فقط: حتمية قدوم الجرّافات لحرث مدرستنا" (هيراتا: ص 202). فما كان من بومس إلا أن تكتب رسالة إلى مدير شركة الـ(ب.ن) تطلب فيها مقابلته، وقد شكّلت فريقًا لكتابة الرسالة من أعضاء المحمّدية وقد ترأّس هذا الفريق (كوتشاي) الذي عُرف عنه إجادته للعلاقات الاجتماعية وخطابته أمام الناس، فقد كان عريف الصف دائما، وبعد أرسال الرسال، جاء الرّد بالموافقة وعلى إثره تمّ تحديد الموعد (هيراتا: ص270-277). هي المرة الأولى التي يزور فيها تلاميذ المحمّدية منطقة الملكية الخاصة بكبار الموظفين في الشركة، لكن المؤسف أنّ بومس لحظة مقابلتها لمدير الشركة لم تستطع الحديث ولو بكلمة واحدة، وغادر التلاميذ المكان حزنين على ما حصل، يائسين ومتيقّنين بأنّ غدا يسكون يومًا صعبًا عليهم فالمكان الذي تعالقوا فيه سيهُدم. لكنّ أمرًا لم يكن في حسبان التلاميذ ففي اليوم التالي حضر التلاميذ إلى المدرسة وكانت المفاجأة ببقاء المدرسة قائمة بعد أنْ توقعوا إزالة المدرسة بعد يوم المقابلة، حيث غادرت آليات وجرافات الشركة محيط المدرسة بلا رجعة، وبالتالي عودة الحياة من جديد (هيراتا: ص285-286).

لم تكن المحمّدية مجرّد مساحة فارغة تملؤها الأجسام والمباني، بل هي روح وهوية تتناغم مع أحاسيس الإنسان لتشكل جزءا من تجربته في الحياة، هكذا كانت المحمّدية بالنسبة لعساكرها، الذين عادوا مرّة أخرى من جديد بهمة عالية، ومع اقتراب زيارة السيد صمديكون التفتيشية الأخيرة، قرّر عساكر قوس قزح الجد والاجتهاد لتغيير فكرة السيد (صمديكون) عن المدرسة، فبدأ التحضيرات لتجهيزها بشكل رائع فـ"بدت المحمّدية كالعروس الجميلة مكتملة الشكل والمظهر عند زيارة السيد صمديكون الأخيرة للمدرسة (هيراتا: ص 249-251). وبفضل هذا العمل الجاد حصلت المحمّدية على تقدير (ب)، وهي المرّة الأولى التي تحصل فيها المحمّدية على هذا التقدير.

لقد تحمّلت المحمّدية الكثير الكثير من الصدمات رغم أنها لا تملك أي مقومات لأن تكون مدرسة على عكس مدرسة الـ(ب.ن) فـ"لا يختلف الفرق بين هذه المدرسة ومدرستنا عن الفرق بين الأرض والسماء... كانت صفوفها مزينة بالرسوم التعليمية... عندهم كثير من المعلمين... تصطف عشرات السيارات أمامها... لم تقبل إلا أبناء الموظفين الذين يعيشون في الملكية(انظر: هيراتا: ص37-38). وحتى في كرنفال عيد الاستقلال "غالبا ما انتزعت مدرسة الـ(ب.ن) المراكز الثلاثة الأولى عن جميع الفئات، ... أما نحن فكنّا نشعر بالخجل لأننا داومنا على تقديم استعراضنا المتواضع نفسه، سنة بعد سنة، لكن الأمل دغدغنا هذه المرة لأن لدينا مهار" (هيراتا: ص133).

يظل المكان ملتصقا بالذاكرة وتظل ملامحه مرتبطة بوجدان من عاش فيه، تلك كانت مشاعر تلاميذ المحمدية لمدرستهم، التي مرّ عليها سنوات وهي صامدة صمود الأبطال إلا أنه "وفي إحدى الأمسيات الحزينة بعد سقوط المطر، تشكل في السماء قوس قزح نصف دائري منْ سبعة أطياف، ولحظة ظهوره انحنت الدعامة المقدّسة أكثر قليلا ثم تهاوت أرضا، وهكذا انهارت مدرسة لا يعرفها أحد، مدرسة أسطورية عمرها 120 سنة تقريبا، ومعها انهارت المنصة التي مثّلنا عليها مسرحية طفولتنا، مسرحية (لاسكار بلانجي) (هيراتا: ص340).

شجرة الفيلسيوم (المكان الملجأ):

تملك الطبيعة سحراً لا يضاهى، حيث يشعر الإنسان بروح التحدي والسلام الداخلي، هكذا كانت شجرة الفيلسيوم مكانا للفرح والسعادة عند طلاب المحمدية فالفيلسيوم شجرة ارتبطت بذاكرة عساكر قوس قزح، يقول إكال:"نحن أيضا، مثل الطيور كيّفنا أيامنا حول شجرة الفيلسيوم، كانت تلك الشجرة شاهدة على أحداث طفولتنا الدرامية، أقمنا البيوت الشجرية على أغصانها، لعبنا الغميضة بين أوراقها الوارفة، على جذعها حفرنا عهود صداقتنا الأبدية، وعند جذورها النافرة جلسنا حول (بومس) نستمع إليها وهي تحكي لنا قصة روبن هود، وتحت ظلالها لعبنا قفزة الضفادع وتدرّبنا على المسرحيات وضحكنا وبكينا وغنينا ودرسنا وتشاجرنا (هيراتا: ص49).

لقد شكلت الفيلسيوم جزءا من المشاهد والمراحل التي عاشها عساكر قوس قزح، حتى أصبحت رمزًا للأحداث والذكريات أنشطة المدرسة تحت شجرة الفيلسيوم، بمشاركة الطيور والفراشات، يقول إكال"أقبلت الفراشات المذنّبة الخضراء، تزور أوراق شجرة الفيلسيوم؛ تلك الفراشات الاستوائية الآسرة ذات الخطوط الزرقاء المخضرّة" (انظر: هيراتا: ص92-93) ، وكل واحد من الطلاب مُنشغل بما يحب فلينتانغ منشغل بالنظرية الفيثاغورسية، وهارون مستغرق في النوم، وسهارى منهمكة بتطريز رموز عربية على رقعة التطريز.

لقد مثّلت الفيلسيوم ملجأ لعساكر المحمدية عليها فرحوا، فـ"بعد يوم حافل بالمطر الغزير... غزونا شجرة الفيلسيوم وكلد منّا يطالب بأغصانه الخاصة، وسرعان ما غدت الشجرة العتيدة مرتع جدلنا الصاخب ونحن نستعرض نظرياتنا الشخصية المتعلقة بالمشهد السحري الذي يجتاح شرق بيليتونغ، أحببنا كثيرا القصص التي نرويها، وأصبحت عادة لدينا أنْ نتسلّق الشجرة بعد كلّ عاصفة ماطرة بحثا عن قوس قزح" (هيراتا: ص99).

وعلى أغصانها خططوا كما فعل مهار عند التخطيط للمشاركة في كرنفال عيد الاستقلال لجأ مهار إلى أحد أغصان شجرة الفيلسيوم للتفكير في عرض الكرنفال (انظر: هيراتا: ص135).

وعليها حزنوا عندما لجأ إكال إلى شجرة الفيلسيوم" غير راغب في التحدث مع أحد وغير راغب في أي صحبة وغير قادر على فهم نفسي...لكمة جديدة أحكمت قبضتها على حياتي: الشرق" (هيراتا: ص148). حتى عندما تركت آلينغ القرية وسافرت، لجأ إكال إلى شجرة الفيلسيوم بعد عودته من متجر سينار هربان" أما أنا فجريتُ عبر الباحة إلى شجرة الفيلسيوم، تسلّقتها وجلست على غصني، موقعي المعتاد لمراقبة قوس قزح" (هيراتا: ص188) وتحت ظلّها تجمّعوا مثلما تجمع أعضاء نادي هواة الأشباح تحتها لقراءة رسالة شامان السحر (توك بيان تولا) (انظر: هيراتا: ص300-301).

وهكذا عبّرت عساكر المحمّدية عن تعلّقها بشجرة الفيلسيوم ولجوئها إليها في كثير من المحطات، فكانت رمزا للقوة والصلابة، لجذورها الراسخة في التربة، وكانت رمزا للحكمة والمعرفة، ورمزا للجمال والرومانسية، ورمزا للحياة، والنمو، والأمل.

متجر النثريات الفوضوي-سينار هربان- (المكان الأليف والمعادي):

لم يخطر في بال إكال أنْ يأتي يوم من الأيام وتتغير نظرته عن فكرة شراء الطباشير من متجر سينار هربان فقد "كانت عملية شراء الطباشير بالنسبة إلينا أسوأ مهمة ولا تشويق فيها ألبته" (هيراتا: ص122). فـ"لا يماثل فظاعتها شيء آخر، كان متجر سينار هربان المكان الوحيد الذي يبيع الطباشير في شرق بيليتونغ، بعيدا جدا عنّا ويقع في سوق سمك قذر" (هيراتا: ص134).

وحتى عندما كان يأتي الدور على إكال، ويذهب لاستلام الطباشير، كان يعبّر عن خيبة كبيرة من منظر المتجر ذلك أنّ مالك المتجر (آمياو)"كان ممن يستهويهم التخزين، ودأب على جمع خردة عديمة الفائدة، غير راغب أبدا في التخلص منها، ورائحة متجره الكريهة تتضمخ دائما بروائح عرق عمال الساوانغ وهم يدخلون ويخرجون منه" (هيراتا: ص124). ويصف لنا إكال صاحب المتجر فيقول: "كان آمياو مالك المتجر شخصية مرعبة، رجل سمين يلبس قميصا بلا أكمام وبنطلونا قصيرا وخفّا، ولا يفارق دفتر الديون الصغير يده" (هيراتا: ص126).

إنّ عملية شراء الطباشير من ذلك المكان القذر – كما وصفه تلاميذ المحمّدية – لا تعدّ من الأعمال الجميلة فقد اعتبر "عملا تافها، توجّب علينا أنْ ننتظر مالك المتجر حتى ينتهي من التعامل مع الرجال والنساء الذين غطوا رؤوسهم بعباءات الساروغ" (هيراتا: ص126).

نقطة التحوّل عند إكال حول هذا المكان كانت عندما قال: "جاء الدور عليّ وعلى شهدان هذا الصباح لنشتري الطباشير" (هيراتا: ص125). وقد "كانت علبة الطباشير تمرّر لي من فتحة صغيرة بحجم باب قفص حمامة، ولا يمكن رؤية شيء من تلك الفتحة إلا يد يمنى ناعمة" (هيراتا: ص125).

حيث "أسندت إليّ مهمّة شراء لطباشير المزعجة على نحو متكرر وكان حافزي الوحيد للقيام بها هو فرصة إلقاء نظرة على تلك الأظفار، ونظرا إلى تكرّر ذهابي إلى هناك، عرفت المواعيد التي تقصّ فيها تلك الفتاة الغامضة أظفارها: مرة كل خمسة أسابيع في يوم الجمعة" (هيراتا: ص125).

ومن هنا بدأ الشوق يساور إكال للذهاب إلى متجر سينارهربان، بعد أن كان يكره ذلك اليوم الذي يذهب فيه إلى هناك، يقول إكال "إنّ شوقي يعالج بالمداومة على شراء الطباشير، ولتحقيق ذلك كانت بومس أملي الوحيد. رجوتها أن تخصني أنا وحدي بمهمة شراء الطباشير... وبذلك أصبح الجدول يقتصر على اسم واحد فقط، اسمي، لم تصدر عن رفاقي كلمة احتجاج؛ رفاقي الذين ابتهجوا كثيرا لتخلصهم من ركوب الدراجة والذهاب إلى المتجر النتن لشراء الطباشير من (آمياو) البغيض" (هيراتا: ص149).

لقد تحمّل إكال قذارة المكان منتظرا لحظة خروج تلك اليد الناعمة التي يكتشف فيما بعد أنها يد الفتاة (آلينغ) ابنة عمّ (آكيونج) – أحد تلاميذ المحمدية وزميل إكال - "عند وصولنا إلى سينار هربان أدخل متجر النثريات وأقف متأهبا في النقطة الميتة وسط محيط الخردة، أدهن زيت الكافور تحت أنفي لأحارب الرائحة الزنخة" (هيراتا: ص150).

بدأ إكال يبحث عن أي طريقة للذهاب إلى سينار هربان، فقد تعلّق بتلك اليد الجميلة، وهو ما حدا به إلى الطلب من (آكيونج)، أن يطلب لقاء آلينغ، وفي إحدى المرات "في طريقنا إلى المدرسة بعد شراء الطباشير، وبينما مضيت أقود الدراجة، قرأ شهدان عبارة كتبت أسفل علبة الطباشير التي يحملها: قابلني في تشيونغ سي كو" (هيراتا: ص156) أي طقس التخاطف (وهو حدث يقام سنويا تجتمع فيه أسر بيليتونغ (الصينية) كلها بجميع أفرادها من مختلف أنحاء إندونيسيا للمشاركة في المناسبة، وترتبط بهذا الطقس الديني القديم أنشطة ترفيهية متنوّعة، مثل: تسلّق السواري، ودولاب فيريس). انتظر إكال أيام وشهور وتحمّل مسؤولية شراء الطباشير عن زملائه إلى أنْ تمّ اللقاء بآلينغ في طقس التخاطف" بعد ثلاث سنوات من لقائي بها، من لقائي بأظفارها فقط، لم أرَ وجهها إلا قبل حوالي سبعة شهور" (هيراتا: ص163).

إنّ للمكان أهمية في تشكيل رؤيتنا للمحيط، فلا يمكن قراءة قصة أو سماعها ومحاولة فهمها إلا من خلال تصوّر المكان الذي دارت فيه الأحداث، وبالتالي نتصوّر مكانًا يتناسب مع أحداثه في أذهاننا، وهكذا كان تصوّرنا لذلك المتجر القذر، وهو ما يمكن قوله: قدرة المكان على تشكيل الصورة. وعلاقة الإنسان بالمكان علاقة متغيّرة تساهم في تقلباتها ظروف مختلفة، فنكْرَه المكان ثمّ نحبّه، بعد ذلك تجبرنا الظروف على كرهه مرّة أخرى، وهو ما حصل مع إكال عندما غادرت آلينغ جزيرة بيليتونغ إلى

جاكرتا، يقول: "وقد باغتتني يد خشنة، يد غير يد (آلينغ)، كانت اليد التي ظهرت فظيعة جدا، مثل نصل نحاسي شرير: عضلية ووسخة وسوداء ولزجة" (هيراتا: ص163). حيث أخبره آمياو أنّ:" آلينغ ذاهبة إلى جاكرتا، قال ببطء على متن طائرة الساعة التاسعة، عليها أن تقيم مع عمتها التي تعيش وحدها" (هيراتا: ص187).

ولعلّ المشاعر التي سيطرت على إكال في تلك اللحظة، شكلت في مخيّلته مكانا مظلما حزينا، لعبت الأقدار دورا كبيرا في تلك الحالة، وولّدت مشاعر محصّلتها رسم صورة جديدة لانتمائه لهذا المكان، فأصبحت ذاكرته تعجّ بالذكريات والأحداث. فعند علمه بمغادرة آلينغ الجزيرة، غادر بسرعة من سينار هربان إلى المدرسة " قُدت الدراجة بسرعة قصوى إلى المدرسة، مررت بعشرات المطبات، ولم أخفّف من سرعتي، التخاذل ليس واحدا من خياراتي، لا بد أن أصِلَ إلى باحة المدرسة" (هيراتا: ص188). لقد مثّل هذا المكان عند إكال مستودعًا للذكريات، وأصبح جزءا لا يتجزأ من ذاكرته، فعملية التفاعل بين الإنسان والمكان لا تنفك أن تغادر خياله، حتى بعد مغادرة آلينغ وعودة إكال إلى المدرسة بقي ملتزما بدور شراء الطباشير حيث يقول:" ما فتئت أتذكّر آلينغ باعتبارها أجمل فصل في حياتي، ومازلت أنطلق مع شهدان في صباح الإثنين لنشتري الطباشير مع أن ما أصبح يستقبلني هناك كفّ دبّ ببراثن عقاب يلتهم جيفة، وحافظت على اجتهادي نفسه والاندفاع ذاته" (هيراتا: ص211).

إنّ المكان يصنع عواطف الإنسان ومشاعره، لكن تضاريس المكان ثابتة إلا أنذ التاريخ لا يُعاد إلا من خلال الذاكرة فقط، وهو ما حصل مع إكال مع مرور السنوات، "مرت الحافلة التي رجعت بنا إلى قريتنا بمتجر سينار هربان، ابتسمت لنفسي وأنا أستعيد ذكرياتي، مازالت مشاعر جميلة حتى بالنسبة إلى بالغ مثلي، يبدو أن ذلك الحبّ تدفق إلى ما هو أعمق من قيعان صفائح الكيروسين المكدّسة في المتجر" (هيراتا: ص322)

المُلكية (المكان الممنوع).

يعبَّر عن المكان بالنسبة للإنسان بأنه مكان ميلاده إلى بيته، ومكان لعبه وفرحه وحزنه وآلامه ومشاعره وانفعالاته، إلا أنه في لحظة من اللحظات يكون ممنوعًا عليه ومحرومًا من الدخول إليه، وهو ما وجدته الدراسة في منطقة (الملكية)، التي كانت سدا منيعا ومكانا محرّما على سكان بيلينوج، حيث عدّت هذه المنطقة حكرا للأغنياء، فخضعت لسلطة الأغنياء دون غيرهم، فشكلت بؤرة قلق وتوتر بالنسبة لأهالي بيليتنوج.

ومنطقة الملكية: تلك المنطقة التي أقيمت على أراضي بيليتونج، وكانت مخصصة لكبار موظفي شركة (ب.ن) التي كانت تدير عمليات استخراج القصدير، " وكانت هذه المنطقة تخضع لحراسات أمنية

مشددة، ومحصنة بسياجات وأسوار عالية وتحذيرات قاسية اللهجة منتشرة في كل مكان بثلاث لغات: الإندونيسية الرسمية، والصينية والهولندية، وتقول تلك التحذيرات: ممنوع دخول من ليس له الحقّ" (هيراتا: ص35).

فاستخدمت أهالي القرية وسيلة لتحقيق النفوذ، كيف لا، وهم الذين ماتوا تحت مناجمها، وفي وغرقوا في بحرها بحثا عن القصدير، كما يقول إكال، "لعلّه من المبالغ فيه أن نسمي قريتنا موطن فقراء، لكن ليس من الخطأ القول إنها قرية عمّال، قرية حطّ عليها كسوف لا نهائي منذ فجر الثورة الصناعية" (هيراتا: ص40). فـ"الإنسان يدفع حياته ثمنا للمكان، وما الثورات وحركات المقاومة والحركات التحرّرية عبر التاريخ إلا تأكيدًا للمكان ولماهية إنسانه ووجوده ولحريته" (عليان: 2012، ص 424).

لقد شكلت (الملكية) حالة قلق وظلم للواقع، فبِدماء الفقراء وعلى أكتافهم بُنيت، فأصبحت في:" أعين أطفال القرية الفقراء كما تقول: (الزم حدودك)، وقد تعزّز هذا الانطباع بصف من أشجار طويلة ريشية الشكل تساقط دوما كريات حمراء بلون الدم على أسطح السيارات الفارهة المحتشدة عند مخرج المرآب (هيراتا: ص35). دامت هذه الملكية لسنوات، وطوال هذه السنوات لم يستطع الفقراء دخولها أو حتى الاقتراب من سياجها إلى أن جاءت اللحظة التي دخل فيها أهالي القرية الملكية بعد هبوط أسعار القصدير" اقتحم آلاف الأشخاص الملكية، نهب المواطنون البيوت الفاخرة في المنطقة السكنية، المواطنون الذين هدّمت أملاكهم، الذين احتلّت أرضهم، والذين كتموا امتعاضهم عشرات السنين، اقتلعت لافتات (ممنوع دخول من ليس له حقّ)، كان الناهبون يأخذون فترات استراحة، ويأكلون على طاولات الفخار الثمينة، ويتظاهرون بأنهم من زمرة الموظفين قبل أن يعاودوا النهب" (انظر: هيراتا: ص336-337).

طريق لينتانغ (المكان اللا متناهي):

والمكان اللامتناهي بحسب تعريف يوري لوتمان، "يكون - بصفة عامة – خاليا من الناس، فهو الأرض التي لا تخضع لسلطة أحد، مثل الصحراء، ويرتبط المكان ارتباطا لصيقًا بمفهوم الحرية" (لوتمان: 1988، ص63). ذلك أنّ (لينتانغ) الفتى الساحلي الذي كان يقطن قرية ساحلية بعيدة عن المدرسة، كان يقطع مسافة طويلة وحتى "يصل إلى المدرسة ينبغي عليه أنْ يبدأ رحلته على الدراجة مع صلاة الفجر، حوالي الساعة الرابعة صباحا" (هيراتا: ص21).

لقد مثّلت الغابة – طريق لينتانغ -، حدثًا مهمًّا في حياته كأنّها طريق الحرية التي كان يستجليها وصولا إلى حقل المعرفة والعلم - المدرسة المحمدية -، كانت بنظره تمثّل الحرية والبحث عن الذات، على الرغم من المخاطر التي كانت تواجهه في طريقه، كالتماسيح التي كانت تعترضه، فضلا عن الأحوال

ISSN : 2625 - 8943

الجوية التي كانت تقيّده لدقائق معتكفًا تحت الأشجار حتى يصبح الطقس مقبولا (انظر: هيراتا: ص62-65). لقد كانت الغابة الفضاء الذي لجأ إليه لينتانغ في مراجعة دروسه ومنطلق لإصراره، بعيدا عن ضيق البيت، فـ"لا تسنح الفرصة للينتانغ للدراسة إلا في وقت متأخر من الليل، كان من الصعب عليّ بمكان العثور على بقعة فارغة في البيت بسبب ازدحامه، هذا فضلا عن أنهم جميعا كانوا يتشاركون المصباح الزيتي" (هيراتا: ص69).

- **الخاتمة:**

توقفت الدراسة عند رؤية المكان في رواية عساكر قوس قزح، فألقت ظلالها على مفردة المكان وأنماطه في الرواية، حيث حللت نماذج متعددة، منْ خلال تعالق الإنسان في المكان ودرجة تأثره وتأثيره فيه، وقد أفضت الدراسة إلى نتائج عديدة أهمّها:

أولًا: يُعدّ المكان عنصرًا مهمّا في الرواية؛ فمنْ خلاله يستطيع المتلقّي الوقوف على أدوار الشخصيات وتفاعلهم داخل حيّز معيّن.

ثانيًا: رأت الدراسة أنّ أندريا هيراتا استطاع توظيف المكان في روايته وفقًا للرؤى والأفكار التي أراد أنْ يوصلها للقارئ، فتعدّدت أنماطه بدءا بالمكان المركزي، والمكان الأليف والمعادي، والمكان الممنوع.

ثالثًا: لعبت الأماكن في الرواية دورًا كبيرًا في تطوّر الشخصيات، سواء أكان هذا التطور انعكاسا إيجابيا أو سلبيًا.

رابعًا: أثبتت الدراسة أنّ (أرض الجزيرة والمدرسة والملكية ومتجر النثريات والأمكنة التي توقفت عندها)، هي أماكن ثابتة مكانيا متغيرة فكريا ودلاليًا؛ فقد نجح هيراتا بإسقاط المتغيرات الدلالية على هذه الأماكن، فأحسّ القارئ بتلك المتغيرات.

خامسًا: حضرت المفارقة السياقية في أحداث الرواية لأكثر منْ حدث في الرواية، حيث عكست قدرة الكاتب على جذب القارئ نحو النّص.

سادسًا: مثّلت الرواية محطة سياسية منْ محطات إندونيسيا، فقد لفت هيراتا الأنظار على إندونيسيا من خلال تسليطه الضوء على بقعة واحدة من بقاع إندونيسيا (جزيرة بيليتونغ)، فرسم الكاتب طريق الرواية متوازيا مع طريق إندونيسيا السياسي.

سابعًا: عكس المكان في الرواية طبيعة المكوّن الاجتماعي في إندونيسيا حيث مثّل عمّال شركة (ب.ن) الطبقة الكادحة في المجتمع، بينما مثّلت منطقة (الملكية) طبقة الأغنياء في المجتمع.

- **المصادر والمراجع:**

- أندريا هيراتا: رواية عساكر قوس قزح، ترجمة: سكينة إبراهيم، دار المنى، 2013م.

ISSN : 2625 - 8943

- **الكتب:**

أبو ريان، محمد علي (1966). تاريخ الفكر الفلسفي (أرسطو)، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
أبو الفضل جمال الدين، ابن منظور. لسان العرب (م6)، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان.
اسليم، فاروق أحمد (1998). الانتماء في الشعر الجاهلي (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
الأصفهاني، أبو القاسم (1972). معجم مفردات ألفاظ القرآن، تح: نديم مرعشلي، مطبعة التقدم العربي، دار الكتاب العربي.
الإندونيسي، قهر الدين (1947). هذه هي إندونيسيا "أثر المواد الأولية في مستقبل إندونيسيا السياسي"، مطبعة الشبكشي، مصر.
بدوي، عبد الرحمن (1979). مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت.
بدوي، عبد الرحمن (1984). موسوعة الفلسفة (ج1)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى.
البصري، ابن دريد(1344ه). جمهرة اللغة (ط1)، دار صادر، بيروت.
رحلات ماركو بولو (1995). تر: عبد العزيز جاويد، (ط2)، (ج1)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
الزبيدي، محي الدين(ت1205هـــــ). تاج العروس من جواهر القاموس، مطبعة بولاق، مصر.
السماوي، أحمد (1997). عالم القصة في سرد طه حسين، التعاضدية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس.
شاكر، محمود (1979): مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا 5 (إندونيسيا)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
العبيدي، حسن مجيد (1987). نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
عقاق، قادة. جماليات المكان في الشعر العربي المعاصر - جدل المكان والزمان، - دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران.
عليان، حسن (2012). تداخل الأجناس الأدبية، الرواية والسيرة، سيرة مدينة وشعب، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن.
الفارابي، أبو نصر (1986). كتاب الحروف، تحقيق وتقديم محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان.
الفراهيدي (1978). كتاب العين، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.
قاسم، سيزا (1984). بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
قاسم، سيزا وآخرون (1988). جماليات المكان، دار قرطبة، عيون المقالات للنشر، الدار البيضاء.

ISSN : 2625 - 8943

الكندي، أبو يوسف (1950). رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي.

لوتمان، يوري (1988). جماليات المكان، (جماعة من الباحثين) (ط2)، عيون المقالات للنشر، دار قرطبة، الدار البيضاء.

مؤنسي، حبيب (2001): فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

النصير، ياسين (1986). إشكالية المكان في النص الأدبي (ط1)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

النصير، ياسين (2010): الرواية المكان (دراسة المكان الروائي)، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق.

- **المجلات:**

الحافظ، صبري (1986): حول محطة السكة الحديد لإدوارد خراط، مجلة الأقلام عدد11-12.

الشوابكة، محمد (1991): دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمن منيف، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، مجلد9، عدد2.

قاسم، عبده قاسم (1983). الشعر والتاريخ، مجلة فصول، العدد الثاني، المجلد الثالث.

- **المواقع الإلكترونية:**

. https://2u.pw/Mo43jz

https://2u.pw/QzwmMy

https://2u.pw/NlFjcp

. /https://proleksis.lzmk.hr/7987

https://2u.pw/NlFjcp

- **الموسوعات:**

الموسوعة الجغرافية في العالم الإسلامي (1419هـ). إقليم جنوب شرق آسيا، المجلد السابع، باب إندونيسيا.

مفهومُ النَّص في الدَّرس اللسانيّ المعاصر

The concept of text in contemporary studies

عائشة عبد الكريم الآفه / طالبة دكتوراه ـ كلية الآداب و العلوم الإنسانية ـ جامعة حماة، سوريا
بإشراف: أ.د رود محمد خبّاز
البيد الالكتروني: aishaalafaa@gmail.com

ملخص البحث:

منذ ستينيات القرن الماضي نشطت الدّراسات التي تُعنى بالنَّص، ونمت تلك الأبحاث، وازدهرت حتى يومنا الحاضر، وقد وظَّف نحو النَّص العديد من المفاهيم التي شكَّلتْ محورَ الدِّراسةِ لديْه، و يعدُّ النَّصُ أحدَ أهمِّ المفاهيم التي أسس عليها المهتمونَ دراستهم وبحوثهم في نحو النّص، ويجد الباحث في مفهوم النّص مجالاً رحباً ومتشعباً للبحث، إذ تتقاسم الاهتمام به عددٌ كبيرٌ من الحقول المعرفيّة والعلميّة والتّخصصات اللغويّة والنقديّة، الأمر الذي أدى إلى تنوع مقارباته واختلاف الأسس والمنطلقات والمرجعيات النظريّة التي تستند إليها اتجاهات تحليله.

لذا يحاول هذا البحث تتبع مفهوم النّص في الثقافتين العربيّة والغربيّة المعاصرة، منطلقاً من فكرة مفادها اتّساع البحث وغنى مادته ووفرتها، والتي تتيح له أن يضع بصمته في دراسة هذا المفهوم.

الكلمات المفتاحيّة: نحو النّص، النّص في المعاجم اللغوية الغربية، النّص في المعجمات اللسانية، النّص عند المنظّرين اللسانيين.

Abstract:

Since the sixties of the last century, studies dealing with text have been active, and that research has grown and flourished until the present day. He has employed many concepts towards text that formed the focus of his study. Text is one of the most important concepts upon which those interested in text grammar have based their studies and research. The concept of text provides a wide and complex field for research, A large number of cognitive and scientific fields and linguistic and critical specializations share interest in it, which has led to the diversity of its approaches and the differences in the foundations, starting points and theoretical references on which its analysis trends are based.

Therefore, this research attempts to trace the concept of text in contemporary Arab and Western cultures, starting from the idea that the breadth of research and the richness and abundance of its material, which allows it to leave its mark in the study of this concept.

Keywords: Grammar of the text, the text in Western linguistic dictionaries, the text in linguistic dictionaries, the text according to linguistic theorists.

ISSN : 2625 - 8943

المقدمة:

أفضى ظهور نحو النّص في ستينيات القرن الماضي إلى تجاوز الجملة، والانتقال إلى دراسة النّص بوصفه بناء تنسلكُ في إقامته أركان أخرى إلى جانب النّسيج اللغوي؛ منها: المتكلم والمخاطب، والمقام.

لذا فمن البديهي أنّ نحو النص له ارتباط وثيق بالنص، فهو ينطلق منه لدراسته دراسة لسانيّة تقوم على وصفه وتحليله، وهو بذلك يتجاوز حدود الجملة جاعلاً منه الوحدة الكبرى للدرس اللغويّ. والباحث في مفهوم النص يجد مجالاً رحباً ومتشعباً للبحث ، إذ تتقاسم الاهتمام به عدد كبير من الحقول المعرفية والعلمية والتخصصات اللغوية و النقدية، الأمر الذي يؤدي إلى تنوع مقارباته واختلاف الأسس والمنطلقات والمرجعيات النظرية التي تستند إليها اتجاهات تحليله. بل أضحت أنْسَقَة تحليل النص أمراً شائكاً وفي غاية التعقيد. وهو ما يوضحه حسين خمري قائلاً:" إنّ مفهوم النّص مفهوم إشكاليّ لأنّ طابعه المتغيّر، و التشكيلات التي يتمظهر بها يجعل تعريفه مهمة صعبة وبوصفه سيرورة تواصليّة فإنّ العديد من أنماط التواصل تتنازع حوله و تحاول أنْ تجرّه إلى حقلها و توظيفه توظيفاً إجرائيّا... ويُحيلُ هذا التنازع بين اختصاصا مختلفة؛ حيث يحاول كل اختصاص أن يستأثر بهذا المفهوم و يجعل منه حجر الزاوية في مقاربته للموضوع الذي يحلله؛ و تختلف وجهات النظر في تعريف النص من اللغوي إلى اللسانياتي إلى الناقد إلى المؤرخ إلى الفيلسوف إلى المفسر" (خمري،2007م، ص35). لذا يسعى البحث إلى استنطاق الدراسات، لاستجلاء مفهوم النص؛ لغة و اصطلاحا لدى اللسانيين المعاصرين؛ لرسم حدود دقيقة للمصطلح.

أولا: النص في المعجمات اللغوية الغربية:

يرد لفظ (نص) في المعجمات اللغوية الغربية بمعنى النسيج؛ إذ يذكر معجم le petit larousse en couleurs أنّ لفظة النّص (texte) أخذت من (tissu) ومعناها القماش أو النسيج ، وهي بدورها مشتقة من الأصل اللاتيني (textus) و معناه النّسيج، وقد أُخذت من الجذر اللاتيني (Texere) ومعناه (نسج). (Petit Larousse en couleurs ,P917,1980).

فالأصل اللاتيني يُحيل إلى النّسيج، و دلالة هذه الكلمة تحيل إلى شدة التّنظيم وبراعة الصنع، وقد استخدمت هذه الكلمة في المجال الصّناعي المادي و قد نتج عنها اشتقاقات لا تخرج عن هذا المعنى الأصليّ، ثم نُقل هذا المعنى إلى نسيج النّص، فعُدَّ النّص" نسجاً من العبارات المكتوبة من قِبل الكاتب" (dictionnaire essentiel de la langue francaisem,p720). وتبدو العلاقة واضحة في هذا النّقل، فإذا كان النَّسيج الماديّ يتكون من السّدى و اللحمة و المنوال، فإنّ النص يتكون من الحروف والكلمات المجموعة في الكتابة" (مفتاح،2010م، ص 16).

فالمعنى اللغوي للنص في الثّقافة الغربية يتوافق مع المعنى الاصطلاحي؛ إذ أشار رولان بارت إلى أنّ النَّص عبارة عن نسيج كنسيج العنكبوت لبراعة نسجه وتماسكه، بحيث يتعلق بعضه ببعضٍ، وتلتقي أول خيوط نسجه مع آخره، ومن هذا المنطق يرى رولان بارت أنّه يمكن تعريف علم لغة النص بعلم نسيج العنكبوت (بارت،1988م، ص63-64). بناء على ذلك جعل مايكل الكسندر هاليداي و رقية حسن النسيج يميز النصّ من اللانص بالقول: " إن مفهوم النسيج مناسب تماماً للتعبير عن خاصيّة وجود النص. للنص نسيج وهذا ما يميزه عن اللانص، إنه يستمد هذا النسيج من حقيقة أنه يعمل كوحدة فيما يتعلق ببيئته" (Halliday , Hasan, 1976, p2).

ثانياً: النص في المعجمات اللسانية:

يكشف البحث في معظم المعاجم اللسانية التي عالجت مفهوم النَّص عن كثرة في التعريفات تتوافق حيناً و تتباين حيناً آخر، فيذكر معجم مصطلحات السميوطيقا أنَّ" كلمة النَّص في الألسنيات للإشارة إلى أي مقطع مكتوب أو منطوق يكوِّن ـ نتيجة للتماسك والتَّرابط ــ كلاّ متحداً ". (ماتن، فليزيتاس، 2008م، ص188)؛ فالمعجم يتحدث على مجموعة ملفوظات مكتوبة أو منطوقة وهي متماسكة من خلال معياري التماسك و الترابط.

ويذكر المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات تعريفا للنّص يجمع فيه بين المكتوب والملفوظ تمثل بدراسة البنيات السطحية له بالقول:" النّص مجموع العبارات اللغويّة قيد التّحليل والدَّرس، ويمكن أنْ يكون مرادفاً للمعنى أو العينة اللغويّة، كما يمكنه أنْ يكون كتابيّاً أو شفويّاً ".(نخبة من اللسانيين العرب، ص151)

ويأتي تعريف النَّص عرضاً في أثناء كلام معجم الأسلوبيات على نحو النَّص؛ فالنَّص وحدة أوسع من الجملة.(وايلز، 2014م، ص671).

في حين يعرض معجم تحليل الخطاب مشاكل التعريف المتمثلة في إطلاق مصطلح نص على (نص مكتوب) و(خطاب شفوي) لأنَّ " كلمة نص لا تُحيلُ رغم تعريفٍ جار يجعل منه (كل خطاب مقيَّد بالكتابة)...ومن المستحسن من جهة أخرى أنْ نميّز بين النَّص والخطاب باعتبارهما الوجهين المتكاملين لشيء مشترك تتكفل به اللسانيّات النصيّة ". (شارودو، منغنو، 2008م، ص553-554).

و يذهب معجم تحليل الخطاب إلى أنَّ تعريف النّص كان في أوَّل الأمر نحويّاً يسعى إلى التنميط فالنَّص" مقطوعة مشكَّلة تشكيلاً سويّاً من جملٍ مترابطة تتدرج نحو النهاية ".(المرجع نفسه، ص554) وينقل المعجم أنّ هذا التَّعريف قد انتقد انتقاداً واسعاً؛ لأنَّه " ليس من الثَّابت أنّنا نستطيع الانطلاق هكذا من الوحدة الجملة ...لقد فشل أنحاء النّصوص...وتبيّن أنَّ النَّص وحدة مفرطة التعقد كي نستطيع

حصرها في نمطّيات، وحتّى يفي مجرد الاتساق والانسجام اللغويين بما يكوِّن وحدتها ". (المرجع نفسه، ص554). لذا يرى مؤلفا المعجم أنّه ينبغي إرفاق البعد التّداولي ثم ربطه بالمقام ليتجاوز النَّص حدود التَّتابع الخطي في شكله المكتوب، وحينئذٍ " يكون التّفكير بالنّص أصوب، لا باعتباره وحدة نحوّية بالتَّأكيد ولكن بالأحرى باعتباره وحدة من نوع مختلف: إنَّه وحدة دلاليّة, ووحدته هي وحدة المعنى في المقام و النسيج الذي يعبِّر عن الحقيقة التي يخبر عنها باعتبارها راجعة بتمامها إلى المحيط الذي رُسمتْ فيه". (المرجع نفسه، ص554). فالمعجم يبني تصوراً للنص على أساس استخصار الأبعاد التّداوليّة والدّلاليّة والتّركيبيّة.

و يعرّف كتّاب المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب النص، بأنّه" وحدة كبرى شاملة تتكون من أجزاء مختلفة تقع على مستوى أفقي من الناحية النحويّة، وعلى مستوى عمودي من الناحية الدَّلاليّة ".(بوقرة، 2009م،ص 42)؛ وفي هذا التَّعريف إعراض عن المستوى التّداولي وإغفال ذكر إن كان النَّص مكتوباً أو منطوقاً.

والنص في القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان؛ " سلسلة لسانية محكية أو مكتوبة، وتشكّلُ وحدة تواصليّة، ولا يهم إن كان المقصود هو متتالية من الجمل، أو جملة واحدة أو جزء من جملة".(ديكرو، سشايفر، ص533)

و يذكر A Dictionary of Linguistics and Phonetics تعريفاً للنص في سياق الكلام على نحو النّص بالقول:" و النص هنا له مكانة مركزيّة, يُنظر إلى النّصوص على أنها وحدات لغوية لها وظيفة تواصليّة محددة، و تتميز بمبادئ مثل التّرابط والتّماسك والإعلام، والتي يمكن استخدامها لتوفير تعريف رسمي لما يشكل نصها أو نسيجها المحدد. وعلى أساس هذه المبادئ، يتم تصنيف النّصوص إلى أنواع نصيّة، أو أنواع، مثل إشارات الطرق، والتّقارير الإخبارية، والقصائد، والمحادثات، وما إلى ذلك". ((David, 2008, p482

في حين اكتفى بعض المعجمات اللسانية بترجمة المصطلح (texte) من دون شرح. (مبارك، 288) (نخبة من اللغويين العرب، ص 94).

تأسيساً على ما تقدم؛ فإن البحث عن تعريف للنص في المعجمات اللسانية، كشف عن تباين وقصور في المفهوم، حتى ليكاد يصعب على الباحث الإمساك بمفهوم له سمة الجمع والمنع؛ وربما يعود السبب الرئيس في تباين الباحثين حين تقديم مفهوم موحد للنص؛ هو اتساع النص ذاته، وتعدد مشارب الباحثين فيه، واختلاف نظرتهم إليه، هذا الاتساع لم يكن ليلم به باحث واحد، فتراه أخذ جانبا من النص، فشمل مفهوم النص لديه على ذلك الجانب فقط ، والآخر مثله والآخر مثله؛ وبذا جاء المفهوم

لدى بعضهم عاما؛ (وحدة أوسع من الجملة)، في حين حرص آخرون على ربط المفهوم بالبنيات السطحية فحسب، و اهتم بعضهم بالمستوى التركيبي والدلالي، في حين سعى غيرهم، وربما هم الأكثر وضوحا، إلى استحضار الأبعاد التركيبية والدلالية و التداولية؛ لذا ليس من الغريب أنْ يخلُص مؤلفا القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان إلى القول: " إنه لمن النادر أن يكون مفهوم النص، المستعمل بشكل واسع في إطار اللسانيات والدراسات الأدبية، قد حُدد بشكلٍ واضحٍ؛ إنَّ بعضها يحدد تطبيقه على الخطاب المكتوب بل على العمل الأدبي، يرى فيه مرادفاً للخطاب، وأخيراً فإنّ بعضها يعطيه توسعاً سيميائياً متنقلاً ليتكلم عن نص فلمي، وعن نص موسيقي".(ديكرو، سشايفر، ص533)

. ولعل الإلمام بتلك الجوانب مجتمعة لها أن تعطي الدارس فهما أوسع تجاه مفهوم النص.

ثالثا: النص في اصطلاح اللسانيين:

يجد الدارس حين البحث في مفهوم النّص إشكالات منها؛ تداخله مع مفاهيم أخرى مثل الخطاب والأدب الشّفاهي، وتعدد الحقول المعرفية التي تصدت لتعريفه مما جعل تلك التعريفات تكتفي بجانب دون آخر" فبعض تعريفات النص تعتمد على مكوناته الجملية وتتابعها، وبعضها الآخر يضيف إلى تلك الجمل الترابط، وبعض ثالث يعتمد على التواصل النصيّ و السياق، وبعض رابع يعتمد على الإنتاجية الأدبية أو فعل الكتابة، وبعض خامس يعتمد على جملة المقاربات المختلفة والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصاً، فيكون لديك حصيلة كبرى من التعريفات التي تقربنا من ملامحه. (عفيفي، 2001م، ص21)

ويبدو أنّ تعدد زوايا النظر إلى النّص قد أدى تعريفات كثيرة ومتشعبة، ومن ثمَّ لم يحظَ النص بتعريف جامع مانع لدى المختصين، وهذا ما دفع كلاوس برينكر إلى القول :" في علم لغة النص توجد تعريفات مختلفة للنص، ولا يوجد تعريف مقبول بوجه عام" (برينكر، 2005م، ص21). بل انتهى الأمر إلى تعدد في مفهومه يفوق ما كان عليه مفهوم الجملة من اختلاف. لذا كان" أهم ما يتميّز به البحث النصيّ عبر التطور السريع الذي شهدته اللسانيات في مواجهتها للظاهرة اللسانية صعوبته وتعدد مفاهيمه و إجراءاته ، وتعدد مرجعياته التأسيسيّة حتى بات من الصعب تحديد نشأته المدرسيّة ، و ضبط أُطُرِهِ العامة، و مما زاد في صعوبة الموقف تعدد الأشكال النّصيّة، مما أوقع في مأزق الضبط المعرفي لمصطلح النص الذي يُمثل بؤرة الهم المنهجي لهذا الحقل " (بوقرة، 2012م، ص26). من هنا يقرر نعمان بوقرة استعصاء وجود تعريف للنّص بقوله: " وقد استعصى مصطلح النص على التعريف قديماً و حديثاً، إذ كثيراً ما تكاثفت الأسئلة في ماهيّته وأقسامه و أغراضه و تمايزه عن أشكال تواصليّة أخرى، ومن بين الأسئلة الملحّة: أي نصٍ نعني؟ أهو الديني؟ أم الفلسفي أم العلمي أم الأدبي أم اللساني؟ أهو النص

المكتوب أم المنطوق؟ أم التراثي أم الحداثي ،أهو الشعري أم النثري؟ "(بوقرة، 2012م، ص 16)، ولعل ما ذكره نعمان بوقرة من استعصاء في تعريف النَّص مردُّه إلى أنّه ثمة تعريفات للنّص تكثر حد الاحتشاد، وربما كان قصده من فحوى (الاستعصاء) هو صعوبة الاستقرار على تصور واحد جامع لمفهوم النّص من دون أن تنازعه تصورات أخرى.

ويرى صبحي الفقي أنَّ عدم استقرار مفهوم النص يرجع إلى عدة أمور منها (الفقي، 2001م، 27/1):

1. التّماس بين هذا العلم وغيره من العلوم، لكنه رأى أنَّ هذا السبب أصبح ركناً أساسياً في الدِّراسات النّصيّة.
2. تعدد معايير هذا التعريف هل هي معايير شكلية، أم معايير دلاليّة، أم شكليّة ودلاليّة معاً؟.
3. عدم اكتمال تطور نحويّات النَّص، لأنّ ذلك يعني عدم اكتمال العلم.

وربما يكون من أجدر تلك الأسباب غياب التنسيق بين الباحثين يدفعهم لذلك غواية السبق، والافتنان بارتياد المسارات البكر، إذ حاول كل باحث أن يُظهرَ تفرده في وضع المصطلح و لاسيما أن نحو النص و مصطلحاته فرع معرفي جديد.

وفيما يأتي سيعرض البحث لأهم تعريفات النص في الثقافيتين الغربية والعربية المعاصرة التي يبدو أنها تتكئ " على ما جرى استعماله في الجامعات الغربية، وهو يختلف كل الاختلاف عما قدمته التصورات العربية القديمة، حيث شُحن بتصورات غربيّة غير التي أنتجتها الثقافة العربيّة في الماضي". (مفتاح، 2010، ص30).

عرّف هارخ النص بأنّه" ترابط مستمر للاستدلالات السنتجميمة [النحويّة] التي تظهر الترابط النحوي في النص". (مفتاح، 2010، ص30).

و يرى هلبش أنّه " تتابع متماسك من الجمل".(واورزنياك، 2003م، ص54)

و النص عند هاريس هو:" تتابع من جمل كثيرة ذات نهاية". (المرجع نفسه، ص 54)

ويعرِّف إيزنبرج النَّص، بأنّه" متوالية متماسكة من الجمل، كما نجدها مستعملة في الاتصال اللغوي".(هاينه من، فيهفيجر، 1996م، ص25)

ويعرّف سعد مصلوح النّص قائلاً: " أمّا النَّص فليس إلا سلسلة من الجمل؛ كل منها يفيد السّامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل ــ أو لنماذج الجمل ــ الداخلة في تشكيله". (مصلوح، 1990م، ص407). ويعرّف كلاوس برينكر النَّص قائلاً :" النَّص تتابع متماسك من الجمل

غير أنّ هذا يعني أنّ الجملة كما كانت الحال من قبل ينظر إليها على أنّها معْلَم رئيس في تدرج الوحدات اللغوية أي وحدة بناء النَّص". (برينكر، 2005م، ص24)

والمتأمل للتعريفات السابقة للنص يجد أنّها تركز على الخصائص المتعلقة بالجانب الشّكلي له، كالتّماسك النحوي، والروابط بين وحداته، والتّأكيد على النهاية الحتمية لكونه أكبر وحدة لغوية، و لم تذكر إنْ كان النَّصُّ منطوقاً أو مكتوباً، فالرَّبطُ فيها هو الأساس.

ومما يؤخذ على هذه التعريفات:

أنّ الكلمات المترابطة أيا كان معناها ستكوِّن نصاً، وإن لم تشكل وحدة لغوية تواصلية ذات هدف إبلاغي، وهذا مجانب للدقة فالنّص غالباً ينبغي أن يحقق غرض التّواصل بين المرسِل والمتلقي؛ لأنَّ " الخاصية الأولى للنصوص من باب أولى هي كونها ترد في الاتصال".(دي بوغراند، 1998م، ص 64) و لعل هذا يتفق مع ما ذهب إليه تمام حسَّان من أنَّ" الاتّصال لا يتم بواسطة وصف الوحدات الصغرى صوتيّة و صرفيّة ولا بعرض العلاقات النحوية، وإنما يتم باستعمال اللغة في موقف أدائي حقيقي ، أي إنشاء نص ما، وقد يطول هذا النص أو يقصر". (المرجع نفسه، ص4)، كما أنّ هذا التعريف " كما هو واضح دائريّ، بمعنى أنه يوضح النّص بالجملة والجملة من خلال النّص، كما أنه غير منهجيّ علميا، لغموض الرموز و العلاقات التي يتضمنها، واتّساع الوصف؛ ومن ثم لا يمكن تطبيقه". (شبلنر، ص188) فضلا عن أنَّ النَّص ليس بالضرورة تركيباً من جمل إذ يمكن أنَّ يأتي" على صورة كلمة واحدة، أو جملة واحدة، أو مجموعة أجزاء، أو خليط من البنيات السَّطحية".(دي بوغراند، 1998م، ص64) فقد عالج بعضُ الباحثين نصوصاً ذات الجملة الواحدة، حيث يتلبس النّص بالجملة و تتلبس هي به، يصدق هذا على بعض النَّصوص الأدبية كالأمثال (من ذلك دراسة محمود قدوم (نحو النص ذي الجملة الواحدة دراسة تطبيقية في مجمع الأمثال للميداني)؛ ومن ذلك المثل (إحدى حظيّات لقمان) فكيف تدرس الروابط في هذا المثل؟ فهو " بكينونته القائمة الماثلة على السَّطح يمثل نصا مكتملا مغلقا، ولا معنى لاستحضار النّص الكبير أو الحكاية الأولى لإنتاج المثل في التّحليل النّحوي والتّرابط النحوي. ماذا يفعل الباحث إذ بالكاد تُمثلُ مقولة المثل الذي استحضرته جملة ؟ إنّه ملزمٌ هنا باستيفاء بنية الجملة التي يمثلها المثل فقط عبر مقولة الحذف النحوي، و يفترض أن بنية الجملة الأصلية هي (هي إحدى حظات لقمان) فيكون المحذوف هو المبتدأ".(قدوم، 2015م، ص211). إذن فمقولة أنَّ النّص تتابع من الجمل لا تصدق على النَّص ذي الجملة الواحدة؛ لأنَّ تلك المقولات " قد انصرفت لوصف النصوص التي تألفت من متواليات من الجمل المتصلة؛ فعالجت الأدوات والضمائر والروابط المختلفة التي تربط بين

الجمل المختلفة وتُحيلها كلاً نحويًّا متماسكاً. أمَّا نص المثل فهو جملة واحدة فكيف ستدرس الروابط النحوية فيه؟". (المرجع نفسه، ص 214).

أنّ قول سعد مصلوح (فائدة يحسن السكوت عليها) إنما يدخل في نحو الجملة، ولا يمكن تطبيقه على نحو النص؛ لأنَّ النَّص كما يقول فاينرش " تكوين حتميّ يحدد بعضه بعضاً Determinationsgefuge؛ إذ تستلزم عناصره بعضها بعضاً لفهم الكل". (بحيري، 108)ويترتب على هذا التصور أنَّ" استقلالية معنى الجمل في نحو النص غير قائمة، فالمعنى يتحدد من خلال النص، لا من خلال الجملة ، ومن هنا ترتبط في النص الأجزاء السابقة باللاحقة، فيمكن أن تفسر جملة سابقة جملة لاحقة والعكس، مما يؤدي إلى القول: بكلية النص". (عفيفي، 2001م، ص24)

لعله اتّضح مما سبق قصور التعريف الذي يتخذ من تتابع الجمل حداً للنص؛ لأنّه جعل مفهومه نحويّاً محضاً، وعجز عن تفسير كثير من العلاقات التي تربط أجزاء النص وعلى رأسها الإحالة وأنماط التنصيص، ووسائله، والإضمار، والبدائل، والظرفية، وموقع نبر الجملة، والتنغيم، والتأكيد والتقابل، والعلاقات السببية بين جمل متراصة بلا رابط.(برينكر، 2005م، ص24) لذا ينبغي " أن نتبنى موقفا آخر يقيم تصوراً للنص من جملة المقولات التي قدمت له في البحوث البنيوية و السيميلوجية الحديثة دون الاكتفاء بالتحديدات اللغوية البحتة". (فضل، 2002م، ص161)

في حين يضع بيتوفي المتلقي شرطاً في تحديد النص، فالنّص لديه يُستعمل " للإشارة إلى موضوع سيميوطيقي، يُحفظ على شريط مسجل أو شريط فيديو، ويوافق اثنان من أبناء اللغة المقدمة على الأقل على أنَّ الموضوع المقدَّم هو نصٌ" (هاينه من، فيهفيجر، 1996م، ص45)، لذا يعرف النَّص بأنَّه" تتابع العناصر الكلاميّة المنطوقة أو المكتوبة موظفة بوصفها كلّاً متكاملاً، حيث يكون مؤهلاً لمواكبة بعض (غالباً غير لغويّة) المعايير".(الشاوش، 20001، ص 83/1)

وقد صرفت بعض التّعريفات اهتمامها إلى الجانب التّداولي للنص والسّياقات التي يرد فيها فبخلاف " الاتجاهات الدّاخلية الباطنية التي تعرّف النَّص بالنّظر إلى مكوناته فالآراء الجديدة تعتمد في نظر إلى النَّص على السّياق الاتّصالي، وما يتضمنه عمليّاً، وترى أن النّصوص ليست سوى مجموعة من الرّموز اللغويّة المعبرة و أنَّ وظيفتها إنما هي الاتصال الاجتماعي"(بحيري، 1997م، ص119)؛ لذا يرى فان دايك أن دراسة النّص ينبغي أن توسع لتشمل مستوى العمل، بمعنى أنَّ " البناء النظري للعبارات على المستويين الصّوري والدّلالي ينبغي أن يكمل ويتمم بالمستوى الثّالث أعني بمستوى فعل الكلام وذلك أنَّ كل عبارة متلفظ بها ينبغي ألا توصف فقط من جهة تركيبها الدّاخلي والمعنى المحدد لها بل ينبغي أن يُنظر إليها كذلك من جهة الفعل التام الإنجاز المؤدي إلى إنتاج تلك العبارة ".(فان دايك، 2001م،

ص19) ويذهب فان دايك إلى أنَّ إضافة المستوى التداولي إلى النص سيُمكِّن من معرفة مدى مناسبة النَّص للسياق الذي أنجز فيه، مما يترتب على ذلك قبوله أو رفضه، يقول: " ووصف هذا المستوى التداولي من هذا القبيل هو الذي يهيء شروطاً حاسمة لغاية إنشاء وتركيب جزء من ضروب التواضع و الاتفاق مما يجعل العبارات مقبولة أعني أن يصير تركيبها مناسباً لمقتضى الحال بالنظر إلى السياق التواصليّ ". (المرجع السابق، ص19) وبناء على ذلك يعرّف ديفيد كريستال النص بوصفه " تتابعاً منظماً أفقياً من الإشارات اللغويّة التي تُفهم على أنَّها توجيهات من مرسِلٍ معيّنٍ إلى مخاطَبٍ معيَّن". (واورزنياك، 2003م، ص15) و نجد الأمر نفسه في تعريف شميث " كل جزء لغوي منطوق من فعل التواصل في حدث التواصل، يحدد من جهة الموضوع، و يفي بوظيفة تواصلية يمكن تعرّفها أي يحقق كفاءة إنجازيّة يمكن تعرفها". (المرجع نفسه، ص58) فشميث يتكلم على السمة التواصليّة الإبلاغية للنص أي لا وجود للنص قبل الإنجاز (الإجراء). كما يبدو واضحاً أنَّ شميت أراد أنْ يُدخل النص المنطوق في حيز الدراسة النصيّة؛ فالنص في لحظة التخاطب إنما هو منطوقات لها وظيفة، وعند عزلها عن السياق فإنها تغدو قالبا أو صيغة، وعند عزل النص عن سياقه يبدو كأنه نص بلا وظيفة ، وبنية متضاربة في ذاتها. (آدمتسيك، 2009م، ص90) يبدو أن ديفيد كريستال وشميث يجمعان في تعريفهما للنص بين الجانبين؛ اللغويّ والتّداوليّ.

وبناء على إضافة البعد التداولي للنص يُسمي جون أوستين النَّص المنجز (الفعل الكلامي)؛ لأنَّه بوساطة " القول ننجز فعل الكلام Locutionary act وهو اصطلاح مختصر يكافئ التلفظ بعبارة ما يكون لها معنى ومرجع، وهذان العنصران يكافئان تقريباً الدلالة في معناها القديم". (أوستين، 1991م، ص90) كما أنّ الفعل الكلامي القائم على الاستعمال اللغويّ" ليس إبراز منطوق لغويّ ما فحسب، بل إنجاز اجتماعي معيّن أيضاً في الوقت نفسه. (فان دايك، 2000، ص118) ، ويرى جون لاينز أنَّ الفعل الكلامي يتألف من وحدات يطلق على الواحدة منها مصطلح: (القولة) وليس الجملة، لأنَّ الجمل حسب رأيه " كيانات مجردة معزولة عن السياق بمعنى أنها غير مرتبطة بأي زمان معيّن أومكان معيّن، فهي وحدات من نظام اللغة الذي تنتمي إليه ". (Language And linguistics John Lyons, p 164.) أمّا القولة فهي دائما مقيدة بسياق لأنَّ معناها " تتاج معنى الجملة و السياق". (Ibid .p 165) ويترتب على هذا التَّصور أنَّ النَّص يتكون من متتالية من الأقوال، ومن ثمَّ فلا وجود للنص قبل الإنجاز والاستعمال، وبناء على ذلك فإنَّ الجمل " وبهذا المعنى للمصطلح قد لا يكون لها أي صلاحية نفسية على الإطلاق؛ إنها بنيات نظرية في علم اللغة، وبشكل أكثر تحديدا للنظرية القواعدية العامة". (Ibid .p 165)

و يبدو أنّ لهذا التصور الذي يجعل من (الجملة) شكلاً مجرداّ مقابل (القولة) بوصفها كلاماً أنجزه المتكلم في سياق معيّن عقبات، لذا يؤيد البحث ما ذهب إليه محمد الشاوش من صعوبة الجمع بين مفهومين أحدهما من النظرية اللغوية (الجملة)، و الآخر ليس منها (القولة)، إذ يقول:" فما عساك تقول للتمييز بين القول المتكوّن من جملة، و القول المتكّون من ألف إذا حرمت نفسك من استعمال كلمة جملة؟ وما عساك تقول في التميز بين القول البسيط والقول المضمّن في قول إذا حرمتَ نفسك من استعمال كلمة جملة؟ ثمَّ إنَّه إذا أسعفك هذا التمييز في الحالات التي يوجد فيها تناسب بين وحدة القول ووحدة الجملة، فما عساك تفعل إذا تعلّق الأمر بأجزاء القول؟ أي بسائر العبارات التي لم تبنَ على منوال الجملة إنما بُنيت على سائر ضروب الأبنية التركيبيّة من إضافة إلى نعت وعطف ". (الشاوش، 2001م، ص1/55ـ56)و لعل ما ذكره محمد الشاوش دليلٌ على أنّ هذا الرأي غير قابل للتطبيق، وأنَّ هذه الاقتراحات لا يمكن أن " تعود إلى الحقيقة اللغوية بقدر ما تعود إلى التّصورات النظرية المختلفة؛ فأين يقف المجرد و يبدأ المنجز؟ ". (المرجع نفسه، 1/68)

في حين يعرّف فان دايك النّص على أساس دلالي؛ فهو عنده" بنية سطحية توجهها و تحفزها بنية عميقة دلالية ". (واورزنياك، 2003م، ص54) وهو ما يذهب إليه برينكر الذي يبدو أنّه يستدرك على تعريفه السابق مضيفاً الأساس الدلاليّ قائلاً: " النص وحدة لغويّة تواصليّة...وهي تُدرك على أنّها تكوين من علاقات توجد بين الجمل أو القضايا بوصفها العناصر المباشرة لبنية النَّص ، وتُحدث الربط الداخلي، و التماسك الدلاليّ"(برينكر، ص31)؛ فهو يجعل (القضية) وحدة مكونة للنَّص ، و حجة من اتّبع هذا الرأي أنّ مجال النّص هو الدلالة، و أنَّ الجملة، حسب تصورهم، تمثيل للبنية السطحية، وفي هذا " البناء السّطحي تنعكس دائما أجزاء فقط من المعنى النَّص، وليس كل المعلومات الدلالية، مما يعني أن وحدة أي نص لا يمكن أن توجد بشكل كاف إلا بمراعاة بناء القاعدة الدلاليّة أيضاً".(هاينه من ، فيهفيجر، 1996م، ص37) لذا يرى فولفجانج أنَّ النصوص بوصفها مركبات قضوية فإنَّه يمكن من خلال هذا التصور أنْ " يدرس ضمن مصطلحات القضايا كل محتويات الجملة المفردة، و أيضاً ربط هذه الوحدات ودمجها بمركبات قضويّة من مختلف مراحل الهرميّة". (المرجع نفسه، ص45) وقد وجه محمد الشاوش النقد لهذا التصور قائلاً: " مثل هذا المنطق يمكن ألّا يعتدَّ إلا بالمحتوى، ويهملَ جميع الظّواهر البنيويّة التركيبيّة للنّص، ولا يكاد يلتفت إلى ما يمكن أنْ تقوم عليه وجوه التعلق بين المكونات ومستويات تركّبها ". (الشاوش، 2001م، ص1/88) وربما يمكن تجاوز مثل هذا النقد إذا جمعنا بين دراسة المضمون والظواهر التركيبية في النّص؛ فنعرض " بنية النَّص على مستويين يرتبط كل منهما بالآخر ارتباطاً وثيقاً؛ المستوى النّحويّ والمستوى الموضوعيّ. وعلى مستوى الوصف النحويّ ندرس التماسك

النحويّ أي العلاقات النحويّة ــ الدلاليّة الوثيقة الصلة بربط النّص بين الجمل المتعاقبة في نصٍ ما...و على المستوى الموضوعيّ يتعلق الأمر بتحليل الربط الإدراكي الذي يُنشئه النّص بين الأحوال (المضامين الجملية و القضايا) المعبر عنها بالجمل ". (برينكر، 2005، ص31)

و يجعل بعض الباحثين كتابية النّص معيارا للحكم على نصيّته؛ لأنّ معنى النسيج لا يصدق على النّص ما لم يكن تجلياً خطيّاً، " و تحقق هذه الخصائص [أي الانتظام و الانسجام و التعقد و التشابك] بالكتابة المنظمة ذات الأبعاد المعقدة والمتشابكة، و عليه، فإذا لم تستحل الأصوات و الألفاظ و الكلمات إلى الكتابة أي إلى نسيج فإنّها ليست نصاً". (مفتاح، 2010م، ص16) فالكتابة تمنح النّص شكله الظاهريّ؛ فيغدو" نسيجاً من الكلمات المنظومة في التّأليف والمُنسّقة بحيث تفرض شكلاً ثابتاً ووحيداً ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً".(البقاعي، ص26) لذا فالنّص من وجهة نظر بول ريكور لا يكون نصاً حتى يكتب، يقول:" لنطلق كلمة نص على كلّ خطابٍ تمَّ تثبيته من خلال الكتابة، وهذا التثبيت أمرٌ مؤسس للنص ذاته ومقوم له". (ريكور، ص27) بيد أنَّ النَّص ليس محصوراً في حدود الكتابة فحسب، بل ينبغي أن يحقق غاية تواصلية أيضاً بحيث" لا يفهم في ذلك تحت وثيقة مكتوبة فحسب بل كل تحقيق للغة يمكن ضبطه أي مجموعة نشاطات إنسانية سواء أكانت مكتوبة أو منطوقة أو على نحو آخر". (هيشن، 2009م، ص161) و تثبيت النَّص بالكتابة مردُّه تسهيل التعامل بين البشر؛ فهو " سلاح في وجه النسيان، وفي وجه براعات القول الذي يُستدرك، و يخلط، و يتنكر بسهولة تامة".(البقاعي، ص 26. يقصد ببراعات القول" قدرات الكلام العالي الذي يستطيع أن يحمل معاني متعددة، وأنْ يُفسر بأشكال مختلفة". ينظر: نفسه، الحاشية: ص26)

ورغم أنّ التّعريفات السابقة قد اكتفت ببعض المعايير النصية من دون أخرى فإننا لانعدم أنْ نجد تعريفات حاولت جمع التصورات السابقة في تعريف واحد، كتعريف زتسيسلاف واورزنياك، إذ يقول: " نفهم تحت (نص) مكونا لغويا أفقيا نهائيا مقصودا به التطابق لواقعة التواصل المختصة [المقصدية]، يصير من خلال الدمج الإنجازي [تداوليّة النص] و أوجه التّناظر الدّلالية الموضوعيّة [دلاليّة النص] و التّرابطات النحوية تتابعا متماسكا من الجمل".(واورزنياك، ص60)، وكذلك تعريف محمد مفتاح؛ فهو" مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة [أي: تواصلي، تفاعلي، مغلق، توالدي] ".(مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استرتيجية التناص، ص 120).

و النَّص لدى مايكل هاليداي و رقية حسن يتجلى في قولهما " تستخدم كلمة نص في اللسانيات للدلالة على أي مقطع مكتوبا كان أم منطوقا، ومهما كان طوله على أن يمثل كلّاً موحداً...النّص وحدة لغوية في الاستعمال... يُنظر إليه أحياناً على أنَّه نوع يمثل ما فوق الجملة، أي وحدة نحوية أوسع من الجملة

لكنها ترتبط بالجملة بطريقة تماثل طريقة ارتباط الجملة بالعبارة ...فالنص ليس شيئاً يشبه الجملة، غير أنَّه أكبر، بل هو شيءٌ مختلفٌ عنها من حيث النوع...ويُستحسن النَّظر إلى النّص على أنَّه وحدة دلاليّة وحدة لا من حيث الشكل بل من حيث المعنى ، فهو مرتبط بالعبارة أو الجملة ليس من حيث الحجم بل من حيث التحقق "(Halliday , Hasan, 1976, p2-1).

، فقد جعلا النص وحدة متكاملة ، و لم يقيداه بالكتابة بل هو شامل للمنطوق والمكتوب، كما أن فكرة التماسك والتربط والاكتمال حاضرة في التعريف.

و لعل من أوضح التعريفات للنَّص تعريف محمد حماسة عبد اللطيف فهو" رسالة لغوية تشغل حيزا معينا فيها جديلة محكمة مضفورة من المفردات و البنية النحوية. و هذه الجديلة المضفورة تؤلف سياقا خاصا بالنص نفسه ينبث في المرسلة اللغوية كلها...النص الواحد فيه علاقات خاصة به تعمل داخل سياق لغوي و دلالي خاص كذلك و يقوم عدد من الروابط اللغوية و الدلالية بالعمل على تماسك هذا النص، وتوحيده داخل إطار واحد نسميه: إطار النص أو مجال النص ".(عبد اللطيف، 1996،ص 108).

وكذلك تعريف عبد الرحمن بودرع الذي يرى أنَّه" وحدة نحويّة دلاليّة ينتظم عناصرها اتساق نحويّ، وانسجام فكريّ موضوعيّ، و مقصدٌ عامٌ، وإنجازٌ كلاميٌّ أكبر (Maco-act speech) تنتظم فيه أفعال الكلام الموجودة فيه كلّها".(بودرع، 2018م، ص 40)، لذا فهو يرى أن النص لا يقف عند الحدود اللغوية بل يتعدى ذلك " النصَّ لا يقفُ عندَ صفَتِهِ اللغويّة المركَّبةِ من أصواتٍ ومَقاطعَ وأبنيةٍ وتَراكيبَ ودوالَّ، ولكنّه فعلٌ وحَدَثٌ وإنجازٌ، يُرافقُ الإنسانَ في أحواله كلها؛ فهو فعلٌ وفكرٌ وحدثٌ كلاميّ وإطارٌ عام لنشاطاته المختلفَة في التواصل، والتلقي، والحديث، والإنجاز، والإبداع، والتَّصور الذّهنيّ. النَّص إعادة تَركيب للعالَم وفق اختيارات وخطط ومواقعَ ".(المرجع نفسه، ص2)

ولعل من أشهر التعريفات و أكثرها شيوعاً تعريف دي بوغراند و ديسلر، إذ يريان أن كل حدث تواصلي لا بد له أن تجتمع فيه سبعة معايير حتى يتسم بالنصية وتزول عنه هذه السمة إذا غاب واحد منها، وهي (دي بوغراند، 2000، ص103-104):

1. السبك أو الربط النحوي أو الاتساق (Cohesion).
2. الحبك أو الالتحام أو التماسك الدلالي أو الانسجام (Coherence).
3. القصد أي هدف النص Intetionaltty.
4. القبول Acceptability.
5. رعاية الموقف Sttuationaltty .
6. التناص Intertextualtty.

7. الإخباريّة أو الإعلاميّة.

يمكننا أن نجمع بين التصورات السابقة للنص لنصل إلى مفهوم لسانيّ له؛ فهو حدث تواصلي مترابط نحوياً بما يحقق له سلامة الترتيب والسبك، ومتماسك دلالياً، تبنى دلالته وتتشكل وفق هوية المقام التداوليّ زمنيا ومكانيا حضاريا وثقافيا واجتماعياً بما يجعله يتكيف مع السياق الذي ولد فيه، حيث يتجلى كلاً متحداً يتصف بالشموليّة والانسجام.

نتائج البحث:

يبدو أنّ النَّص الذي ظلَّ يرفلُ في بطون المعاجم أزمنة متطاولة، قد أعيد النظر إليه في الحقول المعرفية المختلفة، وقد أفضى ذلك إلى لزوم الاضطراب والخلط، لذا كان مدار اهتمام هذا البحث تتبع مفهوم النص في الدرس اللساني المعاصر في الثقافتين العربية والغربية، وخلُص إلى نتائج، هي:

- أنَّ البحث عن تعريفٍ للنص في المعجمات اللسانية، ولدى المنظِّرين اللسانيين كشف عن تباين وقصور في المفهوم، حتى ليكاد يصعب على الباحث الإمساك بمفهوم له سمة الجمع والمنع؛ وربما يعود السبب الرئيس في ذلك؛ هو اتساع النص ذاته، وتعدد مشارب الباحثين فيه، واختلاف نظرتهم إليه، هذا الاتساع لم يكن ليحيط به باحث واحد، فنراه أخذ جانباً من النص، فيشمل مفهوم النص على ذلك الجانب فقط ، والآخر مثله، والآخر مثله؛ لذا جاء المفهوم لدى بعضهم عاما؛ (وحدة أوسع من الجملة)، في حين حرص آخرون على ربط المفهوم بالبنيات السطحية فحسب، و اهتم بعضهم بالمستوى التركيبي والدلالي، في حين سعى غيرهم، وربما هم الأكثر وضوحا، إلى استحضار الأبعاد التركيبية والدلالية و التداولية، ولعل الإلمام بتلك الجوانب مجتمعة لها أن تعطي الدارس فهما أوسع تجاه مفهوم النص.
- أنَّ البحث اللساني العربي الحديث في مجمل الدراسات التي تناولت التعريف بالنص مازالت تواجه إشكالية؛ تتمثل بأنها لم تتجاوز التنظير داخل الدرس اللساني الغربي، لذا ينبغي على الباحثين اللسانيين العرب التعريف بأنفسهم من خلال التنسيق بين بعضهم؛ والابتعاد غواية السبق، والافتنان بارتياد المسارات البكر؛ و لاسيما أن نحو النص ومصطلحاته فرع معرفي جديد؛ لصياغة نظرية لسانية نصية عربية تعبر عن موقفه العلمي العربي.
- يبدو أن حرص اللسسانيين على إيغال في هذا التخصص (نحو النص ومصطلحاته) قد أوقعهم في الغموض، والابتعاد عن فهم مكونات النص أحيانا، ولعل هذا من أبرز الأسباب التي تقف وراء هذه العبارات والمصطلحات المبهمة التي لا يفقهها أحيانا حتى أصحابها.

❖ أن اختلاف الباحثين حول الوحدات المكونة للنص (القولة، القضية)، لإشارة عريضة على قدرة النص على تبني جميع الصيغ التي يتألف منها، ودليل على إمكانية إدخالها حيّز الدراسة التطبيقة التي نتلاشى معها هذه الخلافات.

المراجع العربية:

1. بحيري، سعيد، علم لغة النص المفاهيم و الاتجاهات، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، 1997م.
2. البقاعي، محمد خير، دراسات في النص والتناصيّة، مركز الإنماء الحضاري حلب.
3. بودرع، عبد الرحمن، النص الذي نحيا به، ط1، مطبعة اليمامة تطوان المغرب،2018م.
4. بوقرة، نعمان، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل قراءات نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2012م.
5. بوقرة، نعمان، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس و الإجراء، ط1، دار الكتب العلمية، 2012م.
6. خمري، حسين، ظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، حسين خمري، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر،2007م.
7. الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع تونس،ط1، 2001م.
8. عبد اللطيف محمد حماسة، منهج في التحليل النصي للقصيدة، مجلة فصول، الجزء الأول، العدد 15، 1996م.
9. عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي،ط1، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، 2001م.
10. الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، ط1، دار قباء للنشر و التوزيع القاهرة، 2001م.
11. فضل، صلاح، مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، ط1، ميريت للنشر والتوزيع القاهرة، 2002م.
12. قدوم محمود، نحو النص ذي الجملة الواحدة، ط1، دار وجوه للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، 2015م.

13. مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري استرتيجية التناص، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب.
14. مفتاح، محمد، المفاهيم معالم ، نحو تأويل واقعي، ط2، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب، 2010م.
15. مصلوح سعد، من نحو الجملة إلى نحو النص، جامعة الكويت الكتاب التذكاري بقسم اللغة العربية، إعداد د. وديعة طه نجم، د, عبده بدوي، 1990م.

المراجع المترجمة:

1. آدمتسيك، كيرستن، لسانيات النص عرض تأسيسي، تر: سعيد بحيري،ط1، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، 2009م.
2. أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، تر: عبد القادر قنيني، بلاط، إفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب، 1991م.
3. بارت، ورلان، لذة النص، تر: فؤاد صفا ، الحسيم سبحان، ط1، دار توبقال للنشر الدار البيضاء المغرب، 1988م.
4. برينكر، كلاوس، التحليل اللغوي النصي مدخل إلى المفاهيم الأساسية، تر: سعيد بحيري، ط1، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع القاهرة، 2005م.
5. بوجراند دي، النّص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسّان، عالم الكتب القاهرة، ط1، 1998م.
6. دايك، فان، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد بحيري، ط1، دار القاهرة للكتاب، 2001م.
7. دايك فان، النص والسياق، تر: عبد القادر قنيني،بلاط، إفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب، 2000م.
8. ريكور، بول، النص والتأويل، تر: منصف عبد الحق، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت عدد 2، 1988م.
9. شبلنر، برند، علم اللغة و الدراسات الأدبيّة، تر: محمود جاد الرب، الدرا الفنية للنشر و التوزيع الرياض.
10. هاينهمن، فيهفيجر، فولفجانج، ديتر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي،بلاط، جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، 1996م.

11. هيشن، كلاوس، القضايا الأساسيّة في علم اللغة، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، 2009.
12. واورزنياك، زتسيسلاف، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، تر: سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003م.

المعجمات اللسانية:

1. ديكرو أوزوالد، سشايفر جان ماري، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، بلاط، المركز الثقافي العربي، بلات.
2. بوقرة نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص و تحليل الخطاب، نعمان، ط1، جدارا للكتاب العالمي عمّان الأردن، 2009م.
3. وايلز، كاتي، معجم تحليل الأسلوبيات، تر: خالد الأشهب، المنظمة العربية للترجمة بيروت، ط1، 2014م.
4. شارودو باتريك، منغنو دومينيك معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، مراجعة: صلاح الدين الشريف،المركز الوطني للترجمة تونس، 2008.
5. ماتن برونوين، رينجهام فليزيتاس، معجم مصطلحات السميوطيقا، تر: عابد خزاندار، مراجعة: محمد بريري، ط1،المركز القومي للترجمة القاهرة،ط1، 2008م.
6. نخبة من اللسانيين العرب، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الدار البيضاء المغرب، ط2.

المراجع الأجنبية:

1- A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Crystal, David , Sixth edition published, by Blackwell Publishing Ltd,2008.

2- dictionnaire essentiel de la langue francaise,Dictionnaire A Hatier,8, rue d assas, Paris, S.O.D.I.L.Beyrouth.

3- Cohesion In English, M.A.k. Halliday , Ruqaya Hasan, Longman Group Limitnd LondonFirst published , 1976 .

4- Language And linguistics John Lyons, Cambridge Universty press, 1981.

5- Petit Larousse en couleurs, Librairie Larousse, le présent volume appartient a la derniere édition de cet ouvraga, paris, 1980.

ISSN : 2625 - 8943

الصلات الثقافية والعلمية بين بلاد الحجاز والجزائر خلال القرن الثامن عشر ميلادي- الرحلات الحجازية أنموذجا.

Cultural and scientific links between the countries of hijaz and algeriaduring the eighteenthcentury.

Hijazi trips as an axample

الدكتورة تيرس سعاد/أستاذ التعليم العالي/كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/جامعة الجيلالي ليابس /الجزائر
tires_souad@yahoo.fr

ملخص المداخلة.

شكلت الرحلات العلمية بين المشرق والمغرب العربيين أحد أهم الروافد الحضارية التي بفضلها حافظت المجتمعات العربية على مكوناتها الثقافية وأصالتهاوتراثها العريق عبر تاريخها الطويل، رغم مزاحمة العديد من الثقافات الدخيلة عليها، والحديث هنا عن الخلافة العثمانية وطبيعة التفاعل الثقافي والمجتمعي بين الأقطار العربية التي كانت تحت سلطتها وما نتج عنه من مشاهد متعددة ومتباينة في الجانب الثقافي والحضاري، وكان لبلاد المغرب جانبا من هذا التفاعل خاصة الجزائر نظرا لعدة اعتبارات تاريخية وجغرافية التي عرفت بتواصلها وارتباطها الروحي والثقافي بالجزيرة العربية، وبالخصوص البقاع المقدسة حيث سمحت بتقديم صورة مكتملة عن جوانب الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والجغرافية للبلاد العربية عن طريق ما وصل إلينا من كتابات وشواهد عنها، وعرفت هذه الرحلات بالرحلات الحجازية لأن مقصدها كان بلاد الحجاز والبقاع المقدسة،وقد برز دور هذه الرحلات وأهميتها تزامنا مع تاريخ الدولة السعودية بمراحله الأولى والثانية أي خلال القرن الثامن عشر وهي حدود ورقتنا البحثية التي تخص هذا النشاط العلمي الذي زاوج بين الروحي والمعرفي والأدبي الجمالي في أحيان كثيرة بالتوثيق لها والكتابة عنها، وماهي أهم الرحلات التي خرجت من الجزائر العثمانية،فيما تتمثل قيمتها العلمية والتاريخية.

الكلمات المفتاحية: الصلات الثقافية-الرحلات الحجازية- الجزائر –القرن الثامن عشر-الورثيلاني.

Abstract:

Scientific travel between the Arab East and the Maghreb was one of the most important civilisational tributaries, thanks to which Arab societies retained their cultural components, authenticity and ancient heritage throughout their long history, despite the eviction of many cultures that were alien to them, and which speak here about the Ottoman caliphate and the nature of cultural and societal interactions between the Arab countries that were under its rule.And what resulted was multiple and different cultural and civilisational scenes, and the Maghreb countries had an interaction, particularly Algeria due to several historical and geographical considerations, which were known for their continuity and spiritual and cultural link with the Arabian Peninsula, and in particular the holy places, These trips were known as the Hijaz trips because their destination was the countries of the Hijaz and the Holy Bekaa.which coupled the spiritual and the cognitive And the literature and aesthetics often documented and written about it, and what are the most important journeys that came out of Ottoman Algeria, with its scientific and historical value.

Keywords: cultural connections - Hijazi travels - Algeria - the eighteenth century - Al-Warthilani

ISSN : 2625 - 8943

المقدمة:

تعد الرحلة من أهم المصادر التي يمكن اعتمادها في توصيف الحياة اليومية للمجتمعات بكل حيثياتها، حيث تنقل الصورة الحقيقية بكثير من الدقة للأحوال السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية السائدة، في البلاد العربية سواء في المشرق أو المغرب. وقد اختلفت هذه الرحلات من حيث تعريفاتها ومقاصدها وأهدافها والوجهة التي انطلقت منها وكانت بحق موسوعة شملت كذلك الجانب العلمي والثقافي والأدبي والجمالي والجانب الروحي في أغلب الأحيان، ومن هذه الرحلات التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالشعائر الدينية والمتمثلة في الحج والتي كان منطلقها من بلاد المغرب، باتجاه البقاع المقدسة مكة والمدينة أو بلاد الحجاز، والتي اتفق المؤرخون والرحالة على تسميتها بالرحلات الحجازية ومن أشهرهم رحلة المسعودي فيقول "...وأما الحجاز فحاجز بين الشام واليمن والتهائم، هواؤه حرور وليله بهفور يخف الأجسام ويجفف الأدمغة ويشجع القلوب ويبسط الهم وهو بلد محل قحط جذب ضنك..." (المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، صفحة 194) المسعودي وهي في نظر الكثيرين من أهم المصادر التاريخية وأغزرها إنتاجا وتوثيقا. ولتوضيح هذا الجانب المهم من تاريخ الشعوب العربية والإسلامية. ارتأينا أن نسلط الضوء على عدة قضايا في هذه الورقة البحثية، في الفترة التاريخية المتمثلة في القرن الثاني عشر هجري والثامن عشر ميلادي، والمرتبطة بقيام الدولة السعودية الأولى وظهور الدعوة الإصلاحية في شبه الجزيرة العربية، والتركيز على الصلات الثقافية والعلمية بين الجزيرة العربية والجزائر من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية وفي سبيل ذلك نجتهد للإجابة عن مجموعة من الأسئلةوأهمها:

- ما مفهوم الرحلة الحجازية، وفيما تتمثل أهميتها وأهم خصائصها؟
- ما هي أهم الرحلات الجزائرية التي وصلتنا خلالالعهد الحكم العثماني؟ لنخلص إلى مجموعة من الاستنتاجات التي تبين متانة العلاقة الروحية والثقافية والعلمية بين أرض الحجاز والمغرب العربي وبالتحديد الجزائر، والزخم الأدبي والعلمي والتراثي التي أنتجته هذه الرحلات الحجازية الجزائرية، ودور هذه الحركية العلمية في الحفاظ على الأواصر الدينية والعربية والتاريخية والطابع الحضاري الذي تميزت به، حيث أثمرت التحقيقات التي طالت ما كتبه الرحالة عن كنوز أدبية وعلمية وتاريخية غاية في الروعة والتميز.

1 ــ مفهوم الرحلة:

تعد الرحلات العلمية التي خاضها العديد من العلماء والشخصيات الجزائرية من أهم ما كتب من أدبيات خاصة تلك التي كانت وجهتها البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج.

حيث أبدى الجزائريين خلال الحكم العثماني اهتماما متزايدا بالرحلات نحو المشرق خاصة شبه جزيرة العربية، كما حرصوا على تدوين كل صغيرة وكبيرة، حيث اهتم الجزائريون بوصفومدح نورانيتها والتفاخر بها نثرا وشعرا، والرحلات الحجازية يمكن التعرف عليها من خلال إجازات ودروس ومؤلفات علماء الجزائر في المشرق. (أبو القاسم سعد الله أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر،ج4، 2007، صفحة 210).

وأدب الرحلة من الفنون الأدبية القديمة، وجاء ذكر الرحلات في القرآن الكريم عند العرب رحلتان، وهما رحلة الشتاء والصيف لقوله تعالى بعد بسم الله الرحمان الرحيم ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍإِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾. (سورة قريش الأية 1 - 2).

حيث اعتاد الإنسان على الرحيل والترحال لعدة أسباب ودوافع، اقتصادية وجغرافية، وأصبحت تأخذ أهميتها بعد أن بدأ الرحالة في تدوين أخبارها ووصف أحداثها وبلدانها وشعوبها، فاتجهت إلى منحى علمي وأدبي وأصبحت مصدرا تاريخيا وجغرافيا واجتماعيا.

وهذا اللون الأدبي ذي خصوصية تميزه عن غيره من الألوان الأدبية النثرية الأخرى فهو وإن كان يتفق مثلا مع الرواية في الإفادة من المعطيات الفنية ويشاركها في السرد والوصف أحيانا فإنه يختط له خطا متميزا إذ يجمع إلى جانب ما سبق عناية برصد الواقع كما هو دون اللجوء إلى الخيال إلا في إطار محاولة اختيار الأسلوب وتقديم الواقع في ثوب أدبي وهو إلى ذلك يقدم المعلومة في ثوب أدبي حتى يمكن أن نعد الفائدة والمتعة وجهين لعملة واحدة هي أدب الرحلة، حيث أنها مجموعة من الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، ويتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق لتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي شاهدها وسرد مراحل رحلته بتفاصيلها في آن واحد. (مجدي وهيبة وكمال المهندس،معجم مصطلحات اللغة العربية في اللغة والأدب، 1984، صفحة 16)

كما يمكن القول بأن أدب الرحلة لون من الألوان الأدبية بجمع خصائص القصة والرواية والسيرة الذاتية وبشمل صورا فنية وجمالية في قالب أدبي وبلغة دقيقة وثرية.

كما تكمن أهمية هذا النوع من الأدب في أنه مصدر للتاريخ الاجتماعي لبلد بعينه أو لمرحلة بعينها، باعتماد مجموعة من الأدوات والوسائط كالسجلات المدنية وأحكام القضاء والدوائر والعقارات التي تركها الأقدمون من ساسة ورجال الدين وعلماء وقصص الأمصار كالصين وأدغال إفريقيا.

لقد كان للعرب دور في فتح عدة أمصار من الهند والصين، والابحار في مجاهل المحيط الأطلسي وجبال البرانس وتركستان...، حيث أصبح كل ذلك عالما واحدا مشتركا في الدين والثقافة

ووصف مؤرخوهم مدن هذا العالم كما وصفوا سكانه، وكان ذلك إرهاصا لما قام به علماؤهم وأدباؤهم من رحلات المستقبل، حيث الفت كتب كثيرة لوصف الرحلات والمسالك والممالك حيث اقترنت الحاجة السياسية بالحاجة الدينية وهي رحلة الحج. (شوقي ضيف،الرحلات، 1956، صفحة 06)

2 ــ أنواعها:

وكما هو معلوم الرحلات تختلف باختلاف الأغراض النثرية التي تستدعي القيام بها، فبعضها يغلب عليها الجانب العلمي والتاريخي والجغرافي، وبعضها الآخر يغلب عليه الجانب الأدبي الوجداني كرحلات الحج، وحيث كان معظم العلماء يستغل رحلته للحج ليلتقي بالعلماء والمشايخ ويأخذ عنهم في مختلف البلاد الإسلامية التي يمر بها أثناء ذهابه وإيابه. (العمري بلا عدة،الرحلات الجزائرية الحجازية، 2016)

ويمكن الحديث عن أنواع الرحلات بحسب أغراضها وغاياتها من الديني المحض والعلمي الأدبي والتجاري، حيث أن القرن 18 عرف رواجا لهذا النوع من الأسفار، مع الرحالة المغاربة، حيث وصلت ما دون خلالها بين الإطالة والاختصار، ومن الشعر والنثر ومن الفصاحة والملحون، ومنها ما لم يصل ولم يحقق إلى يومنا هذا، وندرج هنا أهم أنواعها.

- الرحلة الدينية: الغرض منها تأدية فريضة الحج مصدقا لقوله تعالى:﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28)﴾. (سورة الحج،الأية 26-28-27)
- الرحلة العلمية: اكتست الرحلة ذات الطابع العلمي أهمية كبرى عند فئة العلماء والعارفين، خاصة في العهد العثماني، حتى أصبحت الرحلة شرطا أساسيا من شروط اكتمال المعارف ومعيار أساسي على الحكم على مستوى العلماء والفقهاء. (أغناطيوس يوليا، نوفتشكرا شتوفسكي،تاريخ الأدب الجغرافي العربي، 1957، صفحة 19)

كما عرفها البعض فقال عنها أنها حركة ومخالطة للناس والأقوال وتعرف على المناطق، ووصف الثقافات الإنسانية ورصد جوانب الحياة اليومية للناس، في مجتمع ما وزمن معين، حيث تشكل ملاحظاتالرحالة المباشرة والمعاينة الشخصية للأحوال والأحداث المختلفة، المادة الأولية للمعلومات، وعكست جانبا مهما من مظاهر الحضارة الإسلامية . (خليفي عبد القادر،الرحلات من المغرب والمشرق وقيمتها التاريخية، 2009، صفحة 109)

وعرف التاريخ البشري الكثير من أنواع الرحلات عدا الدينية والعلمية والتي كانت جهادية، كمصاحبة الملوك وقادة الجيوش (الحسين الشاهدي،أدب الرحلة في المغرب في العصر المريني، 1990، صفحة 98)، والاقتصادية والهدف منها طلب الرزق والبحث عن مصادر الثروة والتبادل التجاري مع الهند والصين على سبيل المثال، وقد كانت الحجاز تجذب الكثير من المغاربة للاستقرار بها وممارسة نشاطاتهم التجارية المتنوعة. (صادوق الحاج، أسباب الرحلات المغاربية إلى الحجاز إبان القرن 12هـ/18م، صفحة 454)

ونظرا لتقاطع أدب الرحلة مع التاريخ فقد أوصى الكثير من العارفين بقراءة كتب التاريخ والتمعن فيها لفهم الأحداث والمستجدات، فيجتمع في مطالعة التاريخ، ترويح للخواطر وعبر لأولي البصائر وهو علم سهل جدا ومنشط ومنتزه له لذة لا ينبغي لأحد أن يخلو منه. (محمد الهامي، الرحلات الحجازية عالم من المتعة، 2020).

والتاريخ سيتمتع بسماعه العالم والجاهل ويستعذب موقعه الأحمق والعاقل، ويأنس بمكانه وينزع إليه الخاص والعام ويميل إلى رواتبه العربي والعجمي. (المسعودي، المرجع السابق، صفحة 53).

ويقول بن هطال التليمساني في تقاطع الرحلة مع التاريخ، "إن التاريخ من أجل العلوم قدرا، وأكملها محاسناوفخرا، وتتعرف إليه المهج الزكية، إذ به عرفت قدماء الأمم وبه حفظت مكارم الأخلاق والقيم..." (بن هطال التليمساني، رحلة محمدالكبير من المغرب الجزائري إلى الجنوب الصحرواي، 1785، صفحة 35).

ويذكر بن زاكور الفاسي الرحلة على أنها "منة من الله ونحلته تكسب غليظ الطباع غاية الرقة والانطباع وتعقب من كابد لها نصب علما غزيرا وأدبا" (بن زاكور الفاسي،نشر أزهان البستان فيمن أجازني في الجزائر وتطوان فضلاء أكابر الأعيان، 2011، صفحة 40)، ويقول أبي راس في فضل الرحلة والتاريخ:"إن البحث في علم التاريخ يبين تقدم شأن الأدباء الأفاضل وأهل كل طبقة وجها كل صلة من صلحاء السلف وحذاق الخلف في كل عصر عصابة هم الإصابة فألفوا وأفادوا وصنفوا وأجادوا وبلغوا من المقاصد قاصيتها وملكوا من المحاسن ناصيتها" (أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، 2005، صفحة 55).

3 ــ أهمية الحجاز والرحلات العلمية الحجازية:

تكتسي منطقة الحجاز أهمية تاريخية كبيرة منذ عهود قديمة بفضل توسطها لطرق القوافل التجارية وكونها عرفت احتكاكا وتفاعلا طويلا على مدى عصور قديمة منذ الحضارات القديمة كالعراق، مصر، الشام واليمن.

ISSN : 2625 - 8943

ونتج عن هذا التثاقف النشط بروز محطات تجارية ومدن تجاريةبامتياز مكة والمدينة والطائف وجدة وخبير ووادي القرى، من أجل تقديم الخدمات لتجار القوافل وتوفير احتياجاتهم، وقد أورد الجغرافيون العرب المسلمونأسماء عدة مدن في الحجاز، وديار العرب تشمل مكة، المدينة واليمامة، وهي متصلة بأرض البحرين وبادية العراق وبادية الجزيرة وبادية الشام واليمن. (أبي القاسم إبن حوقل النصيبي، صورة الأرض، 1968، صفحة 19).

وكما ذكر المقديسي المدن التي توجد في بلاد الحجاز بقوله: "...أما الحجاز فقصبته مكة ومن مدنها يثرب وينبع وقرع وخبير والمروة والحوراء وجدة والطائف والجار والسقيا والعويند والجحفة والعشيرة، ومدن أخرى كبدر، خليص، أملج، الحجر، يعقوب، السوارقية، الفرع، السيرة، جميلة، مهايع، حاذة". (شمس الدين أبي عبد الله، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، 1991، صفحة 69).

حظيت هذه المدن بمكانة راقية ولاقت الاحترام والتقدير من طرف الحكام العثمانيين رغم أنهم لم يولوا اهتماما كبيرا للتعليم والمؤسسات الثقافية التي كانت تنشط في الجزائر من زوايا وكتاتيب ومدارس، وحتى الأوقاف التي كانت تقوم بدور كبير وجاد في نشر التعليم والحفاظ عليه.

وقد وجد طالبوا العلم الجزائريون، ضالتهم في الرحلات نحو الأراضي المقدسة حيث زاوجوا بين الشغف الروحي والعلمي، فكانت الرحلات فرصة لنيل الإجازات والتبحر في العلوم والتعرف على علماء من مشارق الأرض ومغاربها، كما سمحت الرحلات بنقل أخبار الأحداث المهمة والمستجدة في المنطقة العربية كالحروب والحركات الإصلاحية مثل الحركة الوهابية، ومواقف الدولة العثمانية منها، كما كانت هناك قضايا ومسائل فقهية عملت العقول على تفسيرها والإفتاء فيها، واختلفت بين قضاياتهم العامة من الناس وقضايا أخرى تهم الأمة.وحيث أن الثابت أن الطابع الفكري السائدفي الحجاز قد أثر على توجهات الحجاج المغاربةالفكرية والأيديولوجية واختياراتهم،مما جعل بروز النشاط المذهبي يطفو إلى السطح ويضطلع بأداء دور جد هام في مسرح الأحداث السياسية، والتحولات الكبيرة التي عرفتها منطقة الحجاز والجزيرة العربيةلاحقا، خاصة فيما يتعلق بالتواجد العثماني وسياساته تجاه الحجاز ومقدسات المسلمين وموقفها من الحكام وزعماء الأقاليم.

وسمحت هذه الظروف في خلق جو من النقاش الفكري الجاد بين المذاهب الفقهية، علما بأن المذهب السائد في الجزائر هو المذهب المالكي، إلى جانب المذهب الحنفي، ومما لا شك فيه أن هذا الاحتكاك والاجتهاد قد أفضى إلى الفصل في كثير من الأمور والمسائل الفقهية الهامة في التعاملات التجارية والشرعية.

لقد كان موسم الحج بمثابة موعد لاجتماع العلماء والمشايخ، فقد أورد الورثيلاني "أنه في أحد المواسم من القرن 12هـ / 18م ...التقيت مجموعة من علماء مدينة قسنطينة ومنهم قاضي المالكية إبراهيمالضرباني، وقاضي الحنفية شعبان بن جلول، والمفتي الشيخ علي الشريف، وقاضي الجماعة عبد القادر الراشدي والشيخ الصالح يحي اليعلاوي والأديب النحوي أحمد الزين وعلي الزموري وأحمد العلمي وعبد الله التومي وعلى بن سعيد والطاهر بعداش ومبارك بن بوقرانة ومحمد الشليحي..." (الحسين بن محمد الورثيلاني،الرحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، 2008، صفحة 363).

4 ـ نبذة عن الواقع الثقافي في الجزائر خلال القرن 12هـ /18م:

اتفق معظم المؤرخين أن الأوضاع الثقافية في الجزائر لم تعرف ازدهارا مشهودا، وإنما كانت جهود الجزائريين وعلماءها هي الضامن الوحيد لبقاء التعليم والحياة العلمية واستمرارها.

"حيث عرف ركودا شأنه شأن باقي الدول العربية، وقد اعتمدت الخلافة العثمانية اللغة التركية في المعاملات الرسمية وكانت اللغة العربية في مجال التعليم الأهلي والجانب الديني والأدبي كالشعر" (أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر(بداية الإحتلال)، 1982، صفحة 158). وإن كان هناك من يعارض هذا الطرح من المؤرخين المهتمين بالتاريخ العثماني والذين يرون أن الدولة العثمانية ذات طابع عسكري وليس استعماري وقد أوجدت مكانة خاصة للغة العربية، كما يقول الدكتور محمد حرب "إن عثمان مؤسس الدولة العثمانية قد تولى عام 1281ميلادي وحكم 37 سنة قد أحاط نفسه بعلماء ومشايخ قبيلته الذين كانوا يعنون بحفظ القران الكريم وتحفيظه فاللغة العربية ليست غريبة عن البنية الفكرية والثقافية" (محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، 1994، صفحة 315).

كتب الرحالة. الذين زاروا الجزائر في العهد العثمانيان التعليم كان منتشرا، وأن كل جزائري يعرف القراءة والكتابة، وكان حرا بعيدا عن سيطرة الدولة،وانالجزائريونقد انتظموا بوسائلهم الخاصة في تعلم القراءة والكتابة والحديث والعلوم. (سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، صفحة 158).

لقد أهمل الأتراك الجانب العلمي والثقافي وأوكلوا هذه المهمة لمؤسسات الوقف التي أصبحت مؤسسة حقيقية لها موظفين يتولون إدارتها، (عقيل نمير، المؤسسات الوقفية الجزائرية في العصر العثماني ودورها في الحياة الإجتماعية والإقتصادية، 2011، الصفحات 115-116) واهتموا بالمقابل بالأمور العسكرية والبحر وما يأتي به البحر من ثروات، وقد ذكر ذلك الكثير من العلماء هذا الأمر حيث يتحدث عبد الكريم الفكون في كتابه "منشور الهداية" وأبي راس الناصري في كتابه "عجائب الأسفار" عن سوء

الاهتمام بالأوقاف والتعليم من طرف الحكام العثمانيين، فيقول هذا الأخير:"...في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده، وسدت مصادره وموارده وخلت دياره ومراسمه وعفت أطلاله ومعالمه..." (أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1998، صفحة 316).

ويعود ذلك إلى طبيعة الأتراك الحربية وميولهم إلى المال والتجارة ولم يكن تواجدهم بالعمق الكبير في مناحي الحياة استقروا في المدن الكبرى كالجزائر، وهران وقسنطينة، في حين كان وجودهم باهتا في باقي المناطق إلا لجمع الضرائب ومراقبة النشاط التجاري للجزائريين.

فقد ذكر الورثيلاني في رحلته أن العلوم كان تدرس في الجزائر لم تكن تتعدى الفقه وعلم الكلام، أما غيرها فليس له أهمية فيقول: "غير أن أهل وطننا لا يشتغلون بالإعراب أتم الاشتغال وإنما دأبهم بالفقه وأصول الكلام...وإنما مسائل الإعراب والمنطق والتصريف والبيان والأصول فعلى طرف اللثام" (حسين الورثيلاني، المرجع السابق، صفحة 549).

ومثلما يذكر المؤرخ توماس شاو (Tomas. Shaw) في كتابه "رحلة إلى إيالة الجزائر" عن الوضع الثقافي والعلمي "...كما أن الكثير من الأجانب الذين زاروا الجزائر العثمانية تحدثوا عن الجانب الثقافي ووصفوه بالضعيف خاصة فيما يتعلق بالعلوم الطبية والرياضيات والفلك وغيرها، حيث لخصوا الوضع في أن المجتمع الجزائري يرفض كلعلم مستحدث وينظر إليه على أنه من التفاهات التي اختص بها الأوروبيون"(Tomas,Shaw,voyage dans la régence d'Alger , 1830, p. 77) .

ومن المهم الوقوف عند نقطة مهمة وهي أن مسالة الدين كانوا محبين للعلم ويجلون العلماء ويقول الرحالة حسن الوزان في وصفه للأريافأن:"لا يوجد بين السكان من يملك قليلا أو كثيرا من العلم لدرجة أنأي أجنبي يمر ببلدتهم ويكون من أصحاب العلم يتشبثون به ويحيطونه بمظاهر الاحترام ويستشيرونه في حل خصوماتهم"(Jean Léon,l'africain description de l'Afrique , 1981, pp. 384-349) .

وقد تطور الوضع إلى الأحسن بدخول أعداد هائلة من الأندلسيين الذين جاءوا إلى الجزائر هاربين من بطش المسيحيين، حيث سعوا إلى نشر العلوم وتوعية السكان بأهمية العلم والتشبث بالدين الإسلامي الحنيف كما أنهم نقلوا العديد من الصناعات الحرفية والعادات والتقاليد الراقية ومثال ذلك صناعة الشواشي والطرز بالخيط الذهبي وصناعة الآلات الموسيقية والغناء الأندلسي المعروف بالموشحات وكثير العادات والممارسات نسخت صور الحياة اليومية في بلاد الأندلس بامتياز.

هذا الاهتمام كان من جانب السكان دون إشراف من السلطة الحاكمة، فلم تتكفل بالمصاريف والتجهيز للمؤسسات الدينية والمدارس والزوايا ولم تولي اهتماما صريحا للأوقاف التي كانت عمود العملية التعليمية القاعدية ونشر العلوم في كل أرجاء الوطن، وقد تسبب هذا الإهمال إلى هجرة أعداد هائلة من

العلماء وطلبة العلم إلى تونس ومصر على غرار أحمد بن عمار مفتي الجزائر، أحمد بن عمور، أحمد الصديق الجزائري، القاضي الشيخ ابن نوة. (الحسين الورثيلاني، المرجع السابق، الصفحات 285-678).

5 ـ خصائص الرحلة الحجازية:

"شكلت قدسية أرض الحجاز للجزائريين أهم عامل للتوجه إليها باستمرار، حيث علموا الخيرات التي تصب عليهم بعد التوجه إليها، فهي باب علم وسبيل للتصنيف في مصاف العلماء، خاصة بعد أن يلتقوا بالعلماء الأجلاء ويتدارسوا بينهم شؤون العلم والمسلمين" (محمد سيد أشرف صالح، المراكز الثقافية في دار السلطان أواخر العصر التركي، 2013، صفحة 72)، ومقارنة مع المغاربة فقد سجل المؤرخون عدد قليل من الرحلات التي تم التوثيق لها، مثل ذلك عيسى الثعالبي ويحي الشاوي وأحمد المقري وأحمد بن عمار، وقد أخذت المدونات التي وصفت هذه الرحلات عدة أشكال أدبية من النشر والشعر، كما يوجد رحلات لا نعرف إلا أسماءها، وبعضها لم يصل منها إلا القليل غير أن البعض وصل إلينا كاملا (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2، صفحة 382)، ويعود هذا الشح في الكتابات التي وصفت هذه الرحلات إلى غياب حس التدوين. (وليد الزهري، أدب الرحالة الجزائريين إلى مكة والمدينة، 2012، صفحة 156).

كما أن الكثير من العلماء خرجوا في رحلات إلى الحجازولم يعودوا إلى الجزائر بعد أن استقروا بالأراضي المقدسة، ومثال ذلك عيسى الثعالبي (عبد الرحمن الجبلاني،تاريخ الجزائر العام، 1982، صفحة 107) وأبو عصيدة البجائي. (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2، صفحة 110).

- دأب الرحالة على وصف الرحلة الحجازية وتدقيق كل مراحلها.
- وصف الاستعداد للرحيل(حالة الشوق والتحضير لهذه الرحلة).
- وصف مراحل الرحلة بوصف مسالكها والطرق وأماكن النزول والمبيت، إذا كانت برا أما إذا كانت بحرا فيصف المراسي والمناطق التي زارها ووصف المراكب.
- وصف حالة المسافر أو الرحالة بوصف الرحلة وذكر مشاقها والعراقيل التي صادفتهم(العاصف، الرفقة التي سافر معهم، قطاع الطرق، حالة المناخ والبلدان التي وصل إليها، فكان وصف لجغرافية المكان).
- كما يجدر بنا ذكر مجموعة من التقاليد والأعراف التي عمد إلىإتباعها سكان الجزائر قبل وأثناء رحلتهم الحجازية، من قوافل والعائلات التي ورثت هذه المهمة وهي الإشراف على الرحلات وهي عائلات عريقة ذات مكانة اجتماعية مرموقة كآل الفكون وآل المسعود وآل الملياني (أحمد بورسعيد، ركب الحج الجزائري في العهد العثماني 1518/1830م، 2017/2018، صفحة 68).

إضافة إلى الطاقم البشري الذي كان يشكل القوافل الحجازية(أمير الركب وكاتب الركب القاضي، العلام وممثلوا الجماعة). (ليلى الغويني، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الجزائرية، 2011/2010، الصفحات 57-58).

كما أن الرحالة المغاربة والجزائريين كانوا يعتمدون في رحلاتهم الحجازية مسالك عرفوا أغوارها ومنها المسلك الذي يمر من إقليم درعة من المغرب، ثم يمر عن طريق ليبيا- مصر، ومسلك آخر، فاس وجدة تلمسان مستغانم تنس الجزائر صفاقص طرابلس، ثم إلىمصر الإسكندرية. فكانت هناك مسالك أخرى برية كالتي أتخذها الورثيلاني والعياشي وهي تسمح بالتنقل البري على أوسع نطاق.

6 ــ أهم الرحلات الحجازية الجزائرية في القرن 12هـ/18م:

عرف المغاربة بولعهم بالمشرق خاصة بالبقاع المقدسة وتأدية فريضة الحج عن طريق رحلات برية وبحرية طويلة وشاقة والتي اعتبرت سجلا حافلا بالأحداث والأخبار، ونحاول أن ندرج أهم الرحلات التي وصلت إلينا وكتب حولها الرحالة الجزائريين، حيث تعد إرثا ثقافيا وتاريخيا وأدبيا نفيسا، وقد تم تحقيقها وإعادة طبعها من طرف مؤرخين لهم باع طويل في دراسة المخطوطات وعلى رأسهم العلامة أبو القاسم سعد الله.

1 ــ رحلة عاشور بن موسى القسنطيني:

رحلته غير معروفة لدى الكثيرين، نشأ بقسنطينة، تربى تربية دينية، خرج في رحلة دامت 20 سنة، زار خلالها عدة بلاد، بدأها بتلمسان ثم توجه إلى بلاد السودان ودرس بالزيتونة، توجه بعد ذلك إلى بلاد الحجاز لأداء الحج وتوفاه الموت سنة 1074م. (سعد الله، التاريخ الجزائر الثقافي،ج2، صفحة 383).

2 ـ رحلة عبد الرزاق بن حمادوش:

هو عبد الرزاق بن حمادوش، ولد في مدينة الجزائر سنة 1107هـ-1659م، ينحدر من أسرة تعمل بالنشاط الحرفي والتجاري، عاصر عهد البشاوات، تتلمذ على يد شيوخ أجلاء في الجزائر وتونس. (أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج1، 2007، صفحة 223).

ألف ابن حمادوش كتابه حول رحلته بعنوان لسان المقل طرفي النبأ والنسب، الحسب والحال، وهو مكون من 3 أجزاء، ما وصل إلينا هو الجزء الثاني الذي قام بتحقيقه الأستاذ أبو القاسم سعد الله وهي المسودة التي وجدت أجزائه في الخزانة العامة بالرباط رقم 463 (سعد الله، ابحاث وأراء في تاريخ الجزائر،ج1، صفحة 230).

سجل فيها بأسلوب بسيط كل مراحل وتفاصيل رحلته فبما أن الجزأين الأول والثالث لم يتم العثور عليهما فمن المرجح أن الرحلة نحو المشرق وتفاصيلها والحديث عنها كان في الجزء الثالث. (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2، صفحة 390)

3 ـ رحلة البوني المسماة الروضة الشهية في الرحلة الحجازية:

لصاحبها أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي التميمي البوني، ولد بعنابة سنة 1063ه وتوفى سنة8139ه. عاش في المشرق وفي بلاد الحجاز، كما عاش في تونس، يقول الأستاذ سعد الله أن المؤلف غير موجود ولا ندري شيئا عن مكانه، أما عن فحواه فهو يرجح أن يكون وصف لرحلاته وفي البلاد التي زارها.له مؤلفات عدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم كما افي مؤلفه الذخر الاسني بذكر أسماء الله الحسنى (البوني، الذخر الأسني بذكر أسماء الله الحسنى، 2013).

4 ـ رحلة احمد المقري 986ه-1041هـ /1578م-1632م:

هو شهاب الدين العباس، ولد في 986هـ-1578مبتلمسان، ثم انتقل للعيش بمدينة مقرة، تعلم أصول الدين وتفقه ليصبح من علماء عصرهوتاقت نفسه إلى زيارة الحجاز وكان ذلك في شهر رمضان 1027هـ، وكان مسلك رحلته عبر تونس ثم مصر ثم جدة لأداء العمرة وكتب كتابه حول رحلته.

ويقع المخطوط في نسخة واحدة متواجدة بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 319، كتب الكتاب بالخط النسخي المغربي بقلم أحمر وأسود، وهو غير مجلد. (سفيان الأبياري، صورة المشرق العربي من خلال رحلات الجزائريين في العهد العثماني، 2013).

وصل مخطوط المؤلف عن طريق حفيدة المستشرق الفرنسي جورج ديلفان عام 1993م، ضمن مجموعة من المخطوطات التي أهدتها إلى السفارة الجزائرية بفرنسا وهي في المكتبة الوطنية الجزائرية.

جاء المؤلف على مرحلتين، المرحلة الأولى وتتضمن رحلته إلى المغرب ثم تواجده بالجزائر وتونس، أما المرحلة الثانية فضمت رحلته إلى مصر والحجاز ودمشق والقدس. (ليلى الغويني، المرجع السابق، الصفحات 32-33).

تميزت الرحلة بطابعها العلمي حيث شرح الرحالة كل تفاصيل نشاطه الثقافي في البلاد التي زارها.

5 ـ رحلة الحسين الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار 1125ه 1193هـ

هو الحسين بن محمد السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن أحمد الشريف، ولد سنة 1125هـ 1713م بقرية بني ورثيلان ومنها نسبته الورثيلاني.

تكمن أهمية هذه الرحلة في أنها وصف دقيق لكافة الأماكن التي زارها العلماء الذين أخذ منهم، طبعت هذه الرحلة في تونس 1321هـ وهي في ثلاثة أجزاء، خطت بالخط المغربي القديم، طبعت كذلك في الجزائر في 1394 في دار الكتاب العربي، لقد قام المؤلف بوصف الآثار من المساجد والأودية والجبال والآبار، والعلماء الذين إلتقاهم، وكان الورثيلاني يسجل ملاحظاته ومشاهداته على أوراق متفرقة وبعد عودته الى الجزائر قام بإعادة تنظيمها في كتاب عام 1182ه حيث كانت لبلاد الحجاز حصة الأسد من الوصف والإشادة. (سميرة أساعد، الرحلات الحجازية في الأدب الجزائري من القرن 11إلى 13 ، 2011، صفحة 44).

ولقد كان تأثره وتعلقه واضحا جليا، فبرع في وصف رحلته بعد رؤيته للنبي الكريم في منامه وكانت رحلته روحانية غاية في التجلي يقول الورثيلاني عن رحلته: "...فإنني لما تعلق قلبي بتلك الرسوم والآثار والرباع والقفار والديار والمعادن والمياه والبساتين والنجباء والأدباء من كل مكان من الفقهاء المحدثين، والمفسرين الأخياروالأشياخ العارفين والإخوان والمحبين... أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي ويستحسنها الشادي، فإنها تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار مبينا فيها بعض الأحكام الغريبة والحكايات المستحسنة والغرائب العجيبة، وبعض الأحكام الشرعية مع ماضيها من التصوف مما فتح على صاحبه الكثير من الكتب المعتبرة" (الحسين الورثلاني، المرجع السابق، الصفحات 12-13).

تعد هذه الشخصية العلمية من أكبر علماء المالكية ومن أعلام العلوم النقلية والعقلية كما اشتغل بالحديث وقد كانت رحلاته المتعددة لأغراض عدة منها دينية وعلمية وجمع الكتب وتحصيل العلوم (Hadj Sadouk,à travers la barrière orientale , 1951, pp. 364-382).

6 ـ رحلة ابن عمار:1119ه

هو أبو العباس أحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار (محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال أثارهم المخطوطة، 2013، صفحة 91)، دوّنرحلته حوالي 1166هـ، حيث تكلم عن الحج وأحكامه ووصف الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في الجزائر ومشروعيته، وذم البدع من خلال الاحتفال به،وقد اختلفت المصادر في تحديد تاريخ ومكان مولده ولكن ما يعرف أنه من أهل القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر للهجرة (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، صفحة 224)، وحسب أبو القاسم سعد الله دائما فانه يكون قد ولد حوالي 1119ه وقد اعتمد في ذلك على 1159 ه ويمثل سن تفويض كتاب الدرر على المختصر لابن حمادوش (عبد الرزاق إبن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، 1983، صفحة 259) وقد عاش ابن عمار إلى ما بعد سنة 1205هـ، وهو تاريخ إجازته لمحمد خليل المرادي الشامي والتي توجد ضمن إجازاته بالمكتبة الطاهرية بدمشق

وبأسفلها خاتم أب عمار المكتوب فيه "الواثق الجبار عبده احمد بن عمار" (أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، 1973، صفحة 64)وبذلك يكون عمره سنة 1159هحوالي أربعين سنة دائما حسب المحقق المؤرخ أبو القاسم سعد الله. ويذكر المؤرخ ناصر الدين سعيدونيأن تاريخ مولده 1125هجري وتوفى سنة 1193 هجري وحج للمرة الأولى في سنة 1153هجري 45 ومن مؤلفاته "نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب".

7 ـ رحلة محمد بن مسايب:

هو محمد بن مسايب، ينحدر من العائلات الأندلسية التي لجأت إلى تلمسان، أشتهر بفضل رحلته إلى الحجاز ونظمه للشعر الملحون أو ما يسمى الشعبي أو النبطي في بلاد الخليج، لا نعرف كثيرا عن تاريخ ميلاده ووفاته.

وقد عرف انتشارا واسعا خلال العهد العثماني (آل الشيخ سيد الشيخ، رحلة عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المحاجي، 2004، صفحة 203)، وقد برع بن مسايب في وصف مقامات الأولياء الصالحين والتغني بهم بأبيات شعرية معبرة، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

8 ـ رحلة محمد ابن أحمد الجليلي: 1237ه 1824م

المعروف بأبي راس المعسكري 1237هـ -1824م، هو محمد ابن أحمد ابن عبد القادر بن الناصر المعسكري المعروف بأبي راس الناصر، عنوان مؤلفه في وصفه رحلته "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" (سميرة أساعد، المرجع السابق، صفحة 41).

عمل بالتدريس وتولى القضاء بمدينة معسكر، اتسمت رحلته وكتابته بطابع علمي رغم أنها كانت لأداء فريضة الحج.

فقد يعتبر مؤلفه بمثابة سيرة مكتملة لحياته، ويفصل في بيئته الثقافية، وكان منهجه صوفيا في الكتابة حيث قسم كتابه إلى 5 أجزاء ذكر فيها أسباب اختياره لعنوان كتابه ثم عن أساتذته وشيوخه، ثم لقاءاته مع علماء المغرب والمشرق ثم المسائل المهمة التي تباحث بشأنها، وختمه بذكر مؤلفاته.

9 ـ رحلة عبد الرحمن المجاجي القرن 11هـ / 17م:

هو عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، تعلم عن علماء تلمسان وفاس، كتب أهم كتبه (التبريج في أحكام المفارسة والثمر والتوليج).

وكتب يصف رحلته الحجازية في قصيدة مطولة تحمل عنوان رحلة المجاجي يصف فيها الطريق من بلاد الحجاز إلى بلاد مجاجة بالشلف والأماكن التي زارها، بيت الرسول صلى الله عليه وسلم والمسجد

النبوي ومقام الصحابة والخلفاء والتابعين، وكانت رحلته مزيجا من التصوف والتاريخ والجغرافيا والبلاغة والتراجم.

خاتمة والاستنتاجات:

يمكن بعد هذه الإطلالة على أهم الرحلات الحجازية التي قام بها العلماء الجزائريون تصل إلى مجموعة من الاستنتاجات أهمها:

- ازدواجية الصلة في الرحلة من الجانب الديني والروحي والجانب العلمي والثقافيلم يمنع من أخذها الطابع الصوفي والتشبث بزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، ومدحه في قصائد طويلة لا تزال متداولة إلى يومنا هذا في مناسباتنا الدينية العائلية والرسمية.
- النسق المنتظم الذي كانت تتم به الرحلات نحو الحجازأو ما عرف بالركب، والتحكم الجيد في الرحلة في كل مراحلها وتفاصيلها من قبل أميره، برا وبحرا، كما أن تسميتها تعود إلى زيارة البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج.
- تواصل الرحلات الحجازية عبر التاريخ الإسلامي، وكل مراحله دون انقطاع نحو البقاع المقدسة، مما سمح بظهور أدب الرحلة الحجازية والذي أصبح أدبا مستقلا بذاته يتمتع بمجموعة من الزوايا.
- المحافظة على الأواصر الثقافية والدينية والعلمية بين مختلف شعوب العالم العربي والإسلامي غربه وشرقه وتسميتها بفضل رحلة الحج المباركة.
- الأهمية التي كانت تكتسبها منطقة الحجاز في العهد العثمانيوفي كل العصور ودرجة القداسة التي كانت تتمتع بها في العالم الإسلامي حيث مارست سلطة روحية وشرعية على كافة المسلمين في ربوع العالم الإسلامي.
- تطور الفكر الإسلامي وظهور حركات إصلاحية رائدة وشخصيات دينية وعلمية فذة قامت بجهود جليلة لتغيير واقع الأمة الإسلامية في محاولة للقضاء على مظاهر الانحطاط والفساد والدعوة إلى نهضة عربية وتخليص العقيدة من الشوائب إلي لحقت بها.
- إسهام منطقة الحجاز في تنشيط الحركة العلمية للطلاب والعلماء والمشايخ بفضل إعطاء الحرية للمؤسسات الوقفية في تنظيم رحلة الحجوالإشراف عليها.
- إنتاج أدبي ثري كان ثمرة هذه الرحلات التي قامت بها فئة مثقفة سمح بوجود مؤلفات في مختلف التخصصات، تعد شاهدا تاريخيا حيا وإرثا يعتمد عليه في الكتابة التاريخية ودراسة الحركة الأدبية والفكرية والثقافية والدينية في العهد العثماني.

- الفصل في الكثير من المسائل الفقهية والقضايا المهمة وانتشار العلوم وازدهارها (التاريخ، الشعر، البلاغة، علم الكلام، التفسير).

نظرا لأهمية هذا الموضوع فإنه من المفيد أن نتوجه بالتوصية للقائمين على المؤسسات الثقافية ومراكز المخطوطات ومجموعات البحث والدراسات أن يفتح المجال لدراسات مستقبلية، تعكف على التعمق أكثر في هذا النوع من الكتابات التاريخية أو ما اصطلح على تسميته أدب الرحلة، دراسة المحتوى الادبي للرحلة الحجازية فيما يتعلق بالسفر وموضوعاته والبعد الثقافي والعلمي الذي لا يخلو من تأثير العصر الذي عايشه الرحالة لتبيان مدى إسهام الرحلات الحجازية على العموم والجزائرية على وجه الخصوص في وضع أرضية من التوثيق والأرشيف التاريخي لمرحلة طويلة ومهمة من التاريخ العربي الإسلامي، والتي يربط بين أرض الحجاز وبلاد المغرب، والتأثير الحضاري العلمي لرحلة الحج على عدة مستويات، حيث ندعوإلى تكرار الندوات والمؤتمرات العلمية، واشتراك مراكز المخطوطات وتحفيزها على التعامل مع أصحاب المخطوطات الخواص والتي يمكن أن تكون عرضة للتلف والضياع، كالتي توجد بمنطقة "توات" بالجزائر وتمكين الباحثين منها لتحقيقها،فلا مناص من القول أن جهود التحقيق تبقى غير كافية وتحتاج لإعادة بعث من جديد، فقد كانت تحقيقات الدكتور أبو القاسم سعد الله وما كان بعده يعد على رؤوس الأصابع دفعة قوية وإضافة جادة ككتابة التاريخ الثقافي الجزائري كما يمكن توسيع العمل المشترك إلى عدة دول عربية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية.

ISSN : 2625 - 8943

قائمة ببليوغرافية:

- القرآن الكريم برواية حفص.

المصادر:

1. ابن حمادوش عبد الرزاق، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.
2. التلمساني بن هطال، رحلة محمد الكبير من المغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي 1785م، مصر: دار السويد للنشر والتوزيع، 2004.
3. الفاسي بن زاكور، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني في الجزائر وتطوان فضلاء أكابر الأعيان، الجزائر: المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، 2011.
4. المسعودي، مروج الذهب. ومعادن الجوهر.تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد(بيروت-لبنان.دار الفكر) ص194
5. المقديسي شمس الدين أبي عبد الله محمد المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، القاهرة- مصر: مكتبة مدبولي، 1991.
6. الناصري أبو راس، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تر: محمد غانم، الجزائر: مركز الوطني للبحث في الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، 2005.
7. النصيبي أبي القاسم ابن حوقل، صورة الأرض، ط2، القسمالأول،مطبعة بربار، 1968.
8. الورثيلاني الحسين بن محمد، الرحلة الورثيلانية، الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ط1،القاهرة، مصر: المكتبة الثقافية، الدينية، 2008، ج3.

المراجع:

9. الأبياري سفيان، صورة المشرق العربي من خلال رحلات الجزائريين في العهد العثماني، ملتقى أهل الحديث منتدى السيرة والتاريخ والأنساب، الجزائر، (2013/12/10).

10. أساعد سميرة، الرحلات الحجازية في الأدب الجزائري من القرن الحادي عشرإلى الثالث عشر الهجريين ق 17-19م، ط1،الجزائر: الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي والثقافي، 2011.
11. بسكر محمد، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة، الجزائر: دار كردادة، 2013.
12. بلا عدة العمري، "الرحلات الجزائرية الحجازية، الرحلة الورثلانية نموذجا"، دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، (مارس 2016)، العدد 8.
13. بوسعيد أحمد، "ركب الحج الجزائري في العهد العثماني 1518-1830"، (أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أدرار، الجزائر، 2017- 2018).
14. الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ج3.
15. الحاج صادوق، "أسباب الرحلات المغاربية إلى الحجاز إبان القرن 12هـ/18م"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، (د.ت)، العدد 10.
16. الزهري وليد، "أدب الرحالة الجزائريين إلى مكة والمدينة، دراسة وصفية تحليلية"، مجلة الدراسات اللغوية، الجزائر، (2012)، العدد1.
17. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزائر: دار البصائر، 2007، ج1.
18. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2007، ج4.
19. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، بيروت – لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1998، ج1.
20. سعد الله أبو القاسم، تجارب في الأدب والرحلة، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1973.
21. سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر(بداية الاحتلال)، ط3، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.
22. سعيدوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين، بيروت- لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1999.
23. سيد الشيخ آل الشيخ، "رحلة عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، نموذج الرحلة الحجية النظمية خلال القرن 11هـ-17م"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، (2004)، العدد 20.
24. الشاهدي الحسين، أدب الرحلة في المغرب في العصر المريني،الرباط- المغرب: منشورات عكاظ، 1990، ج1.

25. صالحمحمد سيد أشرف، "المراكز الثقافية في دار السلطان أواخر العصر التركي"، مجلة امارايك، (2013)، مجلد 04، العدد 07.
26. ضيف شوقي، الرحلات، ط4،القاهرة- مصر: دار المعارف، 1956.
27. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، بيروت- لبنان: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر،(1400هـ- 1980م).
28. عبد القادر خليفي، "الرحلات من المغرب والمشرق وقيمتها التاريخية"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، (2009)، العدد 04.
29. الغويني ليلى، "التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الجزائرية"، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2010-2011.
30. نميرعقيل، "المؤسسات الوقفية الجزائرية في العصر العثماني ودورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية: أوقاف المساجد التابعة لمؤسسة سبل الخيرات نموذجا"، مجلة الدراسات التاريخية، (2011)، العددان 115-116.
31. الهامي محمد، "الرحلات الحجازية عالم من المتعة، مجلة المجتمع"، (10 أوت 2020).
32. وهية مجدي والمهندس كمال، معجم مصطلحات اللغة العربية في اللغة والأدب، (لبنان: مكتبة لبنان، 1984).
33. يوليا أغناطيوس، نوفتشكراشتوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، القسم الأول، (مصر: جامعة الدول العربية، 1957).

المراجع الأجنبية:

1. Hadj sadouk, "à travers la barberie orientale au(XVIII) avec le voyageur el wartilanie", (revue africaine, T95 /1951).
2. jean Léon, l'africain description de l'Afrique, traduction : Epaulard, (paris: libraire d'Amérique et d'orient, 1981).
3. Tomas. shaw, voyage dans la régence d'Alger, où description géographique – physique –philologique. etc, (paris chez mirlin éditeur, 1830).

ISSN : 2625 - 8943

الترجمة والتأويل:
من المقابل اللغوي إلى آفاق التمثل.

Translation and Interpretation: From Linguistic Encounter to Horizons of Representation.

د.محمد جودات
جامعة محمد الخامس/ المغرب

الملخص:

تسعى هذه الورقة إلى الانطلاق من اللغة التي نتكلمها إلى مساحات اللغة التي تتكلمنا؛ عبر تأويلات قد تصل إلى حدود الترجمة التي تخوننا كما تعبر مصكوكة "الترجمة خيانة"، من هنا تقترح هذه الدراسة الانطلاق من المعنى الذي يحمله "المتبقي" كما يسميه جان جاك لوسيركل؛ والذي يتأسس خارج النحو والتركيب وقواعد اللغة... ليشمل فضاءات المبدعين والشعراء والفلاسفة والصوفية... لدرجة تجعل المتبقي هو اللغة ذاتها إذا كانت المعاجم والقواعد لا تُعلم اللغة بقدر ما يعلمها الاستعمال كما يرى باختين.

الكلمات المفتاحية: الترجمة، التأويل، اللغة، المقابل.

Abstract:

This paper seeks to move beyond the language we speak to the realms of language that speaks to us, through interpretations that may reach the boundaries of translation, which, as coined by Jacques Derrida, can betray us (as expressed in the phrase "translation is betrayal"). From this perspective, this study suggests departing from the meaning carried by "the remainder," as Jean-Jacques Lecercle calls it, which is established outside the realm of grammar, syntax, and language rules. It encompasses the spaces of artists, poets, philosophers, and Sufis to such an extent that the remainder becomes the language itself, if dictionaries and rules do not teach language as much as usage does, as argued by Bakhtin.

Keywords: translation, interpretation, language, encounter.

المعبر الأول:

تكون صعوبة الترجمة بمعناها التأويلي الذي يحلل "الاستعارة على أسس راسخة في اللغة، وأن يترسخ في تلك المعادلة الصعبة بين نظام اللغة والمتبقي، وليس في حقل علم الدلالة وعلم التداولية والعلوم المعرفية الدائرة حول مفهوم الواقع والحقيقة."(لوسركل، ص270). هذا يعني أننا أمام محمول دلالي فوق تركيبي ومعجمي ونحوي يتأسس داخل الفضاء اللغوي نفسه بصيغة الإفلات من الحقيقة والدخول في متاهات ومزالق الاحتمالات. وللسياقات واختلافاتها أن تُحدد عمق المنحدرات والمزالق والمهاوي.

من أجل ذلك لا بد من ربط المنطوق التواصلي بغواية اللغة التي تؤسسها الترجمة باعتبارها تأويلا، لا مجرد نقل للمضامين.

لذلك فمجال الترجمة يحتاج إلى تداخلات معرفية رصينة لرصد مساحات التأويل التي تفوق المعنى إلى أبعاد بلاغية وثقافية لا يستقيم المعنى دون إدراكها.

1-من اللغة التي تتكلمنا إلى الترجمة التي تخوننا:

1-1: في اللغة ومهاويها:

"ما أضيق باب الأبجدية"، و"ما أمر اللغة"[1]، "هذي التي أرضع منها تخونني" [2]. هذه هي اللغة التي نثق بها ونحيا بدفئها، ونتنفس تعابيرها، ونظن أنها تغطينا وتضمنا، لنكتشف أنها تعرينا وتكشفنا. وتخذلنا حين نمتطي استعاراتها فرحين بظن استعمالنا لها، لنكتشف أننا "مصنوعون" منها كما يرى جاك دريدا، ونعترف مع الشاعر أنها لا تسعفنا[3].

إن المعنى الذي يحمله "المتبقي" كما يسميه جان جاك لوسيركل، رغم هذه التسمية التي تبديه هامشا، أكبر من مركز، لأنه يتأسس خارج النحو والتركيب وقواعد اللغة... ليشمل فضاءات المبدعين والشعراء والفلاسفة والصوفية... لدرجة تجعل المتبقي هو اللغة ذاتها إذا كانت المعاجم والقواعد لا تُعلم اللغة بقدر ما يُعلمها الاستعمال كما يرى باختين. من هنا نكون بحاجة "لتحليل الاستعارة على أسس راسخة في اللغة، وأن يترسخ في تلك المعادلة الصعبة بين نظام اللغة والمتبقي، وليس في حقل علم الدلالة وعلم التداولية والعلوم المعرفية الدائرة حول مفهوم الواقع والحقيقة." (لوسركل، ص270). هذا يعني أننا أمام محمول دلالي فوق تركيبي ومعجمي ونحوي يتأسس داخل الفضاء اللغوي نفسه بصيغة الإفلات من الحقيقة

---

[1]- كتاب الحصار، قصيدة الوقت.

[2] - مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف.

[3] - يقول أحمد المجاطي:"تسعفني الكأس ولا تسعفني العبارة".

والدخول في متاهات ومزالق الاحتمالات. وللسياقات واختلافها أن تحدد عمق المنحدرات والمزالق والمهاوي.

2-1: من غواية اللغة إلى تيه الترجمة:

حين تصادفنا في استعمالاتنا اليومية كلمات وتراكيب مألوفة وعادية بمقابلاتها اللغوية، لا نهتم أحيانا إلا بنقل الدلالة والمعاني البسيطة من لغة إلى أخرى، فنقبل:

"خريف العمر" مقابلا ل

Evening of life

رغم شساعة المساحة بين الخريف والمساء والحياة والعمر. لأن المساء جميل وشعري في ليالي الثقافة العربية، فلا يجوز أن نعبر به عن بداية النهاية. ومؤذن بالبرودة والصقيع في ثقافة غربية.

ونقبل "أثلج صدري" مقابلا ل

. Ça m'échauffe le cœur

رغم شساعة المساحة بين الثلج والدفء، والقلب والصدر.

وتبقى تراكيب مقبولة إلى حد ما لأن الثلج جنة في ثقافة صحراوية، والدف نعيم في ثقافة تعتبر الجحيم ثلجا.

وحتى في التداولات البسيطة للغة اليومية نجد الكلمات بمقابلات مصكوكة في اللغات الأخرى، حيث لا سبيل لتغيير الاستعمال اللفظي: فالمرأة الحامل هي الملفوظ المعبر عنها في الفرنسية والإسبانية ... دون سبيل للاختيار. لكن محمول الكلمة الفرنسية مرتبط بشكل المرأة وحزامها:

_ Femme enceinte_ ceinture

ومحموله بالإسبانية يحيل إلى قلقها، بينما يحيل المحمول العربي إلى الثقل الذي تحمله والمعاناة التي تصاحبها: "حملته وهنا على وهن".

ومن منظور حمال أوجه انطلاقا من المحمول الثقافي للغة، يمكن أن نقارب مجموعة أخرى من النماذج التي توضح ارتباط اللغة بهوياتها التي تربت داخلها. فيترجم منطوق جملة ولدت في فضاء غربي من قبيل:

J'ai ratter le train

ب I missed the train

لكن نقلها إلى العربية "فاتني القطار" يبعدنا من تحميل المسؤولية للمتكلم المفعول به. وهي نموذج لا ينقل المحمول اللغوي بقدر ما يعبر عن صفات الهوية.

وقد رفض القرآن الكريم ـرغم اختلاف الإطارـ استعمال ألفاظ بعينها رغم دلالاتها المتقاربة في أذهان المتلقي: فقال تعالى: "لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا"، وقد يبدو المعنى واحدا لولا أن معنى "راعنا" مشترك مع الإله راع والرعونة ربما. خصوصا أن العربية تحمل معانيها من صيغها أحيانا، ففي قول الله تعالى:" اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (البقرة 257)؛ تحمل كلمة "طاغوت" زيادة على معنى طغى الماء، محمول الصيغة الطاغية: "طالوت وجالوت"؛ فتكون الصيغة والتركيبة التي صاغت الدلالة هي نفسها المدلول، كما هو الحال في دلالة الرحمان/فعلان الزائلة على وزن عطشان وجوعان، في مقابل صريح مع صفة الرحيم/ صيغة المبالغة. ولعل هذا ما يفك رمزية استعمال "أذاقها الله لباس الجوع" في وصفه تعالى للقرية التي "كفرت بأنعم الله": في قوله تعالى: " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" (النحل 112).

فلو استعمل القرآن الكريم جَوَّعها لكان المعنى أقل من المقصود، في دلالة تهدف مصاحبة الفقر حتى يصير لباسا وتتذوق مرارته بعد نعيم "يأتي فيه الرزق" دون أن يُسعى إليه.

ويمكن أن ندرك استحالة الترجمة في سياق الآية نفسها موضع الشاهد بتفسير موجز لتبئير الله تعالى في سياق النص " الله ولي الذين آمنوا..." وتبئير "الذين كفروا في المقابل النصي، فيكون الإدراك السليم بفعل التبئير أن المعبود (الطاغوت) أقل من العابد (الذين كفروا) لأنه مقدم عليه لفظا ورتبة على حد تعبير القدماء. والعرب إذا أحبت الشيء قدمته.

إن اللغة في تأويلاتها وسياقاتها محمولات موحية وصعبة الإدراك قبل أن تدخل سياقات الترجمة بما هي بعد سوسيوثقافي وأنثروبولوجي. لذلك يمكن أن نفهم على هذا النحو؛

وفي سياق سيوسيوثقافي آخر ما جاءت الروايات به لمصالحة سياق التداول والمحمولات اللغوية المحلية التي لا يمكن أن تتوحد في كل الفضاءات اللغوية العربية إبان نزول القرآن الكريم.

هذه المسلمة السياقية رغم عدم الوقوف عندها لضرورة التقيد بالموضوع؛ هي التي رفضت التعبد بغير النص القرآني الأصل؛ ورفضت ضمنا ـفي ثقافة ديوانها اللغةـ قبول الترجمة بديلا عن النص الإلهي. وللمعارف التي تمس البلاغة القرآنية أن تعطي كل التفاصيل الدقيقة للبرهنة على "خطورة" وضع اللفظ مكان آخر، وتقديم على تأخير، وحذف على تكرار، حتى تصير الكلمة بل الحرف مسارا لتحولات المعاني والدلالات، ودليلا على فرادة "المعجز بلفظه ومعناه"، واستحالة إبداله بترجمة أو تفسير أوتأويل. ويمكن أن نورد هنا بعد الإشارات البسيطة في التقديم والتأخير الذي يمكن ألا تنقله لغة أخرى بنفس الدقة

والمرامي، ف"إياك نعبد" تحمل معنى لا نعبد غيرك، وونعبد أياك تدل على على عبادة غيرك. و"آمنا به" تقتضي آمنا بغيره (نبيه وملائكته..)، و"به آمنا" تحمل عدم الإيمان بغيره: به وليس بغيره. وللتبئير أن يغير المعنى.. لذلك كان التعبد بالنص الأصل وليس بترجماته، لأن الترجمة أكثر من خائنة، لأنها قد تقلب المعنى.

هذا الوعي التاريخي في الثقافة العربية تخصيصا بسلطة اللغة وتمثلاتها؛ كفيل بفهم اللغة ومساراتها المعقدة والدقيقة، ولمسارات الاشتغالات المتخصصة حول اللغة ومجالاتها السياقية والسوسيولوجية والنفسية والتاريخية وغيرها أن تكون منطلقا معرفيا دالا لمعرفة مآزق الترجمة وتحول الدلالات من ثقافة إلى أخرى، بل واستحالة مصالحتها مع السياقات الثانية أحيانا. خصوصا إذا كان " المتبقي" أكبر من أن يستساغ داخل البيئة الثقافية في اللغة الواحدة نفسها.

2-شجرة نسب عربية عن التأويل والترجمة:

عندما اعتبر ريفاتير "الشعر يشوّش الحقيقة ويتعدّى الممكن"(Riffaterre, 1970, 26) ؛ فإن أسلافه المبدعين قد عانوا نفس الاحساس بالمعاني واستحالة صمودها من هجرة نصية إلى أخرى، وصولا إلى المقاربات المعاصرة التي ترى " كل شعر هو مكتوب بطريقة مركّزة مثل أي كتاب مقدّس كلاهما مرتبط ارتباطا دقيقا باللغة"(Northrop, 1984, p41). لاستحالة إتقان لغتين(الجاحظ، ب ت) ولأن اللغة الإبداعية لغة خاصة. لذلك يقول الجاحظ في كتاب الحيوان:

"والشعر لا يُستطاع أن يترجم، ولا يجوز عليه النقل؛ ومتى حُول تقطع نظمُه وبطلَ وزنُه، وذهب حسنُه وسقط موضعُ التعجب، (لا) كالكلام المنثور المبتدأُ على ذلك أحسنُ وأوقعُ من المنثور (الذي تحول من) موزون الشعر"(الجاحظ، 1965، ص75، 76، 77).

كان الوعي إذن في الثقافة العربية باستحالة نقل المعنى الشعري، باعتباره نصا رمزيا له مواصفاته الشعرية والبلاغية والإيقاعية. وتكاد تجمع الدراسات لتأكيد استحالة نقل المعنى في الشعر للخصوصيات اللغويو والبصمات البلاغية التي تميز كل لغة عن الأخرى؛ فضلا عن السياقات الشعرية التي تمس الفضاءات المرتبطة بتاريخ الآداب.

(صعوبة ترجمة الشعر العربي)

"وقد نُقلت كتب الهند، وترجمت حكمُ اليونانية، وحولت آداب الفرس؛ وبعضها ازداد حسنا، وبعضها ما انتقص شيئا، ولو حولت حكمة العرب، لبطل ذلك المعجزُ الذي هو الوزن؛ مع أنهم لو حولوها لم يجدوا في معانيها شيئا لم تذكره العجم في كتبهم، التي وضعت لمعاشهم وفطنهم وحكمهم. وقد نقلت هذه الكتب من أمة إلى أمة، ومن قرن إلى قرن، ومن لسان إلى لسان، حتى انتهت إلينا، وكذا آخر من ورثها

ونظر فيها. فقد صح أن الكتب أبلغ في تقييد المآثر، من البنيان والشعر." (الجاحظ، 1965، ص75، 76، 77)

إن المقاربة التي يقدمها النص متقدمة جدا بالنظر إلى القضايا التي مازالت تطرحها المقاربات المعاصرة؛ والتي لم تطرح مسألة نقل النص إلى فضاء سوسيوثقافي مخالف إلا في الدراسات الحديثة ضمن علوم الترجمة. فالنص لم ينتبه لفساد الشعر إذا غيب جانب الإيقاع فيه فحسب؛ بل ربط الإنتاج النصي بالمعيش وترابطاته الاجتماعية. ولولا نقل الحكمة ومحمولها بشرط "النظر فيها" لفسدت على حد تعبير النقد القديم. لأن الأمر مرتبط بشرط جوهري هو مصالحة النص ومعالجة انتقاله من فضاء نصي إلى آخر.

إن المقاربة العربية القديمة تصدمنا بطريقة تناولها، جاء في كتاب الحيوان بما سماه (شرائط الترجمان)

"ولا بد للترجُمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقولِ إليها، حتى يكون فيهما سواءً وغاية. ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين، علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما، لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعترض عليها. وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعين فيه، كتمكنه إذا انفرد بالواحدة، وإنما له قوة واحدة، فإن تكلم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة عليهما، وكذلك إن تكلم بأكثر من لغتين، على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات. وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق، والعلماء به أقل، كان أشد على المترجم، وأجدر أن يخطئ فيه. ولن تجد البتة مترجما يفي بواحد من هؤلاء العلماء." (الجاحظ، 1965، ص 54).

فالثقافة العربية بهذا المعنى لم تنظر فقط إلى صعوبة نقل النص إلى ثقافة أخرى؛ بل نظرت في مواصفات المترجم وصعوبات إتقانه لفضاءين لغويين، لأن الأمر ليس مجرد فهم وإتقان للغتين بقدر ما يمكن أن يكون صعوبات أخرى مصاحبة قيمية "تدخل الضيم" على اللغة.

3- الترجمة إبداعا:

ذكر بول ريكور في كتابه "عن الترجمة" (ريكور، 2008م، ص 64/59/29):

نسق الترجمة

هناك مدخلان يؤديان إلى المشكل المطروح من طرف فعل الترجمة أن نأخذ كلمة "ترجمة" بالمعنى الدقيق الذي يعني نقل رسالة لسانية من لغة إلى لغة أخرى أو نأخذه بالمعنى الواسع كمرادف لتأويل كل مجموعة دالة داخل نفس الجماعة اللغوية.

كلتا المقاربتين لهما الحق في الوجود. الأولى اختارها أنطوان بيرمان A. Berman في كتابه "محنة الغريب" والتي تأخذ بعين الاعتبار تعددية وتنوع اللغات، أما الثانية التي اتبعها جورج ستاينر G.

Steiner من خلال كتابه "بَعدَ بابل" Après Babel تتوجه مباشرة إلى ظاهرة المحتوى والتي لخصها الكاتب بقوله:"الفهم، هو الترجمة"(محمود عبد الغني ، 2017م، ص31/30):

" إبداعيا ، توضع الترجمة عادةً في موضع ثانوي للنص الأصلي. فهل هو إذن خطاب نقدي؟ يجعل النص أساسيًا (مع إلغاء مركزيته)، إنه يفترض تقييمًا. كما أنه ينشئ آلية للغربلة من لدن القارئ ويقدم تأويلاً. وفي الأخير فإن الترجمات تنتمي إلى التاريخ الأدبي، مما يجعل المترجم مؤلفًا ومبدعًا من الدرجة الثانية." [4]

إن هذه المقاربة تحمل اتجاهين بارزين في الترجمة، ولكلٍّ مبرراته الموضوعية. ولعل معنى الترجمة ليس مسلمة أو دلالة سطحية كما تقول المعاجم. لذلك لم تنتبه الكاتبة الفرنسية إيناس دوبري Inés-Oséki Depré (Inès Oseki-Depré, 1999, p.12) -وهي تبحث في شجرة نسب كلمة مترجم Traducteur - لكلمة دالة في بحثها يرجع اشتقاقها من اللغة الآرامية -حسب الباحثة- وهي كلمة تُرجُمان Tourdjman : ولعل ما زكّى الالتباس لديها هو ما وجدته من معاني دلالة الكلمة بما هي درجة من درجات النبالة ؛ وهي كلمة لن يجد الذي تربى في النصية العربية الإسلامية صعوبة في إرجاعها إلى كلمة "ترجمان " بدلالاتها الرمزية والحقيقية في الاستعمال النبوي؛ وصفا لصحابي جليل أنه ترجمان القرآن. إذ ربطُها ب"خيركم من تعلم القرآن وعلمه" يفك الإشكال الذي صادف الباحثة لو أنها اطلعت على الثقافة العربية. وهو اطلاع كان يمكن أن يفك عددا من الالتباسات في فهم الترجمة عبورا إلى الآخر Traducere (Trans-ducere) منذ دلالات المحاولات العربية الأولى لنقل الثقافة الإسلامية إلى الآخر، أو نقل ثقافته إلى الحضارة العربية التي أسست للترجمة منذ العصر العباسي. وذلك بقرون عدة قبل التأريخ اللغوي الذي تورده الباحثة نقلا عن المعاجم الغربية. فقد كان "بيت الحكمة" شاهدا قبل قرون من ظهور الكلمات التي سطرتها الباحثة في القرن الخامس عشر أصلا للكلمة؛ حيث ترجم أبو

---

[4] La traduction entre critique et création. Jean-Yves Masson. Dans Revue de littérature comparée 2019/1 (n° 369), pages 85 à 97 :((Comme création, la traduction est habituellement placée dans une position subalterne par rapport au texte original. Est- elle alors un discours critique ? Rendant le texte canonique (tout en le désacralisant), elle suppose une évaluation. Elle établit aussi un filtre avec le lecteur et introduit une interprétation. Enfin, les traductions appartiennent à l'histoire littéraire, ce qui fait du traducteur un auteur, un créateur au second degré.))

بشر متى بن يونس القنائي كتاب الشعر لأرسطو قبل وفاته سنة 328 للهجرة(ابن النديم ، 1988، ص 322) ، ضمن سلسلة من الترجمات سمت العصر عصر ترجمة.

ولعل دلالات الترجمة الرمزية "النبيلة" -كما يعبر النص -بمحمولاتها الثقافية هي نفسها التي جعلتها مدحا لصيقا بالقرآن(باعتبار إطلاق لفظة ترجمان القرآن صفة فريدة من لدن المصطفى صلى الله عليه وسلم في حق صحابي جليل يحسن تأويل النص الإلهي). ولأن الترجمة بمفهوم "النبل" أكبر من نقل؛ بل إبداعية تأويلية تجعل الترجمة هجرة للعمل الادبي؛ حتى إن النص المترجَم يصير إبداعا "محليا" كما هو الحال مع "كليلة ودمنة" (بروكلمان ، 1969، ص 92) . وهو "حسب هارولد دي كامبوس" الوصف الذي اعتبر أوكتافيوباث قد طمح إلى "إنتاج نص له قوة الأصل"(محمود عبد الغني ، 2017م ، ص31/30.): بل إن إبداعية الترجمة يمكن أن تجعل النص المترجم أبهى كما يورد نفس المرجع عن ترجمة بودلير لإدغار ألان بو.

وهذا يعني من منظور جون روني لادميرال Jean-René Ladmiral أن المترجم صاحب موهبة تمكنه من أن يبدع بلغته نصية أخرى(Ladmiral, 1979, p4) .

4- الترجمة استحالة المقابل وهجرة التحول الإبداعي:

إن الترجمة بهذه الدلالات إبداعية في إعادة إنتاج النص أولا؛ وإبداعية خارقة لتمثل فضاءات انتقاله ونقله. وقد دلت الممارسات النصية منذ كليلة ودمنة حتى ترجمات النص الغربي المعاصر على مشروعية الإبداعية التي أفحمت كل من يدعي استحالة الترجمة، لكن النص الديني يبقى في منأى عن التأويل خارج سياقه، ربما لأن الإلاهي خارق ومتعدد الدلالات التي قد ينبئ بها المقبل، الذي يجعل الإدراك النصي قابلا للفهم ضمن سياقات دالة قد لا تتوفر شروط إمكانها. بخلاف الدلالات الإبداعية التي تجعل كل تخييل قوةً إبداعية خارج سياقات إبداعها.

المراجع:

العربية:

* جان جاك لوسركل: عنف اللغة. تر: د.محمد بدوي. ط2.
* الجاحظ، **البيان و التبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الفكر، ط 4، ب ت.
* الجاحظ، **الحيوان**، ج1، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط1965/2م.
* بول ريكور، **عن الترجمة** ، ترجمة حسين خمري، منشورات الاختلاف، ط2008/1م.
* محمود عبد الغني، **معجم المصطلحات الأساسية في الترجمة الأدبية**، منشورات المتوسط،ط2017/1م.
*ابن النديم ، **الفهرست**، تحقيق رضا تجدد، دار المسرة، ط 3، 1988.

* كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، تحقيق عبد الحليم النجار، القاهرة، ط 2، 1969.

الأجنبية:

*Michael Riffaterre, **Le poème comme représentation**, Poétique, éd Seuils Paris,1970 ,N°4

* Northrop Frye, **le grand code, la bible et la litérature**, éd du Seuil, Paris 1984.

* Inès Oseki-Depré, **Théories et pratiques de la traduction littéraire**, Armand Colin, Paris,1999.

*La traduction comme critique et comme création », Change. N 14. Paris. Seghers-laffont. 1973

* Jean-René Ladmiral**, Traduire :Théorèmes pour la traduction**, Paris,Payot,Coll. Petit bibliothèque,1979.

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية تصدر عن المركز العربي الديمقراطي ببرلين – ألمانيا
ISSN : 2625 - 8943
Journal of cultural linguistic and artistic studies issued by the democratic Arabic center – Germany - berlin

العمارة وصناعها

Architecture and Its Industry

غالب مصطفى المير غالب
ghalbalmyr5@gmail.com

الملخص:

العمارة هي فن البناء وفق قواعد جمالية وهندسية، والعمارة تنظم المدن والمباني داخلها وتنجزها لكي يأوي إليها الناس في حياتهم، وفي أعمالهم، وهي التي تقوم على المعرفة بالعديد من فروع الهندسة الخاصة بالبناء، من فكرة التصميم المعماري ورسم المخططات اللازمة إلى صيانة وتشغيل المبنى من كافة الجوانب (التهوية، الحركة، والجمالية).

الكلمات المفتاحية: العمارة، الفن، الصناعة.

Summary:

Architecture is the art of construction based on aesthetic and engineering principles. It organizes cities and the buildings within them, creating spaces where people can reside and engage in their lives and work. It encompasses various branches of engineering related to construction, from architectural design concepts and drawing necessary plans to the maintenance and operation of the building in all aspects (ventilation, movement, and aesthetics).

Keywords: architecture, art, industry

مقدمة:

المعماري "هو مهندس يمارس مهنة العمارة، وهو الذي يضع التصوّر النهائي للمبنى المراد إقامته، وقديماً كان المعماري (رئيس الحرفيين البنائين) الذي يقوم بتنفيذ المبنى من خلال رؤيته الخاصة التي ينقلها لعماله وللفنيين الذين يعملون تحت إشرافه وإرشاداته".(غالب1، 2009م، ص159).

كانت العمارة إلى وقت قريب مخصّصة للرجال فقط دون النساء، ولم تصلنا أية أخبار تذكر أن هناك مهندسة قامت ببناء أو تصميم أو تنفيذ أي مشروع معماري كان، ولم تدخل المرأة هذا الميدان إلا بعد افتتاح أكاديميات علمية، ومراكز تأهيل معمارية، حيث تخرّج فيها العديد من المهندسات المعماريات، والمهندسين المعماريين ونزلوا سوية إلى مجال العمارة يعملون جنباً إلى جنب في معظم بلاد العالم. وفي العهود القديمة كانت العمارة حرفة أو صنعة يتوارثها الأبناء عن الآباء من دون دراسة نظرية

أو اختبار مهني، بل هي سنوات يقضونها في التدريب تحت إشراف معلميهم ينهلون من خبرتهم قبل أن يصبحوا هم أنفسهم معلمين، ويصبح لديهم محال منفصلة ومتدربون صغار.

هكذا نرى أن العاملين بالعمارة قديماً هم حرفيون بالأساس، وهم في الغالب قليلو الحظ في التعليم، خاصة في العلوم الراقية (الدين، الأدب، والفلسفة) وكان ظهورهم في المصادر التاريخية قليلاً ونادراً، هذا في بلادنا العربية، بينما في البلاد الأخرى الأمر مختلف تماماً، والمعماريون العرب الذين سنحت لهم الظّروف بأن يُذكروا كان ذكرهم بسبب مهن أخرى زاولوها بالإضافة إلى مهنة العمارة (كالترجمة والأدب...والعلوم الأخرى)..

ونعود للقول إن إهمال سير وترجمة المعماريين العرب مشكلة حقيقية تبعدنا عن الوصول إلى أسماء هؤلاء تمهيداً لتكريمهم وتعريف الناس بشخصياتهم وبإبداعاتهم، والبحث عن أسماء المهندسين العرب وتقديرهم على ما تركوه لنا من آثار معمارية وإنشائية قيّمة، مهمة صعبة وضرورية كي نُظهر قدرة المعماري العربي ويوضع اسمه إلى جوار أسماء المعماريين الغربيين الكبار، علماً أن مستواهم الإبداعي أقل بكثير من المهندس العربي، خاصة السوري، بعد البحث الطويل والتنقيب في كتب السير والتراجم توصّلنا إلى معرفة عدد قليل من هؤلاء العباقرة، ونحن ندين للباقين أصحاب الإبداعات المعمارية المهمة جداً والتي يقف أمامها الإنسان العارف بالعمارة متعجّباً من كمالها المعماري ودقتها (رغم عدم توفّر أدوات وأجهزة تساعد على التصميم والتنفيذ كما اليوم) بالاعتذار عن ذكرهم، لأننا لم نتوصل إلى معرفة أسمائهم وسيرهم.

لقد أنكر بعض المتعصبين من الغربيين فضل العرب ومقدار تقدّمهم في فنون الهندسة المعمارية والإنشائية، وردّوا كل ما هو قائم من الأبنية والمنشآت الموجودة في البلاد العربية إلى فنانين من الأقوام التي دانت للعرب، وبذلك أرادوا تجريدهم من كل فضل في التقدّم في مجال العمارة " الرّيازة"، ومع هذا فإن هناك عدداً غير قليل من علماء الغرب ممن عنوا عناية كبيرة بدراسة الآثار العربية، حيث أجروا تنقيبات أثرية واسعة في بعض المناطق العربية فأبدوا إعجابهم بما خلّفه أسلافنا من آثار فنية باهرة، وقدّموا البراهين والأدلة الدامغة التي تثبت عظمة فن العمارة عند العرب قبل الإسلام، وخلال العصر الإسلامي بأكمله. ومن الآثار التي نالت الإعجاب وتناولها البحث والتدقيق في تفاصيلها المعمارية العظيمة (مدينة إرم ذات العماد – سد مأرب- البتراء - قصر غمدان[1] - تدمر- الكعبات المقدسة[2]- مدائن صالح- طيبة والآثار الفرعونية – المدن القديمة في سورية). ومن الثابت تاريخياً أن اليونانيين والرومان

[1] قصر غمدان: شيّده الحميريون، قيل عنه: إنه مؤلّف من عشرة طوابق وسقفه الأخير مصنوع من الحجر الشفاف، يستطيع المرء من خلال هذا السقف رؤية الحمام الأبيض وهو يطير فوق القصر.

[2] 1الكعبات المقدسة: شرى في سورية، نجران باليمن، سحر، الحضر. وهي كعبات متماثلة في العمران من حيث التصميم والتخطيط.

والبيزنطيين أخذوا علم الهندسة عن الأمم التي سبقتهم في الحضارة، وخاصة من سورية، التي تمتد من البحر الأبيض غرباً إلى ما بعد نهر دجلة شرقاً، ومن جبال طوروس شمالاً حتى العقبة جنوباً، هذه الأرض التي أعطت الحضارة الإنسانية الكثير هي نبع للعمارة الجميلة والقديرة التي بنت أرقى صروح موجودة في العالم، ومن رحم هذه الأرض ولد العديد من العباقرة المعماريين الذين أغنوا التراث العالمي بما أبدعوه من حلول إنشائية شديدة الذكاء وقف عندها العالم متحيّراً من دقتها وبساطتها ورقيها، وقد قيل الكثير عن الطرازين الساساني والبيزنطي وكيف أن أصول العمارة الإسلامية مأخوذة منهما، ومن قبلهما الطراز الهلنستي والروماني، وهذا الكلام فيه بعض الحقيقة والكثير من التجنّي، وعلى الرغم من ذلك علينا أن نعرف أن جميع الطرز التي ذكرناها قد ساهمت في تطويرها أيدي مهندسين سوريين أكفاء، لا زالت بصماتهم متوضّعة على الكثير من الأوابد المعمارية الرفيعة المستوى، وبالتأكيد لم يدخل في نسيج العمارة السورية (قديماً) سوى تفاصيل وزخارف بسيطة متعارف على وجودها في معظم البلدان، وهذه التفاصيل لا تدخل في صلب العمارة وجوهرها الحقيقي، وهما اللذان يتمثّلان في التخطيطات الشاملة والتكوينات المعمارية التي قدمت إليها من مختلف الحضارات التي نهضت ثم رقدت فوق أراضيها، ومما لا شك فيه أن المعماري السوري قد طبع العمارة الرومانية والبيزنطية بطابع سوري محلي واضح في الآثار المعلومة والباقية في أغلب الأماكن السورية، حتى إنه وضع لمساته المتفرّدة (القادمة من تراكم التراث الفكري والثقافي الخاص به) على أغلب عناصر العمارة الغربية.

"كرمت روما مهندسيها ومبدعيها (من نحت ورسم وحكمة) بأن وضعت أسماءهم في الأماكن التي ساهموا في بنائها، وقد وصلت إلينا أسماء معظم معماريي روما من رومان ومن سوريين، أولئك الذين تركوا بصماتهم المعمارية على عدد كبير من الأوابد والصروح الكبيرة ولا ننسى أبولودور الدمشقي وما فعله أيام الإمبراطور تراجان". (غالب1، 2009م، ص 161).

"كما أن البارثيون أشرف على إعادة بنائه المعماريان (كالقيراطس وأكتينوس 447 ق.م)". (بهنسي، 1982م، 186). وقد أقام المعماري "اريكتون" معبد (أبولون أبيقريوس) في فيغالي، وسكوباس الذي ولد عام 420 ق. م كان معمارياً ونحاتاً ساهم في تزيين مدفن "هاليكارناس" وارتيميزيون، وبنى وزين معبد "رتجه ومعبد نيه" أيضاً وساعده في ذلك المعماري "تيموتيوس" الذي أنجز معبد"أبيدور "، وبعده جاء "ليوكاريس" الذي عمل لدى "الإسكندر"، المعماري "أكسينوس" شاد مدينة "أنطاكية" وهي العاصمة السلوقية أيام الإمبراطور "سلوقس نيكاتور". ومن يدخل إلى كنيسة "آيا صوفيا" في استانبول تبهره قبتها المشهورة في جمالها وارتفاعها واتساع دائرتها، "والكثير لا يعرف أن مصمّمها وبانيها هو المعماري السوري (ايسدور الصغير) ابن أخ المعجزة "ايسدور الأول" مصمم وباني "قصر ابن

وردان" عام 560 ـ564م". (طعمة، 2012م، ص20). وفي القدس أقام المعماري " أوستاش" بازليك "سان سيبولكر"، وبازليك "الميلاد" في بيت لحم، ولا ننسى حمامات "كاركلا" التي بنيت في عهد الأسرة السورية التي حكمت روما، وقد بنيت الحمامات بأيدي مهندسين سوريين اهتموا بنقل ملامح العمارة السورية إلى الإمبراطورية الرومانية، وهناك أسماء كثيرة وصلتنا مثل "مايكل أنجلو" أعظم فناني أوروبا، وهو مهندس معماري بارع، لكنه قلد بازليك "أوليا" المُصمّم من قبل المهندس العظيم "أبولودور الدمشقي" واستعان بالكثير من المفردات المعمارية في تصميمه لقصر "فارنيزة"، هناك أسماء مهندسين وصلتنا من عدة حضارات نذكرها لنتأكد من مدى حفاظ الآخرين على تراثهم المعماري ومن صنعه، منهم المهندس الفينيقي " كرونس" والبيزنطي "تيوفانس"، وفي القرن الخامس ظهر "سي هو" واضع أسس العمارة الهندية، وجاء بعده "لين لي ين" في تركستان الصينية، وفي الصين برز المهندسان "تي تسان، ووانغ مونغ" اللذين وضعا أسس وعناصر العمارة الصينية التي استمرت بصورتها تلك عدة قرون، ونحن نعلم بأن طريقة بناء القباب وصلت إلى الحضارات الغربية عن طريق المهندسين السوريين الذين أخذوها من قلب تراثهم المعماري السوري، واستخدموها في تغطية القاعات المستديرة والضخمة، ومنها قبة "البانتيون" الشهيرة في روما والتي صمّمها ونفذّها معماري سوري لم يذكر اسمه، ومن منا لم يسمع أويرَ "تاج محل" ذلك الصرح المدهش بكل تفاصيله، صمّمه وبناه المعماري "عيسى أفندي الشيرازي" وساعده في تنفيذه المهندسان "أحمد اللاهوري وأخوه حميد".

المعماري العربي:

لا نزال نتساءل عن أسماء المهندسين المعماريين الذين وضعوا قواعد وطرز العمارة في البلاد العربية عامة وفي سورية خاصة، ولو دقّقنا النظر في تفاصيل العمارة في عصورها المختلفة لوجدنا فيها فناً راقياً فيه تفاصيل رائعة الصّنعة، تمثّلت في واجهات الأبنية، وظهرت في تنوع المواد المستخدمة في البناء، وفي دقة حلولها الإنشائية (إن كان البناء من الآجر أو من الحجر) نرى في كليهما إبداع المصمّم وتطور فكره المعماري. "استطاع المعماري السوري أن يجمع في المبنى الواحد الضخامة مع البساطة والذوق الرفيع، كما جمع في تصاميمه بين سهولة استخدام المبنى وجمالية ذلك المبنى باعتماده على كثرة وتنوّع الزخارف المناسبة للعناصر المعمارية التي يحتويها، وكذلك برع في تغطية الفراغات المهملة بالزخارف اللافتة للنظر والمثيرة للإعجاب والتقدير". (بهنسي، 1982م، ص 209).

إن أول مهندس معماري ذكره التاريخ هو "أمحوتب" مهندس العمارة الفرعونية (في عصر الأسرة الثالثة) وإليه يعود الفضل لوجود الثورة المعمارية للعمائر الجنائزية، وهو أول من استخدم الحجر عوضاً عن الطوب واللخشب، وقد ساهم مساهمة كبيرة في تطوير العمارة الفرعونية، حيث شيّد معظم

آثار "طيبة القديمة" (الأقصر) وكذلك أشاد أهرامات الجيزة وسقارة، وهو الذي استخدم الملاط المشكل من (تراب مخلوط مع كسر حجارة ومعجون بالكلس) في ربط حجارة الجدران والأرضيات، وفي عهد الملكة "حتشسبوت" أقيمت أفخم الآثار المعمارية التي خلفتها الدولة الحديثة (185 ق.م ـ1085ق.م)، معبد فريد في ضخامته ليس له مثيل في معابد العالم كله، "وهو من تصميم وتنفيذ المهندس "سننحوت" الذي أصبح المستشار الأول للملكة بعد ذلك، وتم بناء هذا المعبد خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد". (حربي، 2012م، ص46)

"إن أكثر الناس في بلادنا سمعوا عن قصة المعماري "سنمار" والقصة تقول: إن النعمان بن المنذر ملك الحيرة أراد بناء قصر لا مثيل له، يفتخر به على العرب والفرس معاً، ووقع اختياره على المعماري "سنمار" لتصميم وتنفيذ القصر الغريب، وفعلاً انتهى البناء الذي استغرق حوالي عشرين عاماً لم يغادر المهندس خلالها مكان العمل، ولما حضر النعمان ورأى القصر بصورته البهية الزاهية والرائعة بتفاصيلها أعجب بالقصر وسماه "الخورنق" وعلم أن هذا القصر لا مثيل له في العالم، فشكر مهندسه وسار معه يتفقّد القصر من الداخل، ولما وصلا إلى سطح القصر فجأة أمر النعمان حرسه بقذف "سنمار" من فوق سطح القصر، وفعلاً امتثل الحرس للملك وتم قتل "سنمار"، ولا يزال سبب قتله من الأسرار الغامضة في التاريخ، بعضهم قال: إن النعمان سأل المهندس إن كان يستطيع تصميم قصر آخر أجمل من "الخورنق" أجابه المهندس بالإيجاب ولو أراد لجعله يدور مع الشمس، ورواية أخرى تقول: إن المهندس أخبر النعمان بأن هذا القصر العظيم فيه آجرّة، أو حجر لا يعرف مكانها غيره لو نزعت من مكانها لتهدّم القصر بكامله وصار أنقاض بناء، وهكذا نرى أن هذه الروايات تحاول إيجاد ذريعة للنعمان وأنه اضطر لقتله في سبيل المحافظة على هذه الأعجوبة المعمارية في زمانها، والحقيقة تقول: إن النعمان قتل "سنمار" حتى لا يشيّد عقله المبدع بناء يضاهي "الخورنق" ولكي يبقى قصر النعمان أعجوبة من أعاجيب الزمان، لكن الأنانية والاستبداد والظلم قتلت سنمار". (غالب1، 2009م، ص 222).

وأما "أبولودور الدمشقي" ذلك المعماري الأسطورة الذي ولد عام 60 م في دمشق، وتربّى على ضفاف بردى، اسمه سرياني ومعناه "أبولو" الإله، و"دور" ومعناه الهبة، ومعنى اسمه الكامل "هبة الإله"، دعاه صديقه القديم الإمبراطور "تراجان" ليمجّد انتصاراته، فبنى للإمبراطورية الرومانية أرقى ما تفخر به على طول الزمان من عمارة وبنيان، أقام "فورم" وهو ساحة كبيرة تحتوي قصراً للعدل ومكتبتين، وأسواقاً تجارية مسقوفة، وعموداً تذكارياً، وشيّد بازليك "أوليا" ثم توّج أعماله بإقامة جسر "دوبرجيه" بين عامي 102ـ105 م على نهر الدانوب في رومانيا، وهذا الجسر يعتبر مفخرة معمارية وإنشائية نادرة الوجود، وقائمة حتى اليوم، الجسر مقام في منطقة عرض النهر فيه 1135 م محمول على

عشرين عموداً مبنياً من الحجر، واجهته المقابلة لجريان الماء، على شكل مقدمة زورق، غايته من ذلك تخفيف احتكاك اصطدام الماء المسرع بالأعمدة المرصوصة من الأحجار وداخله مفرغ ومملوء بالطوب وخليط من الرمل والجص والكلس الممزوج، وهذا الصرح الكبير يعتبر أشهر من أي إبداع آخر قام به "الدمشقي". "علماً أنه أبدع كمّاً هائلاً من المعالم التي صمّمها وبناها لتزيين جبين روما أيام "تراجان" وولده الذي قتل "أبولودور" لأنه رفض رأياً للإمبراطور يخالف فكره وتطلعاته". (غالب، 2009م، ص160)

ترجم كتاب أقليدس "الأصول" العديد من المترجمين العرب، وفي كل ترجمة جديدة يزداد فهمهم لهذا الكتاب الذي يعد من أفضل الكتب القديمة التي بحثت في الهندسة وأصول العمارة، ونسبها، وطرق تنفيذها، ولهذا تمّت الاستفادة من هذا الكتاب القيّم بشكل كبير، حيث زادت المعارف العمرانية، وتطوّرت المدارك العقلية، وتنوّعت الإبداعات الهندسية، وأول ما طبق ما في الكتاب على مدينة "بغداد" أيام المنصور عام 762 م، وقد اشتغل في تخطيط بغداد وبنائها عدة مهندسين أشهرهم "أبو أرطأة" الحجاج بن يوسف الكوفي مع معاونين له من أهل الكوفة، وممن تابعوا بعده التخطيط والتنفيذ كل من (عبد الله بن محرز، عمران بن الوضاح، أبو حنيفة النعمان بن ثابت، المسيب بن زهير، حرب بن عبد الله، وهشام بن عمرو التغلبي، وعمارة بن حمزة، وشهاب بن كثير المهندس)، وقد أعطي لكل مهندس منطقة من بغداد ينفذ عمرانها وفقاً للمخططات والرسوم التي أعدّها "أبو أرطأة" على جلود الحيوانات، حتى اكتملت من شوارع وساحات وقصور ومساجد بشكلها العام الدائري، وقد سبق تأسيس "بغداد" العديد من المدن في العصر الإسلامي الأول مثل (الكوفة، والبصرة، وواسط في العراق زمن الأمويين، ثم تخطيط وإنشاء مدينة عنجر في لبنان). (الشافعي، 1970م، ص388)

وردت أسماء بعض المهندسين العرب بطريقة مختصرة بدون ذكر مستوى إنتاجهم المعماري ومقدار موهبتهم ومستوى ثقافتهم الهندسية / نورد بعضاً منهم:

-: موسى بن شاكر وأولاده: في زمن المأمون وأولاده هم "أبو جعفر، محمود، وأحمد، وحسن".

-: اسحق بن إبراهيم المصعبي: كان أيام المأمون أيضاً الذي كلفه برعاية وتعليم أولاد موسى ابن شاكر فن "الريازة" وكان معروفاً عنه قدرته الكبيرة، وفهمه الدقيق لكتاب "الأصول".

-: "ثابت بن قرة: هذا العالم اللامع والمفكر الكبير ولد في "حران" وفيها نهل العلم والمعرفة، وقد ترك مآثر كثيرة في شتّى العلوم خاصّة الرّياضيات والفلك، وهو الذي مهّد لإيجاد "التّكامل والتّفاضل"، وقد تفوّق في "الهندسة التحليلية"، ثم استمرّ بعده في علم الهندسة ولده إبراهيم". (شافعي، 1970، ص305).

-: الحسن بن الهيثم: كبير العلماء العرب، ومن الذين تفوّقوا في الهندسة والطبيعيات، والطب والفلسفة، وقد ترك لنا تراثاً علمياً امتاز بالأصالة والجودة، وقد طبّق الهندسة على المنطق، وبحث في المعادلات التكعيبية وقد حلّها بواسطة "قطوع المخروط"، وحاول إقامة سد عظيم على نهر النيل أيام الخليفة الفاطمي "الحاكم بأمر الله" غير أن الظروف السياسية وكثرة القلاقل حالت دون ذلك.

-: أبو الفضل المهندس: هو محمد بن عبد الكريم الحارثي، كان مقيماً في "دمشق" وعُرِفَ عنه الجودة في العمل الهندسي، درس "اقليدس" وبرع في تطبيق قواعده وأسسه.

-: جعفر القطاع: ويُدعى بالسّديد البغدادي، كان بارعاً في هندسة البيوت والعمائر.

-: علم الدين تعاسيف: اشتهر بالهندسة المعمارية والإنشائية في سورية، بنى للملك المظفر أبراجاً في حماه وطاحونة على نهر العاصي، وعمل كرة خشبية كبيرة نقش عليها أسماء الكواكب وحدد موضعها بالنسبة إلى بعضها، كما هي في السماء.

-: أبو الوفاء البوزجاني: توفي عام 338 هـ مؤلف كتاب "ما يحتاج إليه الصناع من أعمال الهندسة".

-: ابن ألأكفاني السنجاري توفي عام 749هـ، ألّف كتاباً عن أحوال وأوضاع الأبنية وكيفية شق الأنهر، وتنقية المياه، وإقامة السدود وتنفيذ المباني.

-: "أحمد بن محمد الحساب: مهندس مقياس النيل في جزيرة الروضة، ومصمّم ومنفّذ جامع "أحمد بن طولون"، وفي بعض المصادر ذكر أن مصمم وباني المسجد هو مهندس نصراني". (شافعي، 1970م، ص389).

-: أبوبكر البناء: مهندس ميناء "عكا" أيام "أحمد بن طولون".

-: صالح بن نافع المهندس: أيام الإخشيديين، وواضع مشروع تخطيط بستان المختار، وقصر الإخشيد في جزيرة الروضة، وجهز الرسومات الكاملة لهذه المشاريع وقدمها للإخشيد لينال الموافقة على تنفيذها.

-: إبراهيم بن غنائم بن سعد: مهندس الملك "الظاهر بيبرس"، وقد أشاد له "المدرسة الظاهرية" وقصراً فخماً في "دمشق".

-: "الحاج يعيش المهندس: في الأندلس أيام الخليفة عبد المؤمن بن علي، بنى حصن جبل الفتح". (شال، ت مكي، 1980م، ص83).

-: المهندس حسن الصياد: خطط مدينة الإسكندرية أيام الغوري 916 هـ.

-: أحمد بن عبد الله بن محمد: مهندس الحرم النبوي، وساعده في ذلك (عبد الرحيم بن علي بن محمد بن عمر الزين الطولوني الشافعي عام 891 هـ).

-: أبوبكر بن البصيص البعلبكي: أشاد جسر الكلب، وجسر الدامور، كان مختصاً في هندسة الجسور.

ISSN : 2625 - 8943

-: المهندس قطلو بك بن سنقر: مهندس ري شق قناة بالقدس أيام الملك الناصر بن قلاوون.
-: محمد بن إبراهيم: بنى المسجد الكبير في "طرابلس الشام".
-: عمر بن نجم: صمّم ونفذ العديد من القصور والأبنية السكنية.
-: محمد الصفدي: له عدة مساجد وأبنية سكنية في دمشق وطرابلس الشام.
-: سلوان بن علي المهندس: من أهم أعماله "منارة السلطان قاتباي" بالجامع الأموي.
-: الراهب يوحنا: بنى أبواب حصن القاهرة أيام بدر الجمالي.
-: شارك في تصميم القصور الأموية كل من المهندسين المعماريين السوريين (حسان بن ماهويه الأنطاكي، وسليمان بن عبيد، وثابت بن أبي ثابت).
-: "ثابت بن ثابت: مهندس معماري سوري، صمم وأنشأ "قصر الحير الغربي" في سورية عام 109هـ". (الريحاوي، 1979م، ص61).
-: "سليمان بن عبيد: مصمم ومنفذ "قصر الحير الشرقي" في عهد هشام بن عبد الملك".(الريحاوي، 1979م، 71).
-: حسن بن معاذ السرميني: بنى مئذنة الجامع الكبير في حلب ونقش اسمه عليها.
-: عبيد الله بن أبي القاسم الملي الذي بنى جامع "نور الدين الزنكي" في حماه عام 528ه / 1162م.
-: مئذنة "المشهد البحري" الباب، تتميز بوجود شريط من الآجر النافر يكوّن نصاً كتابياً يشبه الخط الكوفي ويقول: "بسم الله الرحمن الرحيم رفع هذه المنارة عبيد محمد بن أحمد بن سلمة طلباً لثواب الله ورحمته ورضوانه. عمل حاتم البنا وأولاده".
- أبو الفضل عبد الكريم المهندس من مدينة دمشق توفي عام 599هـ/1202م.
- "محمد بن موسى ابن موسى.. عالم بالهندسة والحكمة والموسيقى". (شافعي،1970م، ص389).
- الفضل بن حاتم النيرزي.. مهندس وفلكي توفي عام 310هـ..
- محمد بن عمر الخراساني.. مهندس معماري.. توفي عام 620 هـ
- يحي بن رستم الكوهي.. مهندس ورئيس مرصد شرف الدين البويهي توفي عام 367هـ
- أبو الثناء شمس الدين الأصفهاني.. مهندس ورياضي.. توفي عام 375هـ
- "سعد أبو عثمان.. الذي بنى قنطرة من قناطر خليج مصر في عهد عبد العزيز بن مروان عام 29هـ".(محاسنة، 2001م، ص316).
- "صالح بن كيسان الذي أشرف على عمارة مسجد النبي في المدينة أيام حكم الوليد عام 87هـ". (شافعي،1970م، ص365).

ISSN : 2625 - 8943

- يحي بن حنظلة.. الذي بنى مسجد عمرو بن العاص في أيام - قرة بن شريك – عام 92هـ
- اسحق بن خبيصة.. الذي بنى قصراً لهشام بن عبد الملك عام 104هـ.
- موسى بن داوود مهندس المأمون عام 207هـ، الذي قال فيه: إذا بنيت لي بناء فاجعله مما يعجز عن هدمه ليبقى طلله ورسمه.
- فتح الله.. الذي بنى قبة مسجد الزيتونة بتونس عام 150هـ.
- "أحمد بن كثير الفرغاني.. الذي بنى مقياس النيل عام 247هـ".(مرحبا، 1978م، ص386).
- عبد الله بن القفاص.. الذي بنى مجنبات البهو وقبة مسجد الزيتونة عام 385هـ.
- من مشاهير المهندسين بإشبيلية: عمر بن أحمد بن خلدون الحضرمي.
- أبي مسلم ابن خلدون.
- "محمد بن وليد بن فشتيق رئيس المهندسين في قرطبة".(البيلي،1948م، ص228).
- مسلمة بن عبد الله العريف المهندس.
- ابن مازة البخاري.. وضع كتاب "الحيطان".
- الإمام التطيلي.. وضع مصنف "القضاء بالمرفق في المباني ونفي الضرر". وهو الكتاب الذي استرعى انتباه الدارسين، وحظي بعناية النشر في طبعة محققة.
- أبوعبد الله محمد بن إبراهيم اللخمي المشهور "بابن الرامي التونسي"، وكان مهندساً معمارياً وضع كتاب "الإعلان بأحكام البنيان".
- عبد الله بن عبد الله الزجالي.. كان مسؤولاً عن العمران الحفري والإنشاء المعماري، ومن المعلوم أن البناء والبنائين وما يرتبط بالهندسة المعمارية قد ظلت من القضايا المهملة التي لم تنل ما تستحقه من اهتمام المؤرخين، سواء على مستوى التوثيق المصدري أو من خلال التنقيب الأثري، وما زالت المسائل المرتبطة بالبناء والتشريعات العمرانية من الأمور الغامضة والمجهولة، بعكس مواد البناء المستخدمة فقد عرفت في بطون الكتب بنسبها ونوعيتها وطريقة استعمالها.
- الفنان المصور "القصير" كان من أشهر الرسامين والنحاتين والمعماريين في العصر الفاطمي، وكان يعد بالتصوير كابن مقلة في الخط.
- الوزير أبو الحسن البازوري "سيد الوزراء"، كان معمارياً وعاشقاً للفنون في العصر الفاطمي.
- المعماري ابن عزيز من أشهر البنائين والمصورين في العصر الفاطمي وهو من العراق.

- "المعلم ابن السيوفي.. رئيس المهندسين في الأيام الناصرية، بنى مدرسة الأقبغاوية في الأزهر مع المئذنة وهي أول مئذنة تبنى في مصر من الحجر، كما تولى بناء جامع المارديني خارج باب زويلة وبنى مئذنته أيضاً". (شافعي، 1970م، ص 309).

- المهندس "ابجيج" الذي أشرف على بناء (قاعة الدهيشة) في القاهرة، والتي كانت تطل على الحوش بقلعة الجبل، وقد عمرها السلطان الصالح إسماعيل بن قلاوون سنة 745هـ، وأبو بكر المعروف بابن قيسون وأحمد بن علي المهندس المعروف بابن الرسول، وإبراهيم بن عبد الله بن يوسف، وحمد بن بيليك المحسني مهندس مدرسة السلطان حسن، وهو واحد من أسرة اشتهر أفرادها بهندسة البناء..

- وأجمل وأعجب ما رأينا في عدن الصهاريج التي تعد من أعظم البناء الهندسي، وهي خزانات ضخمة لحفظ مياه الأمطار وتصريفها على المدينة وتختلف سعتها لأنها مبنية في شق بين الجبال لجمع المياه حيث يبلغ سعة أكبرها 4 مليون جالون، وفيها طرق لحفظ المياه غريبة بحيث إذا امتلأ خزّان أفرغ للذي يليه وهكذا والزائد ينتهي للبحر ويتعجب من طرق تغذية آبار المدينة من هذه الصهاريج الضخمة والذي قام ببناء تلك الصهاريج ملكة سبأ حينما جاءت لعدن في القرن الخامس عشر قبل الميلاد وعندما شاهدت مياه الأمطار لا يستفاد منها وتذهب إلى البحر أمرت ببناء الصهاريج لحفظها وتصريفها على المدينة وقد قام البريطانيون أثناء استعمار عدن بترميمها بين عامي (1854-1899م) لثمانية عشر صهريج وسعتها جميعا ما يقارب عشرين مليون جالون. وهي الآن حديقة جميلة تستحق الزيارة.

كان النظام المتّبع في العهود العربية الإسلامية أن المهندس هو المتعهّد الذي يخطط ثم يشرف على التنفيذ بنفسه، "وقد كان المعلم "ابن السيوفي" رئيس المهندسين في الأيام الناصرية، وهو الذي صمّم ونفذ " المدرسة الأقبغارية" في الأزهر، ومئذنتها وقبتها، وبنى كذلك جامع المارديني خارج باب زويلة". (شافعي، 1970، ص309).

وقصة أخرى من قصص البناء نوردها لتكون مثالاً على قدرة المهندس السوري في إيجاد الحلول الإنشائية والمعمارية الضرورية أثناء تنفيذ المبنى، وبما يتوافق مع العصر الموجود فيه، ومع الأدوات المتوفرة وقتها، فها هو "الوليد بن عبد الملك" يقرر بناء قبة للجامع الأموي، ويوصي مهندسيه بالتنفيذ، لكن بعد حفر الأساسات حتى الوصول إلى المياه العذبة، وضعت الأساسات وبني فوقها الأركان أعلى من الأرض وحتى المستوى المطلوب، وبعد تركيب القبة الكبيرة بعدة أيام انهارت القبة وتهدمت الأركان وضاعت الأساسات، تكررت المحاولة والنتيجة واحدة ولما أبدى مهندسو الوليد عجزهم على تفسير ما حصل، قرر الوليد البحث عن البديل وأشاع في البلاد عن غايته في طلب الحل الممكن لإكمال هذه القبة، تقدّم رجل يدعى "محمد بن منصور" من أهالي دمشق عُرف عنه ولعه وسعة اطّلاعه بعلم الهندسة،

ISSN : 2625 - 8943

واشترط على الخليفة أن يتركه يعمل وحده وهو صاحب الرأي الواحد، دون أية مدة محددة، وافق الوليد، وقام محمد بن منصور ببناء الأساسات من جديد مع زيادة في عرضها ، وبنى الأركان فوق الأرض وبعلو أكبر من المطلوب، ثم غطّاها بالحصير وتركها مدّة عام كامل، كان الوليد يسأل عنه وعن سبب عدم إكماله البناء، ولما ذهب الخليفة إلى المسجد ورأى المهندس يرفع الحصير، رأى الأركان وقد غاص قسم منها في الأرض حتى استقرّت على تربة قادرة على تحمل الأوزان الكبيرة، أكمل المنصور بناء القبة وعقدها على الهيئة التي ظلّت عليها قروناً لم تؤثر فيها عاديات الزمن وبقيت دون أية مشاكل في هبوط الأساسات.

-: آخر عمالقة الفن المعماري الإسلامي هو المعماري المشهور "سنان" نذكره هنا باعتباره مهندساً مسلماً أضاف للعمارة الإسلامية الكثير من اللمسات الفنية الراقية والتي تعتمد على السهولة والتنوع والرشاقة المعمارية في التصميم والتنفيذ.

ولد " سنان" عام 1489م في قرية "أجريناس" قرب قيصرية، وقد أخذ عنوة إلى الانكشارية عام 1512م، وبعد انتهاء مدة تعليمه العسكري، ساهم في حملة سليم الأول على بلاد فارس والشام والعراق ومصر، حظي بتقدير السلطان بعد إقامته جسراً فوق نهر "روت" في خلال ثلاثة عشر يوماً في "ملدافيا"، ثم بنى جسراً فوق نهر الدانوب، وتم اختياره ليكون كبيراً للمهندسين حين بلوغه الخمسين من عمره، بعد أن شيد 364 بناءً على الأراضي الخاضعة للدولة العثمانية في وقت قصير، وكان "سنان" أستاذاً كبيراً في تنسيق المساحات، وعبقرياً في تصميم القباب المركزية، "ومن أعماله (المجمع الحصكي الذي بناه لحرم السلطان في استانبول وأكمل بناءه عام 1539م، وقد ظهرت أهم مراحل نشاط "سنان" المعماري من خلال ثلاثة آثار عظيمة هي (مسجد شهر زاده، ومسجد السليمانية بإسطنبول ومسجد "السليمية" بأدرنه الذي أبدعه وهو في الثمانين من عمره". (بهنسي، 1982م، ص421) ويمثل رائعته المعمارية التي استغرق بناؤها خمس سنوات من عام 1569 ـــ1574م، وللمسجد قبة كبيرة ذات قطر يبلغ (50,3 م) أي إن هذه القبة أكبر من قبة آية صوفيا، وقد ساعده في تنفيذ هذا المشروع المهم المهندس "داوود آغا" تلميذه النجيب والمهندس "أحمد آغا"، وفي سورية الكثير من آثار المعماري "سنان"، وقد صمم مسجد "الخسروية في حلب سنة 1537م وهو من أجمل أعماله الخالدة، وكذلك صمم "سنان" (التكية السليمانية) في دمشق، ونفّذ أعمال التكية وأشرف على بنائها المهندس الدمشقي "العطار"، فكانت من أجمل وأحسن التكيات العثمانية قاطبة". (غالب1، 2009م، 165).

الرسومات الهندسية والنماذج المجسّمة للمباني:

يوجد دلائل كثيرة ونصوص مكتوبة في سجلات التاريخ تقرّ بأن هناك العديد من الرسومات لمشاريع معمارية، إلا أن الوثائق المرسومة نادرة، وفي المشاريع الضخمة كان يشترك في تصميمها وتنفيذها عدة مهندسين، يتعاونون على إكمال مشروعهم من مخططات ورسوم وعمل مجسمات كاملة للمبنى ليسهل على المالك تصوّر بنائه كما سوف ينفّذ، وعمل المجسّمات كان نظاماً معروفاً ومعمولاً به خاصة في سورية، "ويقال إن أقدم مجسّم كان لقبة السلسلة بجوار قبة الصخرة التي صنعت وركّبت على هيئة قبة السلسلة، التي بنيت ليراها الخليفة وليعتمدها كنموذج لقبة الصخرة، وكان المهندس يقوم بحساب الكلفة التقديرية للمشروع قبيل البدء بالتنفيذ، حتى يعرف المالك مقدار ما سوف ينفقه على المبنى، وقد وجدت مخطوطات قديمة على صفحاتها رسومات ذات تفاصيل دقيقة ومهمة ما بين عقود ومحاريب وقباب وشبابيك وأبواب، ومعظمها ملوّن ومذهّب، من ذلك ما ورد في كتاب "خريدة العجائب وفريدة الغرائب" لابن الوردي، وفيه صور للحرم الشريف والكعبة المشرفة منقولة عن رسم من وضع العلامة "عز الدين بن جماعة " بلغ فيه من الدقة والجمال في التلوين والتذهيب غايته القصوى". (غالب2، 2017م، ص207). وهكذا نرى أنّ الرسوم والمجسمات والهياكل والديكورات كائنات حية تتفاعل مع المستخدم ليحيا في أبعاد جمالية وتكوينية تعزز القواسم المشتركة بينهم، وبصمة المعمار العربي ماثلة أمام العالم وتتطور مع كل احتياج عبر الزمن.

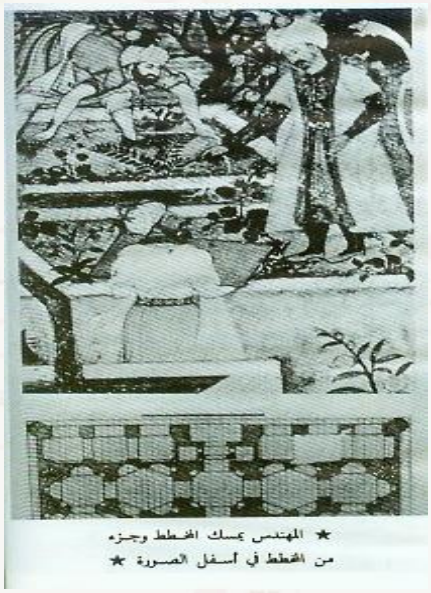
★ المهندس يمسك المخطط وجزء من المخطط في أسفل الصورة ★

الهوامش:

1- ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف – بيروت، ط1، 1966م.

2- الشافعي، د. فريد: العمارة العربية الإسلامية، الهيئة العامة للتأليف – مصر، 1970م.

3- بهنسي، د. عفيف: موسوعة تاريخ الفن والعمارة، دار الرائد العربي – بيروت، 1982م.
غالب المير غالب
4- العمارة وتطور البيت الريفي، مطابع ابن الوليد – حمص، 2009م.
5- العمارة والزخرفة في العصر الفاطمي، الهيئة العامة السورية للكتاب – دمشق، 2017م.
6- توينى: د. علي: الرمزية في الفن والعمارة، دار النهضة العربية – بيروت 1985م.
7- تالبوت، دافيد: الفن الإسلامي، ترجمة: د. منير صلاحي، مطبوعات جامعة دمشق، 1977م.
8- الريحاوي، د. عبد القادر: العمارة العربية الإسلامية، وزارة الثقافة – سورية، 1979م.
9- المسعودي: مروج الذهب، تحقيق: يوسف داغر، دار الأندلس – بيروت، 1965م.
10- المهلبي، أحمد: المسالك والممالك، جمع تيسير حلف، دار التكوين – دمشق، 2006م.
11- السياغي، د. محمود: معالم الآثار، المكتبة الوطنية – صنعاء، 1987م.
12-: غالب، عبد الرحمن: موسوعة العمارة الإسلامية، جروس برس – القاهرة، 1988م.

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية تصدر عن المركز العربي الديمقراطي ببرلين – ألمانيا
ISSN : 2625 - 8943
Journal of cultural linguistic and artistic studies issued by the democratic Arabic center – Germany - berlin

تطوير الذات باستخدام نماذج مصفوفة إدارة التغيير بتسخير الذكاء الاصطناعي
بالتطبيق على جامعة النيل الأبيض 2024

Self-development using change management matrix models by harnessing artificial intelligence
by application to White Nile University 2024

د.سلمي عثمان محمد قسم الله – أستاذ علوم الحاسوب المساعد - كلية علوم الحاسوب وتقانة المعلومات – جامعة السودان المفتوحة-السودان

الملخص:

تهدف الدراسة إلى تطوير الذات للفرد باستخدام مصفوفة إدارة التغيير بتسخير أدوات الذكاء الاصطناعي لاكتشاف القدرات الكامنة واكتساب السوكيات ومقاومة الإحباط والحيرة الناتجة من سلبية التقييم الداخلي والاستسلام للفشل والعجز وغياب الهدف المحدد لحياة الشخص، وتكمن أهمية الدراسة في اكتشاف القدرات الذهنية للتفكير والابتكار والإبداع والإبقاء على المستويات المرتفعة لإنجاز فعلي للتغيير والتطوير، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي التطبيقي وتستخدم وصفا كاملا عن تغيير الشخص وتنمية أساليب قدراته ومهاراته التي تمكن من تحقيق الأهداف واستخدام خوارزمية شجرة القرار من أجل اتخاذ قرار أمثل، من نتائج الدراسة تم تصميم مقترح لتطوير الشخص ونما قدراته وتم التوافق مع المتغيرات والوصول لتحديات نقاط الضعف وقد نتج عنها قرارات مثلى. أوصت الدراسة إلي ربط مهارات أدوات الذكاء الاصطناعي بالمهارات التحليلية من أجل التطوير ووضع تصاميم لأنظمة ذكية جديدة محسنة لتقييم الإنجاز والأداء.

الكلمات المفتاحية: تطوير الذات، نماذج مصفوفة، إدارة التغيير، الذكاء الاصطناعي

Abstract:

The study aims to develop the individual's self-using the change management matrix by harnessing artificial intelligence tools to discover latent capabilities, acquire behaviors, and resist frustration and confusion resulting from negativity of internal evaluation, surrender to failure, impotence, and the absence of a specific goal for a person's life. The importance of the study lies in discovering the mental capabilities of thinking, innovation, creativity, and maintaining high levels. To achieve actual change and development, the study followed the applied descriptive analytical approach and used a complete description of changing the person and developing methods of his abilities and skills that enable him to achieve the goals and using the decision tree algorithm in order to make an optimal decision. From the results of the study, a proposal was designed to develop the person and grow his abilities, and it was compatible with the variables. Reaching the challenges of weak points resulted in optimal decisions. The study recommended linking the skills of artificial intelligence tools with analytical skills in order to develop and develop designs for new, improved smart systems to evaluate achievement and performance.

Keywords: Self-development, change management, matrix models, artificial intelligence.

مقدمة:

أصبح التطوير تحديا حقيقيا ومطلبا ملحا على مستوى الأفراد ولمواجهة هذه التحديات المتلاحقة والمعقدة والمتشابكة والسريعة ظهرت الابتكارات التي أفضت إليها تقنيات المعلومات والاتصالات وعلى وجه الخصوص تقنيات الذكاء الاصطناعي التي دفعت إلى التغيير في اتجاهات جديدة ومساهمتها في النجاح وتحقيق الأهداف.

التطور الحقيقي للشخص هو تطور الذات الذي بدوره يكتسب السلوكيات الإيجابية بنفسه ويعززها مع مرور الوقت, وهذا التطور هو منهج لتنمية واكتساب المهارات والمعلومات التي تجعل الشخص يشعر بالرضا والسلام الداخلي هو تفكير يرتقي بالشخص ويساعده على استثمار عقله ومشاعر واكتشاف قدراته الكامنة لتغيير حياة الشخص نحو الأفضل وذلك لأن الشخص دائما يسعى للتفوق والنجاح والإبداع وإدارة المعرفة، تطور الذات ناتج من التغيير الذى يقود للإيجابية التي بدورها تؤدي للنجاح ومنها للسعادة والإحساس بالشعور الحقيقي.

الفصل الأول (الإطار العام)

مشكلة الدراسة:

سلبية التقييم الداخلي لسلوك الشخص وذلك بتركيز العقل على الشيء الذي تنتبه إليه ألا وهو التغيير السلبي، عدم القدرة على فعل شيء بسبب الخوف من الفشل والاستسلام للعجز والظن بعدم الاستطاعة، لاضطراب والتردد وتعدد الخيارات لتعارض الأفكار وتلاشى جميع فرص النجاح. غياب الهدف المحدد لحياة الشخص مما يجعله لا يستغل قدراته التي وهبها الله سبحانه وتعالى فيعيش في الضياع التام في المستقبل.

أهمية الدراسة:

اكتشاف القدرات الذهنية للتفكير والابتكار والإبداع، الطريق للنجاح والسعادة والرضا الذاتي والهدوء النفسي والإبقاء على المعنويات المرتفعة، إنجاز فعلي للتغيير والتطوير.

أهداف الدراسة:

1- تصور مقترح لتطوير الذات للشخص باستخدام مصفوفة إدارة التغيير والاستعانة بأدوات الذكاء الاصطناعي.

2-إكتشاف القدرات الكامنة لتغيير وتطوير الشخص وتقبل التغيير

3-إكتساب السلوكيات الإيجابية وضم كل عناصر مصفوفة إدارة التغيير.

ISSN : 2625 - 8943

4-تدريب الأشخاص على حل المشاكل وتعلم طرق وأساليب التقليل من المقاومة والإحباط والحيرة والقلق ووضع إستراتيجية تحقق كل الأهداف المرجوة.

متغيرات الدراسة:

لدينا عدد من المتغيرات متمثلة في تطوير الذات بالنسبة للشخص بالاعتماد على مصفوفة إدارة التغيير من خلال قياس عناصر المصفوفة لإدارة التغيير أثناء عدة عمليات مختلفة متمثلة في:

المتغيرات:

في خوارزمية شجرة القرار، المتغيرات هي عوامل البيانات أو السمات التي تختلف قيمها بالنسبة لأي تحليل وتكون بعض المتغيرات متغيرات مستقلة أو توضيحية. هذه السمات هي سبب نتيجة المتغيرات الأخرى التي تعتبر متغيرات تابعة أو استجابة وهي تعتمد قيمها على المتغيرات المستقلة بشكل عام.

وهي خوارزمية تعلم آلي تستخدم في مسائل التصنيف والتنبؤ و تقوم بتحليل البيانات وتقسيمها إلي فئات أو تصنيفات باستخدام سلسة من القرارات، تستخدم عباراتي(نعم) تعنى تغيير الشخص و(لا) مدي استجابة الشخص من خلال المقاومة أو الشعور بالقلق والحيرة مما يؤدي إلى بدايات خاطئة.

المتغير المستقل هو تحديد عمر الشخص بينما المتغير التابع هو التنبؤ بقياس عناصر المصفوفة للتغيير.

حدود الدراسة:

الحدود المكانية: ولاية النيل الأبيض-كوستى-السودان

الحدود البشرية: أخذ عينة من الأشخاص من عمر25-55

الحدود الزمانية: فبراير 2024م

مجتمع الدراسة: الدراسة بمدينة كوستي (القاعة الذكية)

عينة **الدراسة**: أخذ عينة(100شخص) بمعدل(20) ساعة كل يوم لمدة ثلاثة أشهر وفحصها في القاعة الذكية

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التجريبي التحليلي التطبيقي لتطوير الذات للشخص باستخدام مصفوفة إدارة التغيير عبر أدوات الذكاء الاصطناعي ,ويتمثل النهج الوصفي في دراسة متكاملة عن خلفية تغيرات الشخص وأساليب تنمية قدراته واكتساب المهارات والسلوكيات التي تمكنه من تحقيق الأهداف والتعامل مع المعيقات التي تواجهه لذا أستخدمنا في هذه الدراسة خوارزمية شجرة القرار من أجل اتخاذ قرار أمثل.

أدوات الدراسة:

قامت الدراسة باستخدام خوارزمية شجرة القرارات مع التنبؤ باكتشاف وابتكار تطوير الذات للشخص والتغيير الفعلي الحقيقي المرجو.

هيكل الدراسة:

الفصل الأول : الإطار العام

الفصل الثاني : الإطار النظري

الفصل الثالث: منهجية الدراسة

الفصل الرابع : النتائج والتوصيات

الفصل الثاني(الإطار النظري)

أولاً : تطوير الذات

ثانياً: مصفوفة إدارة التغيير

ثالثاً: الذكاء الاصطناعي

أولا : تطوير الذات

هو منهج أو اسلوب لتنمية واتصال المهارات لخلق السلام الداخلي الذى يمكن من تحقيق الأهداف والتعامل مع المعيقات.

تطوير الذات هو المنهج الذي ينتهجه الإنسان في حياته ويتحصل من خلاله على عدة أمور تجعله يشعر بالقوة والرضا عن نفسه وعن عمله، وتجعله يشعر بالسلام والأمان الداخلي، وتعينه على التركيز على أهدافه في الحياة التي يعيشها مساعدة الاخرين والدعم والاحترام يجلب تنعكس علي بناء الشخصية ByZ Hereford,10wayes to improve your personality,2018)

وتعتبر التنمية الذاتية أو تطوير الذات من الأنشطة التي تعمل على تطوير قدرات الشخص وإمكاناته، وتحسين نوعية الحياة وتحقيق الأحلام والتطلعات. و قد يحدث التطور الشخصي على مدار حياة الفرد بأكملها ولا يقتصر على مرحلة واحدة من حياة الشخص بل يكمن في تعزيز الثقة بالنفس حتي تومن بقدراتك وتحقق أهدافك.

وتحسين المهارات الشخصية لتُصبح أكثر فعالية في حيات الفرد العملية والشخصية. وتحقيق الأهداف لتضع خططًا ذكية وتحقق أحلامك (شاهين، 2018) كذلك الصحة النفسية والجسدية لتعيش حياة صحية ومتوازنة بناء العلاقات بشكل فعال لكي تعزز علاقاتك مع الآخرين وتسعد في حياتك(إبراهيم الفقي، 2024)

التطوير الذاتي له عدة مدلولات وهي كثيرة، فالحرص على تربية النفس والسعي إلى جعلها أفضل هو تطوير للذات، والحرص على أن تكون إرادة الإنسان ذاتية لا يتم التأثير عليها خارجيًا وتكون هذه الإرادة إيجابية، فيعدّ ذلك تطوير للذات وارتقاء للإنسان. وقد تحدث الفيلسوف أفلاطون عن هذا الأمر في فلسفاته فقال: أنّ قيام الإنسان على تربيته لذاته يعد أفضل بكثير من قيام الآخرين على تربيته، وذلك أنّه يربي نفسه على حسب قناعاته الإيجابية الذي يرى فيها السلامة، وذلك فان أفلاطون يؤيد فكرة أن يقوم الإنسان بتطوير ذاته والعمل على اكتساب المهارات والسلوكيات الإيجابية والتقيد بها ونبذ السلوكيات والأمور السلبية والابتعاد عنها حتّى يتمكن من تطوير ذاته والارتقاء بنفسه (فيصل، 2018).

استمِعْ لتفهم: الاستماع أداة الفَهْم، فإذا أردتَ أن تنمو، فقلِّلْ كلامك، واستمِعْ أكثر بغرض أن تفهم، Gough, David; Kiwan, Dina; Sutcliffe, Katy; Simpson, Donald; Houghton, Nicholas (2006).

وحين تستمع افترضْ أنك لم تفهم، وأنك بحاجة إلى أن تستمع أكثرَ، وعندها ستكون على اطلاع دائم بما يَجري حولك، وسينضج مستوى تفكيرك، ويتركّز حديثك، وسيفهمك الآخرون بشكل أفضل. حسِّنْ علاقاتك: تعايشك الراقي مع الآخرين، وعلاقاتك الحَسَنة معهم هي التي تصنع النجاحَ أو الفشل، فكن مبادرًا في تعزيزها، وإصلاح ما فَسَد من الودِّ فيها، باحترام الآخرين، وخَفْض الجَناح لهم، وقَبولهم وتَفهُّمهم، ومراعاة مشاعرهم وظروفهم، واحتياجاتهم ومصالحهم، والقيام بإقناعهم وتحقيق توقعاتهم، مع تخفيف التوقُّعات الإيجابية منهم، وتجنب ما يغضبهم، وافتحْ باب الحوار الحرِّ معهم، فذلك بوّابتك للاستفادة والتعلُّم الجيد منهم. توازن: حُبُّ الأشياء، وسَعة العلاقات.

ثانيا: مصفوفة إدارة التغيير

أن التغيير هو تعديل أو إضافة أو حذف أو تعديل للوضع الحالي إلى وضع أخر منشود ومستهدف

خصائص إدارة التغيير:

الاستهدافية: لا يكون عشوائياً وارتجالياً بل يتجه إلى أهداف معلومة ومقبولة

-التكامل: أو التوافقية بينها وبين احتياجات القوى المختلفة

-المشاركة: بين قادة التغيير والقوى المتأثرة به

-الواقعية: أن تكون في حدود مقدرتها وطاقتها ومواردها

-القدرة: والفاعلية في اتخاذ القرار

-الإصلاح: بمعنى ان تسعى نحو اصلاح ما هو قائم من عيوب ومعالجة الاختلالات

-الشرعية: ان يتم التغيير في إطار الشرعية القانونية والأخلاقية

-الرشادة: وهو مستوى الاد ارك لما سينجر عن عملية التغيير من مكاسب للمنظمة وليس خسائر
-الإبداع: يغرس قيم الابتكار والجودة ويعمل على تنمية القدرة الدافعة على التطوير
(قسطلي، الزهرة، باجي، فطوم2021)

أهداف إدارة التغيير :

1- حل بعض المشكلات التنظيمية أو الإجرائية.
2 - تطوير مستوى الخدمات التي تقدمها
3 - توفير المعلومات وتسهيل الأداء وتكوين رؤية واضحة، وتطبيق متطلباتها
4 - تعويد العاملين على ممارسة الرقابة الذاتية وزيادة الثقة والاحترام والتفاهم بين أفراد المنظمة.
5 - زيادة الوعي بديناميكية الجماعة وايجاد نظام حوافز يشجع على التعاون بين العاملين
6 - الاستراتيجية الوطنية للبيانات والذكاء الاصطناعي(**سماح، 2021**)

التغيير الإنساني التغيير المادي للأفراد: وذلك بالاستغناء عن بعضهم واحلال غيرهم محلهم: يظهر هذا النوع من التغيير في مجالين.

-التغيير النوعي للأفراد: يكون برفع مها ارتهم وتنمية قد ارتهم أو تعديل أنماط سلوكهم من خلال نظم التدريب والتنمية وتطبيق نظم التحفيز لديهم.

Anderson, Brittney K.; Meyer, John P.; Vaters, Chelsea; Espinoza, Jose A. (1 Aug 2020)

مرحلة التغيير:

وهي مرحلة التدخل واكتساب كل من الافراد أنماط جديدة من التصرف والسلوك فهي مرحلة التعلم وتطبيق التغيير من خلال تزويد الشخص بالمعلومات والمعارف والأفكار والأساليب الجديدة صاحب هده المرحلة شعور بالأمل والقلق (جينارو، 2024)

وضع رؤية للتغيير من المحتمل أن تكون مبادرة التغيير معقدة للغاية وغالبًا ما يكون من الصعب فهمها، خاصة للشخص في مراحله الأولي البناء على التغيير استمر في تحديد الأهداف وتحليل ما يمكن القيام به بشكل أفضل من أجل التحسين المستمر.

. الاقتصادية – (رشود، 2020م)

مراحل مقاومة التغيير

أمسية إدارة التغيير الشخصي وفق المصفوفة والنموذج المبتكر.(عسيري، 2020م)

- الصدمة: تشير الى شعور حاد بعدم الاتزان وعدم القدرة على التصرف

ISSN : 2625 - 8943

- عدم التصديق: شعور بعدم واقعية وعدم موضوعية السبب في ظهور التغيير
- الذنب: شعور الفرد بانه قام بخطأ ما يتطلب التغيير الذي حدث
- الاسقاط: قيام فرد بتأنيب فرد اخر على التغيير الذي حدث
- التبرير: قيام الفرد بوضع أسباب للتغيير
- التكامل: قيام الفرد باحتواء التغيير وتحويله الى مزايا
- القبول: خضوع او تحمس الفرد للوضع الجديد

تشخيص الاحتياج الى التغيير: (المحلاوي، 2020م)

دراسة الوضع الراهن

التنبؤ بالتغيير

تحليل مجال المجتمع المحيط بالشخص

إستراتيجية تغيير الذات

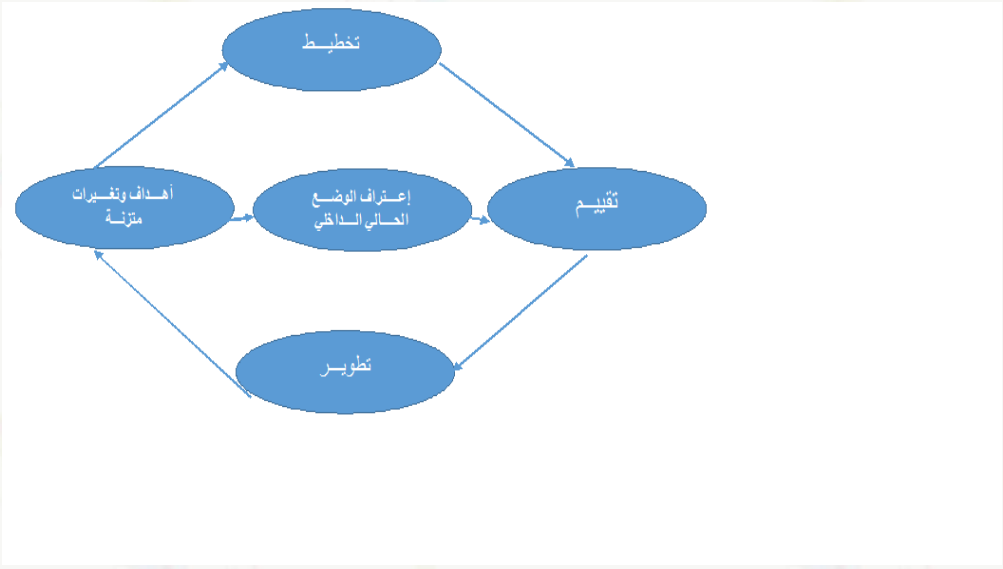

- القدرة على وضع استراتيجيات ذكية فعالة لإحداث التغيير وتطبيقها ومتابعة تنفيذها

الشخصيات التي تحتاج إلى تغيير (مؤسسة المدينة للصحافة والنشر – المملكة حاضنة الذكاء الاصطناعي لرسم مستقبل العالم – ديسمبر 2020م).

اشخص المعارض يظهر بأقنعة كثيرة ويتألق ويخبأ طبقا للظروف والاحداث والتحدي الذي يواجه التغيير

المتذاكي يشكل مادة جيدة للثرثرة والقيل والقال ويبدأ كأنه مؤهل لاتخاذ القرار المتذمر يكون متشائم في نظرته للحياة عموما وميال للشكوى من كل شيء، المطالب بالعرش يعتقد انهم اكثر جدارة بشغل أي منصب يقوده في الحياة و يتصف بالمكر لإخفاء طموحه ويتصف بقدر من الدهاء

المشاغب لا يهنأ له بال الا اذا نشأت مشكلة معقدة ومتشعبة مما يبقي الحياة مثيرة ويسعد بإعلان الاخبار

السيئة.

أهم عناصر الابداع للتغيير الحقيقي:

* الطلاقة ويقصد بها القدرة على توليد عدد كبير من الأفكار عند الاستجابة لمثير معين والسرعة والسهولة في تنفيذها

*المرونة وتعني قدرة الفرد على التكيف السريع مع المواقف والتطورات ومعطيات التغيير الجديدة

*الأصالة هي المقدرة على الاتيان بالأفكار غير المألوفة والنادرة والمتميزة

-*الحساسية للمشكلات وتعرف بانها القدرة على تبين أكبر عدد من المشكلات المرتبطة بمضوع ما

*القدرة على التعرف على المشكلة وابعادها وجوانبها بدقة

*القدرة على التحليل هي القدرة على تنظيم الأفكار وفق أسس مدروسة والتمكن من احداث التغيير في الواقع العملي (أثناء عملية تغيير الذات)

--روح المجازفة المبادرة في تبني الأفكار والأساليب الجديدة والاستعداد لمواجهة المخاطر والمسؤوليات

الرقابة والمتابعة لعملية التغيير-

مراحل الرقابة على التغيير:

- مرحلة قياس الإنجاز الفعلي للتغيير والتطوير
- مرحلة مقارنة الانجاز الفعلي للتغيير والتطوير مع المعايير والمؤشرات الخاصة بالتغيير والتطوير.
- مرحلة اتخاذ القرار التصحيحي اللازم لإزالة أسباب الانحرافات بعد اكتشافها

ثالثاً: الذكاء الاصطناعي

أما الذكاء. الاصطناعي. فهو. محاكاة. لذكاء. الانسان. وفهم. طبيعته. عن. طريق. عمل. برامج. للحاسب. الآلي. قادرة على. محاكاة. السلوك. الانساني. المتسم. بالذكاء، أحد العلوم الحديثة المرتبطة بالحاسب الآلي التي تبحث عن أساليب متطورة ومبتكرة للقيام بأعمال

واستنتاجات تشابه -ولو في حدود ضيقة- تلك الأسباب التيُ تنسب لذكاء النسان، والغرض منه هو إعادة البناء باستخدام الوسائل الاصطناعية

Zhai, X. (2021). Practices and theories: How can machine learning assist in innovative assessment practices in science education. Journal of Science Education and Technology , 1-11

مجالات الذكاء الاصطناعي:

العلم الذي يمكن الآلات من تنفيذ الأشياء التي تتطلب ذكاء إذا تم تنفيذها من قبل الانسان يتمتع الذكاء الاصطناعي بالقدرة على تحقيق فوائد وتحسينات كبيرة في مختلف المجالات، D. S. (2023). ChatGPT and the Future of Medical Writing. Radiological Society of North America 1527-1315 , 1-12. Biswas,

يتمتع الذكاء الاصطناعي بإمكانية توفير تجارب تعليمية شخصية للفرد بناء على احتياجاتهم وقدراتهم الذهنية

أدوات الذكاء الاصطناعي فعالة لدرجة قد لا يدرك المؤلفون حجم المساهمات التي قدمتها برامج الذكاء الاصطناعي لهم أثناء مرحلة إعداد وتخطيط ونشر البحث

Eva A. M. van Dis, J. B. (2023). ChatGPT: five priorities for research. Nature

سيغدو الذكاء الاصطناعي وسيلة تخِول للبشر إتقان مهامهم على أفضل وجه، وتوظيف خبراتهم على نحو أفضل، فيقودهم ذلك نحو طريقة عمل أكثر تخصصا في مجالاتهم. يمكن للذكاء الاصطناعي أيضا أن يساعد مجموعة متنوعة من الصناعات لكي تتحلى بكفاءة أكبر دون المساس بالوظائف البشرية

برامج الذكاء الاصطناعي:

القمة العالمية للذكاء الاصطناعي 21-22إكتوبر 2020م

1- كافة مجالات الحياة اليومية

2-السيارات ذاتية القيادة

3-الإنسان الآلي (الروبورتات)

4-الأجهزة الذكية والمحاكاة المعرفية

5-عناقيد قوقل الذكية وخدمات المنازل الذكية وغيرها

أهداف وأبعاد إستراتيجية الذكاء الاصطناعي في تطوير الذات:

1/ الطموح 2/ الكفاءات 3/ بناء بيئة لتطوير الذات 4/ نتاج التغيير.

الفصل الثالث(منهجية الدراسة)

منهجية الدراسة:

يتم في هذه الدراسة إتباع المنهج الوصفي التحليلي التطبيقي حيث يتم اختبار تصرفات سلوك الشخص والعمليات القائمة عليه ويتم تنفيذ إستراتيجيات التغيير الجديدة وقد استخدمت الدراسة نموذج إدارة التغيير لكورت لوين.

مرحلة التحليل:

تتضمن مجموعة من الأدوات والتقنيات والعمليات المستخدمة في معرفة التوجهات وحل المشكلات عن طريق استخدام البيانات لاستكشاف عملية التحليلات والأدوات المستخدمة لتحديد الرؤي (وذلك لتحسين عملية اتخاذ القرار.Rasheed Al-Qadhi29/4/2023)

خوارزميات الذكاء الاصطناعي:

هي مجموعة تعليمات تحدد كيفية تنفيذ مهمة حسابية محددة ومن أمثلتها خوارزمية التصنيف والتنبؤ وهي تقوم بتحليل البيانات وتستخلص نماذج تصف بشكل دقيق فئات وتصنيفات البيانات المهمة(د. مصطفي أبو صلاح,2019/11/3م خوارزميات الذكاء الاصطناعي والتميز العنصري.

تعريف آخر :

هي خوارزمية تعلم آلي يهتم بمسائل التصنيف والتنبؤ وهي نوع من تقنيات التنقيب عن البيانات(معجم البيانات والذكاء الاصطناعي 2022/3/25).

آلية العمل:

هنالك خمسة مكونات تعمل علي إحداث التغير في سلوك الشخص هذه المكونات مرتبطة مع بعضها البعض لإحداث التغيير .

إجراء تجربة علي عدد (100)شخص تتراوح أعمارهم من (25-55) سنة لمدة ثلاثة أشهر ومتابعة ومراقبة تحركاتهم ووضع أجهزة استشعار لتسجيل كل حركات وإيماءات الشخص كل ثانية.

ثم طرح الأسئلة على الأشخاص في كيفية التفكير والتعامل في حياتهم ووضع خارطة لتنفيذ خططهم المستقبلية.

هذه الخارطة تتمثل في أدارة مصفوفة التغيير وهي

أولا: الرؤية

يجب أن يكون لدي الشخص رؤية مستقبلية وهي البوابة الرئيسية لإحداث مصفوفة إدارة التغيير فالإنسان بدون رؤية لا يمكنه الوصول إلى أهدافه ونتلخص هذه الرؤية في التركيز علي التغيير الإيجابي

-الحالة المزاجية الإيجابية التي ينقلها الشخص للآخرين وهي تعكس الطريقة التي تنظر فيها للعالم من حولك.

-رؤيتك إيجابيا حول تصرفاتك تجاه الأشخاص والأحداث.

-إغفال الجانب السيئ أو التغافل عنه من تفسير الأحداث والأشياء بطريقة يغلب عليها الجانب الجيد.

-استثمار العقل والمشاعر والسلوك واكتشاف القدرات الكامنة نحو حياة أفضل.

علي أداة الذكاء الاصطناعي وضع سينسرات لفهم إيماءات الشخص وإخضاعه لتجارب عدة يتم قياس المعلومات الآتية:

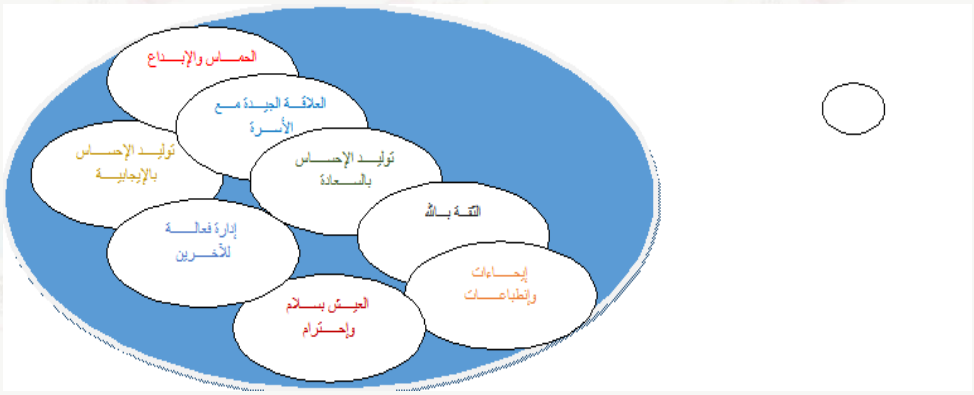

تكمن قدرة الذكاء الاصطناعي في تحديد الرؤية بثورة التخطيط الإستراتيجي لتمييز الاتجاهات وتوقع النتائج المستقبلية لاتخاذ القرارات الصحيحة.

بعد رصد كل البيانات يجب التركيز على قياس المعلومات التالية:

-الكسل والعجز

-الشك والاضطراب

-توليد الإحساس بالفشل والتعاسة

-الانحطاط واللجوء إلى الشيطان

-كره الناس

-العيش بالحقد والبغض

*تهتم قدرة الذكاء الاصطناعي علي العقل فيكون الانتباه والتركيز علي الرؤية المستقبلية فيقوم العقل بإلغاء أية معلومات أخرى لكي يفسح المجال للشيء الذي تركز عليه فتشتعل الأحاسيس وتسبب السلوك، فلو كان التقييم الداخلي ايجابيا (الرؤيا) تكون النتائج ايجابية والعكس صحيح ستجد أن هناك فرقا، لأن التركيز الأول كان سلبيا، ولكن التركيز الثاني إيجابي ويقودك إلى الحل.

لقياس التغيير الداخلي الإيجابي نركز على الآتي:

-درجة التقرب إلي الله سبحانه وتعالي

-مدي استجابة الخوف والفشل-تعارض الأفكار وضياع الفرص-المحاكاة وتقليد الآخرين-غياب الهدف المحدد في الحياة

ثانيا: مهارات:

بعد تسجيل كل المعلومات من خلال أجهزة الاستشعار في الرؤية التسجيل للمهارات التي يقوم بها الأشخاص متمثلة في:

ابدأ يومك بأذكار الصباح للتفاؤل ولينشرح صدرك -

-ابدأ يومك بحماس عند النهوض للسعادة والازدهار

-تغذية العقل عن طريق الكتب والقراءة والاستماع إلى برامج ترتقي المعنويات

-الاحتفاظ بالأفكار المرحة لأن الأفكار السيئة لا تستجيب بسهولة للتفكير الإيجابي

-صحبة الأشخاص الإيجابين وتجنب المجادلات والصراعات

-اعمل لأن تحرز على التقدم إلى أن يصبح عادة فيك

-القدرة على التفكير والتدبير

-تدريب الأشخاص على مهارات حل المشاكل وتعلم طرق وأساليب التقليل من مقاومة التغيير

- اكتساب مهارة تشخيص الحاجة الى التغيير ووضع خطة استراتيجية لها

- ربط الخبرات التعليمية عن التغيير بالحياة اليومية

-ا لتدريب على الالقاء والاستعانة بالوسائل التقنية الذكية للتعبير عن الأفكار

-ردد جملة أنا أفكر بشكل أفضل وأجعلها مهارة يوميا رددها

رؤية إيجابية +مهارة ناجحة=سعادة

إلي تحليل ومطابقة المهارات المطلوبة باستخدام الخبرة ويحتاج الذكاء الاصطناعي إلي مطابقة التدريب.

تحليلات الذكاء الصناعي المتكاملة للتحسين المستمر في استمرارية المهارات إذ

تسمح قدرة الذكاء الصناعي على التحليل الفوري بالمراقبة المستمرة لمبادرات التغيير،

واكتساب المواهب وتحديد مجالات التحسين وتقييم فعالية مبادرات الموارد البشرية والتنبؤ باحتياجات القوى العاملة المستقبلية

تلعب برامج التدريب ورفع المهارات دورًا حاسمًا في التغلب على المقاومة. من خلال توفير تدريب شامل على تقنيات الذكاء الاصطناعي، يمكن للأشخاص التزويد بالمهارات والمعرفة اللازمة للعمل جنبًا إلى جنب مع أنظمة الذكاء الاصطناعي بشكل فعال تتطلب معالجة مقاومة تبني الذكاء الاصطناعي مزيجًا من التواصل الفعال، ومشاركة الأشخاص، ومبادرات تحسين المهارات، وثقافة تنظيمية داعمة. من خلال معالجة المخاوف وإظهار التأثير الإيجابي للذكاء الاصطناعي، والعمل على تشجيع القبول وتبني الإمكانات التحويلية للذكاء الاصطناعي في تحسين مهارات والحفاظ على النهج التي تتمحور حول الإنسان، ومعالجة المقاومة لضمان نتائج عادلة وشاملة.

ثالثا: محفزات

في المرحلة الثالثة بعد الرؤية والمهارات تحفيز الأشخاص وتشجيعهم على:

-تمتلئ حياتك بالمكاسب والفرح

-القدرة على اكتشاف الخير في كل حالة

-التأمل في الأشياء الجميلة الرائعة التي وهبها الله لك

-الأفكار والأعمال نحو النجاح

- تحفيز الأشخاص على ضرورة تبني التغيير الإيجابي

- تشجيع المشاركة والتعبير عن الراي وطرح الأفكار

رابعا: الموارد

على الأشخاص الاقتناع بصفات لديهم والقدرة على توظيفها في المكان الصحيح والاستفادة بقدر الإمكان منها وهي:

الاستهدافية: لا يكون عشوائيا وارتجاليا بل يتجه الى اهداف معلومة ومقبولة.

- التكامل: او التوافقية بينها وبين احتياجات القوى المختلفة.

- المشاركة: بين قادة التغيير والقوى المتأثرة به.

- الواقعية: ان تكون في حدود مقدرتها وطاقتها ومواردها.

- القدرة: والفاعلية في اتخاذ القرار.

- الابداع: يغرس قيم الابتكار والجودة ويعمل على تنمية القدرة الدافعة على التطوير.

- الشرعية: ان يتم التغيير في إطار الشرعية القانونية والأخلاقية.

ISSN : 2625 - 8943

-ا لإصلاح: بمعنى ان تسعى نحو اصلاح ما هو قائم من عيوب ومعالجة الاختلالات.

خامسا: خطة عمل

تعتبر خطة العمل اخر المراحل وبداية إحداث التغيير الحقيقي للشخص.

فعلى الأشخاص الذين يمتلكون خصائص إدارة مصفوفة التغيير ابتداء من تحديد الرؤيا مرورا المهارات وتمتلك المحفزات وتستغل مواردها مضاف إليها خطة العمل وهي سيناريو الخطة للمستقبل وتحقيق الأهداف المرجوة.

تمثل خطة العمل في تبني وجهة نظر ومعتقدات وقيم شخص نعتبره المثل الأعلى في مجال معين وهي القدرة على تحقيق نتائج جيدة في أي موقف وهذا بدوره يحقق الهدوء النفسي وتحفيز الذات وبرمجتها بتأكيدات إيجابية وتقوم خطة العمل بإدراك إيجابي وأحاسيس تساعده بالتزويد بالثقة الكاملة.

أبعاد قوي الذكاء الاصطناعي خطة العمل:

- تسخير قوي الذكاء الاصطناعي بأمان وسرعة.
- مناقشات سياسة الآلية ومستقبل العمل.

*خطة العمل تعني تصور مرسوم ممنهج يمكن تطبيقه وفق العناصر المرتبطة ه متمثلة في الرؤيا والمهارات والمحفزات والموارد لتنتج التغيير (جهد مخطط لتنفيذ التغيير) فبدون خطة العمل تكون البدايات خاطئة.

رؤية+ مهارات+ محفزات+ موارد+ خطة عمل =تغيير

إذا فقدت المحفزات تحتاج إلى مقاومة للتغيير.

وإذا فقدت المهارات تصبح قلقة من الضياع.

وإذا فقدت الرؤية تكون في حيرة لا تستطيع فعل شيئ.

وإذا لم تكن لديها خطة عمل تعتبر بدايات خاطئة.

أما إذا فقدت الموارد تظل في خانة الإحباط.

عناصر التغيير

ISSN : 2625 - 8943

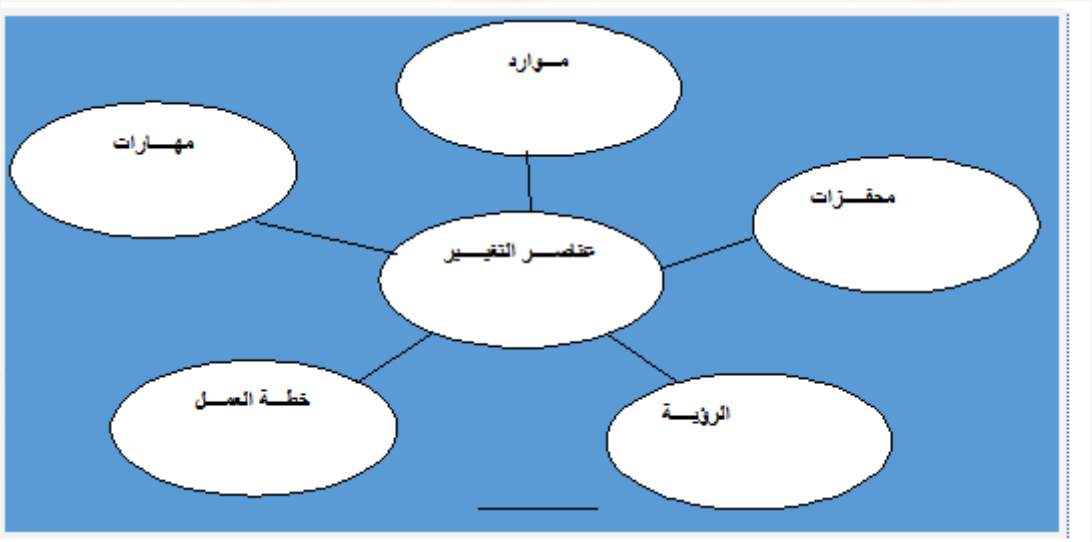

الشكل (1): عناصر التغيير

جدول (1): دور الذكاء الاصطناعي في مصفوفة إدارة تغيير الشخص: متمثلة في الجدول أدناه

تغيير السلوك	تطوير السلوك
آداة من أدوات التطوير	جزء من التطوير
تغيير السلوك إما أفضل أو أسوأ	دائما نحو الأفضل
تحسين أو تخلف	التحسين والتقدم والازدهار
يتم بإرادة الشخص أو بدون إراداته	لا يتم إلا بإرادة الشخص ورغبته
أشمل وأدق من التطوير	جهد مخطط لتنفيذ التغيير

التحليل: نستخدم الخوارزميات

خوارزمية أشجار القرار Decision Trees

هي خوارزمية تعلم الي خاضع للإشراف غير بارومتريه تستخدم في مسائل التصنيف و التنبؤ. الهدف من هذه الخوارزمية هو إنشاء نموذج يتنبأ بقيمة المتغير المستهدف من خلال تعلم قواعد القرار البسيطة المستنبطة.

من سمات الخوارزمية. يمكن رؤية الشجرة على أنها تقريب ثابت متعدد الصيغ.

ISSN : 2625 - 8943

مزايا الخوارزمية

سهلة الفهم والتفسير ويمكن ذلك من خلال تصور الأشجار. وينتج عنها مجموعة من القواعد*

تتطلب القليل من الجهد في إعداد البيانات أي غالباً ما تتطلب التقنيات الأخرى عملية ضبط للبيانات، ويجب إنشاء متغيرات وهمية.*

*إزالة القيم الفارغة، وينتج من ذلك أن الخوارزمية لا تدعم القيم المفقودة.

قادرة على التعامل مع البيانات العددية والفئوية.*

خوارزمية شجرة القرار

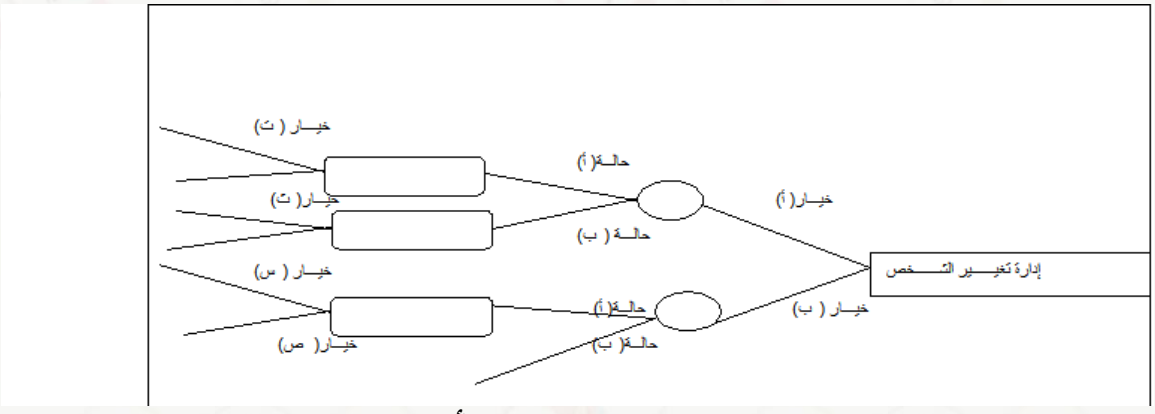

الشكل (2): رسم توضيحي لقياس مدي إستجابة درجة تطوير أو تغيير الشخص

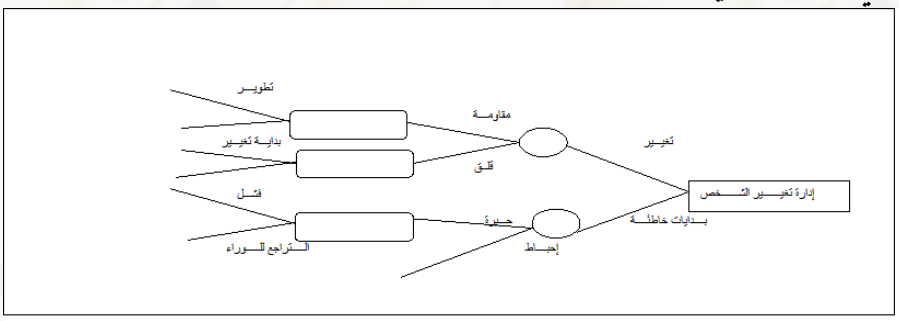

شجرة القرارات النهائية

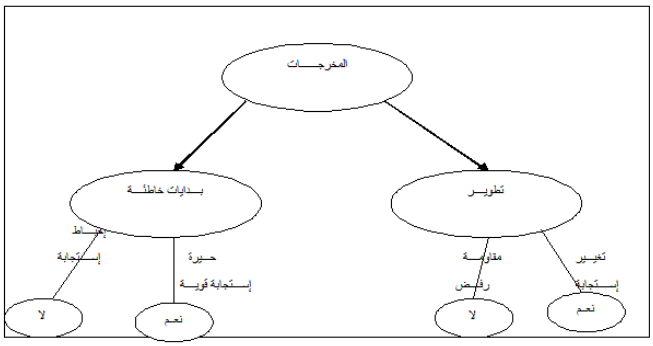

التصنيف بإستخدام خوارزمية شجرة القرار

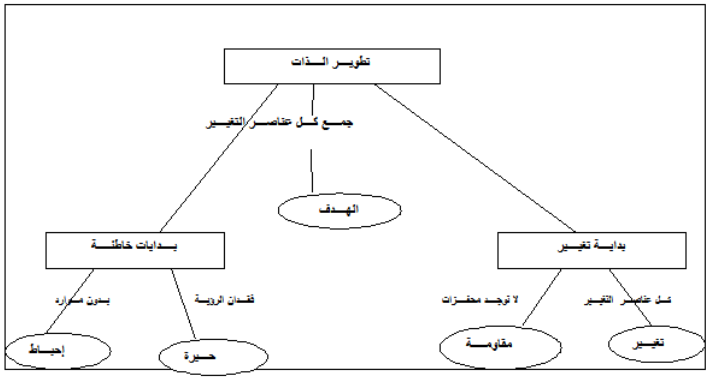

الفصل الرابع (النتائج والتوصيات)

استنتاجات:

يعمل الذكاء الاصطناعي من التغيير إلي التطوير

نتائج الدراسة:

1- تم تصميم مقترح لتطوير الشخص استخدام إدارة التغييروتم الحفاظ على الحيوية الفاعلة القدرات ونما الابتكار باستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي.

2- تم التوافق مع كل المتغيرات ومواجهة كل تحديات نقاط الضعف وتوصلت إلى درجة أعلي من القوة والآداء.

3- حققت الدراسة الغاية المرجوة واتخاذ قرارات مثلى.

توصيات الدراسة:

1-ربط مهارات أدوات والذكاء الاصطناعي بالمهارات التحليلية للشخص من أجل التطوير

وضع تصاميم لأنظمة ذكية جديدة أو محسنة لإدارة تغيير وتطوير الشخص للأفضل-2

3-التشجيع ووضع حوافز وتقييم الإنجاز والآداء.

قائمة المراجع:

1/أسامة شاهين و الثقة بالنفس وتطوير الذات,مصر,القاهرة 2018)

إبراهيم الفقي –قوة الثقة بالنفس 2024)2/

فيصل بن علي البعداني, مهارات تطوير الذات,32018/

قسطلي ,الزهرة,باجي,فطوم2021 ,دور عمليات إدارة المعرفة في التخطيط الاستراتيجي4/

سماح محمد عبد الحميد ,المجلة التربوية لتعليم الكبار 52021/

د. رشود بن محمد الخريف -المملكة والريادة في الذكاء الاصطناعي- أكتوبر62020/

محمد علي عسيري، إدارة التغيير الشخصي 2020م)7/

أحمد هشام المحلاوي إدارة التغيير الفعال 2020م8/

القمة العالمية للذكاء الإصطناعي 21-22إكتوبر 2020م9/

(د. مصطفي أبو صلاح,2019/11/3م خوارزميات الذكاء الإصطناعي والتميز العنصري.10/

معجم البيانات والذكاء الإصطناعي 2022/3/25)11/

مؤسسة المدينة للصحافة والنشر – المملكة حاضنة الذكاء الاصطناعي لرسم مستقبل العالم – ديسمبر 2020م12/

References:

ByZ Hereford,10wayes to improve your personality,2018

13/Zhai, X. (2021). Practices and theories: How can machine learning assist in innovative assessment practices in science education. Journal of Science Education and Technology , 1-11

14/D. S. (2023). Chat GPT and the Future of Medical Writing. Radiological Society of North America 1527-1315 , 1-12. Biswas,

15/Eva A. M. van Dis, J. B. (2023). Chat GPT: five priorities for research. Nature

16/Rasheed Al-Qadhi29/4/2023)

17/ "Personal Development | definition in the Cambridge English Dictionary". dictionary.cambridge.org (بالإنجليزية الأمريكية). Archived from the original on 2017-06-25. Retrieved 2020-12-10.

18/^ Gough, David; Kiwan, Dina; Suttcliffe, Katy; Simpson, Donald; Houghton, Nicholas (2006). "A systematic map and synthesis review of the effectiveness of personal development planning for improving student learning" (بالإنجليزية). Archived from the original on 2022-11-01.

ISSN : 2625 - 8943

ظلالي التي تعرج لكلثوم عيّاشية:
هدرة ثلاثيّة الإخراج: محاولة للموازنة بين التفريج وتوسيع الفرجة.. هل تحقّق الانفراج؟

The novel « My shadows that limp » by Kolthoum Ayachia:
has relief Plot with triole direction: An attempt to balance relief and expanding the spectacle .. been achieved ?

رجاء عمّار
باحثة في علوم الإعلام والاتّصال
جامعة منوبة – تونس
Raja Ammar
Researcher in media and communication sciences
University of Mannouba - Tunisia

الملخص:
تضمن المقال أربعة محاور وتمثلت في: **أولا**، العنوان وسمة التعدد: بين التشرذم والتفرد. **ثانيا**، بنية الظلال: نأي التكثيف عن الاختزال والاعتراف بضرورة الاختلال. **ثالثا**، عرج الظلال والتعريج بعيدا عن الهم الجمعي للعروج نحو الاحتياج الفردي. **رابعا**، الظلال بين هدير الذكرى والهدر السردي: عرض الاعتلال.. والتداوي كتابة مجرد احتمال.
الكلمات المفتاحية: ظلال، العرج والتعريج والعروج، الجوع والوجع والاعوجاج، المخزون الرمزي، الهم الجمعي، الاحتياج الفردي، الكتابة

Abstract:
The article included four topics : **First**, the title and the characteristic of multiplicity : between fragmentation and singularity. **Secondly,** the narrative structure : distancing condensation from reductionism and recognizing the necessity of imbalance.
Third, the ascent of shades and zigzags away from the collective concerns towards the individual needs. **Fourth,** the shadows between the plash of memory and the narrative waste : presenting morbidness …and treatment in writing is just the possibility
Key words: shades, limp and zigzagging and ascension, hunger and pain and distortion, semantic register, individual needs, revelation, writing

تنأى الرواية عن الرؤية الثنائيّة على مختلف المستويات، انطلاقا من العنوان مرورا إلى البنية السرديّة فيما ارتبط بالاختيارات الأسلوبية لغة وصياغة، وصولا إلى المواضيع طرحا وتأويلا، إذ تمّت الاستعاضة بمنظور ثلاثيّ، بالتالي، هناك سعي إلى عرض سيرة للجوع بأنواعه المختلفة، وتشخيص الوجع بأعراضه المتباينة، ورصد العوج بدرجاته المتنوعّة، وهو ما يجعل من العسير الإلمام بإيجاز لاستقراء مختلف هذه العناصر تحليلا وتساؤلا عن مدى النجاح في هذه المهمة السردية، فيما يرتبط بالمبنى تحكّما وبالمعنى تعمّقا، لذلك، هذا المقال هو قراءة مختصرة توزّعت على أربعة محاور، وغايتها الجوهريّة تقديم تجربة سرديّة تستدعي الاطلاع عليها، وإيلاء الاهتمام وسبر أغوارها اكتشافا يمهّد لأكثر من استفهام.

I- العنوان وسمة التعدّد: بين التشرذم والتفرّد:

يمكن رصد الانسجام بين **العنوانين المختارين للرواية**، فلا يتبوأ أحدهما رتبة الرئيسيّ ويكتفي الآخر بمنزلة الفرعيّ، بل هما كيان قصديّ لا يجزّأ، وهو ما أكدته "أو" المخاتلة التي تدّعي احتمال الاختيار الذي يرضي من يودّ الاطلاع، والفرضيّة المتاحة بعد القراءة في عنونة النص بأحدهما أو بكليهما أو بغيرهما، باعتبار حقّه في التفاعل بالطريقة التي يعتبرها مناسبة تأييدا تامّا أو تململا حمّالا لرغبة في المناقشة أو رفضا يرتكز على مواجهة النصّ بالحجج، فالظلال التي تعرج هدرة في حد ذاتها..

"هدرة" بالمعنى العامّي التونسيّ للكلمة، إذ تفسح المجال واسعا لحديث يطول ويتشعّب إلى ثلاث شعب، وتتمثّل، **أوّلا**، في صيغة الظلال التي وردت جمعا ، وهو ما يشكّل خروجا عن المألوف بما أنّ للمرء ظلّ واحد كما جرت عادة "المتفق عليه"، لكنّها دعوة لإعادة التأمّل وحثّ صريح على أهميّة الاعتراف بالذوات المختلفة الكامنة في الشخص، وكلّ ذات لها ظلّها، ما يدعو بدوره إلى الاستفهام: هل هي إشارة إلى الثراء أم فضح للانفصام والتشرذم؟

هذه الفرضيّة الأولى، أمّا الثانية، أنّ الذات وإن لم تنقسم أو تتشكّل من ذوات، فلها ظلال عديدة، ظلالها الخاصّة فحسب أو ظلّها وظلال من يؤثّثون التجربة الوجوديّة اختيارا أو اضطرارا، قد يتمّ الكشف عنها عمدا أو تتّسع بؤرة الضوء قسرا، فتعلن عن الحضور وتجبر صاحبها على المواجهة.

ثانيا، جسّد استخدام ضمير المتكلم المفرد هذا الخيار، فهو ابتعاد عن إيراد اللفظ نكرة أو معرفة بالألف واللام فحسب، إنّما التحلي بجرأة ضم الياء إليها وهو ما يثير الانتباه، إذ أنّ الشخصيّة هي التي ستتكفّل بالبوح، وستوضّح مسألة التعدّد من زاويتها الخاصّة، سواء التزمت بالواقع نقلا أو عوّلت على المخيّلة نسجا للأحداث ورصدا للمشاعر التي ولّدتها أو المراوحة بينهما عن وعي تامّ أو انسياقا لمتطلّبات اللحظة، التي عنّ فيها للروح سكب ما اعتصرها من مواقف وخلاصة ما اجتاحها من انفعالات.

ابتعد الخيار عن الحياد الذي قد يلازم لفظ ظلال / الظلال أي أنّ هناك من سيتولّى عمليّة النقل عوضا عن الشخصيّة، وهو شكل من أشكال التحكّم السرديّ الذي يجبر على سلك درب معيّن، ويوجّه الخطوة وقد يأسرها وقد يخرس الشخصيّة للحديث عوضا عنها أو أن الشخصيّة في حدّ ذاتها اختارت الهروب والحديث عن تجربتها متملّصة من الاعتراف بانتسابها إليها.

تتمثّل **الشعبة الثالثة** من شعب العنوان في فعل الظلال الذي يصبّ بدوره ضمن الرؤية الثلاثية التي اعتمدت دون انحياز واضح لزاوية تأويليّة معينّة، فجميعها يصطفّ في خانة الاحتمال حسب الحركة التي تمنح لراء الفعل، فيتغيّر القصد مع إمكانيّة الاحتفاظ بالانسجام بين التأويلات الثلاثة أو الاعتراف بالتناقض، لذلك تُشرّع الأسئلة: هل المقصود هو العرج جسدا وروحا أم كليهما وهو ما يرتبط بالكسر، وإذا ارتبط بالفتح، فهل هو إعلام بقرار الظلال أن تبتعد وتتنازل أم هو الضمّ الدافع إلى العروج أي السعي إلى الارتقاء؟

هل ستعمد الظلال إلى ذات الاختيار أم ستتّخذ وجهات ومواقف متباينة؟ لماذا قد تنّفصل الظلال، ولعلّ الأهمّ من معرفة السبب هو ضرورة استجلاء الحدث الدافع؟ كيف يمكن للعرج أن يغدو سبيلا للعروج، وهل اكتفت ذات الشخصيّة برصد حركة ظلالها ونقلها دون تدخّل مواراة أو مبالغة. تكتّما عن بعض الخطى أو ادّعاء غيرها ممّا لم تقم به الظلال التي ينبت عن حركيّتها استفهام آخر: هل تفعل بمحض الإرادة أم أنّ الشخصيّة تفرض عليها ما يتعيّن عليها القيام به والتعبير عنه، لتغدو الظلال كالماريونات؟

II- بنية الظلال: نأي التكثيف عن الاختزال والاعتراف بضرورة الاختلال:

أتطرّق في هذا المحور إلى **ثلاث نقاط رئيسية** ترتبط بمعالم الرواية على مستوى **المبنى**، وتتمثّل **أوّلا** في الأسلوب فيما يتعلق بالصياغة، إذ لعلّ أهمّ سمة تُحسب للنصّ هي سلاسة اللغة الخالية من الحشو والاستعراض بتكديس المترادفات أو ترصيف المعارف، فهو بوح الشخصيّة التي سُمح لها إلى مدى بعيد التعبير كما يحلو لها بمنطقها الخاصّ، والسعي إلى الحدّ قدر الإمكان من التدخّل السافر للكاتبة الذي يمكن ملاحظته في بعض المواطن، لكن، سرعان ما نتذكّر أنّ هذه رواية شخصيّتها، ولا يخوّل لها موقعها نخالقة للشخوص أن تتحكّم في قدرها أو تحوّل وجهة الأحداث، لتنقلها بطريقتها أو تطلق حكما كشكل من أشكال المحاسبة، بل من الضروريّ إفساح المجال للشخصيّة أن تعرك روحها كما يعنّ لها دون قيد أو شرط بعيدا عن التحكم المتجبر الذي قد يخرسها ، ويسمح للكاتبة أن يتكلّم بلسانها عن تجربة لا تخصّها، فتفوّت عليها فرصتها بغبطها إياها.

هناك وعي بمتطلّبات العمليّة الإبداعيّة، فإطلاق العنان للشخصيّة لا يعني أن يسمح لها أن تجمح بها اللغة أو تحاول أن تسكت جوعها، فيتضاعف نهمها مستزيدة من الألفاظ حدّ الترهل الوصفي الذي: **"يعني ببساطة خنق الفكرة تحت طبقات وطبقات، من البلاغة الوصفيّة. إنّ وجود الترهّل الوصفيّ يشير إلى عجز حقيقيّ في مقدرة الكاتب على الاستبعاد والانتخاب".**(العيسى:2018، ص119)، وهو ما تمّ تجنّبه في الصياغة السرديّة للرواية، إذ تخلّصت فقراتها قدر المستطاع من كلّ جملة لن تقدّم إضافة أو تتعمّد الحضور لتقديم تفسير أو تبرير لا موجب له بل له مفعول عكسي، إذ يحرم من سيقرأ من التعويل على ذاته، ويفوّت عليه فرصة التساؤل والسعي إلى البحث عن إجابات محتملة، باعتبار سجنه في تأويل معيّن.

تتطلّب العمليّة السرديّة تقشّفا لا إسرافا يغرق الفكرة وينفّر من مواصلة الاطلاع، والأمر ليس عسيرا إذا تم الاعتقاد في جدوى نصيحة "ما قلّ ودلّ خير من كثير وألهى"، عوض الذهاب إلى ضفّة الإكثار بنيّة الإبهار، فينجم عن ذلك انحدار المستوى وإطالة ترقّب قارئ يملّ غالبا الانتظار والتسويف الذي لا يعتبره تشويقا، إنّما مجلبة للضجر ويكاد يهتف: " هات من الأخير"، لذلك **"ينبغي على الكاتب أن يفرض سلطته على النصّ، أن يشعر القارئ بأنّه يعرف بالضبط ما الذي يريد قوله، أن يختار الصفة الأدقّ، الأكثر تعبيرا عن الحقيقة، ويستغني عن البقيّة لدواعي التكثيف".** (العيسى: 2018، ص ص 114-115)، وهو ما وجب الاعتراف أنّ النصّ حقّقه بكثير من الاقتدار.

تجلّى ذلك أيضا في **النقطة الثانية** المدرجة في هذا المحور والمتمثلة في **التقسيم البنيوي**، إذ تم التعويل على فصول قصيرة تجنّبا للتمطيط أو اختيارا لعدم ذكر الحدث في مناسبة واحدة يضمّها فصل طويل، ما يجرّد النصّ من ديناميكيّة ضروريّة وفّرها الانتقال الذي اختار التشتيت عمادا سرديا، وهو ليس اختيارا اعتباطيّا بل ينسجم مع متطلّبات البوح الذي لا يرد عادة منظّما، وإنّما لا بدّ من إكسابه صفة العفويّة، فالذاكرة تقفز من خانة إلى أخرى دون أن تتقيّد بنهج بعينه في هذا القفز، إذ تراوح بين الماضي والحاضر، تتقدّم لتتقهقر، لتنحو ذات اليمين، لتجاور شخصيات أو تتصادم معها، وتتوجّه يسارا لرصد العسر وهي تتردّد واقفة بالرجل الثالثة التي نبتت لذكرى بيوت ما زالت تسكنها الظلال أو أنّها تركت ظلالها الخاصّة هناك، وعادت إليها حنينا أو عنوة.

تتمثّل **النقطة الثالثة في عناوين الفصول والمقاطع التي شكّلت استقطاعات متعمّدة كنافذ التهوئة موزّعة بين الفقرات**، باستثمار المخزون الرمزي الجمعي من الأمثال فيما يتعلّق بالعناوين، وفي هذا السياق، أضبط وعيا بأهميّة التفكّر في الرمز الذي سيتمّ استخدامه أو تطويعه أو إضافته ليحقّق الغاية المرجوّة منه، وينجح في الالتحاق بضفيرة القصد التي تتشكّل منه إضافة إلى المعنى والتأويل، ويمكن دعم هذا الرأي

بما قالته رضوى عاشور: **"لاستيضاح الفرق بين نوعين مختلفين من الرمز، أوّلهما الرمز القائم على المثال التوضيحيّ، وهو نوع من الرمز يكتفي بالإحالة المباشرة إلى مفاهيم مجرّدة، تختزل مفردات الواقع وظواهره وتترجمها. (...) أمّا النوع الثاني من الرمز، وهو الأرقى، فتقوم الفكرة فيه مقام النواة من الصورة التي تستوعبها وتكسوها، ولا يصبح لدينا مفهوم مجرّد تترجمه صورة، أي شيئان منفصلان يحيل أحدهما إلى الآخر، بل فكر مجسّد، نواة فاعلة في صورة تغذّيها وتمنحها خصوصيّتها. وهذا الفكر المجسّد أو الصورة الرمزية تجمع بين العام والخاص، الذهنيّ والمحسوس، تبقى قائمة بذاتها رغم احتفاظها بوشائج صلة بالواقع الذي نتجت عنه".** (عاشور:2001، ص ص 11- 12).

تتنوّع دوافع هذا الاختيار وهو ما ينجم عنه تعدّد في الغايات التي تم بلوغها، ولعلّ التفطّن إلى بلاغة هذا المخزون المتّسم بالتكثيف الذي لا يختزل الموقف في حيّز ضيّق أو رؤية قاصرة، أو لا يمنح مختلف العناصر التي تجتمع لتشكيل موقف أو نسج شعور أو التعبير عن رأي ما تستحقه من مكانة في المقول الذي على اختصاره يكتنز فكرة بدلالات يمكن أن يخصّص لها سفر من التأويل، كما أنّ حضور الأمثال يضيف شعورا من الألفة يحسّه من يطلّع على النصّ الذي لا تتعالى فصحاه عن العاميّة فتقصيها، بل تستدعيها ناطقا رسميا قادرا على لفت الانتباه وتعزيز المكانة، إضافة إلى الإشارة الضمنيّة إلى أهميّة الاعتناء بهذا المخزون، والاستمرار في استخدامه كي لا يكون ضحيّة النسيان ويطمس كميزة من مميّزات ما جادت به القريحة وتناقلته الألسن، لم يتوقّف الأمر عند هذه الدوافع، إذ أنّ الكاتبة تعي أنّها بصدد عملية إبداعيّة، لذلك لم تقتصر على إيراد المعهود، وسعت إلى تقديم الإضافة لهذا المخزون (**نحكيلك على خرافة راسي، والقلب من الأفكار ياما يقاسي**)، وفي ذلك تشجيع على إعمال الذهن لينتج بدوره أمثالا ترتبط بواقعه، في إطار الاجتهاد الضروري من ناحيتيْ المحافظة على الموروث والعمل على الإثراء.

يتمثّل الجزء الثاني من هذه النقطة في الاستقطاعات التي تم التصريح أنّها ليست على وضعيّتها الأولى، وإنّما هي نتيجة تدخّل، كمن يقوم بعمليّة تجميليّة، وهو اختيار يُناقش لأنّ النتيجة تدعو إلى التساؤل: ألم يكن من الأجدى ترك هذه الاستقطاعات كما وردت في البوح الذي ضمّته أشرطة التسجيل، سواء كانت مقاطع غناء أو آيات قرآنية أو كلاما أوردته الشخصيّة وتمّ إقصاؤه؟

قد تتعدّد التبريرات التي تصبّ جميعها أنّ هذا التدخّل في مصلحة النصّ وأنّ عمليّتي التنسيق والتشذيب لم تمثّلا تحكّما في الهيئة التي وجب أن تطلّ بها الرواية، لتلتزم بقدر من الانضباط المطلوب على مختلف المستويات، غير أنّ ذلك لم يكن دون مخلّفات، إذ قلّص من العفويّة بتعمّد انسجام المقطع مع الفكرة التي سبقته أو ستلحقه، والحال أنّ الشخصية لا تختار الشريط حسب المضمون الذي سيعبّر عن بوحها

الذي لم ترصد له نهجا محدّدا، وهو ما قلّص من جماليّة يولّدها التناقض أو عدم انسجام لا يطوّع المقطع قسرا لخدمة غرض معيّن، إنّما يسجّل حضوره كقطع كليّ، مانحا الذهن ردحا من الراحة التي تسمح له بالذهاب بعيدا عن النصّ للعودة إليه مجدّدا بنفس مختلف وإقبال أكبر، إضافة إلى المبالغة في الإقصاء، ما جعل التدخّل يحرم من سيطّلع ما كانت ستوفره هذه المنافذ من تنويعات تأويليّة أو مقاصد مغايرة قادرة على الإغناء والإمتاع.

لعلّ ما يحسب للكاتبة هو شجاعة الاعتراف بأنّها تدخّلت تعديلا وحذفا دون إضافة، ولا يمكن مع ذلك الجزم أيّ نسخة من الاثنتين أعمق وأدقّ وأوفى في استجابتها للإبداع.

III- عرج الظلال والتعريج بعيدا عن الهمّ الجمعي للعروج نحو الاحتياج الفردي:

يتفرّع هذا العنصر، حسب ما يبيّنه العنوان، إلى ثلاثة مسالك لن أوغل فيها لتبيان دروبها المختلفة، وما تتضمّنه من مواطن تحتاج الوقوف عندها تفكّرا وتساؤلا، دون تجاهل ما يعتور كلّ طريق تستعرض فيه الشخصيّة المطبّات الشعوريّة والحفر الفاغرة ترقّبا لعلاقات إنسانيّة تسير في الوجود دون تبصّر أو تمكّن أو تتعمّد التعثّر توسّلا للاهتمام أو تسقط كسبيل للنجاة من قبضة الفراغ أو مخالب الشفقة.

تنوس الساردة "رملة الناجي" بين الماضي والحاضر، فيتفتّق عن النوسان نقل لخصائص تكاد تتناقض بين الزمنين، سواء على مستوى الأمكنة التي شهدت تغييرا جليّا حوّر مظهر المدينة، حتّى توشك أن تغدو السبل المطروقة سابقا مواقع غريبة يعيد الزائر التعرّف عليها، وبالكاد يجد أثرا مرشدا، مع التأكيد أنّ هذا التغيّر لم يساهم في منح مسحة جماليّة، بل على العكس، ولّد تشويها منفّرا.

سرى التغيير على الصلات الإنسانيّة التي لحقها الجفاف والابتسامات المصطنعة مع مقارنة بمتانة الوشائج في الماضي وعفويتها وصدقها، لم يقتصر الأمر عند هذا الحدّ وامتد إلى الأصوات التي تحوّلت من غناء المطارق إلى سكون موحش أو صخب، وغابت الروائح المميّزة، وهو ما دفع الشخصيّة إلى التمسّك حينا بالماضي على عرج ظلاله، لتعرج أحيانا مبتعدة عنها نحو حاضر باحثة عن علاقة تؤمّن لروحها مشية مستقيمة أو على الأقل تقبل عرجها ولا تعتبره عاملا منفّرا، فتكتشف أنّ العرج جامع والعروج حلم عسير .. إن لم تخلص في نهاية المطاف إلى استحالة تحقّقه أو الزهد فيه لأنّ العروج هروب من الذات التي لن تتخلى عنها ظلال الماضي وستستقبلها في حاضرها ظلال أخرى، ويبقى الحصار قائما، لذلك تسعى إلى التخفّف منه بالبوح.

في هذا السياق، يهلّ **العنصر الثاني** الذي يعتبر الوجه الآخر للذي سبقه، إذ أنّ السعي إلى توثيق مشاهد من الماضي، والتنصيص بالتفصيل، في بعض الأحيان، عن أسماء الشوارع ومعالمها المميّزة، وحمل القارئ إلى جولة في الأسواق العتيقة بنحاسها وحنّائها وفنكوشها، وغير ذلك من محاولات شبيهة بتجفيف

الفراش ولصقه في كتاب، لأنّ هذه التفاصيل التي حلّقت في الماضي بدأ الحاضر يحرق أجنحتها ويصيّرها هباء ويدفعها لقمة مستساغة للنسيان.

لكن، لا يجب الاقتصار على ذلك، باعتبار أنّ النصّ ليس نقلا وتأريخا على سبيل الحنين أو دقّ ناقوس الخطر للتنبيه، بل تمّ التجاوز إلى نقد المعهود من الصور المنمّطة التي يحتفظ بها الذهن كقوالب جاهزة لا يحيد عنها، ويرفض المساس بها حتّى على سبيل الاستفهام، فيما يتعلّق بالقول أو الفعل.

في هذا المنحى، يمكن ملاحظة التخفّف من العرج مبنى ومعنى، بالابتعاد عن المتداول من القول على مستوى التشابيه والاستعارات، لكن، لا يكلّل الجهد في جميع المواطن بالنجاح، ويعلن العرج حضوره، وهو ما يُستشفّ منه أنّ الإبداع ليس عمليّة يسيرة حتّى تبلغ الفرادة، بل هي سعي متعثر، ولا بدّ له من النهوض مجدّدا، وإن عرج، لينأى عن مطبّ: **"الاستعارات الميتة والصور النمطيّة (الكليشيهات) التي تتعدّى تنميط اللغة إلى تنميط الرؤية. إنّها شيء يختزل العالم في قوالب، في حين أنّ وظيفة الأدب، تحديدا، هي كسر تلك القوالب، إنّ الصور النمطيّة تقتل اللغة، بقدر ما تقتل القدرة على النظر إلى الأمور بعين جديدة. لهذه الكليشيهات نتائج وخيمة على الكتابة الإبداعيّة، فإذا كنت تقبل استخدام تعبيرات مستهلكة، فسيكون من السهل عليك استعارة أفكار مستهلكة أيضًا".** (العيسى: 2018، ص118).

في هذا الجزء من النقطة الثانية، يميل الميزان ميلا واضحا لترجح كفة عدم الالتزام بالمطلوب فيما يتعلّق بتقديس الأمّ بصفة مطلقة، منذ الصفحة 14، لا تتوانى "رملة" في التعبير عن مشاعرها التي تخالف المعهود، لتستوقف وتضع حدّا للتمادي في مثاليّات قد لا تطابق الواقع أحيانا، وينصاع البعض إلى التزييف هربا من المواجهة إذ تقول بعد حوار دار بينهما، وهي نتأمّلها: **"كم أحسست أنّها زائفة غامضة"**، وهو ما دفع إلى توسيع الرقعة، كي تكشف عن مشاعر تطمح إلى مزيد التعرّي لتتخفّف من ثوب أكساه المفهوم الجمعيّ الروح، فتبيّن أنّه لا يناسبها، وهنا يأتي دور الاستفهام الإنكاري: **"هل يحبّ الإخوة بعضهم دائما لأنّهم أهل؟ هل أنّ المشاعر الإنسانيّة قالب يسكب على شاكلته كلّ ما يجيش في نفوس البشر بذات المحرار؟"** (عياشية: 2023، ص161)، للتنبيه أنّ هذا الثوب العلائقيّ، وإن تمّ الاجتماع على منحه ذات الاسم، فلا بدّ من الانتباه أنّه لا يقتصر على نموذج واحد على مستوى التفصيل والمميّزات والمقاسات الشعوريّة.

لم يتوقّف احتجاج الشخصيّة عند هذا الحدّ، بل تجاوزه إلى لفظين حضرا بشدّة، لتشير أنّ الخبز ككلمة باستعمالاتها المتنوّعة التي تصبّ في مدلول بعينه وغاية حتميّة تتمثّل في القدرة على إسكات جوع من نوع واحد، وقد لا تحقّق ذلك بكفاءة، والإشارة أنّ التركيز على هذا الهدف قد يدفع إلى تجاهل أنواع

الجوع الأخرى أو جعلها في مرتبة تالية، لتغدو ضربا من الترف، إلى جانب كلمة الكلب مفردة وجمعا تذكيرا وتأنيثا، ولفت الانتباه لما تحمله من معنى سلبيّ في المقول العامي، لتناقض بذلك المعنى الذي يسم هذا الحيوان بصفات الوفاء والرفقة المؤنسة والحراسة، لجعلها وصما تحقيريّا يوصف به الشخص للحطّ من بشريّته وجعله في مرتبة دونيّة، مهما تنوّعت السياقات ازدراء أو إرضاء، وهو ما حوصلته في الفقرة التالية، **"الخبز لفظ مع الكلاب وذكرها مثّلا نصف القاموس الذي تعلّمته في صباي بشكل مباشر أو ملتو، يحضر على ألسنة مختلفة، ليحيل إلى كلّة من شيء ما تستقرّ في الصدر وتكبر كلّما زادت أيّامي عدّا"** (عياشية: 2023، ص31)، وهي مسألة تحتاج مزيد التحليل لرصد ما ورد بشأنها والاستفهام عن طبيعة العرج العلائقي من ناحية والأخلاقي على مستوى المعاملات من ناحية أخرى.

ترتبط **النقطة الثالثة** بسابقتيها بشكل ما، لتكمل نقل العرج كعلة مجتمعية تسيطر على العقليات، كاشفة مستوى آخر من هذا العطب، واللافت في هذا السياق، هو عدم الانسياق إلى طرح المواضيع التي ترتبط بالمبادئ المطلقة كالحرية وغيرها من الحقوق التي تعتبر شاغلا إنسانيا، لكن، لا تخوض الشخصية الساردة "رملة"، في هذه الأفكار التي توسم بالكبرى، فلها همومها الفرديّة التي تجعلها تحتلّ مكانة محوريّة، وهو ما يستدعي وقفة تأمليّة خاصّة إذا تم ربطه بالواقع الذي يعيشه المواطن التونسي منذ فترة، حيث غدا الهمّ الأعظم هو توفير لقمة العيش، على حساب حتّى الكرامة، ليجسّد موقف "أمّ رملة" الذي تلومها عليه تضمينا لا يخلو من تصريح، حين تقول: **"كل الطرق تؤدّي إلى شبع البطن، الطامة عندها أن يعزّ الخبز، البقيّة تفاصيل"** (عياشية: 2023، ص162)، رغم أنّها أوردت سلفا سببا مقنعا يجعل بحريّة /حربيّة تتبنّى هذا المنهج في حياتها، حين أمرت ذاتها كي تطلّق الفقر الذي ولّد جوعا أوجع المعدة فالروح، إذ صرحت الأمّ وهي تحدّث ابنتها: **"فجأة، غار الجميع في مكان قصيّ من القلب.. أو لعلهم غادروا" ... نادتني أمّي، طرقت النافذة فلم ألتفت، كفتني السنوات الخمس عشرة التي عشتها بينهم، ألاحق الشبع والدفء والراحة ولا أطالها".** (عياشية: 2023، ص21).

يمكن القول أنّ الرواية تتشبّث بالواقع ولا تنظر إليه في استعلاء أو تجاهل ضرورات قد تأبّدت في المرتبة الثانويّة كقدر ظلم أصحابها إذ تُمنى مطالبهم " البسيطة" باللامبالاة، فيجلد الحرمان أرواحهم، ولا يحقّ لهم التأوّه أو التمرّد أو المطالبة بما يعوزهم كذوات مفردة تعنيها الحرب المستعرة داخلها والمجاعة التي تقسو على المشاعر، وتريد سلاما روحيا وإشباعا عاطفيا، وهو ما أوردته رملة: **"ماذا يمكن أن أحتاج سوى الحب.. إلى عائلة.. إخوة نختصم ونتّفق، نتقاسم وجبات رديئة أحيانا نغضب نتجادل، ونعود بعد ذلك إلى اللقاء بنصف ابتسامة ثم ننسى خلافنا، أحتاج أجسادا تقاسمني يومي وصحوني وملاعقي وتترك في البيت الصغير أثر أحلام وانتظارات"** (عياشية: 2023، ص96)، وليذهب العالم بقضاياه الحارقة إلى

حيث يشاء الأرباب الذين يديرون ويدبرون ويستثمرون في الشعارات الخرقاء والفلسفات التنظيرية الفضفاضة التي تبالغ في تشخيص العرج دون رغبة فعليّة في إيجاد حلّ أو الافتقار إلى جرأة الاعتراف بالعجز.

VI- الظلال بين هدير الذكرى والهدر السرديّ: عرض الاعتلال.. والتداوي كتابة مجرّد احتمال:

يعتبر هذا المحور مركزيّا على مستوى التحليل، إذ تستحوذ زواياه المتعدّدة على الاهتمام، وتتطلّب كلّ زاوية قراءة تأويليّة متأنّية لرصد **المراوحة الثلاثيّة بين التضمين والتصريح والاختلاق** الذي قد تتفطن إليه الشخصية أثناء بوحها، فيزداد الأمر تعقيدا وتتوجّس أنّ الماضي ليس سوى كذبة ما كان عليها تصديقها لتنغّص حاضرها بذكرى شخصيات لم تبق منها سوى ظلال هي التي أوجدتها، وتورّطت في تحمّل عرجها، إذ تستفهم رملة: **"كنت مع خالتي حمديّة.. من حمدية هذه؟ لا أذكر سيّدة بهذا الاسم، فنساء البيت عائشة وفاطمة ومجيدة والحاجة نفيسة.."** (عياشية: 2023، ص 154).

تتردّد دوافع الاعتلال النفسي بين شعور يمتزج فيه النقص بالزيادة عن الحاجة، نقص أكّده تواتر استخدام رقم ثلاثة في مواطن كثيرة تدليلا على غياب الاكتمال الذي يوفّره الرقم أربعة بتسجيله تمام الأمور في المخزون الرمزيّ، وعنصر يمكن الاستغناء عنه وهو ما دعمه قول "رملة" التي شبهت نفسها بفردة حذاء ثالثة تنتعلها إحدى النساء، ويتعمّق هذا الإحساس ليبلغ درجة أنّ هذه الذات لا تستحقّ الاستمرار في الوجود، فهي لا يتساوى حضورها والغياب فحسب، وإنّما وجب إقصاؤها، لأنّه لا حلّ لما ألمّ بها، وهو ما يضبطه هذا التشبيه: **"كثوب يخره السوس.. كانت روحي"** (عيّاشية: 2023، ص39).

تتنوّع اعتلالات "رملة" التي يمكن أن تُستشفّ من سلوكها وردّة فعلها إزاء المواقف التي تشير إلى افتقارها للثقة، وهو ما يمكن التدليل عليه في هذه الاقتباسات الثلاثة، أولا، **"تسللت نظرة العاملة إليه يحصي أوراق النقود ويمدها إليها بلا مبالاة. التقت نظراتنا لحظة، عنّ لي خلالها أنّها تتساءل عمّ يجمعني به"** (عيّاشية: 2023، ص10)، ثانيا، **"تتبّعت همساتهنّ ووشوشاتهنّ، رأيت في كلّ جملة هامسة استعادة لقصّة حياتي، وحوّلت كلّ ضحكة إلى سخرية مبطّنة"** (عيّاشية: 2023، ص 28)، ثالثا، **"أحسست أنّ المكان يردّد صدى المحادثة وأنّ العيون كلّها مصوّبة نحوي"** (عيّاشية: 2023، ص 54).

في هذا السياق، تمّ إيلاء مسؤولية التشخيص للقارئ، غير أنّ "رملة" عبّرت بدورها عن إحساس ملازم بالذنب يشقيها، دون التصريح، منذ البداية، عن الدافع الذي سيتمّ كشفه تباعا، وهو ما جعل من ينصت منشدّا لاكتشاف هذا السبب الذي تهمّ الشخصيّة أن تعلن عنه، فتحجم وتتوقّف عند التأكيد أنّها مذنبة.. **"قلت أنا التي رششت رذاذ المصائب على البيت.. أنا اللعنة التي تعرش، غدوت واثقة من**

ذلك، أنا سبب كلّ ما حصل وما سيحصل.. أعيد استحضار ما حصل لأقول في ظلمة الفضاء الضيق: أنا السبب! أنا السبب!" (عيّاشية: 2023 ، ص103).

فما الذنب أو الذنوب، ما الداعي لتقريع الذات إلى درجة وهبها للظلال تماما ك"فوست" الذي عقد صفقة مع الشيطان، ليظلّ هذا القرار تهديدا يتأرجح بين الاختيار والاضطرار، بين الندم والعدم، بما أن احتمال تغيير الماضي غير وارد، إذ تهتف "رملة" في حرقة: **"لو تكلّمت، عبّرت عن أفكاري، ثرثرت...لتجنّبت عشرات الخبرات والحكايات التي وجدت نفسي فيها وآذتني...كيف أصف أثر الإصبع الذي يشير إليّ: "أنت مشؤومة! آذيت كلّ من أحببت!" هل يطهّرنا البوح؟"** (عياشية: 2023، ص 168).

لعلّ أهمّ ملاحظة يمكن ذكرها في هذا الإطار، هي عدم الوقوع في حفرة إطلاق الأحكام، إذ لم تُتّخذ الرواية منصّة للمحاكمة، إذ لم تلق الكاتبة القبض على شخصيّتها ولم تسجنهت معتبرة ما صرّحت به حججا دامغة لاعتبارها متّهمة ومن حقّها الاضطلاع بدور القاضي والانفراد بإصدار الحكم الذي يعتبره مناسبا، لم تجرجرها للبوح على الملإ لإفساح الفرصة سرديا ببعض الجمل الدافعة للقرّاء كي يحصروا تفاعلهم في السخط أو الاستهجان أو غيرها من الأحكام التي قد تذهب إلى درجة الحث على الرجم والتنكيل، حيث تمّ تجنب كل ما سلف، ف" **الإشكالية في عملية إطلاق الأحكام ليست في صلبها الفلسفيّ والأخلاقيّ، بل في ضعفها الفني. المشكلة في محاكمة شخص ما أو في حالتنا هذه على شخصية ما، ليس في كونها ممارسة فوقية بالضرورة، بل في كونها، في كثير من الأحيان، تخالف القاعدة الفنية التي تقول: "أرني، ولا تخبرني". (...) يسرق الكاتب من القارئ حقّه الكامل في المتعة، متعة الاستنباط والربط وصنع العلاقات، عندما يلقمه المعنى جاهزا"** (العيسى: 2018، ص 119).

هذه رواية رملة التي وحدها لها الحقّ في مواجهة الذات بما تشاء وبالكيفيّة التي ترضيها، ومتى استاءت استبدلتها بأخرى، بحثا عن شيء من الراحة المفتقدة، وسعيا إلى حدّ أدنى من الإشباع المنشود الذي تودّ الحصول عليه بسبل مختلفة، غير أنّها تجد ذاتها تنهج نفس الدرب وتتورّط فيه، وإن اكتسبت خبرة تتيح لها إسكات الرغبة دون أن يُكال لها زجر: **"لماذا لم تصرخ نبيهات أخريات لقيتهنّ في أزقّة الأسواق المتعرّجة، واكتفين بنظرة حائرة مندهشة متسائلة؟ هل لأنّي أتقنت حينها الابتعاد السريع بعد فعلتي؟"** (عيّاشية: 2023، ص114).

هذه رواية رملة التي ضمّت بعض سيرتها في صور خاطفة من الماضي والحاضر دون إيغال أو إطالة، وهو ما تمّ تعمده حتّى يجد القارئ نفسه بين ذات تأخذه ليطلّع، توارب روحها، تجذبه ليكتشف ثم تدفعه بعيدا بعد أن حمّلته من الاستفهامات التي يتشوّق إلى ما يطفئ استعارة الحيرة التي أجّجتها، وهو ما دعمه

التناقض بين رغبة البوح **"هل كنت أحادث نفسي أم كنت أتعافى؟ رملة تحادث رملة ورملة تنصت إلى رملة، ضرب من جنون شاف اهتديت إليه، يعيدني إلى تفاصيلي التي أسكبها، أتخفّف منها وأودعها موجات ليس من الضروريّ أن يسبح فيها غيري. تومض الأحداث، تنسكب، تدمع لها عيناي، تبسم لها شفتاي، أتعرّى، أخرج منّي إليّ، وقد اقتنعت أنّي بخير"**(عيّاشية: 2023، ص22)، والإحجام والهروب من مواجهة الذات: **"تملّكني شعور أنّي بدأت أنضب من الداخل لكثرة ما حاورت نفسي (...) أكره أن أكون وحيدة حتّى لا أجالسني"** (عيّاشية: 2023، ص27).

تتمثل **النقطة الثالثة** التي وجب الإشارة إليها والمرتبطة بدورها بالبوح الذي سبق الحلّ الذي أوجدته "رملة" بالحديث عن نفسها مع ذاتها، بعد أن أيقنت أنّ هذه الذات هي الوحيدة القادرة متى أنصتت أن تتفهّم، خلافا لمن حولها الذين عجزوا عن استيعاب معاناتها: **"كيف يمكن إيجاز الحديث عمّا يرهقني، ما أقعى فيّ من قار داكن راكمته الأيّام والنظرات والأصوات والروائح، في وقت مستقطع يُطلب منّي خلاله التحدّث"** (عيّاشية: 2023، ص 32) أو حين تستمرّ في تساؤلاتها الإنكارية الملتاعة: **"هل جرّبت أن تدرجي في الحياة والكلّ يراك جرابا واسعا مرصوصا بالطعام أبدا؟"** (عيّاشية: 2023، ص71)، لأنّهم حتّى إذا منحوها فرصة الفضفضة، فقد كانت موجّهة بأسئلة مقتصرة على مساحة زمنيّة غير كافية، والأشدّ وطأة هو عدم تصديق ما تتفوّه به واعتباره مجرّد تهيّؤات: **"يكون الذهن أحيانا ذكريات كاذبة، فيختلق أحداثا ويصدّقها ويبالغ في تعظيم تفاصيلها إرضاء لوضعيّات معيّنة ممّا بلغه من حكايات"** (عيّاشية: 2023، ص118).

هذه نقطة على غاية الأهميّة لأنّها نقد صريح لتعامل الناس مع المعتلّة ذاته واعتباره يلعب دور الضحيّة، فيثقلون عليه عوض التخفيف، ويهرب منهم عوض أن يلجأ إليهم، ليبلغ ذلك أهل الاختصاص في الطبّ النفسيّ، فبعضهم لا يجتهد في معاملة النفس البشريّة بمنحها ما تحتاجه من دعم حقيقيّ، وإنما اكتفاء بالأدوية ومحاولات لا ترتقي إلى التطبيق، إذ تتوقّف عند رصف النظريّات التي يرونها قد ترتبط بحالة ما، ويلقونها كي تتلقّفها الأذن وتنكرها الروح وتلفظها، مثل قول الدكتورة "نهى الشطي": **"انتهت الحكاية الآن! يجب أن توجّهي حياتك إلى المواقف السعيدة التي حدثت معك في الماضي، وتستمتعي بالحاضر"** (عيّاشية: 2023، ص 150) /**"أنت قوية.. تعلّمي أن تسامحي نفسك والآخرين"** (عيّاشية: 2023، ص 151).

تبقى مسألة البوح مشكلا لا فكاك منه، وهو ما خلصت إليه الشخصيّة "رملة"، أيّا كانت الوجهة التي يمّمت النفس الباحثة عن مرفإ ترتاح فيه، بعد رحلات قد تقصر أو تطول، غير أنّ أحداثها تتشابه إذ تُغرق ظلال الماضي المركب، وتضطرّ إلى مواجهة موج الذات وحدها، وتهاجمها ظلال الحاضر التي

تخفي أنيابها، لكنها، لا تواري نيّة الافتراس أو تبتعد عنها معتبرة إيّاها لقمة غير مستساغة، وتحاصرها تلك الرافضة للاستماع إلى استغاثتها، وإن رمت إليها بطوق نجاة ما كفاها لتجنيبها الغرق: **"ليس الغناء هو المشكلة، كان عليك أن تنصتي إلى ذاك الغناء..! كان عليك أن تسمعيني إلى آخر سلم النغمات كي تجدي تبريرا لما أقدمت عليه"** (عيّاشية: 2023، ص 212).

لم تجد "رملة" في البوح لنفسها ما أملت من رضى وسكينة نفسيّتين، إذ تعترف بضرورة التفاعل بالإصغاء بما جاش به خاطرها المبلبل، وإن كلّفها ذلك قتل المصغي فالانتحار: **"كم وددت إخبار أحدهم بكل ما يثقل الروح والجسد ثمّ أقتله وأنتحر، خفت من نظرة الشفقة في عينيْ من سينصت، ثمّ قلت عليّ الكفّ عن الشكوى والتذمّر والذهاب إلى أبعد ما يمكن أن يقال، فأنا أحادث نفسي في النهاية، فألفظ كل ما تكتّل في أعماقي، وأقرّ أنّي لم أكن ملاكا، لم أجبرعلى خطوي"** (عيّاشية: 2023، ص 200)، وهو ما يحتاج وقفة تأمليّة، فالبوح كضرب من المواجهة قد يتحول من ترياق إلى سمّ، من حبل للخروج من جبّ إلى حبل يستمرئ الشخص أن يشنق به نفسه التي تمرّدت على الصمت، ويجد أنّه لا بدّ من معاقبتها بالخنق، ليرتاح من صراخها ويكتم صوتها، حين عجزت عن الاستمرار في التكتّم، وقبل ذلك لا ينسى القضاء رمزيا على من بثّه ما اعتمل في الصدر وإن بالحظر افتراضيا، ما قد يكون تأويلا ممكنا لقفلة الرواية: **"تركت لها رسالة وانتظرت الردّ الذي لم يأت.. لأنّها حظرتني"**. (عياشية: 2023، ص217).

تهلّ أسئلة عديدة، في هذا السياق، أُطلق لها العنان عمدا لتصطدم بفكرة - قالب، وهي اعتبار الكتابة دائما شفاء من الجنون وخلاصا من رغبة الانتحار وحلّا يكفل للروح التخفّف.. فهل يمكن الجزم بصحّة ذلك إلى درجة الإطلاق والتعميم، أم أن الكتابة قد تفاقم شقاء الذات.. قد لا تخلّصها بل تزجّها في متاهة، فتصير التجربة الوجوديّة عبثا.. قد تخلّص جراح الروح من القيح، غير أنّها لا توفّر لها ضميدة، فيغدو الجرح أخدودا تتعثّر فيه المشاعر وتسقط وتغيب في هذا السكن المقيت، وتتكوّر جنينا يرفض أن يولد من جديد ليواجه الواقع فعلا وليس كلاما على الورق فحسب؟

المراجع

- بثينة العيسى، الحقيقة والكتابة .الكتابة الوصفية في القصة والرواية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، مكتبة تكوين، الكويت. الطبعة الأولى، 2018، 137 صفحة.
- رضوى عاشور، صيادو الذاكرة. في النقد التطبيقي، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، 2001، 250صفحة.
- كلثوم عياشية، هدرة أو ظلالي التي تعرج، دار خريف للنشر، تونس، 2023، 217 صفحة.

ISSN : 2625 - 8943

المحكيات السردية ومفهوم الحجة:

Narratives and the Concept of Argument

المؤلف: كريستوف تيندال (Christopher Tindale)
المترجم: د. كمال الزماني، جامعة القاضي عياض، كلية اللغة العربية، مراكش
البريد الإلكتروني: ka.ezzamani@uca.ac.ma

ملخص:

هذا البحث هو ترجمة لمقال "المحكيات السردية ومفهوم الحجة"، وهو يحاول مقاربة الحجة السردية لاستكشاف طبيعة السرد وإمكاناته الحجاجية، ولفهم كيف تعمل المحكيات السردية على إثارة عواطف الجمهور وخلق شعور بالمعقولية، وربط المحكي بتجارب الناس. وقد وظف محكيين سرديين لبيان هذه الوظائف الحجاجية، أحدهما مأخوذ من حكاية الفيلسوف الصيني مينسيوس، والآخر مستمد من قصة لفتاة تدعى آشلي بايا (Ashley Baia).

وخلص البحث إلى أن الحجج السردية تجعل الجمهور ينخرط بطريقة أكثر حيوية، وتدعوه إلى تجربة جوانب قضية ما بطريقة تعزز القوة الإقناعية للحجة.

الكلمات المفاتيح: المحكيات السردية، الحجة، الخطاب، الجمهور

Abstract :

This research is a translation of the article “Narrative Arguments and the Concept of Argumentation”, which attempts to approach narrative argumentation to explore the nature of narrative and its persuasive potential. It seeks to understand how narrative arguments work to evoke audience emotions, create a sense of plausibility, and connect the narrator with people's experiences. The research employed narrative storytellers to illustrate these argumentative functions, one of which is derived from the story of the Chinese philosopher Mencius, and the other is drawn from the story of a girl named Ashley Baia.

The research concludes that narrative arguments engage the audience more vividly and invite them to experience different aspects of an issue in a way that enhances the persuasive power of the argument.

Keywords : Narratives, Argument, discourse, audience

مقدمة:

لا تخفى على أحد قوة المحكيات السردية، فقد رافقتنا في رحلة الحياة منذ بداية نمونا. فقد تعرفنا، ونحن أطفال، على العالم الاجتماعي بكل تعقيداته من خلال الحكايات المتنوعة التي تمثل قيم مجتمعنا ومعتقداته وترمز إليها، وتمتعنا وتسعدنا في الوقت ذاته. يشرح أرسطو هذه المتعة بكونها مستمدة من طبيعتنا باعتبارنا حيوانات مقلدة (Poetics, 1984b, Chapter 4). لذلك ليس غريبا أن يتم استدعاؤها بوصفها أداة للإقناع. وهذا ما فعله الفيلسوف دانيال دينيت (Daniel Dennett) عندما اختار سرد قصة بدلاً من تقديم حجة، لأن قراءه "لن يتأثروا بحجة صورية... ولن يستمعوا حتى إلى حجة صورية لأجل نتيجتها" (1995، ص: 12). بالطبع، فهو عندما اختار قصة بدلاً من حجة ، فهو يفترض شيئًا ما عن كليهما وهو أن الحجج صورية، وهذا ما قد يفسر ضعف تأثيرها الإقناعي. ومع ذلك، فإنه يمكن معارضة ثنائية دينيت. أما والتر فيشر (Walter Fisher) (الذي ستتم مناقشته أدناه) فقد نأى بنفسه عن بيرلمان، لأن هذا الأخير "يرى أن الناس محاججون" بينما يرى فيشر على "أنهم رواة قصص" (Fisher,1987. p:97)، ونحن نتساءل جديا عما إذا كان السرد يستبعد الحجاج أو العكس. في الواقع، إن ذلك يعد جزءا من الحجة التي تم تطويرها في هذا المقال ومفادها أنهما لا يفعلان ذلك. ف"الحجة السردية"، كما قد نفهمها، تسد الفجوات التي تصورها دينيت وفيشر، وتنضاف إلى أدوات الخطيب والمحاجج وتستأثر على جزء من تجربتنا بوصفنا كائنات محاججة.

ومع ذلك، فإن فكرة "الحجج السردية" في حد ذاتها لا تزال موضع خلاف. أما الهدف الآخر لهذا المقال فهو نزع فتيل هذا الخلاف من خلال إظهار الطرق التي يعمل بها السرد بوصفه حجة وإبراز القوة المقنعة التي ينطوي عليها. تمثل إحدى المقاربات لدراسة مسألة الحجة السردية في النظر إلى طبيعة المحكيات السردية وإمكاناتها الحجاجية، وذلك لفهم تقليد راسخ للحجة وتصورات محددة عن المفهوم الأساس الذي يجب أن تكون عليه المحكيات السردية مؤهلة لأن تعد حججًا أو لأن تكون حجاجية. تهدف مقاربة أخرى كذلك إلى إعادة النظر في طبيعة الحجة نفسها بحيث لا تُفرض الشروط التقليدية على أي أشكال جديدة. وهذا الأمر لا يعني أن يتم بشكل مسبق تقرير كيف ينبغي فهم "الحجة" بحيث يتم استبعاد المحكيات السردية مقدمًا (أو المطالبة بأن تلبي معايير يصعب الوفاء بها).

وهذه المقاربة الثانية هي التي أَتَّبِعُها في هذا المقال معتمدا معنى حركيا (dynamic) للحجة يسمح بمعالجة مجموعة أكثر ثراءً من الخطابات. أثبتت هذه المقاربة جدواها بالنسبة لأولئك الذين يشتغلون على الحجج البصرية (visual arguments) التي من شأنها أن تقدم دروسًا ذات قيمة في هذا السياق.

سأوضح حجتي بالعديد من الأمثلة التي تُظهر كيف تجعل الحجج السردية الجمهور ينخرط بطريقة أكثر حيوية، وتدعوه إلى تجربة جوانب قضية ما بطريقة تعزز القوة الإقناعية للحجة.

الحجة السردية: نقاش

تطلبت بعض الأعمال الجادة التي أجراها منظرو الحجاج على المحكيات السردية والحجج إعادة النظر في طبيعة الحُجّة، وهي أعمال تبرر بشكل فعال التناقضات التي افترضها كل من دينيت وفيشر (Dennett et Fisher)، لأنها خلصت إلى أنه وفقا للقراءات التقليدية للحجج فإن السرد لا يمكنه أن يكون مؤهلا لأن يكون حجة. فقد قررت تون كفرنبيك (Tone Kvernbekk) (2003) على سبيل المثال أن المحكيات السردية لا يمكنها أن تكون حججا (arguments) لعدة أسباب بسيطة.

ترى كفرنبيك أن جوهر السؤال هو طبيعة العلاقة بين المقدمات والنتائج في المحكيات السردية وفي الحجج. فبينما يمكن اعتبار وجود نتائج معينة لكليهما، فإن كفرنبيك تعارض فكرة أنه ستكون لهما علاقة مقدمة-نتيجة مماثلة: "من غير المرجح أن تكون علاقة مقدمة-نتيجة الموجودة في المحكيات السردية مماثلة لتلك الموجودة في الحجج غير الصورية (informal arguments)، على الرغم من أن هذا الأمر يعتمد بالطبع على ما يمكن اعتباره حجة غير صورية" (2003، ص:8). ويعود سبب عدم الاحتمال هذا إلى أن المنتجات السردية تُصاغ بشكل لاحق: "تكون النتيجة في السرد معروفة يقينا، فهي توجد بوصفها شيئا حدث قبل أن نتمكن من سرد قصة عنه" (نفسه). وعلى النقيض من ذلك، تَستخدم الحجج المقدمات لتجعل الجمهور يصل إلى نتيجة غير معروفة أو لم يتم التوصل إليها بعد، ولتقديم تبرير لدعوى معينة. تكون للمحكيات السردية نتائج نعلم بشكل مسبق بأنها صحيحة ولا تتطلب أي تبرير. وتَخْلُص كفيرنبيك إلى أنه: "إذا كان الهدف من الحجج هو إظهار أن معرفة المقدمات تبرر معرفة النتيجة، وإذا كانت هذه العلاقة التبريرية بين المقدمات والنتيجة هي جوهر تعريف الحجة، فإني أستنتج أن المحكيات السردية ليست حججًا، سواء كانت صورية أم غير صورية" (نفسه). تعتمد الكثير من الأمور هنا على فهمها للمحكيات السردية، خاصة في ربطها إياها بالإدراك المتأخر. ولكن يجب الاعتراف بأن هذا هو أحد الأشياء القليلة التي يتفق بشأنها "جميع الساردين تقريبًا" (نفسه، ص:6): إن صياغة الحبكات يتم بأثر رجعي. فالسارد يبني السرد وهو يعرف النتيجة النهائية أو خاتمة حبكة قصته. في الواقع، تُفهم المحكيات السابقة من منظور تحديد الوقائع (Olmos.2013). وبشكل عام، يعد سرد "حدث ملموس" مهمًا لوجود سرد على الإطلاق (Olmos.2014. p:202). يجب التسليم بأن مثل هذا السرد سيكون بأثر رجعي، وكما أكدت العبارة البسيطة لأرسطو، لا توجد بداية أو وسط للقصة حتى نعرف نهايتها (Poetics, Chapter 7).

توجد ملاحظتان حول استنتاج كفيرنبيك الذي يقدم آفاقا قاتمة لمن يؤيدون الحجج السردية: (1) رغم أنها تسلم بأنه لا يوجد اتفاق عام حول تعريف السرد في الأدبيات الواسعة لنظرية السرد[1]، إلا أن تعريفها يقدم نظرة ضيقة للسرد، ويجب ألا نستسلم لهذا التعريف إن أردنا فهم نطاق الطرق التي يمكن أن تكون بها المحكيات السردية حججا، فهي يبدو أنها تضيق نطاق النقاش لتقتصر على علاقة الحقائق، سواء خيالية أم حقيقية. فالتجربة الفكرية، على سبيل المثال، قد تبدو على أنها استخدام للسرد يقع خارج هذا النطاق. (2) الملاحظة الثانية، وهي الأكثر إفادة، فحتى لو كان السارد يعرف النتيجة، فلن ينطبق الأمر نفسه بالضرورة على الجمهور، فحتى لو كانت هذه النتيجة متاحة للجمهور، وموجودة في بيئته المعرفية (environnement cognitif)، فقد لا يتم تفعيلها بالنسبة إليه. يحدث شيء مشابه مع القياس المنطقي البسيط، النتيجة لا تقدم شيئًا لا "يعرفه" الجمهور، لأن المعلومات موجودة بالفعل في المقدمات. لكن النتيجة تجعل هذه المعلومات تقدم إلى الجمهور بطريقة ربما لم يتعرف عليها. ومن ثم، لا يزال التبرير مع الحكي مطلوبًا لجلب الجمهور ليرى ما رآه الراوي بالفعل. هذا هو السبب في أن الكثير من الأدلة المتعلقة بالشهادة هي سرد بطبيعتها. تشير هذه النقطة إلى أن المحكيات السردية قد تكون لها قيمة محددة في الحجج العملية (practical arguments)[2].

الأسباب الوجيهة:

تعمل دراسة تروي جوفييه ولويل آيرز (Trudy Govier and Lowell Ayers) (2012) للمَثَل ضمن نفس نموذج الحجة لكفرنبيك. فهما لا يرفضان الأدوار التي يمكن أن يؤديها السرد في الحجاج. فبعض المحكيات السردية مثلا "تؤدي أدوارًا بلاغية مهمة في سياقات يتم فيها تقديم الحجج كما أنها تجعلها أكثر أهمية وحيوية" (2012، ص:162)، وغالبًا ما تكون القصص المتعلقة بحالة فردية مفيدة. لكنهما يتساءلان عما إذا كان بإمكاننا استخلاص حجة من السرد تعبر عن وجهة نظر السرد كما تدعمها الأحداث المسرودة. وسيلتهما الرئيسة لاستكشاف هذه المسألة هي التساؤل عما إذا كانت الأمثال تقدم أسبابًا وجيهة لما يدعيانه. فالتأكيد على الأسباب الوجيهة مهم بالنسبة إليهما، لأن الخطر يكمن في أنه يمكننا بطرق أخرى أن نقتنع على أساس "الحيوية والجاذبية" (ص:163).

إنهما ينظران إلى المحكيات السردية بطريقة مشابهة لكفيرنبيك: يتطلب السرد سلسلة من الأحداث ذات بداية ووسط ونهاية، والتي يمكن أن تروي تجارب السارد. وإذا كان الأمر كذلك، فسننظر مرة أخرى إلى خطاب تم إنشاؤه من نقطة الإغلاق، فهذه المحكيات يمكن أن تكون خيالية أو غير خيالية، أما المثل فهو قصير وبسيط ويتعلق بأحداث تكون مألوفة لدى الجمهور أو تكون سهلة الاستيعاب لديه.

هذه التعريفات مفيدة، ذلك أن "الحجة" تكون جوهرية: "لا يتمثل هدف الحجة في سرد قصة تسير في اتجاه ما إلى حل معين، بل في تقديم أسباب لدعم الادعاء محل التساؤل" (ص:165). يتم عرض الادعاءات لتقديم أسباب لمزيد من الادعاءات والمقدمات والنتائج. هذا هو الجوهر المنطقي لحجة يمكن أن تكون بعض مكوناتها ضمنية[3].

ومن وجهة نظر منطقية تظهر بعض المخاوف، وأولها يتعلق بنطاق (scope) النتيجة. فالعديد من المحكيات السردية المتضمنة في الأمثال هي شخصية، أو تتضمن أمثلة شخصية، فإذا تم تعميم النتيجة انطلاقا من حالة ما، فهناك احتمال وجود مغالطة التعميم المتسرع للنتيجة (عندما يتم التوصل إلى نتيجة على أساس أدلة غير كافية). وإذا كان السرد يمثل حالات أخرى (كأن يكون عن طريق المماثلة (analogy))، فيجب أن نسأل عن مدى تمثيليته.

قد تكون هذه النتائج من وجهة نظر منطقية ناجمة عن المتطلبات الصارمة التي تفرضها على الحجج. فهي تقوم، في كل حالة، بتحويلها إلى شكل قضية محددة المقدمات والنتائج. وتعكس هذه الأشكال القضوية دائمًا بنيات حجاجية معروفة. ما يوضح ذلك هو المشكل المألوف لدى مؤيدي الحجج البصرية: الميل وحتى الإصرار على المطالبة بأنه إذا كان هناك شيء يمكن اعتباره حجة، فيجب صياغته في صيغة منطقية، أو "اختزاله" فيها. ويمكن بعد ذلك اختبار هذه القضايا من أجل بيان القوة الإقناعية للحجة فيما يتعلق بعلاقاتها الداخلية. إذا أردنا مقاومة هذا الاتجاه، فنحن في حاجة إلى توسيع فهمنا للحجة، والمطالبة بأن تحتل السرديات نفس المكانة التي تحتلها الحجج البصرية في عالم الحجاج[4].

تتعلق إحدى النقاط المهمة المثارة بمفهوم التمثيل (representation). كيف يمكن أن يمثل مثل ما شيئًا آخر؟ يبحث كل من كوفي Govier و أيير Ayers في المماثلة (analogy) (وفي هذه الحالة تكون أي حجة معنية حجة بالتمثيل)، والرمزية (symbolism) (التي يظل تقييمها غير واضح من وجهة نظر منطقية)، والتجسيد (instantiation)، حيث تكون العناصر والأحداث أمثلة على شيء آخر. ثم بحثا هذه الأفكار من خلال تحليل عدد من الحالات مع الإشارة إلى الأهمية الحجاجية للأمثال في كل حالة.

وقد حافظا طوال تحليلهما على التوتر (tension) بين الآثار التي يمكن أن يملكها سرد ما (مثل الجاذبية) وقوة الإقناع المنطقية. يمثل هذا التوتر مصدر قلق بالنسبة إليهما: قد تتأثر الجماهير بطريقة غير صحيحة بشيء آخر غير منطق الأسباب الوجيهة. ولتوضيح ذلك فهما يتناولان مثلاً (parable) يوقظ فيه رجل جاره بحثًا عن فحم للدخان. يلاحظ الجار بعد ذلك أن الرجل يحمل فانوسًا. وهكذا، فهو يمتلك بالفعل ما يحتاجه. يمكن استخلاص نتيجة عامة من هذا المثل، يجسد فيها هذا الرجل أيَّ رجل

آخر. لكن هذه النتيجة التي تمت بناءً على هذه الحالة الواحدة ستكون تعميمًا متسرعًا (hasty generalization)، وستكون معيبة منطقيا. وبسبب هذا القلق استنتج جوفييه وآيير: "يبدو أن جاذبية القصة وذكاءها يختفيان إذا صغناها في شكل حجاجي، وستكون الحجة المنطقية التي سنستخلصها منها ضعيفة في أحسن الأحوال. وبالتالي قد يبدو من الأفضل من الناحية التأويلية والأكثر استحسانًا الإبقاء على المثل بوصفه قصة" (ص:178). يتضمن هذا المثال حجج المماثلة التي تنتهك معيارا حاسما لقوة هذا الشكل من الحجة. لذلك فإن القلق المستمر هو أن المحكيات السردية تفشل باستمرار في تقديم أسباب وجيهة لأي نتائج يمكن استخلاصها منها. في الكثير من الحالات تكمن المشكلة في نطاق (scope) النتيجة، والذي يجب تقييده من أجل تمثيل الحجج المقنعة (وهذا الأمر يقيد (limits) القصة). لقد خلص كوفي و أيير إلى شيئين مهمين: (1) أن الحجج المستمدة من المحكيات السردية (الأمثال) نادراً ما تكون مقنعة، و(2) أن مثل هذه الحجج تفتقر إلى أي شكل سردي مميز، ولكنها بدلاً من ذلك تتضمن مماثلات (analogies) أو تعميمات (generalizations) [...]

الحجج السردية:

أختم هذه الورقة بتوضيح مناقشتي بمثالين من الحجج السردية، أحدهما قديم والآخر جديد (نسبيًا). خذ على سبيل المثال الخطاب الآتي للباحث والحكيم الصيني مينسيوس (Mencius) (1999):

يُحتمل أن يوجد في العصور القديمة أشخاص لا يدفنون والديهم المتوفين. فعندما يموت أحد الوالدين يتم إلقاؤه في مجرى مائي (gully). في أحد الأيام عندما مر الابن من هناك، وجد جثة والده المتوفى تأكلها الثعالب وتُمتص من قبل الذباب والبعوض. سال عرق بارد من جبين الابن، فنظر بعيداً عاجزاً عن تحمل المنظر. فالعرق لم يتصبب ليراه الآخرون، بل كان تعبيرا عما يوجد في أعماق قلبه. ومن المرجح أنه عاد إلى المنزل لإحضار سلة وأدوات للدفن، فقد كان القيام بذلك مهما بالنسبة إليه. لذلك، فمن المعقول أنه يجب على جميع الأبناء والرجال الأخيار دفن رفات والديهم ((125) Mencius).

من الواضح أن منسيوس يقدم ادعاءً: من المعقول أنه يجب على جميع الأبناء والرجال الأخيار دفن رفات والديهم. أؤكد على كلمة "يجب" لتأكيد الطبيعة الدفاعية للحجة، حيث يصعب تحديد قيمة الحقيقة، بل إنها تحتوي كذلك على مؤشر نتيجة ("إذن") يُحِب علماء المنطق غير الصوري تحديده (identifying). كما توجد هنا كذلك مقدمة أساس في سرد تجربة الابن وأفعاله. فالحجة بأكملها عبارة عن قصة - قصة تحمل عبرة تدعو إلى الفعل. فمنسيوس يحاجج بأنه من المعقول أنه "يجب على جميع الأبناء والرجال الأخيار دفن رفات والديهم"، و"دليله" على هذه النتيجة هو قصة متخيلة (speculative)

حول كيفية احتمال حدوث مثل هذه الممارسة. لا توجد أي محاولة لاقتراح "حقيقة" لهذا السرد، فذلك يعتمد على قوة ما يمكن أن يكون صحيحا (أو يحتمل، كما جاء في الترجمة). لاختبار مثل هذا "الدليل"، يجب على الجمهور قياس ما هو مقترح انطلاقا من تجربته مع الاحتمالات وتحديد ما إذا كان الاحتمال قويًا في هذه الحالة. في الواقع، يمكننا أن نرى كيف تنتشر مثل هذه القصص في الاستدلال القانوني، حيث يُطلب من هيئة المحلفين تخيل الترتيب المحتمل للأحداث التي أدت إلى وقوع الواقعة التي تخضع للتدقيق من قبل المحكمة. إن طلب أرسطو بأن القصص يجب أن تعبر عما هو قادم بالضرورة أو وفقًا لاقتراح محتمل يشير إلى أن التجربة لها انسجام منطقي معين. ويجب أن ينعكس هذا الانسجام في السرد كما هو، وهذا بدوره يعطي السرد معقولية. هذه المعقولية هي التي تعد معيارًا مركزيًا للحجج السردية "الجيدة" (Olmos, 2013). وبتعبير جيلبرت بلومر (Gilbert Plumer) (2011)، فإن هذا المعقولية هي "مصداقية واقعية"، حيث يكتسب الخيال مصداقية العالم الحقيقي.

علاوة على ذلك، فإن قصة مينسيوس هي أكثر من مجرد وصف بسيط لأحداث محتملة: فهي تجعل الجمهور ينخرط عن طريق مخاطبة باتوسه. فالعَرَق البارد الذي أظهره الابن، والذي كان تعبيرًا عن رد فعله العاطفي، ينقل إحساسًا بالرعب ويعكس بالتالي شيئًا من القيم المشتركة بين المحاجج والجمهور. لقد تم توقع الجمهور في صياغة السرد، والآن تتم دعوته ليس فقط لإحداث ترابط بين أحداث السرد وتجربته، ولكن أيضًا ليشعر بما شعر به الابن المتخيل (fictitious). كيف يمكن نقل هذا الأمر في "جوهر" (core) الحجة؟

إن ما سيكون مقلقا بالنسبة لجوفييه وآيرز هو أن تتم مخاطبة الجمهور من خلال "الحيوية والجاذبية" (2012، ص:163). لكن لا أحد من البلاغيين يشاركه هذا القلق. فالاختبار يكمن في الطريقة التي ينسجم بها هذا الأمر (أو لا) مع التجربة، وهو أمر يأخذنا إلى ما هو أبعد من الجوهر.

أما المثال الثاني فسآخذه من أحد خطابات باراك أوباما. فهو يميل إلى اختتام خطاباته الحجاجية بقصة ما، قصة تجسد بشكل توضيحي الرسالة الأساس لحجاجه.

كادت حملة أوباما للانتخابات الرئاسية الأمريكية لسنة 2008 أن تخرج عن مسارها بسبب التعليقات التي أدلى بها القس السابق جيريمايا رايت (Jeremiah Wright). أثارت هذه التعليقات الجدل من وجوه مختلفة، لكن الأكثر ضررًا من هذه الوجوه تعلقت بالأشخاص البيض والتي اعتُبرت تعليقات عنصرية. فقد نجح أوباما في تجنب قضايا العرق طوال حملته، لكن تعليقات رايت أجبرته على مخاطبته، وقد فعل ذلك في خطاب ألقاه في فيلادلفيا (Philadelphia) بتاريخ 18 مارس 2008. كان هذا الخطاب إلى حد كبير تمرينًا على كيفية مواجهة الحجاج بسبب ذنب الارتباط بمجموعة (Guilt

by Association argumentation). ثم استخدم حجة مطولة عن طريق المماثلة (analogy) لإظهار أن مخاوف السود الساخطين كان يشاطرها كذلك البيض الساخطون، وأن الأشياء التي اشتكى منها رايت كانت في الأساس محسوسة من طرف شريحة واسعة من المجتمع الأمريكي. وختم حديثه بالقصة الآتية:

كانت توجد امرأة بيضاء شابة تبلغ من العمر 23 سنة تدعى آشلي بايا (Ashley Baia) نظمت حملتنا في فلورنسا (Florence) بولاية ساوث كارولينا (South Carolina). كانت تعمل على تنظيم مجتمع معظمه من الأمريكيين من أصل أفريقي منذ بداية هذه الحملة. وذات يوم كانت توجد ضمن مائدة مستديرة للنقاش حيث كان الجميع يروون قصصهم ويكشفون سبب وجودهم هناك.

وقالت أشلي إنها عندما كانت في التاسعة من عمرها أصيبت والدتها بالسرطان. ولأنها اضطرت إلى التغيب أياما عن العمل، فقد تم التخلي عنها وفقدت رعايتها الصحية. فكان عليها إعلان إفلاسها (bankruptcy)، وحينئذ قررت آشلي أن تفعل شيئًا لمساعدة والدتها.

كانت آشلي تعلم أن الطعام من أغلى نفقاتهما، ولذلك أقنعت والدتها بأن ما تحبه حقًا وتريد أن تأكله أكثر من أي شيء آخر هو الخردل والسندويشات اللذيذة. لأن هذه الطريقة كانت هي الأرخص لتناول الطعام.

لقد فعلت آشلي ذلك لمدة عام حتى تحسنت أحوال والدتها، وأخبرت الجميع في المائدة المستديرة أن سبب انضمامها إلى حملتنا هو أن تساعد ملايين الأطفال الآخرين في البلد الذين يريدون مساعدة والديهم ويحتاجون إلى ذلك أيضًا.

ربما كان يمكن لآشلي أن تتخذ خيارًا مختلفًا. ربما أخبرها أحدهم خلال مسيرتها أن مصدر مشاكل والدتها هم السود الذين كانوا يحضون بالرعاية الاجتماعية وكانوا يتكاسلون جدًا عن العمل، أو هم ذوو الأصول الإسبانية (Hispanics) الذين كانوا يدخلون البلاد بشكل غير قانوني. لكنها لم تفعل شيئا تجاههم. بل بحثت عن حلفاء في كفاحها ضد الظلم.

وعلى أي حال، فقد أنهت آشلي قصتها ثم أخذت تتجول في الغرفة تسأل كل واحد عن أسباب دعمه للحملة. فقد كانت لديهم جميعًا قصصًا وأسبابًا مختلفة، حيث أثار الكثيرون قضية محددة. وفي الأخير وصلت إلى ذلك الرجل الأسود المسن الذي كان يجلس بهدوء طوال الوقت. فسألته آشلي عن سبب وجوده هنا، وهو الذي لم يطرح موضوعًا محددًا. فلم يقل الرعاية الصحية أو الاقتصاد، ولم يقل التعليم ولا الحرب. ولم يقل إنه كان هناك بسبب باراك أوباما. فقد قال ببساطة لكل واحد في الغرفة "أنا هنا بسبب آشلي".

"أنا هنا بسبب آشلي" هذه اللحظة الوحيدة في حد ذاتها من الاعتراف بين تلك الفتاة البيضاء والرجل الأسود العجوز ليست كافية. لا يكفي تقديم الرعاية الصحية للمرضى أو الوظائف للعاطلين أو التعليم لأولادنا، لكننا من هنا سنبدأ (Obama, B. 2008).

توجد لدينا هنا قصة داخل قصة. يروي أوباما قصة آشلي التي تروي فيها آشلي قصتها. لكن قصة أوباما تفوق قصة آشلي، فهي تتضمن تأثيرا على الحاضرين وتتوج بالاعتراف بين الرجل الأسود المسن والشابة البيضاء اللذين يوجد لديهما اهتمام مشترك بمحاربة الظلم. فبالقدر الذي قدم به أوباما حملته على أنها معركة ضد الظلم، فإن مصلحتهما المشتركة تدعم حملته. ولذلك فهو يضيف حجة سردية إلى الحجة المضادة لحجة ذنب الارتباط بمجموعة (Guilt by Association argumentation) وإلى حجة المماثلة (analogy). وهذه الحجة السردية ليست حجة مستقلة عن غيرها بل هي تكمل حجة المماثلة (الحجة التي تظهر مجموعة متماثلة من الاهتمامات لدى السود الفقراء والبيض الفقراء) وبالتالي قد يُنظر إليها على أنها امتداد لها. وتقوم الحجة السردية بذلك عن طريق إضفاء الطابع الشخصي على الحجة، من خلال وضعها في حياة حقيقية قابلة للتعرف، فمطالب السود والبيض الفقراء لم تُترك في المستوى التجريدي، بل مُنحت صفتي الحضور (presence) والآنية (immediacy) في قصة آشلي. وقد لاحظ منظرون ذوو آراء متعددة حول السرد كما هو الشأن مثلا بالنسبة لبولا أولموس (Paula Olmos) وترودي جوفييه (Trudy Govier) أن التمثيل (representation) يجسد جانبًا أو إنجازًا مهما للمحكيات السردية (سواء عن طريق المماثلة، أو الرمزية، أو عن طريق التجسيد (instantiation) كما هو الشأن لهذه الحالة)، وتملك قصة آشلي قوة لأنها تمثيلية (representative). يمكننا محاولة اختزال ذلك إلى صيغة مقدمة / نتيجة، لكنني أعتقد أنه يجب أن نتفق على أن شيئا ما سيضيع أثناء القيام بذلك. هل تخفي الحجة السردية مغالطة التعميم كما يخشى جوفييه وآيرز؟ هذا سؤال يجب على الجمهور الإجابة عنه، لأنه بقدر ما يرى نفسه في آشلي بايا، فإن الشيء المعمم هو تجربته[5].

خلاصة:

وفقًا لمفردات كفرنبيك (Kvernbekk) (2003) ، فإن مثال أوباما ليس حجة في حد ذاته: "لا يبدو أن علاقة مقدمة-نتيجة الموجودة في السرد مماثلة لتلك الموجودة في الحجج غير الصورية" (8). ففي الواقع، فإن مثل هذه الحجة تكون ضمنية إلى حد كبير: المقدمة: أشلي بايا والرجل الأسود الأكبر سنًا يعترفان بوجود مشروع مشترك بينهما. المقدمة: تجربتهما توازي / تمثل تجربة الفقراء البيض والسود في أمريكا. النتيجة: يجب على الفقراء البيض والسود في أمريكا الاعتراف بوجود مشروع مشترك بينهما. لا يتضح ما إذا كانت كفرنبيك تستطيع أن تحاجج بأن جمهور أوباما على شاشة التلفاز يعرف النتيجة على

الرغم من أنها حَدَثٌ وَقَع. لذا فإن هذا المثال سيكون تفسيرا أكثر منه حجة. أما إذا كان جمهوره يعرف بالفعل الأفكار المعنية، فإن تلك المعرفة كانت فقط ضمنية في بيئتهم المعرفية، وما فعلته قصة آشلي بايا هو أنها جعلتها حاضرة، وفَعَّلتْها (activate it) حتى يمكن أخذها بعين الاعتبار وحتى يمكن التفكير في آثارها. وبالطبع، فإن ما تسمح به كفرنبيك كذلك هو تأكيدها على أن الاختلاف بين علاقة المقدمة / النتيجة الموجودة في المحكيات السردية وتلك الموجودة في الحجج "يعتمد على ما يمكن أن نعده حجة غير صورية" (2003، ص:8). فالطبيعة الأكثر دينامية (dynamic) للحجة تبدو واضحة في سرد أوباما.

كما اقترحتُ أعلاه، نحتاج إلى النظر إلى الحجج على أنها أحداث اجتماعية، يتم منحها طابعا شخصيا (personalized) من قبل المنخرطين فيها. توضح "المحكيات السردية" لكل من مينسيوس وأوباما وجهة نظري بوضوح. فهذه الأمثلة تبين المعنى الديناميكي للحجة فيما يتعلق بحملها للمعنى والحركة، وبأنه لا ينبغي الحكم عليها إلا بأنها "جيدة" أو "سيئة" في ضوء اعتبار الوضعية الحجاجية بأكملها، وهو أمر معقد في كل حالة من الحالتين المعنيتين. فكلاهما تحتفظ بخاصية الحركة الداخلية لكل الحجج، وتظهر العلاقات بين الأفكار، سواء اعتبرنا هذه المحكيات السردية أمثلة (examples) أو مماثلة (analogy) أو تمثيلا (representation). لكن قيمتها تكمن في نشر هذه الأفكار إلى الجماهير المناسبة.

وفي كل حالة، لا تُذكِّر القصص بما هو موجود مسبقا، لكنها تضيف ما هو متاح حاليًا. إن القوة الحجاجية لمثل هذه الاستراتيجية هي جلب فكرة مجردة إلى تجربة معيشة يكون لها صدى في حياة الجمهور. قد يكون للحجج في ذاتها قوة الدعم (reinforcement) أو قوة الإقناع. إنها مفيدة، وتعزز من القدرات المعرفية لأفراد الجمهور بحيث يتعمقون في فهم قضية ما ويصلون إلى اتخاذ قراراتهم الخاصة بشأنها. تقدم المحكيات السردية من النوع المذكور هنا لحمًا ودمًا لعظام الحجة، محولة إياهما إلى أداة حجاجية قوية.

الإحالة البيبليوغرافية على المرجع الأصلي الذي تمت ترجمته:

Christopher Tindale : Narratives and the Concept of Argument, in Narration as Argument, Paula Olmos Editor, Springer International Publishing ,Volume 31, 2017 , p :11-30

لائحة المراجع والمصادر:

Aristotle. 1984a. On the soul. In The complete works of Aristotle: The revised Oxford translation, ed. Jonathan Barnes, vol. 1. Princeton: Princeton University Press.

Aristotle. 1984b. Poetics. In The complete works of Aristotle: The revised Oxford translation, ed. Jonathan Barnes, vol. 2. Princeton: Princeton University Press.

Aristotle. 2007. On rhetoric: A theory of civic discourse. (Trans: Kennedy G.). Introduction, Notes, and Appendices. Oxford: Oxford University Press.

Bakhtin, M. 1981. The dialogic imagination: Four essays, M. Holquist (Ed.), C. Emerson and M. Holquist (Trans.). Austin: University of Texas Press.

Blair, J.A. 1996. The possibility and actuality of visual arguments. Argumentation and Advocacy 33 (1)

Blair, J.A. 2004. The rhetoric of visual arguments. In Defining visual rhetorics, ed. C.A. Hill and M. Helmers, 41–61. Mahwah: Lawrence Erlbaum.

Blair, J.A. 2012. Groundwork in the theory of argumentation: Selected papers of J. Anthony Blair. Dordrecht: Springer.

Copi, I.M. 1972. Introduction to logic. 4th ed. New York: Macmillan Publishing Co.

Copi, I.M., and K. Burgess-Jackson. 1996. Informal logic. 3rd ed. Upper Saddle River: Prentice Hall.

Dennett, D. 1995. Darwin's dangerous idea: Evolution and the meanings of life. New York: Simon & Schuster.

Finnis, J., A. Grisez, and J. Boyle. 1987. Practical principles, moral truth, and ultimate ends. American Journal of Jurisprudence 32

Fisher, W.R. 1987. Human communication as narration. Toward a philosophy of reason, value, and action. Columbia: University of South Carolina Press.

Govier, T. 1998. Arguing forever? Or: Two tiers of argument appraisal. In Argumentation & rhetoric, ed. H.V. Hansen et al., 14. St. Catharines: OSSA. CD rom.

Govier, T., and L. Ayers. 2012. Logic and parables: Do these narratives provide arguments? Informal Logic 32 (2)

Grice, P. 1989. Studies in the way of words. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Halliwell, S. 1986. Aristotle's poetics. London: Duckworth.

Halliwell, S. 1987. The Poetics of Aristotle: Translation and commentary. North Carolina: The University of North Carolina Press.

Hitchcock, D. 2006. Informal logic and the concept of argument. In Philosophy of logic, ed. D. Jacquette. Volume 5 of Handbook of the philosophy of science, eds. D.M. Gabbay, P. Thagard and J. Woods, 101–129. Elsevier.

Johnson, R.H. 2000. Manifest rationality: A pragmatic theory of argument. Hillsdale: Lawrence Erlbaum and Associates.

Johnson, R.H. 2009. Some reflections on the informal logic initiative. Studies in Logic, Grammar and Rhetoric 16 (29)

Johnson, R.H. 2014/1996. The rise of informal logic: Essays on argumentation, critical thinking, reasoning and politics. Windsor: Windsor Studies in Argumentation.

Keefer, M.W. 1996. Distinguishing practical and theoretical reasoning: A critique of Deanna Kuhn's theory of informal argument. Informal Logic 18 (1)

Kvernbekk, T. 2003. Narratives as informal arguments. In IL@25, 1–11. Windsor: OSSA. CD Rom.

Mencius. 1999. Mencius. Trans. Z. Zhentao, Z. Wenting, & Z. Dingzhi. Hunan: Hunan People's Publishing House.

Obama, B. 2008. Text of Obama's speech: A more perfect union. Wall Street Journal. Retrieved 18 March 2016.

Olmos, P. 2013. Narration as argument. In Virtues of Argumentation. Proceedings of the 10th International Conference of the Ontario Society for the Study of Argumentation (OSSA), 22-26 May 2013, ed. D. Mohammed and M. Lewiński, 1–14. Windsor: OSSA.

Olmos, P. 2014. Classical fables as arguments: Narration and analogy. In Systematic approaches to argument by analogy, ed. H.J. Ribeiro, 189–208. Dordrecht: Springer.

Pinto, R.C. 2001. Argument, inference and dialectic: Collected papers on informal logic with an introduction by Hans V. Hansen. Dordrecht: Kluwer.

Plumer, G. 2011. Novels as arguments. In Proceedings of the 7th conference of the international society for the study of argumentation, ed. F.H. van Eemeren et al. Amsterdam: Sic Sat.

Roque, G. 2015. Should visual arguments be propositional in order to be arguments? Argumentation 29

Tindale, C.W. 2002. A concept divided: Ralph Johnson's definition of argument. Argumentation 16

Tindale, C.W 2004. Rhetorical argumentation. Thousand Oaks: Sage.

Toulmin, S. 1958. The uses of argument. Cambridge: Cambridge University Press.

Van den Hoven, P. 2015. Gold mining: The art of rhetorical discourse analysis. Xiamen: Xiamen University Press.

Walton, D. 2006. Fundamentals of critical argumentation. Cambridge: Cambridge University Press.

ISSN : 2625 - 8943

الهوامش:

[1]- قدم فان دن هوفن (van den Hoven) فهما عمليا جيدا للسرد، يتناسب مع وجهة النظر التي شرحتها كفيرنبيك: "مخطط عقلي «نفهم» من خلال مفرداته فعلًا باعتباره ناتجًا عن شيء حَدَثَ ويؤدي إلى شيء سيحدث" (2015، ص:120) سأعتمد كذلك لاحقًا على اقتراح فيشر: "أحداث رمزية - أقوال و/أو أفعال - لها تسلسل ومعنى عند من يعيشها أو ينشئها أو يفسرها" (Fisher, 1987, p:58)

[2] تقبل كفيرنبيك في استنتاجها بأن السرد يمكن استخدامه لتصوير عمليات الاستدلال (reasoning) المختلفة، لكنه يظل متشككًا فيما إذا كان بإمكان المحكيات السردية أن تقدم مبررات لنتائجها (لأنها تعتبرها تفسيرية أكثر منها تبريرية).

[3] لكن ليست كلها. فهي لا تسمح بالتعبير عن مجمل حجة ما بصريًا أو من خلال وسائل أخرى غير لفظية.

[4] أنا لا أقترح أن المحكيات السردية والحجج البصرية تعمل بالطرق نفسها، أنا أقول فقط بأنهما يشتركان في خصائص غير تقليدية تتطلب بعض التشابه في التعامل.

[5] جمهور هذه الحجة السردية هم الأمريكيون البيض، لأنه عندما تمت تسمية آشلي بايا فإن الرجل الأسود الأكبر سناً ظل مجهول الهوية. فقصته ليست المهمة، بل هي تجربة البيض التي يتم إضفاء الطابع الشخصي عليها.

دراسة قضايا المرأة في رواية واحة الغروب لبهاء طاهر

A study of women's issues in the novel Oasis of Sunset by Bahaa Taher

- الدكتورة عزت ملا ابراهيمي (أستاذة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، إيران)
mebrahim@ut.ac.ir
- زهرا السادات حسيني (طالبة ماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، إيران)
Zahra.h24792479@gmail.com

الملخص

الواقع أنّ مسألة المرأة وقضاياها وحياتها الاجتماعية هي من الأمور المحورية التي أهتم بها العديد من الأدباء والكتّاب والنشطاء والمثقفين فالمرأة هي القضية المركزية في ذاكرة الكتّاب والمثقفين دائماً ونجد لها اهتماماً في الأدب ولا سيما في الروايات، من ضمن هؤلاء هو الروائي المصري الشهير بهاء طاهر التي سلط الضوء على المرأة ومعاناتها في روايته "واحة الغروب". ففي هذا البحث نحاول مناقشة المرأة وقضاياها في رواية واحة الغروب للروائي المصري بهاء طاهر وذلك من خلال المنهج الوصفي_التحليلي وهو يعالج قضايا المرأة باهتمام تام ويسعى لتسليط الضوء على معاناة المرأة في مجتمع الواحة بين التقاليد الاجتماعية والسلطة الذكورية وسلب أبسط حقوقها في حياتها كإنسان يمتلك هوية اجتماعية مستقلة. وكان السؤال الرئيسي للدراسة هو كيف عبر بهاء طاهر عن قضية المرأة في رواية واحة الغروب؟

المفردات المفتاحية: قضايا المرأة، الرواية العربية، بهاء طاهر، واحة الغروب.

Abstract

In fact, the issue of women and the issues is her and her social life is one of the important things that the enemy is interested in writers, writers, activists and intellectuals. The woman's issue is the center in the memorial of free and the intellectuals always and we find an interest in literature and many novels among these is the novelist The famous Egyptian Bahaa Taher, who highlighted women and their suffering in his novel "Sunset Oasis". In this research, we attempt to discuss women and their issues in the novel Oasis of Sunset by the Egyptian novelist Bahaa Taher, through the descriptive-analytical approach. He addresses women's issues with full attention and seeks to shed light on the suffering of women in the Oasis society between social traditions and male authority. And simpler robbery Her rights in her life as a human being with an independent social identity.

Keywords: women's issues, the Arabic novel, Bahaa Taher, Sunset Oasis.

ISSN : 2625 - 8943

المقدمة

تعتبر الرواية من أهم الأجناس الأدبية الحديثة، لكونها تعالج مختلف الإشكاليات الاجتماعية والفكرية والثقافية وغيرها، وتعد المرأة عنصراً أساسياً في النظام الاجتماعي، فهي تعتبر النصف الآخر للمجتمع بوصفها أماً وزوجة وبنتاً، وقد اهتم النقاد والأدباء بقضايا المرأة وأعطوها اهتماماً واسعاً وحيزاً كبيراً في أعمالهم الأدبية، وكانت محتوى لمختلف المؤلفين والكتّاب ورفعوا أقلامهم كمجال للدراسة والتحليل من خلال مؤلفاتهم. فضلاً عن ذلك، قضية المرأة بشكل خاص والنسويّة بشكل عام، هي قضية التطور الإنساني نحو قيم إنسانية عالية؛ فتحرر المرأة هو مقياسٌ لتحرّر الإنسان وتحرير فكره. (جعفر، 1437ه) ونتيجة الانفتاح والمساحة التي أُتيحت للمرأة ازدهر الأدب الذي يهتم بالمرأة وقضاياها. في هذا المضمار كان بهاء طاهر من المؤلفين البارزين في المجتمع العربي في إثبات النسويّة ودور المرأة الريادي في المجتمع. حيث تُشكل روايته واحة الغروب قفزة نوعيّة في النظرة إلى الأنثى كذات مستقل يمتلك الحرية ويلعب دور مهم في الحياة، فقد حاول في واحة الغروب تحرير المرأة من الذكوريّة ومن القيود المكبّلة بها وأطلق لها العنان لتتمرد على القيود والتقاليد وشجعها على ذلك. وفي هذا البحث نحاول مناقشة قضايا المرأة من خلال الرد على الأسئلة التالية:

أسئلة البحث:

1- كيف عبر بهاء طاهر عن قضية المرأة في رواية واحة الغروب؟

2- ما أهم القضايا التي طرحها بهاء طاهر في روايته؟

منهجية البحث:

سار هذا البحث لدراسة قضايا المرأة في رواية واحة الغروب للروائي المصري بهاء طاهر من خلال المنهج الوصفي- التحليلي وذلك باستخراج نماذج من نص الرواية وتحليلها.

سيرة حياة بهاء طاهر

ولد الروائي "بهاء طاهر" في محافظة الجيزة في 13 يناير 1935م. كان والداه من قرية كورناك، بالقرب من الأقصر في جنوب مصر. حصل على ليسانس الآداب في 1956م من جامعة القاهرة ودبلوم الدراسات العليا في الإعلام شعبة إذاعة والتليفزيون سنة 1973م. عمل مترجماً في الهيئة العامة للاستعلامات بين عامي 1956م و1957م، ثم عمل مخرجاً للدراما حتى عام 1957م، حيث منع من الكتابة. بعد مدة ترك مصر وسافر إلى كل من إفريقيا وآسيا حيث عمل مترجم، وعاش في جنيف بين عامي 1981م و 1995م، حيث عمل مترجم في الأمم المتحدة، وبعد هذه الغربة عاد إلى مصر حتى يعيش إلى الآن. ومن الجوائز التي حصل عليها؛ جائزة الدولة التقديرية في الآداب سنة 1998م، الجائزة

الإيطالية سنة 2000 بسبب كتابة رواية "خالتي صفية والدير". والجائزة العالمية للرواية لكتابة روايته "واحة الغروب" سنة 2008م. وفي عام 2011م رد طاهر جائزة "مبارك للآداب" التي حصل عليها سنة 2009، أثناء الاحتجاجات التي شهدتها مصر. رفض بهاء طاهر للجائزة جاء بعد عامين من حصوله عليه، رغم مشاركته في حركة كفاية منذ عام 2005م، وقمع الشرطة للحركة وفعالياتها مرات عدة قبل وبعد حصوله على الجائزة.

فازت رواية واحة الغروب سنة 2008م بجائزة العالم العربي للكتاب الأول، التي أقيمت بالشراكة مع بوكر إنجلترا. هذه الجائزة أدت إلى إشادة عالمية أكبر لروايات بهاء طاهر التي سبق ترجمتها إلى لغات أخرى. بهاء طاهر ليس كاتباً روائياً، فحسب، فهو يؤرّخ من خلال رواياته لتاريخ مصر الاجتماعي، وربما أتاح له عمله لفترة طويلة في الإذاعة المصرية، أن يكون على دراية بواقع المجتمع المصري. وهو استفاد كذلك من عمله مترجماً في مقر الأمم المتحدة في جنيف، خصوصاً في رواية «الحب في المنفى» التي ترجمت لأكثر من لغة. إنه أحد رواة القصص المصريين البارزين. لديه عشرة مؤلفات قصصية. إنه كاتب واقعي وقد استفاد من التسهيلات الفنية لمدرسة الواقعية. لمعظم رواياته دوامة الهبوط؛ فإنه يبدأ بنقطة التحول وينتهي بالموت.

ملخص رواية واحة الغروب

رواية واحة الغروب لبهاء طاهر هي إحدى روايات مصر المعاصرة وتركز على القضايا الاجتماعية والسياسية في القرن التاسع عشر. طوال القصة حدث انفجار للمواجهات الشرقية والغربية في مختلف جوانب الحياة بما في ذلك الحرية، الزواج، الوجود المجتمعي و.... ويسعى المؤلف إلى الدفاع عن حقوقهن من خلال التفكير في وضع المرأة الشرقية في المجتمع الأبوي المصري. إظهار القبح والعيوب في المجتمع هو جوهر عمله، ومن أهمّ المشاكل الاجتماعية التي تطرقت إليها الرواية، هي قضية المكانة العاجزة للمرأة في المجتمع وانعدام الحرية لها في القرن التاسع عشر. تتحدث هذه الرواية عن واقع مجتمع الواحات في مصر في رواية الاحتلال البريطاني، والمسألة الأخرى التي يدرسها بهاء طاهر في روايته هي قضية المرأة، ونستطيع القول بأن الكاتب خلق شخصية مليكة التي ظلمت من قبل المجتمع والقيود التي يفرضها عليها، ليعبر عن مدى معارضته لظلم والتعاسة التي يحملها المجتمع الذكوري على المرأة. يعالج الكاتب قضية المرأة بشكل واضح ولافت. ويسعى إلى تغيير مصيرها الاجتماعي وارتقاء مكانتها في المجتمع والأسرة ويشجعها على نيل حقوقها.

تحليل قضايا المرأة في رواية واحة الغروب لبهاء طاهر

صورة المرأة في رواية واحة الغروب تعكس موجوداً من الجنس الثاني والأدنى الّذي يفتقد هويّة مستقلّة وهي صورة مسخّرة لتلبية احتياجات الرجل. فالكاتب من خلال طرحه لبعض مسائل النساء في رواية واحة الغروب، قد جعل من روايته رواية نسويّة. فالشخصيّات النسويّة لها حضور فعّال وظهور مؤثّر في الرواية، فكلّ النساء تقريباً يتمتّعن بشخصيّة إيجابية والدور المؤثّر في الرواية. بهاء طاهر ناقش في رواية واحة الغروب أموراً أساسية في حياة المرأة الاجتماعية ونحاول في الجزء التالي بتحليل بعض المضامين التي يناقشها الروائي في روايته:

الزواج والطلاق

يركز بهاء طاهر على موضوع الزواج والطلاق وحرية المرأة ونرى من خلال الرواية أن للمرأة في رواية واحة الغروب لبهاء طاهر ليس لها الحرية في هذا الأمر بل هي تواجه اضطهاد تام في موضوع الزواج والطلاق كما نرى في الشاهد التالي:

«اشتكت لأمّها أنّ الرجل الّذي عاشت معه سنتين لم يقربها ويضربها دون سبب فضربتها أمّها أيضاً وحرّمت عليها أن تكرّر هذا الكلام ويكفي أن يحميها ظلّ رجل. لكن هي كرهت ظلّ معبد وتكره من أجله كلّ الرجال وكلّ النساء في هذا البلد، تكرههم جميعاً.»

يموت الرجل وتعود مليكة المتّصفة بالـ "غوله" وهذا عنوان يطلق على النساء الشابّات اللّاتي فقدن أزواجهن للتوّ، وعلى ضوء معتقدات النّاس في هذه البلاد، إذا ما خرجت غوله خارج البيت قبل مضيّ المدّة المعلومة- ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر بعد موت الزوج-، فهذا مظهر من مظاهر الشؤم والتعاسة، أمّا مليكة كسرت هذا المعتقد وخرجت من البيت وهي ما زالت تتّصف بغوله والتجأت إلى كاترين. مثل هذه التصرّفات أدّت إلى اغتصاب حقّ شابّة مثل مليكة ببساطة وأرغمت على الزواج الإجباري ولم تنل في حياتها الزوجيّة سوى التحقير والتهديد. فعندما نقرأ الرواية نجد البيوت تمثل السجون بالنسبة للمرأة.

التواجد الاجتماعي للمرأة:

تختلط على كثير من الناس الأسباب التي من أجلها يضع المجتمع المرأة في مرتبة أقل من الرجل ويفرض عليها قيوداً لا يفرضها على الرجل، ويحدد لها دور معين في الحياة يرتكز أساساً على الخدمة في البيت ورعاية الأطفال، وقليل جدا من يدرك الأسباب الحقيقية وراء تلك الفروق الضخمة التي يضعها المجتمع بين المرأة والرجل يدعي أن الطبيعة هي التي وضعتها ويتجاهل أن تلك الفروق من صنع المجتمع. (مختاري، 2004م: 36) لقد تعرضت المرأة للكبت والصمت على مر العصور، وفي مختلف الحضارات والثقافات وإن قراءة التاريخ ودراسة التطورات والاجتماعية للمجتمعات توصل الباحث إلى أنه على

الرغم من اختلاف المناطق والأزمان وأساليب الإنتاج نجد معظم الحضارات خيطاً جامعاً يقوم على اعتبار جنس الذكر هو الجنس المتميز، السيد، المسيطر وعلى جنس الأنثى تبعية الرجل وخضوعها له وقد حددت لها مسبقا الصفات المرغوبة اجتماعياً والتي يجب أن تتحلى بها. (مختاري، 2004م: 36) ففي النص التالي من واحة الغروب نلاحظ نوعاً من المنع لتواجد النساء والبنات في مجتمع الواحة حينما يقول:

«ولكن أهم شيء أنهم لا ينسون أيضاً بناء أسوار رملية عالية حول بساتينهم. يتعلمون الأسوار منذ الصغر. أما البنات فيلعبن على حدة بعيداً.» (طاهر، 2013م: ١٤٩)

في النص السردي نلاحظ أن دلالة بناء الأسوار على يد أولاد الواحة وبُعد ملعب البنات عنهم، يعبر عن تكوين أيديولوجي ذكوري لمنع تواجد الأنثى في المجتمع لأنها أنثى ويؤدي هذا الأمر إلى أن تتنكر المرأة بشكل الرجال. و «الحقيقة أن البنت تتعرض منذ ولادتها حتى مماتها لمحاولة إقناعها بنقصها ووضعها الأدنى، وهذا بطبيعة الحال يثير فيها على الدوام رغبتها في أن تكون رجلاً... وبسبب أن الحضارة هي حضارة ذكورية فقد كان من الصعب على المرأة أن تحقق نوعاً من الإعلاء لهذه الرغبة الذكورية لأن كل المهن في الحياة كان يشغلها الرجال وهذا بالطبع رسب في نفس المرأة الإحساس بالنقص.» (السعداوي، 2002م: ٩٧) ونشاهد في الشاهد التالي أيضاً الصعوبة التي تواجهها المرأة في الخروج من البيت والتواجد الاجتماعي وهي في الواقع مقيدة بالعرف والقيود الشعبية والثقافة المحلية التي لا ترى حقاً للمرأة في الحضور المجتمعي، في الشاهد نلاحظ أن مليكة تضطر للتنكر بشخصية الذكر حتى تستطيع الخروج من البيت بمعنى عليها ألا تكون أنثى لكي تمارس حضورها الاجتماعي:

«لكنك ما إن كبرت قليلاً حتى تعلمت الهرب من البيت. تلبسين جلاليب الصبيان وتخفين شعرك الناعم تحت طاقية ثم تجولين في البلدة على راحتك». (طاهر، 2013م: ٧٣- ٧٤)

يؤكد لنا بهاء طاهر عن حالة المرأة في المجتمع المصري آنذاك ويحاول من طريق السرد يصحح المفاهيم الاجتماعية السلبية المتعلقة بالمرأة وحريتها. في الواقع الصورة التي يرسمها الراوي من حالة النساء في الواحة هي حالة تثير الحزن والأسف، لأنها مقموعة ومسلوبة الهوية الاجتماعية ومسجونة في البيت. وهذا الأمر نلاحظه تماماً في تنكر مليكة هويتها الأنثوية للحصول على التواجد في المجتمع وهذا هو القمع ونكران الهوية وهكذا تموت الأنثى في المجتمع وتضطهد. الروائي بهاء طاهر يحاول أن يسلط الضوء في روايته على موضوع السلطة الذكورية على النساء في منطقة الواحة حين يصفهن سجينات البيت ويصف البيت هو المكان الوحيد الذي تمكث المرأة فيه ويجعل حضورها يحصر في إطار البيت فقط فهي إشارة

إلى كبت حرية النساء ومنعهن من استمرار نشاطهن وفاعليتهن في المجتمع ولا يرى هناك تأثيراً للمرأة في تحول المجتمع لأنها ممنوعة من الحضور الاجتماعي فكيف لها أن تساهم في التغيير.

وقد جرت الإشارة إلى تصرف الرجال ضد النساء في هذه الرواية، الرجال الذين يعبرون عن النساء من خلال مكوثهن في البيت، أمّا بالنسبة إليهم فيجعلون أنفسهم في محطّ التغيير والنشاط والعالم الخارج عن البيت لذا، فموضوع المكوث في البيت ومنع التقاء الرجال بالنساء في الواحة مسألة مشمئزة وغير قابلّة للتحمّل بالنسبة إلى كاترين الغربيّة:

«**تحركت نحو الباب فوقف سلماوي أمامي وفرد ذراعيه يسد الطريق وقال بأدب بصوته الأجش: يا هانم. هذا هو مستحيل. حتى في الأحوال العادية لا تدخل النساء هنا على الرجال بمفردهن وبدون إذن.**» (طاهر، 2013م: ٢١١)

في الواحة ليس للمرأة هوية مستقلة اجتماعية ذات تأثير فيما يحيطها وهذا ما يحاول بهاء طاهر مقاومته في النص الرواية. في الشاهد المذكور في الفقرة أعلاه هو يؤكد على عدم توعية الرجال بحق المرأة في الحضور والتواجد في المجتمع.

في الواقع المرأة في هذه الرواية بمعنى الكلمة تم أسرها في إطار البيت فقط. وتتشكّل هوية المرأة ومعناها في القالب الأُسري فقط. قلّما نرى عادة أن تكون للمرأة هوية مستقلة خارج إطار الأسرة. نرى في رواية واحة الغروب أنّ جميع النساء- إلّا كاترين- تمّ حصرهنّ في البيت وقد تم منعهن عن الخروج منه لذا، هذه الطائفة من النساء يفتقدن الحركة والحضور في العالم الخارجي للبيت وهن قد حكم عليهن بالمكوث في البيت والصمت المطلق. أصيبت كاترين بالدهشة من ظروف هؤلاء النساء، وفي النص التالي على لسان كاترين الروائي يطرح موضوع تواجد المرأة الاجتماعي حيثما تقول:

«**لكن من سيدلني؟ أمهاتهن؟ لا يسرن في الطريق إلا جماعات ذاهبات إلى مأتم أو أفراح ولا يظهر منهن غير عباءات زرقاء واسعة. كل مصمتة تتحرك في بطء وصمت مثل نذير قادم، فأود أن أصرخ حين أراها: أين البشر؟**» (طاهر، 2013م: ١٤٩)

التواجد الاجتماعي للنساء يشتمل على كل أبعاد الحرية في شخصية المرأة حتى حرية التفكير فإذا المرأة تصبح رهينة أو سجينة البيت فكيف تطمح وتمد أفكارها إلى تحقق آمالها وتجسيمها على أرض الواقع. في الواقع الشكل المجسم لحضور المرأة في خارج البيت بقرية الواحة تخطيط فاشل لقمع هوية المرأة، وهذا هو الأمر الذي يحاول بهاء طاهر معارضته عبر السرد، نستطيع القول بأن النص أعلاه يرسم صورة ميتة وفاقدة الحيوية من النساء في الواحة على الرغم من أن المرأة هي رمز الحيوية والاستمرار لكن بسبب العادات والتقاليد الاجتماعية الخاطئة لم تصبح المرأة إلا سجينة صامتة تتظاهر بالحيوية والتعايش السلمي

مع التعاسة والاضطهاد. ونتيجة للنظام الأبوي وما ينتج عنه من تسلط في الإقليم العربي، تم تهميش النساء من المشاركة العادلة والنزيهة في الحياة حيث بقيت الحياة الاجتماعية حلبة يسيطر عليها الرجل وبقيت نسبة المرأة في هذا المجال ضئيلة بالمقارنة مع الرجل. الملاحظة المهمة في رواية واحة الغروب هي أنّ الفتيات- علاوة على النساء- أيضاً قد حصرن في البيوت ولا يملكن الحق في الخروج منه ولا يتمتّعن بالحريّة في الذهاب والإياب مثل الحرية التي توجد عند الأولاد:

«ولكن أهمّ شيء أنّهم لا ينسون أيضاً بناء أسوار رمليّة عالية حول بساتينهم. يتعلّمون الأسوار منذ الصغر. أمّا البنات فيلعبن على حدة بعيداً من الصبيان. أسوار أخرى.»

"مليكة" هي المرأة الوحيدة في الواحة التي تخرج من البيت بحريّة وهذا الأمر يجعل منها قريبة من الهلاك. الكاتب ملتزم في روايته على حلّ المعضلات الاجتماعية المهمّة وهذا الأمر تمظهر لنا في رواية واحة الغروب من خلال شخصيّة ملكية. هي امرأة شابّة تزوّجت من رجل يعجز عن القيام بمسؤولياته الزوجية. يكشف بهاء طاهر في رواية واحة الغروب رغبة المرأة من التحرر من ظروف القهر والتهميش الذكوري، الأمر الذي جعل مليكة تخرج من سجنها البيتي التي فرضته عليها التقاليد الاجتماعية، باحثة عن هويتها. وفي الواقع يمكننا القول بأن بهاء طاهر أخذ شخصية مليكة ليحتويها خطاب التحرير النسوي المنشود عنده، وهنا نرى تحولات تسعى لبروز الوعي والاستيقاظ المرأة، والمؤلف عبر تصوير معاناة المرأة، يؤكد على ضرورة تولد الوعي عند المرأة بأوضاعها الاجتماعية، وأيضاً يرنو إلى ظهور تيار الإصلاح ليلعب دوره بشكل إيجابي ليبلور الوعي النسائي.

الاضطهاد الاجتماعي

وبالنسبة للبعد الاجتماعي للنساء فيبدو أن المرأة في الواحة بهاء طاهر هي مضطهدة اجتماعياً وهي مقيدة بقيود اجتماعية وعرفية «فالرواية كما نشاهد تجعل الواقع سبباً في تردي وضع المرأة وانحسار وجودها ولا يزال يكرس سلطة الرجل لها ويستخف بما تنادي به من حرية ومساواة» (مختاري، 2004م: ٨١) جدير بالذكر أن المؤلف في رواية واحة الغروب، رسم في بعض جوانبها، نسخة من العالم الذي تقهر فيه النساء عن طريق أبنية فكرية واجتماعية قائمة، أو نسخة من العالم الذي تكون فيه الأساطير المصنوعة عن المرأة المتعارضة مع إنسانيتها أكثر قوة من الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يتسبب فيها القهر بصورة المادية الملموسة أو صورة المعنوية الضاغطة. ونشاهد في النص التالي من الرواية الظلم الذي يحل بالمرأة من قبل الأسرة والمجتمع حينما يغض البصر عن كل إنسانيتها ويعاملها معاملة لم تلق بإنسان ذات هوية مستقلة وخلق حر ويسرد هذا الاضطهاد على لسان يحي:

«لكن كل هذا الذكاء دفنته أمها مع معبد وانتظرا أن ترضى مليكة بهذا المصير، ولم أستطع أنا إنقاذك من أمك ولا من معبد ولا من صابر ولا من الشرقيين ولا من الغربيين. أرى الآن ما سيدبرونه لك بعد كل الضجيج والتهديد والكذب. حتى لو نشبت الحرب وأيّا كان المنتصر فسير غمونك بعدها على الرجوع إلى الرجل الذي تكرهين.» (طاهر، 2013م: ٨٥)

النسوية نادت بتحرير المرأة من كل القيود الذي فرضها عليها المجتمع لأنها غصبت المرأة كل تفاصيلها الإنسانية وأخذت روعة جمالها وهي حرة تختار وتؤثر في مصير حياتها، لهذا بهاء طاهر سعى على تصوير جانب من جوانب التعاسة التي نزلت بالمرأة وجسمها في الزواج التعيس لمليكة الصغيرة مع معبد العجوز وقتل كل ذكائها ودفن كل حيويتها ومستقبلها. وفي النص التالي:

«ضاعت بكذب الرجال ورعب النساء وغرور ذلك المأمور الذي يأكله الحقد. ضاعت فما أهمية أي شيء؟ لا أريد أن أراها ميتة. لا أريد فيما بقي لي من أيام أن أذكر هذه الطفلة كجثة. أريدها أن تبقى لي حية كما عرفتها. أجمل نبتة أخرجتها هذه الأرض.» (طاهر، 2013م: ٢١٥)

بهاء طاهر في المقطع المذكور من الرواية يمنح الخطاب روعة حينما يجعل التعابير تحكي عن مليكة وضياعها بسبب الظلم الرجولي وخوف النساء من قيود المجتمع، أصبحت ضحية تموت في ريعان شبابها. فالمجتمع المصري زمن بهاء طاهر كان يحتقر النساء ولم يبذل جهد في تحريرها من كل ما يفرض عليها المجتمع الذكوري الفاشل. ولهذا ينكشف لنا أن حالة المرأة في هذه الرواية حزينة، لأنها فرضت عليها قيوداً اجتماعية تقليدية رغم محاولتها من التخلص منها، ولكنها لم تنجح ويحطم المجتمع القاسي كل مستقبلها. ونلاحظ أيضاً وجود مواجهة القوى المتسلطة كما في الرواية لكن بشكل ضمني.

مع أنّ بهاء طاهر لم يترك الكلام عن العلاقات المثاليّة في روايته، إلّا أنه لم يقع ضحيّة الحديث حول العلاقات الخيالية الساذجة الموجودة في الروايات السطحيّة الّتي تلبّي مطالب القرّاء. هو لم يألوا جهداً في سبيل بيان الآلام والمآسي الّتي تعاني منها النساء في المجتمعات الرجاليّة في مصر، وخاصّة مجتمع الواحة التقليدي. يمكن أن نشهد هذا المفهوم ونلتمسه في شخصية مليكة. مليكة نموذج واضح لامرأة، باتت نفسيتها تذهب إلى الزوال في المجتمع التقليدي المصري. في الواقع زاوجها الإجباري بمعبد، حدى بها إلى الشعور بالاغتراب من نفسها وأرغمتها على قبول دور لا يناسب ونفسيّتها الأنثوية. تتعلّم مليكة منذ صغرها أن تلبس مثل الأولاد حتّى يتيح لها التخلّص من الأسر وتتمكّن من الخروج من البيت والمشي بحريّة:

«لكنّك ما إن كبرت قليلاً حتّى تعلّمت الهرب من البيت. تلبسين جلابيب الصبيان وتخفين شعرك الناعم تحت طاقية ثمّ تجولين في البلدة على راحتك.» (طاهر، 2013م: ٧٣- ٧٤)

من هذا المنطلق، يصوّر بهاء طاهر من خلال شخصيّة مليكة: تعذيب الرجال للنساء في الواحة ومراقبتهن. المراقبة والتعذيب القاسي الشبيه برياضة المتصوّفة الّذي كان يسيطر على النظام التربوي للنساء في المجتمع التقليدي المصري وكان يجعل من حياة النساء شبيهاً بحياة الزهّاد والنسّاك استعداداً لحياة مريرة في المستقبل. لا شك في أن مثل هذه التربية تحرم البنات الشباب من الحقوق الّتي يتمّع بها الأولاد في عمرهم وبذلك يقضي على احتياجاتهم العاطفية وحماسهم الأنثوي. والهيمنة الذكورية تحاول دائماً إلقاء النظرة الدونية على المرأة وتصر على عدم قدرة المرأة لذا، نلاحظ بأن اللغة التي يخاطب به المرأة فهي أيضاً لغة تهون هوية المرأة بما إنها إنسان ويمتلك القدرة ويجب أن يحترم.

تمرد المرأة

في علم الاجتماع التمرد، هو محاولة فردية لتغير الواقع الاجتماعي، غير أن هذه المحاولة، وسبب فرديتها، محكوم عليها بالفشل، لذلك أن تغيير الواقع يحتاج إلى ثورة اجتماعية أو إلى مدى تاريخي (أبو نضال،) ونستطيع القول بأن المتمرد يعاني معاناة تسلبه التمعن فيما يفعل، وفي الواقع «المتمرد هو الإنسان الذي نظر في الواقع فاكتشف زيف علاقاته فقام يصارع صراع عشوائي لذلك أخذ بقوله "لا في العالم يقول نعم" ويرفض المتمرد الأوامر رفضاً فردياً وهو يكره الاستبداد والعبودية ويرى أنها من صنع البشرية ويطلب المساواة والعدالة ويغامر بنفسه ويصارع الأقدار المصنوعة وإذا يئس انتهى إلى عزلة والاغتراب والصمت.» (ألبير، 1983م: ١٩)

لقد كانت شخصية المرأة في رواية واحة الغروب فاقدة لحقّ التمّتع بحق اختيار زوجها، ووِفق العادات تُرسل الفتاة إلى بيت زوجها. وكان يُنظر إليها على أنّها سلعة لا أكثر. مثال ذلك هي مليكة. نموذج التمرد الأنثوي في رواية واحة الغروب هي مليكة أو كما يسمونها الغولة، حينما ثور على الخرافات والتقاليد الفاشلة في الواحة تجاه المرأة التي يموت زوجها ويظهر تمردها في الخروج من البيت قبل أن تقضي المدة المعلومة:

«نعم، هي مليكة. الوحيدة التي كلمتني يوم ذهبت إلى معبد الوحي. يومها قالت لي اسمها لا أكثر وجاءت الآن متنكرة في لباس صبي كما رأيت. لكنهم اكتشفوا بالتأكيد بعد ذلك أنها الغولة وقد هربت من بيتها.» (طاهر، 2013م: ١٨٢)

فنرى مليكة في الرواية هي الأنثى المتمردة على المجتمع الذي حطم مستقبلها بزواجها مع معبد العجوز. فتمردها فردي لم يعنها أحد لهذا لم تحصل على التغيير المنشود في مسيرة حياتها، بل هذا التمرد أخذها إلى الهلاك. وجا في نموذج آخر:

ISSN : 2625 - 8943

«تلقتها مليكة وهي تقف في وسط الغرفة بشعر مهوش ملطخ بالدم وتمسك بيدها سكيناً كبيراً، حاولت خديجة أن تهدئها ومدت لها يدها بطبق من الطعام فبصقت مليكة وسألتها وهي تبكي لماذا باعتها؟ لماذا رمتها لمعبد؟ ثم أدارت السكين نحوها وأغمدته في صدرها وهي تلعن كل الرجال والنساء ونافورة الدم تندفع منها نحو أمها.» (طاهر، 2013م: ٢١٤)

شخصية مليكة في النص السردي لرواية واحة الغروب، شخصية متبلورة وتبحث بكل ما تملك يدها عن التغير ورفع الحاجز الاجتماعي في التصرف مع النساء ونظرته الدونية لها. بالنسبة للبعد الجسمي، يمكن القول إنّ الراوي قد رسم المظهر الخارجي للفتاة مليكة وهذا وصف واقعي لفتاة مضطهدة مسلوبة الهوية والحرية منزعجة من كل من حولها من القيود العرفية والسلطة الذكورية فهي منهارة نفسياً لا غلو ولا طغيان في وصف المظهر الخارجي لها كشخصية قصصية مأخوذة من الواقع المعاش.

ثور مليكة وتصرخ صرخات الاحتجاج المطالبة بنهاية كل ما فرضه المجتمع والأشخاص عليها كامرأة يجب أن تكون ذات هوية مستقلة اجتماعية، ويمكننا القول بأن الصورة التي يقدمها بهاء طاهر من الأنوثة المقموعة في هذا المقطع، هي أنوثة منكوبة بكل ما فيها من روعة وجمال تصرخ باحثة عن حيويتها وعن هويتها وحريتها هي تواجه المجتمع بكل ما تملك من قدرة وتصمد وجدير بالذكر أن في الفقرة الروائية التي يصف فيها بهاء طاهر مليكة يرى القارئ نوعاً من التناقض حيث صرخة أنثوية ثور لتحقق الهدوء الأنثوي المطلوب لجمالية الشخصية النسوية التي يفترض أن تكون عليها لكن في ظل كل حقوقها الاجتماعية والفردية. فبهاء طاهر يسعى إلى المواجهة لتحرير المرأة المصرية من القيود الغير حقيقية التي كبلت حريتها وجعلتها مقموعة.

«كيف تريدون من مليكة أن تفهم عاداتكم التي بلغت أنا من الكبر عتياً فلم أفهمها؟ مليكة الجميلة رسول الموت؟ عقارب سوداء وحرائق في البيوت والشجر والأطفال مرضى؟ أنتم المرضى! هذه يا مليكة مثل نبوءات صابر المشئومة التي كنت تسخرين منها. لا أنت تفهمين بأي ذنب تسجنين ولا أنا فهمت هذه الخرافة طول عمري.» (طاهر، 2013م: ٢١٠)

كل ما نلمسه في الرواية وخاصة في نموذج مليكة التي استسلمت للهيمنة الاجتماعية والذكورية فبدت حياتها هامشية لا تقدم ولا تأخر، بل ظهرت في هذا المحور قامعة ومغتصبة ومتمردة بشكل فردي على عادات الواحة الفاشلة. ويقوم يحي متأثر بموقف مليكة وتمردها، ليدافع عن تمرد مليكة الأنثوي ويدين عادات الواحة التي لم يفهمها ولا يعرف ضرورتها. بما أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية تسهم بشكل كبير في تشكيل شخصية الإنسان حيث إن هذه الشخصية لا يمكن أن تنمو خارج إطار ظروفها ومليكة الفتاة التي تخلى عنها الجميع وهذا ما دفع بها إلى أن تصبح ضحية من أجل الخرافات والعادات

الاجتماعية الخاطئة، فلم تجد مخلصاً لها من هذه الوضعية غير الرجاء والتمني من كاثرين، رجاء الخلاص من واقعها حتى تضيع بين الناس لا يعرفونه عنها شيئاً ولا يحاكمونها تلك المحاكمة القاسية الجافة، التي انتهت بحرمان حياتها وجرها إلى الموت.

مليكة وغيرها من النساء الشرقيّات، لا يسعون إلّا في خدمة العلاقات الجنسيّة التي تسعى الأيديولوجية الرجولية البقاء عليها، بحيث حُرمت مليكة من أبسط حقوقها الاجتماعيّة والإنسانية بعد وفاة زوجها وحكم عليها بالسجن في البيت؛ لأنّ الأرامل من النساء ملزمون بتبعيّة تقاليد الواحة الصعبة والمعقّدة؛ القوانين الّتي لم يتمّ فرضها سوى على النساء ولا تطبّق على الرجال الّذين يفقدون نساءهم. نشاهد في هذه الفقرة نموذجاً من هذه القوانين الصعبة الّتي فرضت على الأرامل:

«قد لا تكون عقوبة بل مجرّد رعب متوارث من الموت. لا، ليس من الموت، بل من المرأة بالذات لأنّهم لا يفرضون هذه العقوبة على الرجل الأرمل، هو حرّ في أن يتزوج حتى قبل أن يمرّ شهر على وفاة زوجته. أمّا الأرملة فيجب أن تنتظر طويلاً حتّى تتطهّر من الروح الّتي تلبستها وجلبت على زوجها الراحل الموت. تظل سجينة أربعة أشهر وعشرة أيّام. لا تغيّر ثوب الحداد مهما بلغت قذارته. لا تستحمّ ولا تتزيّن.» (طاهر، 2013م: 87)

وعلى هذا، فمليكة جديرة بأن تحمل القضية الاجتماعية التي كانت تفرض نفسها على الواقع كما أحسه المؤلف، ولعل هذا الأحساس هو الذي جعل المؤلف يصور شخصيتها بشكل دقيق التي تبلور أزمة المرأة في حياتها كأرملة، كتعبير عن أزمة الحرية الذاتية والظلم والقهر الاجتماعي الذي يسلب المرأة سعادتها ويقيد حياتها بتقاليد واهية وغير منطقية. وفي الواقع بهاء طاهر يحمل هموم المرأة ويعاني معاناتها فيسعى إلى تحويل الخطاب الاجتماعي لصالحها وصالح حريتها الاجتماعية، فهو أخذ الأدب كأداة ناجحة وبعيدة التأثير على توليد المحاولات ونهوض الهمم لتغيير واقع المرأة. ومن هذا المنطلق، بهاء طاهر من خلال خلقه لشخصيّة امرأة مظلومة كمليكة، يطلق صرخته الاعتراضيّة في نقد الظلم والاضطهاد في حقّ النساء.

لا يفوتنا الإشارة إلى أنّ مليكة، تعكس إحدى أغرب الشخصيّات النسويّة في الرواية إلى المتلقّي. هي امرأة أرملة، آثر المجتمع انعزالها بسبب تحطيمها القواعد الثقافية المتّبعة في مجتمعها وهذا الانعزال أدّى إلى موتها. في الواقع، مع أنّ مليكة كانت ملتزمة بتنفيذ أدوارها التقليدية، إلّا أنّ مضيّ الزمن جعلها عالمة بظروفها وقد سعت إلى حدوث تغيير في أحوالها. تتمثل الإيجابية في شخصية مليكة من خلال تمردها على واقعها الذي يرمز للخنوع، وفي بحثها عن التغيير الذي يشعر به المتلقي بشكل غير مباشر في ضميرها المتمرد - في تمردها على التقاليد الصعبة والشروط التي فرضها مجتمعها عليها. وما يدل على إيجابيتها وتمردها على

الوضع الذي كانت تعيشه. فكل هذه المبادرات هي التي تؤدي إلى ظهور ثورة التغيير في المعاملة الاجتماعية مع المرأة واحترامها كإنسان ذات هوية مستقلة وقادرة كل القدرة على اختيار مصير حياتها.

نتائج البحث

وصلنا من خلال تحليل نماذج من رواية واحة الغروب لبهاء طاهر إلى أن المرأة في المجتمع المصري والواحة التي هي المكان الأساسي في الرواية موجود مضطهد اجتماعياً ومسلوب الحرية وتقيدها الأعراف والتقاليد الشعبية وتؤدي إلى خنوعها وسجنها في البيت ولا ترى لها أبسط الحقوق الاجتماعية ومن ضمن تلك الحقوق البدائية المسلوبة من المرأة في مجتمع الواحة في رواية بهاء طاهر المعنونة بواحة الغروب هي: حق الخروج من البيت والتواجد الاجتماعي لتعلب دورها كإنسان ينتمي إلى المجتمع ويؤثر فيه ويتأثر منه، وأيضاً حق اختيار الزوج ونرى ذلك في مصير مليكة الفتاة التي تزوجت العجوز، والتقاليد تجاه المرأة الأرملة هي من أتعس التقاليد التي تجعل المرأة رهينة البيت والأعراف والتقاليد وتعاملها معاملة السجين دون ذنب وتؤدي إلى انهيار شخصيتها وهذا ما لاحظناه في شخصية مليكة.

وبهاء طاهر الروائي التي شعر بمعاناة المرأة في المجتمع المصري التقليدي وعدم حريتها واستقلالها لهذا سرد وواجه السلطة الذكورية وشجع المرأة على التمرد في وجه الأعراف والتقاليد ونرى هذا حينما رسم شخصية مليكة المتمردة وجعلها مصرة على تحقق حقوقها وحريتها. فيمكننا القول إن لا بد من الكتابة عن المرأة وحقوقها وتأثيرها كذات اجتماعي متعال مستقل يلعب دوراً مهماً في بناء الإنسان والحضارات واستمرار الأجيال التي تحمل القيم وإذا لم تحترم المرأة ولا يعترف بحقوقها وحريتها في ممارسة دورها على صعيد البيت والمجتمع فكيف للأوطان والحضارات أن تبنى وتقاوم.

المصادر:

- السعداوي، نوال (2002م)، نوال، الأنثى هي الأصل، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- طاهر، بهاء (2013م)، واحة الغروب، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشروق.
- كامو، ألبير (1983م)، الإنسان المتمرد، ترجمه: نهاد رضا، بيروت، منشورات عويدات.
- مختاري، فاطمة، (2004م)، الكتابة النسائية أسئلة الاختلاف... وعلامات التحول،
- نزيه أبو نضال، تمرد أنثى في رواية المرأة العربية وببلوغرافيا الرواية النسوية العربية
- جعفر، علي جعفر (1437ه)، تجلّيات النظرية النسوية في رواية "سو وشون" للروائية الإيرانية سيمين دانشور، إضاءات نقدية الأدبين العربي والفارسي، مقاله 6، دوره 6، شماره 22، صص.

التعليم الصريح، مقاربة بيداغوجية لتدبير التعلمات و بناء الاستراتيجيات الميتامعرفية

Explicit teaching, a pedagogical approach to managing learning and building metacognitive strategies

د. محمد مياة

أستاذ محاضر بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة البيضاء سطات-المغرب

drmayat2000@hotmail.fr

ملخص:

تجدر الإشارة إلى أن التأسيس لأي منظور إصلاحي مستقبلي للمدرسة، لا يمكنه أن يقفز على مختلف تشخيصات الأعطاب والإكراهات، بل يتطلب نوعا من الترصيد والتطوير عبر استيعاب وتجاوز الاختلالات التي رُصدت في الواقع، حتى يتم منح المتعلم جرعات مناسبة من الكفاءة والقدرة على الاختيار، وتعزيز مهاراته الحياتية، وتوسيع خبراته، وتطوير جاهزيته للشغل، وتحقيق الذات والعيش المشترك مع الآخر، من أجل مجابهة مصاعب الحياة في ظل متطلبات العولمة وما يستلزمه ذلك من انخراط في مجتمع المعرفة (الحبيب استاتي و زوهري 2017،ص22).وإذا كانت المراجعات السابقة وما واكبها من تجديدات على مستوى المقاربات والطرائق البيداغوجية لم تفض إلى نتائج إيجابية، بناء على المؤشرات النوعية التي تم الوقوف عليها في الدراسة التقويمية للقراءة (PIRLS)، فإن المنهاج الدراسي المنقح للتعليم الابتدائي بالمغرب (صيغة 2021)، قد أدرج ضمن مستجداته ملامح من التعليم الصريح يستعان بها لبناء مهارات المتعلم القرائية وغيرها حتى تنسجم مخرجات المدرسة المغربية مع مضامين الميثاق الوطني للتربية والتكوين والذي يشير إلى ضرورة جعل المتعلم في صلب الاهتمام والفعل وتزويده بالأدوات التي تسعفه في التعلم مدى الحياة، كما حث القانون الإطار (51.17) على تأمين فرص التعلم و التكوين مدى لحياة و تيسير شروطه لكسب رهان مجتمع المعرفة.و تنحصر أهمية هذه الورقة في :

التعريف بالتعليم الصريح كمقاربة بيداغوجية

إبراز أهمية التعليم الصريح في بناء واكتساب استراتيجيات ميتا معرفية لدى المتعلم

سيرورة تدبير التعلمات وفق بيداغوجيا التعليم الصريح.

الكلمات المفاتيح:

التعليم الصريح – الاستراتيجيات الميتامعرفية – مبدأ التفويض التدريجي للمسؤولية.

Abstract :

It should be noted that the establishment of any future reform perspective for the school cannot jump on various diagnoses of defects and constraints, but rather requires a kind of monitoring and development by absorbing and overcoming the defects that have been observed in reality, so that the meaning is given - Appropriate doses of competence and ability to choose, Enhancing his life skills, expanding his experiences, developing his readiness for work, self-realization and living.Shared with others, in order to confront the difficulties of life in light of the requirements of globalization and the involvement this entails in the knowledge society. Whereas the previous reviews and the innovations that accompanied them at the level of pedagogical approaches and methods did not lead to positive results, based on the qualitative indicators that were identified in the reading evaluation study,(PIRLS), the revised curriculum for primary education in Morocco (2021 formula) has included among its developments features of explicit instruction that are used to build the learner's reading and other skills so that the outcomes of the Moroccan school are consistent with the contents of the National Charter for Education and Training, which indicates the necessity of making the learner at the heart of Attention and action and providing him with the tools that will help him in lifelong learning. The law also called for framework (51.17) to provide lifelong learning and training opportunities and facilitate the conditions for winning the knowledge society stake.

The importance of this paper is limited to:

- Defining explicit education as a pedagogical approach
- Highlighting the importance of explicit education in building and acquiring meta-cognitive strategies for the learner
- The process of managing learning according to the pedagogy of explicit education.

Keywords:

explicit education - metacognitive strategies - the principle of gradual delegation of responsibility.

مقدمة: ينبني التصور المنهجي الذي يؤطر منهاج اللغة العربية للتعليم الابتدائي على جملة من المرجعيات النظرية التي تضفي عليه الصفة العلمية ، مرجعيات تمتح من المعين التربوي الحديث الذي ينظر إلى التعلم باعتباره عملية إنسانية نشطة تقوم على التفاعل بين الذات المتعلمة ، و بين موضوع التعلم /المعرفة (النظرية البنائية التكوينية) ، أو بين الذات المتعلمة و المحيط الاجتماعي (السوسيوبنائية). فاللغة مثلا تُكتسب وظيفتها الاجتماعية ، ثم تُحوّل إلى وسيلة لتعديل السلوك و أداة للفكر. و تستند من جهة أخرى إلى الإنتاج اللساني الحديث و المعاصر الذي تعددت اتجاهاته و روافده في تفسير كيفية التحكم في اللغة ، و اكتساب استراتيجيات معرفية و ميتامعرفية (المودني و الحسناوي: 2022،ص14).

إن ما يراهن عليه كل تعليم اليوم إنما هو تحقيق الفعالية و تزويد المتعلمات و المتعلمين بكفايات تؤهلهم للإسهام الفاعل في التنمية و الاندماج الميسر في الحياة الاجتماعية و المهنية، وذلك عن طريق تربية و تكوين ملائمين يستفيد منهما المتعلم(ة) و المجتمع.

و قد لجأ المنهاج المنقح (2021) إلى إجراءين أساسيين -يرتبطان بموضوع هذه الورقة- من أجل الرفع من القدرات القرائية للمتعلمين ، و يتمثل الإجراء الأول في تبني التعليم الصريح دون تخصيص حيز هام لتوضيح الإجراء، و يتمثل الثاني في اقتراح استراتيجيات لتدبير النص القرائي و كذا استراتيجية التعليم المبكر للقراءة ، فضلا عن اعتماد مبدأ التفويض التدريجي لمسؤولية بناء التعلمات. فما هو إذن التعليم الصريح؟ و ما هي الاستراتيجيات القرائية ؟ و ما علاقة التعليم الصريح بمبدأ التفويض التدريجي لمسؤولية بناء التعلمات؟ و ما الإجراء المعتمد لبناء استراتيجيات ميتا معرفية.؟

1- **تعريف التعليم الصريح:**

ويعتبر "التدريس الصريح" بمثابة مقاربة فعالة للتدريس، وبناء الأنشطة الصفية داخل الفصل الدراسي، كما يهدف إلى تمكين الأساتذة من الكفايات اللازمة لتنزيل مقاربة التعليم الصريح كمقاربة وقائية، مع التركيز على المهارات العملية.

ويندرج هذا المشروع في إطار تفعيل رزنامة مشاريع تنزيل خارطة الطريق 2022-2026، التي تعمل على رسم معالم المدرسة العمومية المنشودة وفق مقاربة تشاركية تستجيب لانتظارات المتعلمات و المتعلمين وأسرهم والأطر التربوية.، ف"التدريس الصريح" من خلال الممارسة الميدانية، يشمل تصريحا بالأهداف التعلمية من جانب المُتعلم الذي يعرف مسبقا ماذا سيتعلم، كما يستفيد من "نمذجة" "Modelage" من طرف الأستاذ التي من خلالها يتبع المتعلم خطوات المُدرس التي يصرح بها وفق منهجية الاشتغال القائمة على كيفية التفكير. و هذا التصريح هو عبارة أيضا عن استراتيجيات التفكير والحل والتعلم، لمد

المتعلم وتسليحه بها لتطوير قدرته على التعلم الذاتي التي تعتبر بمثابة اختتام لحصة التدريس الصريح القائمة على ممارسة مستقلة وذاتية.

وتعتبر مقاربة "التعليم الصريح" كمقاربة وقائية، استكمالا لسابقتها المتعلقة بالتدريس وفق المستوى المناسب "TaRL" كمقاربة علاجية، ضمن المكونات الأربع لمشروع "مؤسسات الريادة". وتجدر الإشارة إلى أن التعليم الصريح أو التدريس الفعال هو مقاربة معتمدة حاليا من طرف مؤسسات الريادة، ويعتبر مشروع المدرسة الرائدة بمثابة مبادرة تربوية وتعليمية جديدة تتوخى تطوير وتحسين أساليب التعليم والتعلم، عن طريق توفير بيئة تعليمية مبتكرة، تهدف إلى تجاوز تعثرات المتعلمين في التعلمات الأساس، والعمل على تطوير مهاراتهم وقدراتهم.

إن التعليم الصريح، أسلوب ابتكره باراك روزنشاين ونشره في العالم الناطق بالفرنسية على يد ستيف بيسونيت، يوجه المتعلمين تدريجياً نحو الاستقلالية. و يجعل من الممكن الفصل بين تعلم الإجراء وتعلم المحتوى التعليمي، وبالتالي تخفيف العبء المعرفي على المتعلمين. حيث يصبح التمرين أسهل في الأداء.

و يكتسب المتعلمون الثقة ويستجيبون للتعليمات بشكل مستقل.

التدريس الصريح هو تعليم مباشر ومنظم، يوجهه المدرس بقوة. إذ يقوم بتوجيه المتعلم(ة) من خلال عملية اكتساب المعرفة، والتي تتضمن موضوعات ومهارات واضحة يقدمها المدرس.

و تؤكد طرائق التعليم الصريح على التعلم عن طريق العمل وحل المشكلات في بيئة اجتماعية مع الأقران. إنها طريقة تدريس فعالة تسعى إلى إشراك المتعلمين في التفكير النقدي حول تفكيرهم والتعاون لحل المشكلات والتواصل مع زملاء الدراسة الآخرين.

و يعرف Hughes و مساعدوه (Gauthier et Bisonnette :2023,p11) التعليم الصريح بأنه مجموعة من الاستراتيجيات البيداغوجية المدعمة بالبحث ، تستعمل من أجل تخطيط و منح تعليم يقدم الدعم اللازم لتعلم ناجح نتيجة وضوح اللغة المستعملة في التمرير، و كذا وضوح الهدف المقصود فضلا عن الاختزال للكم المعرفي. إنه تعليم يسمح للمتعلم بالانخراط النشط باقتراح أجوبة معتادة و متنوعة, متبوعة بتغذية راجعة إيجابية و تصحيحية ملائمة .

وتعود أصول التعليم الصريح إلى البحث التربوي حول ممارسات التدريس الفعالة، حيث يتبنى المدرسون مجموعة متنوعة من استراتيجيات التدريس لإشراك متعلميهم ومساعدتهم على التعلم.غالبًا ما يُنظر إلى نموذج التعليم الصريح على أنه امتداد لنموذج التدريس المباشر الكلاسيكي الذي يركز على محتوى التعلم والمهارات التي يدرسها المدرس بشكل صريح. ومع ذلك، يتضمن هذا النموذج أيضًا نماذج أخرى مثل التعلم بالاكتشاف والتعلم التعاوني والممارسة التأملية.

و على مستوى الفرق بين التعليم الضمني والتعليم الصريح، يتضح أن التعليم الضمني هو اكتساب المعرفة حول البنية الأساسية لبيئة التحفيز المعقدة من خلال عملية تحدث بشكل طبيعي وبسيط وبدون عمليات واعية. في حين أن التعليم الصريح هو عملية أكثر وعيًا حيث يقوم الفرد بصياغة الفرضيات والتحقق منها في البحث عن البنية. وبالتالي يمكن أن يتم اكتساب المعرفة ضمنيًا - (تجريد غير واع وتلقائي للطبيعة الهيكلية للمادة، يتم الحصول عليه من تجربة الأمثلة)-، أو صراحة من خلال التعلم الانتقائي -(بحث المتعلم عن المعلومات ويبني ثم يختبر الفرضيات)- لأننا نستطيع التواصل باستخدام اللغة، بشكل صريح عبر قواعد معينة (استيعاب قاعدة تتبع تعليمات صريحة) (Gauthier et Bisonnette2010:p1-35).

2- مبادئ التدريس الصريح :

يقوم منطق التعليم الصريح على تفادي الغموض و الالتباس، حيث:

- يصبح المتعلم قادرا على التنبؤ بما ينبغي فعله و ما ينتظر منه،
- خلق سيرورة ترابطية بين مراحل التعليم الصريح،
- مساعدة المتعلمين على التعرف بطريقة صريحة و واضحة على طريقة تفكيرهم بصوت مرتفع بتقديمنا المهمة أمام أعينهم،
- استفهام المتعلمين حول فهمهم، و تقديم تغذية راجعة لهم من قبل أن تتكلس الأخطاء في أذهانهم،
- اعتماد مبادئ التعلم الفعال، باستعمال لغة تمرير واضحة مع تحديد الأهداف ، و اعتماد مبدأ التدرج البيداغوجي من البسيط إلى المركب و من السهل إلى الصعب،
- اعتبار التغذية الراجعة استراتيجية مركزية في التعليم الصريح،
- اعتماد النماذج المتمركزة حول المدرس،

و من المصادر العلمية المدعمة للتعليم الصريح ،نجد:

- الأبحاث حول فعالية التعليم المباشر،
- الأبحاث حول سيرورات معالجة المعلومة،

الهدف الرئيسي للتعليم الصريح هو تعليم المتعلمين محتوى ومهارات محددة بشكل منفصل. وقد تم اعتماد هذا النهج من قبل العديد من المدارس اليوم لأنه يساعد المتعلمين على فهم المادة بشكل أفضل، مما يحسن بشكل كبير معدلات التحصيل.

تنتقل أصول التدريس المنظمة والتقدمية من البسيط إلى المعقد لتحقيق الفهم. ويستخدم أسلوبًا يزيد التعقيد تدريجيًا من أجل تحسين قدرات المتعلمين.

يتكون التعليم الصريح من استخدام التكرار لبناء الحفظ على المدى الطويل.و تستخدم أساليب التعليم الصريحة بشكل أساسي نفس مجموعة الأدوات مرارًا وتكرارًا حتى يتم دمجها بالكامل في الذاكرة طويلة المدى للاستخدام المتكرر.و الفرق بين طرق التدريس الضمنية والصريحة هو الفرق بين المدرس الذي يستخدم أسئلة المحادثة في مجموعة صغيرة والمدرس الذي يوضح مجموعة من التعليمات نفسها لكل متعلم.

3- **خطوات التدريس الصريح:**

أصول التدريس الصريحة هي نوع من أساليب التدريس التي يتم تنظيمها وتفترض أن المتعلم لديه مجموعة من المعارف الموجودة مسبقًا. عادة ما توجد مواقف تعليمية صريحة في الفصول الدراسية، وخاصة في مؤسسات التعليم العالي. فيما يلي الاستراتيجيات الخاصة بالتدريس الصريح. و تمثل مزايا التدريس أو طرق التدريس الصريحة في سهولة الوصول إلى معرفة المتعلم. يتعلم المتعلمون المواد التي يتم تدريسها في عملية بسيطة خطوة بخطوة مع الممارسة المتكررة.

قبل التدريس يجب أن يكون لدى المدرس فكرة واضحة عن البرنامج وما يريد تدريسه. يتضمن ذلك تدوين الملاحظات حول جميع موضوعات الدورة وكتابة خطة باستخدام التخطيط بأثر رجعي. لكن كيف تقوم بإعداد الدروس بشكل أفضل؟

يجب على المدرس بعد ذلك إعداد سلسلة من الأسئلة التي يريد من المتعلمين الإجابة عنها أثناء الحصة. ويجب أيضًا كتابة المفاهيم بطريقة يسهل على المتعلمين فهمها دون الحاجة إلى اللجوء إلى الحفظ. كما يقوم بإعداد الأنشطة التعليمية .

هناك مراحل يجب على المعلمين التعامل فيها مع المتعلمات و المتعلمين ، ويجب التخطيط لهذه المراحل بعناية.، باستحضار مبدأ "**التفويض التدريجي للمسؤولية**".

و يعتمد هذا المبدأ على التهيئة، ثم نمذجة الأستاذ للاستراتيجية أو للمهارة المستهدفة، بحيث يشخص كيفية إنجاز الاستراتيجية أو المهارة المقصودة أمام المتعلمات و المتعلمين ، واصفا بصوت مسموع ما يجري في ذهنه، و ما يستعمله من عمليات عقلية، و ما يستعين به من معارف و مؤشرات أثناء إنجازها ، لينخرطوا بعد ذلك في ممارسة موجهة ، ثم ممارسة مستقلة للوصول على تطبيق يعزز إتقان المهارة و استخدامها في مواقف جديدة، و ذلك على نحو ما موضح لاحقا في سياق الخطوات و الاستراتيجيات المتداولة في تدريس القراءة مثلا (المنهاج الدراسي للسلك الابتدائي (صيغة 2021)،ص60.).

من بين المبادئ المتداولة في تدريس القراءة مبدآن: مبدأ التفويض التدريجي للمسؤولية ومبدأ التدريس الصريح أو المباشر لمهارة القراءة، وهما مبدآن يتيحان الانتقال التدريجي لمسؤولية بناء التعلمات من الأستاذ(ة) إلى المتعلم(ة) لتمكينه من امتلاك مفاتيح القراءة بدل اكتفائه بتلقي

الشروح التي يقدمها الأستاذ(ة) (نفسه،ص87)وذلك من خلال صيغتين بحسب طبيعة موضوع التعلم:

- صيغة استخدام الخطوات الإجرائية لتنمية مهارة القراءة، حينما يكون موضوع التعلم محصورا في عنصر محدد، كما هو الأمر في تعلم مهارات الوعي الصوتي و الربط بين الحروف و الأصوات، فهي تتعلق بالتعرف و العزل و التفيء و الدمج و التجزيء المقطعي... و لا تحتمل أكثر من جواب واحد.
- صيغة اسرتاتيجيات القراءة، حينما يتعلق الأمر بمهارات تتطلب عمليات مركبة يحصل تنوع في إنجازها، مثل التحليل والتأويل والاستنتاج والتركيب والتقويم. وهي استراتيجيات تتجلى في العمليات العقلية والمعرفية والتقنيات التي يستعملها القارئ (ة)لتحقيق أهدافه من القراءة بكيفية واعية وفعالة.

ويمكن التمثيل للخطوات الإجرائية بالخطاطة التالية:

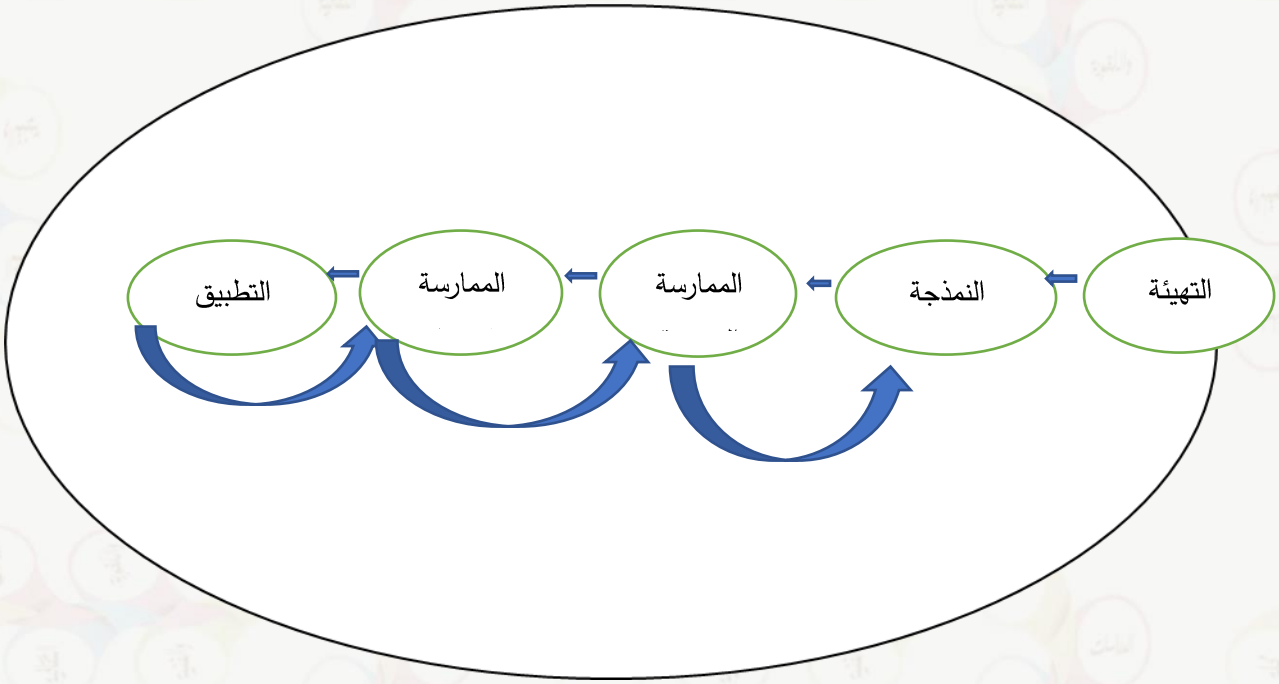

- التهيئة: يوضح الأستاذ(ة) للمتعلمات و المتعلمين المهارة أو الاستراتيجية التي سيتعلمونها، وهي تهيئة تساعدهم على تعرف المهارة، ومدى أهمية تعلمها بالنسبة لهم.
- النمذجة : يقدم الأستاذ(ة) نموذجا توضيحيا لكيفية أداء المهارة أو تطبيق الاستراتيجية من أجل تقليد السلوك.
- الممارسة الموجهة: يقوم المتعلم(ة) بممارسة المهارة أو الاستراتيجية للمرة الأولى بدعم من الأستاذ(ة)، ويستفيد المتعلمون والمتعلمات من وقت أطول للممارسة عندما يؤدون المهارة

ISSN : 2625 - 8943

بصورة جماعية بمشاركة الأستاذ(ة).

- الممارسة المستقلة: تأتي الممارسة المستقلة بعد الممارسة الموجهة التي تمكن المتعلمات والمتعلمين من أداء المهارة أو الاستراتيجية بصورة مستقلة.
- التطبيق: يشكل مرحلة أساسية من مراحل التمكن من المهارة أو الاستراتيجية، وينبغي أن تستخدم الأنشطة المقدمة في هذه المرحلة لتعزيز إتقان المتعلمات و المتعلمين للمهارة أو الاستراتيجية المكتسبة، واستخدامها يفي مواقف جديدة.

والمقصود بالبيئة الآمنة للتعلم إنجاز الخطوات السابقة في إطار من الأمن و الآمان النفسي والبدني، بحيث يشعر المتعلم(ة) بأنه يتعلم المهارة ويمارسها في جو من الود والدعم الإيجابي من لدن الأستاذ(ة) و الزملاء.

و من أمثلة الممارسات الجيدة، المرتبطة بالنمذجة، الناتجة عن الأبحاث حول الاستراتيجيات المعرفية و الميتامعرفية، حسب (Rosenshine,B,2008)،نجد أن المدرس:

- يبين كيف يستعمل استراتيجية ما،
- يقدم أدلة و ملاحظات خفيفة من أجل مساعدة المتعلمين على تنفيذ الاستراتيجية،
- يفكر بصوت مسموع عند القيام ببعض الاختيارات،
- يقسم المهمة الكبرى إلى مهمات بسيطة، حيث يدرس كل مهمة بسيطة على حدة، ثم يرتب السيرورة بكاملها،
- يحاول استشراف أخطاء المتعلمات و المتعلمين،
- يشجع المتلمات و المتعلمين على التفكير بصوت مسموع عند استعمالهم للاستراتيجية،
- يعمل على مأسسة تعليم تبادلي مع المتعلمات و المتعلمين،
- يقدم شبكات من أجل التحقق.

إن الفكرة الأساس للتعليم الصريح محاولة جعل ما يجري في رأس المتعلمين و المدرس، و المتسم بعدم الوضوح و التستر، واضحا ، وذلك عن طريق مجموعة من الاستراتيجيات(. Gauthier et Bisonnette (:2023,p11

4- أهمية التعليم الصريح في بناء و اكتساب استراتيجيات ميتامعرفية لدى المتعلم:

4-1- نشأة مفهوم ما وراء المعرفة:(الشهري:بدون تاريخ،ص1).

ISSN : 2625 - 8943

يعد التفكير ما وراء المعرفي Metacognitive Thinking من الموضوعات الحديثة في علم النفس المعرفي المعاصر، ولكنه ليس موضوعاً جديدا فقد أشار ديوي Dewey إلى العمليات ما وراء المعرفية في عبارات كالتأمل الذاتي الشعوري خلال عملية التفكير والتعلم (عدنان يوسف العتوم:2004, 207).

وقد ظهر مفهوم ما وراء المعرفة, ودخل مجال علم النفس المعرفي على يد "جون فلافل John " Flavellفي منتصف السبعينات, وهو أول من استخدم مصطلح ما وراء المعرفة Metacognitive في البحث التربوي, ولقد لاحظ فلافل أن الأفراد يقومون بعملية مراقبة لفهمهم الخاص والأنشطة المعرفية الأخرى, كاختيار الإستراتيجيات التي يمكن لها أن تنظم تعلمهم وتقويم المهام المعرفية (Flavell, 1979).

يظهر من ذلك أن ما وراء المعرفة من أهم المحدثات التربوية التي ظهرت في الساحة التربوية لما لها من أهمية في العملية التعليمية, وهي تساعد المتعلمين كيف يكونون أكثر وعياً بعمليات التعلم وكيف ينظمون تلك العمليات لإحداث تعلم أفضل. لذا فإن ما وراء المعرفة تلعب دوراً مهماً في إنجاح العملية التعليمية.و يعد مفهوم ما وراء المعرفة Metacognition واحداً من التكوينات النظرية المعرفية المهمة في علم النفس المعاصر، وقد ظهر هذا المفهوم على يد فلافل Flavell عام 1976 ولقي اهتماما ملموسا على المستويين: النظري Theoritically والتطبيقي Empirically فقد اجرى عليه براون(Brown) تطبيقات متعددة في مختلف المجالات الأكاديمية وتوصل من خلال هذه التطبيقات إلى الأهمية البالغة لدور كل من المعرفة وما وراء المعرفة في التعلم الفعال (فتحي الزيات،1996).

و يعرفها كار و جيسوب بأنها " اتجاه في تعليم المهارات المعرفية يؤكد على وعي المتعلم بعمليات التفكر المتضمنة في المهمة التعليمية وقدرته على التحكم والسيطرة على محاولات التعلم ووعيه بالأداء من خلال التقويم المستمر لأدائه " (Carr&Jessup, 1997, P105) .

كما عرفها (Swanson, 1997) بأنها: ترجمة وعي الفرد وقدرته على أن يراقب، ويكيف، وينظم نشاطاته المعرفية فيما يتعلق بالتعلم (Swanson, 1997: 78).

ويرى التربويين أن التفكير ما وراء المعرفي يستدعي ارقي أنواع عمليات التفكير, حيث صنفت مهارات التفكير إلى ثلاثة مستويات رئيسة تتمثل في: (العمليات المعرفية الأساسية, والعمليات المعرفية العليا, وما وراء العمليات المعرفية"التفكير من أجل التفكير").والشكل التالي يوضح العلاقات بين مكونات التفكير وما يتفرع عنها من مهارات كما وردت في (جروان، 1999، 51):

ISSN : 2625 - 8943

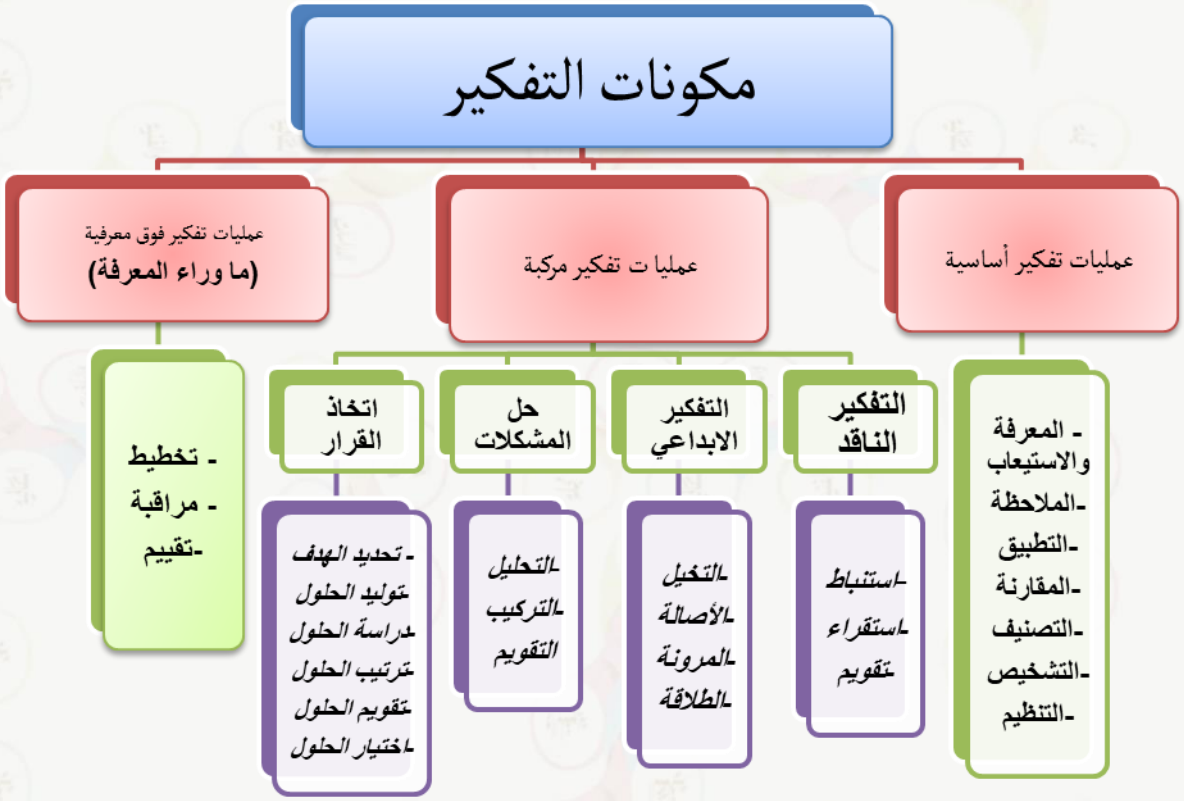

في الشكل السابق يتضح أن عمليات ما وراء المعرفة تعد من إحدى مكونات التفكير, وتضمن عمليات التخطيط والمراقبة والتقييم، ولذا فإن التفكير في التفكير يعد من المراتب العليا لمكونات التفكير والتي تتضمن أنماط تفكيرية تستعين بأنماط تفكيرية أبسط منها في تقييم عمليات التفكير، وذلك من خلال التفكير الناقد وحل المشكلات وغيرها.

فالمعرفة: هي مجموعة الخبرات, والمهارات, والمعارف, والمعلومات التي يكتسبها الفرد من خلال التجارب والتعلم طوال حياته.أما ما وراء المعرفة فهي "عبارة عن عمليات تحكم عليا وظيفتها التخطيط والمراقبة والتقييم لدى الفرد

ISSN : 2625 - 8943

في حل مشكلة أو موضوع. وهي القدرة على التفكير في مجريات التفكير أو حوله.

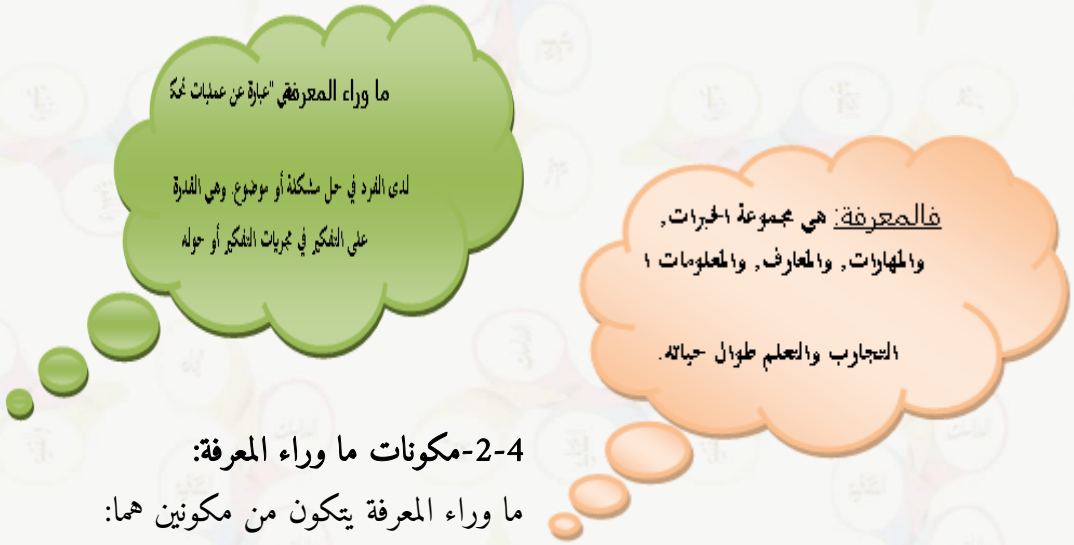

4-2-مكونات ما وراء المعرفة:

ما وراء المعرفة يتكون من مكونين هما:

(استراتيجية ما وراء المعرفة, ومهارات ما وراء المعرفة).

شكل يوضح مكونات ما وراء المعرفة

ما الفرق بين إذن بين استراتيجيات المعرفة واستراتيجيات ما وراء المعرفة ؟

- استراتيجيات المعرفة تعني: الإستراتيجيات والعمليات المعرفية التي يستخدمها المتعلم للتعلم.
- استراتيجيات ما وراء المعرفة تعني: ما يعرفه المتعلم عن إدراكه وقدرته على التحكم بها وتقييمها.

أولاً: استراتيجية ما وراء المعرفة.

هي مجموعة من الاجراءات التي يقوم بها المتعلم تحت إشراف وتوجيه المعلم ليكون على وعي وإدراك بعمليات تفكيره وإدارتها, وأن يعرف الأنشطة والعمليات الذهنية التي تستخدم قبل وأثناء وبعد التعلم؛ للقيام بالعمليات المعرفية وما وراء المعرفية.وهنا يمكن أن نشير إلى إن استراتيجيات ما وراء المعرفة تتضمن إستراتيجيات مختلفة للتعليم والتعلم ومن هذه الاستراتيجيات:

ISSN : 2625 - 8943

•استراتيجية التفكير بصوتٍ عالٍ.
•استراتيجية التساؤل الذاتي.
•استراتيجية العصف الذهني.
•استراتيجية خرائط المفاهيم.
•استراتيجية خرائط الشكل.
•استراتيجية التعلم التعاوني.
•استراتيجية الاحتفاظ بالسجلات.
•استراتيجية دورة التعلم فوق المعرفية.
•استراتيجية التدريس التبادلي.

ثانياً: مهارات ما وراء المعرفة.

هي مهارات عقلية معقدة وتعد المسؤولة عن ضبط وتنظيم ماوراء المعرفة, ومعالجة المعلومات, وتتضمن الأبعاد التنفيذية لما وراء المعرفة كالتخطيط والمراقبة والتقويم. وهي تنمو مع التقدم في العمر والخبرة, وتقوم بمهمة السيطرة على جميع نشاطات التفكير الموجهة لحل المشكلة.

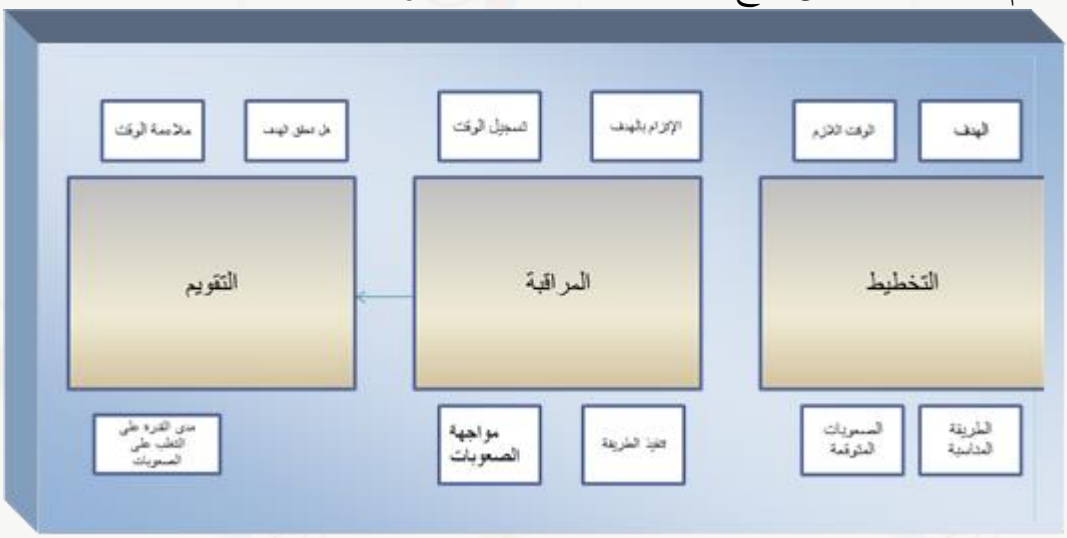

شكل يوضح مهارات ما وراء المعرفة

إن التعليم الصريح وفق خطوات تدبيره للتعلمات، يتيح للمتعلم القدرة على أن يخطط ويراقب ويسيطر ويقوم بتعلمه الخاص، وبالتالي فهي تعمل علي تحسين اكتساب المتعلمين لعمليات التعلم المختلفة وتسمح لهم يتحمل المسؤولية والتحكم في العمليات المعرفية المرتبطة بالتعلم وتسهل البناء النشط للمعرفة كما تشجع المتعلمين علي أن يفكروا في عمليات تفكيرهم الخاصة. فعمليات ما وراء المعرفة تساعد علي تنمية التفكير المستقل ومهارات اتخاذ القرار وحل المشكلات لدي الطلاب وأن يصبحوا متعلمين فاعلين ومستقلين

وهادفين (احمد جابر السيد 2002:15).و من مميزات الميتامعرفة أنها تعمل على تحسين اكتساب المتعلمين لعمليات التعلم المختلفة, ومن هذه المميزات ما يلي (الشهري:ص8) :

1-تنمية قدرة المتعلمين على تصميم خطط لتعلمهم, وتنفيذها ومتابعة مدى تحقيقها لأهدافها.

2-مساعدة المتعلمين على تحمل المسؤلية, وتدريبهم على التعلم الذاتي.

3-مساعدة المتعلمين على تنمية قدراتهم على مراقبة وتنظيم أنشطتهم المعرفية.

4-جعل التعلم أبقى أثراً, وأكثر قدرةً على الانتقال إلى مواقف جديدة.

5-جعل المتعلم على مقدرة لوصف عمليات تفكيره وإظهار ما يدور في رأسه.

6-نقل عملية التعلم من حجرات الدراسة لجعلها اسلوب حياة.

7-تنمية خبرات المتعلم نتيجة لإدراكه عمليات تفكيره.

8-التقليل من صعوبات التعلم التي قد تواجه المتعلمين , وتقليل الاضطرابات والضغوط النفسية التي قد تنتابهم.

و من المصادر التي تصادق على التعليم الصريح، نذكر الأبحاث التي نصبت على تعليم الاستراتيجيات المعرفية و الميتامعرفية، فالأبحاث حول الاستراتيجات المعرفية ترمي إلى مساعدة المتعلمين على التفاعل مع وضعيات أقل هيكلة - (وضعيات لا تتضمن إجراءات مباشرة و محددة لمعالجتها)- كالفهم القرائي، ذلك أن المدرسين اعتادوا على طرح أسئلة على المتعلمين حول فهم نص ما ، لكن أغلبهم ينسون أن عليهم تدريس استراتيجيات معرفية و ميتا معرفية لمتعلميهم والتي يمكن أن تساعدهم على الإجابة عن هذه الأسئلة. و من نماذج الوضعيات المذكورة آنفا، نجد أسئلة تكتنفها من قبيل : لخص، قارن، أوجد الفكرة الأساس في النص. إن الاستراتيجات الميتا معرفية تمد المتعلمين بمجموعة من وسائل الدعم ، حيث تسمح بتقلص صعوبات الوضعيات-المشاكل التي يواجهونها و ذلك بتجزيئها إلى وحدات بسيطة تمكن المتعلم من حلها في النهاية. و ندرج نموذجا لهاته الاستراتيجيات في الجدول الموالي (Gauthier et Bisonnette :2023,p18):

نماذج ممارسات عملية جيدة مستقاة من أبحاث حول الاستراتيجيات المعرفية و الميتا معرفية
يبين المدرس(ة) كيف يستعمل استراتيجية ما.
يفكر المدرس(ة) بصوت مرتفع عندما يقوم ببعض الاختيارات.
يوفر المدرس(ة) قرائن ،و يعتقد بغباء، من أجل مساعدة المتعلمين على أجرأة الاستراتيجية.
يقسم المهمة إلى مقاطع أكثر بساطة.، و يدرس كل مقطع على حدة، ثم يقوم تدريجيا بتجميع السيرورة ككل.

يقوم باستشراف أخطاء المتعلمات و المتعلمين.
يشجع المتعلمات و المتعلمين على التفكير بصوت مرتفع عند استعمالهم للاستراتيجية.
يقوم بتفعيل التدريس التبادلي مع المتعلمين.
يقدم شبكات للتحقق.
يقدم أمثلة للعمل المكتمل.

خاتمة: يعد التعليم الصريح من ثمار البحث في مجالي القراءة والرياضيات، لذلك تم تطبيقه في البداية على الرياضيات والقراءة والقواعد والعلوم، وأيضا على التاريخ. وكيفما كان الحال، فاستراتيجية التعليم الصريح ، باعتباره تدريسا ناجعا ، مُناسِبة للمعارف التي يمكن تقسيمها إلى مضامين جزئية.

ولعل التعليم الصريح استراتيجية توجه عمل المدرسين، خاصة فيما يتعلق بتدريس القراءة. وتوجد ضمنها استراتيجيات تسيير الفصل الدراسي مثل استخدام قواعد ومبادئ القسم التي يجب احترامها لتحسين الدافعية والحافزية، وأيضا بعض الممارسات التي تؤدي إلى تعزيز العمل الجماعي وتقويته. هناك أيضا استراتيجيات مرتبطة بالعملية التعليمية-التعلمية مثل التغذية الراجعة، والنمذجة، والممارسات الموجهة و المستقلة وتقييم التعلمات وغيرها.ولقد أكدت بعض البحوث والدراسات أن دمج هذه الاستراتيجيات وغيرها خلال الممارسة الصفية تجعل المدرس ناجحا. كما أن لها نتائج إيجابية ومتقاربة في صفوف المتعلمين الذين يعانون صعوبات التعلم، فضلا عن فتح المجال أمام بناء واكتساب الاستراتيجيات الميتا معرفية لدى المتعلمات والمتعلمين.

المراجع:

1) **العربية:**

- الحبيب استاتي ، رضوان زوهري(2017):"النموذج البيداغوجي في منظومة قيد التحول" دفاتر التربية و التكوين – عدد12,

- الشهري فاطمة : ما وراء المعرفة - جامعة الملك خالد-كلية التربية، قسم المناهج وطرق التدريس العامة. المملكة العربية السعودية.

- المودني و الحسناوي(2022): المنهاج المنقح ورهان الرفع من جودة تعلم اللغة العربية .نحو استثمار وظيفي لنظريات التعلم وللأسس البيداغوجية والديدكتيكية. المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية – عدد2 مجلد15-ص14.

- المنهاج الدراسي للسلك الابتدائي (صيغة 2021) - مديرية المناهج-المغرب

ISSN : 2625 - 8943

الأجنبية: 2)

- Clermont Gauthier et Steve Bissonnette (2023) : Guide pratique de l'enseignement explicite,version2.

-Bissonnette, S., Richard, M., Gauthier, C. & Bouchard, C. (2010). Quelles sont les stratégies d'enseignement efficaces favorisant les apprentissages fondamentaux auprès des élèves en difficulté de niveau élémentaire ? Résultats d'une méga-analyse. Revue de recherche appliquée sur l'apprentissage

ISSN : 2625 - 8943

تعزيز مبادئ حقوق الانسان والديمقراطية ودورهما في تحقيق التنمية المستدامة

Promoting the principles of human rights and democracy and» their role» in achieving sustainabl»e development»

Prof. Dr. Safia Shaker Maatouq
Asst. Prof. Dr. Alaa Razzak Fadhil Alnajjar
University of Basra/Center for Basra and Arabian Gulf Studies
ا.د. صفية شاكر معتوق
Safia.ALMutawri@uobasrah.edu.iq
أ.م.د. علاء رزاك فاضل
Alaa.ALNajjar@uobasrah.edu.iq
جامعة البصرة/مركز دراسات البصرة والخليج العربي

الملخص:

حظيت مسألة حقوق الانسان وحرياته الأساسية بأهمية بالغة في العصور الحديثة، وان تلك الحقوق والحريات اخذت بالاتساع بتطور المجتمعات وتقدمها حضارياً, فالحقوق والحريات لا تتسم بالثبات والجمود وانما تتغير تبعاً لتطور الحياة الانسانية وتطور المجتمعات نفسها. ويعد مفهوم حقوق الانسان معياراً لرقي الدول وتقدمها, فكلما زاد احترام حكومات تلك الدول لحقوق الانسان كلما اصبح صوتها على مستوى العالم اكثر مقبولية وتأثيراً.

وتبين ان توافق احتياجات المجتمع الداخلي والدولي وممارسة السلطة الاقتصادية والسياسية والادارية لإدارة شؤون الحياة على كافة المستويات وتتضمن الاليات والممارسات التي يعبر منها المواطنون عن اهداف حياتهم لاستحقاقها ومدى تمثيلها الحقيقي للشعب والذي يرتبط بالتنمية الاقتصادية والقضاء على الفساد وتوجيه الاهداف كلها الى اصلاح المجتمع.

واتضح ان ركائز منظومة القيم والحقوق لها تأثير على التوافق في السعي الى تنفيذ هذه الحق مما ينعكس ايجابياً على امكانية تحقيق اهداف التنمية. وتأتي هذه الركائز سواء في الخطط والبرامج التنموية بحلقة مهمة في حياة الانسان والمجتمع كجزء من منظومة الحقوق والحريات وتهيئة جميع الجوانب المرتبطة بها, لذا يجب العمل على تطوير مختلف المجالات.

وتبين ان تطبيق رؤى التنمية المستدامة يعتمد على وجود المناخ الملائم لتحفيز النمو والتطور وتشجيع الابتكار وذلك يتم في اطار تأسيس الديمقراطية وحقوق الانسان التي في مقدمة مسؤوليتها التنمية المستدامة للنهوض بالإمكانات البشرية التي تنهض بالعملية والتنموية وتحقق الرفاهية للمجتمع.

الكلمات المفتاحية:

خطط التنمية, مبادئ الديمقراطية, البيئة المستدامة, مؤشرات التخطيط.

Abstract

The issue of human rights and basic freedoms has gained great importance in modern times, and these rights and freedoms have begun to expand with the development of societies and their cultural progress. Rights and freedoms are not characterized by stability and stagnation, but rather change according to the development of human life and the development of societies themselves. The concept of human rights is a standard for the advancement and progress of countries. The more the governments of those countries respect human rights, the more acceptable and influential their voice becomes on the world level.

It was shown that the needs of the internal and international community are compatible and the exercise of economic, political and administrative authority to manage life affairs at all levels includes the mechanisms, practices and institutions through which citizens can express their interests to exercise their rights and the extent of their true representation of the people, which is linked to economic development, eliminating corruption and directing all goals to reforming society.

It became clear that the pillars of the system of values and rights have an impact on consensus in seeking to implement this right, which reflects positively on the possibility of achieving development goals. These pillars, both in development plans and programmes, are an important link in human life and society as part of the system of rights and freedoms and the preparation of all aspects related to them, so work must be done to develop various fields

It has become clear that the success or failure of the sustainable development process depends on the presence of an appropriate climate to stimulate growth and development and encourage innovation, and this takes place within the framework of establishing democracy and human rights, at the forefront of which is sustainable development's responsibility to advance human potential that advances the developmental process and achieves well-being for society

Keywords: development plans, principles of democracy, sustainable environment, planning indicators

مقدمة البحث:

ويعتبر تعزيز حقوق الإنسان عنصر أساسي في نشر المعرفة والتوعية حول حقوق الإنسان الى افراد المجتمع بشكل عام والى فئات محددة بشكل خاص. فالتعزيز يعني توعية الانسان بحقوقه وتعليمه كل ما يتعلق بهذه الحقوق وارشاده الى الطرق التي يلزم اتباعها لاستخدام هذه الحقوق بشكل صحيح في نمو الامكانات البشرية الى مستوى الرفاهية والتمتع بمميزات الحياه منها (الخدمات, الطبية والتعليمية وحريه التفكير.... الخ. وتشكل التربية والتوعية من الاهداف الاساسية لترسيخ وتنمية وتطور قيم ثقافة حقوق الانسان.

وجاء مفهوم التنمية كنهج نسعى الى تحقيقه للوصول الى توازن بين الاحتياجات المختلفة, فهي تحافظ على توازن دقيق بين حاجات الانسان وتحسين انماط الحياة والشعور بالرفاهية والاستقرار., سابقاً كان مفهوم "التنميه" يختص بالشأن الاقتصادي فقط، اما الان شمل انشطة عدة جوانب منها اجتماعي وسياسي وثقافي وبيئي، فعملية التنمية متوافقة بكل جوانبها المستدامة واستثمار امكانات الانسان في الفعاليات كافة منها, الاقتصادية والسياسية والمعرفية. وان أي تنمية او تخطيط نظري متكامل لا يستطيع ان يحقق اهدافه الموسومة حسب المستوى العام، لما تشكل مخرجاته من عبئ على كل فعاليات النمو الاقتصادي والاجتماعي وابعاد مفهوم التنمية, عن اهدافها.

مشكلة البحث:

تمثل مشكلة البحث بمدى نجاح عملية التنمية المستدامة او فشلها ؟ وعلى ماذا يتوقف النمو والتطور والنهوض بالإمكانات البشرية التي تنهض بالعملية والتنموية وتحقق الرفاهية للمجتمع.

اهمية البحث:

ان موضوع التنمية المستدامة ومبادئ حقوق الانسان والديمقراطية يسعى الى جعل الحياة في افضل صورها وتأمين كافة متطلباتها من الاحتياجات او الخدمات المجتمعية مما يتطلب استراتيجية واسعة للنهوض بالواقع وبناء انظمة مجتمعية ورفع كفاءة المستوى المعيشي, فضلاً عن تطوير المؤسسات المعنية بتوفير الخدمات بما يتوافق مع التطور الحاصل على المستوى العام.

هدف البحث:

عليه جاء هذا البحث لتوضيح الترابط بين حقوق الانسان والديمقراطية من جهة والتنمية المستدامة من جهة اخرى, وان تعزيز مبادئ حقوق الانسان والديمقراطية يوفر البيئة المناسبة لتبادل المعرفة والتفاهم

ISSN : 2625 - 8943

وبناء تعاون مثمر وتقديم حلول للتحديات التي تواجه المجتمع يسهم في تحقيق التنمية المستدامة بشكل سريع على مختلف الاصعدة الاقتصادي والاجتماعي والبيئي لتطوير المجتمع.

فرضية البحث:

يفترض البحث ان التقارب بين التنمية ومبادئ حقوق الانسان والديمقراطية يعزز دراسة خطط التنمية المستدامة من خلال تحليل بعض عوامل والمؤشرات التنموية التي لها قدرة في تحديد مسار التنمية العام والتخطيط بأسلوب ووسيلة لنهوض باقتصاد الدولة.

منهج البحث:

اتخذ البحث **منهجاً** يعتمد على التحليل والربط بين مفاهيم الدراسة حقوق الانسان والديمقراطية وبيان مدى العلاقة بين هذين المفهومين ودورهم في تحقيق التنمية المستدامة مع الاعتماد على المنهج التاريخي من خلال جمع المعلومات والاحاطة بالنصوص والاتفاقيات وتفسيرها.

اولاً:-مفاهيم الدراسة الاساسية ومؤشراتها:

-حقوق الانسان:-

هي مجموعة حقوق طبيعية يتملكها الانسان والمرتبطة بفطرته والتي موجودة حتى لو لا يعترف بها او انتهكت من قبل سلطة ما. كل حق للإنسان سواء منها المدنية, والاقتصادية والسياسية, والثقافية, اصيلة ومتعمقة بشخصية الفرد فلا يمكن تدرجهم على شكل تصاعدي لان الانسان غير قابل للتفكك كذلك هي مجموعة حقوقه لا يمكن تجزئتها ولا الفصل بينها, ان تحقيق الحق المدني والسياسي للفرد لا يمكن بدون الحق الاقتصادي والاجتماعي والثقافي حتى يعيش الانسان بشخصية وبحق من الحرية والامن ومستوى معاشي مناسب.

ان مسألة حقوق الانسان لها علاقة وثيقة بالسلم والامن الدولي ومظاهره فلا يتحقق الا بتعزيز وحدة حقوق الانسان وكذلك الترابط بين الحق في الحياة, فهو هدف مشترك تسعى جميع الدول الى تحقيقه والحفاظ عليه من خلال الجهود المبذولة منذ زمن بعيد. فحقوق الانسان هي شرعية الدولة القانونية والسياسية التي لا تستمد من اي سند قانوني.

تعد حقوق الانسان صفة متأصلة في كل فرد, فهي ملك للناس لا تشتري او لا تكتسب ولا تورث فهي واحدة لجميع البشر وان الاضرار بحقوق الانسان وكفالتها لا تعني انها حقوق مطلقة لا حدود لها وانما ينبغي تنظيمها والمحافظة عليها, فهي محط اهتمام وتبين الحريات المرتبطة بالإنسان والتي تبلورت عبر تراكم تاريخي من خلال الاعراف والقوانين, يعد مفهوم حقوق الانسان من المفاهيم الشائعة الاستعمال على الصعيدين الدولي والداخلي, فحقوق الانسان هي المعايير الاساسية للحياة الكريمة التي تعد اساس

الحرية والعدالة والسلام في المجتمعات. واحترام هذه الحقوق وتواجدها في المجتمع يساهم في تنمية افراده على حد سواء, اذ انها تعد حجر الاساس في استقرار المجتمعات ومقياس لتقدم الدول(خالد, 2015, ص197).

فحقوق الانسان في عصرنا تتمثل بمجموعة من الاحتياجات التي يجب تأمينها الى كل الافراد من غير تفضيل بينهم بسبب النوع او اللون او الجنس او الدين او المذهب او الاصل او الجنسية او لاعتبار اخر. ان تعريف الحقوق بالاحتياجات الاساسية مهد الى ظهور مصطلح التنميه الشاملة لتأمين كافة الاحتياجات المرتبطة بالإنسان, اي انه ساعد على اعادة النظر بوضع البرامج والسياسات التي تصب بخدمة الانسان وتنميته.

ان الحقيقة الثابتة على مدى الازمنة ان الانسان هدفه اشباع احتياجاته المتأصله برفاهيته والتي بدورها متجمعة وغير مفككة هذا التعريف يجمع بين توفير الاحتياجات ومراعاة حق الانسان, نظرا لمواكبة الاحتياجات الانسانية منها حاجه البقاء ومن ثم حاجه التطور وحاجه التواصل وحاجه المشاركة وحاجه التحرر وحاجه الحرية وحاجه الانتماء وحاجه الكرامة في المجتمعات, ولكل مجتمع استراتيجيته الخاصة في اشباع تلك الحاجات الاساسية لتنمية القدرات البشرية(ابراهيم, 2021, ص29).

-الديمقراطية:-

تعني كلمة الديمقراطية باللغة اليونانية (الحكم بواسطة الناس), هي الحكم من قبل الشعب (السيادة الشعبية) اي المشاركة المباشرة. وان مبادئ الديمقراطية تنبع بطريقة طبيعية وحتمية من رؤية التنمية الانسانية. فالديمقراطية تلخص نهج التنمية وتعبر عن فكرة ان الناس لهم الاولوية ويجب ان تتوافق الديمقراطية مع احتياجات الناس, فمبدأ الديمقراطية اساس لجميع الافراد بالمساواة في اقامة اسس الديمقراطية, فهو يعد جزء مما تعنيه التنمية, فنظام الديمقراطية السياسي الذي يحترم ويتماشى مع احترام وتعزيز جميع حقوق الانسان (السياسية, الاقتصادية, الاجتماعية, الثقافية) فهو من يعطي الاطار السياسي الامثل لتجسيد حقوق الانسان لانه يفترض انطلاقة للحقوق المدنية والسياسية(حمادي, 2009, ص125).

بتطبيق مبدأ الديمقراطية تقام المؤسسات المتعلقة بتأمين حقوق الانسان وبهذا المبدأ يتمكن فيه المجتمع بكل مستوياته ان يكون ضمن عملية صنع القرار وتنفيذها, والاساس نشر الديمقراطية هو احترام حقوق الانسان بالكامل.

وفي اعلان فينا عام 1993 اعتبرت تقرير هذه الحقوق واحترام حرية الرأي والتعبير شرطين اساسيين لتحقيق الديمقراطية. ويجسد حقوق الانسان من الضرورات الاساسية للحد الادنى من الرفاهية المقبولة

ISSN : 2625 - 8943

لأي فرد من المجتمع وينظر الى الديمقراطية على انها شكل الحكومة الانسب لانقاذ حقوق الانسان(فاكيه, 2010, ص90).

لا يمكن ان تتحقق التنمية من غير مبدأ الديمقراطية, فهما متلازمتان, **التنمية** من حق الانسان, **والديمقراطية** لا تقوم بغير احترام حق الانسان. كانت الديمقراطية تهتم بمن يحكم الوقت الذي يهتم بحقوق الانسان وبكيفية الحكم فالتنمية تهتم بهما معاً. فنظام الديمقراطية وسيادة القانون يقوما بالاعتماد على احترام حقوق الانسان وحرياته العامة. وان الحق في التنمية احد هذه الحقوق التي تحظى تماما باحترام الدولة تأكيداً لسيادة القانون. يصاغ هذا الاحترام بمفهوم يتفق مع الافاق الرصينة للنمو والابتكار بما يوازي ان تحرير الاقتصاد بوصفه وسيلة لتحقيق التنمية لكل مواطن. فلا تنمية من غير استثمارات تهدف الى ارتفاع الدخل وتوفير فرص عمل ورفع مستوى المعيشة لنجاح السياسات التنموية وتوفير التمويل الكافي لها مقترناً بحرية النشاط الاقتصادي مع احترام سيادة القانون وتطبيق سليم للديمقراطية(البكاء, 2006, ص157).

وان تعزيز حقوق الانسان والديمقراطية هدفه اقامة مجتمع عادل ومنصف غير ان السياسات التي تتبعها البلدان النامية والبلدان الصناعية لا يبدو انها تشمل مبادئ حقوق النسان والديمقراطية كموضوعات اساسية.

يتطلب تعزيز التنمية حكم ديمقراطي شكلا ومضمونا لصالح الشعب بواسطة الشعب فالدول التي لا تستطيع ان تحقق التنمية لشعبها الا تمتلك نظم حكم ديمقراطي يستطيع الجميع المشاركة في الحوارات والقرارات التي تهم حياتهم. فاذا تطلبت التنمية ما هو اكثر من هدف بزيادة الدخل, فالحكم من اجل التنمية يتطلب اكثر بكثير من وجود مؤسسات عادلة وخاضعة للمسائلة تحمي حقوق الانسان والحريات الاساسية اي انها مسار للتنمية ضمن قائمة احتياجات الى حقوق الانسان(خالد, 2015, ص77).

التنمية:-

لم يعد مفهوم "التنمية" مختصاً بالجوانب الاقتصادية، بل شمل الجوانب(الاجتماعيه والسياسية، والثقافية والبيئية) المختلفة، فهي عملية متكاملة من نشاطات التنمية المستدامة, واي تنمية، واي تخطيط لم يحقق الاهداف الموسومة ضمن االمستوى العام، وان نتائجه تشكل عبئ على النمو الاقتصادي والاجتماعي وتشويه مفهوم التنمية واهدافها (فهد,2018, ص396).

أن الحق في التنمية هو حق مكفول لكل فرد وكل مجتمع على حد سواء وهو حق التطور والرقي في كل مجالات الحياة دون استثناء. تعني التنمية التي تفي باحتياجات المجتمع الحاضر دون المجازفة بقدرة أجيال المستقبل.

ان هدف التنمية هو ان يعيش الفرد والجماعات احراراً في مشاركتهم في صنع القرارات التي تهم حياتهم وان تحقيق مبادئ الديمقراطية وحقوق الانسان وحرياته الاساسية تعد أمراً حيوياً. واكد تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٢ ان الحق والحرية اهداف نبيلة ومثالية، بل عنصر حيوي من عناصر التنمية المستدامة، واتاحة الفرص امام الشعوب للتعبير عن آرائهم والتصرف خارج ضغط القيود المفروضة فيما يتعلق بشؤون مجتمعهم، ومشكلات حياتهم، وتمكينهم من المشاركة في عمليتي التخطيط، وصنع القرار، والديمقراطية تتضمن أي بلد تنمية متمحورة حول الانسان لترقية جماعاتاً، وافراداً من مستويات غير مقبولة في سياق حضاري معين الى حالات ارتقاء منظومة اكتساب المعرفة والتي تتضمن عملية نشر المعرفة من جانب، وانتاج معارف جديدة في شتى المجالات العلمية والانسانية والفنية من جانب اخر, وخلص التقرير الاول للتنمية ٢٠٠٢ الذي يعد وثيقة دولية اولى تؤشر مكامن الخلل، وتقرير 2004, ايضاً (حمادي, 2009, ص97), ان نقطة البدء في عملية اعادة بناء المجتمعات البشرية، وتحقيق التنمية المستدامة تتطلب العمل على اربعة محاور هي:- (البكاء, 2009, ص110)

1- احترام حقوق الانسان وحرياته العامة يمهد نحو التمكين لمبدأ الديمقراطية.

2-تمكين المرأة من مجالات التنمية والمشاركة العامة في تطوير المجتمع.

3-تكريس عملية اكتساب المعرفة كحق من حقوق الانسان ضمن منظومة التنمية الانسانية.

4-اعادة بناء القدرات الانتاجية التي تعد مصدراً رئيسياً لرفاهية الانسان والمجتمع.

اشار تقرير التنمية الانسانية لعام ٢٠٠٢ ان المجتمعات تعاني من نقص الحرية وعجز في مجال الالتزام بالحقوق وحريات الاساسية، ونتيجة بطء الاصلاح الديمقراطي ان المواطن حتى القرن الحالي وهو اقل حرية على الصعيد العالمي, وتشير الشواهد الى وجود علاقة وثيقة بين الديمقراطية والنمو الاقتصادي (حمادي, 2009, ص254).

تعد التنمية اداة للتطور اي تغيراً كمياً ونوعياً للعلاقات الاقتصادية، والاجتماعية، فالتنمية تشير الى توسيع الخيارات المتاحة للفرد كي يعيش حياه صحية، ويملك قدرة الوصول الى ما يلزم لتحقيق مستوى معيشي لائق، ويكون قادراً على المشاركة في نمو المجتمع ووفقاً لهذا الرأي فان قياس التنمية قياساً كمياً ليس كافياً، لأنها في اوسع معانيها تشمل بالإضافة الى المؤشرات الصحية والتعليمية والاجتماعية التقليدية مؤشرات حقوق الانسان وحرياته الاساسية، وان المنطقة العربية كما اشار تقرير منظمة العفو الدولية لعام ٢٠٠٢ من اكثر المناطق في العالم تعاني انتهاكات خطيرة لحقوق الانسان، وبهذا سارعت معظم الدول الى تشديد تشريعاتها واجراءاتها التي تنتهك الحقوق الاساسية وحريات العامة..

ماهية التنمية تبرز في جانبين، اولاً: تشكل الامكانات البشرية من خلال تحسين مستوى الصحة والمعرفة والمهارات، وثانياً: انتفاع الناس بقدراتهم المكتسبة من خلال النشاط الاجتماعي او الانتاجي والثقافي والسياسي. وبه اصبح الانتاج وسيلة الى غاية، والغاية هي رفاهيه الانسان.

ان احترام حقوق الانسان يعد أهم مداخل تحقيق (التنمية) لأنه المرتكز المحوري للتنمية الحقيقية يقتضي ان يكون توجه التنمية منطلقاً من بداية هدفها في تحقيق اهداف التنمية الشاملة المتمثلة في القوة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً وادارياً، ولا يمكن تحقيقها الا بتمتعها بالإمكانات الاساسية واستثمارها واطلاق طاقاتها اعتماداً على تأهيلها وتدريبها كماً ونوعياً، وشعورها بمشاركتها الفاعلة بما يرسخ شعورها بالانتماء واخلاصها (خضير , 2009, ص99).

ويتبين ان تحليل مختلف جوانب التنمية لابد ان يبحث امور مهمة والتي تعيق التنمية بصوره عامه وما يتعلق ب(التنمية البشرية)خاصةً الاداء الاقتصادي على صعيد التطورات في نمو متوسط الدخل والبطالة والفقر والاقرار بعدم امكانية شمول جميع مفاصلها وابعادها لتحقيق توازن بين أبعاد التنمية من جهة والبعد البيئي من جهة أخرى، وتهدف إلى الاستثمار الأمثل للموارد والأنشطة البشرية ويؤخذ بعين الاعتبار حاجة الأجيال "للحق في التنمية فهو حق من حقوق الإنسان الأساسية وعلى جميع الدول أن تضع البرامج الإنمائية والتدابير لضمان هذا الحق(جواد, 2019, ص1187).

اما مفهوم ((التنمية الانسانية)) فيستند الى محورين اثنين:-(فاكيه, 2010, ص198) (خضير, 2009, ص95)

1-بناء الامكانات البشرية للتوصل الى مستوى رفاهيه مزدهر من خلال التمتع بمزايا الحياة (الصحة، المعرفة، التعليم، الحرية, الخ).

2-توظيف امكانات الانسان في النشاطات الانسانية كافة (الاقتصادية والسياسية والمعرفية).

ان دراسة التنمية بنوعيها(البشري والانساني) واثر الديمقراطية وحقوق الانسان بتحقيقها يفترضان تكون دراسة موضوعية أي لابد من الاخذ بعين الاعتبار عدد من الضوابط والمؤشرات التي تحدد امكانية مسار الخطوط العامة للتنمية والتخطيط في الدولة بأسلوباً ووسيلة للنهوض باقتصادها. فخطط التنمية ليست اسس معدة، وجاهزة يمكن نقلها من بلد الى بلد، لان من اولى شروط خطط التنمية هي (الواقعية) أي ان اهداف التنمية يجب ان تتفق مع كل من:-

1-الاحتياجات الاساسية للمواطنين ومدى تلبيتها.

2-الامكانيات المادية والبشرية، والمالية المتاحة.

3-اتجاه الايديولوجيا السائدة.

ثانياً : مدى التوافق والترابط بين حقوق الانسان والديمقراطية والتنمية المستدامة:-

ان الترابط بين مبادئ حقوق الانسان والديمقراطية من جهة والتنمية من جهة اخرى ترابط وثيق حيث ان حقوق الانسان والديمقراطية يمكن ان توفر البيئة المناسبة لتحقيق التنمية بشكل سريع ومن ثم تعمل في ذات الوقت على تعزيز احترام حقوق الانسان, وان هذا التقارب يأتي من الوصول من خلال سد احتياجاتهم وتحسين الخدمات وايجاد السبل الكفيلة بالنهوض وتحسين القيم والمؤشرات لتقلل المسافة بين امكانية تأمين متطلبات التنمية ونجاحها من حقوق الانسان وحرياته الاساسية, اي ان مقدار ما منجز ومتوفر من المؤشرات الاجتماعية والصحية والتعليمية مما ينعكس على مدى العملية التنموية بتوفير فرص اكبر لاشاعة حقوق الانسان مما يزيد من فرص نجاح التنمية, وتعتبر هذه الخدمات والمؤشرات من اهم مقاييس توافق التنمية مع حقوق الانسان وحرياته لتحقيق اهداف التنمية المستدامة.(جواد, 2019, ص1198)

بحسب المادة (1) من اعلان الامم المتحدة عن الحق في التنمية فأن "ان لجميع الشعوب ولكل فرد حق المشاركة في تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية والتمتع والاسهام في هذا الحق من التنميه كحق من حقوق الانسان وحرياته الاساسية بصورة كاملة غير قابله للتصرف"(الامم المتحدة, "www.un.org/ar/events/righttodevelopment/pdf/rtdbooklet_ar.pdf", 2019)

فالتنمية تتمحور حول الفرد والجماعات وتلبي الاحتياجات الاساس لهم ووضع البرامج وتنفيذها في العديد من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية, فهي تنمية بشرية مفادها زيادة الخيارات المتاحة امام البشر وتتمثل بثلاث خيارات اساسية، هي :- (ابراهيم, 2021, ص98)

-ان تحيا الشعوب حياة خاليه من الازمات.

-ان يكتسب المعرفة ويحصلوا على المدخلات لتحقيق مستوى حياه كريمة.

-تعزيز وضمان حقوق الانسان، واحترام الذات حرياته الاساسية.

وعند توفر هذه المطالب الاساسية ، فإن الكثير من الفرص الاخرى سيظل صعب التحقيق.

لعب القانون الدولي المعاصر دوراً رئيساً في تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية, ان العلاقات تقوم على المصالح الاقتصادية ومن ثم تسعى الدول والمؤسسات التابعة للأمم المتحدة الى تطوير القانون الدولي للتنمية الذي ينص" على "حق الشعب في تقرير مصيره".

ومن الجهود التشريعية للأمم المتحدة في حماية حقوق الانسان اكد المؤتمر العالمي لحقوق الانسان المعقود في فينا 1993 على الحق في التنمية من الفقرة 10, كما اكد المؤتمر العالمي لحقوق الانسان وعلى ان الحق في التنمية حق متأصل وجزء لا يتجزء من حقوق النسان وحرياته الاساسية.

ان اظهار التقارب بين التنمية ومبادئ حقوق الانسان والديمقراطية يأتي من ان كل منهما يسعى الى جعل الحياة في افضل صورها من خلال تأمين كافة متطلباتها. فتوفر الاحتياجات او الخدمات الصحية والتعليمية والمعيشية من بين اهم الاهداف التي تسعى التنمية الى تحقيقها والتي لها صلة بحقوق الانسان الاصلية مما يتطلب استراتيجية واسعة للنهوض بالواقع وبناء انظمة مجتمعية ورفع كفاءة المستوى المعيشي, فضلاً عن تطوير المؤسسات المعنية بتوفير الخدمات بما يتوافق مع التطور الحاصل على المستوى العام (ابراهيم, 2019, ص107).

وتوافق احتياجات المجتمع الداخلي والدولي وممارسة السلطة الاقتصادية والسياسية والادارية لإدارة شؤون الحياة على كافة المستويات وتتضمن الاليات والممارسات التي يستطيع من خلالها الشعب التعبير عن طموحهم ليمارسوا حقهم وتمثيلها الحقيقي والذي يرتبط بالتنمية الاقتصادية والقضاء على الفساد وتوجيه الاهداف كلها الى اصلاح المجتمع.

من اهم ركائز منظومة القيم والحقوق التي لها تأثير على التوافق، فالسعي الى تنفيذ هذه الحق ينعكس ايجابياً على امكانية تحقيق اهداف التنمية. وتأتي هذه الركائز سواء في الخطط والبرامج التنموية بحلقة مهمة في حياة الانسان والمجتمع كجزء من منظومة الحقوق والحريات وتهيئة جميع الجوانب المرتبطة بها, لذا يجب العمل على تطوير مختلف المجالات (فهد, 2018, ص399).

وتبين ان نجاح عملية التنمية المستدامة او فشلها يتوقف على وجود المناخ الملائم لتحفيز النمو والتطور وتشجيع الابتكار وذلك يتم في إطار تأسيس الديمقراطية وحقوق الانسان التي في مقدمة مسؤوليتها التنمية المستدامة للنهوض بالإمكانات البشرية التي تنهض بالعملية والتنموية وتحقق الرفاهية للمجتمع.

خاتمة البحث

1-النتائج:-

من جملة الاستنتاجات التي توصلت اليها الدراسة :-

1-ان تعزيز ونشر ثقافة حقوق الإنسان وحرياته من الديمقراطية اهم ما تقوم عليه مرتكزات التنمية المستدامة مما يعكس الاستقرار والتواصل.

2-ان تلبية احتياجات ومتطلبات الانسان وعدم المساس بحقوقه المشروعة هو اساس تحقيق التنمية المستدامة.

3-يرتبط التعزيز ارتباطا وثيقا بالحماية والوعي والمعرفة بهذه الحقوق وأن الافتقار لها ينتج عنها إجراءات تنتهك مبادئ حقوق الإنسان.

4- من الضروري أن تكون هناك شراكة فعلية بين المفوضية العليا لحقوق الإنسان ووسائل الاعلام لما للإعلام من تأثير على الوعي واثارة القضايا فضلاً عن الدور الرقابي.

5-ان ترسيخ وتعزيز هذه الحقوق من خلال التعاون الدولي هو اساس التنمية المستدامة ويتحقق من خلال تنفيذ الدراسة والمقالات ورفع التوصيات وابداء القرار في برامج التنمية المستدامة.

6-ان المفوضية العليا لحقوق الانسان ليست الجهة الوحيدة التي تسعى لتعزيز حقوق الانسان واشاعة الوعي بل تشاركها في هذه المهمة العديد من الجهات المحلية والدولية من المنظمات والمؤسسات غير الحكومية.

2-المقترحات والتوصيات:-

1-ضرورة التثقيف وغرس قيم حقوق الإنسان ل تشجع على احداث تغيير في السلوك دون الحاجة الى فرض اجراءات رادعة وعقابية.

2-من الضروري اجراء مراجعة شاملة لتعزيز حماية حقوق الانسان واعادة النظر في اليات الحماية التي تصنفها الدول باسم حقوق الانسان.

3-ضرورة الالتزام الدولي بحماية حقوق الانسان واشاعة مبادئ الديمقراطية من خلال اتخاذ كافة الاجراءات التي تجعل التشريعات متماشية مع الالتزامات .

4-تظافر الجهود من خلال المجالات الاجتماعية والاقتصادية الجادة لاجل تحقيق حقوق الانسان وحمايتها دولياً من خلال عدة اليات للتنمية الا ان اهمها تعزيز حقوق الانسان وحرياته ومبادئ الديمقراطية.

5- ينبغي تعزيز التعاون مع المنظمات الحكومية وغير الحكومية، الدولية والاقليمية، العاملة في مجال حقوق الإنسان، من أجل الاستفادة من خبرتها في نشر التوعية، واشاعة ثقافة حقوق الإنسان من خلال عقد المؤتمرات والبرامج التدريبية.

6- وضع الخطط الاستراتيجية وبرامج التوعية(الادوات والانشطة) والتثقيف التي تتناسب مع المستوى الفكري للشعب وتحديد القضايا الرئيسية التي تريد تهم الطبقة المستهدفة.

الهوامش:-

1-خالد, حميد حنون, حقوق الانسان, بيروت, 2015, ص197.

2-ابراهيم, منال محمد, حقوق الانسان في المؤسسات التربوية, مجلة نسق, مجلد 32, عدد 4, 2021, ص29.

3-حمادي, حافظ علوان, حقوق الانسان, بغداد, 2009, ص125.

ISSN : 2625 - 8943

4-فاكيه, سقني, وموسي بلعيد, التنمية الانسانية وحقوق الانسان, رسالة ماجستير, كلية الحقوق, جامعة فرحات عباس-سطيف, 2010/2009, ص90
5-البكاء, محمد عبد المطلب, الديمقراطية وحقوق الانسان ودورهما في تحقيق التنمية المستدامة, مجلة الباحث الاعلامي, جامعة بغداد, المجلد (1), العدد(2), 2006, ص157.
6-خالد, حميد حنون, مصدر سابق, ص77.
7-فهد, مازن عجاج, علي عدي مراد, جهود الامم المتحدة في حماية وتعزيز حقوق الانسان دولياً, مجلة جامعة تكريت للحقوق, مجلد3, عدد2, 2018, ص396.
8-حمادي, حافظ علوان, مصدر سابق, ص97.
9-البكاء, محمد عبد المطلب, مصدر سابق, ص110.
10—حمادي, حافظ علوان, حقوق الانسان, بغداد, 2009., ص254.
11-خضير, ياسين خضير, ضمانات حقوق الانسان وكيفية تطويرها وتطبيقها في العراق, مجلة جامعة كربلاء, المجلد(7), العدد(2), 2009, ص99
12-جواد, خالد سلمان, دور التنمية المستدامة في تعزيز حقوق الانسان, عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الدولي لكلية الاداب جامعة القاهرة وكلية التربية الاساسية جامعة بابل, مجلة كلية التربية الاساسية , جامعة بابل, 2019, ص1187.
13-فاكيه, سقني, وموسي بلعيد, مصدر سابق, ص198.
14-خضير, ياسين خضير, مصدر سابق, ص95.
15-جواد, خالد سلمان, مصدر سابق, ص1198.
16-الامم المتحدة, حقوق الانسان, مكتب المفوض السامي, اعلان الحق في التنمية, 2019. وعلى الموقع الالكتروني:-
www.un.org/ar/events/righttodevelopment/pdf/rtd_booklet_ar.pdf
17- ابراهيم, منال محمد, مصدر سابق, ص98.
18-ابراهيم, منال محمد, نفس المصدر, ص107
19- فهد, مازن عجاج, علي عدي مراد, مصدر سابق, ص399.

المصادر:-

1-ابراهيم, منال محمد, حقوق الانسان في المؤسسات التربوية, مجلة نسق, مجلد 32, عدد 4, 2021.

2-البكاء, محمد عبد المطلب, الديمقراطية وحقوق الانسان ودورهما في تحقيق التنمية المستدامة, مجلة الباحث الاعلامي, جامعة بغداد, المجلد (1), العدد(2), 2006.
3-جواد, خالد سلمان, دور التنمية المستدامة في تعزيز حقوق الانسان, عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الدولي لكلية الاداب جامعة القاهرة وكلية التربية الاساسية جامعة بابل, مجلة كلية التربية الاساسية , جامعة بابل, 2019.
4-حمادي, حافظ علوان, حقوق الانسان, بغداد, 2009.
5-خالد, حميد حنون, حقوق الانسان, بيروت, 2015.
6-خضير, ياسين خضير, ضمانات حقوق الانسان وكيفية تطويرها وتطبيقها في العراق, مجلة جامعة كربلاء, المجلد(7), العدد(2), 2009.
7-فاكيه, سقني, وموسي بلعيد, التنمية الانسانية وحقوق الانسان, رسالة ماجستير, كلية الحقوق, جامعة فرحات عباس-سطيف, 2010/2009.
8-فهد, مازن عجاج, علي عدي مراد, جهود الامم المتحدة في حماية وتعزيز حقوق الانسان دولياً, مجلة جامعة تكريت للحقوق, مجلد3, عدد2, 2018.
9-الامم المتحدة, حقوق الانسان, مكتب المفوض السامي, اعلان الحق في التنمية, 2019. وعلى الموقع الالكتروني:- www.un.org/ar/events/righttodevelopment/pdf/rtd_booklet_ar.pdf

جدلية النظريات الأدبية بين القديم والجديد - نظرية الانزياح نموذجاً

The dialectic of literary theories between the old and the new- The theory of deviation as a model

جهاد فيض الـ إسلام أستاذ مساعد في جامعة طهران - إيران
إيميل:feyzoleslam@ut.ac.ir

المستخلص

هدفت الدراسة إلى استخلاص التحولات الجمالية وتطور نظريتها، فالشعر مرّ بتحولات كثيرة في موضوعاته وفنونه وجمالياته في الغرب والشرق، ولذلك كان على الشعر أن يتحوّل في جمالياته أيضاً، فالشعر يتجدد من وقت إلى آخر كما يتجدد طائر العنقاء إذا أصابه الضعف، لتبقى حيويّته وجمالياته وإثارته الأحاسيس، وقد تناول الباحث من خلال هذه الدراسة الجماليات الشعرية باعتبارها الدعامة الفنية التي يميز بها الشعر العربي، وتعد من أهم مميزاته وخصائصه المهمة، ولتحقيق هدف الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته لمثل هذا النوع من الدراسات، ولذا فقد اشتمل البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة لمجموعة من النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الكلمات المفتاحيّة: الأدبية، النظرية، الشعر، النظريّات، الأدب ، الانزياح

Abstract

The aim of this study is to extract the aesthetic transformations and the evolution of its theories. Poetry has undergone numerous transformations in its themes, techniques, and aesthetics in both the West and the East. Consequently, poetry had to evolve in its aesthetics as well. Poetry rejuvenates itself from time to time, akin to the phoenix rejuvenating when weakened, to maintain its vitality, aesthetics, and emotional impact. Through this study, the researcher addressed poetic aesthetics as the artistic and aesthetic cornerstone that distinguishes Arabic poetry, constituting one of its most important characteristics and significant features. To achieve the study's objective, the researcher employed a descriptive-analytical methodology suitable for this type of research. Consequently, the research comprised an introduction, four sections, and a conclusion presenting a set of findings derived from the study.

Keywords: Literary, theory, poetry, theories, literature, deviation

المقدمة

الشعريّة والجماليّة تعتبر من الأبحاث المهمة والمثيرة للجدل في الوقت نفسه، فالشعر خيال ورؤيا وجمال وجماليات، والشعراء هم أمراء الكلام، الشعر هو الذي يبعث الحيويّة في الأدب، والأدب ليس تحليل ومعرفة الشعر فقط، بل معرفة جماليات الشعرية أيضاً.

لقد حفل الشعر العربي ومنذ عرف الإنسان الشاعريّة، وعبر العصور المختلفة بالجمالية الشعرية، لأنها الركيزة والمقومة له، فالجمالية هي الدعامة الفنيّة التي يتميّز بها الشعر العربي، وتعد من أبرز سماته وخصائصه الذاتيّة، ولذا كل عمل أدبي يعتمد على مجموعة من العناصر التي تتألف فيما بينها فتشكل ذلك العمل الأدبي، والجمالية الشعرية هي أهم مكونات الشعر إذ لا شعر دونها، ولذا لها الأهمية الخطيرة والعناية البالغة، ومن هنا وعبر الأزمنة المختلفة جعلت فنّاً أدبياً رفيعاً يستودعه الإنسان أحاسيسه ويبيّن فيه أفكاره وما يختلج في مخيالته الذهنية، ليعبر في ذلك عن نفسه وإنسانيته ومجتمعه وبيئته التي ينتمي إليها، فمنشأ أهميّة الدراسة هو الجمال الخيالي الذي يعتبر الركيزة الأساس للشعر بصفة خاصة، والجماليّة الشعريّة ونظرياتها هي محور الدراسة، لهذا حاول الباحث رصد هذه النظريات والتطورات التي مرّت بها، وهذا ما يميّز هذا البحث عن غيره من الدراسات الأبية والشعرية الأخرى، وأما الصعوبات التي واجهت الباحث فكثيرة ومن أهم تلك الصعوبات هي عدم توفر المصادر المناسبة لهذه الدراسة .

أولاً: الإشكاليّة والفرضيات

تبرز إشكاليّة البحث في السؤال الرئيس وهو: ما هي أهم التطوّرات والنظريّات التي مرّت بها الجماليات الشعريّة؟ وتفرّع من هذا السؤال مجموعة من الأسئلة منها: ما معنى الجماليّة الشعريّة؟ هل يوجد تطوّرات جديدة بالنسبة إلى الجماليّة الشعريّة؟ ما هي نظرية جماليّة المحاكاة؟ كيف وظّف الشعراء نظرية جماليات الرومانسيّة في شعرهم؟ ما هي نظرية الانزياح وجمالياتها وكيف وظّفها الأدباء في قصائدهم؟ وانبثق من هذه الإشكاليّة مجموعة من الفرضيّات ومنها:

- وجد النص الشعري الواحد قراءات متنوّعة ونظريات إبداعية حديثة وقديمة.
- النظريات الجديدة في جماليات الشعريّة ما زالت قيد التطوّر والتبلور في الشعر العربي المعاصر، ولم تزل بحاجة إلى كثير من التوسّع والتنظير الفكري والأدبي.
- نظرية الانزياح هي من أهم النظريّات الجديدة في الأدب المعاصر.

وقد حاول الباحث معالجتها من خلال هذه المداخلة الموسومة " ظاهرة الشعريّة وجماليّاتها دراسة وصفية لظاهرة نظريات الجماليّة الشعريّة "

ثانياً: منهج البحث

يتّبع هذا البحث ذات النزعة الوصفية المنهج الوصفي التحليلي، ويتابع الباحث من خلال هذا المنهج في هذا البحث أهم التحولات التي مرت بها الجمالية الشعرية وما هي أهم تطوّرها وأهمّ النظريّات الحديثة في هذا المجال ويصف مجموعة الإجراءات والبيانات البحثية التي تهمّد لوصفها وتحليلها وذلك للوصول إلى نتائج موضوعية، ولذا فقد اشتمل البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة لبعض النتائج، هي على النحو الآتي:

جاءت المقدمة بعد المستخلص، ثمّ في المبحث الأول تحدّث الباحث عن مصطلحات ومفاهيم البحث، وأمّا المبحث الثاني فهو يناقش جماليات الشعرية في المحاكاة ونظريتها. وتحدث المقال في المبحث الثالث عن نظرية جماليات الرومانسيّة، أمّا المبحث الرابع فجاء الكلام فيه عن نظرية الانزياح وجمالياتها، ثمّ ختم البحث ببعض أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

ثالثاً: أهمّية البحث

الشعرمرّ بتحولات وتطورات كثيرة في موضوعاته وفنونه وجمالياته في الغرب والشرق، ولذلك كان على الشاعرية والجماليات الشعرية أن تتحوّل هي أيضاً، لتبقى حيوية الشعر وحيوية جمالياته كذلك، ولذا ظهرت كثيراً من النظريات الجديدة في هذا المجال، فأهمية الدراسة تنبع من أهمية التعرّف على هذه النظريات ومناقشتها حد الإمكان، قد استفاد الباحث من مصادر ودراسات هذا البحث في تعميق رؤيته وفكره وفهمه لنصوصها الأوليّة، محاولة منه لتحليل موضوعاتها ووصفها ومناقشتها ومرورها، والهدف الأساس هو إثراء المكتبة العربيّة بمزيد من الدراسات حول موضوع البحث.

رابعاً: أهداف البحث

تتمحور أهداف البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف التي تشكّل منطلق الدراسة وأصولها، ومنها:

- إثارة الاهتمام وإلفات النظر والتأكيد على أهميّة دراسة تطور مسار الشعر وجمالياته.
- وصف أهم النظريات التي ركّزت على الجماليات الشعرية المعاصرة.
- وصف ومناقشة المظاهر الفنية وأبعادها الشاعرية والشعرية والجمالية.

خامساً: الدراسات السابقة

من خلال البحث في المكتبات وتصفّح الشبكات العنكبوتيّة لم يطلع الباحث على دراسة ذات صلة مباشرة بالموضوع، إلا أن بعض الدراسات غير مباشرة تفرّدت كل منها بخصوصية ورؤية حيث أهداف وفكر كتّابها وباحثيها، وهي مفيدة في حد ذاتها للاستفادة منها في مجالاتها، ومن أهم تلك الدراسات التي عثر عليها الباحث هي:

- دراسة: "في الجماليات" لإدغار موران الشعر مقاومة لقسوة العالم والحياة والإنسان "1399م"، جاءت دراسة الفيلسوف وعالم الاجتماع ملاحظات حول الجمال والفن والشعور الجمالي فكانت الدراسة إلقاء نظرة فلسفية اجتماعية حول الأمور الآنفة، فهو يرى الجماليات عنصراً مهماً في الثقافة وفي حياة الإنسان.

- دراسة: "البنية الجمالية في القصيدة العربية الحديثة" لأيوب نبيل "1992م"، لم أتمكن من العثور على الكتاب.

- دراسة: "النظريات الجمالية في المذاهب الغربية الحديثة لأسامة خضراوي" 2015م، الباحث ركّز في دراسته على فلسفة التلقي عند أرسطو والتيار الجمالي الألماني من بورمان إلى كانط وهيجل وشو بنهاور.

- دراسة: فلسفة النظريات الجمالية لغادة المقدم عذره "1996م" وهو كتاب في علم الجمال وتاريخ الجمال وفلسفة علم الجمال ودروس في أصولها وماهيتها وأشكالها.

- دراسات: متفرقة أخرى حول جماليات الشعر عند بعض الشعراء، والكتب والدراسات المتقدمة تختلف عن البحث في الكم والكيف والرؤية ولو أنها تشترك معها في الموضوع بشكل عام.

المبحث الأوّل: مصطلحات ومفاهيم

المفاهيم والمصطلحات في العلوم الإنسانيّة متغيّرة من زمان إلى آخر ومن مكان إلى مكان، فهي لا تثبت على شكل من الأشكال ولا حال من الأحوال، ولهذا تحديدها تحديداً دقيقاً لعله أمر متعذّر بل أحياناً شبه محال، ومصطلح الجماليّة ومصطلح الشعريّة والشاعريّة لا يخرج عن هذه القاعدة العامة ولا يستثنى.

ويظهر أنّه "من أكثر المصطلحات تغييراً واختلافاً بين الأمم، فهو المصطلح الذي كثر الصراع حوله بين القديم والجديد خاصة عند العرب لأن الشعر هويّتهم وثقافتهم، فكل جماعة تذهب إلى تبيين الشعر حسب صناعتها، ومن هنا بدأت الاتجاهات والتيارات الشعرية عند العرب وغيرهم، فالاتجاه الأول الصنعة، ويحكّمونه ويجددون صنعته وبنيته، وهكذا عند الرمزيين كمالارمية وفاليري.

أما الاتجاه الثاني وهم أصحاب الطبع حيث يذهب أصحاب هذا المعتقد إلى أن الشعر نعمة إلهية خالصة تتنزّل على من يشاء من السماء ككثير من الشعراء الرومانسية في العصر الحديث، والمذاهب الأدبية المعاصرة صنّفت ضمن أحد هذين الاتجاهين، ثم جرت هذه التقسيمات إلى الشاعر والشعر وقسمت القصائد تحت هذه التيارات فيما بعد، ويرجع هذا الاختلاف والتقسيم إلى الرؤية التي ينظر من خلالها الشاعر.

ومن هنا اختلاف الشعرية، أيضاً، البعض يرى أن الشعر وزن وقافية وأن الوزن من أهم عناصره المهمة، وله شأنه في تطهير الأخلاق والأيديولوجيا، ولهذا فإن مصطلح الشعرية متبدّل وغير مستقر ومعياره مختلف مكاناً وزماناً فهو عند أرسطو المحاكاة وعند الرومانسيين الشكل الفني وعند جان كوهن هو الانزياح وعند كريستيفا هو التناص وعند بارت وإيكو هو النص المفتوح وهكذا" (الموسى، 2008م، ص 11-13بتصرّف).

ونجد هذا الاختلاف في معايير ومقاييس المصطلح أيضاً فالبعض يرون أنّ العقل هو المعيار في الشعر والشعرية والشاعرية وآخرون يرون أنّ الخيال والاحاسيس هو المعيار كما نلاحظ هذا عند الرومانسيين، "ولذا جان كوهن في كتابه بنية اللغة الشعرية وكذلك كتابه الكلام السامي، فهو لم يقبل قصيدة النثر أو الشعر السريالي لأن الشعر عنده هو الكلام السامي الذي لا يرتقي إليه أيّ كلام آخر، وقال ان للشعر طبيعة سلطانية، امّا أن يظل سيداً أو يتنحى" (كوهن، 1966م، ص 78).

أ- مصطلح الشعرية poetics

هذا المصطلح له مفهوم عام وشامل هو قوانين الأعمال الأدبية والخطاب الأدبي، ويظهر أنّ هذا المصطلح نطق به أرسطو للمرّة الأولى في كتابه فن الشعر أو الشعريّة، ولكن أنّ مصطلح الشعريّة فيما بعد وفي الوقت الحاضر اتّسع، وتغيّر كثيراً وذلك حسب النظريّات الأدبيّة الحديثة، فصار شاملاً لفنون ومفاهيم ومصطلحات إبداعيّة وأدبيّة جديدة كنظرية الفجوة عند كمال أبو ديب ونظرية الانزياح عند جان كوهن وغيرها.

فهذه النظريات لا تقف عند اللغة والنص فقط، بل تتعداهما إلى التصورات الذهنيّة والفن التشكيلي وغير ذلك، بل وحتى الظواهر الثقافية والاجتماعية وغيرها أيضاً، فاللغة والنص اللغوي ما هو إلا الجسر والمنطلق نحو أمور شتّى.

"الشعرية ذات مصطلحات متعددة في التراث النقدي العربي، فمفهومها العام هو البحث عن قوانين الإبداع، ولكن ذكرت لهذا المفهوم مصطلحات متنوعة أخرى منها: شعرية أرسطو، ونظرية النظم للجرجاني، وتوسع العبارة بتكثير الألفاظ وظهور سمات على النص عند الفارابي، والمتعة والتناسب المحفزين على تآليف الشعر عند ابن سينا، والأقاويل الشعرية المستندة إلى المحاكاة والتخييل عند حازم القرطاجني، وأما في التراث النقدي الغربي جاء مفاهيم الشعرية مختلفة ذات مصطلح واحد كما نلاحظ هذا عند ياكبسون في نظرية التماثيل equivalence وعند جان كوهن في نظرية الانزياح deviation وعند كمال أبو ديب في نظرية الفجوة: مسافة التوتر، وأما مصطلح الشعرية poetics في الدراسات الحديثة فهو متنوع جداً، فترجمه سعيد علوش إلى الشاعرية، وترجمه تودوروف إلى علم نظرية الأدب،

وكوهن إلى الشاعرية أي علم موضوعه الشعر، وبعض آخر ترجمه إلى فن النظم، وبعض قال فن الإبداع، وآخر أطلق عليه مصطلح علم الأدب، وبعض أطلق عليه نظرية الشعر وهكذا"(انظر: ناظم،1994، ص 11 - 17).

موضوع الشعرية

تسعى الشعرية لكشف قوانين الإبداع في بنية الخطاب الأدبي بوصفه نصاً وليس أثراً أدبياً – ولذا - يجب أن تهيئ الشعرية الوسائل لوصف النص الأدبي كـ مستويات المعنى، تعيين الوحدات التي تشكّلها، وصف العلاقات بين الوحدات، دراسة الأنواع أو الأجناس، قوانين تاريخ الأدب" (ناظم، 1994م، ص33).

الأثر الأدبي والنص الأدبي

إنّ الأثر الأدبي هو إنتاج المؤلف الحقيقي، أمّا النص فهو إنتاج القارئ، الذي يوسع من أبعاده بالقراءة، هاهنا، إذن، نص للمؤلف ونص للقارئ، وطبقاً لهذا ينفي تودوروف أن تكون ثمّة إمكانية للأثر الأدبي أن يكون موضوعاً للشعرية، ذلك أن الأثر الأدبي عمل موجود، وموضوع الشعرية هو العمل المحتمل، العمل الذي يولد نصوصاً لا نهائية.(المصدر نفسه، ص 34).

التمايز بين الأدبية والشعرية

تعريف الأدبية، "في النظرية السميائية للأدب، بكونها تسمح بتمييز كل نص أدبي بالنسبة للنصوص غير الأدبية، في دراسة الشكلانيين الروس خاصة، الأدبية هي من الحقول الموازية والأقرب للشعرية، وقد كانت أسبق في الظهور في عالم النظرية منها ومن مدلولات مفاهيم الأدبية:

- الأدبية مصطلح سيميائي يخص النصوص الأدبية فقط أي الأدبية مقياس لتمييز النصوص الأدبية من غيرها(علوش، 1984م، ص 19).

وبناء على هذا أنّ الأدبية والشعرية يشتركان في غاية واحدة، فمفهوم الأدبية يوازي المفهوم للشعرية في الأهداف، إلّا أن الأدبية تارة تتخلى أحياناً تكون مفهوماً نظرياً مستقلاً لفهم الأدب.

الشعرية والأسلوبية

يندرج عمل الشعرية ضمن إطار عام، بينما عمل الأسلوبية ضمن عمل خاص، فمن الصحيح إن لكل نص مظاهره الأسلوبية الخاصة التي يسعى الأسلوبي للكشف عنها، وهذا مجال من مجالات دراسة النص، غير أن من الصحيح أيضاً أن للنصوص كافة قوانين توجهها وجهة أدبية ويسعى المنظرون في الشعرية للكشف عنها.

فالشعرية تبحث في قوانين الخطاب الأدبي عبر اجرائياتها الخاصة، فمرجعها الأول والأخير هو الخطاب الأدبي نفسه (ناظم، 1994م، ص 8).

الشعرية لم تنحصر في مجال نظريات الأدب، بل اتسعت لتشمل جماليات الزمان والمكان والتصورات الخيالية والذهنية والفنون الأخرى كالفن التشكيلي والفن السينمائي وكل فن إبداعي مرتبط بالنص وقابل للتحليل المناسب كالتحليل الأيديولوجي، والعقائدي، والأخلاقي، والنفسي، والاجتماعي وغير ذلك، فالنص ثابت ولكن الاختلاف في طبيعة المفاهيم والتلقي والتحليل (المصدر نفسه، ص33).

تهتم الأسلوبية "بدراسة الخصائص اللغوية التي تحوّل الخطاب عن صياغه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية فيتحول إلى إبلاغ رسالة دلالية" (المسدي، 1982م، ص 36). وبعبارة أخرى إن الأسلوبية هي الأساس للشعرية الحديثة والمنطلق لجذوتها.

محاولة الشكلانيين الروس

جاءت محاولة الشكلانيين الروس في نظرية الشعرية الحديثة، بعد إحساسهم بضرورة إيجاد علم للأدب، أي وضع أسس وقوانين ومبادئ له من الأدب نفسه، لتكون تلك الأسس منهجيّة متغيرة وغير ثابتة، تنسجم مع التطبيقات الأدبية دون منهجيّة معيّنة ومحدّدة " فليس المهم منهج للدراسات الأدبية، بل منهج الأدب كموضوع للدراسة" (ايخنباوم، 1982م، ص 30).

تتمحور نظرية الشكلانيين الروس على الموضوع وليس على منهج خاص، والمهم لديهم هو الواقعية الأدبية الخام ذاتها. وبعبارة آخرى كما يرى ياكوبسون " أنّ موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب وإنّما الأدبية أي ما يجعل من عمل ما عملاً أدبياً" (المصدر نفسه، 1982م، ص 35). ومن هذا المنطلق يكون البحث والموضوع متمركزاً على أدبية الأدب باعتباره لغة دون التأمّل والاعتبارات الأخرى.

ب- الشاعريّة:

الشاعرية مصدر صناعي من شاعر وبمعنى موهبة قول الشعر كما جاء في معجم المعاني الجامع، ويستخدم هذا المصطلح للتعبير عن العاطفة والإحساس وذلك للتعبير عن الجوهر الشعري الذي يتصف به شاعر من الشعراء، والشاعرية تتكون من عناصر أهمها: الإبداع والموهبة والقدرة الشعرية والأسلوب الشعري والرسالة الشعرية، وبهذه العناصر يتوصل بها الشاعر إلى مستوى شعري يميزه عن غيره من الشعراء.

ج- الجماليّة:

وأمّا مصطلح الجماليّة فهو يتصل بعلم الجمال وبما هو فنّي يشير إلى مجموعة معنية من المعتقدات حول الفن والجمال ومكانتها في الحياة"(جونسون، 1983م، ج1، ص274) ولذا يذهب الكثير إلى أن الفن

بما فيه الشعر يمتع لما فيه من جماليات، بعيداً عن الأفكار والمذاهب والعقائد والأيديولوجيات بكل أنواعها.

فالجمالية الشعرية ليست مجرد مجموعة من الكلمات، بل هي رحلة إبداعية تأخذ القارئ في عالم متعدد الأبعاد من المشاعر والأفكار. إنها فن يتيح للشاعر التواصل وبأجمل طرق، مع العالم من حوله، تبيّن الجمالية التعبير الإنساني، وهي تجسد الإبداع والتفرد في استخدام اللغة. يتيح للشاعر التواصل مع العالم وذلك من خلال مشاعره وأفكاره بطرق تثير الإعجاب.

والجمالية إمّا أخلاقية وأمّا فلسفيّة وأما نفسيّة، والنفسيّة هي البحث في الآثار الفنية من جهة ما هي وثائق نفسية تكشف عن طبيعة صانعيها أو طبيعة الجمهور الذي يتذوقها. ويقابله علم الجمال النفسي وعلم الجمال الاجتماعي، وعلم الجمال الفلسفي" (صليبا، 1982م، ج1، ص409).

د- الجمالي:

مصطلح الجمالي ترتبط بمفهوم الجمال كقيمة فنية أو فلسفية. يُستخدم هذا لوصف ما يتعلق بالجمال البصري والإحساس الفني ويمكن استخدامها للإشارة إلى التجربة الجمالية في الفن، الموسيقى، الأدب، التصميم، وما إلى ذلك. على سبيل المثال، "الجوانب الجمالية للفن المعاصر" تشير إلى الجوانب التي تتعلق بالجمال والفلسفة في الفن المعاصر. والفرق بينه وبين الجميل واضح، فالجميل يشير إلى الجانب الفلسفي والنظري في مفهوم الجمال، في حين يُستخدم الجمالي لوصف العناصر والجوانب البصرية والحسية للجمال في الفن والتصميم الجميل، وكلمة الجميل تستخدم لوصف شيء معين أو شخص يتصف به الجميل" (قاموس أكسفورد الإنجليزي، الذكاء الاصطناعي، 2023م).

وكما نلاحظ أن الفرق بين الجميل والجمالي مفهوم نسبي متغير وهو مرتبط أيضاً بعصره وزمانه وبيئته، فالجميل في عصر لعله لا يكون جميلاً في عصر وزمان آخر، لذا يرى البعض أن الشعر فيما يحققه من مكاسب خيالية جميل وفيه جمالية ويعتقد آخر أن الشعر رسالة إنسانية بشرية.

وأما علم الجمال فهو "علم يبحث في شروط الجمال، ومقاييسه، ونظرياته، وفي الذوق الفنّي، وفي أحكام القيم المتعلقة بالآثار الفنيّة، وله قسم نظري عام، وقسم عملي خاص" (صليبا، 1982م، ج1، ص408).

المبحث الثاني: الجمالية في المحاكاة

تتجلى الجمالية التي تظفي على الشعر والأدب الجمال في مجموعة متعددة ومتنوعة إبداعيّة ومثيرة من العناصر والفنون الأدبيّة منها:

- اختيار الكلمات بعناية وترتيبها بشكل يستحضر المعاني الخيالية المتعددة التي تتيح للغة الشعرية استخدام التشبيهات والاستعارات والتعابير الغنية التي تضفي جمالًا على النص الشعري، لأن الشعر يتألف من إيقاعٍ يمنحه نغمةً خاصة. كما تلعب القوافي دورًا في تحقيق تناغم بين الأبيات ويُعَدُّ استخدام الصور والتشبيهات من أهم سمات الجمالية الشعرية، وتُساهِم هذه الصور في تجسيد الأفكار والمشاعر بشكلٍ ملموس، مما يُزيد من تأثير القصيدة لدى المتلقي، أيضاً الجمالية في اختيار الكلمات يعد وسيلة للتعبير عن العواطف والمشاعر الإنسانية.

- استخدام الرموز والرمزية أداة أخرى لإضفاء الجمالية على الشعر. إنها تسمح بتفسيرات متعددة وتعمق في الدلالات والمعاني

- الجمالية الأدبية ليست مجرد مجموعة من الكلمات، بل هي رحلة خيالية وإبداعية تأخذ المتلقي إلى عالم المشاعر والأفكار يتيح له التواصل مع العالم وذلك من خلال مشاعره وأفكاره. فنلاحظ هذا التجلي واضحاً في جماليات الأدب القديمة ولكن في العصور المتأخرة إضافة إلى هذه الجماليات برزت نظريات جمالية في الشعرية المعاصرة وصارت ظاهرة مثيرة للجدل وكثر النقاش حولها، ومن أهم النظريات الشعرية الحديثة يمكن أن يقال:

أولاً: نظرية المحاكاة

المحاكاة لفظ يوناني "Mimesis" وفكر إغريقي، فهي عند " أفلاطون تعني التشبه والتقليد للأعلى والأرقى ، وهي مرحلة من مراحل الديالكتيك، ويرى فيثاغورس أن الرسم والدراما والشعر والأغاني محاكاة ولكن بمعنى ضيق" (الجمهورية، ص251) وكذلك(وهبة، 2007م، ص 578).

"فالمحاكاة بوجه عام تطلق على التقليد والمشابهة في القول، وتطلق بوجه خاص على ما يتصف به الحيوان من المشاكلة للبيئة الذي يعيش فيها، والمحاكاة أيضاً هي التقليد اللاشعوري الذي يحمل الإنسان على الاتصاف بصفات الذين يعيش معهم كاقتباس أفكارهم" (صليبا، 1982م، ج2، ص349-350).

كما "يذهب أفلاطون إلى أن بعض الأعمال الفنيّة محاكاة بمعنى حقير، أي أنها خداع"(وهبة، 2007م، ص 578). وعند أرسطو "الفن محاكاة الطبيعة والمحاكاة في طبيعة الإنسان منذ الطفولة. فإحدى ميّزاته أنه أكثر الكائنات ميلاً إلى المحاكاة" (وهبة، 2007م، ص 578). ويظهر أنّ نظرية المحاكاة قد مرّت بعدة مراحل حتى وصلت إلى أفلاطون وتطوّرت على يد أرسطو الذي بسط الكلام حولها وحدد ثغورها في كتابه "فن الشعر أو الشعرية كما يحلو للبعض ترجمته".

اتخذ أرسطو موقفاً مناقضاً لموقف أفلاطون في قضية المحاكاة التي تشكّل عالم المثل والأفكار المجردة عند أفلاطون، فأنّ أرسطو يعتقد بعالم الخيال وأنّ المحاكاة منشؤها دافع نفسي وهي ضرب من الإبداع ومن خلال هذا الإبداع يؤدي الفن ما عليه من مهام ومن وظيفة، حيث يرى أرسطو " أن الحكاية يجب أن تؤلف على نحو تجعل من يسمع وقائعها يفزع منها وتأخذه الرحمة بصراعها وإن لم يشهدها" (أرسطو، فن الشعر، ص38).

الملاحظ وبشكل عام الفن والأدب ولا سيّما الشعر منه في الفكر الإغريقي القديم، يعبّر عن قيمة جماليّة له ولعلّ هذا ما جعل لونجينوس يرى " أرواحنا تتأثر غريزياً - بالأدب – ثمّ تحلّق بكبرياء، وهي تفيض بالسرور والزهو، وكأنها هي التي أنتجت ما سمعته" (عودة خضر، 1997م ص25). وتجلّت الشعرية والجمالية أكثر وضوحاً في أشعار هوميروس الشاعر الأعمى في ملحمته "الإلياذة" وملحمته "الأوديسة" اللتان تعتبران من أرقى أنواع الشعر في العالم حيث استخدم فيهما كلمات وتعبيرات تدلّ على الجمالية كتعبير الجميل، الرائع، وهكذا.

""ثم جاء أفلاطون وهو الذي تربّى تربية أرستقراطية ووقف ضد الديمقراطية ولم يدل بآرائه مباشرة وإنّما جاءت مبثوثة مبعثرة في أعماله من خلال الحوار بين الشخصيات، ولذلك كان من الصعب أن يعرف رأيه إلى هذه الشخصيّة أو تلك، فاهتمّ أفلاطون بالفلسفة والسياسة أكثر من اهتمامه بالأدب، وكادت الدولة في عصره تنهار ولذلك ربطها بالأخلاق وشن حملة كبيرة في الباب العاشر من "الجمهوريّة" على الشعراء.

ومن أجل أن نتعرف على مصطلح الشعرية عند أفلاطون لا بد من معرفة المحاكاة عنده، قسّم أفلاطون العقل إلي فكر وحس والفكر هو الأصل والمثال والنموذج والحس صورة عن الفكر ولكنّها لا تكون دقيقة كالأصل ولا يشاكله جمال، فالجمال الأول لأنه هو الأصل والمصدر وما جمال الأشياء سوى صورة عنه، ولا بد من وجود جمال أوّلي.

العالم عند أفلاطون قسمان عالم الحقيقة وعالم الحق والخير والجمال وعالم المطلق وهو البداية والنهاية للمحسوس والقسم الثاني عالم الحس وهو محاكاة لعالم الحقيقة وكل شيء في عالم الحس محاكاة كما هو موجود في عالم المثل والحقيقة فالجمال في عالم الحس هو محاكاة للجمال وعالم الحقيقة وهذا معناه أن الفنّان انموذج يحاكيه ومصدراً يستقي منه صوره وأفكاره ولكنّه أي الفنان لا يستطيع انعكاس الحقيقة بل يعكس خيالات الأشياء أو مظاهرها أمّا الجوهر فيظل متعذراً عليه لأن صور الجمال في تدرجها أربع:الجمال الجسدي، فلأخلاقي، فالعقلي، ولا يصّور الفنان سوى وهم والشاعر لا يصورّ سوى وهم فهو يحاكي المحسوس.

ويختلف أرسطو عن استاذه افلاطون من حيث المنهج والطريقة والتحليل ولذلك تختلف طبيعة المحاكاة من الشعر والشعراء.

ان جمالات الشعرية عند الإغريق مختلفة ومتطورة حسب وجهة نظر المتلقي وثقافته واتجاهه الفكري والنقدي ولكل شعرية جمالياتها فافلاطون يري الشعريه قريب من الحق والجمال لان مصدر الجمال عنده لانه فيلسوف وصوفي والشعراء عنده متهمون باللهو واللعب.(الموسى، 2008م، ص35- 41 بتصرف).

شعرية وجمالية الإغريق متنوعة عن غيرها زماناً ومكاناً، فلكل محاكاة جمالياتها التي تتناسب مع ثقافة وفكر مبدعها ومتلقيها، فالشعرية عند أفلاطون لا بد أن تكون قريبة من الحق والجمال، لأنه فيلسوف ومصدر الجمال عنده إلهي، ولذا الشاعر والفنان ليس مستقلاً بل هو تابع مقلّد لمقلّد آخر، ويظهر هذا من "جمهوريته" حينما تكلم وضرب مثال عن الشاعر والفنان فيرى "للأسرة أنواع ثلاثة، وهناك ثلاثة فنانين يصنعونها: الله، والنجار، والرسام، وهذا يعني أنّ الرسام - هو مقلد لغيره – يحتلّ المرتبة الثالثة، و"هذا يصدق أيضاً على الشاعر التراجيدي، ما دام مقلداً فهو إذن، ومعه كلّ المقلدين، يحتلّ المرتبة الثالثة بالقياس إلى عرش الحقيقة، (زكريّا، 1985م، ص"31-32).

تتيح نظرية المحاكاة للشاعر التعبير عن تجاربه الشخصية والإنسانية بطريقة تجعل القارئ يشعر وكأنه يعيش تلك التجارب. من خلال استخدام اللغة والصور الشعرية، يمكن للشاعر أن يصور العواطف بشكل ملموس ومباشر، مما يخلق تأثيراً عاطفياً عميقاً لدى المتلقي. نظرية المحاكاة تساهم في تعزيز الانتماء والتواصل بين الشاعر والقارئ، نظرية المحاكاة تتيح للقراء إمكانية التفسير والتأويل المختلف للنصوص الشعرية.

وفي النهاية يمكن أن يقال: نظرية المحاكاة الشعرية والجمالية تمنح الشاعر وسيلة قوية لتعزيز التواصل والتأثير من خلال تجسيد تجاربه ومشاعره بطرق معبّرة وجذابة، وتسهم في إثراء الأدب وتجعل الشعر قناة فنية لنقل الإنسانية وتجاربها، فهذه نظرية المحاكاة الشعرية وجمالياتها في الفكر والرؤية الإغريقية والتي تعدّ من أهم مصادر الشعرية حتى زمان الرومانسيّة المعاصرة.

المبحث الثالث: نظرية الجماليات في الرومانسية

إن أي نظرية معرفية سواء أكانت في السياسة أو الفكر أم الثقافة هي وليدة زمن وبيئة قبل أن تكون وليدة فرد، لأن الحياة العامة هي التي تقدم المادة الأساسية لذلك وتكون التفاعلات بين القديم والجديد فالحركة السليمة مرتهنة بالفكر السليم وجزء منه، فظل الفكر والعقل الأرسطي مهيمناً علي الفكر الأوربي حتى أواخر القرن الثامن عشر للميلاد.

"وقد أعاد بوالو الشعر إلى ما وصل إليه أرسطو في " فن الشعر" وهوراس أيضاً، فكانت قواعد الشعر لها طريقة واحدة لا غير لكتابة "الملحمة" و"المسرحية" و"القصيدة الغنائية" وهكذا (جيمس، 1986م، ص115).

فقدم بوالو نصائحه وأوامره وقواعده للشعراء، وهي نصائح تشبه النمط في الأدب الكلاسيكي ومنها الاهتمام بالطبيعة كمصدر ينهل منه المبدعون، الشعر الأحسن الأكثر نبلاً في فكرته لا يرضي النفس حين تكون الأذن جريحة والمعيار فيه العقل، فالعقل المعيار الوحيد الذي يمنح الشعر المجد والخلود كما يرى بوالو:

الطبيعة مفعمة بالعقول الممتازة
تعرف أن تقسم المواهب بين المبدعين
الشعر الأحسن ثراء، الأكثر نبلاً في فكرته
لا يرضي النفس حين تكون الأذن جريحة
أعشق إذن العقل فإن كتاباتك دائماً
تستعير منه وحده تألقها وقيمتها" (بوالو،1674م، ص204 – ص211).

"هذه النصائح من بوالو رسولاً من رسل العقل في الأدب وحكمت على الشعر بالجفاف والموات إذ حوّله إلى حرفة وحول الشاعر إلى إنسان مطيع مهذب لا يتفوّه إلاّ بما يطلب منه وهكذا ظلت نظرية المحاكاة جاثمة على صدر الأدب في الكلاسيكية وقدس أربابها العقل وهاجموا الخيال واتهموه بالقصور والفوضى"(الموسى، 2008م، ص 130). وهكذا بعض الفلاسفة الآخرين فهاجم رينية ديكارت الخيال ونادوا بأن يخضع الخيال لسلطة العقل.

ولذا " تعد الرومانتيكية أهم حركة أدبية في تاريخ الآداب الأوربية، لأنها بما اشتملت عليه من مبادئ، وبما مهد لها من اتجاهات في القرن الثامن عشر قد يسرت للإنسان الحصول على حقوقه، إذ مهدت للثورات وعاصرتها، ثم كانت خطوة في سبيل نشأة المذاهب الأدبية المختلفة فيما بعد.

وكانت المبادئ الرومانتيكية في جملتها معارضة للمبادئ الكلاسيكية كما يتضح بمقارنتها في أسسها العامة، ففي الأدب الكلاسيكي كان للعقل السلطان المطلق، ولهذا طالما وصف بأنه أدب عقلي" (هلال، د. ت، ص 8).

بدأت أوروبا تعيش فترة تحت وطأة سيطرة العقل والطبقة الأرستقراطية بشكل متزايد، نتيجة للصراعات المتعددة التي شهدتها خلال القرن الثامن عشر، وتجلى ذلك بوضوح في أحداث مثل الثورة الفرنسية التي هزت الأسس السياسية والفكرية والثقافية في أوروبا. كانت تلك الأحداث حافزًا مهماً

للتغيير في المجتمعات الأوروبية وفي مجالات شتّى بما فيها الأدب، حيث نشأ اهتمام جديد بالشعر والأدب الشعبي، وانتقل الفن والأدب من القصور الملكية والسلاطين إلى الأماكن العامة والشوارع.

في هذا السياق، تفجَّرت حالة من التفاؤل بالتحرر الاجتماعي والأخلاقي والفكري، مما أسهم بظهور حركة رومانسية تعبِّر عن تلك الآمال والأحلام. وبالإضافة إلى ذلك، شهدت تلك الفترة تقدمًا صناعيًا هائلًا، أدى إلى تفوق الصنعة وسيطرتها على مختلف جوانب الحياة الإنسانية. وهذا التطور أثَّر بشكل سلبي على بعض القيم الإنسانية، فتراجع الاهتمام بالحياة الريفية والطبيعة الخلَّابة، إذ انتشرت الصناعة وبشكل كبير.

ونتيجة لهذه التغييرات، تحوَّل الألم والحزن والكآبة إلى جزء من الوجود اليومي، وهذا الوضع كان ملحوظًا بشكل خاص بين الطبقات الفقيرة والمحرومة. فقد أصبح الأدباء مهتمين بسرد حياتهم وتجاربهم، بدلاً من التركيز السابق على مواضيع الحكم والسلطة. "فأشادوا بالحياة الفطرية للطبقات الدنيا التي لا تحظى بما يحظى به الأرستقراطيون من نعمة وجاه" (هلال، د.ت، ص 37).

لذا " قدس الرومانسيون العاطفة ووضعوها في منزلة العقل، لأن التفكير يتغيّر وأمّا القلب والحب فلا يتغير كل منهما حسب اعتقادهم" (فان تييغيم، 1981م، ج2 ، ص 37).

ومال الرومانسيون إلي الحب الصادق وخلوه من الشوائب الجسدية، ولم يكن لهم دافع مسي وإنمّا هو روحي خالص وهو تعلق بالروح، "لأن كل ديانة حب وكل حب ديانة" (المصدر نفسه، ص 34)، وينظر الرومانسيون إلى أن "الحب هو المحرّك الأساس، وقد انتقل هذا التحرر إلى الأدب ليتحرر من الأوزان وتقديم المضمون علي الشكل. دعا الرومانسيون إلى التحرر من العقل المنطقي والالتزام بالعقل الداخلي مما أدى إلى تغيير المضمون والشكل تغيير جذري وكانت البداية لولادات المدارس والاتجاهات الأدبية.

يجمع الرومانسيون على أهمية الخيال في الشعر، فالعقل عندهم عاجز من إدراك الحسّ" (الموسى،2008م، ص 142)، واختلف كولردج عن الرومانسيين فالخيال عنده أعم من نظرياتهم وأشمل الذي نشر كتابه " النظرية الرومانتيكية في الشعر" عام 1817م يتضمن نظرياته حول الخيال الشعري وهي كما يلي: "التفرقة بين الخيال الأولى والخيال الثانوي حيث قسم الخيالي إلى قسمين: خيال اوّلي وخيال ثانوي، الخيال الأولي يشترك فيه الجميع، الشاعر والفيلسوف والفنان وغيرهم في عملية المعرفة ولولاه استحالت المعرفة ذاتها والخيال الثانوي من اختصاص الشعراء وحدهم وهو لا محدود.

- التميز بين الخيال والتوهّم فالخيال هو القوّة التي يستخدمها الشاعر للتصوير وهو القادر علي المتعة الموسيقية في القصيدة أمّا التوهّم فهو مادي سلبي لا يعتمد عليه الفنان أمّا الخيال فهو قوّة سرية يعتمد عليه"(كولردج، 1971م، ص 253- 254).

يظهر"أن الرومانسيّة قد توجهت منذ بدايتها نحو تحطيم مدرسة الكلاسيكية المحدثة في الشعر. والواقع أن أوّل ما نادت به الرومانسية من نظريات في مصر والمهجر كان ذا وجهين: الأول، أن يكون الشعر تعبيراً عن دخيلة النفس، والثاني أن الحاجة لم تعد قائمة للمدرسة الكلاسيكية الحديثة وأساليبها. ومن أجل ذلك، كان همّ المباشر الواعي همّاً فنيّاً. لقد كانت الرومانسية بالدرجة الأولى استجابة لدوافع برزت من داخل الشعر نفسه، تصطرع نحو تعبير في الشكل واللغة والمحتوى. لكن هذا الدافع الفنّي الكبير في الرومانسية لا يحظى بعناية الباحثين في الموضوع"(الجيوسي، 2001م، ص374).

جماليات الشعرية الرومانسية تعكس توجهاً أدبياً هاماً نشأ في القرن التاسع عشر كرد فعل على التغيرات الاجتماعية والثقافية التي شهدها العالم في تلك الفترة، وتميز الشعر الرومانسي بعدة جماليات أهمها:

- العاطفة والأحاسيس: يعتبر التعبير عن العواطف والانفعالات الشخصية من أبرز جوانب الشعر، يعبر الشعراء الرومانسيين عن أحاسيسهم على وجه صريح وعميق، سواء كانت شعور الحب والغرام أو الحزن واليأس (هلال، د. ت، ص45-46).

- جمال الطبيعة: يعكس الشعر الرومانسي اهتمامًا كبيرًا بجمال الطبيعة وتأثيرها على الإنسان، فيصوّر الشعراء الرومانسيون المشاهد الطبيعية بألوان زاهية وتفاصيل دقيقة، ويستخدمونها للتعبير عن مشاعرهم الداخلية ومراجعة حالتهم النفسية. الطبيعة عندهم مصدر للإلهام والفكر الإبداعي يمكن أن يتأملوا في جمال الطبيعة، ويستخدمونه كوسيلة للتعبير عن الأفكار والمشاعر.

أ- الخيال الرومانسي: يتسم الشعر الرومانسي بالاهتمام بالخيال والعالم الخيالي. يستخدم الشعراء الرومانسيون الصور والرموز البصرية لإيصال أفكارهم ومشاعرهم، ويميلون إلى تصوير عوالم خيالية مليئة بالغموض، "فعالم الخيال أحب إليه من عالم الحقيقة المحدود"(غنيمي، د. ت، ص94).

ب- **التأمّل والتفكير:** يتناول الشعراء الرومانسيون قضايا الحياة والموت والوجود على وجه عميق، ويعبرون عن تأملاتهم في معاني الحياة والطبيعة البشرية، ويسعى الشعراء الرومانسيون إلى استكشاف العوالم الداخلية والخيالية، حيث يمكن للشعر أن يكون نافذة إلى أعماق النفس والتفكير الإبداعي،

كذلك يستعرض الشعراء الرومانسيون في أعمالهم مفهوم الوجود والهويّة، ويسعون لفهم الغموض الكامن وراء الحياة والوجود البشري.

ج- الحرية والتمرد: يرتبط الشعر الرومانسي بالتمرد ضد القيود والقواعد المجتمعية والسياسية. يعبر الشعراء الرومانسيون عن رغبتهم في الحرية والتفرد والانفتاح على العوالم المختلفة، ويرتبط الشعر الرومانسي أحياناً بروح التغيير والثورة، حيث يمكن أن يعبر الشعراء عن تحديهم للهيمنة الاجتماعية والسياسية والتطلع إلى عالم جديد وأفضل(غنيمي، د. ت، ص135-136).

د- اللغة الجميلة: يهتم الشعر الرومانسي باللغة والألفاظ الجميلة، ويستخدم أساليب شاعرية متقنة للتعبير عن الأفكار والمشاعر.

ه- الاهتمام بالأبطال: يقوم الشعراء الرومانسيون بإنشاء شخصيات أبطال غالباً تعكس مشاعرهم وأحلامهم. هؤلاء الأبطال يمكن أن يكونوا متمردين أو عاشقين أو رحالة، ويستخدمونهم لتجسيد تجاربهم الشعرية.

و- الحب والغرام: تشغل موضوعات الحب والغرام مكانة خاصة في الشعر الرومانسي. يمكن للشعراء أن يستخدموا اللغة العاطفية للتعبير عن مشاعر الحب والشوق بطرق تثير تأثيرًا عاطفيًا عميقا.
ز- التعبير عن الحلم والطموح: يمكن للشعراء الرومانسيين أن يستخدموا قصص الحلم والطموح لإلهام القرّاء وتوجيههم نحو تحقيق الأهداف والتطلعات.

ح- التفكير في مفهوم الوجود: يستعرض الشعراء الرومانسيون في أعمالهم مفهوم الوجود، ويسعون لفهم الغموض الكامن وراء الحياة والوجود البشري.
"عرفت الرومانسيّة بأنها تستعمل الإغراب والتضخّم والمبالغات، والمصادفات، والمغامرات، وهو تفقده التحليل والمنطق الطبيعي للأحداث حيث تتحقق المواعظ والنصائح والأماني في الخيال أكثر من تحققها في الواقع" (هلال، د. ت، ص353).

وهل جماليات الرومانسية هي نظرية؟

جماليات الشعرية الرومانسية لعلّها ليست نظرية واحدة، وإنما يمكن أن تكون متعدد الأوجه والتفسيرات. بل هي مجموعة من العناصر والمفاهيم والأساليب الأدبية التي تميز بها الشعر الرومانسي. على الرغم من ذلك، يمكن أن تكون هذه الجماليات محوراً للدراسات والتحليل الأدبي.

على مر الزمن، قد تطورت الدراسات والنقد الأدبي لتتناول جوانب كثيرة من الشعر الرومانسي من خلال نظريات تحليلية ومقارنة بين الشعراء والأدباء، ويمكن أن تقوم هذه النظريات بدراسة السياق التاريخي والاجتماعي والثقافي الذي أثر على تطور الشعر الرومانسي وشكل توجهاته.

لذلك، يمكن القول إن جماليات الشعرية الرومانسية تمثل مجموعة من العناصر والمفاهيم والأساليب الأدبية التي يتميز بها الشعر الرومانسي. هذه الجماليات تعكس القيم والمعتقدات والروحية التي كانت تسود في العصر الرومانسي، وتعكس تفاعل الشعراء مع التغييرات الاجتماعية والثقافية والفلسفية التي كانت تحدث في تلك الفترة.

المبحث الرابع: نظريّة الانزياح وجمالياتها

الانزياح لغة ومفهوماً:

الانزياح في اللغة: فمادته مأخوذة من زيح يزيح زيحاً، زاح الشيء أي أبعده وزاح زيحاً وزيوحا وزيحاناً، أي تباعد وذهب، وإمّا مفهوم الانزياح في الأدب والشعر فهي تعتمد على استخدام اللغة والأساليب الأدبية بطريقة غير تقليدية أو مبالغ فيها بهدف التعبير عن فكرة أو مشاعر بشكل مبتكر وغير مألوف. يُستخدم هذا الأسلوب غالباً لخلق تأثير أو لفت الانتباه إلى جوانب معينة من النص، وإثارة الاهتمام لدى القرّاء.

وقد تكون هذه الأساليب مستوحاة من تجارب الأدباء والشعراء أنفسهم.

يعمُد الأديب في جماليات الانزياح إما إلى استخدام كلمات غير مألوفة أو مصطلحات جديدة أو اختراع لغة خاصة به، وهذا يحمل معاني تتعدى التعبير العادي، وإما تستخدم تشبيهات غير مألوفة واستعارات مبتكرة لتصوير أفكاره بطرق لا تعتمد على التشابه التقليدي، وإما بتغيير سياق الزمان والمكان في النص لإنشاء تجربة زمنية أو مكانية مختلفة للقرّاء، وإما استخدام رموز وعناصر ترمز إلى معانٍ أعمق وتحمل تأويلات متعددة، مما يثير انتباه القرّاء لفهم ما يجري في النص، وإما يستخدم الشاعر في بعض الأحيان الانزياح لتجسيد التجارب الروحية أو الفلسفية تأملية عميقة، حيث يمكن أن تكون اللغة العادية غير قادرة على التعبير بشكل كامل عن تلك التجارب.

هذا هو المفهوم العام والمتعارف عليه في أكثر كتب الأدب، ولكن ليس متفقاً عليه، ولذا نلاحظ تعدد وجهات النظر والروية في معاني هذا المصطلح، فالبعض سمّاه بتسمية أخرى،

"كالانحراف، والعدول، والمخالفة، والتحريف، والبُعد، والإطاحة، وخرق السنن، وغير ذلك من التسميات الأخرى (المسدى، 1982م، ص 100). فالانزياح هو الآلية والمهارة التي تقوم عليها الأسلوبيّة لدراسة النصوص الأدبيّة، في استعمال اللغة وذلك وفق معايير خاصة يعمد إليها الباحث والأديب.

الانزياح

"تمخض "مفهوم الانزياح كنظرية جمالية معاصرة على يد جان كوهن وبدأ كوهن من الخطوة التي وقفت عندها البلاغة القديمة فأسس عليها نظرية شعرية خاصة به، والتي أطلق عليها فيما بعد نظرية الانزياح، فأخذ كوهن القاسم المشترك بين الانزياحات في البلاغة القديمة التي كان كل منها مستقلاً بذاته، فتجاوز كوهن تلك الاستقلالية ليؤسس مكانها جدلية الانزياحات العامة، وفي الواقع قرّب كوهن البلاغة القديمة من دائرة الأسلوبية"(ناظم، 1994م، ص 111 بتصرف).

الانزياح لدى شعراء الشرق والغرب:

وعلى أي حال فعند ما يتم تطبيق نظرية الانزياح على نحو ناجح، يتم إثراء تجربة القراءة وتوسيع أفق الفهم والتأمل، كما نلاحظ هذا عند الشاعر الروسي "فيودور دوستويفسكي المعروف بأسلوبه الغامض والعميق. دوستويفسكي، يستخدم الشاعر أحياناً تشبيهات وصوراً غريبة لتجسيد أفكاره. على سبيل المثال، في قصيدته شكراً، حيث استخدم تشبيه الشمس بـ شجرة تنزف ضوءاً ليعبر عن انزياح تجربة الشروق.

والشاعر الإنجليزي وليام ووردزوورث المعروف بروحه الرومانسية واهتمامه بالطبيعة في قصائده، يستخدم أنواع اللغة والصور بطرق غير تقليدية لتوصيل تأملاته وإحساسه بالجمال الطبيعي. والشاعر الأمريكي- البريطاني توماس ستيرنز إليوت يُعتبر واحداً من رواد الشعر الحديث. يستخدم في قصائده تداخلاً بين الأصوات والزمن، مما يخلق انزياحاً في التجربة الشعرية ويدفع القارئ إلى التفكير العميق.
والشاعر الأمريكي ويليامز كارلوس الذي بأسلوبه البسيط والواضح والتركيز على التفاصيل اليومية.
الشاعر الأمريكي روبرت فروست المشهور بأسلوبه الريفي والبسيط، وقصائده التي تناول قضايا الحياة والطبيعة.
والشاعر الأمريكي روبرت لويس ستيفنسون تناول في قصائده قضايا الحرب والصراعات الاجتماعية.
والشاعر الأمريكي جوزيف بروذي يستخدم اللغة على نحو مبتكر لتجسيد تجاربه وأفكاره. في قصائده، يمزج بين اللغة العامية والأساليب الشعرية التقليدية بطرق مبتكرة" (الذكاء الاصطناعي، 2023 م).

الانزياح الغربي هو مصطلح يشير إلى موجة من الشعراء الذين تجاوزوا الحدود التقليدية للشعر. واستكشفوا موضوعات وأساليب جديدة خلال القرن العشرين. هؤلاء الشعراء أثروا في الأدب إلى حد بعيد من خلال تجديد قواعد وتصوير الشعر. وإليك بعض أهم شعراء الانزياح الغربيين.

وهل الانزياح نظرية؟

نظرية الانزياح هي مفهوم أدبي ونقدي، وليست نظرية علمية في المعنى العلمي الدقيق. إنها مصطلح يُستخدم في الدراسات الأدبية لوصف نمط من الكتابة والتعبير يتجاوز حدود اللغة والأساليب التقليدية. يمكن اعتبارها أسلوبًا أو مفهومًا نقديًا يُستخدم لوصف الابتكار والتجديد في الأدب.

شعراء الانزياح العرب المعاصرين هم الشعراء الذين اتجهوا في قصائدهم إلى التعبير عن الانزياح عن الواقع الاجتماعي والسياسي، وغالباً ما يتناولون موضوعات الحزن والفقدان والوحدة. قد تختلف قائمة هؤلاء الشعراء وفقًا للتفضيلات الشخصية والزمان، ولكن هناك بعض الشعراء المعاصرين الذين يعتبرون من أهم وأبرز شعراء الانزياح العرب. الشاعر السوري نزار قباني الذي اشتهر بقصائده الرومانسية، حيث اتجه في قصائده نحو الرومانسية، حيث عبر عن الحب وغيره. والشاعر الفلسطيني محمود درويش واحد من أشهر الشعراء العرب في القرن العشرين. تميزت قصائده بالانزياح والوحدة والوطنية. والشاعر أدونيس الذي تناول مواضيع الهويّة والتجربة الإنسانية، والشاعر المصري صلاح عبد الصبور الذي يجمع بين الانزياح والوجود الاجتماعي والسياسي في قصائده والشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي المعروف بقصائده العميقة والمعبرة عن الإنسان والوجود.

ظاهرة الانزياح في الشعر العربي المعاصر تمثل توجهاً أدبياً يتجاوز التعبير عن الشعور والأحداث الذاتية والشخصية، ليتعامل مع قضايا أعمق وأهم مثل الوحدة، والبحث عن الذات، والتأمل في الوجود والحياة. يهدف هذا النوع من الشعر إلى استكشاف الأبعاد الداخلية للإنسان والمجتمع والعالم من حوله بطريقة تعبر عن الانعزال والتفكير العميق.

أهم ملامح الانزياح في الشعر المعاصر.

أ- يعبر الشعراء في قصائدهم عن حالة الانعزال والوحدة التي قد تكون نتيجة لتفكك المجتمع أو للبحث عن الذات.

ب- يتناول الشعراء قضايا الحياة والموت، والوجود والغيبيات بطريقة تفكيرية وفلسفية.

ج- ينصب اهتمام الشعراء على تجربة الحب والفقدان والاشتياق، وكيفية تأثيرها على الإنسان والعواطف.

د- يستخدم الشعراء الوصف الطبيعي والتأمل في الطبيعة للتعبير عن الانسجام والتناغم مع الكون.

ه- يعتمد الشعراء على استخدام الرموز والاستعارات لنقل معان أعمق وأكثر تعقيداً.

و- يتميز هذا الشعر بالاهتمام بالإيقاع والتناسق اللغوي، مما يعزز من تأثير القصائد في القارئ.

ز- غالبًا ما يتطلب هذا النوع من الشعر من القارئ أن يفهم على نحو عميق النص ومعانيه ورموزه.

تعد ظاهرة الانزياح جزءاً من التطور الأدبي والثقافي، وقد ترتبط بالتغيرات الاجتماعية والتحولات في المجتمع. تسهم هذه الظاهرة في إغناء الأدب وتوسيع دائرة القضايا التي يمكن للشعر أن يتناولها بأسلوبه الخاص.

الحديث عن جماليات الشعرية لا يمكن أن ينتهي، لأن الحديث عنه حديث عن الأدب والشعر والخيال، وهذه الأمور ستبقى لأن الخيال باق.

أهم نتائج البحث:

- كثر الحديث عن نظريات الجماليات في الأدب، وتعددت المصطلحات والتعاريف والرؤية والفكر قديماً وحديثاً في هذا المجال، يعتبر الكثيرون أنّ الانزياح يمثل تطوراً في جماليات الشعرية في البلاغة القديمة. وقد توسّع هذا التطور الخطير ليشمل الزمان والمكان والتصورات الذهنية والخيالية والإيحائية واللغوية والعديد من الجوانب الأخرى، حتى وصل إلى مرحلة اختلاف نص الشاعر والمؤلف عن نص المتلقي. وبالتالي، وصار لكل واحد منهما نص خاص به، يعكس فهمه الخاص واستنباطه الشخصي وذوقه ومستوى فكره. هذا يعكس التنوع والتعدد في القراءات والتفسيرات للأعمال الأدبية. وهذا التعدد في الرؤى والفهم يسهم في إثراء الحوار الأدبي والثقافي دون ترديد.

- تطورت نظريات جماليات الشعرية بمرور الزمن وتغيّرت حسب الزمان والمكان والمنظرين الذين اهتموا بها. وما زالت هذه النظريات قيد البحث والنقاش لم تنضج، والحديث عنها لم ينته بعد، امتداداً من عبد القاهر الجرجاني ومروراً بجان كوهن وياكوبسون، فالبعض مال إلى الكلاسيكية وجمالياتها وانزياحاتها الخاصة بها، مع التركيز على القيم الفلسفية والمفاهيم العامة، في حين اتجه آخرون إلى الطبيعة والرومانسية والرمزية، حيث ركزوا على التعبير عن الطبيعة والمشاعر الإنسانية بشكل أكبر، وما زالت تشكل موضوعاً هاماً للبحث والنقاش في مجال الأدب والنقد الأدبي.

- مصطلح الشعرية مصطلح قديم جديد والنظريات الحديثة في جماليات الشعرية ما زالت قيد التطوّر والتبلوّر في الأدب الغربي وكذلك الشعر العربي المعاصر، ولم تزل بحاجة إلى كثير من النضج والتوسّع والتنظير الفكري والأدبي.

- مصطلح الشعرية وجمالياتها عاش عمراً مديداً وهو من المصطلحات التي ستبقى ما بقي الشعر والأدب لأن بقاء الشعر مرتبط ببقاء البشر وأحاسيسه وعواطفه وإنسانيته وعلاقاته الإنسانية، فلا معنى للشعر دون جمال كما لا معنى للإنسان دون مشاعر.

- إنّ الشكلانيين الروس يؤمنون بشعرية الشعر وشاعريته، ولا يؤمنون بشعرية النثر، كما نجد المنظر ياكوبسون قد اتبع جان كوهن ولم يعتقدا بالتقاءالنقاط بين الشعر والنثر.

- حاول جان كوهن ومن خلال نظريته حول الانزياح أن يوضح كيف تطور الشعر عبر العصور، وعلى نحو سريع، يعتقد كوهن أن الانزياحات في الشعر زادت تدريجيا مع مرور الزمن، من العصور الكلاسيكية وصولاً إلى العصور الرومانسية. ويقول إن الإحصائيات التي تُظهر عدد الانزياحات الكبيرة تعد دليلاً قويًا على هذا التطور. لذا، يُظهر جان كوهن من خلال نظريته أن الشعر تطور بشكل سريع على مر العصور، وأن الانزياحات تزيد كلما تقدمنا في الزمن، مما يدعم فكرة أهمية الشعر وتطوره في التاريخ الأدبي.

- حاول كلٌ من كوهن وياكوبسون إنشاء علمٍ مخصص للشعر باسم علم الشعر، في حين حاول البعض الآخر مثل تودورف وكمال أبي ديب إنشاء علمٍ مخصص للأدب. وبناءً على هذا السؤال الذي يُطرح، هل الشعرية هي علم الشعر أم علم الأدب؟

يبدو أنّ معظم النقاد والباحثين يرون أنّ الشعرية هي جزءٌ من علم الأدب، إذ تسعى إلى دراسة قوانين وميكانيزمات الخطاب الأدبي في الشعر والنثر معاً، ولا يُفرق بينهما بشكل ملحوظ.

المصادر والمراجع:

أرسطو (د. ت). فن الشعر، ترجمة وتحقيق، عبد الرحمن بدوي، بيروت: دار الثقافة.

أيخنباوم، بوريس (1982م). نظرية المنهج الشكلي، ترجمة إبراهيم الخطيب، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

الجيوسي، سلمى الخضراء(2001م). الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

جيمس، ر. أ. سكوت (1986م). صناعة الأدب، ترجمة هاشم الهنداوي، العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.

جونسون، ر.ف (1983م). الجمالية ضمن موسوعة المصطلح النقدي، ج1، ت، عبد الواحد لؤلؤ، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الذكاء الاصطناعي، عام 2023 م.

زكريّا، فؤاد (1985م). جمهورية أفلاطون، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
الصالح السليمان، محمد (2000م). الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
صليبا، جميل (1982م). المعجم الفلسفي، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
عبو عبد القادر (2007م). فلسفة الجمال في فضاء الشعرية العربية المعاصرة، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
عودة، خضر (1997م) .الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ط1، الأردن: دار الشروق.
علوش، سعيد (2011م). الأدب العربي الحديث، ط2، لبنان، بيروت: دار النهضة العربية.
علوش، سعيد (1984م). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الدار البيضاء: منشورات المكتبة الجامعية.
فان تييغيم، بول (1981م). الرومانسية في الأدب الأوروبي، ترجمة الجهيم، دمشق: وزارة الثقافة.
كولردج (1971م). النظرية الرومانتيكية في الشعر، ترجمة عبد الحكيم حسان، مصر: دار المعارف.
المسدي، عبد السلام (1982م). الأسلوبية والأسلوب، ط 2، مصر: الدار العربية.
الموسى خليل (2008م). جماليات الشعرية، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
ناظم حسن (1994م). مفاهيم الشعرية، بيروت: المركز الثقافي العربي.
هلال، محمد غنيمي (د.ت). الأدب المقارن، ط5، بيروت: دار الثقافة.
هلال، محمد غنيمي (د. ت). الرومانتيكية، نهضة مصر: للطباعة والنشر.
وهبة مراد (2007م). المعجم الفلسفي، القاهرة: دار قباء الحديثة للطباعة والنشر.
Cohen" Jean Structure du langage poetique" Flammarion" 1966. (In English)

Sources and references:

Aristotle (d. d.). The Art of Poetry, translation and verification, Abdel Rahman Badawi, Beirut: House of Culture .(In English)
Eichenbaum, Boris (1982). The Theory of the Formal Method, translated by Ibrahim Al-Khatib, Beirut: Arab Research Foundation, Moroccan Company of United Publishers.(In English).
Al-Jayousi, Salma Al-Khadra (2001 AD). Trends and movements in modern Arabic poetry, Beirut: Center for Arab Unity Studies .(In Arabic)

James, R. a. Scott (1986). Literary Industry, translated by Hashim Al-Hindawi, Iraq: House of General Cultural Affairs.(In English)

Johnson, R. F. (1983). Al-Gamaleya within the Encyclopedia of Critical Terms, Part 1, ed., Abdul Wahed Lulu', 2nd edition, Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing.(In English)

Artificial Intelligence, 2023 AD.

Zakaria, Fouad (1985). The Republic of Plato, Egypt: Egyptian General Book Authority. (In Arabic)

Al-Saleh Al-Sulaiman, Muhammad (2000 AD). Imaginative Journeys in Modern Arabic Poetry, Damascus: Arab Writers Union.(In Arabic)

Saliba, Jamil (1982). Philosophical Dictionary, Beirut: Lebanese Book House.(In Arabic)

Abbou Abdel Qader (2007 AD). The Philosophy of Beauty in the Space of Contemporary Arabic Poetry, Damascus: Arab Writers Union. (In Arabic)

Odeh, Khader (1997). The Cognitive Principles of Reception Theory, 1st edition, Jordan: Dar Al-Shorouk. (In Arabic)

Alloush, Saeed (2011 AD). Modern Arabic Literature, 2nd edition, Lebanon, Beirut: Dar Al-Nahda Al-Arabi. (In Arabic)

Alloush, Saeed (1984). Dictionary of Contemporary Literary Terms, Casablanca: University Library Publications. (In Arabic)

Van Tiegem, Paul (1981). Romanticism in European Literature, translated by Al-Jahim, Damascus: Ministry of Culture and Guidance.(In English)

Coleridge (1971). The Romantic Theory in Poetry, translated by Abdel Hakim Hassan, Egypt: Dar Al-Maaref.(In English)

Al-Masadi, Abdul Salam (1982 AD). Stylistics and style, 2nd edition, Egypt: Al-Dar Al-Arabiyya. (In Arabic)

Al-Mousa Khalil (2008 AD). Poetic Aesthetics, Damascus: Arab Writers Union. (In Arabic)

Nazim Hassan (1994). Concepts of Poetics, Beirut: Arab Cultural Center. (In Arabic)

Hilal, Muhammad Ghoneimi (d.). Comparative Literature, 5th edition, Beirut: House of Culture. (In Arabic)

Hilal, Muhammad Ghoneimi (d.). Romanticism, Nahdet Misr: Printing and Publishing. (In Arabic)

Wahba Murad (2007 AD). The Philosophical Dictionary, Cairo: Quba Modern House for Printing and Publishing. (In Arabic)

Cohen" Jean Structure du langage poetique" Flammarion" 1966. (In English)

الخطابة السياسية الأُموية: ظروف النشأة وبواعث الازدهار

Umayyad political rhetoric: conditions of upbringing and drivers of prosperity

أحمد الرويني، دكتوراه في اللغة والخطاب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، المغرب
Ahmederrrouyny1983@gmail.com

الملخص:

يحاول هذا البحث أن يتناول الظروف العامة التي أسهمت في نشأة الخطاب السياسي في العصر الأُموي وازدهاره، حيث يرصد هذا البحث بعض الخصائص الفنية والأسلوبية التي ميزت فن الخطابة عند العرب، بدءا من العصر الجاهلي ومرورا بصدر الدولة الإسلامية وصولا إلى الخلافة الأموية.

كما يكشف البحث عن العوامل السياسية والدينية والأدبية التي كان لها دور واضح في ازدهار فن الخطابة في العصر الأُموي، لا سيما في ظل ما عرفته هذه الحقبة التاريخية الحساسة من أحداث خطيرة كان لها عميق الأثر في عمليات إنتاج الخطاب وسياقات تداوله.

كما يحاول البحث التوقف عند فهم سياق إنتاج الخطاب السياسي الأُموي، وما يوفره للباحث من تبصرات عميقة، تسعفه أثناء عمليات التحليل الفاحص للخطاب ولمعالجة المنهجية الدقيقة له.

الكلمات المفاتيح: الخطابة السياسية- العصر الأُموي- السياق التاريخي.

Abstract:

This research attempts to address the general conditions that contributed to the emergence and prosperity of political discourse in the Umayyad era. This research monitors some of the artistic and stylistic characteristics that distinguished the art of oratory among the Arabs, starting from the pre-Islamic era and passing through the beginning of the Islamic State until the Umayyad Caliphate.

The research also reveals the political, religious and literary factors that had a clear role in the flourishing of the art of oratory in the Umayyad era, especially in light of the serious events that this sensitive historical era witnessed that had a profound impact on the processes of speech production and the contexts of its circulation.

The research also attempts to focus on understanding the context of the production of the Umayyad political discourse, and the deep insights it provides to the researcher, which will help him during the processes of examining the discourse and for its precise methodological treatment of it.

Keywords : Political rhetoric - the Umayyad era - historical context.

ISSN : 2625 - 8943

1. **نشأة الخطابة في الثقافة العربية:**

لعبت الخطابة العربية دورا مهما في التأثير في الجماهير واستمالتهم خلال أوقات السلم والحرب منذ قدم التاريخ، فعلى الرغم من أن تاريخ الأنظمة السياسية قد اعتمد على قوة السيف أكثر مما اعتمد على قوة الكلمة في تركيز الحكم وتثبيت السلطة. إلا أن الخطابة كان لها شأن عظيم ومقام مميز عند العرب منذ العصر الجاهلي. وبالرغم من أن ما نُقل من خطب هذا العصر قليل بالمقارنة مع ما وصل لنا من أشعار الجاهليين، نظرا للمكانة التي كان يحتلها الشعر في نفوسهم من جهة، ونظرا لبعد المسافة بين العصر الذي قيلت فيه الخطابة وعصور تدوينها من جهة أخرى، فإن ذلك لا يعني أن ننفي حضورها في العصر الجاهلي، بفعل توافر جملة من العوامل أهمها: اتساع رقعة الحرية، وما طُبع عليه الجاهليون من بيان وفصاحة، فضلا عن كثرة الخصومات والمنازعات فيما بينهم. ولذلك اتخذوا الخطابة أداة للتعبير عن تجارب حياتهم، سواء في السلم والحرب، أو في الرخاء والجدب. ووجدوا فيها عونا لهم على الحض أو التحذير والترغيب أو التنفير والمفاخرة (مواجهة كلامية بين شخصين أو أكثر، يتفاخر كل طرف بأحسابه وأنسابه) أو المنافرة (رحيل الطرفين المتخاصمين (سواء كانوا أفرادا أو قبائل) إلى الحاكم/الملك من أجل الحكم بينهما)، بل صارت عندهم مظهرا من مظاهر البطولة، يتباهى بها فرسانهم، ويُدرب عليها فتيانهم (فياض، 2014، صفحة 87). وابتغوا دائما في كلامهم أن يؤثر في نفوس سامعيهم بما حققوا له من ضروب بيان وبلاغة (ضيف، صفحة 419).

ولعل أهم ما ميز الخطابة الجاهلية هو"اتسامها بقصر الجمل، وسرد الحكم، حتى تكاد تنقطع الصلة بين جملة وأخرى، وهي في جملتها خلاصة تجاربهم وخبرتهم بشؤون الناس، وأحداث الحياة، وليس في حكمهم معان فلسفية عميقة، لقلة ثقافتهم وعدم دراستهم، ولكن لهم نظرات صائبة وآراء حكيمة" (شلبي، 1981، صفحة 164).

ومع مستهل الدعوة الإسلامية، تعززت مكانة الخطباء واحتل فن الخطابة الموقع الذي كان للشعر من قبل. وذلك لأن هذا الفن أصبح سلاحا مهما لنبذ عادات الجاهليين ومعتقداتهم السيئة، مقابل الدعوة إلى العقيدة الإسلامية وبيان مبادئها وغاياتها وأهدافها المثلى الكريمة. وأهم أنواع الخطابة السائدة في ذلك العصر الخطابة الدينية، التي ارتبط موضوعها بالدعوة إلى "عمل ديني بحث، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى إقامة ركن من أركان الدين، كالصلاة أو الحج أو قراءة القرآن، أو التعريف بحكم شرعي، أو الإصلاح بين متخاصمين أو التذكير بالموت والدار الآخرة" (شلبي ع.، 1981، صفحة 195). وبذلك جاز القول إن "هذا العصر كان أعظم العصور الأدبية خطرا وأكبرها أثرا في الخطابة، فقد بلغت الغاية واستكملت عناصرها الفنية والأدبية، وظهر الكثير من أعلام

الخطباء ومصاقع البيان؛ وإمامهم هو الرسول الأعظم، والخطيب الأول، محمد صلوات الله عليه" (خفاجي، صفحة 125).

أما في ما يخص الخصائص الفنية للخطابة الإسلامية، فقد تميزت بصفاء الأسلوب ومتانته وشدة وقة تأثيره، ووصوله إلى قرارة النفوس وامتلاكه للشعور والوجدان، وبترك التكلف وهجران السجع المتعمد، وإيثار الطبع وما تمليه الملكة الموهوبة الملهمة، إضافة إلى كثرة الحكم وظهور العاطفة الدينية وذيوع الاقتباس من أسلوب الذكر المبين ومحاكاته في الإقناع والتأثير وجمال التصوير وبلاغة التعبير (خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، صفحة 127).

ومع قيام دولة بني أُمية، عرفت الفنون الأدبية-شعرا ونثرا- رواجا عظيما في ظل ذلك المعترك الحافل بالأحداث السياسية والاجتماعية الخطيرة، "ولم يكن حظ الخطبة من ذلك الرواج والنقاء في أي عصر من عصور الأدب العربي كله مثل ما كان في هذا العصر، خصوصا في أول قيام الدولة، وأثناء بذل جهودها العديدة في تثبت أقدامها ودحض خصومها" (شلبي ع.، 1981، صفحة 210). وقد أسهمت عوامل عدة في ازدهار فن الخطابة الأموية بأنواعها السياسية والدينية والمحفلية.

2. بواعث ازدهار الخطابة في العصر الأُموي:

أسهمت عوامل متعددة في ازدهار الخطابة في العصر الأُموي، بإمكاننا حصرها في المعطيات السياسية والأدبية والدينية:

أ. المعطى السياسي:

ظهرت البوادر الأولى للصراع حول السلطة في الإسلام بعد مقتل الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله، واختلاف المسلمين بخصوص الإسراع بالقصاص له، فقد رفض بعض الصحابة مبايعة علي كرم الله وجهه، وطالبوه بضرورة التعجيل بإقامة الحد على قتلة عثمان، إلا أن عليا حاول إرجاء مسألة القصاص ريثما تهدأ نفوس المسلمين وتستقر أوضاع الأمة. وقد كان معاوية بن أبي سفيان من أشد المعارضين لولاية علي، إذ "لم يعدم الحيلة لاستمالة الأعوان، وإضعاف علي، فجعل يبذل الأموال، وجعل يطلب بدم عثمان، ويحمل عليا جريرة مصرعه، وينادي بأنه قريب عثمان وولي دمه" (الحوفي، صفحة 15). وما لبث أن تحول هذا الخلاف السياسي بين علي ومعاوية إلى مواجهة عسكرية بينهما في معركة صفين سنة 37 هجرية، التي كان على قريبا من الانتصار فيها، لولا الحيلة التي لجأ إليها قائد جيش معاوية عمرو بن العاص، فقد رفع جنوده المصاحف، ثم كانت حادثة التحكيم وما تلاها من خلع على وتثبيت معاوية.

وبعد مقتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه واستيلاء بني أمية بزعامة معاوية بن أبي سفيان على الحكم، ازداد السخط على الأمويين. و"سرعان ما تكون تحت تأثير هذا السخط أحزاب سياسية كانت تعارض بني أمية (وهو الحزب الحاكم الذي يمثل الأغلبية بزعامة معاوية بن أبي سفيان، يندمج فيه أهل الشام وكثير من أهل البلدان الأخرى).و من أشهر هذه الأحزاب التي كانت تخاصم الأمويين وتدعو إلى الانتفاض عليهم هناك: حزب الزبيريين (أي الحزب الذي يتكون من أتباع عبد الله بن الزبير، وينادون بأحقيته في الخلافة بعد مقتل الحسين بن علي). وحزب الخوارج (الحزب الذي ثار على الخليفة علي بن أبي طالب بعد قبوله التحكيم مع معاوية في معركة صفين، ولقبوا بالخوارج لخروجهم عن الجماعة)... وقد اختلفت هذه الأحزاب حول فكرة الإمامة أو الخلافة ومن أحق بها من المسلمين" (ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، صفحة 85).

الواضح إذن أن الخطابة في العصر الأموي تطورت تحت تأثير الحياة السياسية المزدحمة بالحركات والتيارات السياسية المتباينة والمتصارعة، التي كانت جميعها تحرص على الترويج لمشروعها السياسي من جهة ومواجهة الخصوم من جهة أخرى. وكان من الطبيعي أن تكون الخطابة السياسية إحدى وسائل هذا التواصل والدعاية، حيث وجد الخطباء في الصراع حول السلطة "معينا للقول، وحافزا إليه، يذكر المعترضون على بني أمية مساوئهم، واجترائهم على ذوي الحق، ويرمونهم بالخروج على الدين، ويذكرونهم بماضي أسلافهم في محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والسابقين، والأمويون يرمون أولئك بالبغي والخروج على الطاعة" (أبوزهرة، الصفحات 296-297).

ونستطيع أن نؤكد بناء على ما سلف، أن الخطابة لم تكن بمعزل عن حياة الأمويين السياسية المضطربة والثائرة، بل أثرت فيها من جانب وتأثرت فيها من جانب آخر؛ فقد كانت الخطابة –والشعر- وقود الفتن المشتعلة ولسان الأحزاب المتصارعة، إذ لكل طائفة خطباؤها وشعراؤها الذين ينتصرون لها ويدافعون عنها، ويكيلون الهجاء والذم لأعدائها من الطوائف الأخرى.

ومن هنا، كانت الخطابة إلى جانب الشعر من أقوى الأسلحة التي يواجه بها كل فريق خصومه، فهم يدركون أن فن القول والتأثير على القلوب من أهم ما يعلنون به مبادئهم وأهدافهم التي تعددت وكثرت في هذا العصر (عبدربه، صفحة 21). بيد أن من يستقرئ الأدب الأموي-شعرا وخطابة_ سيكتشف أن الشعر كان من اختصاص الدعاة والمتعاطفين، أما الخطابة فكانت من اختصاص الساسة غالبا (الخلفاء، الوزراء، الولاة...).

وكما أثرت الخطابة في هذه الحياة السياسية المضطربة تأثرت بها، إذ كان للخصومات بين الأحزاب تأثير واضح في نهضة فن الخطابة، فقد عمل كل فريق على تقريب الخطباء والشعراء ومنحهم

الحضوة والمكانة المرموقة، فتزايد عدد الخطباء والشعراء بشكل كبير يصعب معه الإلمام بإنتاجاتهم أو إحصاء عددهم.

ب. المعطى الأدبي:

تميز العرب في العصر الأموي بقدرة بيانية عظيمة وملكة خطابية خصبة، ففي تلك الفترة "كانت لا تزال للعرب سلائقهم اللغوية ولم تفسد ألسنتهم بمجاورة الأمم الأجنبية والاختلاط بشعوبها، وكانوا من بلاغة المنطق وحسن البيان وجودة الإفصاح والإفهام بحيث يستطيع متكلمهم أن يبلّغ ما يريد من استمالة الأسماع مع الديباجة الرائعة والرونق البديع" (ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الأموي، صفحة 406). ولم يكن الخلفاء الأمويون بمعزل عن الجو الأدبي الذي طبع هذا العصر، حيث حرصوا على العناية بالأدب والأدباء وتعلم البلاغة والفصاحة، ودليلنا في ذلك أنهم كانوا "ينشئون أبناءهم في البادية لتكفل لهم التربية فيها منافع، منها فصاحة القول" (الحوفي، صفحة 365)، كما كانوا يعقدون المجالس الأدبية ويستدعون الرواة والخطباء والشعراء ويكافئونهم بجزي العطاء. وقد كان لهذه المجالس الأثر الكبير في تقويم الألسنة وتهذيب الملكات. ويعد عبد الملك بن مروان من أشهر خلفاء بني أمية فصاحة وبيانا، ساعده في ذلك "قوة حفظه وغزارة ذاكرته، وسعة اطلاعه، وحبه للأدب وأهله، وسرعة بديهته في استخراج ما علق بالذاكرة [...] فرغم اهتمامه بالسياسة ونهوضه لها في عشرين عاما لم يبتعد عن الأدب ولا عن أهله" (جفال، صفحة 365).

ولم تكن نهضة الخطابة الأموية مرتبطة بهذه المعطيات وحدها، بل أسهمت فيها عوامل أدبية أخرى، نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

- اختلاط الأمويين بالموالي والعناصر الأجنبية الأخرى (الفرس، الروم..) نتيجة اتساع رقعة الدولة الإسلامية.
- انتشار الكتابة والتدوين فيما بينهم.
- اطلاع الأمويين على إنتاجات الثقافات القديمة كالفرس والروم والسريان عن طريق الترجمة.

واستنادا إلى ما سبق، نستطيع القول إن تأثير السياق الأدبي والثقافي في خطابة الأمويين يظهر في لجوئهم إلى إثارة خيال الجماهير باستعمال المجازات القوية، ومخاطبة عقولهم لا عن طريق الدقة في التعبير فحسب، بل عن طريق المجازات والاستعارات كذلك، من أجل تحقيق الإقناع المطلوب والتأثير المرغوب.

ج. المعطى الديني:

لم يقتصر الاقتباس من معاني القرآن الكريم عند الأمويين على الخطابة الدينية والوعظية فحسب، بل نجد أن الخطابة السياسية بدورها تلونت بالحياة الإسلامية؛ إذ تأثرت بالقرآن الكريم والحديث الشريف والثقافة الإسلامية العامة والمذاهب الدينية القائمة وأصول علم الكلام. وقد ظهر هذا التأثر في طرق صياغة خطابة السياسيين وأساليب استدلالهم، وفي القيم التي مدح بها خطباء الأحزاب زعماءهم، ووصفوا قادتهم، من قبيل: الإشادة بالعدل والمساواة والتقوى، والاقتداء في الحكم بالنهج النبوي السديد. في مقابل الرذائل التي وصم بها هؤلاء الخطباء معارضيهم، مثل نعتهم بالضلال والفجور والكفر وإهمال حقوق الرعية.

ومن الواضح أن استحضار الأمويين للمعاني الدينية في خطبهم السياسية راجع إلى أنهم كانوا "متذوقين لبلاغة القرآن، فهم يجدون في هذه الآيات تعبيرا صادقا عما يريدون أن يقولوا، ثم لأنهم يعرفون استجابة سامعيهم للبلاغة، فيضيفون إلى بلاغتهم هم وإلى تأثيرهم الخطابي أعظم ذخيرة من البلاغة ومن سلطان الدين" (الحوفي، صفحة 353). ولعل من أشهر الخطب السياسية التي اقتسبت من معاني القرآن الكريم خطبة مصعب بن الزبير، والتي ألقاها حينما بعثه عبد الله بن الزبير واليا على البصرة سنة 67 هجرية، معتمدا في صياغتها على آيات القرآن الكريم مقتبسة من سورة القصص (من الآية 1 إلى الآية 5)، والمعبرة عما في نفسه، "فقد شبه بني أمية بفرعون في الطغيان والاعتداء على حق الحياة، وتكهن بأن الزبيريين الذين ينكل بهم بنو أمية هم الذين سينزعون الملك منهم ويرثونهم، وبأن العراق سيكون مقر ملكهم، وبأن بني أمية سيصطلون من نار الزبيريين ما كانوا يخشونه" (الحوفي، صفحة 356).ومن الاعتبارات الدينية التي كانت مؤثرة في ازدهار الخطابة الأموية "استعمالها في الجدل الديني عند الخوارج والشيعة وسواهم" (خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، صفحة 408). غير أننا نلاحظ أن المرجعية الدينية كان أكثر حضورا في خطب الخوارج والشيعة والزبيريين، مقارنة مع خطب الأمويين. ولعل مرد ذلك –في اعتقادنا- إلى أن ساسة بني أمية لم يؤسسوا إيديولوجيتهم في الحكم على الدين فحسب، خلافا لمرجعية الأحزاب الأخرى التي كانت دينية صرفة.

من خلال كل ما تقدم، يمكننا أن نجمل الاعتبارات التي ساعدت على نشأة الخطابة السياسية في العصر الأموي فيما يلي:

- اعتبارات سياسية: فقد كان للصراعات الحزبية حول السلطة أثر مهم في هذه النهضة الأدبية الكبيرة التي عاشتها الخطابة. وإذا نظرنا إلى خطب العصر الأموي نتبين أن جلها ذات طابع سياسي؛ حيث ترتبط بشكل وثيق بالنزاع الذي كان قائما حول الخلافة بين الحزب الأُموي وغيره من الأحزاب الأخرى المعارضة.

- اعتبارات أدبية: فقد كان الخلفاء والأمراء والولاة كلهم من عنصر عربي، وهم يحبون البلاغة ويعشقون الأدب. وهذا ما جعل خطبهم ثرية بالأفعال اللغوية، حافلة بالصور الفنية ذات البعد الأدبي الجمالي.

- اعتبارات دينية: فقد أثرت بلاغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في نفوس الأمويين من حكام ومحكومين، وهذبت من ألسنتهم وأغنت ملكاتهم في البيان. ويبدو هذا الأمر جليا في معظم خطبهم؛ حيث نجد الخطيب السياسي الأموي يمزج بين خطابين متباينين، فيبدأ خطبته بآيات من القرآن الكريم، ويختتمها بالدعاء، وهو ما ينطوي على مزج بين الخطابين السياسي والديني.

قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، دار القلم، بيروت، لبنان، (د.ت).
- شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، مصر، ط8، (د.ت).
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط11، (د.ت).
- عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، درا الشروق، ط1، 1981.
- فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2005.
- محمد أبو زهرة، الخطابة: أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، ط2، 1980.
- محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1990.
- نقولا فياض، الخطابة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014.

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية تصدر عن المركز العربي الديمقراطي ببرلين – ألمانيا
ISSN : 2625 - 8943
Journal of cultural linguistic and artistic studies issued by the democratic Arabic center – Germany - berlin

التنوع التداولي في مسائل العدول عن الأصل
التقديم والتأخير أنموذجا

Pragmatics variation in issues of deviation from origin
Advancement and delay as a model

طالبة الدكتوراه شواف يمنة
أ.د بلقاسم عيسى
مخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة في الجزائر
جامعة ابن خلدون تيارت
البريد الإلكتروني yamena.chouaf@univ-tiaret.dz

ملخص:

يسعى هذا المقال إلى معالجة أهم القضايا البلاغية التي اهتم علماؤنا القدماء بدراستها، وهي العدول النسقي أو ما يعرف بالتقديم والتأخير وفق مقاربة تداولية، يتبين من خلالها حضور المنجز اللساني التداولي في التراث البلاغي.

الكلمات المفتاحية :التداولية، التقديم والتأخير، القصد، المقام

Abstract:

This article aims to address the most important rhetorical issues that our ancient scholars focused on studying, namely "Al –Adul –Nasaqi " or what is known as advancement and delay, according to a pragmatic approach, which reveals the presence of pragmatics achievements in the rhetorical heritage.

Keywords: Pragmatics, advancement and delay, intention, context of situation.

مقدمة:

يعد العدول عن الأصل من المسائل التي انشغل بها علماؤنا القدماء، إذ حظي بعناية كبيرة من قبلهم، فهو أسلوب يخرج فيه المتكلم من المألوف إلى اللامألوف لقصد يريد تبليغه، كما يعتبر صورة من صور الاتّساع فمن ديدن العرب وسننهم التوسع في الكلام، وقد عد ذلك ابن جني من شجاعة العربية يقول: " فالاتّساع فاش في جميع أجناس شجاعة العربية" (جني، دت، صفحة 447)

ويبدو التحول عن الأصل في عدّة أنواع منها العدول بالترتيب، وقد ارتأينا أن نعالج مسألة التقديم والتأخير وفق رؤية تداولية، والمراد بالتنوع التداولي هاهنا أن يقوم المخاطبون بالتنويع في الكلمات

وترتيبها، وصيغ المخاطبة...وغير ذلك من أجل تحقيق أهدافهم التواصلية بطريقة ملائمة والسياق، (لونج، 2019، صفحة 100) وسنركز في بحثنا هذا على تنوع المقاصد التداولية لإعادة الترتيب.

أوّلا-التداولية الماهية والأهمية:

أهملت المناهج البنيوية الشكلية والتوليدية التحويلية في وصفها وتفسيرها للبنى اللغوية البعد التواصلي للغة باعتباره الوظيفة الأساسية للغات البشرية، ضف إلى ذلك عدم مراعاتها للواقع الاجتماعي النفسي للمتخاطبين، ومع تراكم الأبحاث وتنوع مجالاتها اللسانية أصبح من الضروري أن يخوض المنهج اللساني المعاصر في مستوى جديد من مستويات اللغة بحثا عن المعنى المقصود الثاوي خلف الملفوظ، هذا المستوى الإجرائي التفاعلي الجديد هو ما يصطلح عليه بالتداولية، (فاضل، سبتمبر 2016، صفحة 85) فقد أدرك التداوليون أهمية المسائل المتعلقة بالمقام الاستعمالي الذي يمارس فيه النشاط اللغوي مثل المعنى اللغوي، ووظائف الكلام، ومقاصده، وغيرها ممّا يتم التعامل من خلاله مع اللغة من حيث هي خطاب منجز في زمن ومكان معينين، وهكذا بنى التداوليون أسس منهجهم اللساني من خلال الإجابة عن مجموعة من الأسئلة الإجرائية من قبيل: من المتكلم؟ وعم يتكلم؟ وإلى من يتكلم؟ وما الفائدة المرجوة من الكلام؟ وماهي ظروف إنتاج الكلام؟ وغيرها. (دبة، 2019، صفحة 42)

ومن هنا نشأت التداولية التي كانت بدايتها مع محاضرات الفيلسوف جون أوستين J.L.Austin التي ألقاها في جامعة هارفرد سنة 1955 وجمعت في كتاب موسوم بـ " كيف ننجز الأشياء بالكلمات How to do things with word ."

ولعل أقدم تعريف لها يعود للفيلسوف الأمريكي شارل موريس Charles Morris الذي قام بتقسيم السيميائية إلى ثلاثة أجزاء: (علجية، سبتمبر 2016، صفحة 160)

1-علم التراكيب Syntax: يهتم بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات.

2-علم الدلالة Semantics: يعنى بدراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها.

3-التداولية Pragmatics: وهي دراسة علاقة العلامات بمستعمليها.

ويعتبر شارل بيرس Charles-S-Pierce أول من وضع مصطلح التداولية من خلال مقال نشره معنون بـ " كيف نجعل أفكارنا واضحة؟"

ويرى جورج يول George Yule أنّ اللسانيات التداولية تختص بدراسة المعنى كما يوصله المخاطب ويُفسره المُخاطَب، فهي مرتبطة بتحليل ما يقصده النّاس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه الألفاظ، وعلى هذا الأساس فالتداولية هي دراسة للمعنى المقصود من قبل المتكلم (يول، 2010، صفحة 19)

وفي هذين التعريفين إشارات نلمح في مجملها أن المراد بالتداولية ذلك العلم الذي يدرس اللغة في سياقاتها.

وقد برز الاهتمام بالقصد Intention في التداولية مذ أسس جون أوستين نظريته في " أفعال الكلام Speak Acts " والتي تقوم على مبدأ أساس مفاده أننا حين ننتج مقولاتنا فإننا قد نتجاوز المقولات النحويّة ومن ثم المقولات الدلالية المستندة على معيار مطابقة الواقع الخارجي (صدق/كذب) أوّلا، وننجز فعلا أو جزءا منه ثانيا، واستنادا إلى ما سبق رأى أوستين أنّ كل قولة نستعملها لإنجاز فعلا، فإنّها تتضمن إنشاء ثلاثة من أفعال الكلام (مرسي، 2017، صفحة 173)

1-فعل الكلام التلفظي Locationary Act:

عرّفه أوستين بأنّه تركيب لغوي يتكون من معنى ومرجع يكونان ما يعرف بالدلالة بالمعنى التقليدي للكلمة. (نصيرة، صفحة 3674)

2-فعل الكلام المتضمن في القولIllocutionary Act :

ذهب أوستين إلى أن فعل الكلام يتكون من المحتوى القضوي Propositional Content وقوة متضمنة فيه مصاحبة للمعنى الحرفي، ويكون هو المقصود. (ينظر، المرجع نفسه، صفحة 3674)

3-فعل الكلام التأثيري Perlocutionary Act:

الأثر الذي يحدثه فعل القصد بالقول (فعل الكلام المتضمن في القول).

كما وقد لاحظ الفيلسوف غرايس H.P. Grice أن الجمل في بعض المقامات تدل على معنى غير مضمونها القضوي، ويظهر ذلك من خلال الحوار الآتي بين أستاذين: (GRICE، 1995، الصفحات 51-71)

*الأستاذ (أ): هل الطالب (د) مستعد لمزاولة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟

*الأستاذ (ب): الطالب (د) لاعب كرة ممتاز

لاحظ غرايس أننا إذا ما تأملنا الشحونة الدلالية لإجابة الأستاذ (ب) وجدناها تدل على معنيين اثنين: Literal Meaning

أ-معنى حرفي يتمثل في أنّ الطالب (د) لاعب من لاعبي الكرة الماهرين.

ب-معنى استلزامي: وهو أن الطالب ليس على استعداد لإكمال دراسته في قسم الفلسفة.

وهذه الظاهرة سماها غرايس بـ " الاستلزام الحواري - Conversational Implicature " وذلك عندما قسم محادثات الناس إلى ثلاثة أقسام : (الزبيدي، صفحة 485)

1-قد يقولون ما يقصدون.

2-قد يقولون أكثر مما يقصدون.

3-قد يقصدون عكس ما يقولون.

ويعد القصد في الدراسات التي اهتمت بتقصي المعنى ركنها الركين فعلى أساسه يبني البعض تفريقا بين مجالين اثنين، الدلالة والتداولية، فجيفري ليتش يرى أنّ الفرق بينهما يتوقف على تفريقنا بين الجملتين الآتيتين: (مقبول، في تداوليات القصد، 2014، صفحة 1211)

أ-ماذا تعني (أ)؟

ب-ماذا تعني أنت بـ (أ)؟

ويكمن الفرق بينهما حسبه في أن مجال الدلالة يعنى بالمعنى (ج أ) بصرف النظر عن مقامه والمتحدث به أو المتحدث إليه أو غير ذلك من خصائص السياق، في حين تستلزم التداولية لفهم المعنى عنصر المتكلم أو مستعمل اللغة (ج ب) مع ما يقصده من مقاصد.

أمّا عن أهمية اللسانيات التداولية فتتجلى في اهتمامها باللغة المستعملة من طرف المتكلمين لا بالاهتمام باللغة المجردة، كما أنّها تركز على العلاقة بين المتكلم والمقام وتأثير هذا الأخير على مقاصد المخاطب (بوجمعة ع.، صفحة 166)، وما يميزها عن غيرها من اتجاهات البحث اللساني كونها مصب انصباب العلوم ذات الصلة باللغة، فهي همزة وصل بينها وبين لسانيات الثروة اللغوية (آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 2002، الصفحات 14 - 15)، ضف إلى ذلك أن البحث التداولي يولي عناية فائقة للشروط الخارج لغوية المتصلة بالسياق والمقام، ومقاصد المتخاطبين وظروف الاستعمال، فهي أصبحت جزءا من دراسة الإنجاز Part of performance . (مقبول إ.، 2001، الصفحات 245-246)

ثانيا-المقاصد التداولية للتقديم والتأخير:

التقديم والتأخير أسلوب من أساليب البلاغة، وهو دلالة على التمكن في الفصاحة وحسن التصرف في الكلام، ووضعه في الموضع الذي يقتضيه المعنى، (العدوس، 2007، صفحة 97) و " هو باب كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيد الغاية، لايزال يَفتَرُّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولاتزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أنْ راقك ولطف عندك، أن قُدِّم فيه شيء، وحوِّل اللَّفظ عن مكان إلى مكان " (الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، 1992، صفحة 06)

وللتذكير، قسم النحاة مراتب الكلم في الجملة إلى رتب محفوظة وأخرى غير محفوظة، إذ خصوا مواقع المفردات بترتيب خاص يكون فيه بعضها أسبق من بعض، فقالوا أنّ الأصل في الجمل الاسمية أن

يتقدم المبتدأ عن الخبر لأنّ مرتبة العمد قبل مرتبة الفضلات، والأصل في المبتدأ التقديم وفي الخبر التأخير، لأنّه يخبر به عنه، وما يرد على أصله لا يسأل عن علته، لكن قد يعدل عن هذا الأصل فيتقدم الخبر على المبتدأ لأغراض بلاغية (حمراني، العدول عن الأصل في تراكيب اللسان العربي وتطبيقاته في القرآن الكريم، 2013/2012، الصفحات 139-140)

كما يجوز التحول عن أصل الترتيب (مبتدأ وخبر) أو (فعل وفاعل ومفعول) بشرط أمن اللبس Disambiguation في الكلام، وهي " قاعدة تداولية بامتياز " (حباشة، 2008، صفحة 60).

وقد سلك البلاغيون في هذا مسلك النحاة، فاعتمدوا على فكرة الأصل والفرع، أي الرتب المحفوظة والرتب غير المحفوظة، بيد أن اهتمامهم اقتصر على الرتبة غير المحفوظة لأنّها هي التي تمنح المتكلم أو الأديب حرية في التعبير. (معلوف، 1996، صفحة 308)

وكان سعي البلاغيين إلى الرتبة غير المحفوظة مرده نظرتهم لها على أنّها الركيزة الأساسية في علم البلاغة، وما يدل على ذلك ما ذكره الزمخشري فيما يخص التقديم والتأخير في البلاغة، (ينظر، المرجع نفسه، الصفحات 308-309) يقول: " إنّما يقال مقدم ومؤخر للمزال وللقار في مكانه " (الزمخشري، 1998، صفحة 273)

واهتدوا في ذلك على ما قاله سيبويه: " كأنّهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم " (سيبويه، 1977، صفحة 373)، ويرى د/ عبد الرحمن يودرع أنَّ هذه العبارة تدل على أنّ الألفاظ في التركيب كلها مهمة سواء أقُدمت أم أخرت، فتقديم الفاعل وتأخيره، أو تقديم المفعول به وتأخيره كل ذلك عربي جيّد، قد تكلمت به العرب لكنّهم أرادوا بالمفعول مقدما ما لم يريدوه به مؤخرا فما قُدم وحقه التأخير، وما أخر وحقه التقديم تحصل به غاية زائدة على مجرد الإفادة. (بودرع، 28-01- 2020،)

والغرض الأساس من التقديم عند النحويين هو العناية " إنّه قُدم للعناية ولأنّ ذكره أهم " التي تفقده بذلك قيمته التداولية وهذا ما تفطن إليه عبد القاهر الجرجاني حين قال: " وقد وقع في ظنون النّاس أنّه يكفي أن يقال إنّه قدم للعناية، ولأنّ ذكره أهم من غير أن يُذكر من أين كانت تلك العناية؟ وبمَ كان أهمّ؟ " (الجرجاني، دلائل الاعجاز ، صفحة 108)، ذلك أنّ التقديم لا يأتي من أجل إبراز الفائدة فحسب وإنّما يأتي لتمييز المعاني المختلفة التي تدور في ذهن المتكلم، والتي يرغب في إيصالها إلى المخاطب. (عشير، 2006، صفحة 75)

يبدو لنا مما سبق أنّ علماء النحو أولوا أهمية بالغة بظاهرة التقديم والتأخير التي أصل وأسس لها سيبويه في مؤلفه الكتاب مظهرا العناية والاهتمام بالمقدم، وإن كانت هذه العناية مقصد وأصل عام

يتضمن أغراضا عديدة تتنوع بتنوع مقتضيات الأحوال، (حمراني، العدول عن الأصل في تراكيب اللسان العربي وتطبيقاته في القرآن الكريم، صفحة 135) ومن هذه المقاصد المتنوعة التي ينبغي الكشف عنها ما يلي:

1-التقديم والتأخير في النّفي بما:

أورد الجرجاني في مؤلفه " دلائل الإعجاز " مجموعة من الأمثلة تعد قواعد تداولية مضمونها أنّك إذا قلت: (الجرجاني، دلائل دلائل الإعجاز، الصفحات 124-126)

- " ما فعلت " نفيت عنك الفعل من أساسه.
- " ما أنا فعلت " بتقديم الضمير " أنا " على الفعل نفيت عنك فعلا ثبت أنه مفعول

والشيء ذاته لو قلت " ما ضربت زيدا " بتقديم الفعل فيكون القصد حينئذٍ نفي أن تكون أنت الضارب زيدا.

ولو قلت " ما زيدا ضربت " بتقديم المفعول به " زيد " على الفعل فيكون مرادك من ذلك أنك لم تلحق الضرب بزيد وإنما وقع على مفعول آخر.

ولو قلت " ما أنا ضربت زيدا " يستلزم أن هناك شخص اسمه زيد وقع عليه فعل الضرب، وقصدك نفي أن تكون أنت ضاربه.

وتبعا لذلك ذكر الجرجاني مثالين عن أسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء هما: (الجرجاني، دلائل الإعجاز، صفحة 337)

- " ما ضرب زيدا إلا عمرو " فيه بيان للضارب بأنه عمرو دون غيره.
- " ما ضرب عمرو إلا زيدا " وفيه بيان للمضروب بأنّه زيد دون سواه.

نلمس في أسلوب القصر تأكيدا للكلام بخلاف لو قلنا: " ضرب عمرو زيدا " أو" ضرب زيدا عمرو "، وهذا التأكيد لا يتأتى إلا عن طريق النفي والإثبات، وبما أن -أسلوب القصر-فيه إخراج للكلام من النفي إلى الإثبات، فإنَّ المتكلم يأتي به لإزالة الشك الموجود في نفس السامع، ومحوه.

2-التقديم والتأخير في الاستفهام:

أ-استفهام التقرير:

والتقرير يكون " ممن يعلم لمن يعلم ليثبته على فعله فيكون جزاءً، أو يتحقق أنّه فعله عن قصد " (رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد الخرّاط، ، صفحة 46)ومن أدواته الهمزة ويجب أن يليها الأمر الذي تقرره به (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: بركات يوسف هبود، صفحة 59)، فإذا

بدأت بالفعل كان الشك فيه كقولك: أضربت زيدا، ولو بدأت قولك بالاسم نحو: أأنت ضربت زيدا كان الشك في الفاعل، يقول الجرجاني: " فإذا قلت: " أنت فعلت ذاك " كان غرضك أن تقرره بأنّه الفاعل " (الجرجاني، دلائل الإعجاز، صفحة 113)

وهذا ما يلحظ في قوله تعالى: " **أَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ** " (سورة الأنبياء ،الآية 62)، فقد جاء في كتاب " على طريق التفسير البياني " لـ د/ فاضل السامرائي أن السؤال في الآية الكريمة عن الفاعل وليس عن الفعل أوقع أم لم يقع، فلقد أُشير إلى الفعل بقوله: " أأنت فعلت هذا " (السامرائي، 2017، صفحة 150).

ويقول العلامة عبد الرحمن السعدي في تفسيره بأنه: " حين حضر النّاس وأحضر إبراهيم قالوا له: " أأنت فعلت هذا " أي التكسير " بآلهتنا يا إبراهيم " وهنا استفهام تقرير أي فما الذي جرأك، وما الذي أوجب لك الإقدام على هذا الأمر؟ " (سعدي، 2002، صفحة 526)

يفهم من قوله بأن قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام على علم بالفاعل لكن يريدون الإقرار منه، فأن يتجاهل العارف ويوهم سامعه بأن سؤاله لمعرفة الحقيقة هو ما يعرف بتجاهل العارف أو سوق المعلوم مساق المجهول، والتقرير من الأغراض التداولية لتجاهل العارف

إلا أن السكاكي لم يرتض هذه التسمية تأدبا مع القرآن لوروده فيه يقول: " ومنه سوق المعلوم مساق غيره ولا أحب تسميته بالتجاهل " (السكاكي، 2000، صفحة 537)

ب-استفهام الإنكار:

الإنكار من أبرز الأغراض التداولية التي يخرج إليها الاستفهام ففيه " أنت لا تقرر المخاطب في شيء وإنّما تنكر عليه وتستهجن منه ما حدث في الماضي أو ما يمكن أن يحدث في المستقبل " (عباس، 1997، صفحة 194) من ذلك قوله تعالى: " **أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ** " (سورة الصافات الآية 15) ذلك بأنّ قالوا أنّ الملائكة بنات الله لقول المولى عزّ وجل: " **وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَـٰنِ إِنَاثًا** " (سورة الزخرف، الآية 19.) فأنكر الله عز وجل عليهم وقد صحب هذا الإنكار " التكذيب للتعريض بأن المخاطب ادعاه وقصد تكذيبه " (الزركشي، 1984، صفحة 330) وتقديم الفعل فيه دلالة على أن ما بعده لم ولن يقع لقوله تبارك وتعالى: "**وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** " (الصافات، الآية 151.) وفي ذلك تعزيز لسياق الإنكار والتكذيب. ومثله في قوله تعالى: " **أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ** " (الزخرف، الآية 40) قدم هنا الاسم " أنت " لإنكار الفاعل وهو " موجه عن تقدير ظنّ منه عليه السلام أنّه يختصّ بإسماع مَن به صمم وأنّه ادعى القدرةَ على ذلك، وهذا أبلغُ من إنكار الفعل " (الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1984، صفحة 329)

وعليه فالقاعدة التداولية المستنبطة هي كالآتي:

- أ+ فعل= إنكار الفعل
- كما أ+ اسم = إنكار الفاعل أو المفعول

وقد جاء في كتاب سيبويه " الكتاب " في باب ما تلحقه الزيادة في الاستفهام قوله: " فالزيادة تتبع الحرف الذي هو قبلها، الذي ليس بينه وبينها شيء. فإنْ كان مضموما فهي واو، وإن كان مكسورا فهي ياء، وإن كان مفتوحا فهي ألف، وإن كان ساكنا تَحرّك...فمّا تحرك من السواكن كما وصفتُ لك وتبعته الزيادة قولُ الرجل: ضربت زيدا فتقول منكرا لقوله: أزيدَنِيهْ، وصارت هذه الزيادة علما لهذا المعنى، كعلم النّدبة " (سيبويه، الصفحات 419-420)

وزيادة " نيه " في " أزيدنيه " لغرض الإنكار الذي يجيء بعد الإخبار، يقول أبو حيان: " حكى أبو زيد عن الكلابين أنّهم قالوا لمن قال: رأيتُ زيدا: زيدا إنيه، بحذف الهمزة لدلالة علامة الإنكار عليها، وقال أبو المضاء منهم أزيدا إنيه، فأتى بالهمزة، وهذا الإنكار الذي تلحقه العلامة لا يكون إلا عن مذكور في كلام المخاطب " (الأندلسي، 1997، صفحة 696)

والإنكار في المثال السابق غرض ناتج عن خرق قاعدة من قواعد مبدأ التعاون Cooperative Principal قاعدة الكم Quanitity، خرق قاعدة الكم بالزيادة وهي " أن يقدم المتكلم معلومات أكثر مما يحتاجه المخاطب ليصل إلى مقصوده مستلزما لمعنى غير مباشر يكمن فيه مقصوده، ويفهم من السياق " (رسالة دكتوراه، 2020، صفحة 94)

يتبين مما تقدم أن دلالة الاستفهام على الإنكار تستوجب تغيرات على البنية الاستفهامية تدعم الموقف التداولي الذي يؤطر التكلم. (ريشة، صفحة 169)

3-التقديم والتأخير في الإثبات:

أ-تقديم المفعول عن الفاعل:

أورد الجرجاني في تقدم المفعول عن الفاعل مثالين: (الإعجاز، صفحة 108)

الجملة الأصل: قتل زيدٌ الخارجيَّ

الجملة الفرع: قتل الخارجيَّ زيدٌ

فالجملة الأصل لم تخرج عن السياق الطبيعي للجملة الفعلية المكونة من فعل وفاعل ومفعول به، وهي على هذه الشاكلة تعطي معنى منعدما عن سياقه الخارجي –التداولي- Extralinguistique، ومن وجهة نظر تداولية على الجملة نفسها نجد أنّها تقدم للمتلقي في الوقت ذاته معنى سياقيا مرتبطا بحال المخاطب، فيكون

بذلك تقديم الوحدة " زيد " لحرص المخاطب على معرفة القاتل وتأخير المقتول " الخارجيّ " إهمالا له وعدم الاهتمام والاكتراث به. (شاهين، 2015، صفحة 76)

أما الجملة الفرع فقد قُدم المقتول "الخارجيّ" على القاتل "زيد" لحرص المتكلم على تلبية رغبة المخاطب، وسد النقص المعرفي المطلوب في معرفة قوة التراكيب الإنجازية، وهي أنّ الخارجيّ قتل دون الاهتمام بالقاتل.

لكونه " يعيث ويفسد، ويكثر به الأذى، أنّهم يريدون قتله، ولا يبالون من كان منه القتلُ، ولا يعنيهم منه شيء، فإذا قتل وأراد مريدٌ الإخبار بذلك، فإنّه يقدّم ذكر الخارجيّ فيقول " قتل الخارجيَّ زيدٌ "، ولا يقول "قتل زيدٌ الخارجيَّ " لأنّه يعلم أنّ ليس للناس في أن يعلموا أنّ القاتل زيد له جدوى وفائدة " (الجرجاني، دلائل الإعجاز، صفحة 108)

ب-تقديم المفعول به على الفعل:

يتقدم المفعول على فعله لأغراض بلاغية عدّة أهمها الاختصاص كما في قوله تعالى: " إيّاك نعبد وإيّاك نستعين " إلا أنّ ابن الأثير يرى أن التقديم على هذه الصورة يستعمل على وجهين؛ أحدهما للاختصاص والآخر لمراعاة نظم الكلام يقول: " ...وأمّا الوجه الثاني الذي يختص بنظم الكلام فنحو قوله تعالى:" **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** " (سورة الفاتحة ،الآية 5) وقد ذكر الزمخشري في تفسيره أنّ التقديم في هذا الموضع قصد به الاختصاص، وليس كذلك، فإنه لم يقدم المفعول فيه على الفعل للاختصاص، وإنّما قُدّم لمكان نظم الكلام، لأنّه لو قال: نعبدك ونستعينك، لم يكن له من الحسن ما لقوله: " إيّاك نعبد وإيّاك نستعين " ألا ترى أنّه تقدم قوله تعالى " **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** " فجاء بعد ذلك قوله: " إياك نعبد وإياك نستعين " وذلك لمراعاة حُسن النّظم السجعي" (الأثير، صفحة 212)، وفضلا عن حسن النظم فإنّ هذا النمط من التقديم لإفادة الحصر قال السيوطي: " كاد أهل البيان يطبقون على أن تقديم المعمول يفيد الحصر، سواء كان مفعولا أو ظرفا أو مجرورا، ولهذا قيل في " إيّاك نعبد وإيّاك نستعين " معناه نخصّك بالعبادة والاستعانة " (السيوطي، صفحة 156)، فقُدم المفعول به " إيّاك " في الآيتين السابقتين لتخصيص الله بالعبودية والاستعانة وحده دون سواه.

ج-تقديم الخبر على المبتدأ:

ومن المعاني التداولية التي يتقدم من أجلها الخبر على المبتدأ التخصيص كقولنا: " قائم زيد " في " زيد قائم " فقدم الخبر قائم لتخصيص زيد بالقيام دون غيره (السامرائي ف.، صفحة 138)، فالجملة الثانية المحولة عن الأصل تكون إذا كان المستمع خالي الذهن، لا يعلم عن القضية شيئا، الأمر الذي

حمل المخاطِب على إخبار المخاطَب بقيام زيد، أمّا الجملة الأولى الأصل فتكون إذا كان المستمع في شك من قيام زيد، وبالتالي فالبنية التركيبية " قائم " تحمل وظيفة تداولية Pragmatic function تتمثل في التخصيص.

ولعل أبرز مثال عن ذلك قوله تعالى: " **وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ** " (سورة الحشر، الآية 2.) إذ قدم مدلول الخبر مانعتهم للإخبار بأمرين اثنين: (البغدادي، 1989، الصفحات 191-192)

1-كمال قدرة الله عز وجل على جميع خلقه، لأن هؤلاء اعتقدوا بأن حصونهم حصينة فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا.

2-عدم تحصن الكفار بطاعة الله ورسوله التي هي أمنع الحصون، ولو قدم المبتدأ لما أفاد الكلام هذا المعنى الدقيق.

وهكذا البلاغي يحرص حرصا شديدا على كشف الإرادة الاستعمالية للتراكيب المنجزة، وهي أمر زائد على الشكل لكونها متعلقة بالمقام (السيّد، 2004، صفحة 192)، أو تتجاوز البناء الشكلي للكلمات على حد تعبير تمام حسان.

خاتمة: يمكن أن نخلص من خلال كل ما أسلفناه إلى مجموعة من النتائج:

1-اهتمام اللسانيات التداولية بدراسة البنيات التركيبية دون فصلها عن سياقها التواصلي، وعن متكلميها قد وسّع مجال البحث اللساني.

2-قد يعمد المتكلم إلى الخروج عن الأصل لاعتبارات نفسية وأغراض بلاغية لا تتحقق إن حافظ على النسق الأصلي للجمل، فالجملة لا يتحدد معناها الدقيق إلا بواسطة القرائن المقالية والحالية، وعليه فالعدول النسقي ليس رصفا اعتباطيا للكلمات، بل يتضمن مقاصد معينة.

3-يوجه المتكلم عناصر التركيب فيهندس جملته ويرتب ألفاظها بحسب مقصده، فيعمد إلى تقديم ما حقه التأخير ويؤخر ما حقه التقديم لقصد معين يريد إيصاله، ولا يمكن للمخاطب التوصل إليه أي القصد إلا من خلال سياق الحال، وبالتالي يستحيل عزل الملفوظات عن سياقها الداخلي والخارجي (سياق البنية وسياق الموقف).

4-نلمس جذور اللسانيات التداولية في التراث البلاغي العربي، ومرد ذلك اهتمام علماء اللغة العرب القدماء بالعملية التواصلية، وظروف إنتاج الكلام، فمن الملاحظ أن إضافات البلاغيين في مبحث التقديم والتأخير قد اتسمت بالدقة، حيث اعتبروا اهتمام العرب بالمقدم مقصد عام يضم مقاصد متنوعة تتنوع تبعا لتنوع العناصر السياقية والحيثيات المقامية، وعلى هذا الأساس يمكن القول بأنهم أدخلوا

العامل التداولي في تحليلهم للمعطيات اللغوية، قبل وضع الإطار النظري والمنهجي لعلم التداولية أو الاستعمال اللغوي.

قائمة المصادر والمراجع :

1. القرآن الكريم

أولا : قائمة المراجع :

أ. الكتب والمؤلفات :

1. أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997.
2. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2000.
3. أحمد بن عبد النور المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد الخرّاط، دط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، سوريا، دت.
4. أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ط 1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن،2015 .
5. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 3، دار التراث، مصر، 1984، ج 2.
6. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د ط، إصدار وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، دت، ج 3.
7. جمال الدين بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: بركات يوسف هبود، ط 1، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1999، ج 1.
8. سليمان بن عبد القوي البغدادي، الاكسير في علم التفسير، تح: عبد القادر حسين، ط 2، دار الأوزاعي، 1989.
9. سيبويه، الكتاب، ج 2.
10. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تج: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ط 2، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مصر، دت، ج 2.
11. عبد الحميد مصطفى السيّد، دراسات في اللسانيات العربية، ط 1، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2004.
12. عبد الرحمن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، ط 1، مؤسسة الرسالة، 2002.

ISSN : 2625 - 8943

13. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز.
14. عمر أبو ريشة، ترابطات التركيب والدلالة في النحو العربي نماذج تحليلية من الكتاب، دط ، مركز الكتاب الأكاديمي، دت.
15. فاضل السامرائي، على طريق التفسير البياني، ط 1، دار ابن كثير، 2017، ج 4.
16. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، د ط، شركة العاتك لصناعة الكتاب، مصر، دت، ج 1.
17. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، ط 4، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، 1997.

ب. الرسائل الجامعية :

1. عبد المنعم عبد الله، جماليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم دراسة أسلوبية تداولية، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، مصر،2020.

الاكتساب/التعلم اللغوي وفق الطرح التوليدي

The Generative Approach to Language Acquisition and Learning

عز الدين الزياتي، جامعة محمد الخامس بالرباط، المغرب.
azeddineziyati@yahoo.fr

الملخص:

نقدم في هذه المقالة المدرسةَ اللسانية التوليدية التي نسفت مجموعة من الطروحات السائدة قبلها، وذلك من خلال تحري مجموعة من المسوّغات التي يبرر بها تشومسكي موقفه، فقد سعى إلى تهفيت التصورات التقليدية القائمة حول الاكتساب والتعلم اللغويين، ودحْض ما تدعيه بعض النظريات، ولا سيما البنيوية والسلوكية، من "دجَل" المثير والاستجابة والمحاكاة والتعزيز والتكرار الآلي... وتصحيح مغالطاتها التي تعدّ الإنسان والحيوان سيّان في سلوكاتهما التعلمية القابلة للملاحظة والتجريب.

لقد تبنى مؤسس النظرية التوليدية طرحا عقلانيا فطريا يؤمن بقدرات الكائن البشري ويثمّنه عقلا وفكرا، ويقدِّر الفرق بينه وبين باقي المخلوقات، ليؤكد بذلك مقولة فردريك ماكس موللر Müller إن اللغة هي حدود مملكتنا، ولن تجرؤ بهيمة على اجتيازها.

الكلمات المفاتيح: -الاكتساب -التعلم -اللغة -التوليدية.

Abstract:

This article is aimed at laying out the generative linguistic approach to language acquisition and learning. Having examined a body of evidence substantiating his position, Chomsky falsifies a number of previous flawed theses on the topic. His objective is to reveal the shortcomings of traditional conceptions about language acquisition, refuting the claims held by a set of dominant theories (notably structuralism and behaviorism) about a bunch of taken-for-granted concepts such as stimulus, simulation, reinforcement, and automatic repetition, among others. His superseding approach reacts to such theories' fallacies, which take observable and experimental learning behaviors of both humans and animals to be on the same footing. Adopting a rational innateness-based approach, the founder of generativism argues for the centrality of the capacities of human beings, placing utmost importance on mind and thinking. Being mindful of the big difference between humans and other creatures, he confirms what Friedrich Max Muller said: language is the border of our kingdom, which no animal will dare to cross.

Keywords: acquisition, learning, language, generative grammar

مقدمة:

بعدما خبِر مبادئ البنيوية، وهو أحد هاماتها، وأحاط بالسلوكية وأُسُسها ليصبح أحد أهم معارضيها، شق نوام تشومسكي Chomsky لنفسه مسلكا مغايرا في البحث اللغوي، مؤسسا مدرسة لسانية جديدة قائمة الذات، توائم بين تحكيم العقل والتسليم بالفطرة في مقاربتها لظاهرة اكتساب اللغة وتعلمها.

ولم يكن تشومسكي، وهو يرفع دعائم التوليدية وفق المسار العقلاني الفطري الذي خطّه لنفسه، ليرتكن إلى قواعد التكرار البنيوي الآلي ودراسة المتون، ولا ليطمئن إلى التجريب السلوكي القائم على المثير والاستجابة، أو أن يسلّم بمساواة الإنسان بالحيوان سلوكيا. فقد آمن بالإنسان العاقل المفكر وقدرته الفائقة على الخلق والإبداع، وأن الطفل لا يولد بذهن فارغ أو أنه صفحة بيضاء، حسب السلوكيين، بل إنه مزود بذهن قادر على التخزين والتحليل والإنتاج، وأنكر أن يكون الكائن البشري مسلوب الإرادة، أو أن يكون التقليد والمحاكاة هما مبلغ عِلمه وأقصى إنجازاته. لقد بنى نظرية تقوم على دراسة اللغة والمتكلم وفق مبادئ شمولية كلية تتجاوز وصف البنية السطحية للغة من حيث هي إنجاز، إلى الغوص في البنية العميقة وتحليل القدرة اللغوية.

تأسيسا على ما تَقدّم، وعطفا على كلمة تشومسكي وهو يدافع عن رجاحة طرحه الفطري العقلاني، بقوله: "حسب علمي، إن الطرح العام الوحيد لمعالجة اكتساب معرفة اللغة يتمثل في التصور العقلاني الذي حددتُ معالمه" (Chomsky, 2000, p.115)، نحاول في هذه المقالة المقتضبة أن نستقصي أهم مقومات المدرسة التوليدية في جانبها العقلاني ومظهرها الفطري. وأن نحدد مدى حجّية التبريرات التي تدعم بها التوليدية افتراضاتها حول اكتساب اللغة وتعلمها.

تشومسكي ومسوغات الاكتساب/التعلم اللغوي في التوليدية:

لم يستسغ تشومسكي مبادئ السلوكية والبنيوية في التعلم القائمة على التعزيز والمثير والاستجابة... إذ "إن الإنسان يكتسب لغة محيطه، بكل مكوناتها الصرفية والصوتية والتركيبية... وبكل تعقيداتها وأساليبها، دون أي تعليم منظم، ولا إرشاد من الوالدين أو المربّين أو المعلمين"، (Chomsky, 1988, PP. 35-65) ويفترض "تشومسكي، أن تعلم اللغة يعتمد على وجود تخطيطات Schemeta أو أبنية عقلية بيولوجية فطرية يكون هدفها الوحيد هو السماح للطفل بتعلم اللغة، وأن هذه القدرات هي الأساس، أما عمليات التدريب والعناية الخارجية فلن تقوم بتحسين أداء الطفل إلا بدرجة طفيفة. ويعتقد تشومسكي

كذلك أن التفكير الإنساني وعمليات التصور تعتمد أيضا على أبنية أو تخطيطات بيولوجية فطرية". (قطامي، 2013، ص.30)

وتضعنا النظرة العقلانية التي يدافع عنها تشومسكي على طريق هذا التفسير لطبيعة عملية اكتساب اللغة؛ إذ تسلّم هذه النظرة بأن اللغة ظاهرة معقدة، ومن المحال أن يتم اختزالها في استجابات سلوكية ظاهرة نتيجة تعرضه للمثيرات، بل إن الطفل قادر على أداء مثل هذه السلوكات المعقدة لأنه يتمتع بكفاية عقلية وقدرة فطرية تؤهله لاكتساب اللغة، وهي صفة إنسانية نوعية يتصف بها البشر جميعا دون أرقى الأنواع الحيوانية الأخرى.

إن النظرة العقلانية ترى في عملية اكتساب اللغة عملية بناء داخلية لنحو قواعد لغة معينة، وذلك بافتراض امتلاك الأطفال لإوّالية Mecanism فطرية داخلية تتيح لهم هذا النمط من الاكتساب. وإن الشرط العملي لانطلاق هذه الإوالية واستمرارها، يتمثل في تعرض الطفل ومواجهته للغة معينة، فطالما استمرت هذه المواجهة قائمة وبقي الطفل سابحا في محيط لغوي، تستمر عملية تعلم اللغة وتتطور، تَعَزَّزَ الطفل في هذه العملية أم لم يتعزّز... (بكداش، 2002، ص ص.15-20 بتصرف)

إن التعقيد الذي يسم كل الأنظمة اللغوية، والسرعة التي يتم بها الاكتساب من قِبَل كل طفل ينتمي لثقافة ما وطبقة اجتماعية معينة، أمران يفسحان المجال للاعتقاد بأنه في غياب قدرات فطرية تتيح اكتشاف العلاقات بين الصوت والمعنى، فإن إنتاج الكلام يكون، لا محالة، مستحيلا. (Mallet, 2003, p.277) إن تشومسكي يطرح إشكال تعلم اللغة في إطار ما يسميه بمشكل أفلاطون Plato's Problem، الذي يصوغه كما يلي: كيف يمكن للإنسان الذي له اتصال محدود مع العالم أن يعرف كل ما يعرفه؟ وبالنسبة للغة يكون التساؤل مماثلا: كيف يمكن أن يتعلم الطفل في وقت وجيز جدا نظاما معقدا مثل نظام اللغة؟ (الفهري، 1999، ص.12) وتطرح التوليدية هذا السؤال المستعصي الذي يصعب أن يجد حلا في الطرح السلوكي البسيط، وهو سؤال إشكالي عززه تشومسكي بمفاهيم ثورية جديدة كما سيأتي في هذه الورقة...

وللبرهنة على دور الوراثة في المعرفة اللغوية، يحدد تشومسكي عدة أسباب، منها "أن اكتساب اللغة من قِبل الصغار يحدث ضمن أعمار معينة، ويتبع تسلسلا منتظما. ويتم عادة تعلم جمل وقواعد معينة قبل الأخرى، مع اختلاف بين الأفراد ولكن فقط على نطاق محدود. في هذا الصدد، إن اكتساب لغة ما يشبه تعلم المشي: بصرف النظر عن ذوي الاعاقات العقلية أو البدنية، جميع الصغار يتعلمون المشي في سن معينة وبتسلسل تدريجي معين، ولكن فقط مع اختلاف طفيف بينهم. نحن نفترض عادةً أن تعلم

المشي هو محدد وراثيا، ومن المعقول أن نستنتج أن تطور اللغة هو كذلك أيضا..." (كوبلي، 2016، ترجمة هبة شندب، ص.212)

ومن الجوانب الداعمة لقوة الفرضية الفطرية، هناك:

- السهولة التي يكتسب بها الطفل اللغة، رغم قِصر مدة التعرض لهذه اللغة، دون أي تعليم ممنهج، ولا خطة مرسومة.
- ليس بالضرورة حضور مفهوم التعزيز؛ فهناك من اكتسب اللغة ولم ينطق بها إلا في سن متأخرة نسبيا.
- مع تفاوت البشر في مستوى الذكاء، لكن الجميع يتمثل قواعد لغته الأم ويستعملها.
- الكليات اللغوية المشتركة بين اللغات تزكي فرضية الفطرية. (Putnam, 1971, pp.243/244)

غير أن تشومسكي ليس النموذج الوحيد الذي يمثل هذا الاتجاه، إذ نستحضر في هذا الصدد كلا من جاكندوف Jackendoff وكراشن Krashen ولينبرغ Lenneberg وغيرهم ممن ينطلقون من افتراض وجود استعداد فطري بيولوجي لاكتساب اللغة ويستدلون بالكليات اللغوية.

فجاكندوف يفترض "أن القدرة على تعلم اللغة هي أيضا خصوصية محددة وراثيا، وإنها جزء طبيعي من بيئة العقل البشري" (عطية، 2019، ص ص.101/100). و"يجب أن تكون متوحدة ومتماثلة نسبيا من فرد لآخر، فهي تشبه تعلم المشي والركض، حيث يختلف الأفراد في تفاصيل وسرعة مشيتهم، ولكن الجميع قادر على ذلك أصلا، [إن] الاتساق والتماثل النسبي في اكتساب اللغة الأولى، على الرغم من التباين الواسع في مستويات الذكاء العام، يدل على خصوصية في الدماغ أساسها جيني". (عطية، 2019، ص.103)

أما كراشن 1981 في نموذج/نظرية المراقب أو الموجه The Monitor Model/Theory، فيقترح تفسيرا للاكتساب اللغوي على أساس فطري، ويميز بين الاكتساب والتعلم؛ فالاكتساب عملية لا شعورية تفضي إلى معرفة ضمنية لقواعد اللغة وتمكّن المتعلم من التحدث بكل طلاقة، ليشكّل المتعلم نحوَه الذهني. بينما التعلم عملية شعورية تتيح للمتعلم تكوين النحو المرجعي حسب كراشن؛ والذي يستشيره أثناء عملية التعبير الشفهي أو الكتابي مخافة الزلل أو اللحن. (Krashen, 1981, pp.76-80)

ويعتقد اللساني البيولوجي لينبرغ أشد الاعتقاد في فطرية الاكتساب اللغوي لدى الطفل مستدلا بالدعامات البيولوجية الكامنة، وأنه يكتسب بالضرورة لغة بيئته ما لم يحُل دون ذلك حائل؛ الإعاقة على سبيل المثال. (كوردر Corder، 1990، ترجمة موسى الشامي، ص.26)

افتراضات المدرسة التوليدية:

من الافتراضات والمفاهيم الأساسية التي تقوم عليها التوليدية باعتبارها نظرية عقلية فطرية، أن الطفل يولد بجهاز بيولوجي لاكتساب اللغة L.A.D. (language acquisition device)؛ وأنه يكتسب اللغة بفعل الوراثة أولا ثم العوامل البيئية في مرتبة ثانية، وهي فرضية ترتكز على عقيدة الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور Arthur Schopenhauer (1788-1860)، يترجمها تشومسكي بقوله: "...ينبغي تفسير كيفية تمكُّن الفرد من تطوير نظام معرفي غني جدا انطلاقا من معطيات محدودة. فهو يسمع، في محيط لغوي، مجموعة من الجمل غير تامة في الغالب ومتفرقة... ومع ذلك فإنه يفلح في فهم قواعد تلك اللغة وتمثّلها في وقت وجيز (...) إن هذا يوحي بوجود ملكة بيولوجية ما". (Chomsky, 1979, p.63)

إن "جهاز اكتساب اللغة" المفترض يمكِّن الطفل من التوصل بنفسه إلى استخلاص قواعد لغته، ويعمل على روزها واختبارها بشكل فطري عقلي، بناء على نماذج لغوية محدودة، دون أي شكل من أشكال الشرح أو التأطير والمساعدة. هذا الجهاز الوراثي يصفه ديڤيد ماكنيل Mc Neil 1966 بأنه يحتوي على أربع خصائص لغوية نظرية [وهي]: القدرة على تمييز أصوات الكلام من الأصوات الأخرى في البيئة، والقدرة على تصنيف الأصوات اللغوية إلى أنواع يجري تهذيبها فيما بعد، ومعرفة أن نوعا ما من النظام اللغوي هو الممكن وأن أنواعا أخرى غير ممكنة، والقدرة على إنتاج نظام لغوي مبسط مما يتوافر أمامه من مواد.

فقد أشار «ماكنيل» إلى أن مشكلة اكتساب اللغة تتخطى نظرية المثير والاستجابة؛ لأنها نظرية محدودة وضيقة. ولا شك أن فكرة «جهاز اكتساب اللغة» فتحت المجال لدراسة الجوانب الشائكة في الاكتساب مثل قضايا المعنى والتجريد والإبداعية...

وإذا كانت طبيعة هذا الجهاز -المنسق على أساس المقولات النحوية مثل: "فاعل لـ..." أو "مسند لـ..."، أو على أساس إجراءات شمولية لتحليل العملية اللسانية-موضع نقاش فإن وظيفته الأساسية تكمن في إعطاء الطفل جميع العناصر الضرورية لإدراك العلاقات الموجودة بين الأشكال والمعاني في لغته. (بّا محمد، 1992، ص.23. وينظر دوجلاس براون، 1994، ترجمة عبده الراجحي، ص.39) إن هذا

الجهاز حسب، تشومسكي، "قادر على استخدام البيانات اللغوية الأولية كأساس تجريبي لتعلم اللغة". (Chomsky, 1965, p.32)

يؤكد ماكنيل على وجود هذا الجهاز وأهميته، فبواسطته يحقق الأطفال في سنوات قليلة عملية تعلم اللغة الأم بصورة متداخلة. وكل إنسان يولَد يكون مزودا بـ"كفاءة لغوية"، ويمتلك قدرة نحوية كونية فعالة، وبالتالي منذ الطفولة، وعند سماع حديث المحيطين به لا يكون في موقف سلبي بحق، كما أنه لا يقلد تقليدا أعمى الصيغ اللغوية، ولكنه "يصوغ افتراضات" على نفس الطريقة التي يطبق بها الكبار قواعد النحو العامة "على القواعد الخاصة" باللغة المستخدمة في بيئتهم. كما يستطيع الطفل أيضا في وقت قصير نسبيا، الانتقال من عدد محدود من الجمل الجوهرية إلى عدد متزايد وغير محدود من الجمل الممكنة... (سبيني، 1991، ترجمة فوزي عيسى وعبد الفتاح حسن، ص.12)

ومن الافتراضات المركزية في المدرسة التوليدية فرضية النحو الكلي Universal Grammar، ذلك أن "اللغة، بالنسبة لتشومسكي، صورية خالصة. واللغة كلية وفطرية أيضا، إنها قدرة مستقلة للذهن، وليس لها أي ارتباط بالأشياء في العالم الخارجي. اللغة ينبغي أن تكون لها أيضا ماهية، وهو ما يجعل من اللغة ما هي عليه، ويعد ملازما لها. هذه الماهية تسمى "النحو الكلي"، وهي ذات طابع رياضي وصوري خالص..." (لايكوف، وجونسون، 2016، ترجمة عبد المجيد جحفة، ص.618)

إن "نظرية النحو الكلّي تدّعي أن جميع البشر يرِثون مجموعة كلية من المبادئ والمعايير التي تحكم نظام اللغات البشرية. فهو يوفر بنية وصفية مفصلة تمكن الباحثين من إعداد فرضيات محددة جيدًا حول المهمة التي تواجه المتعلم وتحليلها بطريقة أكثر تركيزًا. المبادئ المقترحة من قِبَل تشومسكي (1978) غير متغيرة، وهي قابلة للتطبيق على جميع اللغات الطبيعية؛ على العكس من ذلك، فالوسائط parameters تمتلك عددًا محدودًا من القيم العامة التي تميز الاختلافات بين اللغات البشرية... (Hoque, 2021, P.58)

إن النحو الكلي من المفاهيم المركزية التي يُستدل بها على فطرية اللغة، فـ"تشومسكي منشغل بالنحو الكلي، وليس بالنحو الخاص بلغة من اللغات. إنه يبحث عن ماهية تركيبية خالصة، عن مجموعة من الوسائط التي تشترك فيها كل اللغات وتعرفها بالفطرة كل الكائنات البشرية العادية..." (لايكوف، وجونسون، 2016، ترجمة عبد المجيد جحفة، ص ص.628-629) إننا "نتوفر على تركيب كلّي وراثي (يسمى النحو الكلي) يميّز اللغات الممكنة بشريا بِطيْفية صورية خالصة، ومستقلة، وغير مجسَّدة. هذا التركيب الكلي، الذي تشترك فيه كل اللغات، يحدد ماهية اللغة. (لايكوف، وجونسون، 2016، ترجمة عبد المجيد جحفة،

ص 223) إن النحو الكلي يُعنى بمعرفة اللغة التي تتجلى في التمثيل العقلي المجرد للغة والآليات الحسابية المرتبطة بها، والتي يمتلكها كل البشر ويطلق عليها القدرة وليس الإنجاز... (Hoque, 2021, P.58)

"إن قواعد النحو العالمية هي تنظيم نظري منطقي، وإن الخصائص العالمية للغة هي، كما يقول تشومسكي، ثابتة في جيناتنا ونحن لا "نتعلمها" أكثر مما نتعلم كيف تنمو الأسنان. من خلال دراسة قواعد النحو للغات معينة، يستطيع علماء اللغة الذين يتشاركون مع تشومسكي في الأهداف والأساليب استكشاف خاصية أساسية للعقل البشري، ونعني بها ملكة اللغة التي صاغتها نظريات النحو العالمية. يمكننا أن نرى الآن ما كان تشومسكي يشير إليه (...) عندما اقترح البحث عن "تبصر وفهم لجذور الطبيعة الإنسانية في المجال المعرفي". إن أي ميزة عالمية للعقل الإنساني هي في تعريفها جزء مما يجعلنا بشرا، وهي "طبيعتنا البشرية"، وإن ميزة هامة مثل ملكة اللغة-ولعلها الميزة الوحيدة التي تميزنا بوضوح عن الحيوانات- هي أمر أساسي للكيان الإنساني: فهي جزء من "جذور الطبيعة البشرية"... (كوبلي، 2016، ترجمة هبة شندب، ص ص.214-215)

وعلى مدى العقود الماضية، تم طرح عدد من الحجج لدعم فرضية النحو الكلي؛ إذ تنص على أن اللغات البشرية كلها تشترك في خصائص معينة. فالأطفال يتعرضون لمدخلات مختلفة؛ ولكنها تتشارك القواعد نفسها. (Hoque, 2021, P.61)

"إن كتاب نظرية المبادئ والمعايير Principles and Parameters Theory لتشومسكي 1981 يعتبر كافة الخصائص النحوية في جميع اللغات متاحة بالضرورة للطفل منذ البداية، وفي تعبير أصح هذه الخصائص شبيهة بعينة من البرمجيات التي تأتي معها جميع الخيارات، ولا تتطلب سوى عدد من المفاتيح التي ينبغي ضبطها لتتناغم مع الظروف المحلية. ولكن، على الطفل أن يتعلم المفردات (انظر سالكي Salkie). ولقد ظهر مؤخرا نهج مماثل في علم الأصوات كنظرية الأفضلية Optimality theory (برينس وسمولنسكي Prince and Smolensky: حيث يُنظر إلى جميع القيود الصوتية على أنها شاملة، ويحتاج المتعلم فقط أن يحدد أيا من القيود تأخذ أولوية على أي من القيود الأخرى في اللغة المحلية..." (كوبلي، 2016، ترجمة هبة شندب، ص ص.127-128).

يمكن إجمال علاقة القواعد العامة باكتساب اللغة حسب طرح تشومسكي في ضرورة وجود: "مبادئ أو أساسيات عقلية لغوية تحكم هذا الاكتساب الذي يسيطر بطريقة رائعة ومنتظمة، ولا يحتاج الإنسان فيه إلا إلى حد أدنى من الدخل اللغوي وحد أدنى من الذكاء. هذه الأساسيات كما يقول تشومسكي، لا بد أن تكون عامة في جميع اللغات وعند جميع شعوب العالم؛ بدليل أن أي طفل في العالم يكتسب بل

يسيطر على لغته الأم بطريقة عادية وفي زمن قياسي، ما لم يكن مصابا بعاهات عقلية أو خلقية تمنع حدوث ذلك. ويضيف تشومسكي أن الناطق باللغة يستطيع، بمساعدة هذه القواعد العامة وبقدر محدود من الدخل اللغوي، أن ينتج عددا غير محدود من التراكيب اللغوية وأن يحكم عليها بالصحة أو الخطأ". (العصيلي، 1419هـ، ص ص.367/366)

باختصار، إن "النحو الكلي هو نظام المبادئ والشروط والقواعد التي تُكوِّن عناصر أو مكونات اللغات الإنسانية جميعها (...) إنه نظرية للمعرفة؛ ينصب اهتمامها على البنية الداخلية للعقل البشري (Chomsky, 1976, p.29)، وقد "أخذ ليكون السمة المميزة للأطفال في مرحلة ما قبل اللغة". (جاس سوزان م.، وسلينكر لاري، 2009، ترجمة ماجد الحمد، ص.271) والمبادئ هي سمات بنيوية مشتركة بين جميع اللغات الطبيعية؛ وبالتالي، فهي جزء من الملكة الفطرية للطفل؛ إذ يدعي منهج القواعد العالمية أن هناك مجموعة عالمية من المبادئ والمعايير التي تتحكم في شكل اللغة البشرية... (Hoque, 2021, P.60)

ولا بد من الإشارة هنا، إلى أن تشومسكي في سياق شرحه لمعنى النحو الكلي، يميز كذلك بين مفهومين أساسيين في النظرية التوليدية، هما **البنية العميقة** Deep structure التي تكاد تتطابق في كل اللغات، والنحو الكلي أحد مظاهرها، ومفهوم **البنية السطحية** Surface structure التي تبرز فيها بعض الاختلافات بين اللغات. ومعلوم أن مجال اشتغال النظرية التوليدية هو البنية العميقة/النحو الكلي، أما البنية السطحية/النحو الخاص بكل لغة فأمر ثانوي غير جدير بالاهتمام. وهذان المفهومان مرتبطان كذلك، على التوالي، بمفهومي القدرة والإنجاز. إن "البنية العميقة عبارة عن عبارات معممة تكمن وراء بعض الهياكل السطحية جيدة التكوين". (Chomsky, 1965, p.148)

بتعبير تشومسكي 1965؛ إن الانتقال بين البنيتين يتم وفق آلية معينة، من ضمنها القواعد التحويلية، "لاحظ استنادا إلى هذا الطرح، أن إحدى الوظائف الرئيسية للقواعد التحويلية هي تحويل البنية العميقة المجردة التي تعبر عن محتوى الجملة إلى بنية سطحية ملموسة إلى حد ما تشير إلى شكلها." (Chomsky, 1965, p.146) لـ"تعبّر البنية العميقة عن المحتوى الدلالي للجملة، في حين أن بنيتها السطحية تحدد شكلها الصوتي" (Chomsky, 1965, p.153)، "وبالتالي فإن المكون النحوي في النحو يجب أن يحدد لكل جملة بنية عميقة تحدد تفسيرها الدلالي، وبنية سطحية تحدد تفسيرها الصوتي. يتم تفسير أولى هذه العناصر من خلال المكون الدلالي؛ والثاني من خلال المكون الصوتي." (Chomsky, 1965, p.15)

"وبهذه الطريقة يتم تشكيل التمثيل الصوتي للجملة بأكملها على أساس الخصائص الصوتية المجردة الجوهرية لتكويناتها والفئات الممثلة في البنية السطحية". (Chomsky, 1965, p.154)

"إن التمييز بين البنية العميقة والبنية السطحية، بالمعنى الذي تستخدم به هذه المصطلحات هنا، تم رسمه بوضوح تام في قواعد Port-Royal (لانسلوت Lancelot وآخرون، 1660))"، ولتبديد كل لبس أو غموض في هذين المفهومين يقترح تشومسكي مفهومين تبسيطيين هما الشكل الداخلي والشكل الخارجي، فـ"بدلاً من مصطلحي البنية العميقة والبنية السطحية، يمكن للمرء أن يستخدم مفاهيم همبولت Humboldtian notions المقابلة للشكل الداخلي للجملة وشكلها الخارجي." (Chomsky, 1965, p.213)

ومن المفاهيم الجوهرية الأخرى التي يقدمها تشومسكي، ثنائية **القدرة** competence والإنجاز أو الأداء Performance، والتي يشرحها بتفصيل في كتابه "مظاهر النظرية التركيبية" **Aspects** of the **theory** of **syntax** عام 1965، فالقدرة اللغوية هي مجال اشتغال المقاربة العقلانية الفطرية؛ لأن الإنجاز لا يعكس القدرة بإخلاص، وهو غالبا ما ينحرف عن القدرة أو المعرفة اللغوية المتضمنة في الذهن؛ إنه مجرد عينات صغيرة منها، وأحد احتمالاتها؛ لاعتبارات عديدة، كالنسيان والشرود والتعب...

يقول تشومسكي: "إننا نميز بشكل أساسي بين القدرة (معرفة المتكلم السامع بلغته) والإنجاز (الاستخدام الفعلي للغة في مواقف ملموسة). فقط في ظل المثالية، كما حددناها في الفقرة السابقة[1]*، يكون الإنجاز انعكاسًا مباشرًا للقدرة. وفي الواقع، من الواضح أنه لا يمكن أن يعكس القدرة بشكل مباشر. سيُظهر سِجلّ الكلام الطبيعي العديد من البدايات الخاطئة، والانحرافات عن القواعد، وتغييرات الخطة في منتصف المسار، وما إلى ذلك. إن المشكلة بالنسبة للساني، وكذلك بالنسبة للطفل الذي يتعلم اللغة، هي أن يحدد من بيانات الإنجاز نظام القواعد الأساسي الذي أتقنه المتكلم-السامع والذي يستخدمه في الإنجاز الفعلي (...) ومن ثم فإن النظرية اللغوية بالمعنى الفني هي نظرية عقلية، لأنها تهتم باكتشاف الواقع العقلي الكامن وراء السلوك الفعلي". (Chomsky, 1965, p.2)

[1] -*("الفقرة السابقة" القول لتشومسكي، إذ يعرفها في الصفحة رقم 1 من "مظاهر النظرية التركيبية" كما يلي: "تهتم النظرية اللسانية في المقام الأول بالمستمع-المتحدث المثالي، في مجتمع لغوي متجانس تمامًا، والذي يعرف لغته تمامًا ولا يتأثر بهذه الظروف غير ذات الصلة نحويا مثل ضعف الذاكرة، والشرود، وتحول الانتباه والاهتمام، والأخطاء (العرَضية أو المنهجية) في استخدام معرفته باللغة في الإنجاز الفعلي).

وهذه إحدى المفارقات التي تسم اختلاف التوليدية عن السلوكية، فالتوليدية تقِيم تمييزا بين القدرة والإنجاز في دراسة اللغة، أما السلوكية فـ"تهتم بالسلوك الظاهري فقط، فاللغة عند بلومفيلد **Bloomfield** وأتباعه من السلوكيين، ما هي إلا مظهر من مظاهر السلوك الإنساني الآلي الخاضع لقانون المثير والاستجابة دون ارتباط بالتفكير العقلي. أي إن الإنسان في سلوكه اللغوي يشبه الحيوان أو الآلة، وأن اللغة ليست إلا نوعا من الاستجابات الصوتية لحدث معين يثبت منها ما يلقى حافزا أو تعزيزا إيجابيا في حالة الصحة، فيصبح سلوكا أو عادة؛ أي يكتسب، وينطفئ منها ما لم يكن كذلك؛ أي ينسى فلا يكتسب." (العصيلي، 1419هـ، ص ص.329/328) كما أن السلوكية اللغوية مع بلومفيلد اهتمت بالسلوك اللغوي الخارجي الملحوظ؛ وهو الإنجاز بتعبير تشومسكي، الذي يجد تفسيره في الخلفية السلوكية القائمة على ثنائية المثير والاستجابة، مع تحجيم لدور العقل الإبداعي في هذه العملية اللغوية... (Bloomfield, 1933, p.22)

ويرتبط بالقدرة والانجاز مفهوم مركزي آخر، هو **الإبداعية Creativity**؛ وهي صفة مقترنة باللغة منذ القِدم، فـ"في إطار النظرية اللغوية التقليدية، كان من الواضح جدا أن إحدى الصفات المشتركة بين جميع اللغات هي جانبها "الإبداعي". ومن ثم فإن إحدى الخصائص الأساسية للغة أنها تتيح وسيلة للتعبير عن عدد لا نهائي من الأفكار وللتفاعل بشكل مناسب في نطاق غير محدد من المواقف الجديدة..." (Chomsky, 1965, p.4). ويقر تشومسكي بأن "فكرة اعتماد اللغة على نظام من القواعد التي تحدد تفسير جملها العديدة اللامحدودة ليست جديدة بأي حال من الأحوال. فمنذ أكثر من قرن من الزمان، تم التعبير عنها بوضوح تام من قبل فيلهلم فون همبولت Wilhelm von Humboldt في مقدمته الشهيرة، ولكن نادرا ما تمت دراستها في علم اللغة العام (همبولت، 1836). ففي نظره إن اللغة "تَستخدم وسائل متناهية بشكل لا متناه"... (Chomsky, 1965, p.xxi)

إن اكتساب اللغة هو عملية إبداعية، لا ميكانيكية، يلعب العقل في تحقيقها دورا طلائعيا، فالمتعلم يعالج المعطيات اللغوية التي يوفرها له المناخ المجتمعي الذي يعيش فيه معالجة عقلانية. ومعنى هذا أن الطفل الذي يتعلم لغته (...) يلعب دورا رئيسا في عملية اكتساب اللغة، وهو بالتالي لا يردد ما يسمعه من كلام كما يعتقد ذلك السلوكيون، ولكنه يضع فرضيات متعددة يعمل على اختبارها. هذه القواعد التي تُعَدّ محدودة في جميع لغات العالم، والتي يستطيع المتعلم عن طريق اختلاطها اللامحدود أن يكوِّن جملا لم يتلفظ بها أبدا، والتي تجعله يفهم جملا لم يسمعها قَط. هذه هي فكرة الإبداع وثنائية القدرة والإنجاز كما نجدها في كتابات تشومسكي. (الشامي، 1988، ص.23 بتصرف)

باختصار، إن الإبداعية هي ترجمة لـ"قدرة الإنسان الناطق بلغة معينة على فهم عدد غير محدود من العناصر اللغوية في لغته وإنتاجه والحكم عليها من حيث الصحة والخطأ، ولو لم يسمعها من قبل أو يتدرب على استعمالها. هذه القدرة تتكون لدى الإنسان من خلال معرفته النظرية بالتوليد، فقد أشار تشومسكي إلى أن الهدف من دراسة اللغة هو الوصول إلى وصف تلك الوسيلة التي يستطيع بواسطتها الناطق بلغة معينة أن يولّد أو يبتكر جملا، فضلا عن فهمها، ولو لم يسمع بها من قبل." (العصيلي، 1419هـ، ص. 357. وينظر زكريا ميشال، 1992، ص ص.60/59) ويضيف بأن نظرية المنبهات-الاستجابات كما هي لدى سكينر Skinner وبافلوف Pavlov لا علاقة لها باللغة علميا... إنها ميثولوجيا محض لا علاقة لها بالعلم، ولا تملك أي أساس علمي، كما أنها ليست سوى إيديولوجيا مخصوصة أو ميثولوجيا لا تتوفر على أي قدرة تفسيرية، ولم يتم التحقق منها مطلقا من قبل البحث في سلوك ما كيفما كان هذا السلوك... إن الأمر يتعلق بافتراض قبلي في ميدان العلوم الإنسانية، وما من سبب في الوقت الراهن يدفعنا لحمل مثل هذا الافتراض المسبق مَحمل الجِدّ. (عارف، 1991، ص.53)

خاتمة:

إن معرفة تشومسكي الجيدة بالبنيوية والسلوكية أهّلته لبلورة نظرية لسانية جديدة ترتكز على افتراضات علمية ثورية تدحض ما كان سائدا، وترفض التجريب ووصف السلوك الظاهري. فالطفل يستضمر اللغة ويستخلص قواعدها بنفسه ويختبرها، انطلاقا من مدونة محدودة من النماذج اللغوية، ودون حاجة إلى شرح ولا توجيه، وهذه هي المشكلة المنطقية Logical Problem، وهذه العمليات تتم بمساعدة أداة الاكتساب اللغوي. ولا شك أن احتكام تشومسكي إلى العقل والتسليم بدور الوراثة والفطرة أمران أساسيان أضفيا صفة الرجاحة والسداد على مشروعه اللساني التوليدي، الذي يؤمن بقدرة الإنسان على الإبداع، ويدرس القدرة اللغوية الكامنة في الذهن البشري، ولا يلقي بالا إلى صورتها المشروخة المنعكسة على البنية السطحية والتي يمثل الإنجاز أحد احتمالاتها.

-لائحة المراجع:

باللغة العربية:

- بَّا محمد، محمد، "نظريات اكتساب اللغة والمحيط الاجتماعي للطفل" مجلة علوم التربية، العدد 3، السنة 2، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، أكتوبر 1992
- بكداش، كمال، علم النفس ومسائل اللغة. دار الطليعة، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، 2002

- جاس سوزان م.، سلينكر لاري، اكتساب اللغة الثانية، مقدمة عامة، الجزء الأول، ترجمة ماجد الحمد. جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2009
- دوجلاس، براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها. ترجمة عبده الراجحي، علي أحمد شعبان، دار النهضة العربية، 1994
- زكريا ميشال، قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992
- سبيني، سرجيو، التربية اللغوية للطفل. ترجمة فوزي عيسى وعبد الفتاح حسن، مراجعة وتقديم، كاميليا عبد الفتاح، دار الفكر العربي، 1991
- الشامي، موسى، اللسانيات التطبيقية، إلى أين؟ المجلة المغربية لتدريس اللغات، مطبعة النجاح الجديدة، العدد الأول، المغرب، 1988
- عارف، عبد الغاني، "اكتساب وتعلم اللغة في ضوء مفهوم الابداعية". مجلة آفاق تربوية، العدد 3/2، الدار البيضاء، نيابة وزارة التربية الوطنية بعمالة ابن مسيك سيدي عثمان، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1991
- عطية سليمان أحمد، اللسانيات العصبية -اللغة في الدماغ. رمزية -عصبية-عرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، 2019
- العصيلي، عبد العزيز بن إبراهيم، النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية. مجلة جامعة الامام، العدد 22، ربيع الآخر، 1419ه
- الفهري، عبد القادر الفاسي، "اكتساب اللغة العربية والتعلم اللغوي المتعدد". أبحاث لسانية، المجلد 4، العدد 2/1، معهد الدراسات والابحاث للتعريب، الرباط، دجنبر، 1999
- قطامي يوسف، النظرية المعرفية في التعلم، دار المسيرة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2013
- كوبلي بول، دليل راوتليدج لعلم السيمياء واللغويات، ترجمة هبة شندب، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، لبنان، 2016
- كوردر بيت، "ماذا تعني الأخطاء اللغوية للمتعلمين؟"، ترجمة موسى الشامي. المجلة المغربية لتدريس اللغات، العدد 2، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 1990
- لايكوف جورج، وجونسون مارك، الفلسفة في الجسد، الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2016

باللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية:

- Bloomfield, Leonard. Language, (Bloomfield, Leonard. Language. New York: H. Holt & Co. 1933.
- Chomsky, N. Aspects of the Theory of Syntax. The MIT press, Cambridge, Massachusetts, London, England. 1965.
- Chomsky, N. On the nature of language. In H. Steklis, S. Harnard, & J. Lancaster (Eds.), Origins and evolution of language and speech. New York, NY: New York Academy of Sciences. 1976.
- Chomsky, Noam. Language and Responsibility (Sussex: The Harvester Press. 1979.
- Chomsky, N. Language and problems of knowledge: the managua lectures. The MIT Press, MA. 1988.
- Chomsky, Noam. New horizons in the study of language and mind; Cambridge university Press. 2000.
- Hoque, Enamul. The Universal Grammar Theory: Noam Chomsky's Contribution to Second Language (SL) Education. The journal of EFL Education and Research, ISSN 2520-5897. Volume 6, Number 2, June. 2021.
- Krashen, S. *Second Language Acquisition and Second Language Learning*. N.Y. Pergamon Press Inc. 1981.
- Mallet, Bernard. « Affectivités acquisition du langage », (éla/ étude de Linguistique appliquée. Revue de didactologie des langues et cultures. Juillet-Septembre. Didier érudition, paris. 2003.
- Putnam, Hilary. THE INNATENESS HYPOTHESIS AND EXPLANATORY MODELS IN LINGUISTICS, in philosophy of language (ed.) J. R. Searle, London, Oxford university press. 1971.

الأنساق الثقافية في رواية 'العلامة'- المثقف الشمولي بين التاريخ والسلطة

Cultural paradigms in IbnKhaldûn'snovel' -he holistic intellectual between history and power

جمال مورو، باحث في سلك الدكتوراه، مختبر اللغة والمجتمع، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة
البريد الإلكتروني: mouroujamal@gmail.com
د.فاطنة الغزي، أستاذة التعليم العالي، تخصص اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة
البريد الإلكتروني: elrhazi-@hotmail.fr

الملخص:

يندرج هذا المقال في إطار النقد الثقافي، المعني بالكشف عن الأنساق الثقافية، وذلك في رواية العلامة للأديب المغربي بنسالم حميش، بالوقوف على دلالاتها ومحدداتها، وإيراد مصادرها وأنواعها، وكذا تحليل دور المثقف الشمولي في التأسيس للمعرفة التاريخية الموضوعية، وموقفه الفكري من المحكيات الخرافية الموضوعة، والخطابات الصوفية المتداولة وقتها، وكذلك ديناميته المتواصلة في تشكيل بنية السلطة السياسية، الواقعة بين المجاراة والمواجهة في سياق تخييلي أدبي عكسته مظاهر التجريب في الرواية المغربية، عبر التوظيف التجريبي للسيرة الغيرية وتيماتها، واستثمار التاريخ وأحداثه والاشتغال على التراث ومقولاته،... وإسقاطاتها الإجرائية على واقع المثقف العربي وقضاياه، ورهانات النخبة الفكرية داخل المجتمع العربي.

الكلمات المفاتيح: الرواية؛ الأنساق الثقافية؛ المثقف الشمولي؛ التاريخ؛ السلطة.

Abstract:

This article falls within the framework of cultural criticism, which seeks to reveal cultural models in the novel by Moroccan writer Bensalem Himmich, and to hold on to its connotations and determinants, and the market of its sources and types, as well as to analyze the role of the holistic intellectual in the creation of objective historical knowledge, and his intellectual position on established mythical narratives, and Sufi discourses. The current circulation, as well as its continuous dynamic in the formation of the structure of political power, located between pairing and confrontation, in a context of literary imagination, reflected in the manifestations of experimentation in the Moroccan novel, through the empirical use of altruistic biography and its themes, investing history and its events, working on heritage and its statements, ... and its procedural projections on the reality of the Arab intellectual and his judges, and the challenges of the intellectual elite within Arab society.

Keywords: the novel; cultural paradigms; the holistic intellectual; the story; the power.

مقدمة.

عرف الرواق الروائي المغربي طفرة نوعية في الكتابة وديناميةملفتة في التأليف، وهذه الحلقة الإبداعية تريدها روائيون مغاربة نخص بالذكر لا الحصر: محمد برادة، ثم مبارك ربيع، وخناثة بنونة...وآخرون، وتجسد رواية العلامة لبنسالم حميش نموذجا امتداديا لهذه الحركة التأليفية. باعتبار الرواية ملحمة بورجوازية كما وصفها جورج لوكاتش، معدة للتطور والتحول تبعا لمعطيات عصرها، حيث أخذت الرواية المغربية تتشكل بنيتها وتتمظهر تيماتها في ثلاثة مراحل جوهرية: التأسيس، التأصيل، والتجريب.

ورواية العلامة نموذج للتجريب، من خلال استحضاره الوقائع التاريخية والعناصر التراثية، حيث تحمل في مكنونها النصي مضمرات ثقافية خبيئة، متوارية في عباءة السياقات الأسلوبية، التي تصرف نظر المتلقي عن كواليسها الخفية، نتحرى عنها تحت وصاية النقد الثقافي، باعتباره أحد المناهج التحليلية الأساسية، التي حملتها لنا ثورة ما بعد الحداثة الغربية، لكونه المعني الحقيقي بالكشف عن الأنساق الثقافية في ثنايا النصوص الأدبية والخطابات الإبداعية، وبالتالي فالإشكالية المركزية التي تصبوا هذه الدراسة للإجابة عنها هي: ماهي مظاهر حوار الأنساق الثقافية في رواية العلامة،؟ ماهي تجليات التاريخ والسيرة الغيرية في الكتابة الروائية ؟ وما موقف المثقف الشمولي في شخص ابن خلدون من التاريخ، والفكر، والأدب، والسلطة ؟

1- الرواية المغربية ظروف النشأة وإمكانيات التجريب.

الرواية من الأجناس الإبداعية الأكثر ذيوعا في الساحة الأدبية، حتى قيل إن هذا العصر هو عصر الرواية بامتياز، إذ شهدت نقلة من طور إلى آخر بنائيا وموضوعاتيا "ويكاد التعميم ينسحب على قضية الرواية في دورة النهوض واكتمالها حتى يتسنى الانتقال عن الدورة التقليدية، بل يكاد ناقد الرواية يتوصل إلى قناعة مطلقة تقول: إن طرائق الانشقاق عن تلك الدورة وعن روادها جاءت بتنويعات أخرى لصيقة بمتغيرات العصر." (محسن جاسم الموسوي، 1985، ص 27)، إذن، ماهي المراحل الأساسية التي مرت منها الرواية المغربية في سبيل النشأة والتشكل؟ قبل أن تصل إلى مرحلة التأصيل والتجريب، وتصبح جنسا راسخا في حقل الثقافة العربية له بنياته المميزة ورهاناته التخييلية والواقعية." (حسن لشكر، 2010، ص 3.)

1-1- 1 أسئلة التأسيس

يقصد بمرحلة التأسيس والبدايات الحقيقية للرواية المغربية، حيث أثيرت حول الرواية المغربية تساؤلات كثيرة تقصت عن البدايات وبحثت عن الأصول، وتحرت عن تيماتها الكبرى وتقنياتها السردية ، وإجمالا يمكن القول: " إن الرواية في المغرب لم تعرف انطلاقتها الحقيقية إلا في الستينيات والسبعينيات." (أحمد اليبوري، 2006، ص 15.) مستلهمة شكلها الأولي وبنيتها الجنيية من نماذج غربية أبرزها "رائعة سيرفانتيس (دونكيخوت) في فجر العصر الكلاسيكي(1605- 1615)، وقد قيل عن دون كيخوت: إنها الرواية الحديثة الكبرى الأولى، وهذا صحيح لأنها عوض أن تكتفي بسرد مغامرات بطل رائع أو تافه، وبعرضها لما هو أكثر هجائية أو محاكاة ساخرة لعيوب نمط من المحكي القديم المتجاوز." (بيير شارتيه ،2001. ص 40.) عبر وساطة مشرقية، متأثرة على سبيل التقليد الحرفي والمحاكاة الدلالية، بروايات كلاسيكية على غرار (الأيام) لطه حسين، و (وزينب) لمحمد حسين هيكل، "ومع هذه الرواية التقليدية تكرس بناء جديد يجدد التخييل والسرد واللغة، ويقلد الأنموذج الروائي الغربي... وهم يجربون، ويقلدون، ويجددون، يحاولون وسم خصوصية وإرساء معالم." (نبيل سليمان، 1997، ص 30.)

وبلغ هذا التأثير العربي المشرقي صداه في الدفقة الإبداعية للروائيين المغاربة، فانبرى لذلك مبدعون معرفون، في كتابة آثار روائية ذات هوية مغربية محضة في فترات كرونولوجية متقطعة، خلقت جدلا واسعا في الأوساط الفكرية، فيما يتعلق بالسبق التاريخي ولم تكن محط توافق داخل حلقة النقاد المعنية بقضايا السرديات، بين من أرجع الانطلاقات إلى سنة 1657 وصدور (في الطفولة) للطاهر بن جلون، والبعض ربطها بوقت بروز (الزاوية) للتهامي الوزاني سنة 1942، وآخرون أعادوها إلى وقت مبكر جدا، زمن تداول (الرحلة المراكشية) لابن المؤقت خلال 1924، ويجد المتأمل في هذه النماذج ملامحا فنية أسلوبية كلاسيكية، وآثارا تقتفي الحكي السير ذاتي، الواقع بين تمجيد الذات والتواصل مع الآخر.

جنحت الرواية المغربية فنيا سيرا على نهج نظيرتها العربية إلى تبني مبادئ الكتابة الكلاسيكية، القائمة على البداية ثم الحبكة والحل، في مسار سردي خطي مستقيم، يفتقر إلى مواقف الشخصيات، وانعدام الأصوات الروائية في ظل أحادية السارد ومونولوجيته المبالغ فيها، والتعليقات الصريحة المنجزة على الحكي، وهيمنته على الوقائع المحورية والهامشية، وصفوة القول: " إن هذا البناء...يقوم على الحكاية والزمن الواحد المتسلسل، والراوي التقليدي المطلع والعارف بكل شيء، والتعليمات المباشرة والوعظ والخطابية، وتدخل المؤلف بالتعليق على الأحداث والشرح". (محمد عزام،1990، ص 222.)

وقد تطرقت الرواية المغربية التأسيسية إلى موضوعات تمجيد الذات المبدعة في إطارها القومي العربي، الذي تجمع بين أقطابه قواسم مشتركة من قبيل اللغة، الدين، والعرق، والتاريخ...في استلهام تلقائي من

النزعة الرومانسي ذات الخلفيات الغربية لاسيما الفرنسية، لما سعت معظمها إلى "صياغة لوحات واقعية تسجيلية ومشاهد مثالية ذاتية بمنأى عن التخييل الخلاق، فالمشاهد تدور غالبا في فلك الذات بؤرة الأحداث ومصدرها مستوحية البعد الرومانسي". (حسن لشكر، 2010، ص 3.)

واستفردت كذلك بأسئلة الهوية بين المحافظة على التراث والقطيعة معه، والعلاقة مع الآخر من حيث الاعتراف به أو رفضه، المختلف عن الإنسان المغربي والعربي في ثقافته وطقسه ومتخيله وأدبه، فكانت الأدبيات السردية حينها تعرض تاريخيا للتدخلات الأجنبية في البلاد العربية، وتأثيرات ذلك على الأفراد، والجماعات، والمؤسسات الوطنية، دون إغفال الانبهار بالحضارة الغربية ونتاجاتها المادية ومقوماتها التكنولوجية،" ولا شك أن هذه التيمة جزء من أسئلة النهضة العربية نتيجة الاستعمار، وما تولد عنه من مثاقفة واحتكاك.. وفي كثير من روايات هذه الحقبة نجد لقاء بين شخوص الرواية وبين ثقافة الآخر وقيمه وفضاءاته، (محمد برادة، 2003، ص 62.)

2-1-1 مجالات التأصيل

يبتدئ هذا الطور من نهاية الخمسينيات إلى بداية السبعينيات، وأهم حدث تميز به حصول المغرب على الاستقلال سنة 1957، بعد مسار حافل بالتضحيات الجسام والمقاومة الضارية اتجاه القوى الامبريالية التوسعية، لكن هذا التحرر في نظر العامة الغالبة والخاصة من حلقة النخبة والمثقفين، ظل صوري مزيفا دون جدوى ومنفعة ملموستين على المعيش اليومي للإنسان المغربي البسيط وتطلعاته الطبقة الفكرية.

إزاء هذه الصدمة الاجتماعية وتبدد الأحلام المثالية في الحصول على واقع حياتي أفضل وبلوغ مراتب التنمية المأمولة، خيم على الوجدان الجمعي إحباط مدني مشترك، وخيبة أمل المثقف المتحرر من أغلال المستعمر، وتعمقت الآلام واتسعت حدتها بعد هزيمه 1967، "وتراجع قوى التقدم واستفحال القمع والحكم الفردي، وانتشار الطائفية والتعصب الظلامي وتحجيم الأنظمة للثورة الفلسطينية، عادت الأسئلة الصعبة إلى الساحة العربية لتضع كل شيء موضع التساؤل." (محمد برادة، 1996، ص 22.)

تلك الأسئلة التي أومأ اليها محمد برادة، جعلت الرواية في شخص مؤلفيها في صلب الأحداث المتسارعة، تنأى شيئا فشيئا عن منطق التقليد والتكرار، والتقوقع في الترويج الأدبي للذات المنكسرة ومحيطها العربي المثقل بالهموم والشجون، والمبادرة إلى تقديم نصوص روائية جادة، تصف الواقع وتفسره بل وتنتقده، وتسوق حلولا لانتشاله من براثن الجهل وردهات الظلم، "وهكذا علت أصوات منادية برفض الوضع المأساوي، الذي أصبح يوجد عليه الإنسان العربي، والتصدي لمحاولات القهر المفروض على الشعوب، فكان من بين الأصوات الروائية الواعية بجسامة القضية العربية صوت الكاتبة

المغربية خناثة بنونة، من خلال نص روائي يحتل موقعا خاصا في خريطة الأدب المغربي." (أحمد حافظ، 2010، ص 6.)

ومن المحددات الواضحة للرواية المغربية في عباءتها الواقعية البعد السياسي؛ وتوجيه الكتابات الروائية للدفاع عن القضايا العربية والوطنية على سبيل الدعاية لهما روائيا و إبداعيا، إلى جانب إيراد بعض الأطروحات الفكرية ذات الموجهات الإيديولوجية الاشتراكية، تخص الصراع الطبقي التاريخي بين البنى التحتية وأنصارها المهمشة، والبنى الفوقية وأتباعها من البورجوازية المتوحشة، في إطار أطروحة المركز والهامش، والتي لها منابع غربية في حقيقة الأمر،"حتى أن حركة "النقد الذي واكب هذا التكون قد راهن في تأسيس ذاته على مرجعيات غربية ذات أفق اشتراكي ماركسي." (محمد أمنصور ،2006، ص87.)

وجاءت صورة المثقف العضوي توظيفية أكثر منها إجرائية، من حيث دوره النهضوي في المجتمع الذي ينتسب إليه، وموقفه من السلطة من خلال آرائه في السياسات المتبعة والبرامج المنجزة تخصيصا، فسعى مختلف الروائيين المغاربة إلى تنزيل المثقف تجريبيا مكان البطل الإشكالي، القادر على إيجاد الحلول الناجعة، بالعودة إلى مكتسباته الشخصية واختباراته الحياتية،" فالأدب عامة لا مصدر له غير الواقع الذاتي ـ الاجتماعي ـ الموضوعي، فالخطاب الروائي رغم خصوصيته الشكلية الإبداعية خطاب واقعي المصدر والدلالة." (محمد أمين العالم- يمنى العيد- نبيل سليمان، 1882، ص15.)

2-1 مآلات التجريب ورهانته.

واصلت الرواية صحوتها واستنباتها في التربة المغربية على يد روائيين معروفين، في مناخ طبعته تحولات تاريخية وطنية وكونية، أهمها انطلاق المسيرة الخضراء مطلع 1975، واستكمال تحرير باقي الثغور المحتلة، وانهيار المعسكر الشرقي خلال 1991، وتراجع الأفكار اليسارية، وبالموازاة تعاظمت تصورات دول التيارات اللبرالية الرأسمالية، التي سمحت بتوافد البعثات الطلابية على أراضيها، وازدادت الإنتاجات الترجمية الجامعية، فولجت إلى السوق النقدية المغربية نظريات ومناهج وقراءات ومقاربات، حاملة في جهازها الإجرائي أدوات وآليات، نظرت قرائيا إلى الرواية المغربية المتجددة من زوايا وجهات، "فليس هناك ثابت في الرواية العربية، كما يكتبها هؤلاء المغامرون الجدد سوى اللاثبات، الذي يظل هو ميسمها الخاص الذي يبعدها عن أية مرجعية روائية." (إبراهيم الحجري، 2014، ص 8.)

تشكلت المنجزات الروائية المغربية الجديدة وفق رؤية أكثر شمولية على مستوى المضامين والأشكال، وتصورات مستوحاة من التقاليد الغربية، عبر إجراء التشكيل الفني خاص متنوع، غير محدد الخصائص والسمات، طال البنية السردية للنصوص والاستراتيجيات في الحكي، في سياق الاختبار والتجريب

«لذلك كلمة تجريب هي كلمة واسعة من المعاني، لا يمكن لها بمقابل لغوي دقيق، ولعل كل كاتب يفهمها وفق فهمه للتجريب نفسه، وعلى أي مستوى التعامل يلجأ معه." (محمد مجيد ربيعي ، 1995، ص 32.)

فتحت الرواية المغربية أبوابها على إمكانيات التجريب اللامتناهية، والنزوع صوب التحديث في المواضيع الموصوفة بالجدة والعصرنة؛ بالاستثمار الرشيد للتراث، والميل إلى السرد العجائبي والخرافي، واستحضار الأسطورة وتوظيف الرمز كمرجعيات مستعارة للكتابة الواعية، وقد اهتدى المشروع الروائي المغربي إلى نهج سياسة التجريب؛ "لأنه كان يتداخل مع أنواع السرد التاريخي والشعبي، الديني، والعجائبي، ويشبع شهوة القص من المجتمعات الشفاهية في رواية الأخبار والآثار من ناحية، واختلاق الأكاذيب المتخيلة، كما يشير الاستخدام الشائع في اللهجات العربية من ناحية أخرى." (صلاح فضل، 2005. ص3.)

وينضاف إلى هذا الاشتغال على الرؤية السردية، والمزاوجة بين الحكي والوصف، والمداورة بين الحوار والمونولوج، وإدماج التناص والحوارية سوية، والتمكن من اللغة وتقنياتها وتوظيفاتها، والتقليص من سطوة صوت السارد على الوقائع والمجريات، وتوزيع المقال على باقي الفاعلين بعدالة وإنصاف أهم المميزات هذه الحقبة، "فكان التجريب على مستوى الشكل وعدم الانطلاق من مادة حكائية محددة السمات مشتركا بين الروائيين: محمد برادة، وعبد القادر الشاوي، ويوسف فاضل... وآخرون". (سعيد يقطين، 2012، ص 77.)

أحدثت الرواية المغربية قطيعة إبستيمولوجية مع الامتثال إلى النوع الكلاسيكي بأنماطه أو قواعده، المتداولين في المرحلتين التأسيسية والواقعية، في مسارين: المبادرة في تكسير البنية التقليدية وتجديد الرؤية الأدبية، ومن ناحية أخرى الحذر والتحفظ من هذه النقلة الفجائية على مستوى التأليف والتصورات، "ومهما يكن الخلاف حول جدوى مقولة النوع الأدبي، ومدى أهميتها في تناول النصوص الأدبية المعاصرة، التي عهدت إلى انتهاك الأنواع ومزاجها؛ ظلت مقولة النوع موضوعا دائما للحوار والجدل للقبول والرفض، لكنها ظلت كذلك من أدوات التفكير الإنساني التي لا غنى له عنها في سعيه المحموم للإمساك بالعالم المتفلت وفهمه وإدراكه." (تزفتان تودروف 1997، ص 7.)

2- النقد الثقافي: المحددات والمرجعيات.

يرجع النقاد ظهور الثقافي إلى مرحلة السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، صحبة العالم الأمريكي فنسنت ليتش، في كتابه: (النقد الثقافي النظرية الأدبية ما بعد البنيوية)، الذي ألفه سنة 1992، ضمن فيه تصوره النظري، وعدته المفاهيمية، وطريقته المنهجية، وأسسه التطبيقية، ذلك أن "مشروع النقد

الثقافي ما بعد البنيوي، يمتلك مجموعة من الالتزامات والعقود والمعايير، التي تمكنه من الانخراط في تحدي المساءلة الثقافية" (فنسنت ليتش، 2022 ، ص 15) "إذ لابد أن تتخذ أدوات للوصول إلى المزيد من النصية، ويجب أن يمد نطاق الدراسات النصية إلى ما وراء الحدود المفردة للصحفة والكتاب، لتشمل الممارسات المؤسسية والأبنية الاجتماعية" (فنسنت ليتش، 2000، ص 410.)

وتزايدت عناية المفكرين بالنقد الثقافي من أجل صورنته في نظرية رصينة أو منهج تحليلي فعال، في شكل أبحاث أكاديمية علمية، ومقالات نقدية محكمة، خاصة مع المفكر الألماني اليهودي 'تيودور أدورنو' خلال1949، في مقالة عنوانها النقد الثقافي والمجتمع، الذي دعا فيه إلى تخطي المقاربة الانتقائية للثقافة، التي تقتصر على صنفها البورجوازي الرسمي، وعدم التركيز على ثقافة الفئات الشعبية و متخيل الطبقات المهمشة وأدب الاقليات، "لأن النقد الثقافي بالمعنى الألماني لا يعني نقد الثقافة؛ أي تبيان جوانب قصورها وزللها وما إلى ذلك بسبيل، بقدر ما يعني النقد الذي ينطلق من المفهوم السامي للثقافة، نقد كل شيء يتسم بالوضاعة والانحطاط." (ريتشارد وولين، ، 2016، ص12.)

وجاءت بعد ذلك، مقالات تلو المقالات، للمؤرخ الامريكي هيدان وايت، تحت عنوان: (بلاغيات الخطاب: مقالات في النقد الثقافي) صدرت سنة 1978، والذي عرض فيه المظهر الازدواجي للخطاب، فيما هو مورفولوجي إستيتيقي بليغ، وما هو ثقافي مستتر غامض، "ويشير أن الخطابات الموظفة في العلوم الإنسانية، تقوم على بلاغيات لا تختلف كثيرا عما يعتمد عليه الأدب، وأوضح أنه اعتبر تحليله لذلك التداخل الخطابي نوعا من النقد الثقافي" (ميجان الرويلي وسعد البازغي، 2007، ص307.)

في معرض إيرادنا لمختلف تعريفات النقد الثقافي، يقر حفناوي بعلي أنه "نشاط وليس مجالا معرفيا قائما في ذاته، وهو لا يدور حول الفن والأدب فحسب، وإنما يدور حول الثقافة، في نظام الأشياء بين الجوانب الجمالية والأنثروبولوجية". (حفناوي بعلي، 2005، ص 11.) على غرار التيارات التشريحية التي جاءت بها ما بعد الحداثة الغربية، من قبيل الدراسات الثقافية والتاريخانية الجديدة والنقد النسوي وما بعد الكولونيالية، والتي رأت في النصوص والخطابات منظومة نسقية من المضمرات الثقافية، التي تتوارى في النطاقات الجمالية الأسلوبية، فميزت بين الثقافة العالمة و الثقافة الشعبية، وبين أرخنه النصوص وتنصيص التاريخ، وبين الهيمنة الذكورية ووضعية المرأة، وبين الخطاب الاستعماري والرد بالكتابة، " لذلك شغلت الأدبية حيزا عريضا في البحث النقدي على مدى قرون وما تزال تفعل، غير أن جهودا خارقة قد جاءت لتكشف عن أشياء أخرى من وراء ومن تحت الأدبية." (عبد الله الغذامي ، 2005، ص 9.)

ISSN : 2625 - 8943

يتناول النقد الثقافي في دائرة اشتغاله الثقافة وموضوعاتها الجمالية، والأدب وفنونه المتنوعة، في غياب استقلالية تامة على مستوى الإواليات الموظفة، وإنما يستقيها من قطاعات فكرية معروفة، في مسار محفوف بالدينامية المستمرة، وبالتالي "استخدم أصحابه مفاهيم العلوم الفلسفية والاجتماعية والنفسية والسياسية في تراكيب وتبادلات معينة، وقاموا بتطبيقها على الفنون الراقية والثقافة الشعبية، بلا تمييز بين هذه الفنون من حيث الكيف." (أثر إيز أبرجر، ، 2003، ص30-31)

3-الأنساق الثقافية، التعريفات والدلالات.

تعد الأنساق الثقافية من المفاهيم الرئيسية في النقد الثقافي، التي توسل بها نقاد الثقافة لقراءة مضمرات المتوارية النصوص والخطابات، حيث نضج مفهوم النسق في إطار اللسانيات، وكانت الريادة والسبق في هذا المنوال، للفقيه اللغوي فرديناند دو سوسير، في كتابه (محاضرات في اللسانيات العامة)، الذي توسل بالمفهوم استعاريا لاستصدار تعريف للغة بمقتضاه "تكون نسق من العلامات". (فرديناند دو سوسير،2008، ص 31.)، والنسق بمعناه الدقيق هو "النظام الذي يحتوي على استقلال ذاتي يشكل كلا موحدا، وتقترن كليته بآلية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها، والنسق يعني شيئا قريبا من البينة". (إديت كريزويل، 1992، ص 415.)

يعبر النسق عن آلية إجرائية قريبة من البنية، يستمد ديناميته من خصائصه الموسومة به، حيث تأتلف العناصر المكونة للنسق الأصلي في بوتقة كونية، يطغى عليها الانسجام الشمولية عبر حدوده المسيجة، تأخذ فيها تلك المكونات حريتها وحركتيها، التي يلازمها التطور والتحول داخل إطار يتسم بالانغلاق، ما يؤدي إلى إكساب النسق قوة وتوازنا بفعل العناصر الداخلية المتماسكة، دون أدنى تأثير من مؤثرات موجودة خارجيا، "وعموما فالأنساق الثقافية هي تشريعات أرضية من صنع الإنسان، وضعها لضبط نفسه ولتصريف أمور حياتيه، وهي تعبير عن تصوره القديم لما ينبغي أن تكون عليه الحياة، في مقابل التعاليم السماوية التي أنزلها الله تعالى في الأديان، والأنساق الثقافية قابلة للتطور والاستمرار شأنها شأن كل عناصر الحياة" (أحمد يوسف عبد الفتاح، 2010، ص 151.) يتحقق في النص من خلال وظيفتة المادية وليس من خلال كينونته المجردة، حتى يأخذ خاصية الاستهلاك الجمالي، وميزة التسويق الجماهيري، "وهذا يكون حينما يتعارض نسقان من أنساق الخطاب: أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضا أو ناسخا للظاهر" (عبد الله إبراهيم، 2010، ص 106)

إن الإفصاح عن هذا التناقض الواقع بين البلاغي والنسقي من صميم المهام التي يضطلع بها الناقد الثقافي، سواء تعلق الأمر بالأنساق الدينية المضمنة في الكتب الدينية، أو نظيرتها المطمسة في الكتابات الإنسانية، ولا شك ان هذين النوعين خاضعين لامحالة للأدلجة والتنميط والتوجيه والترويج والدعاية

والإشهار...مما يفرض على هؤلاء النقاد القيام بعمليات الاستقراء والاستنطاق، قصد الفهم والإدراك، وتقليص المسافة القرائية بين المؤلف المزدوج والمتلقي المحتمل، وهكذا "يتنامى التأويل في بعدين ظاهر وخفي، يفكك الأول أنظمة النصوص الثقافية الظاهرة، ويكشف عن عللها والمتحكمات النسقية فيها... وأما الآخر فيقوم على رؤية ما بعد حداثية مضافة، يعتمد على ما يمكن أن نسميه بنقد أو تفكيك الامتصاص، ويتمركز حول فاعلية الكشف عن السياقات التاريخية، التي امتصها النص بها وأسهمت في إنتاجه". (بشرى موسى صالح، 2012، ص 8.)

4- رواية العلامة وحوار الأنساق.

تشكل رواية العلامة للأديب المغربي بن سالم حميش، إحدى النماذج الروائية المغربية الموسومة بالتميز في شكلها الجديد، والموصوفة بالجدة في مضامينها التراثية في الآن نفسه، والمتأمل فيها يجد أن المؤلف وظف التاريخي توظيفا قصديا لتأكيد موقف فكري لصاحبه، ويتعلق الأمر باستغلال التراث وكيفية قراءاته لاستلهام العبرة منه،"ويتفق النقاد ومنظرو الدراسات الثقافية، ودرسوا تاريخ الأفكار أن الرواية أهم الابتكارات الثقافية التي جاءت بعد عصر التنوير الأوربي." (روبرت إيغلستون، 2017، ص 7)

وقد شكل الأديب بنسالم حميش بناءها الهندسي الفني من فاتحة تسلط الضوء على البدايات، وثلاثة فصول شارحة: الأول: (الإملاء في الليالي السبع) تحدث فيه عن المرجعية الفكرية لابن خلدون، التي تجلت في حواراته مع كاتبه حمو الحيحي، ووجهات نظره من قضايا عاصرها وإشكالات استوقفته، والثاني: (بين الوقوع في الحب والحصول في ظل الحكم) عرض فيه وفاة حمو الحيحي، وعقد قران ابن خلدون على أم البنين، التي رزق منها بطفلة أسماها الباتول بعد طول انتظار، وتنصيبه قاضيا للمالكية، والأخير: (الرحلة إلى تيمور الأعرج جائحة القرن)، بسط فيه المقال عن مداراة ابن خلدون لميولات الحكام و هوى ولاة الأمر، رغم عدم ارتياح هل مردودهم في تسيير لشؤون الدولة. وانعكاسات البين عن نفسيته، جراء هجرة زوجه إلى فاس بعد انتشار خبر وفاته.

ويحضر التاريخ في رواية العلامة في شخص ابن خلدون أحد مثقفي زمانه، ما يحملنا على التساؤل عن دينامية الأنساق الثقافية فيها، لاسيما توظيف التاريخ في الكتابة الإبداعية، وموقف المثقف العضوي حيال قضايا مجتمعه: التاريخية، والأدبية، والصوفية، والسياسية.

4-1النسق التاريخي : في الكتابة الروائية.

وصلت رواية العلامة للروائي المغربي بن سالم حميش، ماضي الحضارة العربية الإسلامية بواقعها الراهن، على لسان العلامة العربي ابن خلدون، باعتباره شاهدا حيا على تكون بنياته الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية، والدينية، ولعل اللجوء إلى هذا التوظيف إبداعيا الفائدة منه مسايرة موجة

التحديث في أشكال الكتابة الروائية الواعية، التي تبادر إلى قراءة الماضي وتراثه، وتصريفاته في الحاضر وعولمته، ويختلف التجريب الروائي مع التأريخ التوثيقي المباشر، في تصورهم للتاريخ وماهيته، وذلك يبديه المقطع الآتي: "سجل هذا المفهوم يا حمو بالقلم الغليظ: إنه التاريخ ولا تهمل مشتقاته من جنس التغير والتبدل والانتقال والانقلاب والتحول". (بنسالم حميش، 2016، ص 55.)

يتقاطع التاريخ والرواية في سرد الوقائع، فبينما يطمح المؤرخ إلى توثيق الأحدث مرفقة بمعطيات زمنية ومكانية، في إطار التاريخ باعتباره فن السرد الممكن، يسعى الروائي بنسالم حميش إلى إحداث مقارنة فكرية بين الأمس واليوم عبر التخييل الأدبي، وإجراء إسقاطات بين سيرة ذاتية خاصة به، وسيرة غيرية خلدونية في مساق سردي تحل فيه الذات المبدعة الحاضرة في الذات المؤرخة الماضية، كما هو الشأن للزهاد وللمتصوفة في علاقتهم الروحانية بالآلهة، في سياق التجريب الروائي الممكن واللاممكن، فالتمكن من موضوع التاريخ واستغلاله أدبيا، من حيث أهميته وقيمته في نهضة الشعوب وصحوتها، وتكون الحضارات الإنسانية وتطورها، خاصة الحضارة العربية الإسلامية، من خلال الرصيد الثقافي والأدبي للأمة المغربية العريقة،"إذ يطغى على هذا المفهوم ويملأ أيامي وأعمالي، حتى أني أحلم بالركوب إلى أضداده أو الانتساب على الأقل الى أدباء المسالك والممالك أو صورة الأرض، فكم هو جميل، ومريح أن تهدهدنا شهوات السكينة والسلام، وتستهوينا رحاب بياض البدء أو انطفاء الكل في الثبوت". (بنسالم حميش، 2016, ص 55.)

2-4 المثقف الشمولي: ابن خلدون

تعامل النقاد والمفكرين مع مقولة المثقف بنوع من الحذر والتريث في القيام بتحليلاتهم و إنجاز دراساتهم، تجنبا للسقوط في تقييمات غير محسوبة، وتفاديا لإصدار أحكام جاهزة، فيما أسفرت التراكمات المعرفية في هذا المضمار على نحث واجتراح توصيفات، تحدد موقع المثقف الموسوعي في رواية (العلامة) وجوه تجاوبه الفكري، اتجاه مسائل دقيقة ووضعيات صعبة، فبطلها الاشكالي (ابن خلدون) "لم يكتف بأن يروي ويعدد، وإنما أراد أن يفهم ويفسر، ويوضح أصول الأمم، وأن يتعرف على أسباب الأحداث، والاختلافات والمتشابهات التي قد تكون بين الأمم". (جستون بوتول، 2018، ص 8.)

وفي هذا السياق نجد الإسقاطات النظرية لميشيل فوكو، ماثلة في شخصية العلامة باعتباره مثقفا شموليا، علم أخبار الأجناس البشرية وفسرها، وبزغ نجمه في علم العمران ونظر فيه، والتاريخ فصححه وعدله، بل وفكك أنظمة الخطاب المتداول، وكشف عن ممارسات السلطة وإيديولوجياتها...فحكى عنه حمو الحيحي قائلا: "وحدثها طويلا عن نقائب مشغله الجديد، عن ذكائه الثاقب وقدرته الفريدة على

التمييز ، وإدراك الأمور في مقاماتها ونصابها..، وانغماسه في العصر وخباياه في انفلاته منه عند ضرورة الالتزام والعزلة." (بنسالم حميش، 2016, ص 37.)

أبانت رواية العلامة عن مشاهد تقديمية للمثقف الشمولي في شخصية العلامة ابن خلدون، وجوانب من حياته الاجتماعية ومردوديته الفكرية، وتفاعله مع مجتمعة وتطلعاته الذاتية، حيث أهلته رفعة أخلاقه في الاندماج الاجتماعي في غالب البقاع التي نزل بها، وأسعفه علمه وثقافته في التأثير المباشر في الواقع ومسايرة تقلباته، "فكانت لقاءات عبد الرحمان بكاتبه تتم غالبا في غرفة مكتبه بمنزلة المتواضع، مكتبه الذي أنته على الطريقة المغربية، مع إضافة رفوف ومرافع على الحيطان تأوي ما عز من كتبه." (بنسالم حميش، 2016, ص 32.)

3-4 المثقف بين الخرافة والتصوف

راجت في عصر المثقف أقاصيص خيالية وروايات هلامية منسوبة لسلاطين عظام وحكام كبار، تحدثت عنها الخاصة قبل العامة من الرعية، فرادى في خلواتهم وسكناتهم، وجماعات في حلقات المذاكرة والمناظرة، الأمر الذي دفعه إلى إنجاز قراءة معمقة فيها، والوقوف على مصداقيتها، واستجلاء أبعادها المستترة فسأل كاتبه قائلا: "هل يتسع عقلك يا حمو أو حسك الطبيعي، لتصديق نزول الإسكندر في صندوق زجاجي إلى قعر البحر، بغية تصوير الدواب الشيطانية التي تمنعه من تشييد مدينته، ثم وضع تماثيل لها تناط بها مهمة تخويف الدواب وتطريدها...؟ لم أصدق قصة ابن بطوطة عن تغلب أبي عنان بمفرده على جيش كامل، ولا حكايتة عن الأمير نفسه أن قتل الأسد عنده أهون من قتل الشاة، فكيف أقبل ما هو أوغل منهما في الاستحالة". (بنسالم حميش، 2016, ص 32.)

ووصل عجب العلامة مداه من انتشار تلك الحكايات الخرافية على صعيد عظيم في مجال واسع وفي جغرافيا لا محدودة، بين معظم الورى وكثرة الأنام، والأغرب من ذلك أن يتم إيرادها من لدن خاصة القوم، بين دفتي كتب مشهود لها بالرصانة العلمية والقيمة المعرفية المثلى، من قبيل كتب الرحلات وغيرها، فشكك في صحة متنها ونسبتها إلى أصحابها، كما لم يخف إعجابه بالنفائس من تلك القصص الحقيقية، الخالية من الافتراء في القول والمبالغة في التصوير، كما جاء على لسانه في الرواية: "سجل أني لا أنفر من الحكايات الممتنعة، ولا أشهر باستحالة مدلول لفظها، إلا حين أراها مؤئته في أمهات المصادر في التاريخ، جائلة صائلة، من دون راع محقق ولا ناقد مدقق. أما خارج هذه السياقات، فما أروع أن نختلي بها في أوقات ضيقنا وقنوطنا، كثيرة في هذا العصر العصيب". (بنسالم حميش، 2016، ص 32.)

ويبرز مكون التصوف في رواية العلامة بشكل جلي، والتوسل به إبداعيا من طرف صاحب الرواية، مرده السعي نحو تأسيس ثقافة الاعتراف بهذه النماذج الفكرية من التراث العربي الإسلامي، التي

انتشرت في كتب ومؤلفات، وتجلت معالمها في الشعر والقصص والروايات، مناوئة للحكم العاض ومدافعة عن الطبقات المستضعفة، تخطت النطاقات المحلية والحدود القومية بل وصلت إلى الكونية، "وهذه العالمية هي التي تحتم على الصوفي المعاصر أن يواجه مشكلته الاجتماعية مواجهة إيجابية، وأن يتدبر أزمة السقوط الروحي، الذي تكاد تنخرف معه البشرية إلى مهوى سحيق، مثلما فعل أئمة التصوف ومؤسسوه من قبل، وعلى نحو ما سنعرف فيما بعد". (محمد حلمي عبد الوهاب،2009، ص 34)

وتزودنا الرواية بموقف العلامة من التصوف، حين أنكر على إنتاجاتهم الشرعية الدينية والمصداقية العلمية، بل قام بتحريمها وإدانة تابعيها، ووجه لعلماء التصوف انتقادات كثيرة ومؤاخذات عديدة، وأمر مريديها بعدم اتباع تعاليمها وتوصياتها والتخلص منها بإتلافها وإحراقها، بحجة أنها ليست من الدين ولا تمت إليه بصلة، "وأما حكم هذه الكتب المنتظمة لتلك العقائد المضلة، وما يوجد من نسختها بأيادي الناس مثل: (الفصوص' و'الفتوحات المكية) لابن عربي و(البد) لابن سعيد، (وخلع النعلين) لابن قسي، فالحكم في هذه الكتب وأمثالها إذهاب أعيانها متى وجدت بالتحريق بالنار والغسل بالماء، حتى يمحى أثر الكتابة لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين".(بنسالم حميش، 2016, ص 64.)

يبدو أن هذا الحكم الذي أصدره العلامة يشوبه شيء من الغموض ونوع من اللبس، كيف لمثقف لامع أن يطعن في أطروحات كبار المتصوفة؟ تحدوا السلطة الجائرة آنذاك ووقفوا في وجه الظلم والاستبداد، ويظهر أن نزوعه إلى مهاجمتهم الغرض منه إرضاء الحكام بإسكات أصوات الحق التي قاست ويلات الجور جراء ضغوطات خارجة عن إرادته مورست عليه، وتلك من مواضع السهو والزلال التي انتابته مكرها، علما أن اهتمامه بالتجربة الصوفية، لأنها شكل آخر من أشكال التعبير عن آمال الحياة ومقاومة أجندة الطغاة، "أما ذنبي البليغ فقد اقترفته في بعض كلامي عن صوفية أبرار، لذا يحق من يقول إن رسالتي شفاء السائل عمل فج هزيل، محكوم باستجابة لدعوة سياسية إلى مناهضة فشو التصوف الشعبي والزوايا". (بنسالم حميش، 2016، ص 64.)

4-4 المثقف والسلطة: المواجهة والمجاراة.

يهيمن النسق السياسي على مجريات الأحداث في رواية العلامة، فتسارع وثيرتها لم تترك المجال إلى المثقف (العلامة) في الاستقرار على رأي سديد أقرب إلى التعقل منه إلى التهور، فكان نصيب ابن خلدون من السياسة والتواءاتها، موسوما بالأفراح والامتيازات تارة، ومحفوفا بالأخطار والمغامرات تارة أخرى، ونقتفي ذلك في تعريفه هذا: "السياسة يا حمو أمانة وتفويض، لا مجرى لها إلا بين تضاريس المحاسبة والتوضيح، فليس لأحد الحق في امتلاك أركانها قصد تحويل المذكر إلى مسيطر، أو باسم

استخلاف إلاهي أو ما شابه، وإلا فستبقى دواوين التاريخ مفتوحة على أخبار قوى التسلط والحكم، المناقضة لشرائع النقل والعقل". (بنسالم حميش، ص 86.)

إن إيراد 'بنسالم حميش' تصور ابن خلدون السياسي، الغاية منه لفت انتباه القارئ الى أزمة النخب المثقفة في العالم العربي، وطموحها إلى التحرر المأمول من القيود والأغلال المفروضة من قوى التحكم والمؤسسات التابعة لها، وحال العلامة مثال صريح على عمق تلك الأزمة، حتى وإن انتهج في سبيل النهضة الثقافية أسلوبا متوازنا مزج منطق الاعتدال الفكري للتعبير عن آرائه السياسية، في مجاراة الساسة ومحاورة رجال الدولة، ومع ذلك لم يسلم من الأذى والابتلاء، بالرغم من إبداء مظاهر الولاء والتعاون خوفا من المتابعة القانونية، والاعتقال في غياهب السجون، أو حتى النفي خارج حدود بلد الإقامة، وذلك ما أفصحت عنه الرواية في هذا المقطع: "قبلت الصفقة السرية بسبب ما كان بين أسرتي، وسلف ذلك أمير الحفصيين من عروق الود والتراحم، لكن سرعان ما انكشف أمري وانفضح، ألقاني المريني في غياهب سجنه نحوا من سنتين". ((بنسالم حميش، ص 45.)

وعامة القول: إن علاقة المثقف بالسلطة أقرب إلى التباعد منها إلى التقارب، لتفاوت مرجعيتهما واختلاف أهدافهما، يصبوا الأول إلى تغيير العقليات وإنارتها بالمعرفة، وتنأى الثانية بها في عوالم الجهل والضلالة، وتكريس منطق الاستبداد والاستيلاب، فغالبا ما يخضع المثقف لإملاءات ولاة الأمر وإغراءاتهم، كما هو الشأن لعلماء السلطان و مؤرخي البلاط، إذ لم يخرج العلامة عن هذه السيرة والقاعدة، وإن أبدى امتعاضا ضمنيا من هذه التبعية، واستياء غير مباشر من الواقع السياسي القائم قائلا: لا أعيب على نفسي أني مصطدم في أهوائها وعقدها كنت ابن جيلي، ألعب على حبال المتناقضات، وأتلون بألوان الظروف والملابسات، متقلبا بين حال وحال، متحالفا أو متنكرا بحسب ما يقتضيه المقام أو غريزة البقاء... حتى أن الهروب من شرك هذا الأمير يوقعك حتما في فخ الآخر". (بنسالم حميش، 2016, ص 45.)

خاتمة.

تراءت في رواية العلامة تجليات التجريب، من خلال الاستثمار التخييلي للتاريخ ونتاجاته، في إطار التأسيس لتجربة روائية مغربية حديثة وواعية، تتوغل في ردهاتها أنساق ثقافية متحاورة، أبرزها إدماج النسق التاريخي التراثي في الكتابة السردية، إلى جانب موقعة نسق المثقف الشمولي ذو الثقافة العالية من قضايا ووضعيات، ارتاب في معرضها من حقيقة بعض الحكايات الخرافية المنتشرة في عصره، وصحة نسبتها إلى أصحابها، فمارس على إثر ذلك نوعا من النقد الذاتي في موقفه من المد الصوفي في عصره، المناهض للحكم وقرارات الساسة. إذ لم يسلك منهجهم هذا، وإن أبدى نزرا من التعاطف الإنساني اتجاه

مذهبهم وأفكارهم، بل كانت علاقتة بالسلطة الوصية في زمنه، يغلب عليها المهادنة والمجاراة حينا، والتوتر والتوجس حينا آخر، بالرغم من الامتيازات والإغراءات المسخرة له، وقد اكتملت تجربة 'بنسالم حميش' الإبداعية في صورة بناء نموذج روائي تجريبي وفق مرجعيات الكاتب وتصوراته.

لائحة المصادر والمراجع.

-إبراهيم الحجري، الرواية العربية الجديدة، السرد وتشكل القيم، الناية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق، 2014.

-أثر إيزأ برجر، النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية تر: وفاء إبراهيم، ورمضان بسطاوي، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2003.

-أحمد اليبوري، الكتابة الروائية في المغرب: البنية والدلالة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ،2006.

-أحمد حافظ، ضمير الغائب، دراسات في مواربات السرد الروائي، مطبع الأمنية، الطبعة الأولى، الرباط، 2010.

-أحمد يوسف عبد الفتاح، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، الجزائر، 2010.

-إديت كريزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار السعاد الصباح، الطبعة الأولى، الكويت، 1992.

-بشرى موسى صالح، بويطيقا الثقافة: نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الأولى بغداد، 2012.

-بنسالم حميش، رواية العلامة، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2016.

-بيير شارتيه، مدخل إلى نظريات الرواية، تر: محمد الشرقاوي، دار توبقال للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2001.

- تزفتان تودوروف، القصة والرواية والمؤلف: دراسات في نظرية الانواع الروائية، تر: خيري دومة، دار شرقيات للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 1997.

- جستون بوتول، ابن خلدون فلسفة الاجتماعية، تر: غنيم عبدون، أقلام عربية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى القاهرة، 2018 .

-حسن لشكر، أنساق التخييل الذاتي والمذكرات والسيرة الذاتية، في الرواية العربية، المطبعة السريعة، الطبعة الأولى، القنيطرة، 2010.

-حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2005.
-روبرت إيغلستون، الرواية المعاصرة: مقدمة قصيرة جدا، تر: لطيفة الديمي، دار المدى، الطبعة الأولى، بغداد، 2017.
- ريتشارد وولين، مقولات النقد الثقافي: مدرسة فرانكفورت، الوجودية،ما بعد البنيوية، تر: محمد عناني، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2016.
-سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة: الوجود والحدود، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، الجزائر، 2012.
-صلاح فضل، لذة التجريب الروائي، أطلس للنشر والتوزيع الإعلامي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005.
-عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، الدار البيضاء، 2005.
- فرديناند دو سوسير، محاضرات في اللسانيات العامة، تر: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، الدارالبيضاء، 2008.
- فنسنت ليتش، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات، تر: محمد يحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2000.
- فنسنت ليتش، النقد الثقافي: النظرية الأدبية وما بعد بنيوية، تر: هشام زغلول، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2022.
-محسن جاسم الموسوي، عصر الرواية: مقال في النوع الأدبي، منشورات مكتبة التحرير، الطبعة الأولى، بغداد، 1985.
-محمد أمنصور، محكي القراءة، مطبعة أنفوا برانت، الطبعة الأولى، فاس، 2006.
-محمد أمين العالم- يمنى العيد- نبيل سليمان، الرواية العربية بين الواقع والأيديولوجيا، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق، 1882.
-محمد برادة، أسئلة الرواية أسئلة النقد، منشورات الرابطة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء،1996.
-محمد برادة، فضاءات روائية، منشورات وزارة الثقافة، الطبعة الأولى، الرباط، 2003.
-محمد عزام، وعي العالم الروائي: دراسات في الرواية المغربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، الطبعة الأولى، دمشق، 1990.

ISSN : 2625 - 8943

-محمد حلمي عبد الوهاب، ولاة وأولياء: السلطة والمتصوفة في العصر الوسيط، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت،2009.
-محمد مجيد ربيعي، من النافذة إلى الأفق، مؤسسة سعيدان، الطبعة الأولى، تونس، 1995.
-ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة، الدار البيضاء، 2007.
-نبيل سليمان، المنعطف الروائي العربي الجديد، مجلة الآداب، بيروت، العدد الثامن، 1997.

الغرب والوجه الآخر غزة نموذجا

The West and the other side: Gaza is an example

محمدالقطاري، باحث في سلك الدكتوراه جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس
mohamed.elkettari@usmba.ac.ma

ملخص:

اهتمت الدراسة بما خلفته عملية طوفان الأقصى 7 أكتوبر 2023 -التي مست بشعور الكيان الصهيوني-من تباين وجهات النظر من مقاومة الشعب الفلسطيني، وهذه التباينات تعكس الخلفية المعرفية للوجه الآخر للغرب وتجعل العديد من القيم في مهب الرياح ككونية حقوق الإنسان والمشترك الإنساني.

وتجيب الدراسة حول إشكال محوري وهو: أين تتجلى أسس ومظاهر الوجه الآخر للغرب تجاه مقاومة الشعب الفلسطيني/ طوفان الأقصى؟ وللإجابة عن هذا الاشكال، فقد جعلت البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة، وديلته بفهرست المصادر والمراجع.

والله الموفق للصواب..

الكلمات المفتاحية: طوفان الأقصى، الكيان الصهيوني، مقاومة الشعب الفلسطيني، الوجه الآخر، للغرب.

Summary:

The study focused on the consequences of the Al-Aqsa Flood operation on October 7, 2023 - which affected the feelings of the Zionist entity - in terms of the differences in views regarding the resistance of the Palestinian people. These differences reflect the cognitive background of the other side of the West and make many values in vain, such as the universality of human rights and the common humanity.

The study answers a pivotal problem, which is: Where are the foundations and manifestations of the other side of the West evident in the resistance of the Palestinian people/Al-Aqsa flood? To answer these problems, I divided the research into an introduction, two sections, and a conclusion, and I supplemented it with an index of sources and references.

May God grant you success in doing what is right..

Keywords: Al-Aqsa flood, the Zionist entity, resistance of the Palestinian people, the other side of the West.

مقدمة:

لقد مست عملية طوفان الأقصى 7 أكتوبر 2023 شعور الكيان الصهيوني وذكرته بعقدة 06 أكتوبر 1973، كما أن عملية طوفان الأقصى جعلت جيش الكيان الصهيوني الذي لا يقهر عنونا لسخرية واستهجان عالمي وتصدعات داخلية مثل: الاحتجاجات داخل الكيان الصهيوني في مواجهة اليمين المتطرف، وهو ما شكل حملة دولية شرسة في مواجهة المقاومة الفلسطينية التي تناضل من أجل تحرير الأرض من براثن الاحتلال وحماية المقدسات وصون العرض، ولا يمكننا أن نفهم ونستسيغ هاته الحملة الدولية إلا إذا اعتبرنا من يدافع عن الأرض والعرض منتهكا للشرعية الدولية !!

وقد جاء في ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" ولما كان من الأساسي أن تتمتع حقوق الإنسان بحماية النظام القانوني إذا أريد للبشر ألا يضطروا آخر الأمر إلى اللجوء إلى التمرد على الطغيان والاضطهاد"(مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان،2006. ص1).

وإذا كان المجتمع الدولي مقتنعا تمام الاقتناع بكون الشعب الفلسطيني ينتمي لزمرة البشر، فمن حق البشر القابع تحت الاحتلال منذ سنة 1948 والحصار والقهر والاذلال أن يتمرد على الطغيان والاضطهاد الممنهج من طرف الكيان الصهيوني، لأن الواقع المعيش يؤكد على أن حقوق الشعب الفلسطيني لا تتمتع بحماية النظام القانوني.

لهذا وتأسيسا على ما سلف نجد أن مقاومة الشعب الفلسطيني تأصل لنا مفهوما جديدا للحرية ألا وهو تحقيق العدالة، هذه العدالة جعلت للغرب مواقف متباينة ومزدوجة، حيث لا يؤمن إلا باستبداد العرق الأبيض وهيمنة القيم اليهودية المسيحية وحريتها.

وتجيب الدراسة حول إشكال محوري وهو: أين تتجلى أسس ومظاهر الوجه الآخر للغرب تجاه مقاومة الشعب الفلسطيني/ طوفان الأقصى؟ وللإجابة عن هذا الاشكال، فقد جعلت البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة، وديلته بفهرست المصادر والمراجع.

والله الموفق للصواب.

المبحث الأول: الغرب والوجه الآخر على المستوى النظري

لم تكشف عملية طوفان الأقصى عن زيف جيش الكيان الصهيوني وحسب، بل كشفت عن ازدواجية في المعايير لدى العديد من الدول الغربية على رأسها الولايات المتحدة الأمريكي، وكذلك عن ازدواجية في المواقف، فموقف الغرب من الحرب الروسية -الأوكرانية ليس هو نفس الموقف من حرب الإسرائيلية-الفلسطينية.

1-موقف الولايات المتحدة الأمريكي:

حسب موقع (RT) تعد الولايات المتحدة الأمريكية أكبر داعم لأوكرانيا على المستوى العسكري منذ بداية العملية العسكرية الروسية (كم أنفقت أمريكا على أوكرانيا خلال عام؟، 2023).

وقد كانت أول كلمات للرئيس الأمريكي بايدن خلا زيارته للكيان الصهيوني الإسرائيلي 18 أكتوبر 2023 هو تأكيده لهم بأنهم ليسوا وحدهم، وما دامت الولايات المتحدة صامدة فلن تسمح أبدا بأن يكونوا وحدكم (خطاب الرئيس بايدن حول الهجمات الإرهابية في 7 تشرين الأول/أكتوبر وصمود دولة إسرائيل وشعبها، 2023). وقال أيضا لقد وُلدتْ دولة إسرائيل لكي تكون مكانا آمنا للشعب اليهودي في العالم وإذا لم تكن إسرائيل موجودة، فسيتعين عليه اختراعها (خطاب الرئيس بايدن حول الهجمات الإرهابية في 7 تشرين الأول/أكتوبر وصمود دولة إسرائيل وشعبها، 2023). وقد كان الخطاب من أوله إلى آخره دعما لا مشروطا للكيان الصهيوني، وبالتالي فالولايات المتحدة الأمريكية لا تدعم إلا القيم اليهودية المسيحية، كما لا ننسى أن أمريكا قامت على أنقاض جماجم الهنود الحمر.

وإذا ما تأملنا في إعلان الاستقلال الأمريكي نجده يؤكد على أن" جميع الناس قد ولدوا متساويين، وإن الخالق قد أنعم عليهم بحقوق معينة لا يمكن إنكارها، وإن من بين هذه حق الحياة، وحق التمتع بالحرية، وحق البحث عن السعادة"(دان ليسى، 1966، 267/1).عندما نتحدث عن المساواة مثلا كحق فطري وطبيعي فأننا نقصد بأن المساواة مبدأ إنساني شامل للإنسانية جمعاء على السواء وليس حيزا جغرافيا، وما يقال عن المساواة يقال عن الحق في الحياة والحق في الحرية والحق في السعادة.

2- موقف بريطانيا:

وإلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية نجد نفس الموقف اتخذته العديد من الدول الأوربية التي عملت لسنوات عديدة تصدر وهم الحريات والحقوق لدول العالم العربي والإسلامي خاصة إنجلترا.

لقد كانت إنجلترا من أوائل الدول التواقة للحرية وقد جسدت ذلك بالعديد من الثورات بدءا بثورة النبلاء 1215م. وهذا التاريخ الهام في تاريخ البشرية ضرب به عرض الحائط بسبب ما يمكن أن يتعرض له الذين تثبت إدانتهم بالدعوة إلى دعم حماس، وذلك بالسجن لمدة تصل إلى 14 عاما حسب القانون البريطاني، وقد تعهد رئيس الوزراء ريشي سوناك بمحاسبة الأشخاص الذين يتبين دعمهم لحماس (بريطانيا.. اعتقال شابة للاشتباه بإلقائها كلمة داعمة لحماس، 2023). كما أكدت مندوبة بريطانيا لدى مجلس الأمن بكون أفعال حماس كانت ضربة وجودية لفكرة إسرائيل كوطن لليهود (مندوبة بريطانيا لدى مجلس الأمن: أفعال حماس كانت ضربة وجودية لفكرة إسرائيل كوطن لليهود، 2023)، والسؤال الذي يطرح نفسه ألم تجد أوروبا قاطبة إلا الأراضي المغصوبة من الشعب الفلسطيني لجعلها فكرة

إسرائيل كوطن لليهود، أم أن الأراضي المغصوبة هي الهوية الوجودية الحقيقية لقطاع الطرق، وإذا كان هذا العشق الأبدي من طرف الغرب تجاه الكيان الصهيوني يصل لمنتهاه لماذا تم إجلاء اليهود من البلدان الأوربية!؟

3- موقف فرنسا:

وما يقال عن إنجلترا يقال عن فرنسا بلد الثورة من أجل الحرية الفردية التي كانت الأساس لإعلان حقوق الإنسان والمواطن لسنة 1789؛ حيث تؤكد المادة الأولى منه على أن الناس يولدون ويظلون أحرارا ومتساوين في الحقوق(Wanda Mastor, 2022, p :14). كما تؤكد المادة الرابعة منه على أن الحرية تتجلى في القدرة على فعل كل ما لا يضر بالآخرين(Wanda Mastor, 2022, p :34). لقد كشفت الحرب على غزة بصفة خاصة والشعب الفلسطيني بصفة عامة زيف هذه الشعارات الحقوقية التي كانت الأساس للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وأن هذه الحرية لا يستفيد منها داخل فرنسا سوى صحيفة شارلي إبدو: Charlie Hebdo التي تجيد السخرية من معتقدات الناس، ولا يستفيد منها إلا كل مدافع عن القيم الصهيونية المسيحية.

ومن أجل التدليل على ذلك أكثر تصريح وزير العدل الفرنسي ريك دوبوند موريتي الذي أكد فيه بأن كل من يدعو الناس إلى الحكم بشكل إيجابي على حماس أو الجهاد الإسلامي تنتظره عقوبة السجن لمدة خمس سنوات، والقيام ببث خطاب استفزازي على مواقع التواصل الاجتماعي عقوبته السجن لسبع سنوات (السجن لمن يتعاطف مع غزة، 2023).

هنا يجدر بنا تذكير معالي الوزير بأن الحركات التي ذكرها لم يكن لها يوما ما أطماعا توسعية إمبريالية في شمال إفريقيا وفي شبه الجزيرة العربية، وغزة لا تتوفر على (متحف الإنسان) الكائن بالعاصمة الفرنسية باريس (فرنسا: جماجم جزائريين في متحف الإنسان، 2016)، الذي من بين ما يتوفر عليه جماجم الشهداء المقاومين للإمبريالية المتوحشة.

4- الغرب والوجه الآخر على مستوى حرية التعبير

ومن الأدلة الواضحة كذلك على أن الغرب لا يحترم حقوق الإنسان خاصة الحق في التعبير وبالرغم من أنه حق كوني، والذي أكدت عليه المادة 19 حيث جاء فيها" لكلِّ شخص حقُّ التمتُّع بحرِّية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحقُّ حرِّيته في اعتناق الآراء دون مضايقة، وفي التماس الأنباء والأفكار وتلقِّيها ونقلها إلى الآخرين، بأيِّة وسيلة ودونما اعتبار للحدود"(مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان،2006، ص:5).

وهذا ما كان يؤمن به رجاء جارودي، الحق في حرية اعتناق الآراء دون أن يضايقه أحد، لكن عندما تحدث عن الحركة الصهيونية وجرائم الدولة اليهودية في حق فلسطين شعبا وأرضا تصدى له اللوبي اليهودي في فرنسا، ورفعوا في مواجهته دعاوى أمام القضاء؛ لأن فكره الذي يطرحه ويقوم بنشره حول الإسلام يحرك غيظ الأعداء، وفي طليعتهم الصهاينة ومن يقع تحت تأثيرهم، و على النقيض من ذلك تماما نجد المفكر سارتر من الداعين الى تأييد الحركة الصهيونية والمدافعين عن دولة إسرائيل المحتلة يقابل بالتأييد والثناء والدعم في فرنسا وفي كل أروبا(عدنان سعد الدين، 1988م، ص:75).

ومن أجل تفنيد بعض الأقوال الغربية حول الإسلام أكدت كارين أرمسترونغ بالقول أنها لا تتفق مع خبرتي في دراسة القرآن وتاريخ الإسلام، مع العلم أن كلامي هذا سيجلب لي تهمة النفاق حسب وجهة نظر كونور كروز أوبريان ، الذى يحيي التقاليد التي تعتبر أن أي احترام للإسلام هو بمثابة خيانة ثقافية. وقد كتب حول المجتمع الإسلامي بكونه باعثا على النفور العميق ...هو يبدو منفرا لأنه منفر...فإذا صرح أحد أبناء الغرب بكونه معجب بالمجتمع الإسلامي مع استمرار التمسك بالقيم الغربية فهو إما منافق أو جهول، أو يجمع بين بعض عناصر النفاق والجهل معا(كارين آرمسترونج، 1998، ص:68).

تهمة النفاق والخيانة الثقافية هي من التهم الجاهزة لكل من سولت له نفسه الحديث بعقلانية وموضوعية تجاه الإسلام والمسلمين وتجاه قضاياه العادلة ومنها القضية الفلسطينية.

وقريبا من هذا حدث للسيد الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش في معرض إبداء ملاحظاته أمام جلسة مجلس الأمن بشأن حالة الشرق الأوسط حيث أكد على أن الوضع في الشرق الأوسط يزداد خطورة مع كل ساعة. كما أن الحرب في غزة مشتعلة ويهدد تفاقمها جميع ربوع المنطقة. والانقسامات تصدع المجتمعات. والتوترات تتوعد بالغليان. وفي خضم هذا، فمن الأهمية بمكان أن نكون ثابتين على المبادئ بدءاً بالمبدأ الأساسي والذي يتمثل في احترام وحماية المدنيين.

لقد أدنت بشكل لا شك فيه الأعمال الإرهابية المروعة وغير المسبوقة التي ارتكبتها حماس في إسرائيل في 7 تشرين الأول/أكتوبر. لا شيء يمكن أن يسوغ قتل وجرح المدنيين أو اختطافهم عمداً أو إطلاق الصواريخ تجاه أهداف مدنية.

ويجب معاملة جميع الرهائن معاملة إنسانية وإطلاق سراحهم فوراً ودون شروط.

من المهم أن ندرك أيضًا أن هجمات حماس لم تأت من فراغ. فلقد تعرض الشعب الفلسطيني لمدة 56 عاما من الاحتلال الخانق.

لقد شاهدو أرضهم وهي تجتاحها المستوطنات بشكل مستمر، وعانوا من العنف، وتم خنق اقتصادهم وتهجر ذويهم وهدمت منازلهم. وقد توارت آمالهم في التوصل إلى حل سياسي لمحنتهم.

ولكن مظالم الشعب الفلسطيني لا يمكن أن تفسر الهجمات المروعة التي تشنها حماس. ولا يمكن لتلك الهجمات المروعة أن تفسر العقاب الجماعي للشعب الفلسطيني.

للحرب قواعد. وعلينا أن نطالب جميع الأطراف بالتمسك بالتزاماتها استنادا إلى القانون الإنساني الدولي واحترامها، والحرص الدائم على ابعاد المدنيين في سير العمليات العسكرية واحترام وحماية المشافي والمرافق التابعة للأمم المتحدة والتي تؤوي اليوم أكثر من 600 ألف فلسطيني.

إن القصف المستمر على غزة من قبل القوات الإسرائيلية وحجم الخسائر في جانب المدنيين والتدمير الشامل للأحياء السكنية ما يزال في تزايد، وهو أمر مثير للقلق العميق (ملاحظات الأمين العام أمام جلسة مجلس الأمن بشأن الحالة الشرق الأوسط، 2023).

وما تعرض له الأمين العام للأمم المتحدة هو كذلك أمر مثير للقلق العميق حيث انتفض وزير خارجية الكيان الصهيوني إيلي كوهين في وجهه قائلا السيد الأمين العام في أي عالم تعيش أكيد ليس في عالمنا، كما صرح غلعاد إردان مندوب الكيان الصهيوني الإسرائيلي في الأمم المتحدة بكون غوتيريش أظهر تفهمه لحملة القتل الجماعي للأطفال والنساء وكبار السن، وهو ليس مؤهلا لقيادة الأمم المتحدة ودعاه للاستقالة الفورية (هجوم إسرائيلي على الأمين العام للأمم المتحدة ومطالبات باستقالته بسبب تصريحاته عن غزة، 2023).

وهذا الكلام الذي وجه للأمين العام للأمم المتحدة يخلو تما من أدب الحوار وتقبل الرأي المخالف ويكشف للعالم ما تبطن من حطام العنصرية الصهيونية، ويؤكد للعالم أن المؤسسات الدولية ما هي إلا أداة تمرر من خلالها الرأسمالية المتوحشة هيمنتها واستبدادها على الشعوب المستضعفة، فإذا كان يصعب حتى على الأمين العام للأمم المتحدة تفعيل مقتضيات (المادة 19) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان المتعلقة بحرية التعبير، فمن يا ترى سيفعل هذه المقتضيات على أرض الواقع!؟ وهذا أيضا يبرهن للعالم بأسره أن المقتضيات العالمية ما هي إلا حبر على ورق لكن في الوقت المناسب تنبعث من رمادها حين يتم المساس بالبقر المقدس.

وإلى جانب انعدام حرية التعبير هناك سياسة التضليل الإعلامي، جاء في كتاب(رسالة إلى الغرب) أن الشرق الأوسط لا يُتصور في أميركا إلا من خلال أساطير الدعاية الإسرائيلية التي تروّج بكون إسرائيل هي الضعيفة وأن العرب هم الأقوياء، وأن إسرائيل مهددة بخطر الإبادة الدائم، وأنها تريد السلام ولكن العرب يرفضونه، وأن تاريخها بمثابة تاريخ عدالة واستيطان بطولي في الصحراء

القاحلة، وأنه ليس هناك شيء اسمه فلسطين أو فلسطينيون. ولم يكن لدى الأميركيين ذرّة إدراك بكون العرب هم الذين حوصروا، وهم الذين قصفوا وأخرجوا من ديارهم بالقوة الإسرائيلية الغاشمة التي تدعمها الولايات المتحدة وتساندها (رنا قباني، 2000م، ص:88).

أعتقد أن موقف العديد من الدول الغربية يؤسس لموقف من الخطورة بمكان، ويتمثل في أنه من حق الظالم الرد والدفاع عن نفسه في مواجهة ما يتعرض له من مقاومة، وكأن طول أمد الاحتلال أكسبه حق أصحاب الأرض، وأكسبه الشرعية الدولية فيما يقوم به من خراب ودمار وإبادة جماعية.

ومن خلال ما تقدم نحاول تأصيل موقف الغرب الحمال لعدة أوجه؛ من خلال موقف مالك بن نبي نجده يؤكد على أن اعتزال الإنسان وحيدا ينتابه شعور بالفراغ الكوني، لكن طريقته في ملء هذا الفراغ هي التي تحدد نوع ثقافته وحضارته؛ هناك أساسا طريقتان لملء الفراغ؛ فإما أن ينظر المرء حول قدميه، أي صوب الأرض وإما أن يرفع بصره إلى السماء. فالطريقة الأولى تملأ وحدته بالأشياء لأجل امتلاكها. والطريقة الثانية تملأ وحدته بالأفكار فيبحث عن الحقيقة بنظره المتسائل. لهذا ينشأ عبر الطريقتين نموذجان من الثقافة؛ ثقافةُ سيطرة ذات جذور تقنية، وثقافة حضارة ذات جذور أخلاقية وغيبية (مالك بن نبي،2002م، ص:17).

فثقافة السيطرة ذات جذور تقنية تمثل الغرب، وهذا ما يلاحظ على الواقع من حرمان الشعوب المستضعفة من حقها في الوجود من طرف الأقلية المهيمنة، بحيث لا مجال للحديث عن المشترك الإنساني بل تكريس الأحادية الإنسانية للإنسان الأبيض. وثقافة حضارة ذات جذور أخلاقية وغيبية ترمز للشرق، حيث تكريس ثقافة الاستخلاف وتحقيق العدالة والدفاع من أجلها.

لقد كان الطرح المتقدم لفيلسوف مسلم، أما الفيلسوف ألكسندر دوغين فيؤكد على أن الوعي الأوروبي أو الأوروبي المركزي يتسم بعنصرية معرفية ويهدف باستمرار للقيام بالمطابقة والتماهي بين ما هو أوروبي غربي وما هو أوروبي وعالمي أو كوني. وبالتالي يتم اعتبار النهاية الأوروبية الغربية للتاريخ على أنها نهاية-تيلوس شاملة لتاريخ البشرية جمعاء، ويتم في ضوئها تطوير منظومة عالمية للتقييم والمعايير والقوالب. أي إنّ الطريق الذي سلكه الغرب من المجتمع التقليدي إلى المجتمع المعاصر ونحو المجتمع ما بعد المعاصر، والذي ما زال يواصل سيره فيه، يراد اعتباره طريقًا كونيا. وبالتالي يجري النظر إلى تاريخ الشعوب على أنه مجرد عملية تحديث وتغريب فقط (ألكسندر دوغين، 2022، ص: 33-34).

وعليه فالعنصرية المعرفية تنتقل من الفكر إلى الواقع فتتمخض عنها إبادة الشعوب بحيث لا حياة لها ولاتاريخ لها ولا مكان لها في زمرة المليار الذهبي.

المبحث الثاني: الغرب والوجه الآخر على المستوى الواقع

خير ما يمكن أن أستهل به المبحث قول تشارلز داروين المثير للاهتمام، والذي يندرج في باب وشهد شاهد من أهلها، فقد قال أينما يضع الأوروبي قدمه، فالموت يطارد السكان الأصليين. على سبيل المثال الأمريكتين، بولينيزيا، رأس الرجاء الصالح، واستراليا، في كل مكان نلاحظ النتيجة نفسها(Darwin,1875 p: 465).

1 : إبادة المسلمين في بيت المقدس إبان الحروب الصليبية

لقد كانت الحروب الصليبية نوعا من أنواع إبادة المسلمين في بيت المقدس بغطاء ديني مقدس، أشارت كارين آرمسترونغ بكون البابا أوربان الثاني دعا إلى إطلاق الحملة الصليبية الأولى أمام مجمع عقد في كليرمون وذلك في 25 نوفمبر 1095. بالنسبة لأوروبا الغربية، الحملة كانت حدثا حاسما وتكوينيا، وما تزال آثاره وتبعاته في الشرق الأوسط حتى يومنا هذا. لقد دعا أوربان، وهو خطيبا في حشد غفير من الكهنة والفرسان والفقراء، إلى القيام بحرب مقدسة على الإسلام. وبرر ذلك بكون الأتراك السلاجقة، ذلك العرق البربري القادم من وسط آسيا، والحديث العهد بالإسلام، قد اجتاح بلاد الأناضول في آسيا الصغرى (تركيا الحالية) واستولى على تلك المناطق من أيدي إمبراطورية بيزنطة المسيحية. ودعا البابا فرسان أوروبا على أن يوقفوا القتال فيما بينهم، ويتحدوا تحت لواء قضية مشتركة ضد أعداء الله هؤلاء. فقتل هؤلاء الوحوش الكفرة عمل مقدس. وبعد تطهير آسيا الصغرى من رجس المسلمين، يجب الانخراط في مهمة أكثر قدسية وهي الزحف على مدينة أورشليم المقدسة وتحريرها من الكفار. لأنه من العار أن يكون قبر المسيح في أيدي المسلمين (كارين آرمسترونغ،2005، ص:35).

وأعتقد أن خطاب البابا أعلاه يتنافى والقيم المسيحية الحقيقية قبل تحريفها والعبث بمضمونها وتسخيرها لإذكاء وإثراء الأطماع التوسعية. وهذا ما أشارت إليه كارين آرمسترونغ مؤكدة أنه من الواضح أن الحرب الصليبية جاءت استجابة لنداء عميق في نفوس مسيحيي أوروبا. وبرغم من ذلك، فإننا في معظمنا لا نتردد اليوم في استنكار الحملات الصليبية بكونها شريرة وتتنافى مع الروح المسيحية. فبرغم كل شيء، لقد دعا يسوع أتباعه إلى محبة أعدائهم لا إلى استئصالهم، على اعتبار أنه كان مسالما، وما يجمعه بغاندي ربما كان أكبر من كل ما يجمعه بالبابا أوربان. ومع ذلك، فإنني أرى أن الحرب المقدسة هي فعل مسيحي في العمق، فعلى غرار اليهودية والإسلام، هناك ميل متأصل في المسيحية إلى العنف، بالرغم من كل المسالمة المأثورة عن المسيح (كارين آرمسترونغ،2005، ص:36). وهذه الشهادة، شهادة حق من مسيحية تبحث عن الحقيقة والموضوعية.

والميل المتأصل في المسيحية إلى العنف هو ما تم ترجمته على أرض الواقع. حيث جاء في كتاب (الحرب المقدسة) أنه في 15 يوليو 1099، حيث نجح الصليبيون في إحداث اختراق إلى داخل المدينة

واستولوا عليها. ولمدة يومين قاموا بمهاجمة سكان المدينة من المسلمين واليهود. وفي اليوم التالي للمذبحة، صعد الصليبيون على سطح المسجد الأقصى، وقتلوا مجموعة من المسلمين كان تانكرد قد أعطاهم الأمان. فلم يعد المسلمون أعداء محترمين بل أمسوا أعداء الرب، وعليه كتب عليهم أن يبادوا إبادة لا رحمة فيها ولا شفقة. لأنهم يدنسون هذه المدينة المقدسة، وعليه يجب قطع دابرهم كالحشرات الطفيلية. وحسب رواية شاهد العيان، ريمون داغويليه لقد قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين، وقتل غيرهم رميا بالسهام، أو تم ارغامهم على أن يلقوا بأنفسهم من فوق الأبراج. وظل بعضهم الآخر يعذب ثم أحرقوا في النار. وغاصت الشوارع بأكوام الرؤوس والأيدي والأقدام. وفي هيكل سليمان ورواقه غاص الرجال إلى الركب وأعنه الخيل في الدماء.

لقد كانت الحملة الصليبية بحق حربا مقدسة. والرحلة المقدسة انتهت بمعركة الخير ضد الشر، فأباد فيها جنود المسيح قرابة 40 ألفا من المسلمين في ظرف يومين(كارين آرمسترونغ،2005، ص: 231-232) .

2: إبادة المسلمين بالأندلس

لقد كشف سقوط غرناطة عن بشاعة الوجه الحقيقي للغرب وقيم الوحشية. وهذا ما أشار إليه نعوم تشومسكي، فقد كان للفتوحات الإسبانية -البرتغالية نظير محلي. ففي عام 1492 تم العمل على تهجير اليهود الإسبان، أو إرغامهم على اعتناق المسيحية. وقد عانى ملايين المور من نفس المصير. لقد سمح سقوط غرناطة، في عام 1492 والذي أتم ثمانية قرون من سيادة المور، لمحاكم التفتيش الإسبانية ببسط سيطرتها البربرية.

وأباد الغزاة كتبا ومخطوطات لا تقدر بثمن بما تضمنته من سجل غني للتعاليم الكلاسيكية. ودمروا الحضارة التي ازدهرت في إبان حكم المور المتسامح المثقف. وهكذا هيئة إسبانيا المسرح لانحدارها. وكذلك لوحشية وعنصرية غزو العالم (تشومسكي، 1996ص:13).

3 : إبادة الهنود بالمكسيك :

عندما نتأمل في مسألة إبادة الهنود بالمكسيك نجد أنفسنا أمام الرأسمالية الإمبريالية والإبادة على مستوى الفكر والممارسة. فقد كانت مسألة إبادة الهنود بالمكسيك ثمرة عقلية رأسمالية على مستوى الإنتاج، وعقلية إبادة على مستوى الممارسة الفعلية وللجمع بينهما يجد الباحث نفسه أنه أمام الإنتاج حتى الاستنزاف المادي والمعنوي.

لقد جاء في كتاب (الشرايين المفتوحة لأمريكا اللاتينية) بأن فيليبي الثاني أكد في عام 1581، أمام محكمة غوادا لخارا، أنه تم إبادة ثلث هنود أمريكا، والأحياء منهم يجدون أنفسهم مرغمين على دفع

الجزية عن الأموات. كما قال العاهل أن الهنود يباعون ويشترون وينامون في العراء وأن الأمهات يقتلن أبناءهن من أجل إنقاذهم من عذاب المناجم. ولخدمة التجارة الرأسمالية الناشئة فقد حولت أوروبا أرباب المناجم الهنود والعبيد السود إلى بروليتاريا خارجية كثيرة العدد لدى الاقتصاد الأوروبي. وقامت العبودية الإغريقية الرومانية من جديد، في عالم مختلف؛ وينضاف إلى تعاسة هنود الإمبراطوريات الهيسبانية، المصير المخيف للزنوج المنتزعين من البوادي الإفريقية للعمل في البرازيل وفي جزر الأنتيل. لقد كان للاقتصاد الاستعماري الأمريكي اللاتيني أكبر تمركز لقوة عمل عرفت حتى ذلك الحين، من أجل إتاحة أضخم تمركز للثروة لم تستطع امتلاكه أي حضارة في تاريخ العالم على الإطلاق. تلك الموجة العارمة من الطمع، والرعب، والشجاعة كان مقابلها إبادة السكان المحليين: حسب الأبحاث الحديثة الموثوقة المصدر فقد قدر تعداد سكان المكسيك قبل أن يحل عليها كولومبس أنه كان يتراوح بين خمسة وعشرين وثلاثين مليونا، ويقدر أنه كان هناك عدد مشابه من الهنود في منطقة الأنديز، وكان هناك ما بين عشرة وثلاث عشرة مليونا في أمريكا الوسطى وجزر الأنتيل.. وقد كان مجموع هنود الأميركتين لا ينزل عن سبعين مليونا، وربما أكثر، ليصل عددهم إلى ثلاثة ملايين ونصف فقط، قرن ونصف من الزمن بعد ظهور المستعمر الأجنبي في الأفق. وحسب رواية الماركيز دي باريناس فقد كان يعيش أزيد من مليوني هندي بين ليما وباتيا، أما في عام 1685 فلم يبق أكثر من أربعة آلاف أسرة هندية (إدواردو غاليانو، 2016. ص: 61-62).

4: أميركا والإبادة الجماعية

أعتقد بأن إبادة الشعوب الأصلية أسلوب مضطرد عند الغرب في كتاب (أميركا والإبادات الجماعية) الذي اعتبره مؤلفه بمثابة شهادة جمع تفاصيلها خلال فترة طويلة من الزمن حيث منذ وصوله إلى واشنطن كان لديه فضول لانهائي لمعرفة ما جرى للشعوب الأميركية الأصلية، وكيف قام مستعمرو أميركا من إبادة سكان قارة كاملة يزيد عددهم على 112 مليون إنسان لم يبق منهم في إحصاء مطلع القرن العشرين سوى ربع مليون (العكش، 2002 ص: 11).

وتعتبر أسوأ إبادة بشرية هو أن يتم استلهام الأساطير الدينية من أجل إضفاء القداسة على سلوكيات وحشية إجرامية. ورد في كتاب (أميركا والإبادات الجماعية) بأنه كان ركام الهياكل العظمية تنتشر على طول شواطئ ڤرجينيا وولايتي كارولينا في مشهد جعل من المستعمرين أن يسمّوا البلاد بالجلجلة الجديدة، جلجلة بهيجة طمأنت قلوب مكتشفيها لأنها علامة إلهية تدل على رضا السماء عن

موت الهنود وعن رعاية العناية الإلهية لاستعمار العالم الجديد. ويرى وليم برادفورد حاكم مستعمرة بليموث أن نشر هذه الأوبئة بين الهنود فعل يدخل الفرح على قلب الله، حيث مما يرضي الله ويفرحه أن تزور هؤلاء الهنود وأنت تحمل إليهم الأمراض والموت. وعليه يموت 950 من كل ألف منهم، ويتعفن بعضهم على الأرض دون أن يجد من يواريه الثرى.. لقد كانت هذه المعجزات الإلهية صورة عن تطلعات المستوطنين وطموحاتهم. فلطالما اتحدث القدرة الإلهية مع الشعب المختار حسب كوتون ماذر أحد أبرز أنبياء أرض كنعان الجديدة فبعد أن ظن هؤلاء الشياطين أن بعدهم عن العالم سيحميهم من الانتقام، استطاع الله أن يكتشف مكانهم، وأرسل قديسيه الأبطال من إنكلترا، ومعهم بعض الأوبئة السماوية الفتاكة التي طهرت الأرض منهم(العكش، 2002، ص: 21).

وإذا كان من الثابت في حضارات الأمم السابقة تخليد المآثر العمرانية والتحف والزخارف الفنية فهناك بعض الثقافات تخلد تماثيل الطغاة، فقد أشار منير العكش إلى التمثال العظيم الذي شيّد تخليدا لجونيبرو سِرّا Junipero Serra مدبر أحد أكبر معسكرات الموت في شمال كاليفورنيا. فلقد كان سرا يتمتع بتعذيب ضحاياه وشنقهم بالجملة، وكان هو من دعا إلى تفعيل العامل الطبيعي بإعدام كل العرق الهندي، ومعسكره لايزال قائما إلى الآن، يحيط بفناء واسع ويذكر بضحايا فناء الكوليسيوم الروماني، وتتقدمه مقبرة كبيرة تدور فيها أشباح الجلاد المقدس (العكش، 2002، ص: 22).

5 : الأساطير الدينية الإسرائيلية المؤسسة لإبادة الشعب الفلسطيني

وأما فيما يرتبط بالكيان الصهيوني فالإبادة جزء لا يتجزأ عن الأساطير الدينية ولا أدل على ذلك كيف تمت مواجهة دعوات الأنبياء، فقد جاء في سفر تثنية الناموس الأصحاح الثالث عشر" [2]فَلَئِنْ قَامَ فِيكَ نَبِيٌّ أَوْ حَالِمُ حُلْمًا وَأَعْطَاكَ آيَةً أَوْ عَجِيبَةً، [3]ثُمَّ حَصَلَتِ الآيَةُ أَوِ الْعَجِيبَةُ الَّتِي كَلَّمَكَ بِهَا قَائِلاً: «لِنَمْضِ وَلْنَتَعَبَّدْ لآلِهَةٍ أُخْرَى!» مِمَّا لَا تَعْرِفُونَ، [4]فَلَنْ تَسْمَعُوا لِكَلِمَاتِ ذَلِكَ النَّبِيِّ أَوْ لِلْحَالِمِ ذَاكَ الْحُلْمَ! "(توراة موسى، 2018، ص:384) ؛ فأي نبي كما كانت معجزته وإن حصلت لابد وأن يواجه بالجحود وبالقتل لأنه يؤثر على العقلية الوثوقية" أَمَّا ذَلِكَ النَّبِيُّ أَوْ ذَاكَ الْحَالِمُ الْحُلْمَ فَلْيُمَتْ ! لأَنَّهُ تَكَلَّمَ لِيُضِلَّكَ عَنِ الرَّبِّ إِلَهِكَ مُخْرِجِكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ فَادِيكَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ ""(توراة موسى، 2018، ص:384).

وما ينطبق على ذلك النبي ينطبق على أي فرد من العائلة دعا إلى دين جديد" [7]وَلَئِنْ دَعَاكَ سِرًّا أَخُوكَ مِنْ أَبِيكَ أَوِ مِنْ أُمِّكَ، أَوِ ابْنُكَ أَوِ ابْنَتُكَ، أَوِ الْمَرْأَةُ الَّتِي فِي حِضْنِكَ، أَوْ صَدِيقُكَ الْمُسَاوِي لِنَفْسِكَ، قَائِلاً: «لِنَمْضِ وَلْنَتَعَبَّدْ لآلِهَةٍ أُخْرَى! » ... [9]لَنْ تُوَاتِيَهُ وَلَنْ تَسْتَمِعَ لَهُ ... [10]مُعْلِما تُعْلِمُ عَنْهُ، يَدَاكَ تَكُونَانِ عَلَيْهِ أَوَّلاً لِقَتْلِهِ، ثُمَّ أَيْدِي كُلِّ الشَّعْبِ آخِرًا. [11]سَيَرْجُمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ فَيَمُوتُ، لأَنَّهُ أَرَادَ

تَطْوِيحَكَ عَنِ الرَّبِّ إِلَهِكَ مُخْرِجِكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنَ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ! [12] وَإِذْ يَسْمَعُ كُلُّ إِسْرَائِيلَ يَرْتَاعُ ! فَلاَ يَتْبَعُوا مِنْ بَعْدُ عَمَلَ مِثْلَ هَذَا الأَمْرِ الشِّرِّيرِ بَيْنَكُمْ"" (توراة موسى، 2018، ص:384) .

ونفس الشيء ينطبق على المدن التي انتشر فيها دين جديد حيث ستباد بالكامل بالقتل بالسيف وبحرق أسراها وجل ما فيها حتى تصير خرابا مهجورا" [13]وَإِذَا سَمِعْتَ فِي إِحْدَى مُدُنِكَ ... يَقُولُونَ: [14]لَقَدْ خَرَجَ مِنْكُمْ رِجَالٌ بِلاَ نَامُوس وَطَوَّحُوا كُلَّ سُكَانِ مَدِينَتِهِمْ قَائِلِينَ: «لِنَمْضِ وَلْنَتَعَبَّدْ لآلِهَةٍ أُخْرَى!» ... فَسَأَلْتَ وَفَتَّشْتَ جَيِّدًا فَإِذَا الْكَلِمَةُ حَقٌّ جَلِي وَهَذِهِ الْمَعَابَةُ قَدْ وَقَعَتْ عِنْدَكُمْ، قَتْلاً سَتَقْتُلُ كُلَّ السَّاكِنِينَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ، تَحْرِيمًا سَتُحَرِّمُونَهَا وَكُلَّ مَا فِيهَا ! [17]وَتَجْمَعُ كُلَّ سَلْبِهَا فِي مَسَالِكِهَا وَتَحْرِقُ الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ سَلْبِهَا بِالْكُلِّيَّةِ أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِكَ، فَتَكُونُ مَهْجُورَةً أَبَدًا ! لَنْ يُعَادَ بِنَاؤُهَا مِنْ بَعْدُ ! لَنْ يَعْلَقَ بِيَدِكَ شَيْءٌ مِنَ الْحَرَامِ كَيْ يَتُوبَ الرَّبُّ عَنِ حَرَارَةِ غَضَبِهِ وَيَهَبَكَ الرَّحْمَةَ"" (توراة موسى، 2018، ص:384-385).

وبناء عليه فإذا كان القتل من الكبائر في الشريعة الإسلامية وجريمة شنعاء في القانون، فإنه قربة الى الرب في الأساطير الدينية للكيان الصهيوني، لهذا نلاحظ كيف تمت مقابلة دعوات أصفياء الله ورسله في الديانة اليهودية بالقتل والتنكيل لهم ولمن تبعهم من ذويهم وأقاربهم والمودن التي تبعتهم، ولهذا نجد الكيان الصهيوني وفيا لأساطيره المؤسسة للإبادة.

وقد وجّه رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، رسالة إلى الجنود الإسرائيليين في غزة، معززة بالاقتباسات من التوراة، لتحريضهم ضد قطاع غزة. مثل: أذكر ما فعله بك عماليق... واقتبس أيضا من (مزمور 3:18): تُمَنْطِقُنِي بِقُوَّةٍ لِلْقِتَالِ. تَصْرَعُ تَحْتِي الْقَائِمِينَ عَلَيَّ (اقتلوا رجالهم ونساءهم وأطفالهم.. نتنياهو يستعين مجددا باقتباسات من التوراة للتحريض على غزة، 2023).

جاء في سفر ثنية الناموس، الأصحاح الخامس والعشرون" [17]اُذْكُرْ مَا فَعَلَهُ بِكَ عَمَلِيقُ فِي الطَّرِيقِ إِذْ أَنْتَ خَارِجٌ مِنْ مِصْرَ، [18]كَيْفَ ناصبك فِي الطَّرِيقِ وَقَطَعَ منك المُؤخرة، الْمُنْهَكِينَ وَرَاءَكَ، وَأَنْتَ جَائِعٌ وَمُنْهَكٌ، وَمَا اتَّقَى اللهَ. [19]فَيَكُونُ مَتَى نَيَحَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ مِنْ كُلِّ أَعْدَائِكَ الْمُحِيطِينَ بِكَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَهَا الرَّبُّ إِلَهُكَ نَصِيبًا لِتَرِثَهَا، أَنَّكَ سَتَمْحُو اسْمَ عَمَلِيقَ مِمَّا تَحْتَ السَّمَاءِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَنْسَى" (توراة موسى، 2018، ص: 406).

والقصد من وراء هذه النصيحة هي العداوة التي أظهرها عماليق عندما ملاقاتهم إسرائيل في الطريق عند خروجهم من أرض مصر، وقطعوا من خلفهم كل المستضعفين وراءهم وكان هذا العمل بعيد عن الإنسانية وعماليق لم تظهر شيئاً من العطف مع شعب إسرائيل في حالة ضعفه، لهذا حق عليها حساب الله الذي يعاقب الأمم عن الجرائم التي تقترفها في حق الأغيار لمخالفة القانون الطبيعي. ولم تكن

إسرائيل في تنفيذ هذا الأمر غير أداة يسخرها الله لإيقاع هذه الدينونة على عماليق في وقت لاحق، وحسب لغة إدارة الحرب المقدسة، كان ينبغي على إسرائيل أن تمحو هؤلاء الأعداء وجميع سكان أرض الموعد (طومسون،1994، ص:319-320.).

تتحدث الأسطورة الدينية عن الفعل الغير الإنساني من طرف عماليق والذي لحق ببني إسرائيل في حالة من حالات الضعف والذي يستوجب الرد المناسب لكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو كيف نسقط هذه الخرافة الدينية على الواقع المعيش على أرض محتلة وعلى شعب يباد وعلى مقاومة محاصرة دوليا!؟ أم ليس في وسع الجيش الذي (لا يقهر) اقتحام عقبة المقاومة الفلسطينية إلا تحت أفيون الأسطورة الدينية التي تبرر الخراب والدمار وقتل البشر واجتثاث الشجر والحجر. جاء في سفر: صموئيل الأول / الإصحاح 15 العدد 3" فاذهَبِ الآنَ واضرِبْ بَنِي عماليقَ، وأهلِكْ جميعَ ما لَهُم ولا تَعفُ عَنهُم، بلِ اقتُلِ الرِّجالَ والنِّساءَ والأطفالَ والرُّضَّعَ والبقَرَ والغنَمَ والجِمالَ والحميرَ "(الكتاب المقدس، 1995، 1993،ص: 349).

خاتمة

تأسيسا على ما سلف، فما يعانيه الشعب الفلسطيني بشكل عام وغزة بشكل خاص يجعل الباحث يعيد النظر في المعرفة الغربية وفي جذورها التاريخية ليجد أن هاته المعرفة يقف خلفها لوبيات الضغط، لهذا فهي معرفة نسبية وبعيدة عن الموضوعية وخادمة لهاته اللوبيات، فعلى سبيل المثال منظومة حقوق الإنسان ظاهريا هي منظومة كونية وواقعيا لسيت في متناول الشعوب والدول المستضعفة، لهذا فالشعب الفلسطيني يباد من طرف محتل ومجرم حرب حسب مقتضيات المادة 8 من نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية الفقرة الثانية (ب) (8) والتي تتجلى في" قيام دولة الاحتلال، على نحو مباشر أو غير مباشر، بنقل أجزاء من سكانها المدنيين إلى الأرض التي تحتلها، أو إبعاد أو نقل كل سكان الأرض المحتلة أو أجزاء منهم داخل هذه الأرض أو خارجها "(نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية،1998، ص:6) وهذا ما يقوم به الكيان الصهيوني بشكل ممنهج. لهذا فالشعب الفلسطيني يواجه الكيان الصهيوني مدعوما بالإمبريالية المتوحشة العالمية لوحده، وما الدولة الفلسطينية إلا مرحلة إن ترك هذا الوضع على حاله حيث سيكون حتما الهدف الأعظم هو الوطن العربي، وقد صدق في المقاومة الفلسطينية قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٢٤﴾ [من سورة الأحزاب: الآية 23-24] وقوله تعالى: ﴿إِنْ

يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ١٤٠﴾ [من سورة آل عمران: الآية، 140].

فهرست المصادر والمراجع

1. إدواردو غاليانو، الشرايين المفتوحة لأمريكا اللاتينية، تر: علاء شنانة طوى للثقافة والنشر والإعلام، لندن ط.1، 2016.
2. الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، العهد القديم،الإصدار الثاني 1995، ط.4 ، العهد الجديد، الإصدار الرابع 1993، ط.30
3. ألكسندر دوغين، الجغرافيا السياسية لما بعد الحداثة، تر: إبراهيم إستنبولي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بيروت، حزيران/يونيو، ط.1، 2022 .
4. توراة موسى ترجمة عربية للسبعينية تر: خالد جورج اليازجي، مدرسة الإسكندرية، القاهرة، ط.1، نوفمبر2018 .
5. دان ليسى، الثورة الأمريكية دوافعها ومغزاها. تر: سامى ناشد الناشر مؤسسة سجل العرب القاهرة، 1966[د.ط].
6. رنا قباني، رسالة إلى الغرب، تر: صباح قباني الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سورية -دمشق، ط.2، 2000م.
7. طومسون. ج.أ، التفسير الحديث للكتاب المقدس العهد القديم سفر التثنية، تر: القس جاد المنفلوطى، دار الثقافة، ط.1، 1994 .
8. عدنان سعد الدين، حوار مع الأستاذ رجاء جارودي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط.1، 1408ه-1988م .
9. كارين آرمسترونج، سيرة النبي محمد تر: فاطمة نصر، محمد عنانى، شركة سطور، ط.2، 1998
10. كارين آرمسترونغ، الحرب المقدسة الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم تر: سامي الكعكي دار الكتابي العربي بيروت – لبنان 2005
11. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر المعاصر بيروت-لبنان دار الفكر دمشق -سورية 1423ه- 2002م
12. مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، المعاهدات الدولية الأساسية لحقوق الإنسان، الأمم المتحدة نيويورك وجنيف، 2006

13. منير العكش، أميركا والإبادات الجماعية، رياض الريس للكتب والنشر، ط.1 ، يونيو 2002 .
14. نعوم تشومسكي، سنة 501 الغزو مستمر تر: مي النبهان، دار المدى للثقافة والنشر، 1996[د.ط]
15. نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية(ص:6) روما في 17 تموز/يوليوز 1998.
16. Darwin Charles, Voyage d'un naturaliste autour du monde, Traduit de l'anglais par M. ED. Barbier, Paris C. Reinwald et Ce, Libraires-Éditeurs, 15,rue des saints-peres,13, 1875.
17. Wanda Mastor ,Déclaration des droits de l'Homme et du citoyen ,Éditions Dalloz, 2022..

المواقع الألكترونية:

1. اقتلوا رجالهم ونساءهم وأطفالهم.. نتنياهو يستعين مجددا باقتباسات من التوراة للتحريض على غزة(3 nov 2023) القدس العربي، https://tinyurl.com/dx4ejs6n
2. السجن لمن يتعاطف مع غزة،(11 octobre , 2023) TRT ..عربي : https://tinyurl.com/57wj3mfh
3. بريطانيا.. اعتقال شابة للاشتباه بإلقائها كلمة داعمة لحماس .(14 oct 2023) .عربية sky news https://tinyurl.com/4k4ma7xf
4. خطاب الرئيس بايدن حول الهجمات الإرهابية في 7 تشرين الأول/أكتوبر وصمود دولة إسرائيل وشعبها(2023 أكتوبر 18)الموقع الرسمي لحكومة الولايات المتحدة https://tinyurl.com/2twchd24
5. فرنسا: جماجم جزائريين في متحف الإنسان .Récupéré sur (30 sept , 2016) .فرانس / FRANCE 24 Arabic: https://www.youtube.com/watch?v=YFtcnkVt8xA24
6. كم أنفقت أمريكا على أوكرانيا خلال عام؟ (2023 .فبراير 26) :RT https://tinyurl.com/dnknpprc
7. ملاحظات الأمين العام أمام جلسة مجلس الأمن بشأن الحالة الشرق الأوسط 2023, oct) . (24الأمم المتحدة https://tinyurl.com/yckeb25y :
8. مندوبة بريطانيا لدى مجلس الأمن: أفعال حماس كانت ضربة وجودية لفكرة إسرائيل كوطن لليهود (16 octobre 2023) سكاي نيوز عربية https://tinyurl.com/ycajstn9

ISSN : 2625 - 8943

9. هجوم إسرائيلي على الأمين العام للأمم المتحدة ومطالبات باستقالته بسبب تصريحاته عن غزة .
قناة الجزيرة AlJazeera Arabic: https://tinyurl.com/mjcs4e5z (2023, oct 25).

ISSN : 2625 - 8943

النماذج التفسيرية للصحة و المرض وفق المقاربة السسوسيوأنثربولوجية

Explanatory models of health and disease according to the socio-anthropological Approach

سعدية جديلي، طالبة دكتوراه، جامعة عنابة /الجزائر
البريد الإلكتروني: Doc.sam2019@gmail.com

الملخص:

غالبا ما ظلت الصحة والمرض ضمن التداول الخطابي المؤسس رهينة الطرح والمعالجة ضمن فضاء الطب الرسمي علما وممارسة أين افتك هذا النمط الطبي العلاجي وهو النمط الموحد عالميا شرعية الخطاب عند العرض لمختلف المشكلات الصحية إلا أن ما نثيره من قضايا وإشكالات سواء ما تعلق منها بفهم المرض أو معايير السلامة و السواء أو ما تعلق بمسالك وسبل العلاج هذا ناهيك عن عالم المريض وما نثيره تجربة المرض كتجربة أنثربولوجية من أوجه معاناة تتصل ببعد الذاتية ضمن تجربة المرض ، إلى جانب العلاقة ؛ طبيب-مريض ، وما تحمله من أوجه قراءة ذات طبيعة سوسيوثقافية عبر امتداد الممارسة الطبية العلاجية ، كل هذه الاستثناءات بالأساس تتصل بطبيعة الظاهرة الصحية و المرضية ومنه العلاجية الأمر الذي أدى إلى بروز المقاربة السوسيوأنثربولوجية و نماذج تفسيرية ذات طبيعة إجتماعية وثقافية من بابها الإحاطة بمختلف أبعاد الظاهرة الصحية ومتلازماتها من مرض وعلاج

Summary

Health and illness within the established discurrsive circulation have often remained hostage to presentaton and treatment within the space of official medicine both in science and practice,where has this therapeutic msedical style, which is a globally unified approach,destroyed the legitimacy of discourse when presenting various health problems ?However,the issues and problems it raises,whether related to understanding the disease or safety standards whether or not what is related to treatment methods, not to mention the patient's world and the aspects of sufferinge it raises as an anthropological experience related to the patient's subjectivity,in addition to the doctor-patient relatonshig and the aspects of reading it carries of a sociocultrual nature through the extension of therapeutic medical practice,all of these exceptions are essentially related to the nature of the health and disease phenomenon,including the emergence of the socio-anthropological approach and explanatory models of a social and cultural nature with the aim of covering the various dimensions of the health phenomenon and its syndromes of disease and treatment,

النماذج التفسيرية للصحة وفق المقاربة السسوسيوأنثربولوجية

- **الإشكالية:**

يتغير الخطاب العلمي ويتمايز عبر مختلف المجالات المعرفية التخصصية وفق ما يرتكز عليه من تصورية Conceptualisme تغذيه في البعدين المفهمي والمنهجي Les dimensions conceptuelles et méthodologiques تماشيا وطبيعة موضوعه القائم ، أين تُشكل طبيعة الموضوع المرتكز الإبستيمولوجي الأساسي الباعث للبراديغم التفسيري عبر كل علم، وبمجال الصحة يُثار عميق الجدل في شأن مقاربة المشكلة الصحية Problème de santé وما يرتبط بها من حديث حول المرض والعلاج ؛خاصة والصحة تُعد من المواضيع ذات الطابع الفلسفي ويُعد المرض كما يطرح الطبيب الإبستيمولوجي جورج كانغليهم تجربة أنثربولوجية Expérience anthropologique بامتياز ،،وأمام ضيق الأفق التفسيري القائم عبر مجال علم الطب كعلم منوط بدرجة أولى بتفسير الظاهرة الصحية في قراءته للمرض وفق النموذج الحيوي Modèle biologique ومنطلق تصور الإنسان الآلة L'homme- machine ؛تبرز الحاجة الماسة أمام تعقد وقائع المشكلة الصحية إلى مقاربات أكثر استغراقا وإحاطة بطبيعة الظاهرة المتجاوزة للبعد المادي البيولوجي ،لتبرز أمام هذا الافتقار المعرفي المنهجي الأهمية القصوى لمقاربة متعددة التخصصات Approche pluridisciplinaire وهي سمة المقاربة السسوسيوأنثربولوجية ؛المقاربة التي تجمع بين المبحثين الأم كل من الأنثربولوجيا و السوسيولوجيا على حد سواء في تلاحم منهجي معرفي يجمع في القراءة التحليلية والمعالجاتية للمشكلات كل من البعدين الثقافي و الاجتماعي و التناول الماكرو و الميكروسوسيواوجي ؛ ما يتاح من خلاله قراءة مشكلات الصحة عبر الفرد و المجتمع والثقافة ، الفرد بما هو تشكل للعقل-جسم و المجتمع بما يفرضه من محددات اجتماعية أو سوسيوديمغرافية والثقافة بما هي قيم وأبعاد رمزية ؛ ومن خلال هذا النمط من المقاربة تكون القراءة المتكاملة لظاهرة الصحة ما يميط اللثام عن عمق طبيعتها وحقيقتها ويتأسس وفقه البناء الأنسب لفهم المرض Comprendre la maladie وتحديد المسلك العلاجي Cours thérapeutique وكذا نجاح التخطيط الصحي Planification de la santé

- فكيف تنظر المقاربة السسوسيوأنثربولوجية لظاهرة الصحة وما أبرز النماذج التفسيرية القائمة عبرها؟

أولا : المقاربة السسوسيوأنثربولوجية والصحة والمرض :

ISSN : 2625 - 8943

1- في مفهوم السوسيوأنثربولوجيا: Dans le concept de la socioanthropologique

هي تلك الرؤية التي تقترح من خلالها أشكال أخرى لقراءة الواقع تكون منفتحة على كل فهم جديد، مركزة على الفردي و الجماعي في تحولاتهما و تقاطعاتهما المؤدية لبروز ما يسميه "بوفيه" "بنى الممارسة الكشفية" و حتى "المجموعات السكانية المتماسكة منطقيا" و لو كان وجودها مؤقت (meranie, p. 10)

2 السوسيوأنثربولوجيا أي فهم للصحة ؟ Anthropologie sociologique Quelle compréhension de la santé ?

تتوافر أدبيات كثيرة على طرح فكرة الطبيعة الإجتماعية للصحة والمرض بل ثمة من ينظر كون العلاج أو الدواء يعد بامتياز علامة اجتماعية جد مهمة Le remède est ainsi marque distinction sociale impotente (micolier, 2015, p. 48)

هو ما أسس لضرورة انبثاق المقترب السوسيوانثربولوجي كمنحى تصوري يتيح إمكانية القراءة متعددة الأبعاد للظاهرة الصحية أين يُطرح في فهم الصحة كونها الحياة في صمت الأعضاء La santé c'est la vie dans le silence des Organes (Dufrisne, 2006, p. 05) ، وهو المنحى المادي وفق النموذج البيلوجي ؛ومن زاوية أخرى تطرح وجهة النظر النفسية حسب فرويد " الإنسان السليم أو السوي هو الذي بإمكانه أن يُحب و يعمل La personne normale est celle qui peut aimer et travailler (Dufrisne, 2006, p. 05) " تعبير أدبي يطرح في الصحة كونها غياب ضجيج البدن و النفس Des Bruits du corps et de L'âme ، تعدد وجهات النظر يحمل على ضرورة توسيع المفاهيم التقليدية في الصحة والمرض élargir les conceptions traditionnelles sure la santé et la maladie ، ففي طرح جد مهم للأنثربولوجيا الصحة والمرض ؛ يشار إلى ضرورة عدم تضييق نطاقهما في العلامات العضوية Symptômes Organiques ، بل ضرورة قراءتهما ضمن الكل من خلال مركب من المعارف العلمية للإنسان Synthés de savoirs Scientifiques sur L'Homme (Trombly, 2006, p. 08) ،أي قراءة وفهم المشكلة الصحية وما تعلق بها من علاج كظاهرة كلية وهو ملمح مقارباتي تتوافر عليه المقاربة السوسيوأنثربولوجية

وجه المقاربة السسوسيوأنثربولوجية للصحة قائم على جملة ركائز تفسيرية عميقة حيث تنظر للإنسان ككل متكامل تتفاعل عناصر شخصيته (بيولوجية وعقلية ،نفسية واجتماعية) ما تتعدد معه أساليب العلاج ويتعقد ويتعمق معه مفهوم الصحة والمرض ، كذلك تفهم المقاربة الإنسان كأسمى الكائنات الحية شأنا وقيمة ليتمايز الفهم لطبيعته كموضوع لعلم الطب ضمن المقاربة السوسيوأنثربولوجية مقابل الرؤية البيوطبية، وفي مواصلة لبلورة رؤيتها تُركِز سوسيولوجيا و أنثربولوجيا الصحة على فردية الإنسان وعموميته أو جماعيته في ذات الحين لتُوسع أفق النظر الطبي للتَعامل مع الظاهرة المرضية وِفق البعدين الذاتي والاجتماعي، ما يتأكد معه ضرورة مَحوَرة الفعل الطبي على جزئية المريض لا المرض، لتنتقل سوسيولوجيا و أنثربولوجيا الصحة عبر انشغالها بموضوعات الصحة والمرض ومنه العلاج من مستوى المعالجة الميكروسوسيولوجية إلى الأفق الأوسع عبر الماكر وسوسيولوجي؛ أين تجعل من الصحة والمرض مسؤولية مباشرة على عاتق المجتمع كونها كظواهر تُنبني ضِمن السِّياق الاجتماعي وهو ما يتَّضح جليا ضِمن مفاهيم الرعاية الصحية Prévenance sanitaire بامتداد عواملها ومفهوم كل من الرعاية الطبية و الخدمة الصحية Services sanitaire بامتداد أبعادها الثقافية Culturelle والمهنية Fonctionnelle ناهيك عن العوامل الاجتماعية الاقتصادية Les enjeux sociaux-économique ، مايترتب عليه مأسسة الممارسة العلاجية وفق هذه الرؤية الماكروسوسيولوجية ضمن القطاعات الثلاث للثقافة؛ القطاع الاجتماعي و القطاع المادي و القطاع الرمزي فعبر هذه القطاعات الثلاث يقوم الواقع الاجتماعي وفق منطق تفاعلي عبر مختلف ميكانيزمات عملية الحياة الاجتماعية Processus sociale الفضاء الخام الحامل لكل الممارسات الإجتماعية بما فيها الممارسة الصحية pratique de la santé

3- كيف يقرأ المرض ؟ Comment et lue la maladie :

تذهب السوسيوأنثربولوجيا في طرحها كون النموذج التفسيري لمرض ما يرتكز على رصد لعلامات وأعراض يمكن من خلالها التعرف على المرض وتشخيصه ، كذلك معرفة أسبابه ، وكيفية علاجه والأعراض الفسيولوجية للمرض والتكهن أو التنبؤ بما سيؤول إليه ، كما يضيف (كليمان) قد يكون لدى الأفراد نماذج تفسيرية غامضة Des modèles explicatifs ambigus لأمراضهم ترجع لخبرات المريض Expériences des patients السابقة أو للأمراض المنتشرة بالمجتمع وقد ذكرت الأنثربولوجيا الطبية كون النموذج التفسيري هنا ، يثير العديد من التساؤلات حول أنماط السلوك العلاجية وبعض

الملامح الأخرى (الجوهري و شكري، 2001) ، كما تعطي الدراسات السوسيولوجية و الأنثربولوجية في اهتمامها بالمرض قيمة موضوعية تحليلية للُّغة المحلية للسكان الأصليين و في توصيفهم لحالاتهم الصحية و أنماطهم الإستطبابية أين يشتمل خطاب الشخص المريض تشفير ثقافي متعدد الدلالة للمشكلات الصحية يساعد فهمه وتحليله على فهم سياقات المرض ؛وهو ما يغيب في الفهم و الممارسة الطبية بمجال الطب الغربي الرسمي ؛وفي هذا السياق تشير دراسة أقيمت في إفريقيا بعنوان " Maladies Remèdes Et Langue En Afrique Centrale"، ومن خلال الملاحظات الميدانية التي ترصد آلية عمل عدد من الأطباء و الممرضين الحاملين لنموذج الطب البيولوجي الغربي تُسجل عملية الرصد الميداني إسقاط الممارسة الطبية لهؤلاء الأطباء والممرضين لجملة من العناصر الأنثربولوجية المهمة المتوافرة بالمجتمعات المحلية التي يعملون عبرها والتي من بابها توسيع أفق الفهم الطبي ومنه الممارسة العلاجية ؛ومن بين تلك العناصر الأنثربولوجية تفاصيل تتعلق بالسكان المحليين منها :

- ✓ مصطلحات ولغة المرض لدى المرضى

La terminologie de la maladie dans le lange de leurs patients (potentiels)

- ✓ شعور المريض والتصنيفات المحلية لعديد أصناف المرضي

La perception et des catégorisations locales des différentes affections pathologiques

- ✓ الطريقة التي من خلالها يُحلل المرضى أسباب اختلالاتهم و ترتبط بالطريقة التي من خلالها يحكمون على مدى ملائمة العلاج الغربي للأمراض

La manière dont les malades analysent les causes de ces troubles et par conséquent la manière dont ils Von juger l'adéquation entre maladie et Remède occidental (Lolce J, p. 10)

- ✓ عدد غفير من الأدوية أو العلاجات المحلية المعتبرة في استعمالاتها وفعاليتها خاصة أسماء نباتات طبية في اللهجات المحلية

Des très nombreux remèdes locaux de leur préparation, leur utilisation, leur efficacité surtout des 'noms de plantes présumées médicinales dans les langues locales

✓ الأسباب التي تدفع بالمريض للجوء إلى الطب التقليدي رغم أولوية الطب الغربي

Des raisons qui poussent le malade à s'adresser à la médecine traditionnelle plutôt qu'à la médecine occidentale (Lolce J, p. 10)

وفي مواصلة لعرض القراءة السوسيوأنثربولوجية للمرض يُصور الفهم الأنثربولوجي المرض في علاقته بالعامل الايكولوجي و الكوسمولوجي ليطرح عبر القراءة التحليلية لتأمل الظاهرة ؛كون تلك العلاقة للإنسان بالطبيعة والمحاطة بهالة المقدسAura sacrée أرست أفقا بسيكوأنطولوجي للمرض مولدة ظواهر علاجية تحمل عمق الشعور الديني أين أرست العلاقة بين المرض وقوى ما بعد الطبيعة لدى الإنسان الأول ، بروز نماذج تحتوي السمة العلاجية كالشامانية والأيروفيدا ، بل تنتشر فاعلية المقدس حتى يومنا هذا بالعالم الحديث و المعاصر فمن صورة عبادة الأسلاف Culte des ancêtres والتي تقع ضمن الممارسات و التصورات أو التمثلات الإجتماعية[1*] Les pratiques et le représentations sociales للصحة والمرض كعادات جماعية أكثر استقرارا Plus stables كما يذكر دوركهايم Durkheim إلى صور ممارسات طقسية أخرى كالزار و زيارة الأولياء الصالحين والتمسح بالأضرحة ، وتقديم النذور و إخراج الصدقات وإقامة الصلوات وغيرها من الممارسات الداخلة في الطقوس الشعائرية ذات البعد العقدي الديني ، أين شكل الدين Dette أبرز العناصر الثقافية الباعثة للمركب الطقسي الحامل لتصور المرض والعلاج في آن واحد وهو ما تبرز نتائج الأبحاث الأنثربولوجية المتناولة للأنساق الطبية الشعبية أو الإثني-طبية Ethnomédecine)الإبراهيمي(

كما ورد في كتابات **تايلور وسيلجمان وفريزر** ، وفي العام 1930 ، أجرى بحث حول أصول ومصادر المكونات الثقافية للأنساق الطبية ومنذ ذلك الحين فإن الأفكار المتعلقة بالمرض والممارسات العلاجية اعتبرت جزءا مهما في الثقافة ، وهذا ما يبرز عند العرض للنماذج التفسيرية عبر نسق وفضاء الطب الشعبي حيث ستشمل العديد من العناصر التراثية والثقافية في بناء هذه النماذج والأطر التفسيرية

ثانيا : النماذج التفسيرية السوسيوأنثربولوجية للعوامل الفوق طبيعية للصحة و للمرض

Les Modèles Explicatifs socio- anthropologique de Facteurs Surnaturelle de la santé et de la maladie

[1*] - التمثلات الإجتماعية représentations sociales : مجموع منظم من الآراء و الاتجاهات والاعتقادات والمعلومات المختلفة المتعلقة بموضوع أو وضعية ما (JEULIN, 2014, p. 72)

في تقرير بحثي مفصل في موضوع الطب التقليدي بمنطقة الزائير la médecine traditionnelle au Zaïre المقدم من طرف المركز الدولي للتطوير بكندا ،تُطرح إشارة هامة حول توافر السجل الطبي الإثنوغرافي للساكنة على معتقدات جماعية مشتركة ذات وظيفة علاجية شعائرية Des logiques associatives similaires fonctionnent dans le registre des traitements rituels (Ahluwalia & Méchin, 1979, p. 28)

تلك العلاجات الشعائرية تُوظفها المجموعات القاطنة بالمنطقة لمواجهة مختلف الأمراض ، وما يميز الدستور الطبي المحلي سمة القراءة التشخيصية للأمراض التي تذهب في قراءتها لأعراض وأسباب المرض إلى إدخال العوامل الطبيعية و الفوق طبيعية في الفهم والتفسير وتتسم طبيعة العلاج عبر الممارسة الشعائرية بقوة العامل الروحي أو النفسي في عملية العلاج

Conception de type naturaliste dé la maladie et de ses causes qu'un désir d'agir au niveau des cause non naturelle et de mettre en branle l'action positive de forces et d'esprit qui viendront renforcer l'efficacité des traitements (Ahluwalia & Méchin, 1979, p. 28)

فقد عرضت الأدبيات الأنثربولوجية لنماذج علاجية عديدة من صورها نعرض الأتي :

1- مدخل السمات أو الذرات المنفصلة (كليمنس) Atonised Traits

وضح كليمنس وفو رست توزيع السمات الثقافية المتعلقة بالصحة والتحكم في المرض ، وتم تحديد خمس سمات رئيسية لأسباب المرض في المجتمعات الغير صناعية وهي : السحر الأسود Sorcery، ثم اقتحام بسبب المرض عنوة Tntrusion of disease اقتحام الروح ، Spirit وهي كلها سمات معبرة عن الثقافة تحدد إطار المرض وتؤسس وفقه المسلك العلاج (الجوهري و شكري، 2001)

2- مدخل الفكر العقائدي الديني : Introduction de la pensée Doctrine religieuse

بين العقلانية أو الذهنية واللاعقلانية أو الوجدانية يطرح كل من تايلر Taylor وسبنسر Spencer وفريزر Frazer تفسيرا للسلوك مرتبط **بالشعور الديني** ، وفي سياقه تقع دلالات تفسيرية للإصابة بالمرض ورؤى للمخارج العلاجية ، فكان بذلك الدين كسمة أو كعنصر ضمن الثقافة في أصله يرجع للمحاولة التي بذلتها الشعوب لإضفاء مغزى على العالم الذي يعيشون فيه وعلى العمليات البيولوجية الخاصة بهم والمشتملة على جملة تحولات تنتظم وتيرة العيش للأفراد وتتضمن (تحولات من النهار إلى الليل

ISSN : 2625 - 8943

(بيولوجية النوم) ، والتحولات من الحياة إلى الموت (بيولوجية الحياة) ، وتجربة الأحلام والرؤى (عالم الرمز والمتخيل) ، ثم علاقات السببية بين الأحداث (السعي لفهم عالم الطبيعة الميكانيكية).

إلى جانب طرح **تايلر** لاستنتاجه كون نمو الجانب الروحي والأفكار حول الروح ، نشأت من تقدير الإنسان للفروق بين الحياة والموت ، وبين الحالات من حالات اليقظة états des vigilances وأخرى حالات النوم Etats des sommeilأين توصل الإنسان إلى الاعتقاد بأن الروح تستطيع الانفصال عن الجسد والاستمرار بعد الموت وتحتفظ بالقوة لحماية أسرته (مان، 1999، صفحة 237) معتقد سيطور عنه فكر عبادة السلف- فكان لنمو الشعور الديني بروز السلوك التعبدي Comportement dévotionnel بتباين تاريخ الأديان من الطوطميةTotémisme إلى ديانة التوحيد la Religion du monothéisme، وفي سياق الفكر الديني طرحت قراءة للمرض ترسمها العلاقة مع الرموز التعبدية Symboles de dévotion لينتج بذلك المرض عن الخطيةPéché وارتكاب المعصية وكسر الطابو Briser le tabou، فيسلط المرض بالفرد كعقوبة Comme punition على المعصية وتبرز عبر هذا المستوى أساليب العلاج الروحيةMéthodes de guérison spirituelle (صلوات ، نذور Vœux وقرابين arquebuse مشروبات روحية Boissons spirituelles ممارسات طقسية متعددة بتعدد الثقافات تحمل العديد من السمات والعناصر الثقافية المترجمة للأبعاد الدينية الروحية في الفكر الاجتماعي.

3- مدخل الكهانة والسحر:Introduction a la divination et la magie

كون المرض قد لزم الإنسان ضمن وجوده الأول فكان خاضع في قراءته وفهمه وتشخيصه وعلاجه لملامح الحياة الاجتماعية والثقافية ، وفي هذا السياق يطرح **فريزر** كون السحر Talisman بُعد من مراحل التطور العقلي Développement mental التي مرت بها البشرية وكان سابقا للدين والعلم أين أعتقد الإنسان أن العالم يعمل بوسائط تشبه القوانين وامتلاك الإنسان للمعادلة الصحيحة لعمل هذه الوسائط يمكنه من معالجة الأحداث في العالم (مان، 1999) ،

وفي مقدمتها حدث المرض ، وفي ذات السياق يطرح Rivers في عمله **الطب السحري الديني** Médecine Magique ، كون السحر يعد من أبرز العناصر الثقافية التي ميزت الحياة الاجتماعية للشعوب الأولى وكان يستند إليه لفهم المرض والعلاج وأبرزت أعمال Evans Pritchard 1937 ، حول " العين والتبصر والسحر " لدى مجتمع الأزندي مكانة **التصورات السحرية** Représentations

magiques في الثقافة العلاجية Culture thérapeutique ، وأوضح من خلاله علاقة المرض والنسق الطبي للمجتمع مع الكلية السوسيو ثقافية ، وبالتالي توضيح أشكال حياة الجماعة من تنظيم اجتماعي واعتقادات وطقوس [1] (محمد، 2010)

وأوضحت النظريات الوظيفية في الدين functional Theories Of Religion وجمعت إليه السحر الوظيفة ، التي يقوم بها الدين للفرد والجماعة ، حيث يرى مالينفسكي Malinovski كون في الدين والسحر معا، معينا للفرد على تحمل مواقف الضغط والقلق فالشعيرة الدينية بإمكانها إن تجعل المصابين بفجيعة ما . أناس قادرين على إعادة تأكيد وحدتهم ، الجمعية ، والتعبير عن أعرافهم وقيمهم المشتركة ، تلك التي يعتمد عليها قيام الجماعة المحلية (مان، 1999، صفحة 276) ويطرح في ذات السياق كون الدين قد يكون مكملا للمعرفة العلمية الامبريقية حيث يُضفى نوعا من الدلالة المفهومية على المجالات التي لا تستطيع هذه المعرفة الوصول إليها .

كما يبين التراث الأعظم تأثيرا في مجال الفكر الوظيفي عن الدين ، والمنحدر من فكر إميل دوركايم Durkheim، في عمله المشهور " الأشكال الأولية الأولية للحياة الدينية Elementay Forams Of The religions، التسوية بين الدين والتماسك الاجتماعي La cohésion sociale حيث تعلم العقائد والشعائر من حيث الدور الذي تؤديه في استقرار حالة الفرد والجماعة وتنمية التضافر الاجتماعي (مان، 1999، صفحة 276)

ومن جهته يذكر رادكليف براون في الاحتفالات الدينية Célébrations religieuse (في شكل الرقص الجماعي Danse de groupe أو الإنشاد الجماعيRécitation Collective أمرا ينمي الوحدة والانسجامHarmonie وله وظيفته في تقوية التضامن الاجتماعي ، كما تعبر الأساطير والخرافات التي تشتمل عليها مختلف العقائد الدينية عن : القيم الاجتماعية لمختلف الموضوعات التي لها تأثيرها الأساسي في الحياة الاجتماعية ، ويتضح عبر هذا الطرح بروز الدور الوظيفي عبر السلوك الديني في تحقيق الصحة ومجانبة المرض من خلال ما يؤمنه الشعور الديني من استقرار نفسي إلى جانب منظومة القيم التي تشتمل عليها المنظومات العقائدية (التعاون والتضامن ، الصبر ، الصدق ، المحبة النظافة ، الإخلاص ..الخ) (في الشريعة الإسلامية) وانعكاسات ذلك علة نسيج الحياة الاجتماعية أين يمتد تأثير الشعور الذي يتجاوز البعد النفسي الفردي إلى تحقيق التوازن عبر الصعيد الإجتماعي ، وهذا ما تؤكده العلوم الحديثة يذكر كينجزلي دافيز Kingsley divies عند طرحه كون المعتقدات الدينية تشكل الأساس للأهداف

التي تمثل قيمة اجتماعية والدين مزود المجتمع والفرد بالرؤية المشتركة من أجل تأكيد الذات وبمصدر غير محدود لألوان الثواب والعقاب على السلوك (مان، 1999، صفحة 376) وعبر هذا المستوى تبرز وظيفة الضبط الاجتماعي للدين ضمن البناء الاجتماعي وكذا على الصعيد الفردي من ناحية تنميط السلوك ،ومنه ما تعلق بالصحة والمرض والعلاج ، فمن خلال المعطى الديني كمعطى أنثروبولوجي يفسر المرض لدى العديد من الجماعات غالبا ما تستند هذه الأخيرة الجائحات ومنها الأمراض الوبائية Les Maladies Epidémiques إلى خلفيات دينية ، كغضب الآلهة ، والأسلاف وما يدخل في نطاق خرق الطابو والسلوك الفردي والجماعي في علاقته بالمقدس والمدنس فتذكر الأبحاث التي قام بها Alain Epelboin في سنوات الثمانيات على فيروس "ايبولا " Ebola الذي أصاب مجتمعات "ميتي " في جمهورية الكونغو (الزائير سابقا) ، أين خلف عددا كبيرا من الضحايا بالنسبة لهذا المرض تعددت تفسيرات الاجتماعية له وعلى سبيل المثال الصراعات التي كانت قائمة بين قبائل المجتمع "ميتي " نسبت إليها أسباب هذا المرض (محمد، 2010، صفحة 17) (لعنة الأجداد) إلى جانب فئات اجتماعية أخرى نسبت المرض إلى غضب الآلهة الموجودة في الكائس ، فعند الحديث عن الشعور الديني كمؤسس ومفسر لمفهوم المرض فالحديث مقترن بالتجربة الدينية أين يمثل مفهوم التقوى Piète والتي يدل اصطلاحها على احترام الأحكام التي تدير العلاقات البشر مع الآلهة ، ولكن أيضا مع الأقارب والأموات أين يكون الالتقاء بإرث العبادة (بياربونت و إيزار، 2000، صفحة 287) عبر التقاليد الثقافية القديمة وهي لازالت ضمن تراثيات مختلف الشعوب ، تتحد الممارسات والشعائر ضمن مفهومات السلوك التعبدي وجدلية المقدس والمدنس لتشمل على الممارسات وشعائر ، (هبات صلوات نذور ، قربان ، حج ..الخ) مما تشمل عليه المزاولات الطقوسية والاحتفالات الفلكلورية والممارسات السحرية (الديانة البدائية) أين تتأسس الممارسة الاجتماعية بدافع الشعور الديني ضمن الكيان الاجتماعي الثقافي لتؤمن شعور السكينة والطمأنينة وتحارب مشاعر الخوف والقلق والاضطراب فتكون بذلك من ناحية وطائفيتها مؤمنة للصحة على الصعيد النفسي وقد ينسحب ذلك إلى البيولوجي.

ودائما في إطار الحديث من الأطر التصورية للمرض وضمن الأسباب الغير طبيعية تبرز إلى الجانب أعمال السحر ما يعرف ب الكهانة.

- **الكهانة Divinations:**

هي عملية اجتماعية يتم فيها استخدام فعالية التكهن لتحديد مناط اللوم واقتراح سبل العلاج من المرض أو النكبات الأخرى المسببة للضيق النفسي

فقد يلقى اللوم على عاتق السحر الذي يقوم به شخص ما على قيد الحياة أو على أعمال يقوم بها شبح أو أرواح غير بشرية ، ويعتبر الطقس Le rite الذي تتم فيه شعائر العرافة ، أحد السبل ليس فقط لتشخيص ، وإنما أيضا استجلاب العدالة في المجتمعات أو الأوضاع التي ليس بها ناموس قانوني ، وتكشف الكهانة باستخدامها للوسائل الغيبية Invisible signifie عن الفئة الاجتماعية المسئولة عن القوة ثم بعد ذلك عن العنصر الفريد المسئول عن النكبة ،أما عن دور ووظيفة الكهانة ، فتهتم بصورة أكبر باستعادة الانسجام والتوافق أكثر من اهتمامها باقتضاء الثواب والعقاب ، أما عن وسائلها المستخدمة فهي بين الموضوعية والذاتية ليستخدم الكاهن في الأولى ، أساليب ميكانيكية Méthodes mécaniques مستعينا بالقواقع Escargots أو العصي Des bâtons ويترجم الشكل المرسوم أمامه في عبارات من المعرفة المحلية Savoir local يعمل الكاهن Le prêtre فيها على كشف المشكلة وأسبابها بملاحظة سلوك مثاله : حشرة وهي تزحف على غصن الشجرة أو يفحص أحشاء حيوان ميت، مثل الدجاجة المستخدمة كوسيط الوحي لدى القبائل الأزندى وهو ما أوضحه إيفنز بريتشارد Evans-Pritchard ، أما الكهانة عبر الوسائل الذاتية ، فهي تتم عن طريق الوساطة الروحية Médiation spirituelle، حيث تمتلك الروح العراف Le Chaman ويتم التشاور بينهما خلال جلبة استحضار الأرواح (مان، 1999، صفحة 303)، وكذلك في طقوس أخرى مثل الحضرة والزردة * ليتم اختزال وضع الأزمة إلى عدد المبادئ والعوامل التي يمكن للكاهن من خلالها التوصل إلى قرار يتوافق وأراء الأغلبية من الأشخاص الحاضرين في جلسة الكهانة ، ويتم حدوث هذا ليس فقط من خلال خبرة الكاهن الخاصة بل أيضا من خلال خبرة المجتمع المتوحد في الرموز متعددة الدلالة والممثلة لتصورات مجسدة للعلاقات الاجتماعية.

والحديث عن الكهانة يقود الحديث عن التنجيم **Divination** فهما يتطابقان تقريبا من ناحية المضمون ويختلفان في تسميته.

* مصطلح تراثي ينتمي للثقافة المحلية ليعبر عن مظاهر احتفالي يقام عادة عند الأضرحة المنسوبة لأحد الأولياء ، لتكون بذلك الزردة ما يسمى "البردة " كقصائد تحمل معاني رمزية ، إلى جانب استعمال الدف والبخور والروائح والطبخ والذبح ، إشعال الشموع ونذور أخرى وحضور غفير الأشخاص الذين يجمعهم معتقد "التمسح بالأضرحة ، والدعاء عند الولي الصالح) رغبة في البركة وحصول المأمول.

ISSN : 2625 - 8943

4- مدخل التنجيم : Introduction de l'astrologie

لفظة تنجيم تطلق على نظام تأويل مقونن ثقافيا للوقائع الماضية والحاضرة والمستقبلية وعلى مجمل الوسائل التي يستخدمها العراف ،ويرتبط التنجيم بالممارسات العلاجية عندما يشخص أعراض مصيبة أو مرض، ويمكن أن تتعلق هذه الأحداث بالدوائر الفردية (أحلام Rêve، إشارات شخصية) أو من جهة أخرى بعالم القرارات الجماعة التي تهتم بالجماعة برمتها (نشاطات اقتصادية ، نزاعات ، اختيار الملك هكذا يمارس التنجيم في الوقائع الاستثنائية وغير المتوقعة كما في الأحداث اليومية والاعتيادية ..فالتنجيم عقلنه ثقافية Rationalisation culturelleللسببيات المرتبطة بنظام الكون والبشر.عرفته مختلف الشعوب والثقافات القديمة وقد يتعايش مع أنماط التفكير الحديثة فكان التنجيم الاستدلالي (تفسير الأحلام ، دراسة سمات الوجه ، علم الفلك). مستندا إلى النشاطات العادية ، وتمتلك كل المجتمعات مؤسسات تنجيم يمكن لعدة أنواع منها أن تتواجد معا داخل المجمع (بياربونت و إيزار، 2000، صفحة 408).

أما عن تقنيات التنجيم فتتباين منها: ضرب الرمل Frappez le sable، فحص أحشاء الأضحية Examen des entrailles de l'animal sacrificielبعد القربان، مراقبة الظواهر الطبيعية، التصرفات، الرموزSymboles

ومن أنواع التنجيم تجد التنجيم بالأرقامL'astrologie en chiffres (مثل الين واليانغ) الصيني ، كذلك من تقنياته تأويل كلمات الأشخاص ملهمين (وحي Révélation ، نبوءة Prophétie ، مس Tact) كما قد ينسب أصل الكتابة إلى أشكال المبنية على تأويل إشارات الخطوط مثل التنجيم الصيني Astrologie chinoise عبر قشور السلحفاة Carapaces de tortue(بياربونت و إيزار، 2000، صفحة 408)

والتحليل الأنثربولوجي يعنى برصد التنجيم كسمة ضمن مركب الثقافة لكونه داخل في إطار علوم مفسرة لنشأة الكون الذي تنتمي إليه المجتمعات وتساهم في صياغته ، وهو ما يساهم في فهم الإنسان في أبعاد رمزية وروحية ، وغالبا ما تجد التنجيم مرتبط بالسحر ارتباط وثيق ، أين ترتكز مفهوم نظام التنجيم وخطابه على إدراك العالم يمكن وصفه بـ السحري ، بالمعنى الذي كان مارسيل موس يعرف به السحر ك : نظام استقراءات مسبقة ، حيث تزود الحركات والكلمات والأشياء والكائنات المرئية والغير المرئية والمؤثرات المختلفة بعلاقات قوية (دلالية ، رمزية ، تطبيقية ذرائعية) ، محفزة تحت ضغط الحاجة وتختلف تقنيات التنجيم من ثقافة إلى أخرى كما تجدر الإشارة إلى وجود العديد من الملامح العابرة

للثقافات ناتجة عن الانتشار وأبرز التصنيفات والأشد اكتمالا ذلك في تصنيف تقنيات التنجيم ما يورده ج لوسكويزيك (1973) ، الذي يسمح بتغطية المجال التنجيمي عبر المكان والزمان ومن الكثير من التقاطعات أو الحذف ليميز خمس مجموعات من التقنيات (النبوءة : وهي الشكل الأكثر صفاء للتنجيم الحسي في حالة اليقظة ، والتنجيم الحدسي الهلوسي Astrologie intuitive halos (بياربونت و إيزار، 2000، صفحة 408)

يتناول موارد معينة ، رعدة واستحواذ ، أو بتثبيت شيء لماع " أو أيضا بالنوم ، كذلك التنجيم الحسابي عبر وسائل علمية مثل علم ضرب الرمل العربي والإغريقي ، أو علم الفلك وسائل المراقبة ، وضع أو حركة الكائنات الحية ، وكذلك الأشياء والمواد ؛ والتي يعد التأثير الإشعاعي للأحجار الكريمة مثلا واحد منها ، وأخيرا آليات الخط والتنبؤ ، التي تفسر بالرجوع إلى جداول يكتبها أو يتداولها التراث (بياربونت و إيزار، 2000، صفحة 408)

فكانت هذه المداخل أو النماذج ضمن الإطار التصوري السوسيوانثربولوجي المتضمنة لأفهومات المرض والعلاج ضمن مجال الطب الروحي أو ما فوق الطبيعي أو الغامض كما تصطلح عليه بعض الكتابات أما مجاله المتعلق بالطب الأيكوبسيكولوجي فيعتمد هو الآخر نماذج تفسيرية كالتالي :

ثالثا : : النماذج التفسيرية السوسيوأنثربولوجية للعوامل السيكولوجية و البيئية للصحة و للمرض

Modèles explicatifs socioanthropologique des facteurs psychologiques et environnementaux de la santé et de la maladie

لا يكون بحال من الأحوال عند العرض للصحة والمرض تجاهل المحددات السوسيوديمغرافية أو البيئية وما تحيل إليه من أبعاد ثقافية ؛ فكما تعرض الأدبيات السوسيولوجية و الأنثربولوجية فالإنتاج الإجتماعي للمرض ليس خرافة بل حقيقة وواقع La production sociale de la maladie n'est pas un mythe mai bien une Réalité (Jea-François, 2006, p. 06)

و جدير بالذكر هنا الإشارة إلى اتساع المفهوم ؛مفهوم الصحة لُيعالج ضمن تعدد الأبعاد و هو ما تضمنته إشارة فرويد في حديثه عن حالات القلق و الأمراض و الانحرافات المزاجية بالحضارة De Malais dans la civilisation والتي تتشكل غالبا ضمن سياق علائقي من منطلق كون الحالة المرضية L'Etat في طبيعتها حركة علائقية Dynamique relationnelle (ODIER, 2014, p. 08)

أين يُحال فهم الصحة و المرض ضمن المدى الأوسع للأيكولوجيا الطبيعية والبسيكولوجية ضمن دائرة عيش الإنسان ، وكما تطرح المقاربة الأنثربولوجية في تفاعلية الإنسان مع البيئة L'être humain interagit avec son environnement matériel est semblables (JEULIN, 2014, p. 29)

1-مدخل الكيفيات المتضادة أو نظرية الساخن والبارد : (نظرية الأضداد) : Introduction aux antonymes / Théorie du chaud et du froid

يُعد هذا المدخل مرتكزا متداولا لقضايا الصحة والمرض والعلاج الذي دُرس بدقة وظل مادة قائمة للجدل ، حيث أن مفهوم تضاد الخواص التي تؤثر في الصحة ساد في أمريكا اللاتينية وفي أنماط أخرى من الطب الشعبي في الولايات المتحدة وقديما كالتوازن بين الساخن والبارد والرطوبة والجفاف ، وعموما يتكون هذا النسق من أربعة متضادات هي الساخن والبارد والرطوبة والجفاف ، فالتوازن بينهما يؤمن الصحة و زيادة أحدهما يولد الاختلال المحدث للمرض. وهذا المدخل له ارتباط بعلم التغذية تحديد معرفة خواص لمواد والعناصر الغذائية في طبيعتها وارتباطها بالخصائص المذكورة وكمثال موضح ، يذكر الوصف الاثنغرافي الطب الشعبي المتعلق بالممارسات الخاصة بالولادة (شكري، 2001، صفحة 99) حيث يستخدم النباتات التي لها كيفية ساخنة أو باردة في العمليات الفسيولوجية على سبيل المثال لجعل الرحم ، يفرغ محتوياته ، أو لحجز محتوياته لمنع إسقاط الحمل من النباتات المستعملة في هذا الشأن (القرفة Cannelle، الحلبة Trigonelle، الشمر Trousser ، الجرجير ..الخ) أي أن مفاهيم السخونة والبرودة تعد عوامل مساعدة لتحقيق الصحة ، لتكون صحة الجسم البشري مزيج أو خليط متوازن بين الكيفيات الساخنة أو البارد ، والداء سوف يحدث إذا ما كان هناك إسراف أو إفراط في تناول الأطعمة الساخنة أو الباردة، ومصطلحات الساخن والبارد تنطبق على الغذاء والأمراض والعلاج ولابد هنا من توضيح أن هذه المصطلحات لا تشير إلى درجة حرارة الطعام بل إلى كيفيته كأصل الشيء ، لونه ، قيمته ، الغذائية ، ومثاله كون أبناء بورتيريكو بـنيويورك يعتبرون الموز ، القصب السكري ، وجوز الهند، من الأطعمة الباردة ، بينما الشكولاطة والثوم والمشروبات الكحولية ، والذرة وجبات ساخنة ، ومن العلل التي تصنف أنها باردة التهاب المفاصل ، ابرد وشكاوي المعدة يجب أن تعالج بالأطعمة الساخنة ، مقابل الإمساك والإسهال والانقباضات المعوية التي تتطلب العلاج بالمواد الباردة (شكري، 2001، صفحة 100)

ISSN : 2625 - 8943

2- التوازن الغذائي كنموذج تفسيري: L'équilibre nutritionnel comme modèle explicatif

الغذاء والتغذية Alimentation et nutrition عبر هذا المدخل تتمحور العملية العلاجية على ثقافة الغذاء من خلال الإدراك الايجابي كون التغذية الجيدة والغذاء المتوازن يساعدان في المحافظة على الصحة ، ويعد هذا المرتكز أساس الاعتقاد في أغلب أساليب الطب البديل Médecine alternative ; و يُنكر الغذاء الوافر (كمية كبيرة) واستبداله بغذاء غني بالمنتجات الطبيعية الكاملة ، ودائما النباتي Botanique هو الأقرب (التقليدي، صفحة 04) في شهادات مستخلصة للذين تم علاجهم يصرح كون بعض الأغذية المحددة تعزز من المناعة ضد الأورام أو تعزز من صحة القلب ، والأوعية ، كما يطرح سند آخر مفاد أن هناك عناصر غذائية محددة أو فيتامينات لأمراض محددة أو لطول العمر (تحسين نوعية الحياة) ، وتمتد سلسلة الفوائد عبر هذا النموذج من تعزيز المكملات الغذائية ما بعد المتناول الغذائي الموصى به إلى تجاهل أو إضافة الغذاء محدد لعلاج أمراض محددة ، وعبر نسق الطب البديل تكون أكثر التدخلات الغذائية المؤكدة بواسطة المعالجين مقتصدة ومعقولة ، ويوجد الكثير من خبراء واختصاصي التغذية المرخصين في هذا المجال كمصدر للنصائح للأطباء والمرضى ، بخصوص التغذية والضبط الغذائي LA Régulation nutritionnel (التقليدي، صفحة 04)

3-نموذج الطب البيئي Environnemental médicine:

يكون معرض الحديث هنا عن العوامل البيئية التي تواجه الفرد ضمن معيشه اليومي في علاقتها بالصحة والمرض بتباين وعي الأفراد تجاه تأثير العوامل البيئية من ناحية طرق التكيف وما يُحيل إليه من سلوك وقائي لكن تظل الحقيقة القائمة هي وجود الأثر الفاعل للعوامل البيئية في حياة الفرد والجماعة وبالتالي حالات الصحة و المرض وتوضيحا بالإمكان الإشارة إلى ما يعرف يفرط الحساسية البيئية Hypersensibilités Environnementales كمركب بيوأيكولوجي ؛بالأساس ترتبط به عديد الحالات المرضية المترجمة في عدد من العلامات الجسمانية المتنوعة symptômes somatiques variés كالصداع النصفي des migraines كذلك آلام متعددة ترجع لاضطرابات النوم troubles du sommeil كذلك اضطرابات الإدراك des troubles cognitifs والراجعة بالأساس لعوامل بيئية، كفرط الحساسية تجاه المواد الكيميائية بالتغذية أو حتى المواد التجميلية كذلك تأثير مجالات

الكهرومغناطيسية Les champs électromagnétiques المرتبطة بوسائل استعمال يومي كالهاتف ، والانترنيت الخ (Dieudonne, 2017, p. 30)

يطرح فكرة كون المرض يحدث نتيجة لمجموعة واسعة من المواد السامّة Intoxicante أو الضارة ، ومن بينها الأطعمة الضارة الغير منتظمة ، وخاصة المصنعة Les aliments transformés ، وكذا الكيميائيات produits chimiques الموجودة في الهواء والماء ، والغذاء ، منه تنبني الثقافة العلاجية على التخلص من المصادر البيئية الضارة التي يمكن التحكم فيها (النظافة الشخصية L'hygiène personnelle، نظافة المحيط propreté des océans) ، كل ما يرتبط بالوعي الجيد لثقافة التكيف culture d'adaptation وما يرتبط بالإدراك الإيجابي لسبل العيش Modes de vieوالدراسات البحثية تؤيد استخدام الطب البيئي في علاج الحساسية Allergies، التهاب المفاصل Arthrite الربو الشعبي L'asthme bronchique نوبات الذعرCrises de panique ، ضعف الانتباه Mauvaise attention ، الأكزيما الجلدية Eczéma cutané ، الإرهاقEpuisement ، وحالات النشاط الزائد Cas d'activité excessive (أمينة، صفحة 84)

4- نموذج العلاج بالطاقة: Modèle de guérison énergétique

يقوم على فكرة الحقل الحيوي والمجال الكهرومغناطيسي يوصف الحقل الحيويBio- champ أو العلاج بالطاقة بواسطة مؤيديه بأنه " واحد من أقدم أشكال العلاج المعروفة للبشرية وتشتغل النظريات المرتبطة بهذه المهنة بـتحويل الطاقة من المعالج إلى المريض بطرق غير معروفة سواءا بوجود فارق للطبيعة أو بتأثير في حقول الطاقة في الجسم ، لتحرير الطاقة السلبية من المريض وبعث الطاقة الإيجابية من المعالج إليه ، ذلك أن حقل الطاقة بالجسم بحسب طبيعته ترتب حالة الوظائف الحيوية ومستوى النشاط أو الخمود ، فإذا كانت الطاقة في الجسم سلبية فإن الإنسان يعجز عن ممارسة الوظائف الحيوية Fonctions vitales بالتالي يتعرض لأمراض عديدة ، وفي هذه الحال يحتاج إلى العلاج بالطاقة الكهرومغناطيسية Fonctions vitales والتي تعني انبعاث قوة كهرومغناطيسية عجيبة من المعالج إلى المريض وهذه الطاقة عبارة عن طاقة حيوية Energie vitale أو إيجابية تساعد على الشفاء (watan، 2023)

لقد تم استخدام أكثر من 25 مصطلح في مختلف الثقافات لوصف هذه القوة الحية force Vital، وأدخل ممارسي الحقل الحيوي في العلاج وتعزيز أساليبهم لتفيد في الإجهاد والتحسن العام في

الصحة وتخفيف الألم وتعجيل شفاء الجروح والكسور العظمية Fractures osseuses وتحسين الهضم والشهية Améliorer la digestion et l'appétit ومختلف الحالات العاطفية Divers états émotionnels وعلاج حالات لأمراض الأكل ؛ ومتلازمة تهيج الأمعاء Syndrome du colon imitable ومتلازمة ما قبل الطمث Syndrome prémenstruel ثم تشخيص بعض الحالات الاستثنائية بواسطة ممارسي العلاج بالطاقة مثل التوتر المجتمعي Tension communautaire و الطاقة المكتظة Energie surpeuplée والمفترض عند تحريرها أن تؤدي إلى تحسين الصحة ويسمى هذا العلاج عندما يمارس من طرف الممرضات Infirmières بالمستشفيات المتبنية لمناهج الطب البديل Médecine alternative manage بـ اللمسة العلاجية La toucher Thérapeutique (التقليدي، صفحة 10) ويتضمن تحريك اليدين فوق (وليس بالملامسة المباشرة) جسم المريض سواء لخلق حالة عائمة من الصحة بواسطة تعزيز " تدفق الطاقة " Flux d'énergie في الشخص ، أو بإطلاق التوتر المجتمعي وإحداث الاتزان والتناغم Equilibre et harmonie ، ويرتكز الطب الشعبي على أطروحات هذا النموذج خاصة في طرحه لفكرة الطاقة وما لهذه الأخيرة من علاقة بما يسمى الأجسام الأثيرية * Corps esthétiques وتحديدا هالة الإنسان Aura Humain أو ما يسمى بالمضاعف الأثيري (الموسوعي، 2002، صفحة 10) Multiplicateur éthéré وحول هذه الفكرة تتأسس العديد من الممارسات العلاجية خاصة الممتدة ضمن الأبعاد الروحية Dimension spirituelles فتحتويها الثقافة العلاجية الهندية في طب الأيروفيدا Médicament irofida ، وتحويها تمرينات اليوغا في الطب الصيني Médecine chinoise ، كما ترتبط بها (فكرة القوة الحيوية و الأجسام الأثيرية) الفوائد العلاجية ضمن الممارسات التعبدية في الطب النبوي Médecine prophétique العلاج المتضمن في الصلاة La prière الوضوء Ablution ، الرقية الشرعية Roquia الخ) واتضحت الفوائد العلاجية لهذا التقليد العلاجي الممتد ضمن التقاليد العلاجية في الثقافات والحضارات الكلاسيكية لتُحييه اليوم العلوم الحديثة على رأسها علم الريفليكسولوجي Réflexologie المعروف بدائرة الطب البديل بالطب

* تثبت الأبحاث المتقدمة في علوم الفلك ودوائر في العلم الحديث ، ومن خلال صرف آلاف الملايين والدولارات من اميزانية ، والتي تخصصها و.م . أ من اختراع كاميرات متطورة تمكنت من تصوير (الهالة) ، أو الكرة الكهرومغناطيسية لهائلة ، حول كوكب المشتري ، وبقع في برنامج "مؤسسة فضائية مشروع تصوير الكرة الكهرومغناطيسية حول كوكب الأرض خلال السنتين 2001 – 2002 ..وتسعى الأبحاث جادة لتصوير ودراسة (هالة الإنسان) أو ما يسمى بالمضاعف الأثيري .

ISSN : 2625 - 8943

الانعكاسي والذي يرجع إلى الطب الفرعوني القديم La médecine pharaonique antique وأول من استخدمه الملك زوسر على يد الكاهن" انكاحور" كما تأسس عليه (مفهوم الطاقة وتحريرها) ثقافة العلاج بالتدليك أو العلاج التدليكي Massage thérapeutique بالزيوت الطبيعية العطرية الطبية Huiles aromatiques naturelles ويتأسس عليه العلاج بالأحجار الكريمة Les pierres précieuses أين يستمد الجسم الذي يُعاني من اختلال في الطاقة من الطاقة الثانية بالحجر (إشعاعه البلوري Radiation Cristal) وهو أسلوب العلاج أو التداوي باالكربستال Cristalothérapie (الحسيني، 2007)

بالتالي فهذا النموذج يؤكد على مفهوم الطاقة ليتشكل الأسلوب العلاجي حول تقوية مسارات الطاقة والعمل على تدفقها بشكل متزن

5-مرتكز تدخلات الجسم – العقل : Interventions corporelles

تختلف الرؤية التفسيرية للصحة و المرض والمرتكزة على النموذج البيولوجي المتمحورة حول المرض La maladie والجسد .Le Corp وهو معتمد الطب الرسمي La médecine officielle أو الغربي Occidental ؛عن الرؤية التفسيرية المرتكزة على نماذج الاتجاه السوسيوأنثربولوجي المتمحورة حول المريض Le patient وفق التصور السوسيوانثربولوجي أي بالنظر إليه إنسان تتعدد أبعاده من الجسد إلى النفس والعقل و الروح ؛ كما تركز على فهم المرض بإحالته إلى شعور الألم و المعاناة La Douleur et la souffrance الحالة الشعورية L'état Émotionnel التي يعيشها المريض عبر حياته الشخصية وبيئته الإجتماعية

وعبر تمايز الإطار التصوري ضمن الاتجاه السوسيوانثربولوجي وطابعه التكامل والشمول في تناول الحالة المرضية L'états morbide يتسع الوجه التفسيري للمشكلات الصحية Problèmes de santé بما يتماشى و خصائص الطب البشري La médecine humine والتركيب المعقد للإنسان la structure complexe de l'humain ، فالمرض قبل كونه حدثا بيولوجيا Evénement biologique حالة شعورية ومحصلة لمنظومة تفاعلية تشترك عبرها عديد العوامل البيولوجية السيكولوجية و العقلية و الروحية و الايكولوجية الطبيعية و السوسيوثقافية ، ويطرح النموذج السوسيوأنثربولوجي اعتماد تصوري مفاده قراءة الصحة و المرض و العلاج ضمن المنظور متعدد الأبعاد Perspective multidimensionnelle وفق مفهوم الإنسان الشبكة Réseau humain كأن يُعنى بقراءة الإنسان

ضمن فضائه التفاعلي البسيكوفيزيقي ضمن معاشه اليومي Son gagne-pain quotidien أين يمكن كشف العديد من أوجه الخلل الصحي Déséquilibre de santé بالوقوف عن مفهوم الهالة Aura، وتوصيفها يتمحور حول كونها تمثل مجال نابض متوهج من الطاقة يحيط بالجسم ، وهي طاقة حيوية مغناطيسية (watan، 2023) ، ولهذه الهالة غطاء أو غلاف بالجسم متأثر بعديد الممارسات التي تتخلل الحياة اليومية وكذا العوامل البيئية المحيطة ، وتركيبها وطبيعتها وعملها مرتبط **بحالة الجسم عقل Etats corps-esprit** –التي عبرها يقوم ويتأسس وفق عملية تفاعلية بيوبسيكولوجية جد معقدة الإحساس النفسي أو الروحي ، ليتمحور في ظل هذا السياق من التأمل والفهم لواقع الوجود البشري وضمن اهتمام فهم المشكلة الصحية؛ الأسلوب العلاجي مستحدثا تقنية علاجية Technique thérapeutique مفادها تنشيط جهاز الشفاء الذاتي Réactivation dispositif d'auto-récupération المتواجد في الجسم لتوفير الإحساس النفسي أو الروحي بالتحسن لدى الأشخاص والشعور بالكمال حتى مواجهة تقدم المرض أو الحالة ، والمرضى الذين يستفيدون من تطبيقات هذا الأسلوب هم المصابين بالسرطان، والآلام المزمنة، والحروق المشوهة للمنظر..والعديد من الحالات النفسية والعصبية وتخفيض الدم، والكلسترول والولادة المنزلية (التقليدي، صفحة 04)

لتشمل العلاجات : التأمل Méditation ، العلاج بالموسيقى Musicothérapie ، الفن L'art الاسترخاء Relaxation ، العلاج النفسي Psychothérapie ، خاصة في مساعدة مرضى القلق والمرضى بسبب الإجهاد ، وحظي التأمل بالاهتمام لأنه يزيد من الذكاء وطول العمر كما أفادت التخيلات المرشدة لتوليد الشفاء التلقائي من السرطان وتوالت الأبحاث وزادت المراجعات التقليدية مثل : النظر في تأثيرات المعتقدات الشخصية Croyances personnelles والقيم وما تعنيه في الصحة والمرض (التقليدي، صفحة 04)

- **الخاتمة:**

تبرز من خلال هذه الورقة العلمية و المتناولة لبعض النماذج التفسيرية أو المقاربات الفكرية لموضوع الصحة وما تثيره من إشكالات المرض و العلاج ؛ الأهمية البالغة و القصوى للمداخل السوسيولوجية و الأنثربولوجية في فهمها و قراءتها للصحي أو السوي و المرضي Le normale et pathologique وتحديدا الاتجاه السوسيوانثربولوجي بما يُحيل إليه من أبعاد اجتماعية وثقافية و رمزية تستوعب بدورها المادي البيولوجي و السيكولوجي العقلي والوجداني و الروحي كعوامل متداخلة في مركب الصحة و

المرض، فواقعة الصحة تثير إشكالات ترجع للاجتماعي و الثقافي قبل البيولوجي ، بل يُعد البيولوجي غالبا نتيجة لشكل من العمليات الإجتماعية و الثقافية Processus sociaux et culturels كأن تكون الصحة مؤشرا و نتيجة لأسلوب الحياة Style de vie و طريقة العيش La façon de vive والحالة الصحية أو المرضية تظل قائمة ضمن عملية الحياة الإجتماعية Le processus de la vie social ما يستلزم ضرورة استيعاب الطبيعة الإجتماعية و الثقافية لظاهرة الصحة بمعالجتها ضمن المعادلة السوسيوثقافية للمجتمع هذا من جهة و من ناحية أخرى ضرورة استيعابها ضمن المعطى الأنثربولوجي Donnée anthropologique خاصة أمام ما يُحيل إليه وضع غياب الصحة من مثول للمرض وما يتضمنه هذا الأخير من عنصر المعاناة والتي ترتبط بالتجربة الذاتية للمريض الأمر الذي يستلزم المدخل الأنثربولوجي في الطرح و المعالجة ؛ كما يذهب في هذا الشأن الدكتور صلاح الدين لعريني كون الصحة إلى جانب ظواهر أخرى مرتبطة بالجسد كالمرض و الإعاقة والموت ؛ وهي غالبا وقائع نتلازم في الحدوث؛ فهي مثيرة للمخيال الجمعي L'imagination collective ولا نتطلب الكثير من الوقت لكي ندرك تداخل البيولوجي فيها مع الاجتماعي و والثقافي و الرمزي و الديني (التنمية، 2020) و الدكتور لعريني على صواب ؛ فالجسد بوقائعه وما يرتبط به من ظواهر بما فيها الصحة على تفاعل بعالمه الإجتماعي و الثقافي الرمزي الحقيقة التي تستنفر المجهود البحثي لتوسيع نطاق معالجة وفهم ظاهرة الصحة بما هي حقيقة الجسد كما يذهب إليه الفيلسوف أرسطو وهو ما حاولت المقاربة السوسيوأنثربولوجية إتاحته

- **الهوامش و الإحالات:**

1. Ahluwalia, R., & Méchin, B. (1979). *La médecine traditiionnelle au Zaire* . Centre de recherches poure le développement internatinal, Service de santé . Ottawa: Département de l'Ensegnement supérieur .
2. Dieudonne, M. (2017). *Une Société pathogène ? les hypersencibilités enveronnementales au prisme dr la socilogie cognitive.* Université de lyon , France .
3. Dufrisne, j. (2006). *LA Santé.* Institution de la santé et de la maladie, Québec: Université du Québec.

4. Hacéne meranie. (بلا تاريخ). anthropologie et de la sociologie : 'Au croisement de l « socio-anthropologie » la.

5. Jea-François. (2006). *Types de sociétés Types de Morbidité: la socio-genése des maladies.* Institution de la santé et de la maladie , Québec.

6. JEULIN, J.-C. (2014, JUIN 17). Approche anthropologiquedudéveloppement des compétenceesdesmasseur-kinésithérapeues Conception d'un environnementinformatique porl'apprentissage en masso-kinésihérapie. 29. ECOLE DOCTORALE COGNITION,langage,EDUCATION, MARSEILLE.

7. micolier, E. (2015). *Un aspect du pluralité médicale en chine populaire ; les pratiques de qigong, dimension thérapeutique,dimension sociale.* Universit 1995 Français.

8. ODIER, N. (2014, mai 28). Aports des sciences sociales à la compréhension des addications : un enjeu de santé publique? 05. Ecole doctorale des Sciences de la Vie et de la Santé Marseille, Marseille.

9. Trombly, M.-a. (2006). *La Santé en tant que Phénomèn globale.* Quebeec , Canada: Université Laval .

10. van der veen Lolce J. *Maladies Remèdes Et Langue En Afrique Centrale*.

11. watan. (14 08, 2023). تم الاسترداد من http . elraad . com . ara.

12. أيمن الحسيني. (2007). عجائب العلاج بالكريستال أحدث صيحات الطب البديل لبث الحيوية والعلاج والاحجار الكريمة. القاهرة: دارالطلائع للنشر والتوزيع .

13. بياربونت، و ميشال إيزار. (2000). معجم الانثروبولوجيا.

14. تقرير المنظمة الصحة العالمية لطب الشعبي التقليدي. استراتيجية منظم الصحة العالمية للطب التقليدي 2012-2025.

15. تقي بن حسن الموسوعي. (2002). العلاجات الطبية في الأعشاب السحرية (الإصدار ط1). بيروت : دار المحجة البيضاء.

ISSN : 2625 - 8943

16.خمودي جمال محمد. (2010). (تمثلات المجتمع الجزائري مقاربة أنثربولوجية طبية لمرض السرطان ، المركز الاستشفائي الجامعي بتلمسان. الثقافة الشعبية، تلمسان.

17.زكرياء الإبراهيمي. (بلا تاريخ). معابر. تاريخ الاسترداد 30 01, 2024، من maabe: http;//maaber.50megs.com

18.فور التنمية. (2020). *tanmia4*. تم الاسترداد من 4 tanmia.com: https://www.4tanmia.com

19.لطرش أمينة. (بلا تاريخ). لأعشاب الطبية ممارسات وتصورات ، مقاربة أنثربولوجية . اقسنطينة .

20.محمد الجوهري ، علياء شكري. (2001). علم الاجتماع الطبي. القاهرة.

21.محمد الجوهري، و علياء شكري. (2001). علم الاجتماع الطبي. القاهرة.

22.ميشاال مان. (1999). موسوعة العلوم الاجتماعية. (محمد عصمان، المترجمون) الإسكندرية.

مكانة الكفايات الاجتماعية ضمن المرجعيات الناظمة لمنظومة التربية والتكوين ومنهاج مواد الاجتماعيات بالمغرب

The status of social skills within the references regulating the education and training system and the curriculum (history, geography, civic education) in Morocco.

عرابي مراد، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين الدار البيضاء-سطات، المغرب
Mouradarabi1983@gmail.com

الملخص:

تتعرض المنظومات التربوية لبلدان المعمور كافة وكذا أساليب وطرائق التعليم والتعلم تغيرات وتحولات كثيرة ومتنوعة ومستمرة، زاد من حدة تأثيراتها ظاهرة العولمة التي ألغت الحدود المكانية والزمانية، أضافة إلى الثورة التكنولوجية والمعلومياتية التي يشهدها العالم منذ بدايات القرن الجاري، مما يؤكد فعلا كل يوم أننا نعيش مفهوم القرية العالمية كواقع ملموس وحقيقة جلية، الأمر الذي يلفت النظر ضرورة فتح باب النقاش حول أنماط حديثة من الكفايات المستجدة والملائمة لإنسان القرن الحادي والعشرين التي أصبحت تحتاجها الأجيال الراهنة في حياتها اليومية الفردية والجماعية في إطار الوحدة المجتمعية، والتي تستدعي الاشتغال عليها على مستوى تحديدها وأشكال ترسيخها لدى النشء.

ارتباطا بما سبق الإشارة إليه في الفقرة السابقة من مقدمة المقال، نتساءل حول مكانة وحضور الكفايات الاجتماعية ضمن المرجعيات الكبرى لمنظومة القيم المغربية، والوثائق والنصوص الرسمية المرجعية الناظمة لمنظومة التربية والتكوين الوطنية، وضمن المنهاج والبرامج الدراسية لمواد الاجتماعيات بالسلك الثانوي الاعدادي والتأهيلي.

الكلمات المفتاحية: كفايات اجتماعية، مهارات حياتية، تربية مستدامة

Abstract:

The educational systems of all countries in the world, as well as the strategies and methods of teaching and learning, are subject to numerous, diverse and continuous changes and transformations, the effects of which have been intensified by the phenomenon of globalization, which has eliminated spatial and temporal boundaries, in addition to the ICT revolution that the world has witnessed since the beginning of this century, which confirms every day that we live the concept of the global village as a tangible and obvious reality, which attracts attention to the need to open the debate on the modern types of emerging skills, adapted to the man of the 21st century, and which current generations have come to need in their daily individual and collective lives within the framework of societal unity.

In connection with what was mentioned previously in the previous paragraph of the introduction to the article, we question the status and presence of social skills within the major references of the Moroccan value system, official reference documents and texts regulating national education and training. and in the curriculum and subject programs (History, Geography, Civic Education) in the secondary college cycle and qualifications.

Keywords: Social skills, soft skills, Sustainable education.

مقدمة:

أصبحت اليوم عملية تربية المتعلمين(ات) على الكفايات الاجتماعية تتجاوز الفهم التقليدي للتربية المدنية، ففي بعدها الفردي تسعى التربية على الكفايات الاجتماعية الى أن نتعلم كيف نكون، وتسعى في بعدها الاجتماعي أن نتعلم كيف نعيش مع الآخرين عيشا مشتركا قوامه التشارك والتعاون في ضوء التعدد والاختلاف والتنوع، ولعل المدرسة بما يناط بها من أدوار ووظائف هي الحاضنة الأساس لغرس وإنماء الكفايات الاجتماعية في نفوس متعلمي اليوم/مواطنو الغد.

تعرف الكفايات الاجتماعية على أنها مجموعة من السلوكات والمواقف والاتجاهات المعيارية، وتعتبر أساس كفايات القرن الواحد والعشرين دعامة من دعائم المواطنة النشيطة التي أصبحت اليوم تعرف تعقيدا كبيرا، والتي تساهم في نشوء وتطور مجتمع يقبل التغير ويتقبل التغيير، (حمداوي، 2018، 176) كما أنها تعتبر محركا لاشتغال عوامل تمثين التآزر والتماسك المجتمعيين في سياقات عالمية تطبعها العولمة.

"إن غايتنا هي تكوين مواطن صالح...، مشبع في نفس الوقت بهويته التي تجعله فخورا بانتمائه مدركا لحقوقه وواجباته، عارفا بالشأن المحلي والتزاماته الوطنية وبما ينبغي له نحو نفسه وأسرته ومجتمعه، مستعدا لخدمة بلده بصدق وإخلاص وتفان وتضحية" (مقتطف خطاب ملكي، 1999)، "ينبغي إعادة النظر في مقاربتنا وفي الطرق المتبعة في المدرسة، للانتقال من منطق تربوي يرتكز على المدرس وأدائه...، إلى منطق آخر يقوم على تفاعل هؤلاء المتعلمين، وتنمية قدراتهم الذاتية، وإتاحة الفرص أمامهم في الإبداع والابتكار...، والتشبع بقواعد التعايش مع الآخرين، في التزام بقيم الحرية والمساواة، واحترام التنوع والاختلاف". (مقتطف خطاب ملكي، 2012)

1- أهمية الموضوع

تعالج هذه الورقة البحثية أحد دعائم الحياة الإنسانية على المستويين الفردي والاجتماعي، وأحد مداخل التكوين والتأهيل المستديم للرأسمال البشري، وبالنظر لكونها من صميم اهتمامات الدولة والمجتمع، وتشكل نقطة مركزية ضمن النقاش العمومي حول أدوار ووظائف المدرسة المغربية ذات الصلة بالتنشئة الاجتماعية والتربية والإدماج الاجتماعيين والثقافيين للمتعلمين(ات)، في ظل اتساع الهوة بين الخطاب حول الكفايات القيمية عامة والاجتماعية خاصة، وبين التبني والممارسة الفعليين لها، في وقت يستفحل فيه انتشار السلوكات المذمومة اجتماعيا، الأمر الذي بات يدعو وبصورة غاية في الضرورة الى تكثيف وتنسيق وتفعيل أدوار الفاعلين التربويين(ات) في النهوض بالكفايات الاجتماعية لدى المتعلمين(ات).

2- المشكلة وفرضيات

انسجاما مع تطورات ومستجدات علوم التربية وغاياتها، المدرسة وأدوارها ووظائفها، المجتمع وتحولاته وتطلعاته نحو تحقيق التنمية على كافة الأصعدة، تبرز أهمية التساؤل حول مكانة وحضور تنمية الكفايات الاجتماعية ضمن الوثائق المرجعية للمنظومة التربوية الوطنية عامة، وضمن منهاج مادة الاجتماعيات للسلك الاعدادي، والتساؤل حول درجة وعي المدرسين(ات) بهذا الحضور من عدمه، ومدى استحضار هذه الكفايات في قراراتهم التخطيطية والتدبيرية لترسيخها وإنماءها عبر الأنشطة الصفية منها أو الموازية والمندمجة. وبالتالي نعرض للفرضيتين التاليتين:

- **الفرضية الأولى:** تحضى الكفايات الاجتماعية باهتمام المرجعيات الكبرى المتنوعة لمنظومة القيم المغربية.

- **الفرضية الثانية:** تستوعب الوثائق والنصوص الرسمية المرجعية الناظمة لمنظومة التربية والتكوين المغربية القيم التي تخدم الكفايات الاجتماعية والمنصوص عليها في المرجعيات الكبرى لمنظومة القيم المغربية.

- **الفرضية الثالثة:** يخدم منهاج والبرامج الدراسية لمواد الاجتماعيات ترسيخ الكفايات الاجتماعية لدى المتعلمين بالسلك الثانوي الاعدادي والتأهيلي، من حيث الجانب المعرفي والمهاري والوجداني ،عبر أشكال عمل ديداكتيكية وبيداغوجية ملاءمة ومستجدة.

3- التأصيل المفهومي للكفايات الاجتماعية

تتعدد تعريفات الكفايات الاجتماعية ويصعب الوقوف عند تعريف واحد لها، ولأنه لا يتسع المقام لعرضها وتصنيفها نكتفي بتوليف تعريف أولي لها في أفق تعميق القارئ لمعارفه حول المفهوم، كما نشير الى تداخلها مع شبكة مفاهيمية مترابطة ومتشابكة من قبيل: القيم، المواطنة، السلوك المدني، الأخلاق، الضمير...

تُعرف الكفايات الاجتماعية على أنها عملية تفاعلية مُتعَلَّمة تصدر عن الفرد من خلال سلوكات لفظية وغير لفظية في سياق تفاعله الإيجابي مع محيطه الاجتماعي، في إطار اجتماعي محدد وبأساليب معينة مقبولة اجتماعيا وذات قيمة اجتماعية، تكون فيها منفعة للشخص أو للآخرين أو متبادلة.

تشمل الكفايات الاجتماعية السلوكات التواصلية مع الغير والتفهم والتعايش، وإظهار الاهتمام بالطرف الآخر والتعاطف والتعاون معه، وفق الأعراف والعلاقات الاجتماعية المعززة للسلوكات المحمودة والمقبولة اجتماعيا والمفيدة شخصيا وعدم تكوين السلوكات غير المرغوب فيها، وباختصار هي الكفاءة السلوكية المعيارية في المواقف الاجتماعية المختلفة والمتنوعة.

إن الكفايات الاجتماعية المتوخاة لدى المتعلم(ة) المغربي الحالي والمستقبلي في إطار المدرسة الوطنية المنشودة، تتجلى في السلوكات اللفظية وغير اللفظية المكتسبة التي تحقق للمتعلم(ة) التفاعل الإيجابي مع الأسرة والمدرسة والأقران والمحيط، تنهل من الخصوصيات الهوياتية المحلية في إطار الوطني، مع التطلع الى اكتساب القيم الكونية، بمعنى آخر الانطلاق من تملك الكفايات الاجتماعية وتبنيها في المواقف الصفية المدرسية ومنها الى المواقف اتجاه المحيط المحلي والوطني والعالمي.

يركز المقال في اشتغاله على ثلاث كفايات اجتماعية تعتبر أقطابا محورية تتقاطع عندها كافة السلوكات والمواقف ذات الأهمية الكبيرة، لا بد من تربية المتعلم(ة) عليها لتصريفها في المجتمع المدرسي أولا ومن ثم في الفضاء المجتمعي العام، لغاية بناء مجتمع ومتواصل وتعاوني وتشاركي ومتعايش. هذه الكفايات هي كالتالي:

– **كفاية التواصل مع الغير**: قدرة الفرد على التواصل مع الغير، بأسلوب ومضمون لائقين ومناسبين للسياقات المُتواصل فيها، من خلال مهارات حسن التحدث والاستماع ومهارة الاقناع والتفاوض. (حلمي خضر ساري، 2014، 159)

- **كفاية التعاون والتشارك**: قدرة الفرد على العمل مع أفراد مختلفين في المواقف والتوجهات، والطباع، والأهداف في اطار العمل الجماعي لتحقيق الأهداف الشخصية والجماعية المشتركة.

- **كفاية العيش المشترك**: تملك الفرد لأخلاقيات العيش المشترك والتعايش مع الآخرين وتفهمهم، وتقبل واحترام التنوع الثقافي والديني والفكري... في المجال الإقليمي أو الوطني أو العالمي. (وزارة التربية الوطنية،2021، 12)

الوثيقة رقم 1: شكل يبرز بنية وترابط الكفايات الاجتماعية

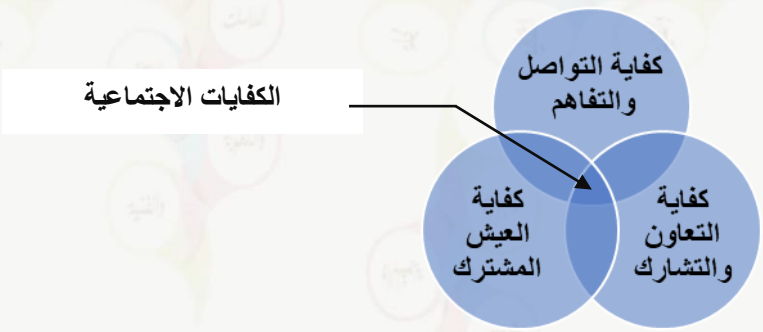

المصدر: تصور شخصي.

4- مكانة الكفايات الاجتماعية ضمن المرجعيات الكبرى لمنظومة التربية والتكوين

يعكس منطوق الوثائق الناظمة لمنظومة التربية والتكوين المغربية الاهتمام الكبير بالتربية على الكفايات/القيم الاجتماعية، بما ينسجم والمرجعيات الأسمى على رأسها الخطب الملكية السامية كما سبقت الإشارة إليه في مقدمة المقال، والدستور المغربي الذي يؤكد على الأهمية القصوى لتعزيز قيم السلوك المدني، مع التشديد على دور المدرسة في تحقيق ذلك. (المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، 2017، 5) ذلك في انفتاح للمرجعية الدستورية على التوجهات الدولية والقيم الكونية. ونوثق للمرجعيات المذكورة والتي تمتح منها المرجعيات الناظمة لمنظومة التربية والتكوين الوطنية كالتالي:

- **الدستور المغربي:** ينص على منظومة القيم المشتركة التي تشكل المرجعية الأساسية لمصفوفة القيم التي على المدرسة المغربية تنشئة وتربية الأجيال المتعلمة على فضائلها. إذ ورد في كثير من فصول الدستور مقتضيات تهم ترسيخ ثوابت الأمة ومنظومتها القيمية، «تشبث الشعب المغربي بقيم الانفتاح والاعتدال والتسامح والحوار، والتفاهم المتبادل بن الثقافات والحضارات الإنسانية جمعاء». (دستور المملكة المغربية، 2011)

- **الإعلان العالمي لحقوق الانسان:** جاء في المادة الأولى منه «يولد جميع الناس أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق...، وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضا بروح الإخاء». (الإعلان العالمي لحقوق الانسان، 1948)

- **توصيات المنظمات الدولية:** أوصت الأمم المتحدة في إعلان الألفية بالعمل من أجل مستقبل مشترك للبشرية، «لا يمكن للعولمة أن تكون شاملة ومنصفة للجميع إلا إذا بذلت جهود واسعة ومستمرة لخلق مستقبل مشترك يرتكز على إنسانيتنا المشتركة بكل ما يتسم به من تنوع». (قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، 2008) ومن ضمن أهداف التنمية المستدامة 2030 ما نص عليه الهدف 4 من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، الذي أكد على دور التربية في إرساء قيم العيش المشترك، والمساواة، وثقافة التسامح. كما دعت منظمة اليونسكو الى جعل التربية وسيلة لنشر السلوك المدني والتضامن والمساواة ونبذ العنف والجنوح إلى السلم.

5- مكانة الكفايات الاجتماعية ضمن الوثائق الناظمة لمنظومة التربية والتكوين

يتضح بسهولة للمطلع على الوثائق المرجعية الناظمة لمنظومة التربية والتكوين الوطنية حجم حضور الكفايات الاجتماعية، من حيث كونها شكلت أساس المداخل والتوجهات والاختيارات والغايات الكبرى ومنطلقا في بناء المناهج والبرامج التربوية، بل وشكلت موجها لاختيارات بعينها فيما يتعلق بمنهجية وأشكال العمل الديداكتيكي، وأيضا فيما يتعلق بمبادئ وخصائص النماذج البيداغوجي المعتمدة.

أ- الميثاق الوطني للتربية والتكوين

يعكس الميثاق الوطني للتربية والتكوين الاهتمام الخاص بمنظومة القيم العامة وبالكفايات الاجتماعية خصوصا، حيث أعلنها مرتكزات ثابتة تقوم عليها منظومة التربية والتكوين الوطنية وغاياته الكبرى التي يسعى الى بلوغها، بل وجعلها في قلب الاهتمام والتفكير والفعل التربوي والتكويني القائم على التقوية التدريجية تنشئة المتعلمين(ات) على الاندماج الاجتماعي، واستيعاب القيم الدينية والوطنية والمجتمعية.

يشير الميثاق الى ضرورة التعبئة الوطنية الشاملة لبناء المدرسة الوطنية الجديدة والمتجددة المفعمة بالحياة والمنفتحة على محيطها، القادرة على بناء مواطن مهتدي بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها، في التحام بكيان الدولة العريق القائم على الثوابت والمقدسات الوطنية، متصف بالاستقامة والصلاح، متسم بالاعتدال والتسامح، شغوف بطلب العلم والمعرفة والإبداع، ومطبوع بروح المبادرة الإيجابية، متشبع بروح الحوار، وقبول الاختلاف، وتبني الممارسة الديمقراطية، معتزا بالتراث الحضاري والثقافي للبلاد، متفاعل مع مقومات هويته الأصيلة، وفي تفتح على معطيات الحضارة الإنسانية المعاصرة.

لتحقيق هذه الغايات القيمية لا سيما ذات الطابع الاجتماعي، نصت الدعامتين الرابعة والسابعة للميثاق على إعادة هيكلة وتنظيم أطوار التربية والتكوين بمختلف الأسلاك والشعب، ومراجعة المناهج والبرامج والمقررات والكتب المدرسية والوسائط التعليمية، بما ينهض بالقيم والكفايات الاجتماعية لدى المتعلمين(ات) بتمكينهم من قيم ومفاهيم ومناهج التفكير والتعبير والتواصل، بما يكفل تكيفهم مع محيطهم المحلي والوطني والعالمي، إضافة الى ضرورة إرساء آليات تفعيل ذلك كما أشارت بعض مقتضيات الدعامة الثانية عشر. (الميثاق الوطني للتربية والتكوين، 1999)

ب- الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015-2030

يكمن جوهر الرؤية الاستراتيجية في إرساء مدرسة جديدة قوامها الارتقاء بالفرد والمجتمع، كأحد الأسس والخيارات الكبرى الناظمة للإصلاح، والكفيلة بتحقيق أهدافه من خلال إشباع حاجات المتعلمين(ات) المتنوعة لمواجهة تحديات ورهانات تجديد المنظومة التربوية.

حسب منطوق وثيقة الرؤية الاستراتيجية، يتمثل الرهان الأساس في تمكين المدرسة للاضطلاع بوظائفها بتنشئة وتربية المتعلمين(ات) على منظومة قيمية ذات بعدين وطني وكوني، تركز في مجملها على تمكينهم من تعلمات تتيح تملك القيم والسلوك الاجتماعي القويم.

أعلنت الرؤية الاستراتيجية في تصديرها ولا سيما في فقرتي الغايات المتوخاة والتغيير المنشود، على مصفوفة القيم الموكول الى المدرسة النهوض بها، إذ دعت في الفصلين الثاني والثالث ومن خلال عدة رافعات للتغيير (الرافعة 12، 17، 18) الى إرساء مدرسة ذات جودة للجميع، مدرسة قادرة على تطوير

نموذج بيداغوجي متنوع ومنفتح، ناجع ومبتكر للارتقاء بشخصية المتعلم(ة) ودعم اندماجه السوسيوثقافي، وتقوية إحساسه بالانتماء للمجتمع وللمشترك الإنساني ككل، وبتدريبه على السلوكات الايجابية، ونبذ السلوكات غير المرغوبة اجتماعيا، كالغش والعنف والإضرار بالبيئة وبالملك العام والتمييز والصور النمطية والتمثلات السلبية، وذلك بالارتكاز على الميثاق كمنطلق مرجعي. (الرؤية الاستراتيجية لإصلاح منظومة التربية والتكوين والبحث العملي، 2015)

ج- القانون الاطار

استنادا إلى مقتضيات الدستور، وإلى الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان كما صادقت عليها المملكة المغربية، وتفعيلا لمضامين الميثاق الوطني للتربية والتكوين ولتوصيات الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015-2030، أشارت ديباجة القانون الاطار الى ضرورة إنجاح ورش تأهيل الرأسمال البشري، بضمان تعليم ذي جودة للجميع يعكسه الاهتمام بالتربية على القيم عامة وضمنها ذات الطابع الاجتماعي.

اعتبر القانون الإطار في المواد 2، 3، 4، 5 مسألة التنشئة والتربية على القيم والكفايات الاجتماعية قضية وطنية كبرى وتعاقدا وطنيا ملزما، يستوجب مشاركة وعناية الجميع، ويقتضي مواصلة التعبئة المجتمعية الشاملة والمستمرة، تحقيقا لغاية الارتقاء المنشود بالفرد والمجتمع، انسجاما ومبادئ منظومة التربية والتكوين وأهدافها ووظائفها. (القانون الاطار رقم 51.17 ، 2019)

د- المجلس الأعلى للتربية والتكوين

يتبنى المجلس في تصوره للتربية على القيم مقاربة شاملة تستدعي الأبعاد النفسية والاجتماعية والمدنية والثقافية والبيئية، (مرجع سابق، ص،4) من ضمنها الكفايات الاجتماعية موضوع المقال، إذ ارتكز الرأي الصادر عن المجلس حول «دور المدرسة في تنمية السلوك المدني»، على التوجيهات الملكية السامية، (رسالة ملكية سامية، 2007) التي ربطت الغاية المثلى من تنمية السلوك المدني بتكوين المواطن المتشبث بالثوابت الدينية والوطنية، والمتمسك بهويته بشتى روافدها، المتشبع بقيم التسامح والتضامن والتعايش، وبالقيم الديمقراطية، في انفتاح على القيم الكونية.

اعتبر المجلس هو الآخر على غرار كافة المرجعيات المذكورة، أن التربية على القيم رافعة أساسية لتنمية وتأهيل الرأسمال البشري بوضعه المدرسة في صلب المشروع المجتمعي، وأدرجت وظيفتها في التربية على القيم في صلب التحقيق الفعلي لرافعات التغيير، في سياق وطني ودولي متحول بمرجعيات جديدة للتربية على القيم، منطلقا من تشخيص الواقع الحالي والتحديات المطروحة ورصد المكتسبات المحققة الواجب ترصيدها، والصعوبات المرجو تجاوزها فيما يتعلق بورش التربية على القيم الاجتماعية/المجتمعية.

حدد المجلس في تقريره مجالات التدخل لتفعيل التربية على القيم نلخصها كالتالي:

- يوصي المجلس بالعناية المستحقة للتربية على القيم في بناء المناهج والبرامج المدرسي؛
- اختيار مصفوفة قيم ذات أولوية انطلاقا من المرجعيات الوطنية الأساسية؛
- وضع وتعزيز آليات تفعيل التربية على القيم وتتبعها وتقويمها، وإعداد أطر ودلائل مرجعية؛
- تنويع الخيارات الديدكتيكية للإدماج على مستوى المواد الدراسية والأنشطة الفصلية؛
- الاستثمار الأمثل للوسائط المعلوماتية والثقافة الرقمية في برامج وأنشطة التربية على القيم؛
- ملاءمة الإيقاعات الدراسية وتنظيم الزمن المدرسي بشكل يسهم في تحقيق أهداف التربية على القيم؛
- تنمية المشاريع والممارسات الاجتماعية المواطِنة؛
- تمكين الفاعلين التربويين لاسيما المدرسون(ات) من التكوين لتملك كفايات التربية على القيم عامة.

ه- المذكرات والدلائل الوزارية

يعكس عدد الدلائل والمذكرات الصادرة عن وزارة التربية الوطنية، والتي تعنى بتنشيط الحياة المدرسية وتفعيل أدوارها وإرساء آليات تحقيق ذلك (الأندية التربوية) وإدماجها في الزمن المدرسي، حجم حضور التربية على القيم والكفايات الاجتماعية في صلب اهتماماتها التربوية، لاسيما التي تحث كافة الفاعلين التربويين(ات) على النهوض بالقيم والسلوك التربوي المدني الاجتماعي القويم، ومحاربة السلوك المرفوضة اجتماعيا، باعتبار الحياة المدرسية مشتلا لتدريب وتمريس المتعلمين(ات) على اكتشاف وممارسة القيم والكفايات الاجتماعية، في مواكبة يقظة للمستجدات ذات علاقة.

تخدم الأنشطة المتنوعة والمختلفة موضوع الدلائل والمذكرات تفعيل الغايات القيمية، إما مباشرة بتنصيصها على تفعيل قيمة أو قيم معينة (التعايش ونبذ الكراهية، التسامح ونبذ العنف، قبول الاختلاف، السلم الاجتماعي والبيئي، حب الوطن...)، أو باعتبارها أنشطة تدعم تملك المهارات والكفايات الاجتماعية بطريقة غير مباشرة، مثل إكساب المتعلم كفايات (التواصل، التشارك، التنظيم، التنسيق، التعاون...).

6- مكانة الكفايات الاجتماعية في منهاج مواد الاجتماعيات للسلك الثانوي الاعدادي والتأهيلي

تشير وثيقتي البرامج والتوجيهات التربوية الخاصة بسلك التعليم الاعدادي والخاصة بسلك التعليم التأهيلي لمواد الاجتماعيات في صفحاتها الأولى الى المدخل القيمي المتضمن في وثيقتي الميثاق والقانون الاطار، ذلك على كافة مستويات التصور والبلورة والأجرأة (تخطيطا وتدبيرا وتقويما)، ليتجلى المدخل القيمي بقوة في مجال القيم المحددة على المستويين الشخصي للمتعلم(ة) والمستوى المجتمعي العام، وفي مجال

الكفايات والمضامين المسطرة، وبالتالي هذا ما يشكل الملامح والمواصفات من حيث القيم والمقاييس الاجتماعية، وتلك المرتبطة بالكفايات والمضامين المتوخاة تملكها من لدن المتعلم(ة) عند نهاية كل سلك دراسي، هذا وبحق فإن مواد الاجتماعيات هي الأقدر على خدمة المشروع القيمي للمنظومة التربوية عامة والكفايات الاجتماعية بشكل خاص، ضمن تصور منهاجي واقعي وقابل للتطبيق، مفتوح على أشكال التجديد والابتكار والتطوير وفق المرجعية الديدكتيكية لمواد الاجتماعيات والاختيار البيداغوجي للتدريس بالكفايات، في سياق منهاج يساير المقاربة الجديدة التي اعتمدها الإصلاح نظام التربية والتكوين والتي تم بمقتضاها تحديد مهام المدرسة الجديدة.

الوثيقة رقم 2: جدول الوظائف المجتمعية والفكرية لمواد الاجتماعيات

الوظيفة المجتمعية والفكرية لمادة التاريخ	- يساهم في تكوين إنسان يفهم مجتمعه المحلي والوطني والدولي ويتموضع ويشارك فيه بفعالية، فالتاريخ يساهم في التكوين الشخصي للمتعلم(ة) بتلقينه ذاكرة جماعية تتسع من المحلي الى الأمة تم الى العالم، كما يمده بالمعالم الأساسية لفهم العالم والتنظيم المعقلن للماضي والحاضر. - يساهم التاريخ أيضا في التكوين الفكري للمتعلم(ة) بتنمية الحس النقدي لديه في قراءة الأحداث الاجتماعية وتكوين العقل لتحليل الوضعيات وتكوين الرأي.
الوظيفة المجتمعية والفكرية لمادة الجغرافيا	- تركز الجغرافيا على الواقع المعيش للفرد والجماعة وتعالج المكونات المجالية بمختلف المقاييس محليا ووطنيا وإقليميا وعالميا، وتساعد على إعداد المجال والتخطيط له واتخاذ القرار في شأن قضاياه، وبالتالي تعتبر الجغرافيا منهجا للتفكير المجالي. - الجغرافيا كمادة دراسية ترسخ الهوية والمواطنة وتتيح إمكانية التحكم في آليات التنمية المستدامة والتخطيط لها، وبالتالي تساهم فعليا في تطوير كفايات وخبرات المتعلم(ة) فكريا ومنهجيا ووجدانيا.
الوظيفة المجتمعية والفكرية لمادة التربية على المواطنة	- تستمد التربية المدنية وظيفتها المجتمعية من مساهمتها في تكوين المتعلم الانسان المواطن الواعي والممارس(ة) لحقوقه وواجباته(ها) اتجاه الجماعة التي ينتمي إليها. - التربية على المواطنة هي بالأساس تربية على المبادرة والمسؤولية والاستقلالية تستهدف توعية المتعلم(ة) بالحقوق والمسؤوليات الفردية والجماعية والتدرب على ممارستها في المدرسة ومحيطها أي في المجتمع.

المصدر: البرامج والتوجيهات التربوية الخاصة بسلك التعليم الثانوي الاعدادي، مواد الاجتماعيات.

تكرس المرجعيات الديداكتيكية والمقومات الابستيمولوجية لمواد الاجتماعيات، (المفاهيم المهيكلة وخطوات نهج المادة وأساليب التعبير) الكفايات الاجتماعية لدى متعلمي(ات) السلك الاعدادي، أضف الى ذلك منهجية العمل الديدكتيكي ومبادئ وخصائص النموذج البيداغوجي المعتمد، الذي يقوم على مبدأ محورية واستقلالية المتعلم(ة) في بناء المعرفة، مما يدعم إنماء معارف الفعل ومعارف الكينونة لديه، مع مراعاة خصوصياته الذاتية ومتطلبات النشاط الجماعي/المجتمعي.

7- استنتاج في ضوء الفرضيات

انطلاقا من الفرضيات التي تم افتراضها بداية هذا المقال ومرورا بعمليات قراءة واستقراء جل المرجعيات العامة والكبرى التي تُستمد منها منظومة القيم المغربية إضافة الى الوثائق والنصوص الرسمية الناظمة والمهيكلة لمنظومة التربية والتكوين الوطنية وأدوار المدرسة المغربية ووظائفها، وأيضا تفحص منهاج والبرامج الدراسية المقررة لمواد الاجتماعيات بالسلك الثانوي الاعدادي والتأهيلي، تأكد بشكل جلي غاية في الوضوح صحة الفرضيات المشار إليها، يعني ذلك أن كل المرجعيات والوثائق والنصوص الرسمية المغربية ذات الصلة بالتربية والتكوين تستحضر بقوة المسألة القيمية عموما وبشكل خاص المهارات الحياتية والكفايات الاجتماعية القابلة للاستثمار والتصريف داخل مؤسسة التعليمية والمجتمع ككل، باعتبار أن المغرب يعتبر أن المدرسة الوطنية وسيلة للارتقاء بالفرد والمجتمع ومنطلقا للتغيير وقاطرة لتحقيق النهضة الشاملة والتنمية المستديمة.

خاتمة

تقتضي تطلعات منظومة التربية والتكوين المغربية الى الارتقاء بالفرد والمجتمع وتأهيل النشء للانخراط في المشروع التنموي الشامل والمندمج للبلاد، الالتزام بمقتضيات المرجعيات الملكية والدستورية والمؤسساتية وبالتنزيل التام والدقيق لمضامين وتوصيات النصوص والوثائق المرجعية المهيكلة لمنظومة التربية والتكوين الوطنية، مما يضمن تحقيق الغايات الكبرى التي تروم بناء مجتمع متماسك، متشبث بخصوصيات المحلية والوطنية، منفتح ومتفاعل مع التحولات العالمية الراهنة.

تشكل البرامج الدراسية المقررة لمواد الاجتماعيات بالسلك الثانوي الاعدادي والتأهيلي وأيضا بسلك التعليم الأولي والابتدائي (تاريخ، جغرافيا، تربية على المواطنة)، من حيث الموضوع والأنشطة والدعامات المدرجة في الكتب المدرسية، أهم حوامل للمعرفة والتدريب على القيم على اختلاف أصنافها ولا سيما للكفايات ذات الطابع الاجتماعي (قيم حضارية هوياتية، قيم إنسانية وحقوقية ومواطناتة، قيم مجالية...) مقارنة بباقي المواد الدراسية.

يعتبر مدرسو(ة) مواد الاجتماعيات فاعلين حقيقيين(ات) في إنماء الكفايات القيمية الاجتماعية، ويتأتى ذلك أكثر من خلال تنشيطهم وتفعيلهم للحياة المدرسية داخل الفصول الدراسية وفضاءات المؤسسات التعليمية، وتأطيرهم للأنشطة الموازية والمندمجة كما يُعرف عنهم.

تستدعي ضرورة الاهتمام بإنماء الكفايات الاجتماعية لدى متعلمي(ات) سلك التعليم الثانوي الاعدادي والتأهيلي من خلال مواد الاجتماعيات، مواصلة البحث التجديدي لمنهاج والبرامج الدراسية لمواد الاجتماعيات، وبلورة نماذج ديداكتيك-بيداغوجية مبتكرة، وإيلاء المدرس(ة) العناية من حيث التكوين عبر برامج التكوين والتكوين المستمر، والتكوين وعبر الممارسة ومصاحبة المدرسين(ات) خصوصا المبتدئين، للارتقاء بكفاياتهم المهنية بمضاعفة وترشيد جهود التأطير والتتبع والتقويم، ضمانا لجودة تخطيط وتدبير وتنشيط الأنشطة التي تعنى بالكفايات الاجتماعية.

ملحق رقم 1

مذكرات وزارية تدعم النهوض بالمهارات الحياتية والكفايات الاجتماعية
- المذكرة رقم 087 الصادرة بتاريخ 10 يوليوز2003 بشأن تفعيل أدوار الحياة المدرسية
- المذكرة رقم 158 الصادرة بتاريخ 10 نوفمبر 2009 بشأن مباراة الصحفيين الشباب من أجل البيئة ومباراة الصور الفوتوغرافية
- المذكرة رقم 154 الصادرة بتاريخ 10 نوفمبر2009 بشأن الاحتفال بعيد الاستقلال
- المذكرة رقم 153 الصادرة بتاريخ 05 نوفمبر2009 بشأن المشاركة التربوية في الاحتفال بيوم التاريخ
- المذكرة رقم 155 الصادرة بتاريخ 10 نوفمبر2009 بشأن دعم آليات التأطير التربوي
- المذكرة رقم 142 الصادرة بتاريخ 09 أكتوبر2009 بشأن برامج الأنشطة الرياضة المدرسية للموسم الدراسي 2010-2009
- المذكرة رقم 119 الصادرة بتاريخ 31 غشت 2009 بشأن تحية العلم بالنشيد الوطني
- المذكرة رقم 022 الصادرة بتاريخ 20 فبراير 2009 بشأن المهرجان الوطني للمجموعات الصوتية
- المذكرة رقم 167 الصادرة بتاريخ 30 نوفمبر 2009 بشأن الأندية التربوية
- المذكرة رقم 165 الصادرة بتاريخ 30 نوفمبر 2009 بشأن الاحتفال باليوم الوطني للتعاون المدرسي
- المذكرة رقم 162 الصادرة بتاريخ 16 نوفمبر 2009 بشأن الاحتفال بالذكرى العشرين لاتفاقية حقوق الطفل
- المذكرة رقم 035 الصادرة بتاريخ 01 مارس 2011 بشأن الاحتفال باليوم العالمي للمرأة

- المذكرة رقم 155 الصادرة بتاريخ 17 نونبر 2011 بشأن تفعيل أنشطة الحياة المدرسية بالمؤسسات التعليمية
- المذكرة رقم 002 الصادرة بتاريخ 09 يناير 2015 بشأن التصدي للعنف والسلوكات المشينة بالوسط المدرسي
- المذكرة رقم 116 الصادرة بتاريخ 07 نونبر 2017 بشأن التصدي للعنف المدرسي
- المذكرة رقم 115 الصادرة بتاريخ 01 نونبر 2017 بشأن تخليد الذكرى الثانية والأربعين لمسيرة الخضراء
- المذكرة رقم 084 الصادرة بتاريخ 30 شتنبر 2021 بشأن إدماج أنشطة الحياة المدرسية في الزمن المدرسي

دلائل وزارية تدعم النهوض بالمهارات الحياتية والكفايات الاجتماعية

- دليل الحياة المدرسية،(2008): مديرية التقويم والحياة المدرسية والتكوينات المشتركة بين للأكاديميات
- دليل الاحتفال بالأيام الوطنية والعالمية،(2009): مديرية المناهج والحياة المدرسية
- دليل الأندية التربوية،(2009): مديرية المناهج والحياة المدرسية
- دليل الاحتفال بالأيام والأعياد الوطنية والعالمية،(2009): مديرية المناهج والحياة المدرسية
- دليل عملي للأنشطة التربوية المندمجة،(2018): مديرية الحياة المدرسية
- دليل الحياة المدرسية،(2019): مديرية الحياة المدرسية
- دليل بطاقات الحياة المدرسية،(2019): مديرية الحياة المدرسية
- دليل المسرح التربوي والحكاية
- دليل التواصل البيداغوجي والتنشيط

مسابقات ومهرجانات وطنية تدعم النهوض بالمهارات الحياتية والكفايات الاجتماعية

- المسابقة الوطنية في اللغات والثقافة
- الملتقى الوطني للشعر التلاميذي
- المهرجان الوطني للموسيقى والتربية (الغناء الفردي والعزف)
- المهرجان الوطني جائزة محمد الجم للمسرح المدرسي
- **المسابقة الوطنية للصحفيين الشباب من اجل البيئة**
- الجائزة الوطني للقراءة
- المهرجان الوطني للفنون التشكيلية
- برنامج المدارس الايكولوجية بشراكة مع مؤسسة محمد السادس

ملحق رقم 2

أنشطة صفية مدرجة ضمن المناهج والبرامج

مقترحات تفعيل

دروس خاصة بموضوع من مواضيع الكفايات الاجتماعية	مقاطع مدمجة في درس تتعرض لكفاية من الكفايات الاجتماعية	مشروع القسم حول كفاية من الكفايات الاجتماعية ينجز على مراحل	أنشطة مندمجة كالعروض والورشات والأبحاث وتحليل الوثائق	دعوة شخص مورد لتحسيس المتعلمين(ات) حول الكفايات الاجتماعية	طرق منفتحة كحل المشكلات ودراسة حالة واتخاذ القرار

أنشطة مندمجة وموازية في نطاق الحياة المدرسية

ISSN : 2625 - 8943

بيبليوغرافيا

- الدستور المغربي، 2011.
- خطاب ملكي بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب، 1999.
- الرسالة الملكية السامية التي وجهها جلالة الملك محمد السادس الى المشاركين في الندوة الوطنية حول: المدرسة والسلوك المدني، 2007.
- خطاب ملكي، 2012.
- الميثاق الوطني للتربية والتكوين، 1999.
- الرؤية الاستراتيجية لإصلاح منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي،2015.
- القانون الاطار رقم 51.17 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العملي، 2019.
- المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، التربية على القيم في المنظومة الوطنية للتربية والتكوين والبحث العلمي، تقرير رقم: 17/1، 2017.
- النموذج التنموي الجديد: تحرير الطاقات واستعادة الثقة لتسريع وثيرة التقدم وتحقيق الرفاه للجميع، التقرير العام، اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي، 2021.
- وزارة التربية الوطنية، البرامج والتوجيهات التربوية الخاصة بسلك التعليم الثانوي الاعدادي، مادة الاجتماعيات، مديرية المناهج والحياة المدرسية، 2009.

ISSN : 2625 - 8943

- وزارة التربية الوطنية، التربية على المواطنة العالمية، مدونة أخلاقيات العيش المشترك: آليات البناء والتفعيل في المؤسسات المدرسية، بشراكة مع مكتب الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) بالرباط، المغرب، 2021.

- وزارة التربية الوطنية، مشاريع الارتقاء بالحياة بالتدريس وأنشطة الحياة المدرسية لتحسين التعلمات، المجزوءات المستعرضة لدعم التكوين من أجل تعلم فعال، إعداد: عبد الرحيم وهبي وبنلحسن محمد، الوحدة المركزية لتكوين الأطر، 2012.

- حلمي خضر ساري، التواصل الاجتماعي: الأبعاد والمبادئ والمهارات، الأردن، عمان، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر، 2014.

- حمداوي جميل، سوسيولوجيا التربية، منشورات حمداوي الثقافية، تطوان، المغرب، الطبعة الأولى، 2018.

مفهوم الشعرية: تباين الرؤى وتعدد التوجهات

The Concept of Poetics: Diverse Perspectives and Varied Directions

سكينة الروكي، جامعة السلطان مولاي سليمان كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال – المغرب.
البريد الالكتروني: errouguisouykaina@gmail.com

ملخص:

حاولت هذه الدراسة، التي اخترنا لها وسم " مفهوم الشعرية: تباين الرؤى واختلاف التوجهات"، أن تختزل وبشكل كبير مضمونها وفحواها، وألا تضيع في تشعبات كثيرة، لأن الهدف الأساس منها هو تقديم المسار الكرنولوجي الذي قطعته الشعرية في الثقافتين العربية القديمة والغربية، قبل أن تتضح ملامحها إلى ما هي عليه الآن. وإلى حدود بداية البدايات، فإن المعرفة الشعرية بأبعادها ودلالاتها قد اتخذت مناح متعددة، حاولنا تقريبها من القارئ، وقوفا عند أبرز ممثليها، والكتب التي تناولتها بالدراسة.

نشير أننا قد سعينا لملمة تمفصلات الدراسة بجمعها في محورين اثنين، حاولنا في الأول منه، - وبعد تقديم بسيط لـ" الشعرية" - الوقوف على معناها اللغوي والدلالات التي أخذتها في الفكر العربي القديم، مع كل من الجاحظ وابن قتيبة وغيرهما، قبل أن نرصد علاماتها المميزة التي تعددت باختلاف التوجهات الفلسفية والفكرية والثقافية والمنطلقات العلمية لكل واحد ممن أبدى بدلوه حول الموضوع في الثقافة الغربية.

Abstract

This study, labeled "The Concept of Poetics: Diverse Perspectives and Varied Directions," has attempted to significantly condense its content and essence, avoiding excessive complexities, as its primary objective is to present the chronological trajectory that poetics has traversed in both ancient Arabic and Western cultures, before crystallizing into its current form. Indeed, the poetic knowledge, with all its dimensions and connotations, has taken various forms. We endeavored to make it more accessible to the reader, highlighting its prominent representatives and the books that have studied it.

We should note that we endeavored to organize the study into two main axes. In the first axis, after briefly introducing "poetics," we delved into its linguistic meaning and the connotations it acquired in ancient Arab thought, exploring the distinctive characteristics shaped by diverse philosophical, intellectual, cultural, and scientific orientations. This was before tracing its significant marks, as influenced by different philosophical, intellectual, cultural, and scientific perspectives, each expressing their views on the subject in Western culture.

تقديم:

وجهت في العقود الأخيرة أضواء البحث والدراسة حول مفهوم الشعرية، وعمد الباحثون في اختصاصات مختلفة إلى إقامة أبحاث حوله باعتباره فكرا موسوعيا خصبا، تباينت الدراسات حول رؤاه وتوجهاته، دلالاته وتأويلاته، عمقه وغناه، ورغم كل هذه الاتجاهات المتناسقة الاهتمام والمسار، الذي يمكن، في هذا الصدد، إضفاء عليه سمة التزايد، فإن البحث فيه مازال في بداياته.

تعد الشعرية Poétique من المفاهيم التي عرفت ومازال استعمالا واسعا في حقل العلوم الإنسانية، بدءا من القرن الرابع ميلادي مع أرسطو في كتابه " فن الشعر" وانتهاء بعصرنا الراهن، غير أنها لم تعرف اتفاقا و استقرارا على تعريف واحد، حيث نصادف زخما كبيرا من التعريفات، جعلت الباحث العربي عامة والمغربي على وجه الخصوص يعيش أزمة شكلها التعدد المنظوراتي والمجالي المعرفي، الشيء الذي ولد بشكل أو بآخر خلطا بين مدلولات المفهوم، وهنا أمسينا بصدد شعريات لا يستطاع الفصل بينها إلا باستحضار السياقات التي ظهرت فيها، هي فعلا معقد حصر حد لها، ويقر منظروها الكبار بذلك، حيث يعترف جيرار جنيت نفسه، بـ" بصعوبة تحديد مفهوم قار للشعرية" (عثماني الميلود، 1999، ص16).

ونحن بصدد البحث في الشعرية، كان لابد من استحضار سياقها التاريخي عند أبرز علماء اللغة، ثم الوقوف عند أهلها وروادها، وصولا إلى مدلولاتها عند أهم محللي الخطاب.

1 – الشعرية في السياق العربي

أ – الشعرية: الأصل اللغوي

أتت مادة شعر في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت395هـ) بمعنيين الأول دال على الثبات، والثاني دال على العلم، ويورد ابن فارس لهاذين المعنيين ما يلي:" الشين والعين والراء أصلان معروفان، يدل الأول على ثبات وآخر على علم وعلم" (ابن فارس، ج1، ص1).

ويورد ابن منظور(711هـ) في معجم لسان العرب (شعر) بعد مادة (شعث) التي تدل في علم العروض على الخفيف، وهي تعني في مجمل معناها ذهاب عين فاعلاتن، فيبقى (فالاتن)، بحث تقصينا منه عدة معان، نذكر منها:

" الشِّعْرُ: العلم، ويقال: وليت شعري، أي ليت علمي.

الشِّعْرُ: منظوم القول، وقال الأزهري: شَعُرَ: أجاد الشعْرَ، ورجل شاعر، وجمعها شعراء.

المتشاعر: رجل يتعاطى قول الشعر، وشَاعره، فشَعَره، يشعَرُه بالفتح، أي كان أشعر منه وغلبه" (ابن منظور، 1119، ص 2274،2275).

وإذا ما حاولنا استكناه الصلة الرابطة بين التعريفين اللغويين السابقين، سنجد أنهما يشتركان في الدلالة على العلم، غير أن ابن منظور قد كان فطنا في رصد المعنى اللغوي الذي يفيده هذا الجذر الثلاثي، حيث نجد أنه فصل فيه من خلال جعل الشعر مرادفا للعلم، وهذا ما يمكن أن يستشفه أي دارس، فالشعر علم يتطلب من صانعه أن يكون عالما بعلومه المحيطة به، سواء أتعلق الأمر بعلوم الإيقاع الخارجي أو الإيقاع الداخلي.

يثير الشريف الجرجاني (710- 816 هـ) الانتباه إلى ما تطرق إليه صاحب لسان العرب بجعله لمادة (شعر) معنى يصب في باب الكلام الموزون مضيفا بذلك مبدأ "القصدية"، ومنه، أصبح " الشعر: كلاما مقفى موزونا على سبيل القصدية" (الجرجاني الشريف، ص109)، وتأسيسا لما ذكر، نثير حفيظتنا في هذا المؤلف إضافة هذا الرجل للتعريف الاصطلاحي الذي اقترحه المناطقة له، هو ذلك الذي صب معناه في قلب القياسية، إنه " القياس المؤلف من المخيلات، والغرض منه انفعال النفس بالترغيب والتنفير" (المرجع السابق، ص109).

وبناء على ما سبق، يمكن التأكيد بأن الشعر حسب الرؤية الجرجانية، يرتكز على التخييل والإبداع الذي يهدف بالأساس إلى التأثير في المتلقي بإثارة جوارحه، وجعلها تترنم به كالموسيقى التي ترنم بها البدو في الصحراء عن طريق جعلهم يتأثرون بفواعل الفرح تارة، وبفواعل الأسى تارة أخرى.

وفي الصدد نفسه، نجد محمد علي التهانوي (1158هـ) يربط الشعر بموزون الكلام المراد من وزنه وتقفيته قصدا أوليا، إنه حسب ما ورد في الكشاف: " هو الكلام الموزون المقفى الذي قصد إلى وزنه وتقفيته قصدا أوليا، والمتكلم بهذا الكلام يسمى شاعرا " (التهانوي، ج1، ص 1030). وعليه، من هذا التقديم المعجمي، يمكن التأكيد بأن لمادة (شعر) في المعاجم العربية معان كثيرة، أولها يبتدئ بالعلم، فالدلالة على منظوم القول، ثم جودة صناعة فنونه صناعة "قصدية" هدفها التأثير في المتلقي بطريقة بيانية، خاصة وإنه" وجه من وجوه البيان، وأحد وجوه البلاغة" (الجاحظ، 1925، ص72).

ب – الشعرية العربية تراهن على الشعر مبنى ومعنى

قدم العرب قراءات لمفهوم الشعرية، معربين فيها بشكل ضمني بنهج وتبني رؤى معينة، هي تلك التي انصبت حول الاهتمام بالشعر باعتباره جنسا كان متحلقا حوله في المرحلة التي عاصروها، ويمكن أن نطل هنا على الجاحظ (255هـ) ، حيث يعتبر من بين أهم الباحثين الذين قاربوا مفهوم الشعر، إنه ينظر له بعدا جماليا مرتبطا بالعرب في جاهليتهم، وهذا يبلور لنا رؤية وجدنا فيها التخليد والتمجيد هما ما يليق به في وقتهم وزمانهم، معتبرين إياه المرآة العاكسة لذواتهم وقبائلهم، ويزداد الوعي عندهم بأهميته ومكانته في إبراز القبائل عنايتها بالشعر واهتمامهما بالشعراء، فكان لكل شاعر رواة يروون عنه أشعاره،

وقد دأبوا على ذلك منذ بداياتهم، يقول:" وكانت العرب في جاهليتها تلجأ في تخليدها، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون، والكلام المقفى، وكان ذلك هو ديوانها" (الجاحظ، 1925، ص 73)، ومن هنا كان الشعر ديوان العرب وخزان تراثها بأفراحه وأحزانه، وآلامه وآماله، ويعد كتابه الموسوم بـ " الحيوان" كتابا رائدا في مجال البحث الشعري والتأريخ له والتعريف به، ففي التأريخ اعتبر الجاحظ هذا الفن حديث العهد، يقول: " أما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهل الطريق إليه، امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة، وكتب أرسطاطاليس، ومعلمه أفلاطون، ثم بطليموس، وديمقراطس، وفلان و فلان، قبل الشعر بالدهور قبل الدهور، والأحقاب قبل الأحقاب" (الجاحظ، ص 74)، إنه فن حديث الولادة، ولم يتمخض إلا مع امرؤ القيس والمهلهل بن ربيعة باعتبارهما أول من صنعا القريض وسهلا الطريق إليه، هو بهذا المعنى، لم يبزغ فجره إلا في عصر أرخ له النقاد مقترحين له صفة " الجاهلي"، وكان توليف الدلالات المنظومة التي تعبر عن أفكار أصحابها وبيئاتهم التي كانت العروبة والظروف المناخية والبحث عن مختلف وسائل العيش البدوية فيها من الدوافع التي أدت بانتقال الناس من مكان إلى مكان، وبالتالي من حال إلى حال، الذي عبرت من خلاله عما تختلجه النفوس الفردية والجماعية، إعرابا عن الأفراح والأقراح، الانتصارات والانهزامات، التي قلما تغنت القبائل السائدة الغالبة بهذه الأخيرة، مبرزة كل دواعي الفخر بالأمجاد، ومهللة بالمهرجانات التي تجسد غبطة قبائل تأتلف، وترك أخرى التي لم يبق منها إلا أطلال أصحابها، ويشهد التاريخ من خلال الشعر على وجودها بين نظيراتها التي كانت تتطاحن لأغراض شتى، ويورد الجاحظ لهذا دليلا، وهو عبارة عن شاهد شعري لأمرؤ القيس:

إن بني عوف ابتنوا حسنا ضيعه الدخللون إذ غدروا
أدوا إلى جارهم خفارتـــــه ولم يضع بالمغيب من نصـــــروا
لا حميري وفى ولا عـــدس ولا استعير يحكيها الثفــر (الجاحظ، ص74).

عرف الجاحظ الشعر بأنه " وجه من جوه البيان، وأحد وجوه البلاغة" (الجاحظ، ص72)، والمقتضى البياني هنا مقرون بالشعر، إنه لا يخرج عنه باعتباره وجها من الوجوه التي يلجأ إليها الشاعر لتتوافر شروط الشعرية في نظمه، ليفيد بذلك" فضيلة البيان، على الشاعر الراغب، والمادح، وفضيلة المأثرة على السيد المرغوب إليه والممدوح به" (الجاحظ، ص 73) ، إن أوجه البيان متداخلة، فيها ما يتعلق بالذات الشاعرة التي تعد ركنا أساسيا في عملية إنتاج الشعر، ومهما كانت أنواع الأغراض الشعرية التي يختارها لنظم قصيدته يبقى البيان هو الجامع المشترك بينها، حيث إن الإصابة في الوصف والغزل، والمدح، والتشبيب... تحتاج وبالضرورة إلى الجودة البيانية ليحصل إفهامها، بل والأكثر من ذلك، فإن

عملية استعارة الأغراض التي يقوم بها البعض على سبيل التنويع ستكون حاصلة بتحقق الغرض الفارغ الذي لا بيان فيه ولا مغزى، وبالتالي فإن حصول الشعر جنسا لا يكون ولن يكون باستحضار اسم الجنس وشكله فقط دون حضور الوجوه البلاغية التي بها يتحصل البيان بشتى تجلياته.

إن الباحث في حقيقة الرؤية الجاحظية سيجد أنها رؤية بيانية جمالية عنيت بالأساس بالشعر في شقه البياني باعتباره الكاشف لأقنعة المعاني الغامضة والمعقدة التي لن يحصل فهمها وإفهامها دون البيان، لترتكز الشعرية في هذا الجانب على الترابط والانسجام بتضافر الأوجه الشعرية التي يعتبر البيان أهمها، يقول: "فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع" (الجاحظ، ص76)، إن المتأمل في هذه القولة ستبين بأن حصول الإفهام واتضاح المعاني هو ما يحقق البيان، وهذا فيه ضرب لكل من يستعمل اللغة دون تحقيق المبتغى الذي لأجله توظف، فحصول الفهم وإدراك المعاني أمر مشروط، ومتى غيبا، في هذا السياق، فإن الوظيفة البيانية تلاشت و اندثرت، أمر رهين بجعلنا نؤكد بإن كل الأشعار غير المفهومة أشعار لا تقوم على البيان، ومنه فدون البيان لا تتحقق شعرية الشعر، إذ به يتضح الغامض وتفهم الدلالات ويسلس التركيب، وحسب هذه النظرة صار الشعر ضربا من ضروب البيان.

وقد صاغ الجاحظ للشعر شروطا ومعايير للشعر، هي التي يمكن أن نحكم من خلالها على شعريته، ويمكن تلخيصها في: 5صعوبة ترجمته، ثم صعوبة نقله، إذ كلما حاولنا ذلك سيختل النظم، ويبطل الوزن، وهذا سيؤدي لا محالة إلى إخراج الشعر من بابه، معناه سنصبح أمام شعر موسوم بشعر وهو ليس كذلك، ومن هنا يكون الجاحظ قد ركز على الشكل وأعطاه أهمية عن المضمون (الجاحظ، ص75).

وغير بعيد عن الرؤية الجاحظية، يمكن أن نقف على الراوية والإخباري والناقد البصري ابن سلام الجمحي(231هـ) الذي ضمن أواخر القرن الثاني وبداية الثالث الهجريين في كتابه الموسوم (طبقات فحول الشعراء) سير الشعراء وأخبارهم في منظوماتهم الشعرية، فجمع ما قاله علماء وأدباء الشعر، واشتهر بكونه كان من الباحثين الذي تناولوا ظاهرة الانتحال، ليفصل العلماء وينتبهوا من خلال رؤيته إلى مطبوع الشعر من مصنوعه، ومن هذا المنطلق تكون فكرته مؤمنة أشد الإيمان بأن الشعر الجاهلي شعر مصنوع، فهو يطعن فيه وفي نسبته إلى أصحابه، وتعزى أسباب انتحال الشعر حسب ابن سلام الجمحي إلى:

العصبية في العصر الإسلامي، وحرص القبائل العربية على إضافة ضروب من المجد والمكانة لإسلامها، وهذا المجد سجله النقد وديوانه الشعر.

الرواة وزيادتهم في الأشعار (الجمحي، 2002، ص75).

وفي إطار حديثه عن الشعر اعتبره صناعة وثقافة يثقفها الشاعر مثل باقي الصناعات التي يثقفها ويثقنها باقي أصحاب الصناعات و المجالات الأخرى، يقول:" وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا يعرف جودتهما بلون ولا مس ولا طراز ولا حس ولا صفة ويعرفها الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجها وزائفها وستُّوقها ومفرّغها" (الجمحي، ص 26، 27) إذن فالشعر هنا صناعة لها قوانين عامة تميز جيده من رديئه، فالجيد منه حسب هذا المنظور هو الذي يتم تذوقه واستحسانه بثقف الأذن له، ورديؤه هو الذي لا يحترم قوانين الشعر ومن تم فاستحسانه بعيد المآل، إن شعرية الشعر بهاته الدلالة لا يمكن أن تتحقق دون استحسان، ومستحسن الشعر يجب أن يكون ضليعا وعارفا بعلومه وبكل ما له علاقة بعلم الأوزان والقوافي، وهنا يصح القول بأن ما يجعلنا نحكم على شعرية الشعر هو جودة النظم وسلاسة التراكيب، وإضافة إلى ما سبق، فقد صاغ كذلك، مقاييسا للشعراء مقسما إياهم إلى طبقات، والتي حددها في عشر، ليكون مفهوم (الطبقة) هو المفهوم النقدي الثاني الذي تم اعتماده لتصنيف الشعراء، وهو معيار اعتمده لتصنيف الشعراء إلى طبقات مركزا في تصنيفه الطبقي على (الفحولة)، رؤية مكنت الشعرية من التحقق مع الشعراء الفحول الذين يعتد بشعرهم المحترم لقواعد الذوق الأصيل، لم يقف هذا الناقد عند هذا الحد فوضع بذلك معايير للفحولة.

ألف الناقد ابن قتيبة(276هـ) كتابا مشهورا اقترح له وسم " الشعر والشعراء"، تناول فيه الشعراء وأزمانهم وأحوالهم في أشعارهم، وقبائلهم، وأسماء آبائهم، ومن كان يعرف باللقب أو بالكنية منهم. وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط، كما أخبر فيه عن أقسام الشعر وطبقاته، وعن وجوه اختيار الشعر واستحسانه (ابن قتيبة، 1329، ص 59).

إن الرؤية النقدية لابن قتيبة تقوم على استحسان الشعر بناء على معايير تقوم في أغلبها على الذوق، مع إلغائه لمعيار الزمنية الذي يجعل الباحث يتيه بين دروب الزمن منتصرا لشعراء على آخرين بناء على هذا الأخير، يقول: "ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديث في عصره" (ابن قتيبة، ص63)، ويعتمد على معيار العدل الزمني بين الشعراء، لأن لكل زمن شعراؤه ومعاييره، لذا فلا مجال لاعتماد معيار الزمن مادام كل قديم كان حديثا في عصره وزمانه، إن المعيار النقدي عند هذا الرجل مسلكا يقوم على جودة النظم والاستحسان، يقول: " فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه في متخيره، ويرذل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه، أو أنه

ISSN : 2625 - 8943

رأى قائله" (ابن قتيبة، ص 63)، وهذا ضرب من ضروب العيب على النقاد الذين يحكمون على الشعر بناء على معيار الزمنية.

تقوم الرؤية القتيبة على الجمع بين الشكل والمضمون، وهذا ما يجعل الشعر يحقق شعريته، فالبعد الفني والإصابة في الأغراض هو الذي يحقق الشعرية بتفاعل شكل القصيدة بمضمونها، وفي سياق بعد وعمق الرؤية النقدية قسم ابن قتيبة الشعر إلى أربعة أضرب:

- ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه.
- ضرب حسن لفظه وخلا وحلا من المعنى.
- ضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه.
- ضرب تأخر معناه وتأخر لفظه. (ابن قتيبة، ص 64، 69).

يمكن أن نؤكد، في هذا الصدد، بأن الشعرية القتيبية تستند على حسن الألفاظ وجودة المعاني، فبهما يتحقق تناغم الشكل والمضمون، وهكذا ينتصر للضرب الأول القائم على اللفظ والمعنى متجاوزا ما دونه من الأضرب الأخرى، هذا المسار التسلسلي التي جردنا من خلاله أفكارا التي يمكن أن يكون بعض منها مأتلفا مع آخر، يجعلنا نستنتج بأن مفهوم الشعرية عند العرب قد اقتصر على الشعر وقوانينه وقواعده الفنية، وهذا ميز الشعر جنسا عن باقي الأجناس الأخرى، وسواء تعلق الأمر بهؤلاء أم بنظائرهم المحدثين، نجد أن كل الرؤى قد استلهمت وجهتها من أفكار أرسطو الذي وضع الأسس النظرية والعلمية للمفهوم (ضمنيا)،هي تلك التي رسمت المجال النظري الفعلي للاشتغال عنه.

وتجاوزا لما سبق، فإن اختلاف الآراء والتصورات الابستمولوجية حوله بحكم تباينه عما انتج من الدراسات النقدية السابقة، لم يكن سببا في ميلاده نظرة إقصائية للمناهج السابقة، هي تلك التي وجدنا في المهتمين بها مناداة بوحدة المنهج، وجودة السبك، وفق مبادئ وتصورات وأسس فلسفية وأدبية ونقدية قوامها الوحدة، وأرضيتها التمحيص، انطلاقا من معطى أدبي شعري/نثري، ووفق توجه يتسم بالشمولية، يتداخل فيه المعرفي بالمنهجي، سعيا للتأكيد بأن وحدة المنهج هو ما يغني البحث ويطوره، وهذا فيه ضرب لما سبق، حيث بتذبذ المنهج وغياب تحديد دقيق له، تتلاشى كل المجهودات والأعمال بتنافي القدرة على اختيار المنهج الدقيق والملائم للبحث، إن هذه الرؤية تندرج ضمن التفكير الأحادي الذي يعترف بأهمية دراسة المفاهيم وتحديد سياقاتها الزمكانية، بشكل موضوعي يكرس تطورية هذا التوجه الفكري، لتلتقي كل هذه المحمولات في خدمة التعدد الأدبي بقيمه الفنية ومعنيها المضموني والشكلي الاستيتيقي.

2 – الشعرية في السياق الغربي

أ – أرسطو وأفلاطون: الشعرية مفهوم محيل على مختلف الفنون

فتح الكتاب الموسوم بـ " الشعرية" أو "فن الشعر" لأرسطو بابا تاريخيا مكن الباحثين من التأريخ لنظرية الأدب، رغم أن موضوع الكتاب لم يكن لهذا الغرض، وهنا، في هذا الإطار المفتوح على التأويلات، وجدنا بأن الأدب والمحاكاة يقعان في طريق، يفهم القارئ، في بعض من سبله، بأن الثانية هي المبتغى الراهني الذي يحقق الوجود الفعلي للشعر باعتباره محاكاة كلامية، إن " المتوخى هنا ليس هو دراسة الأدب، وذلك لكون الهدف منه هو (المحاكاة) بواسطة الكلام" (العثماني ميلود، ص8)، ومن ثمة يغدو البحث المحاكاتي لا عن الأدب في حد ذاته، وإنما الطريقة التي ينتج بها الكلام الدلالات، التي تبتدئ بأولويتها العارضة إلى الإفهام، لتصل إلى الإنتاج المعرفي للغة التي لا تخرج عن سياق إنتاج الدلالات المتعددة، هي مختلفة فعلا، باختلاف السياقات الزمانية والمكانية، وأيضا المقصدية.

تنحدر كلمة بوئيطيقا Poetica من أصل الفعل اليوناني Poein، أي ينتج، وما دام كل شاعر أو فنان ينتج خلقا جديدا فإن كلمة Poetica تشير بوجه عام إلى الفنون عموما (مطر أميرة، 1998، ص 48)، وقد أرخ اليونانيون للشعر منذ أزمنة غابرة، واعتبروه شكلا تعبيريا يعبر عن الشاعر، وعن رؤياه للعالم، بل والأكثر من ذلك، اعتبروا الرؤية التي يقدمها عميقة تحمل في مجمل طياتها خصائص ومميزات ترتبط بالأشكال بصفة عامة، هذه الأخيرة، هي تلك التي تناولها اليونانيون، وبالتحديد أرسطو، معتبرين/ معتبرا إياها لا تخرج عن المحاكاة أو التقليد.

إن الباحث عن المفهوم في النظرية الأرسطية، سيجد أنه قد ربط (مفهوم الشعرية Poétique أو ما يصطلح عليه البويطيقا) بـ" المحاكاة"، فـ "الشعرية ترتكز على مبدإ المحاكاة" (العثماني، ص 8)، التي تمر بالنسبة لهذا الرجل بعدة مراحل تراتبية تبتدئ من العام متدرجة نحو الخاص، لتنفتح في مسيرتها على ما هو فني عابرة سبيله إلى ما هو إبداعي كلامي، إنها هنا حسب تعبير عثماني الميلود، سيرورة علمية تمر من مراحل، تستهل بـ" محاكاة فنية، بصفة عامة، إلى المحاكاة بواسطة الصوت، إلى المحاكاة عبر الكلام" (العثماني، ص8).

ونلمس كذلك، في نفس الصدد، ارتباط " الشعر" بما هو وجداني إلهامي ظاهرا جليا، فهو بالنسبة له صادر عن الإلهام، ومن ثمة يكون غير عاكس لحقيقة الموجودات وجوهرها، خاصة وإنه محاكاة وتقليد للأشياء، وليس صورة مطابقة لها، إنها بهذا المعنى، بالنسبة له، تهيمن على الفضاء الشعري، هو سياق مكاني (الفضاء الشعري) لا يفهم خارجها (المحاكاة) باعتبارها عنصرا قائما على الخلق والإبداع، والشاعر المبدع هو الذي يتقن فن المحاكاة كما ينبغي، " ولما كان الشاعر محاكيا – شأنه شأن ذلك الرسام

وكل صانع صورة – وجب ضرورة أن يسلك في محاكاة الأشياء أحد الطرق ثلاثة: إما أن يحاكيها كما كانت أو تكون، وإما أن يحاكيها كما تقال أو تظن، وإما أن يحاكيها كما ينبغي أن تكون" (أرسطو طاليس،1993، ص142).

يلعب البعد التطهيري للمحاكاة في الاتجاه الجانبي، فقد اعتبر أرسطو المحاكاة لذة وتطهيرا روحيا يمكن أن يتوخاه الشاعر من خلال المزج بين " ما تعطيه اللذة والخوف المثاران بواسطة المحاكاة" (أرسطوطاليس، ص142)، ومما فات ذكره يتبلور المقصد المحاكاتي الذي سعى إليه، وهو مقصد يركز على الإنتاجات والأعمال المنظومة شعرا التي تقوم على الإيقاع واللغة والنغم، منصبا بذلك على الإيقاع الشعري الذي اقترح له مفهوم (الميميس) الذي يعني وفق تصوره التمثيل الذي يقوم على مبدإ المحاكاة التي دونها لا يكون الشاعر شاعرا، وهذا ما أشار إلي " بوالو" في كتابه " فن الشعر"، حيث اعتبر الإبداع الشعري قائما على العلم والعمل الجادين، قانون يؤسس للترابطات العملية التي يخضع لها علم الشعر، وكذلك المنهجية، إنه وفق هذا المنطلق" ليس موهبة، وإنما نتيجة علم وعمل" (بوالو،ص12).

إن الشعرية كانت أكثر نجاعة في ارتباطها بأنماط الخطاب الأدبي، وينبثق هذا من بؤرة الوصف الأرسطي النابع من وقوفه على "الخصائص النوعية لكل من الملحمة والتراجيديا" (تودوروف، 1987، ص 15)، لنصادف أمام كل هذا شعرية متكاملة المعالم ومتشعبة الأركان، و" يكون النقد الأرسطي شعرية، أي نظرية في الوصف (عثماني، ص8)، هي مرتبطة بالمحاكاة، ومادام الأمر كذلك، فإن السياق يفرض الوقوف عليها (المحاكاة) عند أهم ممثليها.

أ – أ المحاكاة من وجهة نظر الأفلاطونية والأرسطية

تناول أفلاطون(348 ق.م) مفهوم المحاكاة في إطار حديثه عن الشعراء الذين دافع عن دورهم في بناء المدينة الفاضلة، فوقف في متن " هوميروس" على نوع خاص من الشعراء نعتهم بالشعراء الملحميين، ومن وجهة نظر الأفلاطونية فإن المفهوم المتحدث عنه مرتبط بالممارسات المعبرة عن الأفعال الإنسانية المرتبطة والمجسدة في الوقت نفسه بأشخاص/ لأشخاص فاعلين/ منتجين داخل مجتمعاتهم، وهذا ما يشكل جوهر محتوى الشعر، ويجسد الفعل الذي يقوم به الشاعر، لتغدو المحاكاة " أداة الخلق عند الفنان"، وفي صدد التعبير عنها في علاقتها بالإنتاج فقد اعتبرت المحاكاة الأفلاطونية محاكاة لصور الواقع، لتكون الصور والإنتاجات التي تمت محاكاتها لا صورا حقيقية وإنما صور ثانية خيالية " (مطر، ص 48)، وعليه فإنها فن إنتاج الصور، والمحاكاة المنتجة للصور منها ما ينتج صورا مشابهة للحقائق، ومنها ما ينتج صورا تبدو للناظر أنها تشبه الحقيقة، بينما هي خيال لا يشبه الحقيقة" (مطر، ص 48،49).

وقد قسم أفلاطون المحاكاة إلى قسمين، وهما: المحاكاة المصحوبة بالمعرفة الحقيقية، والمحاكاة الخيالية المنزهة عن المعرفة (مطر، ص49)،إذن فالرؤية الأفلاطونية رؤية اعتبرت الموجودات في عالم المثل منزهة عن الأعراض الحسية، أي لا يمكن إدراكها بالحس، فالمحاكي حينما يحاكي فإنه يحاكي الصور لا الواقع، لتكون الصور التي حاكاها صور غير حقيقة، وإنما صور ثانية مشابهة للواقع، تقول نظرية أفلاطون:" إن كل نوع أو جنس أو شيء في الوجود المحسوس له ما يطابقه أو يتطابق معه في عالم المثل أي الإيدوس الذي هو عالم الوجود الحقيقي، والموجودات في عالم المثل أزلية لا ينالها التغيير، فهي منزهة عن الأعراض الحسية، ولا يمكن إدراكها بالحس بل بالعقل" (سلام المصطفى، 2016، ص79).

إن ما يمكن أن نستشفه في هذا الباب هو أن المحاكاة عند أفلاطون أساس المعرفة، والمقصود أية معرفة سواء أكانت أدبية أم غير أدبية، فهي محاكاة/تقوم على محاكاة الأجناس والأشكال التي تمت محاكاتها ليست واقعية، وإنما انعكاس لما يوجد في عالم الإيدوس، ولما استندت المحاكاة على هذه المعايير كان المحاكي ليس إلا مقلدا لأشياء غير حقيقية، إنها مظهرية فقط، ومنه " فالمقلد أو صانع الصورة، لا يعلم عن الوجود الحق شيئا، وإنما يعرف المظاهر فقط" (سلام، ص80)، لتشكل المحاكاة مدخلا أساسيا تقوم عليه كل الأبجديات الأدبية وغير الأدبية.

صاغ أفلاطون ثلاثة تعريفات لمفهوم المحاكاة:

- الأول محقق للجمال.
- الثاني مزيف وموه للجمال.
- الثالث وهم ومزيف للحقائق.

كما ميز أيضا بين نوعين من المحاكاة، وهما: المحاكاة الصادقة المحققة للذة والمحاكاة النقلية التمويهية، وذلك راجع إلى وجود محاكاة تقوم على معرفة ويصحبها الصدق، فهي أقرب ما تكون إلى التعبير الصادق الذي يلتزم بالحق، ويحقق الجمال، وهناك محاكاة لا تصحبها معرفة وثيقة بحقيقة الأصل الذي تحاكيه، وإنما هي نقل آلي يعتمد على التمويه ويخلو من الحق والجمال على السواء" (مطر، ص48)، وفي إطار الحديث عن علاقة الشعر بالمحاكاة الأفلاطونية، فقد ربطها هذا الرجل بالشعر التمثيلي، رافضا بذلك الشعر الدرامي، ومستثنيا الشعر الغنائي والملحمي لأنه أصدق تعبيرا عن الحقيقة " فالشعر التمثيلي مثال للمحاكاة بالمعنى الأتم، إذ في هذا الشعر يخرج الشاعر عن طبيعته، ويتحرر من التزام الصورة المثالية الثابتة لكي يحاكي صورا كثيرة أخرى" (مطر، ص51).

ومن جهة أخرى اعتبر أرسطو المحاكاة فضاء يهيمن على كل الأشكال والأنواع والأجناس، وتهيمن كذلك على الفضاء الشعري، إنها بهذا المعنى، "وسائل مختلفة، فمن وسائل المحاكاة الألوان والرسوم، فهذه المحاكاة هي التي تستعمل في الفنون التشكيلية من تصوير ورسم ونحث وقد تستخدم الصوت كما في فن الموسيقى، وقد تستخدم الإيقاع أو اللغة أو توافق النغم Harmony" (مطر، ص71).

وعودة لاستكناه حقيقة المحاكاة الأرسطية، سنجد أنها مرتبطة أشد الارتباط بالفطرة الإنسانية، فالإنسان منذ بداياته الأولى وهو يحاكي، حاكى الطبيعة وأصواتها، وحاكى الإبداع بمختلف أشكاله وتلوناته، لتكون المحاكاة هنا مظهرا تعبيريا فطريا، نتج عنه نشوء الشعر، وإلا لما وجدنا" الشعر في الإنسان بفضل غريزة طبيعية، وهي غريزة المحاكاة وميله إلى الإيقاع" (مطر، ص71)، التي تجسد الانفتاح على الأفق الممدود، وتبلور شدة تتبع المحاكاة لكل ما له علاقة بالإبداع الإنساني، وفي إطار موضوع الشعر نصادف المحاكاة فعلا استيتيقيا متلونا ومتنوعا بتنوع الأغراض، نقر من خلاله، باختلاف محاكاة أفلاطون عن محاكاة أرسطو، فالأول انتصر لها بمعناها الصادق المحقق للجمال نافيا بذلك كل أنواعها الأخرى القائمة على التزييف والتمويه، الأمر الذي يفرض وجوب الحديث عن لمحاكاة الأفلاطونية التي تقتصر على الشعر التمثيلي معتبرة أنواع الشعر الأخرى مجرد أوهام صادرة عن شعراء أداة الخلق عندهم زائفة، ستؤدي لا محالة إلا قلب الحقائق وتغييرها، سياق جعل الأرسطية في اتجاه آخر، هي تلك التي تعتبر المحاكاة فطرة إنسانية تهيمن على كل الأنواع والأشكال والأجناس، لتأخذ هنا المحاكاة منحى جماليا معبرا عن كل الفنون والإبداعات الإنسانية الأصلية الموجودة في الواقع، مختلفة متشربة ومتنوعة ترتبط بكل الفنون والإبداعات الأدبية المهيمنة، والناتجة عن رغبة الإنسان في محاكاتها.

ب – بول فاليري: الشعرية مفهوم محيل على الإبداع

مر فهم مفهوم الشعرية عند بول فاليري (Paul Valéry) من مرحلتين: الأولى تعني الشعرية بمعناها العام الشامل لكل ما ينتجه الإنسان، فهي " استعمال عام لا يتعلق بمجموعة قواعد ولا بفن الشعر" (عثماني، ص 14). والثانية، تعني الشعرية الإبداعية التي تجعل من عمل ما عملا إبداعيا، ليمسي في مرحلته هذه تعبيرا عن ذلك" البسيط المشتق من فعل (Poeinn)"(عثماني، ص10)، الذي يحمل دلالة الإبداع لا الارتباط بالخصائص الجمالية المميزة للشعر، إذن، نحن بصدد رؤية جديدة تضع المفاهيم موضع مساءلة، مبلورة إشكاليتها المطروحة في سياق جديد، حيوي، كينوني، واقعي، وراهني، يربط الإبداع بكل الإنتاجات اللغوية، ومنه تغدو وسما جامعا شاسعا " لكل ما له صلة بإبداع كتب أو تأليفا حيث تكون اللغة في آن الجوهر والوسيلة لا بالعودة للمعنى الضيق الذي يعني مجموعة من القواعد والمبادئ الجمالية ذات الصلة بالشعر". (عثماني، ص 10) وبما أن السياق يحضر اللغة إلى قلب المساءلة الأولية

باعتبارها أداة تحقق من خلالها كل الأنواع جماليتها، كان التأكيد ضرورة بأن الجمالية أخذت حظها المستحق بتوفير هذه الانفتاحية، وفسح الوجهة أمام أجناس أخرى غير الشعر لثبت شعريتها، وبالتالي الخصائص الجوهرية التي تحقق الانسجام الجمالي المطلق بين مختلف التعبيرات، هو الذي لا ننفي من خلاله اختلاف المعايير بتعدد درجة رقي المبدع وتمكنه من حقل اشتغاله، بل نبين في أفق منه، على نوع من التكافؤ الجمالي رغم الفرق الهوياتي.

وضع كل من أرسطو وأفلاطون مفهوم الشعرية في مقابل الشعر الذي لا يتحقق ولا يمكنه ذلك إلا بالارتكاز على مبدإ المحاكاة، هذا رغم اختلاف درجات الأخيرة عند كل واحد منهما، في حين نفى بول فاليري القواعد والمبادئ الجمالية التي لها علاقة بالشعر، فالشعرية بالنسبة له مبدأ وقواعد تسم كل الإبداعات اللغوية المكتوبة، حيث تتعلق كلمة الشعرية بالأدب سواء أكان منظوما أو لا، بل قد تكاد متعلقة، على الخصوص بأعمال نثرية، هي أفكار تعبر مضامينها عن الشمولية، فالشعرية بهذا المعنى شاملة للأجناس المنظومة والمنثورة، واستكاها لحقيقة هذا التميز نجد أن الشكلانيين الروس قد بادروا إلى فصل الخطابات منتقدين بذلك كل التصورات التي تجعل المفهوم جامعا لكل الأشكال، فمع هذا التيار" انتقل مركز الجاذبية إلى ألمانيا، بين الحربين، ثم انقسمت نظرية الأدب إلى نزعات متعددة ارتبط بعضها بالأسلوبية، والبعض الآخر بمقاربة مرفولوجية" (تودوروف، ص14) ، لينماز كل عمل بالنسبة لهؤلاء بطبيعة معينة اقترحوا لها مفهوما وسموه بـ" الخصائص النوعية" الساعية إلى الوقوف على المميزات النوعية للخطابات الأدبية، والمقصود هنا بـ (الخصائص النوعية) تلك الأدبية التي تجعل من عمل ما عملا أدبيا، وهذا التميز لم يأت من فراغ بل كان متولدا لا محالة من الفهم الجيد والعميق لكتاب" الشعرية"، يغدو التأكيد لهذا الصنيع بأنه أثر وبشكل كبير على دراساتهم وبحوثهم مقاربة وتنظيرا مفروضا، ليمهدوا " بهذا تركيبا ناجحا لمختلف الاتجاهات التي كانت تطغى على النظرية الأدبية حتى ذلك الحين، ونحو إلى تأسيس النظرية الحديثة" (تودوروف، ص15).

ج – رومان ياكبسون: الشعرية محدد لأدبية الأدب

طرح رومان ياكبسون (Roman Jakbson) مفهوم الشعرية، وكان من بين الباحثين الذين أصلوا له بمعناه اللساني الحديث، معتبرا أن لكل جنس خصائصه التي تحدد شعريته، لتأخذ الأجناس والنصوص وظائف جمالية تحقق شعريتها، إن للشعر ما يخلق ويحقق شعريته كما للسرد أيضا، وكذلك الشأن بالنسبة للأجناس والأشكال الأدبية الأخرى، وقد اقترح هذا الباحث لمفهوم الشعرية واحدا آخر ترجمه بالأدبية (Littérarité)، وهذا كان بمثابة خلاصة تم استنتاجها في إطار البحث عن موضوع علم الأدب، ليكون هدف هذا الأخير" لا الأدب ولكن الأدبية، أي ما يجعل من عمل معطى أدبيا" (عثماني،

ص10)، ولما كانت البؤرة التي تغوص استطلاعا ترغب في استجلاء المزيد ، فإن البحث الذي وقفنا فيه على العديد من النصوص استنتجنا في طرحها الياكبسوني بأن ما يحقق شعرية/ أدبية النصوص هو آلياتها المتحكمة في بنائها وهيكلتها، لتحمل الأدبية هنا معنى" آليات الصياغة، والتركيب"(عثماني، ص10)، إنها وعلى خلاف غيرها، في هذا الصدد، ربطت باللسانيات عن طريق نسج الرسائل اللفظية التي لا يمكن اعتبارها إلا جوهرا يحمل في عمقه ظلا فنيا وارفا، ومن ثمة فإن" موضوع الشعرية هو، قبل كل شيء الإجابة عن السؤال التالي: ما الذي يجعل من رسالة لفظية أثرا فنيا" (ياكبسون، ص24)، وباستنطاقنا للسؤال الأخير فهما وتحليلا سنجد أنه يحمل مفهوم الرسالة التي يمكن اعتبارها جزءا من السيرورة اللسانية المكملة لجزأين آخرين يتمثلان في: المرسل والمرسل إليه، إن التكامل الذي تنسجه هذه العناصر المتداخلة يمكن إنكار دوره في عملية تحقيق التواصل، ليس بمعناه الضيف، بل بمعناه اللساني المفتوح المستحضر لكل خصوصيات هذه العناصر، التي ما تنفك مبرزة دورها في تحقيق تواصل متنوع لغوي/ غير لغوي، الهدف منه هو إيصال الرسالة وتحقيق الفهم والإفهام استحضارا لكل من السياق والظروف والحيثيات التي يحدث فيها التواصل.

عناصر السيرورة اللسانية:

سياق

مرسل ---------- رسالة ---------- مرسل إليه

اتصال

سنن (ياكبسون، ص 24 ومابعدها)

إن الشعرية في بعدها اللساني ذات أبعاد تواصلية فنية، وهذا ما جعل هذا الباحث يعتبر " الشعرية جزءا لا يتجزأ من اللسانيات (ياكبسون، ص24)، فالمتحدث حينما يتكلم فإنه يرسل (رسالة) إلى (مرسل إليه) ليسمى موجه الرسالة (مرسلا)، ولأجرأة الرسالة لابد من السياق – والشفرة – ووسيلة الاتصال، خاصة وأن هذه العناصر الثلاثة تأخذ بعدا عمليا يعمل بشكل غير مباشر في تحقيق فعالية العملية التواصلية، ويمكن التفصيل في هذه العناصر الثلاثة كما يلي:(الغذامي، 1998، ص9).

السياق: وهو المرجع الذي يحال إليه المتلقي، كي يتمكن من إدراك مادة القول ويكون لفظيا أو قابلا للشرح اللفظي.

الشفرة: وهي الخصوصية الأسلوبية لنص الرسالة، ولابد لهذه الشفرة أن تكون متعارفة بين المرسل والمرسل إليه تعارفا كليا أو على الأقل تعارفا جزئيا.

وسيلة الاتصال: سواء حسية أو نفسية للربط بين الباعث والمتلقي ليمكنهما من الدخول والبقاء في (اتصال).

ويرى هذا الباحث أن لهذه العناصر الثلاثة دورا هاما في تحقيق الوظيفة الأدبية، وأي خلل في هذه العناصر سيؤدي لا محالة إلى انحراف القول الأدبي، وهذا يؤثر وبشكل سلبي على تحقيق الوظيفة المذكورة، فالمهم هنا هو" الوظيفة الأدبية، وذلك حين يصبح القول اللغوي أدبا، وهو تحول فني يحدث للقول ينقله من الاستعمال النفعي إلى الأثر الجمالي" (الغذامي، ص10). وعليه تكون شعرية ياكبسون قد أخذت بعدا جماليا يبحث في أدبية النصوص عبر الغوص في إواليات ومكانيزمات بناء النصوص، فالبعد الفني والجمالي للنص الأدبي رهين بالشعرية في بعدها اللساني الذي لا يمكن أن يتحقق إلا باستحضار عناصر التواصل التي دون تكاملها لا تتم الوظيفة الأدبية، إذن فالشعرية حسب هذا المنظور بناء علائقي في سياق يبرهن على ذلك.

د – تزفيتان تودوروف: الشعرية خصائص مجردة خالقة لفرادة العمل الأدبي

بادر الفيلسوف والمنظر البلغاري تزفيتان تودوروف (tzifitan todorof) إلى مقاربة الأدب بحثا عن شعريته وخصائصه في الخطابات الأدبية المنظومة والمنثورة، وهذا استلهمه من شعرية بول فاليري، إنه يركز على البنية الداخلية للخطاب وبالتحديد البنى المجردة للأدب، وهذا جعل شعريته تشتغل على أساس خصائص الخطاب الأدبي ، ويرى عثماني الميلود أن هذا الباحث قد نحى منحى خطابيا أقرب إلى البلاغة، فالذي يهم شعرية تودوروف ليس هو الأدب باعتباره كائنا (Etre)، ولكن باعتباره خطابا يحاول أن يتكلم.

ولقد اقترح كذلك إدماج مفهومي الأدب والخطاب متجاوزا بذلك التيار الوظيفي والشعري، معتبرا التيارين بكل التعاريف التي اقترحوها قاصرة ومتجاوزة، وهذا جعله يعتبر المنظورات السابقة فاشلة تستدعي استنطاقا يمكن تجسده فعليا " بإدماج مفهوم نوعي بإزاء مفهوم الأدب: مفهوم الخطاب" (تودوروف، ص23)، أتت هذه الرؤية، هذه المرة، بعد استجلاء واستنطاق لما يدور في الساحة الأدبية والنقدية من تطورات التي تجلت وتمظهرت في هيمنة العديد من المناهج التي كانت تدرس الأدب من الداخل، ونخص بالذكر المنهج النفسي، والتاريخي، والبلاغي، والفلسفي...، لتأتي بذلك الشعرية منتقدة هذه المناهج من خلال رد الاعتبار لعلم الأدب عبر البحث في مكانيزماته، ودراسة القوانين الداخلية للأعمال، لتغدو " الشعرية مقاربة أدبية (مجردة) و(باطنية) في الآن نفسه" (تودوروف، ص23)، ومن هنا ركز تودوروف على الأدب باحثا في خصائصه المجردة التي تميز عملا أدبيا عن الأعمال غير الأدبية، هو فصل أصبح معه موضوع علم الأدب مع هذا الباحث هو الأدب الممكن، خاصة وأن "

كل عمل عندئذ لا يعتبر إلا تجليا لبنية محددة وعامة، ليس العمل إلا إنجازا من إنجازاتها الممكنة، ولكل ذلك فإن هذا العلم لا يعنى بالأدب الحقيقي بل بالأدب الممكن"(تودوروف، ص23). إذن، فالأعمال الأدبية تجليات لإبداعات حقيقية، وموضوع علم الأدب هو الأدب الممكن، أي الخصائص المجردة التي تخلق فرادة العمل الأدبي، أي الأدبية، لتأخذ الشعرية بعدا خاصا يحيل على تلك الخصائص المجردة والمميزة للعمل الأدبي، وهذا مابلوره ياكبسون سابقا بـالأدبية (Littérarité)، نحن بهذا المعنى أمام مسار موحد جعل الخصائص النوعية والأدبية مفهومان يحيلان على نفس المعنى، ويبحثان في نفس الاتجاه الرامي إلى الوقوف على الأسس التي تخلق فرادة العمل الأدبي، أي ما يجعل من عمل ما أدبا، فالشعرية حسب المنظور التودوروفي مرادفة للأدب الذي يعد مفهوما جامعا لكل الإبداعات المنظومة والمنثورة، لتنتفى بذلك كل الأفكار التي تشتغل على الشعرية بمعناها الباحث في القواعد والمبادئ الجمالية المقومة للشعر، وهنا يمكن أن نستحضر النثر بكافة تمظهراته التي تميزه بخصائصه الفنية المحددة لجوهره كإنتاج إبداعي إنساني، يوجد إلى جنب مع نظيره الشعر، الذي حاز قصب السبق لضرورات فرضها الاهتمام النخبوي بهذا الجنس، هو توجه طرح فكرا منهجيا صارما أصبح يسترعي خصوصيات كافة الأجناس الأدبية التي يمكن اعتبارها كونية، كانت قبل إذ، ينحاز إلى بعضها قبل الحكم على الأخرى وتمحيصها، خاصة وأنها ليست جديدة ومبتكرة، إن تسليط الضوء على السرد جنسا نثريا، سنجد أن الدارسين له يجمعون بأنه ليس نمطا جديدا باعتباره طريقة استعملت للتعبير، وعندما نتحدث عن هذا المفهوم فإننا نستحضر الأنماط بشقيها الشفهي والمكتوب وبتاريخها القديم والحديث، وبحثا في تاريخه وآلياته وما يحقق شعريته الذي/ التي شغل/ شغلت اهتمام الباحثين ستصادف أنه كان/كانت دائما موجودا/ موجودة مع / في الأجناس القديمة: النص القرآني، والرحلة، والسيرة، والمقامات، والتاريخ، بهذا المعنى يصبح للسرد شكلا نثريا مثل نظيره الشعر خصائص نوعية تخلق فرادته الأدبية التي تميزه عن باقي الأنواع الأخرى.

ج – جون كوهن: الشعرية علم موضوعه الشعر

أخذت الشعرية مع السياسي والمفكر الأسترالي جون كوهنJohn Cohen (1859-1939م) منحى مغايرا باهتمامها بالشعر فقط، حيث عرفها بأنها " علم موضوعه الشعر"، خلافا لما سبق التطرق له من دراسات، فقد اقتصرت الشعرية على دراسة الشعر دون غيره من الأجناس الأدبية الأخرى، و اهتمام هذا الباحث بموضوع الشعر مرده لرغبته في تأسيس علم للشعر اقترح له وسما أطلق عليه (الشعرية)، يقول الباحث المتخصص في تحليل الخطاب مصطفى رجوان:" إن ما يهدف إليه كوهن ليس دراسة الأدب أو اللغة الأدبية، وإنما دراسة الشعر أو اللغة الشعرية، بل إن ما يطمح إليه بوجه

خاص إنما تأسيس علم الشعر" (رجوان، 2020، ص32)، ومن هذا المنطلق، أصبح موضوع الشعرية هو الشعر فقط، ليستثني كوهن كل الأجناس الخارجة عن هذا الإطار، فهو بهذا يبعد كل الأجناس النثرية ويعتبرها معزولة، باحثا بذلك عن إطار ثابت ومشترك وموحد لجنس الشعر، وقد تجاوز ما سبق مقترحا الانزياح وسما لما يميز الشعر، والمقصود هنا، في هذا المنحى" الثوابت التي تتعالى عن النوع اللامتناهي للنصوص الفردية والتي تتجسد حسب كوهن في مفهوم الانزياح" (رجوان، ص32)، هذا الأخير تم التأسيس له، فكان محط ارهاص اللغويين والبلاغيين منظرين له من خلال ربطه بالشعر، قبل أن يتحول محوره إلى أجناس أخرى تميزت ببعدها الانزياحي، إلا أن ما يمكن أن نبرزه هو هي تلك العلاقة الوطيدة التي تربطه باللغة باعتبارها أرضيته ومجاله، ويمكن أن نضيف بأن هناك من عبر عنه بالانحراف، إحالة على تأثيره في البناء الدلالي للخطاب، الذي يتعدد بتنوع الأساليب التي تبرز من خلالها التأويلات المتعدد والمتباينة، بل يمكن أن نقر بأن سمة التعارض إزاء التحدث عن الانزاح فارضة لنفسها، بحكم اختلاف المرجعيات المعرفية المتبناة للحكم في هذا الباب، إنها كذلك، لأن المرجعيات متعددة يتداخل فيها التخيلي والمرجعي، الثابت والمتحول، الشكلي والمضموني، هي كلها ميكانيزمات، حتى وإن عكست في جوهرها تكاملا يحيل على تحقق الانسجام والاتساق فإنها لا يمكن أن تفرز لنا إلا تعدد القراءات.

بحث جون كوهن في القوانين الداخلية للنصوص الشعرية، فخلص أن للشعر قوانين وقواعد فنية تجعل منه جنسا مميزا عن باقي الأجناس الأخرى، ليكون الهدف من تأليف هذا الباحث لكتاب " بنية اللغة الشعرية" هو: " البحث عن قوانين عامة تميز الشعر وتعطيه هويته الفنية" (رجوان، ص 32) إن هذا التأسيس الابستمولولوجي الذي استمد مادته من اللسانيات باعتبارها علما يهتم بدراسة الكلام Parole بالمعنى السوسيري الذي يقابله اللسان جعل ينفرد عن غيره، يمكن أن نضيف، في هذا الباب، بأن جون كوهن صب اهتمامه بـ "شعرية الكلام، وآلاها أهمية كبرى، عبر التأكيد على استحالة خلق كلما شئنا أن نتحدث، كما أنه من غير المجدي حصر الكلام في جمل جاهزة"(رجوان، ص 45)، وهذا فيه تأكيد على فردانية الكلام وحريته، الذي اعترف في شأن تحليله الباحث مصطفى رجوان بأن رهين بقابلية الفهم الذي يرتبط وبالضرورة بإمكانية التأويل، ويورد هذا الباحث عن جون كوهن ما يلي: " ومع ذلك فإن مبدأ الحرية هذا يتطلب نوعا من التعديل. يستطيع كل واحد أن يقول ما يشاء، شريطة أن يفهمه المخاطب. إن اللغة تواصل ويستحيل أن نوصل شيئا إذا لم يكن الخطاب مفهوما. ينبغي للخطاب، أي خطاب، أن يكون قابلا للفهم. تلك هي البديهة الأساسية لقواعد الكلام، بأتمها ليست سوى مظاهر لتحقيقها. وقابلية الفهم هنا، ينبغي أخذها بمعنى توفر المعنى القابل للإدراك من طرف المتلقي، ولذلك لا

يكفي احترام قواعد اللغة بل ينبغي فوق ذلك ، أن يكون تفكيك الرسالة ممكنا, وهذا بالذات ما يجعل حرية الكلام خاضعة لمجموعة من القيود التي تتجسد في مجموعة من قواعد القانون"(رجوان، ص45، 46)، وعليه فإن قدرة إدراك المتلقي مقترنة بحرية الكلام، إن حرية الكلام بهذا المعنى مطلوبة، وذلك بحكم إمكانيتها وقدرتها على إفهام المتلقي الرسالة، عبر فك الشفرات التي تتضمنها ليحصل التواصل الفعال الذي هدفه الفهم والإفهام والوصول إلى المبتغيات المقصودة، هي تلك التي تحقق بواسطة اللغة باعتبارها أداة تواصلية، إن اللغة بهذا المعنى لها طاقة خلاقة، هي تلك التي تحقق شعريتها، وأيضا تلك التي " لا يمكن اختزالها في رصد القوانين الكلية التي تصنع الشعر"(رجوان، ص46)، وهذا إن كان يوكد على شيء، فإنما يعني بأن الشعرية قد تجاوزت المعنى الذي كان محكومة فيه سابقا، أي بمجموعة قواعد الشعر، إلى آخر أكثر اتساعا واستيعابا لمختلف القوانين التي تعنى بدراسة كافة أنماط التعبير اللغوي، محتوى يحيل على كتاب "بنية اللغة الشعرية" الذي تصب أفكاره في البحث عن الطاقة التي توفرها اللغة بعيدا من المحتوى أو الأفكار، وهو ما عبر عنه بطاقة النحو المشعرنة حسب تعبير رجوان، والأكثر من ذلك، فقط أكد على مسألة أن الشعرية " لا توجد خارج اللغة فقط، لكن في اللغة ذاتها، فهي ليست وسيلة للتعبير عن محتوى شعري بل استعمالها استعمالا خاصا يحقق الشعرية بغض النظر عن محتواها مهما كان عاديا، إن الشاعر بقوله لا بتفكيره وإحساسه، إنه خالق كلمات ، وليس خالق أفكار، وترجع عبقريته كلها إلى الإبداع اللغوي"(رجوان، ص34، 35)، إن الإنتاج اللغوي فيه ضرب لما جاءت به النظرية الأرسطية والأفلاطونية التي تركز على المحاكاة باعتبارها مبدءا قائما على التخييل، فالشاعر بالنسبة لمتزعمي هاتين السابقتين يحاكي الصور لا الواقع، ومنه فعبقرية اللغة لا تتحقق إلا بحضور التخييل عنصرا هاما، الشعرية، ومما سبق، اقتحمت كل الأجناس، هذا إن لم نقل أن كل أنواع الخطابات قد تبنتها لتحقيق شعريتها، وطالما لكل من الشعر والنثر شعريتهما الخاصة، فإن هذا يضرب عرض الحائط كل تلك التصنيفات السابقة الذي قصرت في حق النثر، هو فصل استنتج من خلاله الباحثون في شعرية الخطابات، وخاصة جان كوهن الذي عد الشعر " واقعة لغوية ذات معان" (رجوان، ص 46)، نحن، إذن، على تأسيسا لما سبق أن الشعر الذي كان يقبل على أساس قاعدي جماهري، قد وضع في ميزان النقد شأنه شأن الباقي، والذي جعلت اللغة مرتكزه الأول لا بمحتواه القائم على التصوير التخييلي، وعليه يصبح معيار الشكل هو الهدف الأسمى في هذا المنحى، هو ذلك الذي لمسنا في من سبق وتناوله نوعا من " الإصرار على البحث عن هذا المحتوى القوي والجاد لدى الشاعر كما لو كانت القيمة الجمالية للقصيدة تكمن فيما قيل لا في الطريقة التي قيل بها. فالقصيدة تحلل في مستواها الإيديولوجي، أما

المستوى اللغوي فيهمل أو ينظر إليه، باعتباره مؤشرا أو عرضا. فيهتم بالشاعر أكثر مما يهتم بالشعر" (رجوان، ص 37).

وفي إطار ما تم التطرق إليه يمكن أن ننعت شعرية كوهن بشعرية الشعري: أي أن موضوع الشعرية عنده يتمحور حول البحث عن الجانب الفني للشعر، والجانب الفني والمضموني خاضع لمعايير النظم التي تلغي كل القصائد غير المحترمة للقواعد، وخاصة اللغوية منها، لتصبح القصائد غير المحترمة لقواعد ومعايير وضوابط النظم لا قصائد بقدر ما هي تعبر عن هوية أجناس نثرية أخرى.

مما سبق يمكن أن نقر بأن مفهوم الشعرية مفهوم متعدد الأبعاد، فلكل زمن شعريته التي تحدد ملامح وخصائص أجناسه، لتبرهن الشعرية على احتوائها كل الأجناس بمختلف أنواعها وتفرعاتها، ومن هنا تكون قد أخذت في بحثنا هذا أبعادا معرفية متنوعة، وهذه الأبعاد يمكن ذكرها كالآتي:

البعد الأرسطي والأفلاطوني: الشعرية إنتاج يحيل على الفنون بمختلف أشكالها، والشعرية مظهر تعبيري فطري مرتبط بالمحاكاة، والشعر لا يخرج عن هذه القاعدة مادام فنا من الفنون التي تتم محاكاتها.

البعد الفاليري: الشعرية مفهوم يحيل على الإبداع لا على الخصائص الجمالية المميزة للشعر.

البعد الياكبسوني: الشعرية لها بعد جمالي يعني الأدبية أي: ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا، لتنفتح هنا على الأدب المنظوم والمنثور، وقد ربط هذا المفهوم بالحقل اللساني، واعتبره جزءا لا يتجزأ منه.

البعد التدوروفي: الشعرية تعني الخصائص المجردة التي تخلق فرادة العمل الأدبي من خلال التركيز على البنى الداخلية للخطابات، وينطبق هنا مفهوم الشعرية على الخطابات الشعرية والنثرية، إذن فمفهوما الأدبية والخصائص المجردة يحملان معنى واحدا وجامعا للأجناس الأدبية.

البعد الكوهني: الشعرية علم موضوع علمه الشعر، وهذا راجع لرغبة جون كوهن في تأسيس علم للشعر، وسمه بـ " الشعرية".

اتسع مفهوم الشعرية باتساع اهتمامات ذويه المعرفية، فلم يعد محصورا في الأعمال الأدبية، بل أمسى شاملا لكل الفنون والإبداعات الإنسانية. فصرنا نطلق هذا المفهوم على الرسم، والنحت، والموسيقى، وإلا لما سمعنا بشعرية الرواية، وشعرية الرسم، وشعرية الموسيقى، وشعرية الجسد... (رجوان، نفس الصفحات الأخيرة)، ومن هذا المنطلق انطلقنا لنبحث فيه، خاصة وأنه قد تعدى حدود الأدب ليكتسح ساحات أخرى باحثا عن شعرية عامة ومشتركة وموحدة لكل الموضوعات الإبداعية الفنية والطبيعية، يقول كوهن:" لا نفكر بتاتا في رفض الاستعمالات الحديثة لكلمة شعر، إذ لا نعتقد أن الظاهرة الشعرية تنحصر في حدود الأدب، كما لا نعتقد أن البحث في الكائنات الطبيعية أو شروط

الحياة، باعتبارها من عوامل هذه الظاهرة، بحث غير مشروع، فمن الممكن بالطبع أن نسعى لإيجاد شعرية عامة تبحث في الملامح المشتركة بين جميع الموضوعات الفنية أو الطبيعية التي من شأنها أن تثير الانفعال الشعر" (رجوان، ص33). نقر في هذا السياق بأن مفهوم الشعرية أصبح له استعمال جديد، تعدى حدود الأدب، ويبحث في كل ما يتعلق بفنون الإنسان وموضوعاته، الهادفة بالأساس إلى إثارة الانفعال الوجداني، لتسمو الكلمة جامعة كل الخصائص الشعرية الجوهرية العامة والموحدة للإبداعات البشرية وغير البشرية، إن هذا المفهوم يسعى إلى البحث في شعرية الكون بكل ما يحمله من مكنونات.

خلاصة:

انكبت هذه الدراسة على تتبع مفهوم الشعرية وعرض أهم الرؤى والتوجهات التي تناولته بالتحليل، وذلك من خلال رؤية اتجهت إلى الحفر في عمق الكتب التي تداولته، هي تلك التي خلصنا غوصا فيها إلى أن الشعرية إنتاج يحيل على الفنون بمختلف أشكالها، إنها هنا، مظهر تعبيري فطري مرتبط بالشعر الذي لا يخرج عن قاعدة المحاكاة، مادام فنا من الفنون التي تتم بهذه العملية، وهو أيضا عنوان يحيل على الإبداع عامة لا على الخصائص الجمالية المميزة للشعر لوحده، وغير بعيد عن هذه، نجد في الشعرية الياكبسونية التي انمازت ببعدها الجمالي ما يصب معناه في الأدبية، أي، ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا، وهنا نلمس الانفتاح على الأدب بمنظومه ومنثوره، هما جنسان يحملان معان تصب في الحقل اللساني، الذي يعتبر جزءا لا يتجزأ منها.

لقد استطاعت الشعرية بالمعنى التودوروفي للمفهوم أن تشق طريقها موحدة ما سبق بابتكار وسم "الخصائص المجردة" التي تخلق فرادة العمل الأدبي، إذ نفهم هذا من خلالها التركيز على البنى الداخلية للخطابات، إنه ينطبق، هنا، على الخطابات الشعرية والنثرية، ومنه فالأدبية والخصائص المجردة يحملان معنى واحدا وجامعا للأجناس الأدبية، هي خصائص اقتصر فيها المنظور الكوهني على الشعرية علما موضوعه الشعر، وهذا راجع لرغبة جون كوهن في تأسيس علم للشعر، وسمه بـ " الشعرية".

يمكن الإقرار، هنا – على غرار ما تطرقنا إليه – بفاعلية الشعرية وقدرتها على مواكبة الإبداع البشري، ويجوز أن نقحم غير البشري، مثل أصوات الحيوانات والطبيعة التي لها شعريتها الخاصة، وهذا إن كان فعلا يبرهن من خلاله على شيء، فإن الفكرة التي سندافع عنها هو أن الشعرية مفهوم ضارب في التاريخ، متعدد الرؤى، ليس له حدود تحد مردوديته، إنه تأسيس تبلور طياته مضامين تجعل من التغير سمة ملازمة له، بل والأكثر من ذلك، فحتى إن انتقلنا من خطاب إلى آخر، بغض النظر عن تفاوت درجات تحقق الشعرية فيه، سنجد حقيقة وجودها ظاهرة جلية ما دامت لا تصب إلا في البحث عن الخصائص المجردة للأعمال.

قائمة المصادر والمراجع

أرسطو طاليس، فن الشعر، تحقيق شكري محمد عياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1993.

ابن فارس، معجم مقاييس اللغة تحقيق وضبط عبد السلام هارون، ج 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة،1329، ط 2، ج1.

ابن منظور، لسان العرب، تحقيق وضبط عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، 1119.

الجاحظ (عثمان عمرو بن بحر)، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، الجزء الأول،1925م.

الجرجاني (علي محمد السيد الشريف): التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر، القاهرة.

الجمحي (ابن سلام)، طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 2002.

الغدامي (عبد الله محمد)، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة الكتاب، ط4، 1998.

بوالو: فن الشعر، ترجمة رجاء ياقوت، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

تودوروف (تزفيطان)، الشعرية، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1987.

جرالد (برنس)، ترجمة السيد إمام، قاموس السرديات.

حطيني (يوسف)، مصطلحات السرد في النقد الأدبي، دليل القارئ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2019،

سلام(المصطفى)، الرواية المغربية وآفاق التجريب، البلاغة والنقد الأدبي، الرباط، العدد الساد، ربيع صيف 2016.

عثماني (الميلود)، شعرية تودوروف، عيون المقالات للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1999.

مطر(أميرة)، فلسفة الجمال: أعلامها ومذاهبها، دار أنباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.

رجوان(مصطفى)، الشعرية وانسجام الخطاب: لسانيات النص وشعرية جان كوهن، كنوز المعرفة، ط 1، 2020.

ياكبسون(رومان)، قضايا الشعري، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، سلسلة المعرفة الأدبية، ط1، 1988.

القتل والقتال في النص القرآني: دراسة تحليلية نقدية

MURDER AND COMBAT IN THE QURANIC TEXT: A CRITICAL ANALYTICAL STUDY

ذ. يوسف المساتي، طالب باحث في سلك الدكتوراه
تخصص التاريخ وعلم الآثار
كلية الآداب عين الشق، جامعة الحسن الثاني
ELMOUSSATIYOUSSEF@GMAIL.COM

ملخص الدراسة

ترصد هذه الدراسة مفهومي القتل والقتال في النص القرآني، عبر استقصائهما على مدار الآيات المكية والمدنية، وتسليط الضوء على مستويات حضورهما، وطبيعة علاقتهما مع عدد من المفاهيم الأخرى، إضافة إلى شبكية وتمفصلات وجودهما في النصوص القرآنية، والعلاقة المتبادلة بينهما، وكيفية تطورهما على مدار النص القرآني.

رصدت الدراسة وجود اختلافات بين المفهومين (القتل، القتال)، حيث يشير القتل إلى الحالات الفردية للقتل، بينما يعبر القتال عن الأعمال الجماعية والتصاعدية للعنف، محاولة تتبع تطور المفهومين وعلاقتهما بالسياقات التاريخية لمجتمع النبوة، وكيف انعكست تلك المفاهيم كانعكاس لتطور المجتمع وتأثير المنظومات القيمية المتنافسة فيه.

تسعى هذه الدراسة، الى محاولة إعادة دراسة عدد من المفاهيم القرآنية، وربطها مع التطورات الثقافية والاجتماعية التي عاشها مجتمع النبوة، وكيف يمكن من خلالها توفير فهم أفضل لمجتمع النبوة، وفي الآن نفسه، فهم هذا المفاهيم في ارتباط بتاريخيتها.

الكلمات المفاتيح: القتال، القتل، القرآن، الجهاد، الحرب، القرآن، النبوة، المغانم، الأسرى، العدوان

Abstract

This study delves into the concepts of killing and fighting within the Quranic text, examining their presence across both Meccan and Medinan verses. It sheds light on the extent of their prevalence, the nature of their relationship with other concepts, the intricate network of their existence within Quranic verses, the reciprocal relationship between them, and how they evolve throughout the Quranic text.

The study identifies distinctions between the two concepts (killing, fighting). Killing refers to individual instances of homicide, while fighting signifies collective and escalating acts of violence. The study traces the evolution of these concepts and their connection to the historical contexts of the Prophetic society, exploring how these concepts reflected the society's development and the influence of competing value systems within it.

This study aims to re-examine a number of Quranic concepts and link them to the cultural and social developments experienced by the Prophetic society. It seeks to provide a deeper understanding of the Prophetic society and, simultaneously, to comprehend these concepts within their historical context.

Keywords :Fighting, Killing, Quran, Jihad, War, Quran, Prophethood, Spoils of War, Captives, Aggression

مقدمة

يشكل القتال واحدا من المفاهيم المثيرة للجدل، وقد اختلف الكثيرون حوله، وهو ما يبدو طبيعيا كونه ينتمي للمفاهيم المرتبطة بمنظومة القيم، التي تتميز بالتحول والتغير، فمن الطبيعي أن تكون النظرة للقتال والقتل متحولة، متأثرة بصراعات المجتمعات الإسلامية وتحولاتها.

وبالعودة إلى النصوص القرآنية وتتبع الجذر الثلاثي (ق.ت.ل)، نجد صيغتين مهيمنتين في النص القرآني هما "القتل والقتال"، وباستقراء الآيات التي وردا فيها يمكن التمييز بين القتل والقتال، من أن الأول يتخذ شكلا فرديا، ويتوجه ضد فرد، بغاية سفك دمه؛ أما القتال فهو لقاء مسلح بين مجموعتين، لأهداف متباينة.

بيد أن الاشتغال على هذين المفهومين (القتل والقتال) يطرح صعوبات منهجية متعددة، إذ لا يمكن دراسة مفهوم القتال، دون ربطه بالجهاد، والعدوان والفتنة، وبيت الله الحرام، والحج؛ ولا يمكن دراسة الجهاد، دون علاقته بالزكاة، والصلاة، ولا يمكن دراسة الحج دون علاقته بالبيت والكعبة وإبراهيم والزكاة والأمة.

تبدو المفاهيم القرآنية عبارة عن مجموعة من الشبكيات، التي تتداخل فيما بينها، وفي الآن نفسه، يحتفظ كل مفهوم فيها بخصوصيته وتمايزه، بل وتطوره على مدار النص القرآني، إذ نجد في كل آية مفهوما مركزيا تنتظم حوله باقي المفاهيم، في نظام ترتيبي، سرعان ما يتغير في الآيات التي بعده.

يفرض هذا الأمر حذرا كبيرا في التعامل مع المفاهيم القرآنية، خاصة أنها مفاهيم حركية، تتطور حسب السياقات والآيات، وليست مفاهيم جامدة، ثابتة، هذا التحول بين نظم المفاهيم في النص القرآني، يستوجب عدم التسرع في إصدار تحديدات مفاهيمية، كما أنه يفرض الاشتغال على كل مفهوم لوحده، ورصد مستويات تطوره، ودلالاته، ثم شبكية المفاهيم المرتبطة به؛ ورصد سياقات المفهوم، وما يستخلص من النصوص، وقد كانت هذه الرؤية المنهجية المؤطرة لهذا المقال، من خلال رصد مستويات حضور المفهومين في النص القرآني، وارتباطاتهما، ودلالاتهما.

أولا: القتل في القرآن الكريم

1- القتل في القرآن المكي

من خلال استقراء الآيات التي ورد فيها القتل في النصوص المكية، يمكن التمييز بين مستويين، الأول تاريخي، والثاني قصصي، مع تسجيل وجود بعض التداخلات بين المستويين.

1-1- المستوى التاريخي/الاجتماعي

من خلال استقراء آيات القتل في السور المكية، يتضح أنها تقدم صورة مهمة عن المجتمع قبل إسلامي (أو قبل القرآني) في علاقته بالقتل، فهو مجتمع ساد فيه العنف، الذي حركته ثلاثة دوافع أساسية هي:

أ- دوافع اجتماعية:

ورد النهي عن قتل النفس في القرآن إلا بالحق، كما جاء في الآية 33 من سورة الإسراء: "وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ"، والمثير أن نفس الآية تقرر عدم الإسراف في القصاص "وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا" (الإسراء، 33).

يبدو الأمر في بدايته لا يتجاوز أن يكون ذا طبيعة تأديبية، تسعى إلى سن تشريع يدرأ العنف، ويقلصه إلى حده الأدنى، لكنه في واقع الأمر يعتبر مؤشرا تاريخيا مهما، فمن خلال سياق الآية يبدو أن الأمر يتعلق بوسط شاع فيه القتل، وأن القصاص كان ذا طبيعية ثأرية لدرجة الإسراف، من هنا، سعت الآية إلى تقنين هذا الإسراف، وتحويل الثأر إلى قصاص مضبوط ومحدد، وهذا ما سيظهر بشكل واضح في الآيات اللاحقة للقصاص، وبالتالي ضبط نوازع العنف داخل المجتمع وتقنينها، وإقرار العفو بديلا للثأر.

ب- دوافع دينية:

تتحدد هذه الدوافع بشكل أساسي في قتل الأولاد، وهو ما ورد النهي الصريح عنه في أكثر من موضع، حيث ورد في الآية 137 من سورة الأنعام "وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ" (الأنعام، 137)، والآية 140 من نفس السورة والتي جاء فيها: "قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ" (الأنعام، 140).

تؤكد هذه الآيات بشكل واضح على وجود مناخ اعتقادي، زين للمشركين قتل الأولاد تقربا للآلهة، وهو ما انتقده النص القرآني، بل وسفهه مرارا في هذه الآيات، وشدد على عقوبة الفاعلين، واعتبره افتراءا على الله، وإبلاسا في الدين.

ت- دوافع اقتصادية

يبدو أن القتل كان دافعا لقتل الأطفال خوفا من الفقر، يؤكد هذا ما ورد في الآية 151 من سورة الأنعام التي ورد فيها: "قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"(الأنعام، 151)، والآية 31 من

سورة الإسراء التي جاء فيها: "وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا"(الإسراء، 31)، وقد اعتبر النص القرآني أن قتل الأطفال خوفا من الفقر خطأ كبيرا، مرجعا مسؤولية الرزق إليه، بل واعتبر الأطفال ذاتهم من الرزق الذي يهبه الله لعباده، وقتلهم بمثابة تحريم وكفر بهذا الرزق.

تقدم هذه الآيات إذا، نبذة عن حضور القتل في مجتمع بدايات الدعوة، وسعي النص القرآني، إلى تطهير نوازع العنف، وذلك من خلال ثلاث أمور أساسية:

- تشريع القصاص والعفو فيه ومنع الإسراف، بديلا للثأر والانتقام.
- منع تقديم الأطفال قرابينا تعبدية واعتباره سفها، وتعديا على الله.
- اعتبار الأطفال رزقا من الله وتحريم قتلهم خوفا من الفقر.

2-1- القصص القرآني والقتل

حضر القتل في النصوص المكية، مرتبطا بقصص الأنبياء، بالخصوص سلسلة الأنبياء الإبراهيميين (إبراهيم ويوسف، موسى وعيسى)، وقد تباينت دوافع إيراد القتل وحضوره، ففي قصة إبراهيم كان المحرك للقتل إنكار رسالته وما جاء به، كما تشير لذلك الآية 24 من سورة العنكبوت، التي ورد فيها: "فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"(العنكبوت، 24).

أما في قصة يوسف فقد كان الدافع للقتل هو الغيرة والحسد الإنساني، كما ورد في الآيتين 9 و10 من سورة يوسف، واللتان نقلتا لنا جزء من نقاش إخوة يوسف، الذي جاء فيه: "اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ" (يوسف، 9و10).

بالانتقال إلى قصة موسى، يلفت انتباهنا أن القتل يشكل عنصرا أساسيا فيها، في كل مراحل حياته، بدءا من مرحلة ما قبل مولده، من ذلك ما جاء في الآية 127 من سورة الأعراف: "وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ" (الأعراف، 127)، أو في الآية 141 من سورة الأعراف: "وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ" (الأعراف، 141).

كما حضر الموت في مولد موسى، إذ "قَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (القصص، 9)، ويحضر القتل في مرحلة شباب موسى بشكل

لافت، فبسبب القتل خرج موسى من مصر، في رحلته التي ستؤهله لمرحلة النبوة، كما ورد في الآية 15 من سورة القصص، والتي جاء فيها: "دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ" القصص، 15).

وقد ربط النص القرآني بين القتل والاعتداء والتجبر، كما تشير لذلك الآيتين 19و20 من سورة القصص، واللتين ورد فيهما: "فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ" (القصص، 19و20).

لقد أدت تجربة القتل بموسى إلى رحلة الخروج التي قادته نحو النبوة، ورغم مرور السنين ظل شبحها يطاردها، كما يؤكد على ذلك ما ورد في قوله: "و قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ" (القصص، 33)؛ وكان القتل سلاح فرعون في مواجهة موسى وأتباعه، كما يشير لذلك ما ورد في سورة غافر: "فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ" (غافر، 25-28).

وانتقل القتل من فرعون إلى قوم موسى، إذ "وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (الأعراف: 150)

وبتجميع هذه الآيات، يمكن القول أنها تقدم لنا المنظومة القيمية التي تدفع للقتل، والمتمثلة أساسا في الاستكبار والتجبر (قوم إبراهيم وفرعون وموسى مع القبطي)، والغيرة والحسد (إخوة يوسف)، والاعتداء (قوم موسى مع هارون).

من جهة أخرى، فالملاحظ أن القتل في هذا المستوى يدور حول استهداف الأنبياء بالقتل من طرف محيطهم "الكافر"، وحماية الله للأنبياء؛ فكل محاولات قتل الأنبياء لم تنجح، مع ملاحظة أن الإشارة لقتل الأنبياء من طرف بني إسرائيل كانت غائبة، فكل ما حضر هو سعي الكفار، إلى قتل

الأنبياء وحماية الله لهم، وهو ما يدفع للتساؤل، هل جاءت هذه القصص في سياق دعوي ارتبط بالأقوام السابقة فقط؟ أم أنها نتاج لمناخ متوتر كانت حياة النبي فيه عرضة لمؤامرات استهدفت حياته في المرحلة المكية؟ فجاءت هذه الآيات كرد على هذه المحاولات لإحباطها؟ وتأكيدا على حماية الله لرسله وأنبيائه؟

2- القتل في القرآن المدني

بالانتقال إلى آيات القتال في السور المدنية، يمكن الوقوف على أربع مستويات لحضور القتل:

- أولا: قتل النفس.
- ثانيا: قتل الأنبياء.
- ثالثا: اقتتال اتباع الأنبياء.
- رابعا: القتل والقصاص.

2-1- قتل النفس

على غرار الآيات المكية، فقد نهت الآيات المدنية بشكل صريح عن قتل النفس، كما جاء في الآية 29 من سورة النساء التي ورد فيها " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا" (النساء، 29).

بيد أنه رغم تحريمه لقتل النفس، فإن النص القرآني قد تحدى بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم، معتبرا إياها نوعا من التوبة، كما ورد في الآية 54 من سورة البقرة والتي جاء فيها: " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (البقرة، 54)، وهو ما أعادته الآية 66 من سورة النساء، والتي ورد فيها: "وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا" (النساء، 66).

يبدو التحدي واضحا في هاتين الآيتين بشكل لا لبس فيه، وهو ما يطرح عددا من الأسئلة حول الأمر، فما الذي يدفع النص القرآني الذي يحرم قتل النفس إلى تحدي بني إسرائيل والمسلمين، بأن يقتلوا أنفسهم كنوع من أنواع التوبة؟ في محاولة الجواب عبر تقصي مفهوم النفس في النص القرآني، يمكن الوقوف على مفهومين للنفس:

- النفس المادية: وتساوي الجسد، وهي التي حرم النص القرآني قتلها إلا بالحق، وشرع القصاص عقوبة لمن يزهقها دون وجه حق، بل ووصل الأمر إلى اعتبار أن من قتلها بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا، كما ورد في الآية 32 من سورة المائدة، والتي جاء فيها: "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي

إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا" (المائدة، 32).

- النفس الرمزية: تتخذ النفس هنا بعدا رمزيا، فهي ترمز لنوازع الإنسان السلبية (الغرور، الكبر، الحقد)، التي توسوس له وتملي عليه ما يفعله، كما تشير لذلك الآية 16 من سورة "ق"، والتي جاء فيها: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ" (ق،16).

وبهذا المعنى، فإن قتل النفس لا يرمز إلى قتل الأجساد أو سفك الروح، بل يرمز إلى قتل نوازعها الشريرة التي توسوس للإنسان بالكبر والتجبر وغيرها من القيم السلبية التي كثيرا ما كانت دافعا لارتكاب جريمة القتل دون حق، كما حددتها الآيات المكية، إن قتل النفس هنا، هو توبة وتطهير لها من الشرور، وليس القتل بمفهومه المادي.

2-2- قتل الأنبياء

في نفس المستوى يربط النص القرآني مرارا بين بني إسرائيل وقتل الانبياء، كما ورد في عدد من الآيات، كالآية 61 من سورة البقرة: " وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ" (البقرة، 61)، والآية 91 من سورة البقرة: " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (البقرة، 91)، وغيرهما من الآيات، ك:(البقرة،54. البقرة، 87. آل عمران،21. آل عمران، 181-183. النساء، 155-157. المائدة، 70).

والملاحظ على المستوى الكمي، أن أغلب الآيات المدنية التي ورد فيها القتل، قد ارتبطت بهذا الموضوع (قتل بني إسرائيل للأنبياء) وهو ما كان غائبا في الآيات المكية، بمعنى أننا إزاء تطور في الخطاب القرآني، من القتل المستهدف لبني إسرائيل وموسى إلى قتل بني إسرائيل للأنبياء بعد نهاية التجربة الموسوية.

ما يدفع إلى طرح السؤال حول هذا الأمر، وهل أنه يدخل في سياق قصصي محض، أملته النقاشات الدينية مع بني إسرائيل وبالخصوص يهود المدينة؟ واستحضار تجارب الأمم السابقة، وأخطائها وتراكماتها، باعتبار أن الإسلام جاء تصحيحا لها؟ أم أن الأمر أكبر من ذلك، ويرتبط

بسياقات تاريخية معينة، عرفت وجود مناخ متوتر بين النبي واليهود، بل وربما سعي أو وجود مؤامرات لقتل النبي؟

يزيد من حدة التساؤل اللهجة الصارمة التي وردت أحيانا في حق بني إسرائيل، ووجود إشارات قرآنية لاستهداف حياة النبي، كما تشير لذلك الآيتين 27 و30 من سورة الأنفال، إذ ورد في الأولى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (الأنفال، 27)، وورد في الثانية: "وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" (الأنفال، 30).

يبدو أن الأمر يتجاوز البعد القصصي، خاصة مع هيمنة الجانب التاريخي في الآيات المدنية أكثر من غيرها، وهو ما يفسر النبرة الحادة التي كانت تجاه يهود المدينة، وأيضا الآيات القتالية التي نزلت في حقهم.

2-3- اقتتال اتباع الأنبياء

ارتبط القتل أيضا في الآيات المدنية بقتل الأنبياء، كما أشارت لذلك الآية 251 من سورة البقرة التي ورد فيها: "فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ" (البقرة، 251)؛ والآية 253 من نفس السورة، والتي ورد فيها: "تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ" (البقرة، 253).

والملاحظ أن هاتين الآيتين تربطان القتل بالمشيئة الإلهية، ويجوز التساؤل في هذا المقام، هل يرتبط الأمر بالقتل بمفهومه المادي أم الرمزي؟ وهل ربط الأمر بالمشيئة الإلهية تعبير عن مناخ سائد أو تشريع لحق الدفاع عن الدين؟ وسحب البساط من تحت أقدام أي طائفة تدعي أنها ممثلة للدين الصحيح؟ ألا يدخل الأمر في سياق تنصيص النص القرآني على حق الاختلاف الديني؟

2-4- القصاص والقتل

استمرارا لما سنته الآية 30 من سورة الاسراء، فيما يتعلق بالقصاص، فقد حددت الآيتين 92 و 93 من سورة النساء حدود القتل العمدي للمؤمنين، حيث ورد فيهما: "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ

وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا" (النساء، 92و93).

الملاحظ أن الآيتين استعملتا لفظة مؤمن عوض مسلم، والأول يرتبط بالإيمان كمفهوم أشمل ولا يقتصر على المسلمين وحدهم، وما يؤكد ذلك لفظة "قوم عدو لكم" والتي تؤكد شمولية هذا المفهوم، بمعنى أن القصاص حق وواجب لا يقتصر على أتباع محمد لوحدهم بل نقله لكل المؤمنين بالله، وبالتالي تؤكد هذه الآية توحيد العقاب، على غرار التوحيد الديني، وهو مفهوم للعقاب يستحق أن تفرد له دراسة لوحده.

أطرت آيتا القصاص في سورة النساء ثلاث حالات من القتل، هي:

- الحالة الأولى: أن يقتل مؤمن مؤمنا بالخطأ، وحدد النص القرآني عقوبتها في تحرير رقبة مؤمنة، ودية تسلم إلى أهل القتيل، كما سيفتح النص القرآني المجال لذوي الحق من أجل التنازل عن الدية باعتبارها صدقة، بمعنى آخر تصبح الصدقة هنا تعويضا لرغبة الثأر، وتحويل المشاعر العدائية إلى صدقة وزكاة وتطهير للنفس، يمكن القول أن الصدقة هنا تعتبر تساميا بالعنف نحو نقيضه.
- الحالة الثانية: قتل نفس بالخطأ من قوم عدو، وقد حدد النص عقوبتها في تحرير رقبة مؤمنة، مع إسقاط الدية المالية.
- الحالة الثالثة: قتل نفس من قوم معاهدين: حدد النص القرآني عقوبتها في دية تسلم إلى أهل المقتول، وتحرير رقبة مؤمنة، وفي حالة عدم الاستطاعة صيام شهرين متتابعين مع التوبة الى الله.

نقف إزاء ملاحظتان بخصوص القصاص في حالة القتل:

- الملاحظة الأولى: أن النص لم يتطرق إلى القتل العمدي حيث اكتفى بتوعد الفاعل بالعذاب الشديد والطرد من الرحمة، ونفي صفة الإيمان عمن يقتل عمدا. بمعنى الطرد من الانتماء لمن يمارس هذا الفعل، ما يدل على حرمته الشديد.
- الملاحظة الثانية: أن القصاص في الحالات الثلاثة، حضر فيه تحرير رقبة، وهو ما يحمل رمزية مهمة، فالقتل ازهاق روح، أما تحرير انسان من العبودية فهو بمثابة ولادة جديدة لها، فكأن القصاص يقر مبدأ حياة مقابل حياة، لكن عوض قتل نفس بنفس، فإنه يقر مبدأ ولادة نفس في مقابل نفس أزهقت، هي ثنائية الموت والحياة تحضر في فلسفة العقاب القرآنية المتعلقة بالقتل والنفس.

ثانيا: القتال في القرآن الكريم

1- القتال في القران المكي

ورد القتال في آية واحدة مكية وهي الآية 20 من سورة المزمل، والتي ورد فيها: "إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (المزمل،20).

تطرح هذه الآية عدة إشكالات، إذ أن لغتها تختلف قليلا عن الآيات المكية، كما أنها وردت في صيغة تنبؤية، ولعل هذا ما دفع البعض إلى اعتبارها آية مدنية، لكن أيا كان الأمر فإنها لا تقدم تصورا واضحا عن حضور القتال في القرآن المكي.

2- القتال في القران المدني

وردت آيات القتال في عدد مهم من الآيات المدنية، ويمكن تحديدها في: (البقرة، 154. البقرة، 190-193. البقرة، 216-217. البقرة: 244، آل عمران: 13، آل عمران: 111-112، آل عمران: 121، آل عمران: 144-146، آل عمران: 154-158، آل عمران: 167-169، آل عمران: 195، النساء: 66، النساء: 74-77، النساء: 84، النساء 89 – 91، المائدة: 33، الأنفال: 15-17، الأنفال: 30، الأنفال: 39، الأنفال: 65، التوبة: 5، التوبة: 12-14، التوبة -29، التوبة: 36، التوبة: 83، التوبة: 111، التوبة: 123، الحج: 39، الحج: 58، الأحزاب: 16، الأحزاب: 20، الأحزاب: 25-26، الأحزاب: 61، محمد: 4، محمد: 20، الفتح: 16، الفتح: 22، الحجرات: 9، الذاريات: 10، الحديد: 10-11، الحشر: 11-14، الممتحنة: 8-9، الصف: 4، المنافقون: 4

وباستقراء هذه الآيات يمكن أن نوزعها الى قسمين، يرتبط القسم الأول بالشروط التاريخية لإنتاجها، وصراعات مجتمع النبوة، الداخلية والخارجية؛ بينما يتضمن الثاني محددات وقواعد القتال.

2-1- القتال تاريخيا

تضمنت عدد من آيات القتال إشارات تاريخية، لمجتمع النبوة وصراعاته، يمكن تجميعها في عناوين كبرى، أو أساسية على الشكل التالي:

2-1-1 رفض القتال:

ارتبطت عدد من آيات القتال برفض القتال من طرف المسلمين، والملاحظ في هذا السياق، استحضار النص القرآني لقصص بني إسرائيل وتوليهم عن القتال، كما ورد في الآية 246 من سورة البقرة التي جاء فيها: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا

نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ" (البقرة، 246).

والآية 249 من نفس السورة التي جاء فيها: "فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ" (البقرة، 249).

كما جاءت الآية 24 من سورة المائدة بنفس المعنى، حيث ورد فيها: "قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ" (المائدة، 24)، ويبدو أن استحضار هذا الأمر، لم تملّه دوافع قصصية فقط، أو جدالية مع أهل الكتاب، بل لأن الأمر ارتبط بسياق تاريخي في مجتمع النبي، فمن خلال استقراء بعض آيات القتال يبدو أن التولي يوم القتال كان مطروحا في معسكر المسلمين كذلك.

تؤكد هذا الأمر بوضوح عدد من الآيات، فالآية 77 من سورة النساء جاء فيها: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا" (النساء، 77).

تحمل هذه الآية إشارة واضحة إلى اعتراض بعض المسلمين على تشريع القتال، وهو ما تؤكده أيضا الآية 216 من سورة البقرة، التي ورد فيها: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (البقرة، 216)، ولعل هذا ما جعل النص القرآني يخاطب النبي محمد في الآية 84 من سورة النساء بقوله: "فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا" (النساء، 84).

يبدو واضحا من خلال هذه الآيات أن قرار القتال، لم يكن مجمعا عليه في مجتمع النبوة، ما دفع النص القرآني إلى ربطه بالنبي والراغبين في القتال معه، كما تظهر ذلك آيات القتال، التي توزعت بين استحضار التجربة التاريخية لأنبياء بني إسرائيل مع تولي الأخيرين عن القتال، أو مخاطبة المسلمين بشكل مباشر.

2-1-2-التولي عند القتال والهزيمة:

تشير عدد من الآيات إلى حدوث هزائم عسكرية في فريق النبي، وتولي بعض المسلمين عنه، ويمكن تجميع هذه الآيات تحت معنى الهزيمة والتولي (الآيات من 142 الى 170 من سورة ال عمران، الآيات من 8 الى 20 من سورة الانفال، الآيات من 9 الى 21 من سورة الأحزاب، محمد 21، الفتح من 10 إلى 29).

إن استقراء كل هذه الآيات، يشير إلى وجود مناخ متوتر في مجتمع النبوة، خلال المراحل القتالية، وتولي العديد من المسلمين في المعارك التي كانت تدور، من ذلك مثلا ما ورد في الآيتين 154 و 155 من سورة آل عمران، واللتين جاء فيهما: "ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ" (آل عمران، 154و155).

وقعود البعض من المسلمين عن القتال تحت ذرائع وهمية تجنبا للقتال، كما تشير لذلك مثلا الآيتين 167 و 168 من سورة آل عمران: "وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ، الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (آل عمران، 167 و168)

وتطور الأمر من القعود عن القتال إلى الشماتة في فريق المسلمين عند الهزيمة، كما جاء في الآية 169 من سورة آل عمران التي ورد فيها: "الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (آل عمران، 169)

ويبدو أن هذا الوضع طرح أزمة في مجتمع النبوة، وهدد مرتكزاته، ما يفسر توزع اللغة القرآنية بين الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، من أجل رص صف فريق المسلمين، لدرجة تحريم الصلاة على من توفي من رافضي القتال، أو غير المشاركين فيه، واستحقاق العذاب والحرمان من الرحمة، وهو ما يرمز الى النبذ الاجتماعي، والحرمان من الانتماء في مجتمع يشكل الانتماء جوهره الأساسي؛ وبهذا المعنى يصبح القتل في صف واحد نوعا من اعلان الانتماء إلى الجماعة.

إضافة إلى هذا الحرمان المعنوي، فقد تمثل الحرمان المادي في منع الاستفادة من المكاسب المادية (المغانم أو الأنفال بالتعبير القرآني) المتأتية من العمليات القتالية، والتي يبدو أنها شرعت من أجل تجاوز هذا المناخ المتوتر، وتحميس غير الراغبين في القتال.

3-1-2-الخلاف بين المسلمين

من خلال سياق عدد من الآيات، أن صف المسلمين، لم يكن منسجما وموحدا، بل عرف معسكر المسلمين وقوع خلافات عديدة داخله، يبدو أن بعضها اتخذ طابعا مسلحا، أو عنيفا، يشير لهذا ما ورد في الآية 9 من سورة الحجرات: "وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" (الحجرات، 9)، كما أن مطلع سورة الأنفال يؤكد هذا الأمر، إذ جاء فيها: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (الأنفال، 1).

إن التأكيد على ضرورة إصلاح ذات البين، مع محاربة الفئة الباغية، والصيغة الحاسمة والحادة التي وردت بها، إضافة إلى ما نقلته سورة الفتح وآل عمران والحشر، تؤكد وقوع عدد من التوترات داخل معسكر المسلمين، دفعت إلى تشريع القتال دفاعا عن المظلومة ووحدة الصف أيضا.

ويبدو أن المغانم أو الانفال قد شكلت بدورها أحد أسباب الخلاف، كما تشير لذلك بداية سورة الأنفال التي جاء فيها: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" (الأنفال، 1). ولهذا كانت اللغة القرآنية حاسمة في تحديد المستفيدين من الأنفال، متوعدة بالعقاب كل الخارجين عن النسق العام الذي سنه الله والنبي.

4-1-2-شق الصف:

تشير عدد من الآيات على وجود طائفة داخلية، عملت على تثبيط همم المسلمين خلال الحرب، وهو ما تشير اليه الآية 81 من سورة النساء التي ورد فيها: "وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا" (النساء، 81)؛ كما أشارت لذلك الآيتين 88 و 89 من سورة النساء اللتين ورد فيها: "فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا، وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا" (النساء، 88و89).

يبدو من خلال ما سبق أن تشريع القتال بمفهومه الحربي قد طرح أزمة في مجتمع النبوة، وأنه لم يكن قرارا مجمعا عليه، من هنا نفهم تلك الصيغ الحادة التي وردت فيها، والتي وصلت الى التكفير والنبذ والإخراج من زمرة المؤمنون، فهي آيات ارتبطت بسياقاتها التاريخية المتوترة؛ وأن المغانم بدورها عوض أن تصبح عنصر تحميس ودافعا للقتال، أصبحت أحد جذور الأزمة في مجتمع النبوة، ما جعل اللغة القرآنية تتميز بالقطعية والحدة عند تناولها لهذا الموضوع.

2-2- محددات القتال

من خلال تجميع آيات القتال، واستخراج المحددات الأساسية للقتال، يمكن تسجيل المحددات الأساسية التالية:

2-1- القتال في سبيل الله

أشار النص القرآني إلى أن القتال يجب أن يكون في سبيل الله، كما أشارت لذلك عدد من الآيات، من بينها الآية 190 من سورة البقرة، التي ورد فيها: " وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" (البقرة، 190)، والآية 13 من سورة آل عمران، التي ورد فيها: "قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ" (آل عمران، 13)

يجعل هذا المحدد من القتال مهمة مقدسة متعالية عن البعد المادي، فالقتال لا يكون في سبيل مغانم أو فتوحات فقط، ولكن أساسا في سبيل الله، وهكذا يرتبط هذا الفعل بالمتعالي والقدسي، ما يجعل من المسلم المقاتل ممثلا له على الأرض.

2-2- القتال دفاعي:

تشير آيات القتال في النص القرآني إلى أن القتل لابد أن يكون دفاعيا، إذ لا يبدأ المسلمون بالقتال، وهذا الأخير يجب أن يكون دفاعا عن المستضعفين، كما تشير لذلك عدد من الآيات. ليصبح بهذا مهمة نبيلة، يزيد من قداسته، إنه قتال في سبيل الله لرد الأذى عن المستضعفين، ويقدم هكذا صورة يمتزج فيها المقدس بالدنيوي، والمتعالي بالمستضعف، يستدمجها المسلم المقاتل، وهي نموذج لأخلاق المروءة والشهامة التي كانت سائدة في تلك البيئة، مع ربطها بالمقدس.

2-3- مراعاة الحرمة:

وردت الآيات القرآنية بالنهي عن القتال في المسجد الحرام إلا دفاعا عنه، كما ورد في الآية 191 من سورة البقرة، والتي ورد فيها: "وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ

جَزَاءُ الْكَافِرِينَ" (البقرة، 191)، وكذلك النهي عن القتال في الأشهر الحرم إلا في حالة الاعتداء كما جاء في الآية 194 من نفس السورة: "الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ" (البقرة، 194).

هكذا يصبح المسلم المقاتل في سبيل الله دفاعا عن المستضعفين، مراعيا للحرمة، فينتقل القتال من سفك الدم، إلى مراعاة المحرم أو الحرمة (المقدس) والدفاع عنه مكانا وزمانا.

2-4- المعاملة بالمثل:

نصت آيات القتال على عدم الاعتداء، أو الإسراف في القتل، والاعتداء بمثل ما تم الاعتداء به المهاجم، كما أشارت لذلك الآية 191 من سورة البقرة، والتي ورد فيها: "وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ" (البقرة، 191).

تشكل هذه الآية ضابطا أمام نوازع العنف التي قد تتحكم في المسلم المحارب، ولهذا ربما نص القرآن على التوقف عن الحرب فور توقف المعتدي.

2-5- الامتناع عن قتل المعاهد:

منعت آيات القتال محاربة المعاهد الملتزم بعهده، فالقتل يتجه إلى غير المعاهد، أو الى ناكثي أيمانهم، أما المعاهدون فلا مانع من الإقساط إليهم والبر بهم، أو الإحسان إليهم، كما ورد في الآيات من 1 الى 15 من سورة التوبة.

2-6- منع قتل المرغم:

إضافة إلى هذا نهت الآيات القرآنية عن قتل المرغمين على القتل كما جاء في سورة التوبة، وفرضت على المسلمين اجارة المحارب المستجير الى ان يبلغ مأمنه كما اشارت لذلك الآية السادسة من سورة التوبة، والتي ورد فيها: "وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ" (التوبة، 6)

خلاصة

بناء على ما سبق نسجل وجود القتل والقتال في النص القرآني على عدة مستويات، ارتبط القتل فيها بمستويات عديدة، منها التشريعي من خلال سن القصاص عقوبة للقاتل ظلما وسفك الدم، وهو الأمر الذي استمر من مكة الى المدينة، كما نهى النص القرآني المكي عن قتل الأولاد سواء قرابينا او خشية من الفقر، بيد أن هذا الامر لا يجد صداه في الآيات المدنية، ما يؤشر على تغير الوسط الاجتماعي والثقافي ومعتقداته بين المرحلتين إضافة الى تغير المناخ الاقتصادي.

من جهة أخرى، ارتبط القتل بالبعد القصصي، والملاحظ في هذا السياق، استحضار قصص بني إسرائيل، مع تسجيل تحول في نوعية القصص من مؤامرات الكفار على الأنبياء، إلى قتل بني إسرائيل للأنبياء بغير حق، وهو ما لا يخلو من دلالة تاريخية، إذ يبدو أن المؤامرات استهدفت حياة النبي كان مصدرها في البداية مشركي مكة، ثم بني إسرائيل في المرحلة الثانية من تشكل الخطاب القرآني (المرحلة المدنية) وهو ما وردت الإشارة إليه بشكل واضح.

أما القتال فلم يحضر في الآيات المكية إلا في آية واحدة، يظل السؤال مطروحا حول انتمائها للقران المكي، نظرا لصيغتها وأسلوبها، أما في الآيات المدنية، فيبدو واضحا أن تشريع القتال لم يكن بالأمر الهين، ولم يتم تقبله بشكل كبير، بل شكل أزمة داخل مجتمع النبوة، خاصة مع وقوع هزائم عسكرية ألقت بظلالها على المسلمين، وساهمت في فرقته، لدرجة وقوع خلافات تطلب إصلاح بينها التشدد في مقاتلة الفئة الباغية.

من جهة أخرى، يبدو أن هزائما عسكرية لحقت بالمسلمين بسبب اضطرابات في صفوف المسلمين، وتولي العديد منهم عن القتال، والفرار من المعارك، بل ورضي عدد منهم بالقعود مع "الخوالف"، ويبدو أن هذه الظاهرة قد وصلت من الكثرة والانتشار درجة جعلت النص القرآني يمنع الصلاة على القواعد والشامتين، وتحريم الوقوف على قبرهم، ما يعني النبذ الاجتماعي (حياة وموتا) واعتبارهم خارج نسق المجتمع المسلم، وهو ما لا يمكن فهمه إلا باستحضار أهمية الانتماء في مجتمع الدعوة، حيث بدأت تتلاشى الروابط القبلية لصالح روابط أخرى.

من جهة ثالثة، تشير آيات القتال الى وجود فئة أو طائفة عملت على شق صف الرسول ومن معه، وهو ما جعل النص القرآني يشرع اشد العقوبات في حقهم.

على مستوى آخر، تأطر القتال في النص القرآني بستة قواعد أساسية، هي: أن يكون القتال في سبيل الله، وأن يكون دفاعيا لا هجوميا، وأن يراعي الحرمة مكانا وزمانا، وأن يقوم على المعاملة بالمثل، وعدم الاعتداء، وأن يتم الامتناع عن قتل المعاهد والمستجير.

لقد رفعت هذه القواعد القتال إلى مستوى المقدس الذي يمتح من المتعالي السماوي، من خلال ربطه بالله (القتال في سبيل الله)، وتحويله الى مهمة نبيلة تتمثل في الدفاع عن المستضعفين، مع فرملة أي نوازع للعنف، يمكن ان تحول هذه المهمة عن معانيها الأساسية، يصبح القتال بهذا المعنى إعادة صياغة للعنف وربطه بالمهمة الإنسانية المتمثلة في دفع الفساد واحقاق العدالة والعدل، ويصبح المسلم حاملا لهذه الرسالة، التي يلقى فيها ثوابا مضاعفا، يتمثل في المغانم دنيويا، والجنان آخرويا

قد يجوز التساؤل هل كان للمناخ المضطرب الذي تم فيه تشريع القتال داخل المجتمع الإسلامي دور في صياغة هذا التصور للقتال، من أجل ربطه بالمتعال وبالقيم الأخلاقية (الشجاعة، المروءة، الفروسية ...) التي تصبح قيما عليا متعالية، موازاة مع تشريع الحصول على المكاسب والمغانم المادية؟ أم أن هذا الامر يتعلق بصياغة لمفهوم العنف والقتال في مجتمع النبوة؟ أم أنها عملية تطوير وضبط لنوازع العنف بدأت مع تقنين حالات القتل الفردي وصولا للجماعي؟

ISSN : 2625 - 8943

النظرية والمنهج في اللغة والأدب

Theory and method in language and literature

حمزة رشيد، طالب باحث في سلك الدكتوراه،
Hrachid012@gmail.com
جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال المغرب

ملخص:
يعد الأدب فنا تعبيريا ثقافيا يعبر عن الأمم والمجتمعات ويعكس تاريخهم ونموهم وفكرهم وبنيانهم، أما اللغة فإلى جانب وظيفتها التواصلية فهي تعتبر نسقا من الإشارات والرموز، تشكل أداة من أدوات المعرفة، وتعتبر اللغة أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة (حسب موقع باك مشين). وهذا التداخل بين اللغة والأدب باعتبار الأولى وسيلة تعبير يستخدمها الأديب من أجل الإفصاح عن ما يجول بخاطره فإنهما يحتاجان إلى نظرية ومنهج يُوصِلان توجه المعبر ناثرا كان أو شاعرا من أجل توجيه المتلقي، وعليه فإن هذه الدراسة توجه الأنظار نحو النظرية والمنهج في اللغة والأدب.
كلمات مفتاحية: الأدب، اللغة، النظرية، المنهج.

Abstract :
Literature is a cultural expressive art that expresses nations and societies and reflects their history, growth, thought, and structure. As for language, in addition to its communicative function, it is considered a system of signs and symbols, constituting one of the tools of knowledge, and language is considered the most important means of understanding and interaction between members of society in all fields of life (according to the website Pak Mashin). This overlap between language and literature, as the former is a means of expression used by the writer in order to express what is on his mind. They both need a theory and method that communicates the direction of the expresser, whether prose or poet, in order to guide the recipient. Accordingly, this study directs attention towards theory and method in language and literature.
Key words : Literature, language, theory, method.

مقدمة:

الأدب هو أحد أشكال التعبير الإنساني عن مجمل عواطف الإنسان وأفكاره وخواطره وهواجسه بأرقى الأساليب الكتابية التي تتنوع من النثر إلى النثر المنظوم إلى الشعر الموزون لتفتح للإنسان أبواب القدرة للتعبير عما لا يمكن أن يعبر عنه بأسلوب آخر. يرتبط الأدب ارتباطاً وثيقاً باللغة ، فالنتاج الحقيقي للغة المدونة والثقافة المدونة بهذه اللغة يكون محفوظاً ضمن أشكال الأدب وتجلياته والتي تتنوع باختلاف المناطق والعصور وتشهد دومًا تنوعات وتطورات مع مر العصور والأزمنة، وثمة العديد من الأقوال التي تناولت الأدب ومنها ما قاله وليم هازلت (إن أدب أي أمة هو الصورة الصادقة التي تنعكس عليها أفكارها). وعليه وجب تحديد ماهية النظرية والمنهج في توجيه اللغة والأدب معا.

تعاريف:

في تعريف النظرية:

جرى استخدام مصطلح "النظرية" في معظم العلوم التي اشتغل بها الإنسان، والنظرية من حيث اللغة مشتقة من لفظ نظر، وهو كما يذكر ابن منظور: أي نظر العين ونظر القلب ، والنظر أيضًا هو الفكر في الشيء تقدره وتقيسه.(الموقع التالي: https://www.alukah.net/socia

والنظرية مصطلح علمي يختلف من حيث الدلالة عن بعض المصطلحات التي تشترك معه في الحقل الدلالي نفسه، كمصطلح وجهة نظر، أو رأي، أو اتجاه؛ فالنظرية أكثر دقة وصدقًا، كما أنها تطورت عن طريق فنيات العلم أو بواسطة منطق مطور متبعة قواعد متشددة في ذلك بخلاف المصطلحات الأخرى، وللنظرية دور بناء في تطوير المعرفة في حين أن المفاهيم الأخرى ليس لها هذا الدور(بوشامب، 1987، ص: 25)

وفي ذلك ينقل الدكتور علي مدكور أن النظرية العلمية هي محاولة لتفسير عدد من الفروض أو قوانين الطبيعة من خلال وضعها في إطار عقلي عام.(مدكور، 2006، ص: 46)

وقد عرفها كابلان بقوله: "إن النظرية هي الطريقة لعمل شيء ذي معنى لموقف يعيق المسيرة، بحيث تسمح لنا بفاعلية كبيرة تكوين عادات وتعديلها، وربما التخلص من بعضها، وإحلال عادات اخرى جديدة كلما تطلب الموقف ذلك" (سعادة، و إبراهيم، 2016، ص: 391)

بناء على ما سبق نستنتج أن النظرية هي توضيحات عامة تسمح لنا بدراسة وفهم ظواهر وحوادث كثيرة متشابهة بدلًا من دراسة كل حادثة على حدة.

في تعريف المنهج:

عند النظرة إلى المنهج بوصفه مصطلحًا لغويًّا، نجد أن ابن منظور يعرفه بأنه الطريق البين الواضح، ونهج الطريق، أي: أوضحه، وقد جاء في القرآن الكريم ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: 48]، وفسَّر ذلك ابن كثير بأنه الطريق السهل الواضح والسنن والطرائق.(مدكور، ص: 56)

ولعل أكثر التعريفات تقريبا لمفهوم "المنهج" هو التالي: المنهج هو اختيار وتنظيم للخبرات التعليمية التي تبدو مهمة لتطوير شخصية ومجتمع الطلبة. يشمل المنهج المعلومات، والقيم، والسلوكيات، والمهارات التي يجب اختيارها جيداً وترتيبها بشكل يتناسب مع احتياجات التطور لكل مرحلة عمرية وتعليمية. (INEE. (2010). Guidance Notes on Teaching and Learning.)

فالمناهج عبارة عن مجموعة من الإجراءات المتتابعة والمنطقية، والتي تستهدف دراسة موضوع علمي.وهي عبارة عن طريقة للتفكير المنظم، وغايتها بلوغ الباحث لنتائج علمية تتعلق بظاهرة أو مشكلة. وهي مجموعة من الطرق التطبيقية المنهجية المتبعة عند عمل الأبحاث العلمية، لحل إشكالية تمثل أمرًا يصعب فهمه. (https://mobt3ath.com/dets.)

في تعريف اللغة:

اللغة عند ابن جني هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.(ابن جني، ص: 33)

أما فرديناند دي سوسير فقد فرق بين اللغة والكلام قائلاً: "إن اللغة والكلام عندنا ليسا بشيء واحد، فإنما هي منه بمثابة قسم معين وإن كان أساسيًا، والحق يقال، فهي في الآن نفسه نتاج اجتماعي لملكة الكلام ومجموعة من المواضعات يتبناها الكيان الاجتماعي، ليمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة. وإذا أخذنا الكلام جملة بدا لنا متعدد الأشكال متباين المقومات موزعًا في الآن نفسه، إلى ما هو فردي، وإلى ما هو اجتماعي... أما اللغة فهي على عكس ذلك، كل بذاته ومبدأ من مبادي التبويب ".(دي سوسير، 1986، ص: 29)

في تعريف الأدب:

يشمل الأدب عامة كلَّ ما أنتجه عقل الإنسان، وكان له أثر من آثار تفكيره، وهو يرادف لفظ الثقافة، فالعلوم الفلسفية والرياضية والطبيعية والاجتماعية واللسانية، وكلُّ فن من الفنون الجميلة كالشعر والكتابة، وكلُّ ما يدعو إلى تثقيف العقل يدخل في باب الأدبِ بمعناه العامّ، وقد استدلُّوا على المعنى العامّ للأدب بتعريف الحسن بن سهل (ت 236هـ) إيَّاه بقوله: "الآداب عشَرة: فثلاثة شهرجانية، وثلاثة أنوشروانية، وثلاثة عربية، وواحدة أربَت عليهنَّ، فأما الشهرجانية، فضربُ العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج، وأما الأنوشروانية، فالطبُّ والهندسة والفروسية، وأما العربية، فالشعر والنسب وأيام العرب، وأما الواحدة التي أربت عليهن، فمقطَّعات الحديث والسمر وما يتلقّاه الناس بينهم في المجالس"، كما أُلِّفت

كتبٌ كثيرة في الأدب بمعناه العامّ منذ أواسط القرن الثالث حتى أواسط القرن الخامس الهجريّ، ومنها الأدب الكبير والأدب الصغير لابن المقفع.(صديق، 2011)

يمكن تلخيصه بتعريف جامع شامل يحاول التوفيق بين تعريفات المُحْدَثين، فيكون: هو كل ما يؤثّر في النفس من نثرٍ رائع وشعرٍ جميلٍ، يُراد به التعبير عن مكنون العواطف والضمائر وسوانح الخواطر بأسلوب إنشائيٍّ أنيق، يُطلَق على الشعر والنثر الفنيّ فحسْب.(السويكت، 2016، ص: 23)

ويمكن بالتالي تعريف الأدب بأنه "هو كلُّ شيء قيد الطبع".

وهناك من يقصر الأدب على فنّ الأدب التخييلي الابتداعي. والكتابة التخييلية - بحسبهم - هي التي تصدر من الخيال فلا تطابق الواقع.

وهناك من يعرّف الأدب بأنه كل كتابة تستخدم اللغة استخداماً خاصًّا تختلف عن استخدامها في الحياة اليومية والعلمية.

نظريات في دراسة المنهج اللغوي والأدبي:

إن جميع الدراسات الإنسانية الأجنبية ومن بينها الأدب والنقد تتقدم بخطى واسعة، وتزداد علمية وغناء، على حين لم تزل دراسة الأدب لدينا، ولاسيما في مؤسساتنا التعليمية، مضطربة بين التعميم والسطحية والعجلة في البحث وعدم وضوح الرؤية.

وكان من بين مظاهر النهضة العربية الحديثة، محاولة خدمة الأدب وتقديمه إلى الأجيال الجديدة من خلال فهم يخالف الفهم التقليدي الموروث للأدب ورسالته في الحياة. وقد وُجِدَت نتيجة المراجعة النقدية والتفتح الفكري على طرائق البحث المنهجي في دراسة الأدب الغربي.. وُجِدَت عدة نظريات في دراسة المنهج الأدبي وربطه بالحياة الحديثة وتقديمه ضمن المقررات الدراسية.

ويمكن حصر تلك النظريات فيما يأتي: (حسين، 2012)

- النظرية المدرسية أو التقليدية.
- نظرية الفنون الأدبية.
- نظرية المذاهب الفنية.

النظرية المدرسية أو التقليدية:

وهي أثر من آثار المزاوجة بين لونين من ألوان التأريخ الأدبي: اللون العربي بكل خصائصه القديمة التي عَلِقَتْ بها السياسة وشغلتها حياة القصور والصراع على السلطة. واللون الذي أرخ الأدب الغربي في أوربا، والذي تجاوز حياة الحاكم وحاشيته إلى حياة العامة والتجارب الذاتية للشعراء والصدق في التجربة والتعبير. وقد سادت هذه النظرية مؤلفات أولئك الرواد في التأليف الأدبي المدرسي مثل:

حسن توفيق العدل، والمرصفي، والإسكندري، وجرجي زيدان، وأحمد حسن الزيات، وأحمد أمين. وقد التزم هؤلاء - على تفاوت فيما بينهم - بتقسيم الأدب إلى عصور خمسة. يقول أحدهم - وهو الزيات - في كتابه المدرسي ((تاريخ الأدب العربي)): ((التاريخ الأدبي وثيق الصلة بالتاريخ السياسي والاجتماعي لكل أمة، لذلك اصطلحوا على أن يقسموه على حسب العصور التاريخية والانقلابات الاجتماعية، واتفق أكثر كتابنا على أن يقسموا تاريخ أدبنا إلى خمسة أعصر: عصر الجاهلية - عصر ابتداء الإسلام - عصر الدولة الأموية - عصر الدولة العباسية والأندلسية - عصر الدول المتتابعة إلى هذا العهد)). ونتجت عن تطبيق هذا المنهج في معظم المؤسسات التعليمية حتى الآن آثار سيئة في فهم معنى الأدب ورسالته، لارتباطه في أذهان الطلاب دائمًا بالحاكم والتيارات السياسية المصطرعة في كل عصر. (حسين، 2012)

وامتد تأثير هذه المدرسة إلى كثير من المؤلفات التي أرخت للحياة الفكرية، والحضارية بعامة، مثل سلسلة أحمد أمين: فجر الإسلام، وضحى الإسلام، وظهر الإسلام، ومثل تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم.. وازداد التيار اشتدادًا فامتد إلى كثير من الدراسات الأكاديمية في الجامعات العربية.. وبات ذلك التقسيم وكأنه قانون لا يُنقَض، وبديهة لا تُناقَش.

وكان من أوائل الذين ناقشوا هذا الاتجاه وتعقبوه بكثير من الملاحظات، طه حسين في كتابه ((تجديد ذكرى أبي العلاء)) وفي مقدمة كتابه ((في الأدب الجاهلي)) الذي أثار زوبعة كبيرة على امتداد سنوات طويلة. ولم يكتف طه حسين بزلزلة أركان النظرية المدرسية، ومضى يحاول إقامة بنيان آخر تبدو فيه العناية الأولى بالظواهر الأدبية، بغضِّ النظر عن توافقها مع الأحداث السياسية أو تنافرها معها. وقد طرح أفكاره تلك من خلال مقاييس ثلاثة هي: المقياس السياسي، والمقياس العلمي، والمقياس الأدبي. (حسين، 2012)

أما الأستاذ أحمد أمين، فعلى الرغم من تقسيمه لعصور الحياة العقلية في سلسلته المذكورة على نمط التقسيم الزمني في هذه النظرية، فإنه كان ينبِّه إلى كثير من الملاحظات القيِّمة التي انتقد من خلالها هذه النظرية التقليدية في أسلوب هادئ ودراسة متزنة.

كذلك أسهم الأستاذ أمين الخولي في الكشف عن مساوئ النظرية المدرسية، وأثار عددًا من الملاحظات الواعية العميقة، ثم حاول هو أيضًا إيجاد تصور جديد: ((انظر كتابه: في الأدب المصري)). وهكذا تعرضت هذه النظرية لانتقادات هؤلاء الأعلام، وإن كانوا قد سُبِقُوا بنوع من التشكيك الهادئ لها على يد جرجي زيدان في مقدمته لكتابه ((تاريخ آداب اللغة العربية 1911م)). (حسين، 2012)

أما أهم المآخذ التي تمخضت عنها تلك الانتقادات وفطن إليها بعض الدارسين في العقود التالية، فهي كالآتي: (حسين، 2012)

1- أن هذه النظرية - كما رأينا - درست الأدب العربي على أساس قسمة العصور قسمة تاريخية لا أدبية. وعلى الرغم من شدة الارتباط بين الأدب والتاريخ، فإن منهج هذه النظرية لا يؤدي مهمته المطلوبة مهما كانت وشائج ذلك الارتباط، كما أن مقاييسها تظل رهن المعايير التاريخية القديمة المتوارثة، التي تحتاج هي نفسها إلى إعادة تقنين ليمكن إعادة كتابة تاريخ أمتنا كتابة علمية موضوعية دقيقة.

2- أنها وضعت حدوداً فاصلة بين الآداب طبقًا لحدود العصور، على حين أن العصور تتداخل والآداب تتشابك والنماذج تختلط. ثم إنها أهملت إلى حد كبير الأساس المكاني وتأثير البيئة في النتاج الأدبي. وقد أدى هذا الإهمال فيما بعد إلى بروز الاتجاه الإقليمي في الدراسة الأدبية، وتباين الأحكام الأدبية تباينًا غريبًا هو أقرب إلى التناقض، وأدنى إلى التضاد.

3- أنها أهملت النوازع الفردية وخصائص الإبداع الذاتي عند الأدباء، وذلك بسبب طغيان المقياس الزمني الأفقي. وقد جنى هذا على مئات من الأدباء الذين أغرقتهم هذه النظرية في تيار التعميم السطحي الذي لا يثبت عند التحقيق والفحص العميق وتطبيق بعض المناهج الأخرى على أولئك الأدباء.

4- توجيه كل العناية إلى مشاهير الأدباء، وتركيز الاهتمام فقط على اللامعين عبر كل العصور، ثم إصدار الأحكام النقدية من خلال أعمالهم. أما الأصوات الفنية الأخرى - على اختلاف ألوانها ودرجاتها - فقد تجوهلت وكأنها لم توجد على الإطلاق، على الرغم من اتسام كثير منها بالعبقرية والخصوبة والتفرد في الإبداع.

5- لحق هذه النظرية كثير من الجمود، واستحالت الدراسة إلى أداة حكم وتقويم بالرقي والانحطاط والرفعة والتردي والازدهار والاضمحلال، بدلاً من أن تكون أداة وصف ورصد للحياة الأدبية بكل ألوانها وأنماطها.

وعلى كل حال، فالذي لاشك فيه أن هذه النظرية لها دور الريادة بما للريادة عادة من مآخذ التجربة والمحاولة الأولى. كما أنها مهدت تمهيدًا طيبًا لدراسة الأدب العربي، وكانت هي المنطلق والحافز من خلال نقدها وتتبع عيوبها، بحثًا عن مناهج جديدة وأساليب أشمل وأدق. ولقد تفتح الفكر الأدبي فوجد أن النظرية المدرسية هذه لم تعد تفي بحق الدراسة، فتمرد عليها، وسعى نحو نظرية أخرى بديلة.

نظرية الفنون الأدبية:

يذكر حسين عبد الحليم أن البذور الأولى لهذه النظرية وجدت عند جرجي زيدان في مقدمة كتابه ((تاريخ آداب اللغة العربية)). وهي نظرية ترصد تطور الفنون الأدبية منفصلة فنًا فنًا، وتبرز ظواهرها عبر العصور

رقيًا وانحطاطًا، استقامة والتواء، قوة وضعفًا، كما تتبع منابع كل فن والروافد التي غذته، والقنوات التي اتصل من خلالها بغيره فترك آثاره فيه. إنها بصورة أخرى رسم بياني دقيق لتاريخ كل فن، أو كل غرض، ورصد صادق لسيرته الذاتية وعلاقته بسائر أشقائه في الأسرة الأدبية.

إن هذه النظرية تمكننا من الاستفادة من التسلسل الزماني والعامل الإقليمي ومعرفة تأثيرهما في تطور أي غرض شعري أو فن أدبي، كما تجعلنا على اتصال مباشر بالنصوص المدروسة ذاتها وفحصها فحصًا حيًا فيه معاناة ومعايشة. إنها نظرية تنتهج الاستقراء منهجًا لتجلية المغمورين الموهوبين من الأدباء، وتناولهم بالقدر الذي يُتناول به الأعلام اللامعون في مختلف الأعصر والبيئات. (حسين، 2012)

وهذه الطريقة تفيد أكبر فائدة في الموازنة بين النماذج الأدبية من حيث الشخصية والأسلوب، وترهف الحس النقدي عند الدارس لإدراك دقائق الظاهرة الفنية وتحديد الخصائص المشتركة بين الأطراف المقارن بينهم.

وأسلوب هذه النظرية يُعود على التريث والتدقيق والتقصي ويعمل على تبرئة الأحكام الأدبية - قدر الإمكان - من السذاجة والسطحية والتعميم. إنها ترفض الأحكام العامة الفضفاضة التي تستغرق عصرًا بأسره، بجميع كتابه وشعرائه وخطبائه وتتجه نحو التناول الفردي، بل تتخصص في تناولها فتقصره على غرض واحد فقط، أو فن مستقل بذاته من فنون الأديب.

وإذا كانت بعض النظريات تقيم من نفسها قاضيًا يتكلف إصدار الأحكام، أو وصيًا يصدر الإرشادات ويحدُّ الحدود، فإن نظرية الفنون الأدبية لا تسعى إلى ذلك ولا تؤمن به، وإنما تتمخض أحكامها النقدية بعد طول فحص وتحليل، ووصف عفوي دقيق. وهي أيضًا لا ترتبط بالتاريخ السياسي ذلك الارتباط السلبي الدائم، بل تعتبره عنصرًا من بين عناصر كثيرة متعددة، تتداخل وتتفاعل لتكيف أدب كل أديب وتطبعه بطابعه المميز الخاص.

وأخيرًا فهذه النظرية ذات أثر طيب في نفوس المتلقين من دارسين وقراء عاديين على السواء. فهي باستعراضها لحياة أي فن أدبي أو غرض فني بصورة متسلسلة دقيقة، تجلو جوانب الكمال وملامح الجمال، كما ترصد نقاط الضعف والنقص. ثم هي فوق ذلك تكشف عن صلة ذلك الفن أو ذلك الغرض بسائر الفنون والأغراض في اللغة الأم وفي الآداب العالمية المعروفة.

ولكن.. شأن كل شيء في الحياة لا يمكنه بلوغ درجة الكمال المبرَّأ عن المآخذ، نجد أن هناك بعض الملاحظات على هذه النظرية، وذلك بمقارنتها بالنظريات الأخرى في هذا المجال، وأبرز تلك المآخذ: (حسين، 2012)

1- تجزئة النتاج الأدبي عند دراسته. ذلك أنها تدرس نتاج الأديب موزَّعًا بين الفنون، أو الأغراض المختلفة. فالمتنبي مثلاً يُدرس مرة في شعر المديح، ومرة في شعر الوصف، وحينًا في فن الهجاء، وحينًا آخر في فن الفخر. ومن هنا تتفتت شخصية الشاعر ويتجزأ نتاجه. وهذا لاشك يفقدنا التصور الكامل لجوانب الإبداع وألوانه المختلفة عند الشاعر الواحد، ويضيع علينا الإلمام الشامل بخصائص شاعريته.

2- تهمل هذه النظرية صاحب النص المدروس وتتجاهل سيرته الذاتية ومدى انعكاسها في أدبه، فلا تلتفت إليه إلا لمامًا وبقدر ضئيل. والحق أن هذا الإهمال هو إسقاط لرصيد ضخم عظيم الأهمية في الدراسة الأدبية.

3- هناك صعوبة كبرى تواجه هذه النظرية وتحول دون قيامها منهجًا متكاملاً للدراسة الأدبية الوافية. ومنشأ هذه الصعوبة عائد إلى واقع الأدب العربي، وإلى طبيعة الشعر فيه بصورة أخص. فالقصيدة العربية ظلت حتى العصر الحديث لا تعرف وحدة الموضوع وإنما تعرف وحدة البيت؛ حتى لقد عُد من العيوب الفنية في الصناعة الشعرية أن يتصل البيت بالبيت الذي يليه اتصالاً نحويًا وثيقًا يقوم على ترابط المعنى. وقد مكن هذا من تنوع الموضوع داخل القصيدة الواحدة، بأن يكون لها غرض أساسي تنشأ من أجله، وأغراض جانبية مساعدة تلتفّ من حوله.

وينتهي بنا مثل هذا التنوع في أغراض القصيدة إلى تجزئتها - عند تطبيق نظرية الفنون الأدبية - طبقًا لأغراضها، ولاشك أن هذا يبدد خصائص العمل الأدبي، ويمزق وحدته، ويطمس كثيرًا من معالمه ويحطم الإطار العام له. ليس هذا في الشعر فقط، بل إن كثيرًا من النصوص النثرية ذات الموضوعات المتعددة، أو ذات الغرض الأساسي والأغراض الجانبية الفرعية، هي أيضًا من العوائق الكبرى التي تحول دون تطبيق نظرية الفنون واستغلال جوانبها الإيجابية الكثيرة.

تلك هي وجوه النقد ونواحي الصعوبة والنقص التي تتعرض لها نظرية الفنون. ومع ذلك، فقد وُجد لها في البيئة الجامعية بوجه خاص، من يأخذ بها ويعمل على هديها. فقامت دراسة ((شعر الطبيعة في الأدب العربي)) للدكتور سيد نوفل، ودراسة ((شعر الحرب في أدب العرب)) للدكتور زكي المحاسني، ودراسة ((الهجاء والهجاءون)) للدكتور أحمد حسين. ثم تتالت دراسات الدكتور شوقي ضيف وغيره من أساتذة الجامعات العربية، فصدرت دراسات مستقلة عن: الفخر والحماسة والمديح والرثاء والغزل والهجاء والوصف... ثم دراسات عن الخطابة وفنون النثر: كالرسائل والمقامات، وأدب الرحلات، وعن الموشحات والأزجال والدوبيت، وعن الملحمة والقصة وجذورهما في الأدب العربي القديم. وهي في جملتها جهود مشكورة، كل منها يفيد من الآخر، ويحاول أن يتم نقصه المنهجي ويتلافى ما وقع فيه من مآخذ وعيوب فنية.

وفي النهاية يهمنا أن نعرف الفرق بين النظريتين: المدرسية، والفنون الأدبية، وهو أن الأولى: تقوم على التركيب الذي يفتقد التحليل، وأن الثانية: تُعنى بالتحليل الذي يتعذر معه التركيب. وبناء على هذه الحقيقة، تطلع الفكر الناقد إلى مناهج أخرى، تجمع بين مزايا هاتين النظريتين وتتجنب عيوبهما. (حسين، 2012)

نظرية المذاهب الفنية:

فحسب حسين عبد الحليم فإن هذه النظرية عرفت سبيلها إلى الأدب العربي في مرات متعاقبة. واتخذت أشكالاً أقرب إلى الغموض مرة، وأقرب إلى الوضوح مرة أخرى، واستمسك بها جماعة من مؤرخي الأدب ونقاده في القديم، ثم التزم بها جماعة آخرون في العصر الحديث. ولقد حاول القدماء تلمُّس المدارس الأدبية عن طريق رصد خطى الشعراء وتتبُّع أساليبهم الفنية من خلال المعارك النقدية وقسمة الشعراء إلى طبقات.

وكان أول من تطرق لقضية المذاهب الفنية من المحدثين الشيخ حسن المرصفي في كتابه ((الوسيلة الأدبية)). ففي هذا الكتاب الرائد كثير من النظرات الصادقة والآراء النافذة التي رمت إلى إقامة دراسة جديدة على أساس من مذاهب الشعراء والأدباء ومن طرائقهم الفنية. ثم جاءت خطوة الخالدي في كتابه ((فيكتور هوجو وعلم الأدب عند الفرنج والعرب)) 1904م، حيث قسم الشعراء العرب إلى أربع طبقات، وهي قسمة متأثرة بالمذاهب الفنية أكثر من تأثرها بأي نظرية أخرى.

وتطورت الحياة العلمية، وبدأ التفاعل بين الثقافة الغربية التقليدية، والثقافة المستقاة من الأمم الغربية، فاتخذت نظرية المذاهب الفنية شكلها التطبيقي الواضح في عملين اثنين: (حسين، 2012)

أولاهما: دراسة مبكرة لطه حسين عن مدرسة زهير بن أبي سُلمى في الأدب.

وثانيهما: دراستان لشوقي ضيف:

الأولى: بعنوان ((الفن ومذاهبه في الشعر العربي)) وهي أطروحته للدكتوراه.

والثانية: بعنوان ((الفن ومذاهبه في النثر العربي)).

ومع نمو البحث العلمي في مختلف الجامعات العربية، وشيوع الوعي الثقافي الحديث، واتصال كثير من الأدباء والباحثين بمنابع المعرفة في البلاد الغربية مباشرة، نما الاهتمام بنظرية المذاهب الفنية وتوالت الدراسات الأكاديمية والعامة، وصدرت عشرات من الكتب ومئات من الأبحاث في المجلات المتخصصة.

ونقف عند خصائص هذه النظرية، فنجدها تتمثل فيما يأتي: (حسين، 2012)

1- الوحدة الفنية: وهي تتبع الخصائص الفنية عند جماعة من الأدباء، أو من الشعراء ذوي الاتجاه المتقارب والمسالك المتوازية، وتجميع السمات التي تجمع بينهم بغض النظر عن عوامل الزمان أو المكان التي توحد أو تفصل بينهم.

2- التركيز والتدقيق واستفراغ الجهد والغوص في دراسة وجوه الاختلاف والاتفاق بين الأدباء، ورصد سمات الأسلوب وعناصره كلها. وهو موقف يتجنب السطحية والتسرع والتعميم، ويمضي في جدية وتنظيم، كما يحتاج إلى رصيد ثقافي واسع، وتجربة طويلة خصبة.

3- الإفادة من جهود النظريات الأخرى التي تهتم بدراسة الآثار الأدبية المختلفة. فهذه النظرية لا تهمل سائر النظريات الأخرى، بل هي غاية لها وذروة تنتهي إليها خلاصة أساليبها واجتهاداتها.

4- الجمع بين جمالية الأدب ومنهجية النقد. فهي نظرية تقوم على الإدراك أولاً ثم على التمييز ثانيًا، ثم على اكتشاف الحدود ثالثًا، على ما في هذا من عسر تحققه عند الدارس الواحد. إنها - بإيجاز شديد - نظرية تجمع بين كل مواهب المؤرخ الأدبي، وكل مواهب الناقد الأدبي، ليكون الناتج باحثًا متكامل الأدوات.

5- الجمع بين الأدب والعلم. ومعناه الحرص على تزاوج الذوق والعقل، وامتزاج رواء الأدب ورونقه بموضوعية العلم ودقته. وهي لذلك أقرب النظريات إلى روح الدراسة الأدبية التي توائم بين العلم والأدب، ولا تدع أحدهما يطغى على الآخر.

6- تصحيح التراث الأدبي: وهي مرحلة تحقيق النصوص وتصحيح نسبتها واستبعاد زائفها، وتقع في طريق الباحث موقع قدمه الأول. وهذه النظرية هي أقدر من غيرها على الإحاطة بمذهب الشاعر الفني والمدرسة الفنية التي يتبعها وتحيص الأصيل من المنتحل من شعره.

7- الوحدة والانسجام: فالنظرية الفنية تقوم على الوحدة والانسجام في أدق معانيهما وأكمل صورهما. إنها تجمع خيوط الصلات العميقة بين كل شاعر وآخر، وبين كل كاتب وآخر، كما أنها تضبط ما بين نفوس الأدباء من تجاوب، وبين آفاقهم من تماثل، وما بين أساليبهم من وحدة.

وبعد، فما موقف النقاد من هذه النظرية التي استجمعت كل هذه الخصال؟

إنها في الحق لا تواجه كبير اعتراض. والسبب في هذا أنها تحقق للدراسة الأدبية الفائدة واللذة، وتقيمها على دعامتي العقل والذوق معًا، وتبلغها الغاية في نهج ميسر سليم.

لسنا هنا بصدد تبيان ما للنظرية وما عليها، فليس هنا سيئات تنقص جوانب النظرية الفنية، ولكن هنا محاذير يُخشى أن تؤدي بالدراسة الأدبية إلى العقم والفشل الذريع. (حسين، 2012)

وأول تلك المحاذير: ما نخشاه عليها من الاقتصار على الاهتمام بالأسماء اللامعة والقمم الشامخة في سماء الأدب العربي، وإهمال التتبع الدقيق للروح الفنية عند الشعراء المغمورين. فمن يدري فقد يكون أحد

هؤلاء مفتاحًا لمذهب أدبي، أو عنوانًا لاتجاه فني. بل من المؤكَّد أن إصدار الأحكام النقدية من خلال نتاج اللامعين وحدهم وتجاهل سواهم، أمر يقود إلى نتائج فيها كثير من القصور والمثالب.

وثاني هذه المحاذير: أن تسلم هذه النظرية بكل ما وقر في أذهان الأجيال من أحكام شائعة في حق الشعراء والكتّاب وسواهم من الأدباء من لدن الجاهلية حتى العصر الحديث. فإن قبول تلك الأحكام الجاهزة يؤدي حتمًا إلى الزلل والحيف عن سنن الحق. لذلك لابد من التخلص التام منها والاتجاه نحو استقراء جديد شامل ودقيق، لاستخراج أحكام مستقلة كل الاستقلال، يمكن من ثَمَّ مقارنتها بالأحكام المتوارثة والشائعة، ثم الانتهاء إلى القول الفصل.

أما المحظور الثالث فهو: الخشية أن تنقلب الوسيلة عند هذه المدرسة هدفًا والهدف وسيلة، بحيث تصنف المدارس الأدبية أولاً ثم يقاس عليها الأدباء ثانيًا. إننا إذا فعلنا ذلك، نكون قد قلبنا المسألة رأسًا على عقب. فإن الإطار لا يوضع قبل الصورة، والمذاهب لا تُقَرر قبل استقراء الظاهرة الأدبية نفسها. ونظرًا لأن نظرية الفنون تغري بطبيعتها على الانزلاق والتبادل الخطر بين الغاية والوسيلة، نتيجة ما رسب في أعماق دارسي الأدب من آراء ونظرات جاهزة شائعة.. إذن لابد من الحذر الشديد عند التطبيق.. أي لابد من الابتداء بالقاعدة القائمة على الاستقراء، والانتهاء بالقمة لنخرج بالاستنباط النهائي الدقيق.

إن هذه النظرية إذا استطاعت تَجَنُّب تلك المحاذير الثلاثة المذكورة وَتَزَوَّدَ مُطبِّقُوها بأدوات المؤرخ والناقد الأدبيين كليهما وبشروط البحث وبأخلاقه، فلاشك أن المستقبل الباسم من نصيبها، وأن البعث الحقيقي للدراسة الأدبية المنهجية الجادة سيكون متكاملاً على يديها.

إن النظريات والاتجاهات المختلفة التي تعاقبت على الأدب العربي، لم تف بحاجة هذا الأدب، ولم تفلح في درسه وتأريخه. فقد كانت هذه النظريات جميعًا المفترضة منها والمطبقة، المعرف بها هنا والتي لم نعرف بها، كانت سواءً في التنبيه إلى جانب من جوانب الدراسة والقصور عما عداه، والنظر إلى الأدب من زاوية وإهمال الزوايا الأخرى.

وإذن: فماذا نستطيع أن نتخذ من أسباب للوصول إلى نظرية تشمل الأدب العربي من أطرافه كلها، بما لهذا الأدب من امتداد زمني، ومن سعة مكانية، ومن واقع لغوي خاص وحياة متميزة؟

إن الهدف الأساسي من الدراسة الأدبية هو فهم الحياة الفنية التي غمرت العالم الإسلامي عبر تاريخه الطويل، وضبط مراحل هذه الحياة، وإدراك هذا التنوع الأدبي الواسع ورده إلى وحدات مشتركة الخصائص متسقة الألوان. ويمكن أن تتم هذه الإحاطة بالتراث الأدبي على نحوين مختلفين: أولهما: نفاذ إلى الفروق، أدق الفروق في هذا التراث وبحثها بحثًا عميقًا بذكاء وصبر، وثانيهما: استخلاص الوحدات

التي تجمع بين أجزاء التراث، ممثلة في النزعات والتيارات والمدارس الأدبية الفنية. وهذان النحوان أو العنصران متصلان ومتكاملان، يؤلفان قطبي الدراسة الأدبية ويحققان صورتها المثلى. (حسين، 2012) وبناء على ذلك، فإن المنهج الجديد الذي نتطلع إليه هو منهج تكاملي. هو تنظيم التعاون بين مناحي الدراسات السابقة التي عالجت طبيعة كل النظريات المعروفة، والعمل على توجيهها لتلتقي في النهاية كاشفة عن المدارس الأدبية التقاء البناء الهرمي عند ذروته.

مناهج دراسة الأدب:

اعتنت الدراسات النقدية بالنصوص الأدبية سواء أكانت شعرا أم نثرا لتغربل هذه الأعمال وتصنفها وفق الأحسن والأقبح، والأجود والأضعف وهو الميزان الذي عمدت إليه الآراء النقدية العربية القديمة، ليتواصل مسار النقد وتتضح معالمه شيئا فشيئا حتى أصبح يتمثل في مناهج تقرأ النصوص من جميع جوانبها فكانت البداية مع المناهج السياقية التي ركزت على الجوانب الخارجية للنصوص والظروف المولدة لها والمحيطة ويمكن حصرها في هذا التصنيف: التاريخي، النفسي، الاجتماعي. ثم تطورت الدراسات النقدية فتحولت من السياق إلى النسق وبدورها المناهج النسقية عرفت عدة مناهج فبدأت بالبنيوية ثم ثم الأسلوبية فالتفكيكية، وما بعد البنيوية ونظرية التلقي.

المنهج التاريخي:

كان اكتشاف اللغة السنسكريتيَّة في أواخر القرن التاسعَ عشرَ الميلاديِّ نقطةَ الانطلاق الحقيقي للمنهج التاريخيِّ، الذي يرى أن الفهم الحقيقيَّ للظواهر اللغوية يقوم على النظر في تاريخها وتطوُّرها، ومن ثم سهولة ربط الجانب الوصفيِّ بمسبباته التاريخيَّة، ومن ثم كان ينظر إلى اللغة المتكلَّمة - التي هي أساس الدراسة الوصفية - على أنها "شيء متغيَّر خدَّاع، وأن الجزء الثابت منها الذي يستحق الدراسة هو ذلك الموجود في اللغة المكتوبة التي تمثِّل الأساس للمنهج التاريخي.

والانطلاق الحقيقي الذي وصفنا به هذا المنهج - له ما يسوِّغُه، يقول روبنز: "من المألوف في علم اللغة أن يقال: إن القرن التاسع عشر كان عصر الدراسة التاريخية والمقارنة للغات، وبوجه أخص اللغات الهندوأوروبية، وهذا أمر مسوَّغ بشكل كبير، ولكن هذا لا يعني أنه لم تُجْرَ قبلَ هذا الوقت بحوثٌ تاريخية تقوم على مقارنة اللغات، ولا أن كلَّ الجوانب الأخرى لعلم اللغة قد تم تجاهلها خلال القرن التاسع عشر، ولكنَّ المسألة هي أن هذا القرن قد شهد تطوُّرًا في المفاهيم النظرية والمنهجية الحديثة لعلم اللغة التاريخيِّ والمقارن، كما أن التركيز الأكبر للجهود العلمية والمقدرة العلمية في علم اللغة كان مكرسًا لهذا الجانب من الموضوع أكثرَ من غيره من الجوانب.

إن المنهج التاريخيَّ من حيث دراسةُ حركة هذه الظاهرة بين عصرين أو أكثر؛ لرصد مظاهر التطوُّر ومسبَّباته.

ومن ثم، فإن المنهج" التاريخي في الدرس اللغوي، عبارة عن تتبُّع أية ظاهرة لغوية في لغةٍ ما، حتى أقدم عصورها، التي نملك منها وثائقَ ونصوصًا لغوية؛ أي: إنه عبارة عن بحث التطور اللغويِّ في لغةٍ ما عبر القرون، فدراسة أصوات العربية الفصحى دراسة تاريخية، تبدأ من وصف القدماء لها من أمثال الخليل بن أحمد، وسيبويه، وتتبُّع تاريخها منذ ذلك الزمان، حتى العصر الحاضر، دراسة تدخل ضمن نطاق المنهج التاريخيّ، ومثل ذلك يقال عن تتبُّع الأبنية الصرفية، ودلالة المفردات، ونظام الجملة.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن اللغات تصيبها سُنَّةُ التطوُّر، فإن رصد مظاهر هذا التطور، والوقوفَ على أسبابه - من الأمور المهمة لفهم الحركة التاريخيَّة للُّغة، كما يوقفنا ذلك على الدلالات المتعددة التي لازمت اللفظَ عبر هذه العصور التاريخيَّة المتعددة.

والمنهج التاريخي يفيد في دراسة ألفاظ لغة قديمة متجذّرة في عمق التاريخ كاللغة العربية؛ ليقف على الدلالات المتعددة التي لازمت ألفاظها، فصاحَبَتْها أو فارقتها، أو أضيفت بجانبها معانٍ ودلالات أخرى، أو أزاحتها دلالات أخرى وحلَّت محلَّها.

ومن ثم، فإننا مثلًا في هذه الحالة "ليست هناك فائدة في الاعتماد على المعجم وحدَه في معرفة معنى الكلمة واستعماله؛ لأنه - بكل بساطة - لا يضيف جديدًا سوى الحصر، إن كانت في الحصر جدة، ومن هنا فإنه من الأهمية حين صناعة المعجمات - خاصة التاريخية منها - الاتصال بالنصوص في أقدم مظانِّها.

ومن أمثلة التطور في دلالة الألفاظ كلمةُ (السيَّارة) التي تعني عند القدماء (القافلة) أو (الجماعة)، وقد ورد ذلك في الذِّكر الحكيم؛ قال تعالى :﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾ (القرآن الكريم ،يوسف: الآية 19) وهناك معنى محدَث، إذ يعرِّف (المعجم الوسيط) السيارة بأنها "عربة آلية سريعة السير، تسير بالبنزين ونحوه، وتُستخدم في الركوب أو النقل، ويحكم المعجم على تلك الدلالة بأنها (محدثة)".(عصام، 2018)

وعليه فإن بعض الأبحاث والدراسات لا يصلح لها إلا المنهج التاريخيُّ؛ حيث إن ذلك مرتبط بالهدف من البحث؛ فإذا كان الهدفُ الوقوفَ على تطوُّر ظاهرة لغويَّة معينة، فلا شكَّ من فعالية هذا المنهج في الوصول إلى هذا الهدف، ومن ثم، يُعتمد عليه في قضايا وموضوعات لغويَّة منها ما يأتي:

- دراسة التغيُّرات الصوتيَّة في العربية، وتعدُّ دراسة صوتيَّة تاريخيَّة.
- دراسة صيغ الجموع في العربية بتتبُّع توزيعها وشيوعها في المستويات اللغويَّة المختلفة عبر القرون، وتعدُّ دراسة صرفية تاريخية.

- الجملة الشرطية في العربية، وجملة الاستثناء في العربية عبر نصوص تاريخية متعددة.
- دراسة التغيُّر الدلالي وما يرتبط بها من إعداد المعاجم التاريخية.
- إعداد المعجم التاريخي، الذي يعمد إلى إيراد تاريخ كلِّ كلمة منذ أقدم النصوص إلى أحدثها، متتبعًا التطوراتِ التي تعتريها، من أهم الممارسات اللغوية التاريخيَّة، ويعدُّ معجم أكسفورد في اللغة الإنجليزية من المعاجم التاريخية المهمة.

المنهج النفسي:

اعتنى النقد بدراسة الفنون الأدبية والأعمال الإبداعية، مستفيدًا من عدة علوم، حيث استقى آلياته من عدة مشارب، وبتنوع المشارب اختلفت توجهات النقاد وتناولهم للمادة المدروسة، فنجد من وظف التاريخ، أو علم الاجتماع، أو علم النفس، أو اللسانيات وغيرها من العلوم... فتولدت مناهج عديدة كان مدار دراستها العمل الإبداعي.

والمنهج النفسي "منهج يستمد آلياته النقدية من نظرية التحليل النفسي التي أسسها الطبيب النمساوي سيغموند فرويد، فسر على ضوئها السلوك البشري برده إلى منطقة اللاوعي (اللاشعور) فهو منهج يأخذ من علم النفس بصفة خاصة.(أشوخي، 2014)

وسنأتي في ما يلي بما جاء به شارل مورون في هذا الطرح، فقد كان يترجم المؤلفات من اللغة الفرنسية إلى اللغة الإنجليزية المعاصرة، درس العلوم بكلية مرسيليا وبعدها أصبح أستاذًا مساعدًا في الكمياء، لكن تَدهورَ بصرِه أجبره على التقاعد والعودة إلى الريف، وتحول اهتمامه إلى أمور أخرى.

مع مطلع ثلاثينيات القرن الماضي بدأ اهتمام مورون بدراسة الأدب، مستفيدًا من التحليل النفسي، ومعتمدًا على أبحاث فرويد في ذلك.

من مؤلفاته التي أسهمت في بناء توجهه ما يلي:

- ملارميه الغامض، 1938.
- اللاوعي في أعمال وحياة راسين، 1957.
- الاستعارات الملحة والأسطورة الشخصية، 1962.
- النقد النفسي للفن الكوميدي، 1964.
- فيدر، 1968.

أسهمت هذه الكتب في بلورة صورة لانسجام النقد الأدبي والتحليل النفسي، فمورون - كما يقول سمير سعيد حجازي - جمع بين المذهبين في رؤية واحدة: "إذا كان اللقاء بين النقد الأدبي وعلم الاجتماع، قد

تحقق على يد لوسيان جولدمان، فإن التلاقي بين النقد الأدبي والتحليل النفسي، قد تحقق على يد شارل مورون، وقد تكونت لديه ثقافة علمية وأدبية في وقت معًا"(حجازي، 2006، ص:68)

إن رواد المنهج النفسي كانوا عالة على فرويد؛ المُنظِّر الأول للمنهج النفسي في الفكر الغربي، حيث استمر جميع النقاد على المعطيات التي قدم فرويد، لكن لا ننكر وجود بعض الاختلافات البسيطة، وغير ذلك، فإن المنهج النفسي يصب في وعاء واحد، وما أسجل هنا أن أبرز مفهوم عند مورون هو:

• الأسطورة الشخصية: هي تلك الصور والاستعارات المتكررة التي تخلق الطابع المميز لمجموع الأعمال الأدبية للمبدع.

ويراها الناقد حميد لحميداني شبيهة بالملكة الرئيسة عند هيبوليت تين.

فهذه الصور المهيمنة على مجموع أعمال كاتب واحد هي ما يسميه مورون بالأسطورة الشخصية، ومنه فإن موضوع النقد النفسي عند شارل مورون هو شخصية المبدع من خلال الأسطورة الشخصية.

إن شارل مورون وقف عند شخصية المبدع وتاريخها، لكنه لم يغفل الوسط الاجتماعي واللغة وتاريخهما ودورها جميعًا في تشكيل الإبداع الأدبي، فرفض تصور فرويد حين اعتقد أن الأعمال الأدبية مجرد تعبيرات عن لا شعور مرَضي في الغالب، فاقترح بديلاً وهو النقد النفساني، ويكون عمل الناقد على النص مركزًا على الصور المكونة لشبكة من التداعيات والدلالات المتصلة باللاوعي، والمحيلة عليه في لا وعي الأديب، قصد فهم النص بالدرجة الأولى وليس إثبات عصابية المبدع ومرضيته.

إن الجديد الذي أتى به مورون هو دراسة الصور الملحة ذات البنية الاستعارية في العمل الأدبي بطريقة سيكولوجية لا شعورية، هدفها الوصول إلى الأسطورة الشخصية لدى المبدع، والحاصل من هذا - حسب مورون- هو فهم النص: " لذا جعل الأدب وسيلة لفهم أعمالهم، وهكذا دعا مورون إلى ضرورة الانطلاق من النص الأدبي، وجعل حياة المبدعين في خدمة فهم نصوصهم الإبداعية " .

إذًا، فغاية شارل مورون في البحث عن الأسطورة الشخصية هي فهم الأعمال الأدبية، فنجده ينطلق من النص الأدبي، يلتقط الصور والاستعارات المتكررة في الأعمال الأدبية، ويبحث لها عن مقابل في حياة المبدع ليعود مرة أخرى إلى النص، ويثبت ما توصل إليه في القراءة الأولى للنص.

والخلاصة أن العملية الأولى تقوم على الاستنباط والمقارنة، لتعود العملية الثانية إلى النص بطريقة عكسية لفهمه من خلال المعطيات الأولى.

ومن هنا، عاب شارل مورون على فرويد غايتَه العلاجية في استحضار حياة المبدع وهدفه في إثبات مرضيته.

إن بنيات النص حسب تصور مورون والنفسيين هي تعبير عن الشخصية اللاواعية للكاتب أو الأديب شرط أن ترتبط بمعطيات في حياة الكاتب.(أشوخي، 2014)

ينتهج مورون ما يلي في التحليل النفسي للأدب: (أشوخي، 2014)

1- قراءة النص، وكشف أسرار اللاشعور للكاتب، ومن ثَمَّ تفسير آثاره (وهي عملية مبدئية رهينة بالمراحل التالية).

2- القيام بعملية تنضيد النصوص، وتحليل المحتويات الشعورية بغرض كشف علاقات خفية تزداد أو تخف درجة لا شعورها.

3- إظهار شبكة التداعيات ومجموعات من الصور الملحة بمعنى الوقوف عند الأسطورة الشخصية، فيرى مورون أن كل إنتاج أدبي يحتوي على مجموعة متباينة من الصور تشكل في خصائصها الجوهرية الصورة الأولى المحركة، والتي هي منبعها حياة المبدع.

4- إيضاح العوامل الاجتماعية التي تلعب دورها في تكوين الشخصية الأسطورية للكاتب، وربطها بمراحل في حياة الكاتب لإثبات المقدمة الأولى (الفرضيات القرائية الأولى).

إن أفق القراءة النقدية كما يقول سعيد بنكراد: "استكناه البنيات العميقة المتوارية وراء المادة السطحية، وإضاءة البنيات اللاشعورية المتسترة خلف البنيات اللغوية الشعورية" (الموقع التالي: http://saidbengrad.free.fr/al/n7/11.htm) ، وهذا ما حاول رواد المنهج النفسي الترويج له، لكن نتساءل: أليس هذا استنطاقًا متعسفًا للنصوص؟ وبأي حال من الأحوال فإن المنهج النفسي وقع في مزالق كثيرة أهمها:

- اهتمام المنهج النفسي بالمبدع وإغفال النص الأدبي.
- إخضاع العمل الأدبي للتحليل الإكلينيكي.
- إذا كان الإبداع ناتجًا عن "لا وعي" المبدع المتمثل في مكبوتات مرضية، ونزوات من الماضي، فأين حضور الشعور عند المبدع؟
- إن الأدب ليس دائمًا تعبيرٌ عن الذات، لأنه لا يمكن بأي شكل إنكار (الصنعة) في الأدب وإسقاط نظرية المنهج النفسي عليه للي أعناق النصوص، ولأجل هذا يبقى المنهج النفسي قاصرًا عن تحديد العَلاقة بين المبدع والعمل الأدبي، وإثبات كل الخلفيات وراء العملية الإبداعية، لأن المبدع بكل بساطة لا يقول كل شيء، والمسكوت عنه أكثر مما يقال في ثنايا النصوص.(أشوخي، 2014)

المنهج الاجتماعي:

يعتبر المنهج الاجتماعي أحد أنواع مناهج البحث العلمي، وهو عبارة عن منهج يقوم بدراسة كافة النصوص وذلك من المنظور الخاص بتعبيرها عن الوسط الاجتماعي، ويعتبر هذا المنهج أساسي في كافة الدراسات الأدبية.

عندما تأسس المنهج التاريخي، انبثق من حضنه المنهج الاجتماعي، وبذلك فإن بداية المنهج التاريخي كانت بداية لظهور المنهج الاجتماعي، ، وقد ظهرت الارهاصات الأولى الخاصة بالمنهج الاجتماعي على يد مدام دي ستايل وقد كان ذلك في القرن 19، وقد أصدرتكتابها الأول بعنوان الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية.

للمنهج الاجتماعي مجموعة من الخصائص الأساسية ومن هذه الخصائص ما يلي: (الموقع: https://www.maktabtk.com/blog)

1-الأديب يعيش في بيئته ولا يكون أبدًا معزولًا عنها.

2-السياق الاجتماعي يتولد منه الإنتاج الأدبي.

3-يعتبر الأدب المرآة التي تعكي انتماء الأديب.

4-الأدب يخاطب أفراد المجتمع ويعتبر جزءًا منه.

5-يعتبر الأدب نقد مضمون للنص الخاص بالكاتب.

برز المنهج الاجتماعي كحركة نقدية موجهة للأدب في بداية القرن التاسع عشر حين تغلبت النظريات الاشتراكية والرأسمالية على النظم الاقتصادية والاجتماعية في العالم العربي، فظهرت طبقة من النقاد ترى أنَّ الأدب في خدمة المجتمع، أو هكذا ينبغي أن يكون، وأنَّ النقد يصبح عديم الفائدة إذا تحجَّر أمام جمال النص أو رداءته، والأَولى أن ينظر النقد إلى العمل الأدبي على أنه جزء من نظام الحياة العام، فيحدد الأهداف التي يرمي إليها، والفكرةَ الاجتماعيةَ التي يعكسها، وقد رفضت هذه الفئة من النقاد كلَّ أشكال التحكم والسيطرة على مقدرات الشعب وثرواته، فحاربت البرجوازية والإقطاع بأشكالهما الاقتصادية والأدبية، وشجبت الأعمال الأدبية المؤيدة لهذه النظم القاسية. (الموقع: http://maarifamaroc.blogspot.com/2016/11/blog-post_62.html)

البنيوية:

ظهرت البِنْيَوية في نواحٍ عديدة من نواحي الحياة، والذي يُهِمُّنا هنا هو الحديث عن ظهورها في النقد الأدبي.

إن المدرسة البنيوية، أو المنهج البنيويَّ لم يظهر في الساحة النقدية الأدبية اللغوية إلا في منتصف القرن العشرين، وتحديدًا في فرنسا في عقد الستينيَّات من القرن العشرين، وذلك عندما قام (تودوروف)

بترجمة أعمال الشكلانيين الروس إلى اللغة الفرنسية في كتاب بعنوان: "نظرية الأدب، نصوص الشكلانيين الروس".

أول مصادر البنيوية وأهمها هي حركة الشكلانيين الروس، والتي ظهرت في روسيا بين عامي 1915 و1930، وقد دعت إلى العناية بقراءة النص الأدبي من الداخل؛ لأن الأدب من منظورهم يُعدُّ نظامًا ألْسُنِيًّا ذا وسائط إشارية (سيميولوجية) للواقع، وليس انعكاسًا للواقع. ولذلك استبعدوا علاقة الأدب بالأفكار والفلسفة والمجتمع والتاريخ.

أما المصدر الثاني فـ "هو (النقد الجديد) الذي ظهر في أربعينيّات القرن العشرين وخمسينياته في أمريكا، فقد رأى أعلامُه أن الشعر هو نوع من الرياضيات الفنية [عزرا باوند]، وأنه لا حاجة فيه للمضمون، وإنما المهم هو القالب الشعري [هيوم]، وأنه لا هدف للشعر سوى الشعر ذاتِه [جون كرو رانسوم]".

وأما المصدر الثالث فهو ذيوع صيت علم اللسانيات الحديث، والذي يتقاطع مع المدرسة الشكلانية الروسية، ولعل هذا المصدر هو أهمُّ مصادر البنيوية، ولا سيما "ألسنية دي سوسير" الذي يُعد رائد الألسنية البنيوية، بسبب محاضراته (دروس في الألسنية العامة) التي نشرها تلامذته عام 1916 بعد وفاته، وعلى الرغم من أنه لم يستعمل كلمة (بنية) فإن الاتجاهات البنيوية كلها قد خرجت من ألسنيَّته، فيكون هو قد مهَّد لاستقلال النص الأدبي بوصفه نظامًا لغويًّا خاصًّا، وفرَّق بين اللغة والكلام: فـ(اللغة) عنده هي نتاج المجتمع للملكة الكلامية، أما (الكلام) فهو حدَث فردي متصل بالأداء وبالقدرة الذاتية للمتكلم.

وأما المصدر الرابع فهو ما يسمَّى "حلقة براغ"، وهي حلقة دراسية مكوَّنة من ثلة من علماء اللغة في براغ - عاصمة التشيك، وهذه الحلقة وإن كان زعيمها "ماتياس" لكن المحرِّكَ الرئيسَ لها هو نفسه مؤسس المدرسة الشكلية الروسية "ياكبسون" الذي تنقَّل بين روسيا وبراغ والسويد والولايات المتحدة الأمريكية، فكان أينما حلَّ بشَّر بآرائه، وكان له دَور فعَّال في نشر الوعي بالنظرية الجديدة وترسيخها في أوساط المثقفين، ومن هنا التقط علماء حلقة براغ مشعل الدراسات اللغوية الحديثة الذي صبَّ سوسير زَيْتَه ونسجتْ الشكلية خيوطه، وأخذوا يتحدَّثون بشكل صريح متماسك عن بنائية اللغة.(الخالدي، 2017)

مِن عوامل النشوء توفُّر المقدِّمات التي سلفَ ذكرُها، والتي كانت من مصادر هذه المدرسة وروافدها، كما اتفق العديد من الدارسين والنقاد على أن الشكلانية والبنيوية قد ظهرتا معًا كردِّ فعلٍ ضدَّ اللاعقلانية الرومانسية، وعلى التحليلات التي تربط الأدب بمحيطه الاجتماعي، ويُقصد بذلك تلكم النزعة الماركسية بالدرجة الأولى.

يقول ديتش: "أدَّت الثورة ضد المجمل الأدبيّ - مع استعماله للتاريخ والسيرة استعمالًا غير محدَّد - إلى ثورةٍ من نَحو ما على التاريخ والسيرة، أو قُل: أدَّت إلى القول بأنَّ هذين أَدَاتان لا حاجة للنَّاقِد بهما، فالمَهمَّة الأولى للنَّاقد هي أن يصِف الآثار الأدبيَّة بدقَّة مستقصية، وأن يجد قِيمتها على أساسٍ مِن ذلك الوصف، فتركَّز الاهتمام على تحليل الأثَر الأدبيّ معزولًا عن أيَّة قرينة، بدلًا من الإجمال التاريخيّ لعصرٍ من العصور".(الخالدي، 2017)

كما تُعد فلسفة "كانْت"، التي لا تؤمن إلا بالظواهر الحسِّيَّة والتي تقوم على الوقائع التجريبية، هي الأساس الفكري والعَقَدي عند البنيوية، فالبنيوية إذَن تؤمن بالظاهرة كبِنية منعزلة عن أسبابها وعللها، وعما يحيط بها، وتسعى إلى تحليلها وتفكيكها إلى عناصرها الأولية من أجل فَهمها وإدراكها، إذن فإن شيوع هذه الفلسفة وتأصُّلها في عقول روَّاد البنيوية وقلوبهم يُعد من أهم عوامل نشوء البنيوية في النقد الأدبي.

من أعلام النقد البنيوي في الغرب: رولان بارت، وتزفيتان تودوروف، وجيرار جينيت، وبليخانوف وغيرهم.

أما في العالم العربي فمِنهم على سبيل المثال لا الحصر: حميد الحميداني، وصلاح فضل، ومحمد مفتاح.

يُذكَر أنَّ مِن أوائل الذين عُرِّبت مؤلفاتهم، جان ماري أوزياس، فقد تمَّ تعريب كتابه "البنيوية" على يد ميخائيل مخول، ونشرته وزارة الثقافة السورية عام 1972، وهو أول دراسة شاملة عن البنيوية تُرجمت إلى اللغة العربية. والكتاب يقع في قسمين: قسم أوَّل عرَّف فيه بالبِنيوية، وعلاقتها بالمجال الحيوي، وبعلم اللغة، وبعلم العلامات والإشارات والدلالات. كما عرَّف بروَّاد البنيوية في مجالات اختصاصهم: شتراوس الأنثربولوجي، وفوكو الإبستيمولوجي، ولاكان النفساني، وألتوسير الماركسي. وأما القسم الثاني فقد جمع دراسات لبعض أعلام البنيوية: شتراوس (يرد على الأسئلة)، وجيرار جينييت (في النقد البنيوي)، وبول ريكور في (البنية والتفسير)، وجان بويون في (سارتر وشتراوس)، ولوقاد هوش في (الإنثروبولوجيا البنيوية).(أوزياس، 1987)

إن البنيوية قد بدأت بالانهيار في أوائل السبعينيات من القرن العشرين، وظهر مكانها في فرنسا ما اصطلح على تسميته «ما بعد البنيوية»، وكان رولان بارت وجاك ديريدا أهم فلاسفتها، وكان بارت قد تحول عن البنيوية إلى ما بعد البنيوية، وانتقل في دراسته من أهمية الكاتب في تركيب النص الأدبي باعتماد معايير وبِنًى جاهزة الصنع إلى دور قارئ النص في توليد معانٍ جديدة لا نهاية لها. يؤكد بارت في كتابه «متعة النص» (1975) أنه في غياب الكاتب تصبح عملية إيجاد تأويلات للنص عملية عبثية لا نهاية لها، لكنها ممتعة، وتأتي المتعة من امتلاك النص لإمكانات «اللعب» بالمعاني، ولكن هذا لا يعني تخلِّيًا فوضويًّا عن كل القيود، وإنما تفكيكًا وهدمًا منظَّمين لإنتاج معانٍ أخرى، وكأن القارئ يعيد كتابة

النص، فيصبح منتِجًا له وليس مستهلِكًا، وهذا أساس المذهب التفكيكي، الذي طوره ديريدا، وهو أساس «ما بعد البنيوية».(ستروك، 1996)

كما أنَّ كثيرًا من المفكرين والفلاسفة لم يتقبلوا البنيوية - على الرغم من انتشارها السريع - بل وصفوها بالمنهج اللا إنسانيّ، ومن أبرز مَن واجهها ونقد روَّادها وأسهم في تقويضها: الفيلسوف الفرنسي لوك فيري.

التفكيكية:

التفكيكية مصطلح قدَّمه الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا في كتابه "في علم الكتابة"، ومع ذلك لم يُعرِّفه في هذا الكتاب، ويمكن القول: إن التفكيكية منهجٌ فلسفي، يرى أنه لا يوجد تفسير واحد للمعنى في النص، بل تفسيرات غير محدودة، فبعد أن ظهرت التفكيكية إلى الوجود، أصبحت النصوص عُرضةً لنوع جديد من التحليل والتفسير.

وبينما يرى دريدا أن التفكيكية ليست نظريةً، يرى كثيرٌ من النُّقَّاد أنها طريقة جديدة لقراءة النصوص، ونموذج جديد للكتابة.(المدري، 2015)

لخِّص لويس تايسون المفاهيم التي تقوم عليها التفكيكية في ثلاث نقاط:

1- اللغة حركيَّة، وغامضة، وغير مستقرة.

2- الوجود ليس له مركز، وليس له معنى مستقرٌّ، وليس له أرضية ثابتة.

3- البشر ميادين قتال متشظية للأيديولوجيات المتنافسة، وأنه عند تفكيك أي نص - خاصة النصوص الأدبيَّة - يجب التركيز على كشف اللامحدودية "Undecidability" للنص، وكشف العمليات المعقَّدة للأيديولوجيات التي يتركَّب منها النص". (Tyson, 2006)

يرى أنصار التفكيكيَّة أن المعنى في حالة تغيُّر وعدم استقرار، وأن الوصول إليه يتم من خلال تفسيرات لا نهائية للنص؛ أي: إن القارئ هو مَن يُحدِّد معنى النص، وفقًا لخلفيته الثقافية، وأن المعنى الذي توصل إليه هذا القارئ لا يعتبر هو المعنى الوحيد للنص، بل إن قارئًا آخر قد يتوصَّل إلى معنى آخر للنصّ، ومع ذلك فإن كلَّ هذه التفسيرات يشملها ويقبلها النص؛ لذلك يرى التفكيكيُّون أن الكاتب ليس له علاقة بمعنى النص، وقد أعلن رولان بارت "موت الكاتب"؛ أي: إن المعنى "لا يقطن مع كتَّاب بذاتهم، ولكن يتولَّد عن طريق التفاعل بين التراكيب الواسعة للمعنى الثقافي وتفسيرات القُرَّاء". (Barker, 2004)

إن دريدا أخذ مصطلح الاختلاف من سوسور وطوَّره ليُصبح الاختلاف والتأجيل"differance" ؛ أي: إن المعنى غيرُ ثابت، وإنما بشكل مستمرٍّ لاحق ومؤجل، فمثلًا: لو بحثنا عن معنى كلمةٍ ما في

قاموس، فستقودنا إلى معانٍ أخرى، ثم إلى معانٍ أخرى، ثم إلى معانٍ أخرى، عندها ينزلق المعنى ويتملّص.

خاتمة:

فن القول أو فنُّ التعبير بالكلمة الساحرة. ذلك هو الأدب واللغة هي سلاحه ومصدر التوصيل فيه والتبليغ سواء نثرا أو شعرا، وعُدّة الأديب: موهبةٌ أصيلة، وثقافة رفيعة، وتفكير حصيف، وحسّ مرهف، وخيال مبدع، ولغة سليمة، وعبارة رشيقة، وأسلوب طليّ. وهنا ينشأ السؤال: لماذا نقرأ الأدب؟ إننا نقرأ الأدب للمتعة في المقام الأول. والمتعة قد تتخذ أشكالًا مختلفة. ولبلوغ هذه النشوة الأدبية اللغوية لابد من منهج ونظرية ترسمان طريق المتأمل في النص أو الخطاب، سواء بعين ناقدة أو من أجل بلوغ المراد، وعليه فقد قدمنا تعاريف للأدب واللغة والمنهج وانتهينا بمدارس الأدب حسب عبد الحليم محمد حسين.

المصادر والمراجع:

ـ ابن جني، الخصائص (1/ 33).
ـ بوشامب، جورج ، نظرية المنهج، ترجمة ممدوح محمد سليمان وآخرين، القاهرة: الدار العربية للنشر والتوزيع،1987.
ـ حسين عبد الحليم محمد ، نظريات في دراسة المنهج الأدبي، شبكة ألوكة، 2012.
ـ صديق إيمان، مفهوم الأدب في النظرية الأدبية الحديثة، نُشِر في مجلة أقلام الثقافية، الأحد 25 ديسمبر 2011م.
ـ دي سوسور، فرديناند، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف الغزي، الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986م
ـ كاترين فوك و بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة: المنصف عاشور، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م.
ـ سعادة، جودت، وإبراهيم، عبد الله ، المنهج المدرسي المعاصر، ط8، عمان: دار الفكر. 2016.
ـ السويكت عبدالله ، تطور مفهوم الأدب العربي.
ـ مدكور، علي، نظريات المناهج التربوية، القاهرة: دار الفكر العربي. 2006.
ـعصام فاروق، المنهج التاريخي: نشأته وتقاطعاته مع المنهج الوصفي، شبكة الألوكة، 2018.
ـأشوخي، سعاد، المنهج النفسي عند شارل مورون، شبكة الألوكة، 2014.

_حجازي،سمير سعيد ، قضايا النقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العربية ،القاهرة. ط:1، 2007. ص: 68.

_الخالدي، عمر السنوي ، البنيوية: عوامل النشأة وأسباب التقوض، شبكة الألوكة، 2017.

_ أوزياس ، جان ماري ، وآخرون: البنيوية. ترجمة: ميخائيل مخول، وزارة الثقافة، دمشق، د ط،1972.

_ ستروك،جون، البنيوية وما بعدها، من ليفي شتراوس إلى ديريدا. ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت،د ط، 1996.

_ المدري، عبدالحميد أحمد ناصر، التفكيكية والبنيوية: اتفاق أم اختلاف؟، شبكة الألوكة ، 2015.

_ Tyson, Lois. Critical Theory Today: A User-Friendly Guide. 2nd ed. New York: Routledge-Taylor, 2006. Print.

_ Barker, Chris. The Sage Dictionary of Cultural Studies. London Sage Publications Ltd, 2004. Print.

_ INEE. (2010). Guidance Notes on Teaching and Learning.

_ https://www.alukah.net/socia

_https://mobt3ath.com/dets.

تحديد الاسم عند ابن حزم في كتابه الفصل

Translation: Ibn Hazm's Determination of the Noun in his Book "Al-Fisal"

الباحث رشيد العمارتي بأكاديمية فاس -مكناس المغرب
com.Chokriamine940@gmail

تلخيص المقال:

تهدف هاته المقالة إلى تبيين رؤية ابن حزم السيميائية في تحديد الاسم . حيث يؤطر تلك الرؤية ضمن سياقها الجدلي والإشكالي المتمثل في حضورها كإشكالية قائمة الذات بين الأشاعرة والمعتزلة الذين اختلفت رؤاهم السيميائية للاسم . إذ ذهب الأشاعرة إلى أن الاسم هو المسمى وهو ينافي بذلك التسمية ويغايرها . أما المعتزلة فاختاروا وقرروا أن الاسم ينافي ويغاير المسمى وهو بذلك يتماهى مع التسمية ويطابقها . لكن ابن حزم بعد تأطير تلك الإشكالية في نسقها الحجاجي سيعمل على أشكلتها من جديد منتقدا الاختيارات السيميائية للأشاعرة والمعتزلة معا ومفندا وداحضا لأطروحتهما ،معلنا في الوقت نفسه عن موقفه الثابت والراجح .وكاشفا عن أطروحته المناقضة والنافية للأطروحتين السالفتين بكون الاسم يغاير وينافي المسمى والتسمية معا متوسلا في مساره الحجاجي بمبادئ المنطق كمبدأ الهوية، وعدم التناقض، والثالث المرفوع، وكذلك المستويات اللسانية .

الكلمات المفاتيح :الاسم ، المسمى ، التسمية ، الأشاعرة ، المعتزلة ، ابن حزم .

Abstract:

This article aims to elucidate Ibn Hazm's semiotic vision in defining the noun. This vision is framed within its controversial and problematic context, represented by its presence as a self-existing problem between the Ash'aris and the Mu'tazilites, whose semiotic views on the noun differed. The Ash'aris argued that the noun is the named, thus negating naming and diverging from it. On the other hand, the Mu'tazilites chose and decided that the noun negates and diverges from the named, thereby aligning with naming and matching it. However, Ibn Hazm, after framing this problem within its dialectical structure, works to reshape it, criticizing the semiotic choices of both the Ash'aris and the Mu'tazilites together, refuting and debunking their arguments. He declares his firm and prevailing stance, revealing his contradictory thesis, which denies the previous two theses, stating that the noun diverges and contradicts both the named and naming simultaneously. He navigates his argumentative path using logical principles such as the principle of identity, non-contradiction, the elevated third, and linguistic levels.

Keywords: noun, named, naming, Ash'aris, Mu'tazilites, Ibn Hazm.

مقدمة

إن ابن حزم وهو يرتقي في مرتقاه الحجاجي حول مكونات الثالوث السيميائي يتوسل في ذلك كله بالثورة السيميائية التي قام بها في المنطق واللغة؛ إذ حصر موضوع المنطق حول البحث في أوجه وقوع الأسماء على مسمياتها(التقريب، المدخل) ، واستعان في الوقت نفسه بالمستويات اللسانية للغة العربية المتمثلة في المستوى الدلالي والصرفي والتركيبي والتداولي(الفصل، مبحث الاسم والمسمى) . فهل أفلح فعلا في تثبيت أركان نظام سيميائي جديد يخول لصاحبه خوض تلك الإشكاليات بعدة مفاهيمية ومنهجية غير مسبوقة تعيد ترتيب علاقة الأسماء بالمسميات عبر وضعها في سياقها التداولي الأصولي ، والمنطقي والكلامي والفلسفي. والخروج بعد ذلك بتصور مفصل عنها. أم حام حول حمى تلك الإشكالات واحتمى بجبة المجتهد المجدد دون أن ينفذ إلى خلفياتها السيميائية ويسبر أغوارها ويكشف أسرارها.

تأطير ابن حزم لإشكالية الاسم والمسمى والتسمية

يؤطر ابن حزم الإشكالية الأساسية المتمثلة في علاقة الاسم والمسمى والتسمية في بنيتين حجاجيتين هما :البنية الحجاجية الأولى تتمثل في الأطروحة المقترحة الأولى و المدحوضة المفندة القائلة بأن الاسم هو المسمى، وليس هو التسمية. ثم البنية الحجاجية الثانية تتمثل في الأطروحة الثانية النقيض للأطروحة الأولى القائلة بأن الاسم غير المسمى، وهو التسمية. فما هي السيرورة والمداخل الحجاجية التي ستخضع لها كل أطروحة من الأطروحتين السابقتين عند ابن حزم ؟ وهل سيقدم أطروحة مضادة لهما، أم سيوافق بين الأطروحتين ويقدم أطروحة توفيقية تركيبية ؟

عرض ابن حزم أطروحة الأشاعرة ونقضها

قال أبو محمد (الفصل، ج 5، ص.135): ذهب قوم إلى أن الاسم هو المسمى. وقال آخرون الاسم غير المسمى . بناء على وضع الأطروحتين السابقتين في سياق الحجاج ، نلحظ أنه تم الاكتفاء بذكر الاسم في علاقته بالمسمى، ولا أثر على وجود التسمية في هاته المرحلة . مع العلم أن أرباب الأطروحتين تعرضوا لتلك الثنائية في علاقتها بالتسمية، ولم يسكتوا عنها. فما الأسباب التي جعلت ابن حزم يسكت عن إيراد التسمية في هذا التقديم وهذا المدخل الحجاجي، ويذكرها بعد ذلك ؟ وما هي الخلفيات الحجاجية التي يتذرع بها هنا في عملية الإخفاء هاته؟ ولماذا افتتح حلبة الحجاج بذكر أطروحة الأشاعرة قبل أطروحة المعتزلة مع العلم أن هاته الأخيرة سابقة على الأولى وجودا وجدلا ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في الفقرات الموالية.

بعد تقديم ابن حزم للأطروحتين المركزيتين المشهورتين المتناقضتين المتعارضتين في قضية الاسم والمسمى والتسمية، انتقل إلى سرد حجج أصحاب كل أطروحة مستهلا ذلك بأطروحة الأشاعرة، حيث قال: واحتج من قال إن الاسم هو المسمى بالحجج التالية(الفصل، ج 5، ص.135):

-1 بقول الله تعالى: ﴿**تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ الرحمان :78.**

-2قالوا: ولا يجوز أن يقال تبارك غير الله فلو كان الاسم غير المسمى ما جاز أن يقال تبارك اسم ربك، وبقوله تعالى: ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى﴾ الأعلى** : (الفصل، ج 5، ص.135)1

-3قالوا ومن الممتنع أن يأمر الله عز وجل بأن يسبح غيره وبقوله عز وجل: ﴿**ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ يوسف: 40** (الفصل، ج 5، ص.135).

-4وقالوا الاسم مشتق من السمو، وأنكروا على من قال إنه مشتق من الوسم، وهو العلامة.

-5 وذكروا قول لبيد: (الفصل، ج 5، ص.135).

إلى الحول تم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

-6 وقالوا: قال سيبويه الأفعال أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء قالوا: إنما أراد المسمين.

حيث سيختم عرض تلك الحجج بقوله(الفصل، ج 5، ص.136).: هذا كل ما احتجوا به فقد تقصيناه لهم ولا حجة لهم في شيء منه. منبها على أنه عمل على استقصاء حججهم كلها ، ولا حجة لهم في ذلك كله. حيث سيعمد إلى دحض تلك الحجج حجة حجة وتفنيدها وفق سلم دلالي حجاجي ؛ فكيف ذلك؟

يستهل ابن حزم مساره الحجاجي في تقويض حجج أصحاب الأطروحة الأولى بإيراد الحجة الأولى وتفكيك خيوطها الدلالية والكشف عن مسالكها الاستدلالية ليحكم على تلك الخيوط والمسالك في النهاية بأنها أوهى من بيت العنكبوت. حيث سيعمد إلى التوسل بالمستوى الدلالي والتداولي بإرجاع الكلمات إلى مقولاتها الأصلية ، واستحضار مجالها الدلالي والتداولي الأصلي من أجل التمييز بين اللغة الموصوفة واللغة الواصفة وتأثير ذلك على المخرجات الحجاجية للأطروحة المدحوضة، إذ يقول: أما قول الله عز وجل: ﴿**تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ الرحمان** : 78 (الفصل، ج 5، ص.135). وذو الجلال حق، ومعنى تبارك تفاعل من البركة، والبركة واجبة لاسم الله عز وجل الذي هو كلمة مؤلفة من حروف الهجاء، ونحن نتبرك بالذكر له وبتعظيمه وتجله ونكرمه فله منا التبارك، وله الإجلال منا ومن الله تعالى، وله الإكرام من الله تعالى ومنا حيث ما كان من قرطاس أو في شيء منقوش فيه أو مذكور بالألسنة، ومن لم يجل اسم الله عز وجل كذلك ولا أكرمه فهو كافر بلا شك، فالآية على

ظاهرها دون تأويل فبطل تعلقهم بها جملة ولله تعالى الحمد، وكل شيء نص الله تعالى عليه أنه تبارك فذلك حق له، ولو نص تعالى بذلك على أي شيء كان من خلقه كان ذلك واجبا لذلك الشيء.

يؤول القضية الجوهرية في تلك الآية عبر وضعها أولا في سياقها اللغوي، مركزا على كون الاسم علامة دالة : فهي كلمة ملفوظة مؤلفة من حروف الهجاء ، وقد تنوب عنها كلمة مكتوبة أو منقوشة بالحروف نفسها. موضحا في الوقت ذاته أن فعل تبارك الذي يصاغ منه مصدره التبارك لا يمتنع تعلقه باسم الله ؛ فالتبرك باسمه واجب وهو في ذلك كله يحمل الآية على ظاهرها ، ولا يتحل أو يتأول قولا ينافي ظاهرها . يحتكم ابن حزم ،إذن، إلى النص في بعده اللغوي وتنزيله تنزيلا تداوليا حيث تشكل اللغة منطلقا جوهريا له في ذلك التنزيل؛ بل يحذر كل من سولت له نفسه وينذره بعدم الانصياع لظاهر النص ، وإسناد الحمد والتبرك إلى الله مباشرة دون واسطة سيميائية دالة . بعد ذلك سينتقل إلى بسط القول في الحجة الثانية ، وعرض مقصوده الحجاجي في آية تشبه السابقة . ينصرف ابن حزم إلى تعدية الحكم السابق ليشمل الآية والحجة الثانية ، مؤكدا أن التواصل مع الله بجميع أنواع السلوكات القولية يتم بتوسط اللفظ ، فالتسبيح الذي هو تنزيه الشيء عن السوء ، وهو يشمل كذلك تنزيه اسمه المؤلف من الحروف الهجائية بإبعاد عنه كل نقص أو عيب . حيث يقول(**الفصل، ج.5،ص. 136**) : وأما قوله تعالى: **﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾**، فهو أيضا على ظاهره دون تأويل لأن التسبيح في اللغة التي بها نزل القرآن وبها خاطبنا الله عز وجل إنما هو تنزيه الشيء عن السوء، وبلا شك أن الله تعالى أمرنا أن ننزه اسمه الذي هو كلمة مجموعة من حروف الهجاء عن كل سوء، حيث كان، من كتاب أو منطوقا به، ووجه آخر أن معنى قوله تعالى: **﴿ سبح اسم ربك الأعلى﴾**.

أما بخصوص الحجة الثالثة فيفككها ابن حزم قائلا : أما قوله تعالى: **﴿ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾**. فقول الله عز وجل حق على ظاهره ولهذه الآية وجهان كلاهما صحيح، أحدهما: أن معنى قوله عز وجل: **﴿ ما تعبدون من دونه إلا أسماء﴾**. أي إلا أصحاب أسماء، برهان هذا قوله تعالى إثر ذلك متصلا بها: **﴿سميتموها أنتم وآباؤكم﴾**. فصح يقينا أنه تعالى لم يعن بالأسماء هاهنا ذوات المعبودين لأن العابدين لها لم يحدثوا قط ذوات المعبودين، بل الله تعالى توحد بإحداثها. هذا ما لا شك فيه. والوجه الثاني: أن أولئك الكفار إنما كانوا يعبدون أوثانا من حجارة أو بعض المعادن أو من خشب، وبيقين ندري أنهم قبل أن يسموا تلك الجمل من الحجارة ومن المعادن ومن الخشب باسم اللات والعزى ومناة، وهبل، وود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا وبعل. قد كانت ذواتها بها شك موجودات قائمة وهم لا يعبدونها ولا تستحق عندهم عبادة فلما أوقعوا عليها هذه الأسماء عبدوها حينئذ، فصح يقينا أنهم لم يقصدوا بالعبادة إلا الأسماء، كما قال الله عز وجل لا الذوات المسميات(**الفصل، ج.5،ص.**

137) .تحتمل هاته الآية في نظره وجهين كلاهما صحيح: فالوجه الأول يعني أن الله لم يقصد بذلك المسميات التي هي ذوات المعبودين باعتبار أن الله هو الذي أحدثها حقيقة ، والعابدون لها هم من سموهم بتلك الأسماء . حيث وردت الآية مع الجمع بين النفي والإثبات ؛ إذ يدل ذلك على حصر وتخصيص عبوديتهم للأسماء ؛ فهي مقصورة على ذلك دون أن تتعداها إلى عبادة الذوات. أما الوجه الثاني ؛فيستدل ابن حزم على أن من عبد تلك الأصنام ؛ لم يعبدها كأشياء وذوات ، حيث قبل أن يسموها بتلك الأسماء لم يقصدوها بالعبادة . وإنما حدث ذلك بعد أن أسندت إليها تلك الأسماء ؛ فانصرفوا إلى عبادة الأسماء فقط دون مسمياتها. ولذلك يصف ابن حزم القوة الحجاجية لهذين الوجهين بكونها في منتهى البيان والبرهان وموجبة لليقين وقاطعة للشك بأن الاسم غير المسمى.

يستمر المسار الحجاجي لابن حزم بشكل تصاعدي مفندا الحجج الثلاثة السابقة بالتطرق للحجة الرابعة قائلا :وأما قولهم: إن الاسم مشتق من السمو، وقول بعض من خالفهم مشتق من الوسم فقولان فاسدان كلاهما باطل، افتعله أهل النحو، لم يصح قط عن العرب شيء منهما وما اشتق لفظ الاسم قط من شيء، بل هو اسم موضوع مثل حجر، ورمل، وخشب وسائر الأسماء لا اشتقاق لها، وأول ما تبطل به دعواهم هذه الفاسدة أن يقال لهم: قال الله عز وجل: ﴿ **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾ **البقرة : 111 (الفصل، ج.5،ص. 137)** . لقد عمل ابن حزم إلى نفي نسب الاسم الاشتقاقي متوسلا في ذلك بالمستوى الصرفي من اللغة العربية ، ودحض الحجتين اللتين تذهبان إلى كونه مشتقا سواء من قال باشتقاقه من السمو ، أو من قال باشتقاقه من السمة. فقد سارع إلى الحكم بتهافت هذين الدليلين اللسانيين مبرزا سر ذلك التهافت بكونه لا يقوم على أساس لغوي صحيح ، ولا يخضع لسلطة مرجعية لها سندها اللغوي ومعترف بها ؛ بل كل ما هناك حكم افتعله واختلقه أهل النحو ولم يصح عن العرب شيء عن اشتقاق الاسم . إنما هو اسم موضوع مثل بقية أسماء الذوات كحجر ورمل وخشب .

لذلك سيعمد ابن حزم إلى اتهامهم بالكذب، وأن حجتهم تفتقد للبيان والبرهان وقابلة للتهافت والدحض. وهم بذلك كذبوا على العرب ، واستخفوا بأصول وضع اللغات ؛ ومن ثم تهافت قولهم ، وافتقد للشرعية والمرجعية ، حيث يقول : فصح أن من لا برهان له على صحة دعواه فليس صادقا في قوله، فهاتوا برهانكم على أن الاسم مشتق من السمو أو من الوسم، وإلا فهي كذبة كذبتموها على العرب وافتريتموها عليهم أو على الله تعالى الواضع للغات لكلها، وقول عليه تعالى أو على العرب بغير علم، وإلا فمن أين لكم أن العرب اجتمعوا فقالوا نشتق لفظة اسم من السمو أو من الوسم ... ؟ والكذب لا يستحله مسلم، ولا يستسهله فاضل، ولا سبيل لهم إلى برهان أصلا بذلك،(**الفصل، ج.5،ص. 137**) .إنه يسترسل معهم في زعمهم ودعواهم ، ويدعوهم إلى تمحيصها وتحقيقها وفق منطقهم الحجاجي المبني على

المستوى الصرفي والتداولي من اللغة عن طريق القول باشتقاق الاسم من السمو . حيث إذا كان السمو يدل على الرفعة، وعلى أن يسمو الاسم بمسماه ؛ فهل تسمو الأسماء بمسمياتها القذرة والنجسة والدنيئة وبمجرد إسناد الأسماء إليها؟ إن هذا في نظره لا يمكن أن يقبل به صاحب العقل السليم وذو الطبع القويم . لأن هناك علاقة منافاة ومغايرة بين الاسم والمسمى. ولذلك فهو يدعو إلى أدنى تأمل في تلك المسميات بأنها من طبيعتها غير مشتقة سواء من الجانب اللغوي المرتبط بلفظ الاسم ، أو من حيث المستوى الوجودي لها. حيث يقول : وأيضا فلو كان الاسم مشتقا من السمو كما تزعمون فتسمية العذرة، والكلب، والجيفة، والقذر، والشرك والخنزير والنجاسة رفعة لها، وسمو لهذه المسميات وتبا لكل قول أدى إلى هذا الهوس البارد، وأيضا فهبك أنه قد سلم لهم قولهم أن الاسم مشتق من السمو، أي حجة في ذلك على أن الاسم هو المسمى ...؟ بل هو حجة عليهم أن ذات المسمى ليست مشتقة أصلا ولا يجوز عليها الاشتقاق من السمو ولا من غيره فصح بلا شك أن ما كان مشتقا فهو غير ما ليس مشتقا، والاسم بإقرارهم مشتق والذات المسماة غير مشتقة(**الفصل، ج.5،ص. 137**).

ويستصحب ابن حزم تلك الدعوى السابقة، ويحاول أن يضعها في سياقها الحجاجي اللغوي والوجودي والإلهي كاشفا مرة أخرى عن تناقض تلك الحجة باعتبار أن القول بمطابقة الاسم للمسمى وكون الأول مشتقا يلزم عنه أن الثاني كذلك هو مشتق ؛ أي أن الله مشتق. وهذا في نظره لا يقبل به من كان عنده ذرة من العقل؛ إذ يقول ابن حزم : وهذا قول يؤدي من اتبعه وطرده إلى الكفر المجرد، لأنهم قطعوا

أن الاسم مشتق من السمو، وقطعوا أن الاسم هو الله نفسه، فعلى قولهم المهلك الخبيث أن الله مشتق وأن ذاته نفسها مشتقة، وهذا ما لا ندري كافرا بلغه، والحمد لله على ما من به من الهدى،(**الفصل، ج.5،ص. 138**). يستند ابن حزم في أغلبية مواضع حجاجه إلى البعد اللساني المتمثل في المستوى الصرفي والمعجمي والدلالي والتركيبي والتداولي، وإلى البعد المنطقي باعتماد مبادئ العقل الثلاثة المتمثلة في مبدأ الهوية وعدم التناقض والثالث المرفوع ؛ فهو يحاول أن يحلل الآيات القرآنية باعتماد آليات حجاجية لغوية منطقية . فإذا تتبعنا كيف يؤول الآيتين الواحدة والثلاثين والثالثة والثلاثين من سورة البقرة؛ حيث إن الله تعالى يقول: ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين**﴾ إلى قوله تعالى قال: ﴿**يا آدم أنبئهم بأسمائهم**﴾ البقرة :31-33.

إذ يجزم الله في هاتين الآيتين بأن الله علم آدم الأسماء كلها، ولفظة الاسم لا يمكن استثناؤها من ذلك باللغة العربية أو بغيرها من اللغات؛ فهي داخلة في ذلك العموم ولا موجب يستثنيها من ذلك؛ حيث يقول ابن حزم: فلا يخلو أن يكون الله عز وجل علم آدم الأسماء كلها، كما قال عز وجل، إما

بالعربية، وإما بلغة أخرى، أو بكل لغة فإن كان عز وجل علمه الأسماء بالعربية، فإن لفظة اسم من جملة ما علمه لقوله تعالى الأسماء كلها، ولأمره تعالى آدم بأن يقول للملائكة: أنبئوني بأسماء هؤلاء. فلا يجوز أن يخص من هذا العموم شيء أصلا، بل هو لفظ موقوف عليه كسائر الأسماء ولا فرق. وهو من جملة ما علمه الله تعالى آدم عليه السلام إلا أن يدعو أن الله تعالى اشتقه فالقوم كثيرا ما يستسهلون الكذب على الله تعالى والإخبار عنه بما لا علم لهم به، فصح يقينا أن لفظة الاسم لا اشتقاق لها، وإنما هي اسم مبتدأ كسائر أسماء الأنواع والأجناس، وإن كان الله تعالى علم آدم الأسماء كلها بغير العربية فإن اللغة العربية موضوعة للترجمة عن تلك اللغة يدل كل اسم من تلك اللغة على اسم من العربية، موضوع للعبادة عن تلك الألفاظ، وإذا كان هذا فلا مدخل للاشتقاق في شيء من الأسماء أصلا لا لفظة اسم ولا غيرها، وإن كان تعالى علمه الأسماء بالعربية وبغيرها من اللغات غير(**الفصل، ج.5،ص. 138**). العربية فلفظة اسم من جملة ما علمه وبطل أن يكون مشتقا أصلا، ..فبطل قولهم في اشتقاق الاسم وعاد حجة عليهم(**الفصل، ج.5،ص. 138**).

إن الحجج جميعها التي يحتج بها أصحاب القول بمطابقة الاسم للمسمى تعود عليهم بعكس ونقيض قولهم ؛ فهي عند تصويب جهتها الحجاجية تنصرف إلى القول بمنافاة الاسم للمسمى. حيث سيعود إلى الحجة الخامسة من جديد لتفكيكها جامعا بين المستوى اللغوي والمستوى المنطقي ؛ إذ يقول :وأما بيت لبيد إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر: فإنه يخرج على وجهين: أحدهما أن السلام اسم من أسماء الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن**﴾. ولبيد رحمه الله مسلم صحيح الصحبة للنبي صلى الله عليه وسلم فمعناه: ثم اسم الله عليكما حافظ لكما، والوجه الثاني، أنه أراد بالسلام التحية، ولبيد لا يقدر هو ولا غيره على إيقاع معنى التحية عليهما، وإنما يقدر على ذلك الله تعالى بلا خلاف من أحد. وإنما يقدر لبيد وغيره على إيقاع اسم التحية والدعاء بها فقط، فأي الأمرين كان فاسم السلام في بيت لبيد هو غير معنى السلام، فالاسم في ذلك البيت غير المسمى ولا بد،(**الفصل، ج.5،ص. 138-139**). وهو بدوره يحتمل وجهين واحدا ذا طبيعة لغوية ، والثاني ذا طبيعة منطقية لغوية. فالوجه الأول يتمثل في أن السلام اسم من أسماء الله ؛ وبالتالي معناه أن الله حافظ لكما وعليكما الأمان منه. أما الوجه الثاني فهو يرد بمعنى التحية ، وفي ذلك تفصيل ونظر كذلك . باعتبار أن لبيد وغيره قادر على التلفظ بالتحية والدعاء فقط ، أي أن ذلك فيه توسطا بلفظ السلام الذي هو يدل على معنى التحية التي لا يقدر على إيقاعها إلا الله . ومن ثم يرتد الاسم إلى الدال دون المدلول ؛ أي أن الاسم يغاير المسمى في كلا الوجهين.

وبناء على ما سبق ، يمكن تقوية ذلك بحجتين إضافيتين ينتفي فيهما الاسم عن المسمى . وهما حجة عائشة وحجة رؤية ؛ إذ يفصحان ويفصلان بين الاسم والمسمى ؛ حيث يقول ابن حزم : ثم لو صح ما يدعونه على لبيد ولا يصح. لكان قول عائشة رحمها الله إنما أهجر اسمك بيانا أن الاسم غير المسمى وأن اسمه عليه السلام غيره لأنها أخبرت أنها لا تهجره وإنما تهجر اسمه وهي رضوان الله عليها ليست في الفصاحة دون لبيد، وهي أولى بأن تكون حجة من لبيد فكيف وقول لبيد حجة عليهم لا لهم ... ؟ والحمد لله رب العالمين. وقد قال رؤبة باسم الذي في كل سورة اسمه، ورؤية ليس دون لبيد في الفصاحة، وذات الباري تعالى ليست في كل سورة، وإنما في السورة اسم الله تعالى فلا شك في أن الذي في السورة غير الذي ليس فيها(**الفصل، ج.5،ص. 139**). فعائشة عندما تصرح وتفصح للرسول بأنها تهجر اسمه ؛ نستنتج أنها لا تهجر ذاته . أي أن الاسم يخالف المسمى . وكذلك قول رؤية باسم الذي في كل سورة اسمه يكشف بالملموس أن السور تتضمن أسماءه ، وليس ذاته.

ينتقل ابن حزم بعد ذلك إلى تحليل الحجة المستندة إلى صاحب أول كتاب في منطق اللغة . وهو سيبويه ؛ إذ يقول : وأما قول سيبويه: إن الأفعال أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء فلا حجة لهم فيه، فبيقين ندري أنه أراد أحداث أصحاب الأسماء، برهان ذلك قوله في غير موضع من كتابه أمثلة الأسماء من الثلاثي، والرباعي، والخماسي، والسداسي، والسباعي، وقطعه بأن السداسي والسباعي من الأسماء مزيدان ولا بد، وأن الثلاثي من الأسماء أصلي ولابد، وأن الرباعي والخماسي من الأسماء يكونان أصليين، كجعفر وسفرجل، ويكونان مزيدين، وأن الثنائي من الأسماء منقوص مثل يد، ودم، ولو تتبعنا قطعة على أن الأسماء هي الأبنية المسموعة الموضوعة ليعرف بها المسميات لبلغ أزيد من ثلاثمائة موضع(**الفصل، ج.5،ص. 139**). سيعمل ابن حزم على وضع تلك الحجة اللسانية في سياقها النظري والمنهجي ؛ فهي من حيث طبيعتها النظرية- المقصود هنا الأسماء- تنتمي إلى اللغة الواصفة ، أي أنها من مستوى اللغة الثانية وليس اللغة الأولى. أما من حيث طبيعتها المنهجية فهي تقبل النقصان والزيادة وتتعدد أبنيتها. وبذلك فالأفعال مشتقة منها ؛ حيث صيغت وأخذت من ألفاظها ؛ واستصحابا لكل ما سبق فإن الأفعال في الحقيقة مأخوذة من لفظ الأحداث التي هي أسماء المعاني ؛ فالعلاقة بين الاسم والفعل هي علاقة اشتقاقية لفظية مباشرة لا تحتمل مطابقة الاسم للمسمى سواء من قريب أو من بعيد .

بل من تفحص حسب ابن حزم مستهل كتاب سيبويه ، ونظر فيه نظرة فاحصة يدرك جيدا أن الاسم والفعل والحرف من أقسام الكلم التي هي جمع قلة للكلمة . مع العلم أن هاته الأخيرة شكل لغوي ، وصناعة لفظية موضوعة للدلالة على تلك الأنواع الثلاثة، وليس على الذوات؛ وفي ذلك يقول ابن حزم (**الفصل، ج.5،ص. 140**): وأول سطر من كتاب "سيبويه" بعد البسملة: هذا باب علم ما

الكلم من العربية، فالكلم: اسم، وفعل، وحرف، جاء لمعنى ليس باسم لا فعل، فالاسم: رجل وفرس، فهذا بيان جلي من "سيبويه"، ومن كل من تكلم في النحو قبله وبعده، على أن الأسماء هي بعض الكلام، وأن الاسم هو كلمة من الكلم، ولا خلاف بين أحد له حس سليم في أن المسمى ليس كلمة، ويستمر ابن حزم في عرض قول سيبويه الدال دلالة مفصلة تغني السائل عن حجة أولئك لكون الأسماء تقبل الحركات الإعرابية من الرفع والنصب والجر والتنوين ولا تقبل السكون. لذلك تنتفي تلك الحركات عن المسمين وتلحق تلك الأسماء المؤلفة من الحروف التي بدورها تخضع لقانون الزيادة والنقصان والتصغير والتكبير والنداء والترخيم . ومع ذلك تظل المسميات ثابتة ولا تتغير بتغير تلك الأسماء، كما أن الأفعال المضارعة تضارع أسماء الفاعلين على مستوى الصياغة اللغوية وليس على مستوى الحقيقة الأنطولوجية ؛ فالعلاقة بينهما اشتقاقية صرفية تركيبية تنتمي إلى الميتا-لغة، وليس إلى عالم الوقائع والأشياء. إذ يقول ابن حزم : ثم قال بعد أسطر يسيرة: والرفع والجر والنصب والجزم بحروف الإعراب، وحروف الإعراب الأسماء المتمكنة، والأفعال المضارعة، وأسماء الفاعلين، وهذا منه بيان لا إشكال فيه، أن الأسماء غير الفاعلين وهي التي تضارعها الأفعال التي في أوائلها الزوائد الأربع، وما قال قط من يرمي بالحجارة: أن الأفعال تضارع المسمين، ثم قال: والنصب في الأسماء، رأيت زيدا، والجر: مررت بزيد، والرفع: هذا زيد. وليس في الأسماء جزم لتمكنها، وإلحاق التنوين، وهذا كله بيان أن الأسماء: هي الكلمات المؤلفة من الحروف المقطعة، لا المسمون بها، ولو تتبع هذا في أبواب الجمع وأبواب التصغير، والنداء والترخيم، وغيرها لكثر جدا، وكاد يفوت التحصيل (**الفصل، ج.5،ص. 140**).

لقد خلص ابن حزم بعد تفكيك البنية الحجاجية من حيث مستوياتها اللغوية والمنطقية وأبعادها اللغوية والوجودية والميتافيزيقة إلى إعادة ترتيب علاقاتها الناظمة لها باعتبار أن العلاقة بين الاسم والمسمى هي علاقة مغايرة ومنافاة ، وليس علاقة مماهاة ومطابقة وموافقة؛ حيث يقول: فسقط كل ما شغب به القائلون بأن الاسم هو المسمى، وكل قول سقط احتجاج أهله، وعري عن برهان فهو باطل(**الفصل، ج.5،ص. 140**)...منتقلا بعد ذلك إلى تحليل عناصر البنية الحجاجية الثانية بكل المداخل و الأبعاد والعناصر السابقة من أجل إعادة تشكيل العلاقات القائمة بين أقطابها السيميائية الثلاثة المتمثلة في الاسم والمسمى والتسمية. فما هي المسالك الحجاجية التي عبدها وذللها من أجل الارتقاء بالأطروحة الثانية إلى مستوى الأطروحة النقيض؟

نفي أطروحة المعتزلة ودحضها

إن البنية الحجاجية للأطروحة الثانية تدافع عن أطروحتها المتمثلة في كون الاسم ليس هو المسمى . و تترافع عن ذلك بأقل عدد من الحجج؛ حيث يورد ذلك ابن حزم بشكل مختصر قائلا : ثم

نظرنا فيما احتج به القائلون: أن الاسم غير المسمى فوجدناهم يحتجون بقول الله تعالى: ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وذروا الذين يلحدون في أسمائه**﴾ الأعراف :180. قالوا والله عز وجل واحد، والأسماء كثيرة، وقد تعالى عن أن يكون اثنين، أو أكثر، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿**إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة غير واحد، من أحصاها دخل الجنة**﴾ (**الفصل، ج.5،ص. 140**).

قالوا: ومن قال: إن خالقه أو معبوده تسعة وتسعون فهو شر من النصارى الذين لم يجعلوه إلا ثلاثة.يظهر من خلال هاتين الحجتين أن تعدد أسماء الله حجة قوية دامغة على أن الاسم ليس هو المسمى، باعتبار أنه لو كان الاسم هو المسمى لكان ذلك موجبا إلى تعدد الذوات . وبالتالي يقوم التنافي بينهما مقام البرهان القاطع الذي لا شك فيه بخصوص هاته الإشكالية .

كما أن ابن حزم سيفصل فصلا قاطعا بين الاسم والمسمى والتسمية ويغاير بينها مخالفا كل المذاهب ؛ حيث يقول: الاسم غير المسمى: فهو شيء ثالث غير التسمية، وغير المسمى، فذات الخالق تعالى هي الله المسمى، والتسمية: هي تحريكنا عضل الصدر واللسان عند نطقنا بهذه الحروف، وهي غير الحروف، لأن الحروف هي الهواء المندفع بالتحريك فهو المحرك بفتح الراء، والإنسان هو المحرك بكسر الراء، والحركة هي فعل المحرك في دفع المحرك، وهذا أمر معلوم بالحس، مشاهد بالضرورة، متفق عليه في جميع اللغات. فالاسم يتألف من الحروف المنظومة المقطعة، والمسمى هو الذوات، بينما التسمية هي العملية الفيزيولوجية المتمثلة في تحريك عضل الصدر واللسان عند نطق الحروف المكونة للاسم. وهي في ذلك تختلف عن هاته الأخيرة باعتبار أن الحروف هي الهواء المندفع بالتحريك الذي هو من فعل الناطق بتلك الحروف.

يتوسل ابن حزم ،إذن، بالمستويات اللسانية للغة العربية المتمثلة في المستوى الصرفي، والدلالي، والتركيبي، والتداولي والصوتي من أجل اعتمادها وتوظيفها في السلم الحجاجي، وتدعيمها في الوقت ذاته بالمكون المنطقي المرتكز على مبادئ التفكير كمبدأ الهوية وعدم التناقض والثالث المرفوع . من أجل دحض أطروحتي المعتزلة والأشاعرة. وتقديم أطروحته التي ترتكز على التنافي المنطقي واللغوي والوجودي بين الاسم والمسمى والتسمية.

الخاتمة

لقد عمل ابن حزم عند تحديده للاسم على استحضار الأطروحتين الاعتزالية والأشعرية المحتضنتين لتلك الإشكالية منطلقا من النسق الحجاجي لكل واحدة منهما. حيث سيشرع في تفكيك النسقين السيميائيين لهما من الداخل باعتماد مداخل لغوية منطقية مختلفة عنهما من أجل نقد وتفنيد الأطروحة الأشعرية القائلة بمماهاة ومطابقة الاسم للمسمى، وتعديل الأطروحة الاعتزالية حتى ترقى إلى

مستوى الأطروحة البديلة وذلك بالإبقاء على المنافاة بين الاسم والمسمى ، وتغيير بند من بنودها المتمثل في المماهاة بين الاسم والتسمية والحكم عليها بالمغايرة ؛ وذلك بناء على أن الاسم هو الحروف المقطعة، والمسمى هو الذات، والتسمية هي فعل عضلة الصدر واللسان من أجل النطق بحروف الاسم.

إن ابن حزم رغم انطلاقه من أطروحة المعتزلة والعمل على تطويرها وبلورة تصور مغاير لجوهر تلك الأطروحة ؛ فهو ينتقد المعتزلة خصوصا في كتابه الفصل، ويرتكز في رؤاه السيميولوجية على ثوابت نظرية ومنهجية وحجاجية تختلف كل الاختلاف عن غيرها عند المعتزلة؛ فبالنسبة للمستوى المنهجي فهو لا يساوي بين ذات الخالق وذات المخلوق، وبالنسبة للمستوى الحجاجي فهو يرفض العلل والقياس ويعتمد القياس المنطقي بديلا عن كل ذلك، كما أنه يستعين بالمستويات اللسانية المتمثلة في المستوى المعجمي والصرفي والتصريفي والتركيبي والتداولي.

المصادر والمراجع:

- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص.135.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص135.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص135.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص135.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص135.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص135.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص135.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص136.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص135.

- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص136.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص137.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص137.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص137.
ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص137.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص138.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص138.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص138.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص138-139.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص139.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص139.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص140.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص140.

ISSN : 2625 - 8943

- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص140.
- ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (المجلد الخامس)، تحقيق محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1985م.ص140.

الباحث رشيد العمارتي حاصل على الدكتوراه في الدلالة النحوية عند الأستراباذي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس –سايس.(2018)
-حاصل على ماجستير في اللغة العربية والنظريات اللسانية (2010) من الكلية نفسها .
- حاصل على الماجستير في الفلسفة والعلوم في العصر الوسيط (2023) بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر مهراز فاس.

Human language and its theories-A descriptive and analytical study of human language

اللغة الإنسانية ونظرياتها- دراسة وصفية وتحليلية للغة البشرية

Jihad Faiz Al-Islam - Assistant Professor in the Department of Arabic Language and Literature - University of Tehran – Iran

Email: feyzoleslam@ut.ac.ir

Abstract:

This study aims to arouse interest in language as a part of human culture and civilization at the present time. There is no doubt that there are many linguistic studies in this field, and each researcher has dealt with them according to his opinion and method, but language still draws attention to its importance and its place in human society and its civilization. This is why the science of linguistics and linguistics emerged and theories in it abounded.

The research problem appears in the following questions: How did human language begin and when? How did you develop? What are the most important theories in its origin? Is it possible to know the truth about language? The study attempted to address and answer these questions, through the historical, descriptive, analytical approach, to reach some results, the most important of which are:

-Linguistics is still expanding, in addition to theories of language origins, developments, and ramifications.

-Linguists and those interested in it are still writing more assumptions and theories about the origin and development of language, because the human mind is not yet convinced of the theories and discussions presented to it.

-Linguistic studies have not yet matured and are not keeping pace with the challenges of the current era and its rapid developments.

-Linguistic vocabulary is nothing but cultural and civilizational shipments with human connotations that need review and scrutiny to remove what does not befit them.

Keywords: Language, Human, theories, culture

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إثارة الاهتمام باللغة كجزء من الثقافة والحضارة البشريّة في الوقت الحاضر، ولا شك في أنّ الدراسات اللغوية، كثيرة في هذا المجال، وقد تناولها كل باحث حسب رأيه وطريقته، إلا أن اللغة ما زالت تلفت الانتباه إلى أهميتها ومكانتها في المجتمع الإنساني وحضارته المتسارعة، ولذلك ظهر علم اللسانيات واللغويات وكثرت النظريات فيه.

مشكلة البحث تظهر في التساؤلات التالية: كيف بدأت اللغة البشرية ومتى؟ كيف تطورت؟ ما هي أهم النظريات في نشأتها؟ هل من الممكن معرفة حقيقة اللغة؟ وقد حاولت الدراسة تناول هذه التساؤلات والإجابة عليها، وذلك من خلال المنهج الوصفي التحليلي التاريخي، للوصول إلى بعض النتائج، ومن أهمها:

- علم اللغة لا يزال يتوسع، بالإضافة إلى نظريات نشأة اللغة وتطوراتها وانشعاباتها.

- لا يزال اللغويون والمهتمون بها يكتبون المزيد من الافتراضات والنظريات حول نشأة اللغة وتطورها، لأن العقل البشري لم يقتنع بعد بما عرض عليه من نظريات ومناقشات.

- الدراسات اللغوية لم تنضج بعد وهي أيضاً غير مواكبة ومتكافئة مع تحديات العصر الحالي وتطوراته المتسارعة.

- المفردات اللغوية ما هي إلّا شحنات ثقافية وحضارية ذات دلالات إنسانية تحتاج إلى مراجعات وتمحيص لإزالة ما لا يليق بها.

الكلمات المفتاحية: اللغة، الإنسان، النظريات، الثقافة

the introduction:

The research deals with the topic of language as a manifestation of culture and civilization in the history of human thought, which reveals the status of language and its research, especially in the era of globalization, its origin and development, and the most important theories, ancient and modern, in the field of language.

Linguistic studies are among the most important literary studies. Because it is part of the humanity of a civilized and cultured person, the researcher does not claim that this research has not been touched upon or that few have written about it. However, despite the diversity of studies in this field, language remains the mystery that has occupied many researchers and scholars, and speculation has abounded on this subject, starting with speech. About the pioneers of prehistoric humans, through to skilled man; Then the rational person; And after him is the present inventor man, and the importance of the topic emerges from the status and importance of man himself, as it is what distinguishes him and separates him from all other creatures, and through it man deals with individuals of his own skin and kind, considering language as a cultural, civilizational and social being. The rapid change in the areas of language, especially in an era called the era Globalization encourages a review of language as a cultural and civilizational element among the peoples of the world. Therefore, this study is important for stimulating interest in linguistic issues, including its origin and development and the most important theories about it as part of the cultures and civilizations of the peoples of the world.

Objectives of the study:

The research aims to achieve a set of objectives that form the basis and origins of the study, which are as follows:

1-Arouse interest in rapid language developments

2-Emphasizing the importance of linguistic theories

3-Draw attention and emphasize the importance of language in expanding human civilizations and cultures.

4-Explaining the importance of language in bringing human societies together

5-Emphasizing the importance of language in spreading civilization, culture, knowledge and human sciences.

Study problem:

The idea of researching the origins and development of language, including the Arabic language, came as an attempt to answer a problem related to the important question: How did humans speak the language that has reached us in this form? This question formed the core of the problem of this study. The researcher tried to address it through this intervention entitled "Language as part of the culture and civilization of the peoples of the world - human language origin and development theories." This main question depends on other questions, including:

1- What are the most prominent theories of the emergence of language?

2- What are the most important language families?

3-What is the relationship of linguistics to other sciences.

4-How did languages differ and branch out?

research assumes:

1-The language is witnessing very important modern developments and theories

2-Language is one of the most important foundations and pillars of culture and civilization among peoples.

3-Modern linguistic theorizing has contributed to expanding and enriching the language

Curriculum:

This research follows the historical approach and the descriptive approach, by describing human language, its development, and the most important modern

theories about it, due to the near impossibility of finding the language through excavations and excavations, as is the case for other things. Also, the research does not dispense with linguistic conclusion from comparisons between languages and experimental evidence from researchers and scholars and their analysis. Given the importance of this type of research, the researcher believes that human language is studied through various matters.

Previous studies and their discussion:

The researcher's review of linguistic heritage and the subject of language as the focus of human cultures and civilizations, their origin and development, and the most important theories in this field, as well as in the field of academic studies and linguistic research in particular, is of great importance in increasing linguistic, cultural and civilizational knowledge. Therefore, in this context, the researcher noted the previous studies, which are as follows:

A - Philology, its methods and issues, by Muhammad Asaad Al-Nadari, in which he spoke briefly about the origins of the language, focusing on philology as well.

B - Arabic Philology, by Muhammad Farid Abdullah, also in the field of philology. The author touched on hearing, analogy, and... in language.

C- Principles of Linguistics, by Ahmed Muhammad Qaddour, in which he discussed linguistics according to the contemporary vision from the morphological, grammatical, and phonetic points of view. The writer sometimes explained some of the terms of linguistics.

D- In linguistics, by Ghazi Mukhtar Tulaimat, the author briefly explains the development and origin of the language, the methods of linguistic studies, ancient and modern, and morphological and grammatical issues.

The researcher has benefited from the aforementioned sources and studies to deepen his vision, thought, and understanding of their primary texts, in an attempt to analyze, describe, discuss, or review their topics with criticism or

support. The main goal is to enrich The Arab Library provides more studies on the research topic

Definition of terms:

A – Language:

Language is the human ability to acquire and use complex systems of communication and communication between humans. The scientific study of language is called linguistics. "Language is a general human phenomenon, in all human societies. It consists of regular sounds in regular words in sentences, to convey different meanings" (Al-Nadry, 2008, p. 10).

B- The concept of language:

Language is a system of symbols that a person uses with the aim of communicating with people, expressing his feelings, and acquiring knowledge. Language is one of the means of understanding between people within society, and each society has its own language. Language is defined idiomatically as: "an expression of sound symbols that have compatible systems." In structures, words, and sounds, it is used for social and individual communication and communication." (Saliba, 1982, vol. 2, pp. 286-287), and Ibn Jinni defined it as sounds with which every people expresses their purposes (1952 AD, vol. 1, p. 33). Ibn Khaldun described it by saying: Know that all languages are faculties similar to craftsmanship, as they are faculties in the tongue to express meanings, and their quality and shortcomings are according to the perfection or deficiency of the faculty. This is not based on vocabulary, but rather it is based on structures (Ibn Khaldun, 1410 AH, p. 554). Ibn al-Hajib defined it as "every word that has a meaning" (Al-Suyuti, 2009 AD, vol. 1, p. 20).

C- Characteristics of the language:

The characteristics and functions of language are summarized as follows:

-Language is a system of arranging its letters and words, acquired through learning.

-It has meaning and connotations that are understood and known by the listener, speaker, reader, and writer.

-It has independence and advantages over other languages, and conveys the content of the message through communication.

-It is considered a social phenomenon characterized by instability.

-Its functions are that it preserves the heritage owned by peoples and groups.

-It stimulates emotions and thoughts, strengthens social ties through communication between people, and transmits information.

Language is "the medium for transmitting ideas from parents to children, without which generations would have been cut off from each other and each generation would have to start from scratch" (Nayef, 2008, p. 28, adapted).

Language, as the German philosopher Fichte says, "accompanies the individual in his life, and extends to his depths. It is the only true link between the world of bodies and the world of minds" (same source, p. 28, quoting the pioneers of Western philosophy).

D – Dialect:

A dialect is "a group of linguistic characteristics that belong to a special environment, and these characteristics are shared by all members of this environment. The linguistic characteristics intended in this definition are, most often, phonetic characteristics related to checking the exits of letters and how they are pronounced, and there are no specific conditions for the size of these." Environment" (Al-Nadry, 2008, p. 14). We see that in a small country, the north speaks in one way, its south speaks in a way, its east speaks in another way, and

its west also differs. It appears that the issue of dialects has not been agreed upon as a language, but sometimes a dialect changes into a language.

E- Linguistics:

Linguistics is the science that studies human language scientifically, based on description and examination of reality, away from educational tendencies and normative judgments, in a systematic manner and with objective foundations that can be verified and proven (see: Qaddour, 2008, p. 15). Linguistics is a new science of linguistic study that follows modern methods and tools and is not limited to language only.

F- Philology:

Philology is composed of two words. The first: jurisprudence, which is knowledge of a thing and understanding of it. The second: language, which is the sounds used by every people to express their purposes, as Ibn Jinni says. The science of philology arose and expanded (see Al-Jawahiri: Al-Sihah, Ibn Faris: Dictionary of Language Standards, and Ibn Perspective: Lisan al-Arab).

So, philology: the study of speech: a deep study aimed at understanding the language well, and the result is a deep and accurate study of speech. (Tulaimat, 1997, p. 14). Philology, its meaning and concept among Arabs, is sometimes different from its meanings among Westerners, ancient and modern, and their view of it also differs.

G – Linguistics:

It appears that the term "Linguistics" is a new term, and it means "the scientific study of language, and was used for the first time in the middle of the nineteenth century" (Britannica book 23 p. 40 chicago). It is of Western origin and is more general than philology, as linguistics is the science that studies Language or dialect is an objective study, and it is a science that relies on presenting and

revealing its phonological, morphological, grammatical, semantic and derivational characteristics and revealing the relationships that link these phenomena to each other and connect them to psychological phenomena, society and the geographical environment. The subject of linguistics is all the linguistic activity of man in the past and present. It includes primitive and civilized man and living languages And dead languages, ancient and modern, without regard to correctness, melody, quality or poor quality" (Abdul Tawab, 1985, p. 7). The result is linguistics that relies on inductive-sensual methods in studying language in a lively descriptive study of its lived reality and deduces rules and laws from its inductive-statistical observations and its reliance on modern machines and devices (Tulaimat, 1996, p. 18).

Different topics

-The subject of philology:

Perhaps the first person to use this term was Ahmad ibn Faris al-Laghawi in his book "Fiqh al-Lughah" after his book "Standards of Language." Then he followed in the footsteps of al-Tha'labi and wrote his book "Jurisprudence of Language and the Secret of Arabic." Then came after him al-Khalil ibn Ahmad al-Farahidi, then came Sibawayh, then came After Qatar.

So Ibn Faris was the first to write on this subject, and his book was a mixture of language, grammar, and rhetoric, in which he addressed the emergence of language, the differences in languages, the impact of Islam on language, the development of language, and the use of language. He touched on general matters in language.

It appears that philology did not mature until a thousand years after its inception. Then the modern scholars came and added distinct topics to philology, such as "the origins of the Arabic language and its connection to the Semitic languages, the sounds of the language, its pronunciations, its connotations, the connotation

of the word, the characteristics of Arabic, its dialects, its Arabization, what is foreign to it, and its ability to represent the renewed civilization and its continuation." This science was later called "philology," and this word is borrowed from the Greek and means the love of speech, so philology became an integrated science to which new topics were added" (Tulaimat, 1985 AD, p. 15).

The subject of linguistics

The confusion occurred in the definition of linguistics and took a continuity basis with philology, so it was said: There is no difference between philology and linguistics. Then they said linguistics complements philology, and later the linguist Lommel tried to remove the confusion from it, but he was not successful until the Western world came. De Saussure defined it appropriately.

Linguistics relies on the sensory inductive method and the tangible experimental method in studying languages. Linguistics also deduces rules and laws from its observations and its reliance on modern machines and devices, but the study of philology does not depend on the sensory method, but rather on the logical-philosophical method (see: Tulaimat, 1985, p. 15). (.

John Lyons believes that the most important characteristics of linguistics are:

- Linguistics is characterized by independence, and this is an aspect of its science Linguistics is concerned with spoken language before written language and other sciences, vice versa.

-Linguistics means dialects and does not prefer classical Arabic over other languages.

-Linguistics does not differentiate between primitive languages and civilized languages (Lyons, 1985, p. 39) also see: Qaddour, 2008, p. 16).

Greek language and civilization

The Greek civilization has a great wealth of knowledge in linguistics and language, as they contributed to revealing the truth of the linguistic system.

With humans, Plato and his student Aristotle provided valuable research into language, influenced by the linguistic discoveries of the Phoenicians, who created the alphabetic system and invented writing.

The Greek philosophers divided "the word into a noun, a verb, and a letter, and they talked about the subject of the relationship between the noun and the object, as well as consonant sounds and whispered sounds" (see: Tulaimat, 1997, p. 129). Then the Arabs came and established Arabic linguistics and philology.

The end of the eighteenth century and the beginning of the nineteenth century was the dividing line between two time periods in the history of the study of language, in which the study was based on research into the origin and development of the human language, interested in studying the Greek and Latin languages, and comparing them to measure one against the other.

It appears that "linguists in this period were influenced by scientific methods that used observation, induction, and experimentation as methods for studying reality and discovering facts in nature. They abandoned the ancient methods, preferred direct observation and broad induction, and were content to describe what was presented to them by the living, circulating languages, not the ancient written languages." Of characteristics and attributes" and they based their new approach on three foundations: time, place, and level (Tulaimat, 1997AD, p. 108). Also see: (Qaddour, 2008AD, 24).

Theories in linguistics

There were many opinions and theories of scholars in the search for the origin of language, according to their ideas, cultures, and beliefs. Some of them attributed the language to the heavens and linked it to God Almighty, some of them cultivated it from the earth, some of them captured it from the speaking

sounds of nature, some of them learned it through meetings, study chairs, and so on.

1-The theory of suspension: The theory of suspension or divine origin. This theory goes back to Mujahid's interpretation of the Almighty's saying: (And He taught Adam all the names, Al-Baqarah, 31), meaning He taught him the name of everything (Mujahid, 1396 AH, p. 72).

"Then came the commentators and linguists, and Ahmad ibn Faris the linguist was the most attached to this theory and said: I say: "The language of the Arabs is a suspension." He used the verse as evidence, and he was not satisfied with the origins being attributed to the heavens, but rather he held that the Arabic language has all origins and branches of divine origin, and that it reached to us through the prophets in a successive manner until it was completed with the emergence of Islam" (Tulaimat, 1997, p. 46). We see the roots of this theory among Greek philosophers as well, as well as in other holy books such as the Bible in its saying: "In the beginning was the Word and the Word was God" (Muhammad Farid (Abdullah, 2009 AD, p. 28), also see: Al-Nadari, 2008 AD, p. 26).

2- The theory of simulating nature's sounds:

The proponents of this theory hold that man, in his early infancy, before he knew language, imitated the sounds of living and inanimate nature, that is, he listened to the sounds and imitated them. The basis of this theory is imitation of the voice of speaking and silent nature. Man imitated the sound of the wolf, the camel, thunder, and the volcano, and he overwhelmed these sounds in his ears and repeated them with his tongue. Then he created words of their timbre and style, "The Arabs and others were equal in discovering this theory. Abu al-Fath Uthman Ibn Jinni (392 AH) is considered the most prominent Arab linguist who adheres to this theory, and among the foreigners, the German scholar Herder is

considered one of the most important supporters of this theory" (See: Tulaimat (1997 AD, p. 48) and also (Ibn Jinni, Al-Khasa'is, vol. 1, p. 46).

3- The theory of situation and terminology:

The proponents of this theory believe that "language is a human invention, and that people called things by their names, then human generations passed on these names, then actions and letters were invented in their own way and manner, and what people developed over the centuries until the language was completed" (see: Tulaimat, 1997, p. 49). People are the source of language and the creator of it in the form of improvisation or fabrication, and one of its admirers is Ibn Jinni, but most critics conveyed this theory, and said that this theory is not based on reason and logic. Who made it? How did he make it? Everyone is anonymous.

4-Emotional catharsis theory:

The first human language arose from spontaneous, innate sounds that the first man made as an expression of pleasure or distaste, and a translation of acceptance or rejection. Then these sounds developed until they became words and then they became useful sentences. The human brain was unable to make words, so he vented himself by shouting, screaming, singing, and crying. Then These symbols were transformed into words (see: same source, p. 50).

5- Simulation theory:

The author of this theory, the German scientist Geiger, believes that the first human language arose from the observation and imitation of man by his fellow human being, as he works, moves, and expresses his suffering while working with voluntary and involuntary signs, intended or unintentional, or with sounds, so the sounds are fixed in his mind and then transformed. Into a familiar language (see: the same source, p. 51).

6The theory of intellectual readiness:

This is the theory of Mix Müller, where he says: "Man has the ability to express his emotions and thoughts in words that he formulates spontaneously, and this ability is inherent in him and he benefits and benefits from it when needed, just as children invent some words that they have not heard innately. Man is like a machine." He is like a clock. That moves (same source, p. 52). It appears that his words are not without problems because the origin of language and speech is thought and the human brain, so it is absolutely not like a machine.

7-The theory of linguistic development:

The origin of this theory is Darwin's theory of evolution and evolution. Some people thought that language also goes through stages as a child goes through, so language develops through these stages as the child develops and as the human being develops.

The bottom line is that language either came down from the sky, or man imitated nature, or the creativity of the human brain itself, or man's venting of emotions and feelings, or man

1 Developments of modern language

Westerners came after the discovery of the Sanskrit language, and wrote many research and studies about it. It was either complementary to previous theories or complementary to what was discovered at the hands of the Greeks, Arabs and Muslims, and they also discovered new things that were later known as "linguistics and linguistics." In fact, the beginning of linguistics goes back to Science to the century The nineteenth, which went through important and major turning points and developments in the path of science, including: the discovery of the rules of comparison between languages, the beginning of historical linguistics, and the discovery of the Sanskrit language at the hands of William Jones. Then, after him, F.schlegel continued the path and spoke about the theory

of Jones on the importance of the Sanskrit language, its roots and grammar.earned it through his dealings with others, or an innate predisposition and capacity for human activity, or language developed as a person develops in his childhood and then grows up.

Language and de Saussure's theories

The linguist Ferdinand Desaussure revolutionized linguistics and linguistics and put forward a number of linguistic ideas that resonated in linguistics, the most important of which are.

A- Submitting linguistic phenomena to scientific research methods, in contrast to the previous doctrine that says that language is characterized by subjectivity and requires mental contemplation to understand it.

B- Reconstructing mother languages according to their history in the study of language.

C- De Saussure distinguished between the term language, the term tongue, and the term speech. For him, language is a human phenomenon that has many forms, and it is a linguistic faculty.

To him, the language is a specific, verified part of language in its broad human sense.

To him, speech "Parole" is an individual thing that belongs to the tongue.

D- De Saussure believes that linguistics is a social system.

E - De Saussure used the significant term “Signifiant” as a symbol to denote the word, which is the sound image, and the signified term “Singnifie” as a symbol for the conceptual image that expresses the mental concept.

F- Linguistic study at a specific time (“Synchronique”), and linguistic study across successive time periods (“Diachronique”).

G= De Saussure believes in the link between language and signs (see Qaddour, 2008, pp. 23-25).

H- It seems that after De Saussure's theories, many new concepts and sciences occurred in language and linguistics, including.

Linguistics, general linguistics, linguistics and semantics, history of languages, grammar, lexicography, stylistics, semiotics, comparative linguistics, grammar, all of these sciences are Western in origin, Western research and researchers, and these changes occurred in the century Most likely on the nineteenth, then these sciences began to be taught in European universities, especially in France, Italy, Germany, and also the former Soviet Union. Then they were promoted in the eastern countries, where they spread to the Arab countries after their entry from East Africa, specifically Algeria, then Tunisia and Morocco. Because this country is close to France and Europe, and most of the books on this art come from East Africa.

First: The theory of the ancients

If we believe in the theory of elaboration and conventionality of the origin of language, and we say that language is a human creativity and one of their inventions, and they are the ones who conventionalized the language, then the result in the multiplicity and distribution of human languages is also due to them, because they are the reasons and reasons for that multiplicity and distribution, and this is what the linguistic theory of conventionality means, i.e. Language is a purely human invention and people call things by their names. Therefore, this theory results in the multiplicity of human languages according to human societies, meaning that every nation and every society, whether small or large, has developed and defined a special language for itself.

If we believe and take the theory of suspension that says that the human language came down from heaven and is divine in origin, and it is a suspension that

humans have nothing to do with its establishment, then it follows from this assumption that all people spoke one language and nothing else. Adam transmitted it to his children and then to their children and so on. So what made That one heavenly language, inspired by the heavens, could multiply and be distributed into multiple and diverse languages in this pattern that we see today on the face of the earth.

Ibn Jinni answered this question with a weak and unconvincing answer, "He mentioned something and attributed it to others that the different tongues are all tawqīfī, since God Almighty taught Adam the names of all creatures in all the languages: Arabic, Persian, Syriac, Hebrew, Roman, and so on...And Adam and his children spoke all of these languages." Then his children were dispersed in this world, and each of them became attached to one of those languages, and it prevailed over him" (Al-Khasa'is, vol. 1, p. 41).

Second: The theory of the new

Modern studies and research have explained that the multiplicity of languages, their distribution, division, and bifurcation have many factors, causes, and justifications, including: "The spread of the language in large regions of the earth, and after the language drifts, the reins slip away from those who speak the single language, so the language splits into dialects, and each dialect takes on special characteristics that distinguish it from its sisters, and then it is transformed." With the passage of days and years, the dialect turns into an independent language. Governments and authorities have a major role in the multiplicity of languages and dialects when they weaken or strengthen. Also, culture, traditions, politics, color, race, and religion have a role in the multiplicity of languages. We can say that the multiplicity of languages is a divine will, according to the Almighty's saying: "And among His signs is the creation of the heavens and the earth and the separation of "Indeed, in that are signs for the

worlds" (Al-Rum 22), and sufficient evidence of this is that the approximate census indicates that the number of languages in the world is more than 3000 languages (see: Tulaimat, 1997, p. 58).

Third: Esperanto theory

Some tried to unify the language of the world by creating a global language called "Esperanto" spoken by all people, but these attempts failed and did not succeed, as we see languages branching out and still expanding and branching out, as happened to the Latin language, as French, Italian, Spanish, Portuguese, and Romanian split from it, after... Latin was the language of writing and literature.

The most important linguistic families:

Classification is every group of similar linguistic groups, and one of the most important foundations that researchers have relied on in classifying languages and dividing them into factions is the amount of similarity or dissimilarity between the languages of one faction in words and the rules of structure and composition, that is, the aspects of agreement and differences in vocabulary, rules of morphology and grammar, and what is common between the language of one faction. Among the geographical, historical and social links, the most famous theories in this field are Max Müller's theory and Schlegel's theory (see: Tulaimat, 1997, p. 60).

A- Max's theory:

Max Muller based his theory on a scientific basis that he discovered of the elements that make up languages. He based his division in his theory on the convergence or divergence between words, sounds, and structures. It became clear to him that groups of languages are similar in their elements just as members of the same family are similar, so this carried him. The similarity is to the division of human languages into two large families: the Indo-European

tongues family, and the Semitic-Hamitic tongues family, and a third group that is not included in these two families, which is called the Turanian language family.

First: The Indo-European family of tongues:

This family includes many languages, some of which are young and widespread, and some of which are ancient and neglected, neglected by their followers. The most prominent of these languages are Greek, Latin, Irish, Russian, Persian, Sanskrit, Armenian, and the languages branching from Latin, which are: Italian, French, Spanish, Orange, and Romanian. Also the languages of Eastern Europe: Polish, Bulgarian, Lithuanian, Czech, German, Germanic, Dutch, Swedish, Danish, and finally English, and... (See: Tulaimat, 1997 AD, pp. 60 to p. 61, also, Al-Antaki, 1969 AD, p. 72, also, Al-Saleh, 2009 AD, p. 41, also, Wafi, 1984 AD, p. 197).

The most important features and characteristics of the languages of this family

1-Its primary home is Eastern Europe, or what is known as the Baltic Sea.

2-The tongues belonging to it are very different, making it as if they are distinct and different species.

3-Some of them stagnated and did not develop, such as Lithuanian, and some flourished and developed, such as English, French, German, and Persian.

4-Its speakers differ in their colours, religions and cultures.

5-Invasion, wars, and migration are the primary factors for spreading it across the continent of America, Europe, Australia, Asia, and Africa. (See: Tulaimat, 1997, p. 61).

Second: The Semitic tongues family - the protector

Semitic - Hamitic There are two groups of languages in this family: the Semitic language group and the Hamitic language group, and each group includes a number of languages.

A- The group of Semitic languages has two divisions: The first division is the Northern Semitic languages and its languages: Akkadian, Assyrian, Aramaic, and Canaanite, which branched into two languages, Hebrew and Phoenician.

The second is the Southern Semites, and its branches: Arabic, ancient Yemeni, and Semitic Ethiopian.

B- The group of Hamitic languages, which is three branches.

The first division: Egyptian, which includes the ancient Egyptian and Nabataean languages.

The second division: Libyan or Berber, which includes the ancient Algerian language, the Algerian Chawi language, the Tamashic language used in the Moroccan desert, and the Gonchian language in the Sahara.

The third division: Cushitic, located in East Africa.

The most important characteristics of the Semitic faction:

1-Its first home is the Arab countries, then North and East Africa.

2-Its speakers are homogeneous, similar in lineage, similar in homelands, and agree in lifestyles, social systems, and the nature of civilization in general.

3-The Semitic language group is more homogeneous than the Hamitic group. Sometimes the similarity reaches the point of identicalness in words, grammar, and sounds.

4-The protective group lacks homogeneity and its differences are greater than its similarities.

5-Arabic is the strongest of the Semites and protectors, and evidence of its strength is the. revelation of the Noble Qur'an in this language, which preserved it, its continuity, and its prosperity. We also notice the influence of Arabic on other languages: such as Persian, Hindi, and Turkish, and its spread in many parts of the world. (See: Tulaimat, 1997 AD, pp. 61 to p. 62, also, Al-Antaki, 1969 AD, pp. 74 to p. 75, also, Wafi, 1984 AD, p. 197).

Third: The Turanian language family

This family includes a group of languages that cannot be attached to the previous two families, the most prominent of which is the Chinese language, which is spoken by more than a billion speakers, and Japanese, Turkish, and Mongolian. If we compare and measure the characteristics of these languages with each other, we realize that there is nothing between them that unites them in one framework or that would justify calling them by one name.

The most important characteristics and characteristics of this species

1-Its speakers are more than those of the Semitic-Hamitic group and less than speakers of the Indo-European group.

2-There is no unified lineage, creed, or civilization among the peoples who speak it.

3-There is no similarity between its linguistic elements, such as sounds, vocabulary, and structures, that would justify making it a single family. That is, the languages that belong to the family lack the elements of unity, so the naming is formal and non-scientific. (See: Wafi, 1984, p. 201 et seq.).

4-Max Müller's theory provided researchers with an approximate classification that they used to study and divide languages.

But its classification was not based on a scientific basis derived from the elements of languages - their sounds, pronunciations, structures, and styles - and if Muller's theory was successful, it only refers to one family, which is the Semitic language family, and it is not called Arabic because it is a language with its own characteristics (see : Tulaimat, 1997, pp. 62-63).

Siamese:

-Classification of Semitic languages

-It is a group of languages that have been in use since ancient times in the countries of Asia and Africa, some of which have faded, and some of which still

remain. They are divided according to their extinction and prosperity into three groups

-The group of extinct languages: they are the ones that collapsed, leaving only a few phrases left, such as: ancient Canaanite.

-The group of languages with written texts: They are the ones that abandoned and receded from daily life and left written texts to indicate them, namely Akkadian and Sabaean.

-The group of living, thriving languages: They are those that have been endowed with enough power to preserve their survival, including: Arabic, Syriac, Semitic Ethiopian, and Hebrew. Researchers agree that the first to call them "Semitic languages" was the German scientist "Schlotser" in a research he published in 1781 AD.

With the colonial competition over the East, studies on the Semitic language flourished, and universities in Spain, Italy, France, and Germany began establishing chairs specialized in teaching the Arabic, Hebrew, and Syriac languages, that is, the Semitic languages, supported by colonial and sometimes religious ambitions. Among the most famous Western scholars who were interested in studying Semitic languages are: Renan, Noedke, Ritt, Zimmer, and Brockelmann.

The Semitic language is considered one of the most fruitful languages, both dry and mellow. Its people have provided humanity with many gifts, and its languages have become more civilized. More than one language has branched out from the Semitic language, some of which prevailed and then disappeared, and others are still alive, mellow and strong. This is what the orientalists have agreed upon. And others as well as its people.

The most prominent Semitic languages

A- Akkadian language

In the fourth millennium BC, the Semitic Akkadians attacked the sultan of the non-Semitic Sumerians, and then the Babylonian and then Assyrian governments were formed on their ruins, including Hammurabi and Nebuchadnezzar. Their language, despite its differences, was called the Akkadian language. Akkadian went through phases of strength and weakness for a long period, until later the Arameans imposed the peoples. Mughirah used their Aramaic language, so Akkadian was defeated and turned into a language of religion and literature only (see: Al-Wafi, D. T., pp. 28-29).

B- The Canaanite language

It seems that the Canaanites were a Semitic people who fled from Yemen and the Hijaz in the early second millennium or even the ninth millennium BC, and invaded many regions, including Palestine and Syria, and even reached the countries of Europe. Among the most important Canaanite peoples were the Phoenicians, whose language was known as the Phoenician language, and later it was known as the Phoenician language. They also have some inventions, including their cultural invention, the alphabet, and this invention is considered "the quickest and least perfect method" (Al-Wafi, d.d., p. 31). The civilization of writing is said to have sprung from it "all the letters of the alphabet that were later used in various human languages." " (Ibid., p. 31), as we note in the tree of the Semitic-Phoenician languages. But some believe that the Phoenician alphabet appeared before the ninth millennium BC" (see: Tulaimat, 1997 AD, p. 73).

C - Aramaic language

The Aramaic tribes were seeking a safe place to settle in, and they were not hostile invading tribes. Some of them headed towards the northwest and the Levant, while others headed towards the east. The Aramaic language dominated after wrestling with other languages, such as Akkadian, and some languages and

dialects spread from it, such as Palestinian Aramaic and Syriac (see: Al-Wafi , D. T., pp. 53-54).

D- The Semitic Abyssinian language

A wave of people left Yemen heading to Abyssinia and Eritrea with their Semitic language, then they conflicted with the Hamitic Abyssinian language for a period of time, and the result of that conflict was the crystallization of the Semitic Abyssinian language.

E- Arabic language

It seems that "the Arabs are the oldest Semites, and although their land is the first cradle of the Semitic peoples and the Semitic languages. What we have reached of their language engraved on stone is not the oldest of the Semitic languages that have reached us, and therefore we do not know anything about the childhood of the Arabic language in its early stages" (Tulaimat, 1997 AD, p. 83), also see: (Al-Wafi, D. T., p. 93).

It appears that the most difficult languages in the world are Arabic, Chinese, and Japanese, and the easiest languages are Spanish, Italian, and French. From this standpoint, the researcher wanted to briefly present the origins of the Arabic language, for reasons of profession and specialization. The researcher believes that the ancient Arabs and Muslims did not achieve what Arab and Orientalist researchers and scholars have achieved. Modernists: "With the prosperity of the European Renaissance and the discovery of antiquities and tablets on which texts in the Semitic languages were discussed, and with the colonial competition over the Middle East, studies on the Semitic language flourished, and universities in Spain, Italy, France, and Germany began to establish chairs specialized in teaching the Arabic, Hebrew, and Syriac languages, that is, the Semitic languages, supported by colonial and religious ambitions." (See: Wafi, 1984, p. 4). Among the most famous Western scholars who devoted themselves to studying Semitic

languages are: Renan, Noldeke, Wright, Zimmer, and Brokelman (see: Akiki, 1980).

It seems that Greek scholars in ancient times mixed all the sciences and their types with the science of philosophy and logic, and one of those sciences was the Arabic language. They tried to reach the roots and origins of the language, and so they expressed their opinion in this regard, and the most important thing they had in it were two opinions and two theories:

The first: The Greeks believed that language was arbitrary, as they believed that "the credit for the emergence of human language is due to divine inspiration, which descended on man and taught him pronunciation and the names of things, and this was the view of the philosopher Heraclit" (Wafi, 1984 AD, p. 97).

Secondly: "Language was invented and developed with humility and agreement, and the improvisation of its words. This opinion was held in ancient times by the philosopher Democrite" (ibid., p. 98). As he demonstrated this theory, Ahmad ibn Faris the linguist, as well as Ibn Jinni, admired it. It is noteworthy that The Greeks relied in their studies on "contemplation, consideration, and abstract thinking not accompanied by direct observation." How could the Greek philosophers achieve such an observation when they discussed what they did not experience, and studied the emergence of the language after it had been completed? They are like someone studying the roots of a tree hidden in the ground, but he sees nothing but the branches and leaves" (Tulaimat, 1997, p. 94).

It seems that the Arabs and Muslims were the first to write about the language and its sciences, as we notice their linguistic books, such as the Book of the Camel, the Sheep, the Rain, and the Eye, and we did not notice any trace of the Greeks in terms of their philosophy or logic in it. However, Western scholars had the greatest luck in expanding the sciences of language and linguistics.

There is no doubt that the language has its cultural, civilizational and social status, and therefore we notice that all nations are proud and proud of their language, and every people is happy with what they have. Everyone has begun to claim that their language is the most noble of languages. And it is the language of civilization and culture. In this context, the Greeks said: Their language is the most noble of languages, and it is a language of civilization and culture. Because it is the language of philosophy, logic, reason and reasoning.

The Arabs said: The Arabic language is the most honorable of languages, and it is the language of culture and civilization, because it is a heavenly language in which the Qur'anic revelation was revealed, and it is the most complete and broadest language on the face of the earth, the language of literature, and it is spoken by Arabs and Muslims in general.

The Christians said: The Aramaic language is the language of Jesus Christ and his virgin mother, so it is the most honorable language and Western civilization and culture belong to it.

Those who belong to the Persian language said: This language is the most honorable of languages, and it is the language of the Sassanian civilization and before history. Because it is the language of moral poetry, mysticism, and literature, and regardless of the discussion of this speech, if it indicates anything, it indicates the importance, status, and sublimity of language as a culture and civilization, and this culture and civilization is the common face between the peoples of the world, and it can bring nations closer together.

Conclusion and most important results of the research

-Language is a great thing, as it is what preserves the nation's beliefs, heritage, culture, and scientific activity. It is the record of hopes, wishes, and ambitions. Language is an intermediary between the ancient past, the changing present, and

the prosperous future. The language is the asset and treasury for every nation and every people.

-Linguists and those interested in it are still writing more hypotheses and theories about the origin and development of language, because the human mind has not yet been convinced by the theorizing, sayings, discussions, and hypotheses that have been presented to it, despite their abundance and the abundance of research into them. This does not mean that what the scholars and researchers have presented is other than that, but rather It is extremely important and dangerous, and it is considered a tremendous work presented by linguists and linguistics scholars, but most of it is unconvincing and insufficient.

- Linguistics and linguistics have expanded and continue to do so, in addition to theories of the origin and development of language.

-Language is an aspect of human civilization and civilization.

- Modern linguistics and linguistics are general and comprehensive, to which everything called language is subject, unlike ancient linguistics, including philology, dialects, and classical language only.

-Linguistic matters are still treated from a partial or secondary perspective that does not fit with the challenges of the current era.

-The issue of language and its cultural and civilizational status is an urgent matter to bring human societies closer together.

- There is no doubt that linguistic words and vocabulary are cultural and civilizational shipments that humanity needs to review, scrutinize, refine, and supply from.

-Developing the language and paying attention to it means developing the culture and civilization of the people.

Recommendations and suggestions:

-Paying more attention to the language and its cultural and civilizational status, both materially and morally.

-Paying attention to refining vocabulary and linguistic terms in the present era.

-Encouraging linguistic and intellectual research and studies as part of cultures and civilizations to develop human thought.

Directing radio and television programs to discuss linguistic issues and employing them in the field of civilization and culture.

The most important sources

-Ibn Faris (1991 AD) Language Standards, edited by Abdul Salam, 1st edition, Beirut: Dar Al-Jalil.

-Ibn Manzur (1990 AD), Lisan al-Arab, 1st edition, published by Dar Al-Arab.

-Ibn Khaldun, Abdul Rahman (1410 AH) Introduction, Iran: Istiklal.

-Ibn Jinni, Abu al-Fath (1952 AD) Characteristics, edited by Muhammad Ali al-Najjar, Cairo: Dar al-Kutub al-Misriyah.

-Al-Suyuti, Jalaluddin Abdul Rahman, (2009 AD) Al-Mizhar fi Linguistics, Beirut: Modern Library.

-Al-Saleh, Sobhi (2009 AD) Studies in Philology, Beirut: Dar Al-Ilm Lil-Malayin.

-Saliba, Jamil (1982), The Philosophical Dictionary, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Lubani.

-Tulaimat, Ghazi Mukhtar, (1997 AD) in Linguistics, Damascus: Dartalas Studies.

-Abdel Tawab, Ramadan (1985 AD), Introduction to Linguistics and Research Methods, Cairo: Al-Khanji Library.

-Abdullah, Muhammad Farid (2009 AD) in Arabic Philology, Beirut: Dar Al-Bahar.

-Abdul Wahid Wafi, Ali (1984 AD) Linguistics, Cairo: Dar Nahdet Misr for Printing.

-Qaddour, Ahmed Muhammad (2008 AD) Principles of Linguistics, Damascus: Dar Al-Fikr.

-Lyons, John (1985 AD) Chomsky's Linguistic Theory, translated by Helmy Khalil, Egypt: Dar Al-Ma'rifa.

-Mujahid, (1396 AH) Tafsir Mujahid, edited by Abdul Rahman, Qatar: Dr. M.

--Marouf, Nayef Mahmoud (2008 AD) Characteristics of Arabic, Beirut: Dar Al-Nafais, sixth edition.

-Al-Nadari, Muhammad Asaad (2008 AD), Philology, Its Difficulties and Issues, Beirut: Modern Library.

ISSN : 2625 - 8943

LA " RECONVERSION " PATRIMONIALE ENTRE SURVIE ET REGENERATION TERRITORIALE.

إعادة التحويل" الثقافي بين البقاء وتجديد النشاط الترابي"

Auteur: Ibtissem KHLIFI.
Affiliation : ESICMED, LR11S28, Manouba, Tunisie.
Faculté des Lettres, des Arts et des Humanités de la Manouba. TUNISIE.
Doctorante et Assistante contractuelle à ISAM Sidi Bouzid.
Adresse mail : ibtissemkhelifi338@gmail.com

Abstract:

The socio-cultural changes experienced by Tunisia have not prevented civil society from carrying out communication and awareness-raising actions around the importance of heritage, bearer of the identity of a territory. Proposals have been made in the intention to implement equitable territorial development in the short and medium term through good environmental governance of natural heritage resources and cultural. Each region in our country is characterized by its monumental heritage, sign of its historical, social and economic evolution. Archaeological sites are a shared cultural heritage that guarantees local identities. Despite its wealth and importance on the archaeological, historical and tourist level too, our heritage is in degradation especially in the interior regions which remain insensitive to their
historical, artistic and cultural values after the revolution in 2011.

In this vision, the present research proposes a reflection on the valuation and popularization of ancient archaeological monuments as being "a product" neglected, forgotten and marginalized especially in the interior regions precisely in the governorate of Sidi Bouzid: Henchir El Hnancha. A thought on the ways to reintroduce the components of this archaeological site into the reality of daily life to guarantee their survival. They are no longer fixed, they become "useful", seen and in communication with everyone. “The monument must sometimes in turn become an integral part of this general fluidification of reality, thanks to artefacts and artifices which will make it momentarily lose its heaviness and its immobility” (Régis Debray, 1999).

. reality of daily life guarantees its continuity on the one hand and constitutes a real lever of
territorial regeneration. The heritage reconversion of this site via artisanal creation is no longer the transmission of a frozen image but rather the co-construction of meaning and knowledge (Lacerte, 2007).

Design is at the heart of a duality between reliving the past and designing the present. However, the creation of the present takes place through the reconversion of the heritage. As part of this research, we were able to demonstrate that there is a new way to bring our heritage through mediation. This again proves that the design assures the change of the function of the monument: The monument becomes utilitarian by the design.

Keywords: reconversion, Patrimonialization, territorial intelligence, mediation, strategic desig

ملخص :

لم تمنع التّغيرات الاجتماعيّة والثّقافية الّتي مرت بها البلاد التُّونسيّة المجتمع المدني من القيام بأعمال توعوية حول أهميّة التُّراث الّذي يحمل هويّة البلاد، إذ تتميز كل منطقة في بلادنا بتراثها الضخم، الّذي يعتبر علامة دالة على تطورها التاريخيّ، الاجتماعيّ والاقتصاديّ، ولذالك تُمثل المواقع الأثريّة التُّونسيّة تراث ثقافيّ مشترك يضمن الهويّة المحليّة نظرا لثرائها الأثريّ والتاريخيّ والسياحي أيضًا. فبالرغم من زخمها وثرائها إلا أنَّ التُّراث الموجود في المناطق الداخلية الّتي لا تزال غير مهتمة بالقيم التاريخية والفنية والثقافية في تدهور.

وفي هذا الطرح، يمثل هذا البحث تثمين وتعزيز لآثار المواقع الأثريّة القديمة في ولاية سيدي بوزيد تحديد "هنشير الحنانشة" باعتباره "منتوج" أثري منسي ومهمش. يهدف هذا البحث لإعادة إدخال محتويات هذا الموقع ا في واقع الحياة اليومية لضمان بقائها. وفي هذا الطرح يمكننا الاستناد لمقولة "ريجيس دوبريه" "يجب أن يصبح النصب التذكاري بدوره جزءًا لا يتجزأ من هذا التمييع العام للواقع ، بفضل المصنوعات اليدوية والتحف التي ستجعله يفقد ثقله وثقله مؤقتًا".

فمن خلال الأساليب التحليلية والاستكشافية لهذا الموقع الأثري، تمكنا من استخلاص النتائج التالية:

- تهميش إمكانات تاريخية وأثرية كبيرة، لكن إعادة دمجها في واقع الحياة اليوميّة يضمن استمراريتها من ناحية وتشكل رافعة حقيقية للتجديد الإقليمي.
- لم تعد إعادة تحويل التراث لهذا الموقع عن طريق الإبداع الحرفي بمثابة نقل لصورة ثابتة بل هي بالأحرى بناء مشترك للمعنى والمعرفة (لاسيرتي، 2007).

يقع التصميم من خلال الازدواجية بين إعادة إحياء الماضي وتصميم الحاضر. فإنشاء الحاضر يحدث من خلال إعادة تحويل و إحياء الموروث التراثي.

ومن خلال هذا البحث، تمكنا من إثبات طريقة جديدة لإحياء تُراثنا مرة أخرى من خلال الوساطة، كما يثبت هذا أيضًا أنَّ التَّصميم يضمن التّغيير في وظيفة النصب فيصبح النصب ذا فائدة من خلال التَّصميم.

كلمات المفاتيح : إعادة التحويل، إضفاء الطابع التراثي، الذكاء الإقليمي، الوساطة ، التصميم الاستراتيجي.

Introduction

Dans notre pays, chaque région est caractérisée par son patrimoine monumental, signe de son évolution historique, sociale et économique. Les sites archéologiques constituent un héritage culturel partagé qui garantit les identités locales. « La peur de disparaître sans laisser de trace a souvent hanté les Princes. Leur règne eût-il été des plus médiocres, il leur a tout de même fallu laisser une preuve indélébile de leur passage sur terre. Et quoi de plus facile pour eux, pour ne pas courir le risque de sombrer dans l'oubli, que de faire ériger, en plus de leurs statues, quelque bâtiment à vocation de monument ? […] ».[1]

Malgré leurs richesses archéologiques et historiques, nos espaces patrimoniaux sont délaissés et marginalisés surtout dans les régions intérieures bien précisément au gouvernorat de Sidi Bouzid : Bir El Hafey et Henchir El Hnancha. Dans cette vision, la présente recherche propose une réflexion sur la valorisation et la vulgarisation des monuments archéologiques antiques comme étant "un produit " délaissé et oublié, surtout, après les actions menées par la société civile dans le but de les sauvegarder et les protéger. Une pensée sur les manières de réintroduire ce monument historique dans la réalité de la vie quotidienne pour garantir leurs survies. Il n'est plus figé, il devient "utile", aperçu et en communication avec tout le monde. « Le monument doit parfois devenir à son tour partie intégrante de cette fluidification généralisée du réel, grâce à des artefacts et des artifices qui lui feront perdre momentanément de sa lourdeur et de sa immobilité ».[2] A l'issue de nos méthodes analytiques et exploratoires de ce site archéologique, nous avons pu tirer les résultats suivants : un grand potentiel historique et archéologique est marginalisé mais son réintégration dans la réalité de la vie quotidienne garantit sa continuité d'une part et constitue un véritable

[1] Garnier (JEAN-PIERRE), « Du Monument Comme « Événement » », « L'Homme & la Société » n° 146, Le Harmattan, 2002, p.17, consulté le 07/10/2020, disponible sur le lien : https://www.cairn.info/revue-l-homme-etla-societe-2002-4-page-7.htm#

[2] Régis DEBRAY, « Trace, forme ou message ? », *Les Cahiers de médiologie*, n° 7, 1999

levier de régénération territoriale. La reconversion patrimoniale de ces trois sites via la création artisanale n'est plus la transmission d'une image figée mais plutôt la co-construction de sens et de savoir (Lacerte, 2007). Le design est au cœur d'une dualité entre revivre le passé et concevoir le présent. Cependant la création du réel s'effectue à travers la reconversion du patrimoine. Dans le cadre de cette recherche, nous avons pu démontrer qu'il est une nouvelle manière pour faire revivre notre patrimoine de nouveau par la médiation. Cela prouve encore le design assure le changement de la fonction du monument: Le monument devient utilitaire par le design.

I. Observation analytique de l'espace patrimonial de Sidi Bouzid :

1. Henchir El Hnancha : Un monument romain en ruine :

Cette partie est consacrée à l'analyse d'un site archéologique situé dans la région de Sidi Bouzid. A la suite de cette observation analytique, nous identifions les valeurs patrimoniales et esthétiques de ce site : Henchir El Hnencha et décrivons ainsi son grand potentiel.

Pour mener à bien nos observations ainsi que nos explications, nous nous basons sur la méthode analytique, exploratoire et immersive. Cette dernière consiste à étudier toutes les notions en situation, en ayant recours à l'immersion soit l'observation directe des faits pour que nous puissions, par la suite, émettre nos hypothèses de recherche en se basant sur les résultats recueillis.

Les sites archéologiques de la région de Sidi Bouzid sont multiples et notre choix n'était pas facile. Alors, nous avons effectué la sélection selon la richesse esthétique et patrimoniale de ce site. Nous entamons notre observation analytique par la description du site archéologique Henchir El Hnancha. Ce site est une zone archéologique assez importante, riche de point de

vue artistique : des mosaïques, des fresques (rosaces), types de Murs (moellons, pierre taillées, quadrangulaire,…), mur en opus africanum et mur mixto.

Henchir el Hnancha est située au nord de la ville Bir El Hafey. Dans ce site, on trouve le témoignage de toutes les activités de la vie quotidienne antique présenté en trois types d'espaces: l'habitat (espace domestique), des thermes privés (espace domestique), les huileries (espace industriel). Nous sommes à la présence d'une ferme extra-muros (à l'extérieur de la cité de Ghamouda.

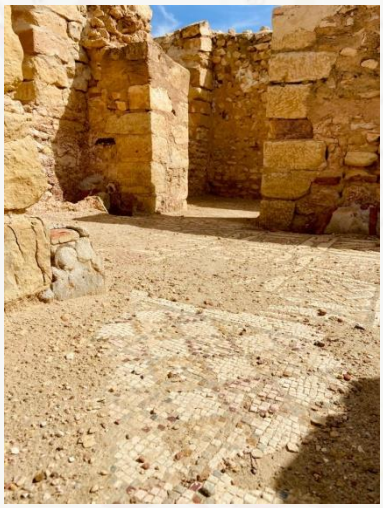

Figure 1 : L'habitat (espace domestique). (Photo de l'auteur)

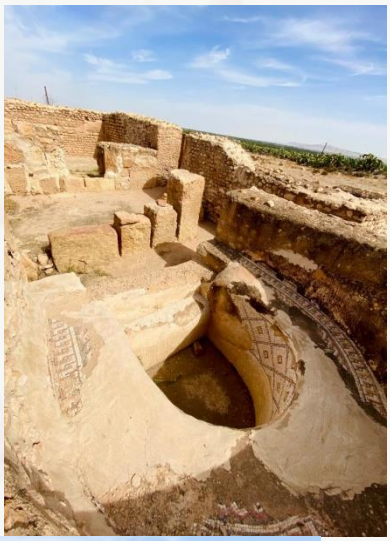

Figure 2 : Thermes privés (espace domestique). (Photo de l'auteur)

Figure 3: Les huileries (espace industriel) (Photo de l'auteur)

2. Valeurs patrimoniales et esthétiques :

Chaque monument porte des valeurs patrimoniales et esthétiques signe de sa richesse historique et son importance. Les traces de mosaïque, les murs détruits,

les vestiges des thermes et des rosaces racontent à la nouvelle génération l'histoire de toute une région.

Nous essayons dans cette partie d'analyser deux espaces de Henchir El Hnancha. Cela nous permettra par la suite de les exploiter dans notre expérience académique. Pour mener à bien notre étude analytique et exposer les valeurs patrimoniales et esthétiques que présentaient Henchir El Hnancha, nous avons choisi deux éléments de différents types d'espaces.

Elément A : Une partie d'un pavement de mosaïque de l'espace domestique.

Figure 4 : Un pavement de mosaïque de l'espace Habitat (Photo de l'auteur).

Description : Dessins géométriques de couleurs polychromes.

Technique : Opus tessellatum.

Datation : III ^{e} siècle Ap. J.-C

Etat de conservation : La mosaïque est détruite à plusieurs endroits. En très mauvais état de conservation.

ISSN : 2625 - 8943

Elément B : Une fresque qui constitue un élément architectural décoratif.

Figure 5 : Une rosace gravée (Photo de l'auteur).

Description : une rosace à ornement rond d'origine floral, composé d'éléments qui convergent vers le centre formant une rose.

Technique : gravure sur pierre à incisions profondes.

Datation : III ^{e} siècle Ap. J.-C

Etat de conservation : Nous sommes à la présence d'une rosace gravée, détruite à moitié. En très mauvais état de conservation.

II. La valorisation culturelle et touristique des potentialités patrimoniales :

1. La "reconversion" patrimoniale via le design produit :

Suite à une observation analytique du site Henchir El Hnancha, nous avons pu tirer des valeurs patrimoniales et esthétiques assez riches et variées mais jusqu'à nos jours, il est marginalisé et oublié. Alors, comment peut-on sauvegarder, conserver et valoriser ces monuments à travers le design produit ? Comment peut-on intégrer ce site dans un cycle de rénovation et de régénération ?

Pour répondre à cette problématique, Nous avons lancé un exercice aux étudiants niveau 1ère année de différentes spécialités à l'Institut supérieur des Arts et Métiers de Sidi Bouzid: produit, espace et image. L'énoncé était comme suit: Valoriser l'espace patrimonial de Henchir EL Hnancha à travers la création d'un produit à usage quotidien.

A travers cette expérience académique, nous voulons découvrir des nouveaux domaines pour valoriser notre patrimoine et renouveler la fonction de ce site par le design.

a. **Résultats : La Co-construction de sens et de savoir-faire :**

Nous exposons quelques résultats des travaux des étudiants qui ont réussi à démontrer les valeurs esthétiques et patrimoniales de Henchir El Hnancha.

Résultat 1 :

Le Produit conçu: Un tabouret.

Source d'inspiration: Fresque décorative d'un élément architectural.

Une partie de la mosaïque. (Henchir El Hnancha).

Techniques : -Gravure sur le bois à incisions profondes

-Opus tessellatum sur le cuir.

Figure 6 : Conception d'un tabouret inspiré d'une fresque décorative de Henchir El Hnancha.

(Photo de l'auteur)

Résultat 2 :

Le Produit conçu: un luminaire (Lampadaire).

Source d'inspiration: -Une partie de la mosaïque. (Henchir El Hnancha).

-Le site archéologique Ksar Lahmar.

Techniques:- Peinture sur toile.

- Gravure sur le bois

Figure 7 : Conception d'un lampadaire inspiré de la mosaïque de Henchir El Hnancha

(Photo de l'auteur)

A travers ces exemples, nous exposons des nouvelles pistes de reconversion du patrimoine. Reconvertir un site archéologique sans nuire à ses valeurs esthétiques

et patrimoniales. Ces produits portent une identité, une histoire de toute une région. Comme apparaît dans les actes des rencontres départementales du patrimoine, les Cahiers Jean Hubert « un véritable dialogue est établi entre le passé et le présent, entre l'existant et la création contemporaine. Ces réalisations s'inscrivent dans la durée. Elles nécessitent du temps : le temps de la réflexion, le temps du projet, le temps des travaux »[3].

Le lien établi entre revivre le passé et concevoir le présent est assuré par le design. Cependant, la création du présent s'effectue à travers la reconversion du patrimoine, la réutilisation des valeurs esthétiques et patrimoniales d'un site archéologique. Nous parlons plus d'une image figée d'un monument, mais plutôt la Co-construction de sens et de savoir-faire par la reconversion, par la création artisanale.

Un grand potentiel historique et archéologique est marginalisé. Ainsi, son réintégration dans la réalité de la vie quotidienne, par l'expérience académique, garantit sa continuité d'une part et constitue un véritable levier de régénération territoriale. Reconvertir un monument qui baigne dans l'oubli c'est réutiliser ses valeurs et les adapter aux besoins de la société d'aujourd'hui. Alors, le fait de reconvertir un monument, le réutiliser, n'est-ce pas s'inscrire dans la démarche du développement durable ?

b. Interprétation :

Suite à notre expérience académique, nous déduisons qu'il est toujours une manière pour se souvenir de notre patrimoine. Non seulement par son inscription à l'institut national de patrimoine, mais, aussi par sa reconversion à une création contemporaine. Une nouvelle création qui porte les valeurs patrimoniales et esthétiques d'un site archéologique et qui sera en communication

[3]Cahiers Jean Hubert, « Reconvertir le patrimoine », éditions ; lieux dits, actes des rencontres départementales du patrimoine, 2003.

avec tout le monde. Régis Neyret affirme que « la vie est amenée à prendre des formes différentes selon les lieux et les pays: le travail des associations, en liaison(ou en opposition!) avec les collectivités, doit aider à découvrir les formes de vies nouvelles qui permettront de donner une vocation contemporaine à un bâtiment ou à un quartier pour lesquels ils n'étaient pas toujours conçus à l'origine. Cela nécessite souvent que l'on abandonne des positions purement conservatoires, fixistes et passéistes pour prôner l'adaptabilité, l'aménagement et parfois la transformation [4]». Certes, les mutations sociales et économiques qu'ont connues le monde, sont pour la transformation de la fonction du monument mais transformer ou réutiliser sans nuire et toucher à son authenticité et à ses valeurs.

Nous interprétons, ci-dessous, par une modélisation systémique qui démontre les nouveaux liens établis entre le monument, porteur d'une histoire, et le produit par le design. Ce dernier assure le changement de la fonction du monument. On ne parle plus d'un espace marginalisé mais plutôt d'un espace utilitaire, libéré de son image fixe.

[4] Régis NEYRET, « Le patrimoine atout du développement », Col. Transversales II, Maison d'édition : centre Jacques Cartier Presses Universitaires de Lyon, 1992, P.14

ISSN : 2625 - 8943

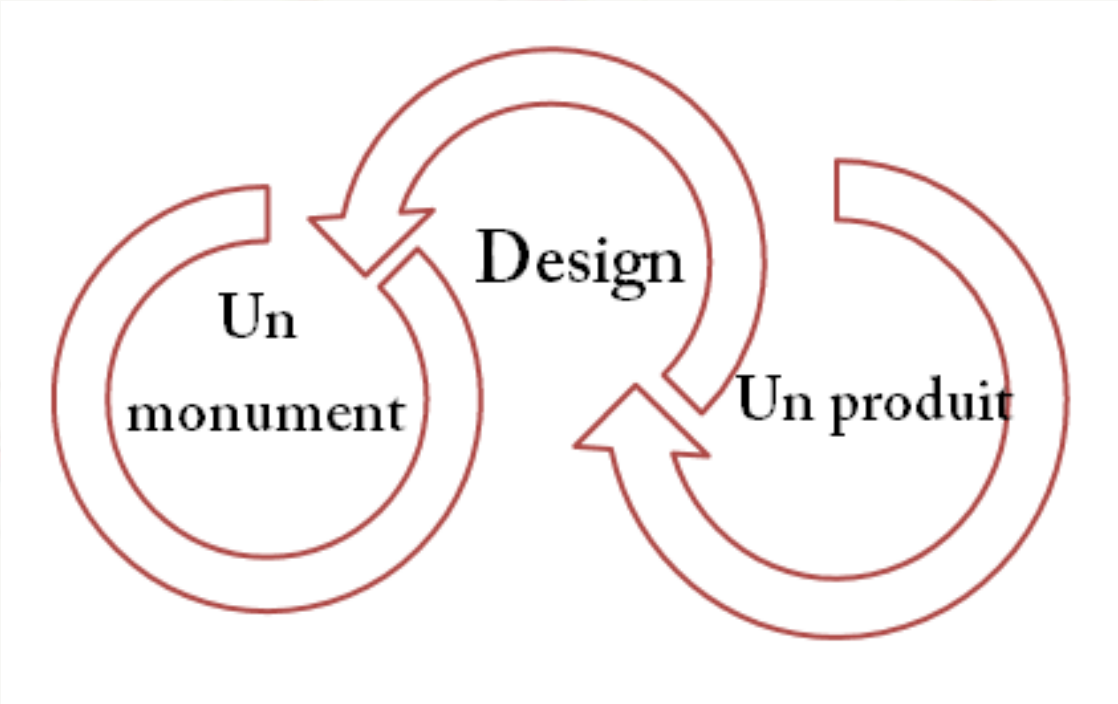

Figure 8 : Modélisation systémique (Photo de l'auteur).

Des liens distendus sont réactivés de nouveau grâce au design ; des liens entre le passé (le monument) et le présent (le produit). Cette modélisation a mis à niveau le concept de la médiation rénovatrice qui a pour objectif selon Michèle Guillaume- Hofnung de réactiver les liens distendus.[5]

2. **La valorisation touristique des potentialités patrimoniales :**

Depuis longtemps, la valorisation touristique des sites archéologiques de Sidi Bouzid était planifiée dans le programme de la mise en valeur du patrimoine par l'institut national du patrimoine en collaboration avec la société civile. Mais, jusqu'à nos jours, aucun projet n'est concrétisé.

Selon A. Hajlaoui « Les budgets réservés à la restauration ne pourront que motiver le développement durable et ce à travers la création d'emplois quoique provisoires. En fait, à côté de ces petits projets et chantiers de restauration limités

[5] Michèle Guillaume- Hofnung, « Une terminologie claire est indispensable », 2008, P. 12. Disponible sur le lien : https://www.mediation.lu/wp-content/uploads/2017/05/WORT20080714GuillaumeHofnung.pdf

dans le temps et dans l'espace, la mise en valeur du patrimoine peut se faire selon trois grands volets : La création d'un parc archéologique, La mise en place d'un musée et l'instauration d'un ou deux circuits touristiques […] »[6].

En effet, il existe plusieurs façons de valoriser un site archéologique d'un point de vue touristique :

- **Un centre d'interprétation :** créer un centre d'interprétation qui permet aux visiteurs de mieux comprendre l'histoire et la signification du site archéologique. Il peut inclure des expositions, des présentations multimédias, des guides audio ou des visites guidées.
- **Des visites guidées :** proposer des visites guidées qui peuvent aider les visiteurs à mieux comprendre l'histoire et la signification du site archéologique. Les guides peuvent fournir des informations supplémentaires sur les fouilles archéologiques, les découvertes et les artefacts trouvés sur le site.
- **Des événements culturels :** organiser des événements culturels tels que des concerts, des spectacles de danse ou des projections de films, pour permettre aux visiteurs de découvrir la culture et l'histoire du site.

Tous ces propositions et autres aident à attirer un public large et à promouvoir le site archéologique en tant que destination touristique. De ce fait, la valorisation touristique des potentiels patrimoniaux peut encourager le développement durable d'une région en attirant des visiteurs qui dépensent de l'argent dans la région, permettant ainsi des emplois pour les habitants locaux. De plus, cela peut également encourager la préservation et la conservation des sites patrimoniaux, ce

[6] Anis. Hajlaoui, « Le patrimoine archéologique et historique antique de la région de Sidi Bouzid (centre tunisien) : perspectives de mise en valeur », in « IN AFRICA ET IN MOESIA Frontières du monde romain. Partager le patrimoine de l'Afrique du Nord et du Bas Danube. Borders of the Roman World. Sharing Heritage of North Africa and the Lower Danube », 2021, p.202, Disponible sur le lien: https://www.cnr-unesco.ro/uploads/media/In_Africa_en.pdf

qui peut aider à préserver l'histoire et la culture de la région pour les générations futures.

Conclusion

Pour conclure, la valorisation du patrimoine peut se faire de différentes manières. Outre l'inscription d'un monument, le design peut également être utilisé pour sauvegarder, conserver et valoriser un monument. En utilisant le design, le monument peut devenir un moyen de médiation rénovatrice et un levier de régénération territoriale. En transformant un monument en un produit ou en réutilisant ses valeurs patrimoniales et esthétiques dans la conception d'un nouveau produit à usage quotidien, on peut s'inscrire dans la démarche du développement durable. Cela peut non seulement préserver l'histoire et la culture de la région mais aussi encourager le développement économique et social de la région en proposant de nouveaux produits et en attirant des visiteurs qui souhaitent découvrir la culture et l'histoire de la région.

SOURCE BIBLIOGRAPHIQUE :

-AMOUGOU (Emmanuel), « La question patrimoniale. De la "patrimonialisation" à l'examen des situations concrètes ». Paris : L'Harmattan, 2004

-Anis. Hajlaoui, « Le patrimoine archéologique et historique antique de la région de Sidi Bouzid (centre tunisien) : perspectives de mise en valeur », in « IN AFRICA ET IN MOESIA Frontières du monde romain. Partager le patrimoine de l'Afrique du Nord et du Bas Danube. Borders of the Roman World. Sharing Heritage of North Africa and the Lower Danube », 2021, Disponible sur le lien: https://www.cnr-unesco.ro/uploads/media/In_Africa_en.pdf

-Cahiers Jean Hubert, « Reconvertir le patrimoine », éditions ; lieux dits, actes des rencontres départementales du patrimoine, 2003

-CHAOYE (Françoise), « L'Allégorie du patrimoine », édition du seuil Paris, 1992

-DAVALLON, (Jean). «Le don du patrimoine, une approche communicationnelle de la patrimonialisation». Paris : Lavoisier, 2006.

-Garnier JEAN-PIERRE, « Du Monument Comme « Événement » », « L'Homme & la Société » n° 146, Le Harmattan, 2002, disponible sur le lien : https://www.cairn.info/revue-l-homme-etla-societe-2002-4-page-7.htm#

-RIEGL ALOÏS, «Le culte moderne des monuments. Son essence et sa genèse» La série de valeurs analysées par RIEGL, trad. franç. Par D. Wieczorek, Paris. Seuil (rééd.1984).

-Régis NEYRET, « Le patrimoine atout du développement », Col. Transversales II, Maison d'édition : centre Jacques Cartier Presses Universitaires de Lyon, 1992

-Régis DEBRAY, « Trace, forme ou message ? », *Les Cahiers de médiologie,* n° 7, 1999

-GRAVARI-BARBAS, (M.) (2002). « Le patrimoine territorial, construction patrimoniale, construction territoriale: vers une gouvernance patrimoniale ? » ESO travaux et documents, 1

-Michèle Guillaume- Hofnung, « Une terminologie claire est indispensable », 2008, Disponible sur le lien : https://www.mediation.lu/wp-content/uploads/2017/05/WORT20080714GuillaumeHofnung.pdf

Les secrets de la séduction féminine dans les cinémas : occidental, égyptien et marocain au XXe siècle

أسرار الجاذبية الأنثوية في السينما الغربية والمصرية والمغربية في القرن العشرين

Laaroussi Elmostafa

- Université sultan Moulay Slimane, faculté des lettres et des sciences humaines, Beni mellal-Maroc

-E-mail :laaroussielmostafa@yahoo.fr

Abstract :

Many artistic names at the beginning of their career resorted to the use of the temptation approach to show their artistic talents in the field of acting and impose themselves on the cinematoghraphic scene .These actresses didn't hesitate to exploit and employ their physical body as a mean to achieve celebrity. In fact, some artists have succeeded in forming and creating a consensus on the good and acceptable reputation on the seventh art shows while the reputation of other names has fallen downin a lightning Speed.

The cinema repertory is abundant with the great number of actresses who have printed the history of the occidental, Egyptian and Moroccan cinema. In light of the different style and performance regarding the seduction theme of some actresses, some of them were able to perform the temptation techniques through body language or by making use of the revelation approach, while others are emancipatin this in a manner that many considered a sophisticated form. Others, on the other hand have exceeded this and appeared naked on the big screens while performing their roles. So, every actress has her own style in playing the role of seduction.

ملخص:

لجأت العديد من الاسماء الفنية في بداية حياتها المهنية إلى الاستعانة بأسلوب الإغراء لإظهار موهبتها في مجال التمثيل امام الكاميرا وإثبات وجودها والبحث لذاتها عن موطأ قدم على الساحة السينمائية. ولم تتردد هؤلاء الممثلات في استغلال وتوظيف قوامهن الجسدي كطريقة بغية الوصول إلى عالم الشهرة. وفي الواقع، نجحت بعض الفنانات في تشكيل وخلق إجماع حول السمعة الطيبة والمقبولة على شاشات عرض الفن السابع، في حين هوت سمعة اسماء اخرى بسرعة البرق.

يزخر ريبيرتوار السينما بانفجار الممثلات اللائي طبعن تاريخ السينما الغربية المصرية والمغربية. وفي ظل اختلاف الأسلوب والأداء فيما يخص تيمة الإغراء بين بعض الممثلات، تمكنت بعضهن من اداء الإغراء من بالاعتماد على جانب لغة حركات الجسد أو اللعب على مقاربة الإيحاءات، والبعض الآخر تقمصن ذلك بأسلوب اعتبره الكثيرون شكلاً راقياً، في المقابل تجاوزت أخريات ذلك. لقد اعتمدن في هذا الخضم على الظهور عاريات على الشاشة الفضية لأداء أدوارهن. لذا، فلكل ممثلة أسلوبها الخاص في لعب دور الإغراء.

Introduction :

Nombreuses sont les artistes qui, au début de leur carrière, ont fait appel à la séduction pour manifester leurs talents et se faire connaitre sur la scène cinématographique. Ces actrices veulent devenir célèbres et susciter l'intérêt des producteurs afin d'avoir une place devant leur caméra, lesquelles actrices n'hésitaient pas à user leur corps comme ultime moyen. Certaines ont réussi à se forger une bonne réputation sur le grand écran, alors que d'autres sont rapidement éclipsées.

Le répertoire du cinéma mondial est caractérisé par l'éclatement des actrices qui ont marqué l'histoire du septième art occidental, pharaonique et marocain. À la lumière de la différence au niveau du style et de la performance en termes de séduction chez quelques actrices, certaines artistes ont réussi à jouer la tentation tout en déployant un jeu gestuel (mouvements) ou des suggestions. Elles l'ont fait d'une manière que beaucoup considérait comme une forme sophistiquée, tandis que d'autres ont dépassé tout cela en se présentant nues sur le grand écran pour jouer leurs rôles. Donc, chaque actrice avait son propre style en jouant la séduction.

Dans notre travail, nous mettrons l'accent sur les séductrices les plus célèbres du grand écran dans les trois cinémas. En effet, les années trente (cinéma occidental), les années soixante-dix (cinéma égyptien) et les deux dernières décennies (cinéma marocain) sont les moments où la séduction féminines était prolifique, les jeux de rôles étaient plus manifestes et le retentissement avait fait beaucoup de bruit. Ce jeu mettait des procédés cinématographiques au service du sujet, notamment avec l'émergence de quelques stars qui ne se souciaient pas des scènes de tentation ou des vêtements transparents. Au contraire, ces stars ont réussi à accomplir leur mission devant la caméra avec une grande aisance et un engagement professionnel.

I- La séduction dans le cinéma occidental durant la première moitié du XXe siècle

Sont nombreux les films qui ont eu une énorme influence sur les sentiments et l'imaginaire des spectateurs, lorsque les rôles et les moments forts sont joués par les stars du septième art, y compris les scènes d'amour incarnées par des vedettes, notamment dans le genre de la romance. Autrefois, le grand écran nous présentait de belles femmes, et de nombreuses scènes de romance et de séduction dans toutes ses formes et ses dimensions. Par conséquent, les producteurs de films sont devenus conscients de ce qui se passait chez le public, ils ont essayé de créer de nouvelles stars pour l'écran dans le but de faire plaisir au spectateur et l'encourager à maintenir ce contact avec sa star préférée et le film en général. Par exemple, nous avions l'habitude d'attendre jusqu' à ce que **Madonna, Marilyn Monroe ou Sophia** Loren apparaissent sous une nouvelle physionomie. Si les films d'aujourd'hui sont porteurs d'un plaisir visuel et spirituel, il est rare qu'ils gardent une trace ou un souvenir que le spectateur pourrait revivre à l'hiver. Souvent, les films de ce type sont considérés comme une attirance trompeuse qui peut détruire d'un coup assez violent les images romantiques. De même, nous sommes confrontés à une panoplie d'images de Rambo et Rain man où les spectateurs accordent davantage d'intérêt aux hommes qu'aux femmes. Cet aspect n'a pas été abordé au cinéma depuis le premier baiser (Linda, 2008, p. 33-38.) à l'écran paru en 1896 dans le film américain Le baiser, réalisé par Heise. Dans ce film l'acteur John C.Rice dans le rôle de Billie Bikes embrassait la veuve Jones incarnée par May Irwin. Cette scène qui n'a duré que 20 secondes est considérée comme la meilleure fin de ce film, même si ce dernier a également suscité la polémique et fit scandale. Ce même film était censuré et les ligues de vertu américaines en profitèrent pour imposer une première ébauche du code moral, le Code Hays, aussi appelé Code de Production, (Gregory 1994, p. 1-2, 149-150)

instauré par le sénateur William Hays, aux réalisateurs et producteurs de films(, Schwartz [archive] sur le site du journal La Croix (consulté le 17 janvier 2017). Ainsi, pendant près de trente-quatre ans, la nudité, les baisers jugés indécents, les positions suggestives, l'adultère, le sexe illicite et les unions entre différentes races furent interdits à l'écran (Lieutenant-Duval,Le 2012/2 (n° 19), pages 37 à 49) .En faisant un retour en arrière dans le but d'une simple comparaison, nous découvrons que le cinéma à ses débuts était plus excitant qu'il ne l'est maintenant. Les femmes se démarquent des hommes, en tant que public, par leur justesse et leur subtilité, en distinguant les qualités que possèdent les stars / les hommes du cinéma, tandis que les spectateurs masculins se contentent d'identifier leurs stars préférées au premier coup d'œil à l'écran.

Premier baiser de l'histoire du Cinéma, celui de May Irwin et John C. Rice dans "The Kiss" de William Heise, film de 1896 qui dure moins d'une minute. Une première qui fit scandale.

À cet égard, **Theda Bara**, de son vrai nom **Theodosia Burr Goodman**, est considérée comme la reine de la séduction à l'écran en 1917 après son apparition

dans le rôle de **Cléopâtre**.Elle a pu charmer un large public masculin lorsqu'elle a montré son corps en portant ce qui ressemblait à des vêtements de femme de mauvaise réputation, alors que les femmes qui se considèrent de bonne réputation ne savent pas comment mettre ces vêtements. Aujourd'hui les normes de beauté sont si différentes à tel point que **Theda Bara**" semble être une "pyramide», une actrice vient de faire son retour à la vie après que la "séduction et le nudisme" ont perdu de leur éclat au point qu'on ne peut distinguer une bonne actrice/fille d'une mauvaise actrice/fille en termes de vêtements portés costume. Puisque ce sont les hommes qui produisent/ réalisent la majorité les films, la plupart d'entre eux connaissent, plus que les autres, l'effet des scènes de séduction sur le déroulement de l'intrigue. Dans leurs écrits, les critiques spécialisés font des reproches aux comédiennes plus que les comédiens, comme si ces femmes étaient avant tout responsables de la réussite de l'œuvre. Aussi , les cinéastes dont les réalisateurs et en fonction de leurs instincts sont capables de découvrir que le talent se répartit dans le mouvement de tout le corps, et qu'une partie importante de celui-ci se cache derrière des vêtements inutiles, bien que la déesse de l'amour, puisse suggérer une certaine séduction ou des pensées impures d'après l'esprit de la société conservatrice .

Theda Bara dans un de ses voiles transparents, film Cléopâtre (1917), pour lesquels elle fut et reste célèbre, et qui provoqua la controverse.

En 1915 ,la nageuse australienne Annette Kellerman a d'abord revendiqué le droit de disposer de son corps et d'en prendre soin en réclamant le port du maillot de bain moderne afin de faciliter la nage et la pratique sportive pour les femmes(Velez, *Genre & Histoire* [Online], 8 | Printemps 2011). En outre, elle a commencé à jouer des rôles romantiques comme dans son premier film de ce type La Fille des dieux (A Daughter of the Gods).De ce fait, la scène la plus émouvante de ce film était celle où Anitia pataugeait entre les rivières et les cascades alors que sa chevelure (James.1993. ISBN 0-415-09034), pp. 9–10). Seule couvrait son corps. À titre d'information, cette silencieuse fantaisie dramatique écrite et réalisée par Herbert Brenon en 1916 est considérée comme la toute première de l'histoire du cinéma à coûter plus d'un million de dollars. Entre autre, cette scandaleuse scène déterminait les normes de beauté que les films à venir doivent respecter. Ces normes auraient continué à s'imposer si le cinéma parlant n'avait pas mis en avant des conditions supplémentaires en ce qui

concerne la séduction, tel que l'actrice soit convaincante dans son dialogue dans le film. Le cinéma, pour une raison ou une autre, présente deux grands types de filles : un modèle qu'on ne peut pas inviter à rencontrer ses parents à la maison, et un autre que l'on ne supporte pas de (le) voir jouer pendant même cinq minutes , Hollywood continue toujours à adopter de tels modèles .

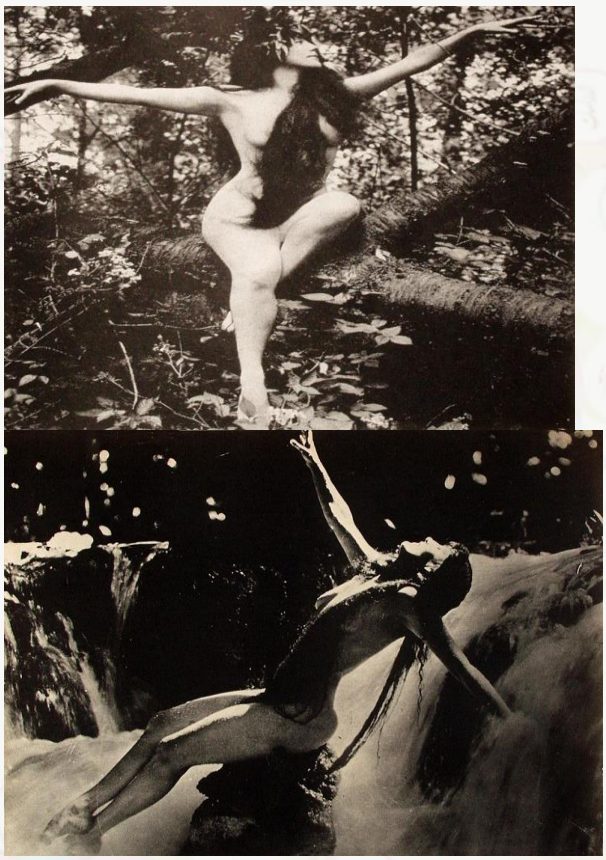

Annette Kellermann,dans La Fille des dieux -Annette Kellermann,dans Neptune's Daughter, 1914

Mais encore, Clara Bow (vintage 1 janvier , 1962), Mae West (Mae West, 1959, p. 156.) et Jane Harlow (Harlow - Nidottu, Ranska, 2016) furent des premières sex-symbol du cinéma muet(Morgan , 2004 p. 237), même si leurs coiffures ont l'air amusantes et drôles. Elles sont un exemple vivant des filles (Pollack et Alison Landsberg, , 2017) des années 20 et 30, et leur influence peut s'étendre jusqu'aux années soixante .Encore, ces trois filles promettaient aux

spectateurs que le plaisir romantique continuerait toujours. Par conséquent, les spectateurs savaient ce que Mae West voulait signifier quand elle disait «J'étais aussi pure que la neige puis je me suis mis hors de mon chemin.L'une des remarques les plus importantes c'est que le romantisme et les comédies romantiques qui ont vu la lumière aux années trente n'avaient pas une vie déterminée ou un âge précis. Cette romance dépendait des talents passionnants d'actrices brillantes telles que : Katharine Hepburn, Greta Garbo, Marlene Dietrich, Joan Crawford et Carole Lombard. Alors, qu'est-ce qui rend la plupart de ces actrices si merveilleuses et immortelles dans la mémoire du public ? C'est peut-être la façon dont elles suggèrent qu'elles peuvent avoir quelque chose d'exceptionnel, mais elles ne montrent rien, même si les hommes/les spectateurs le veulent bel et bien. Ainsi n'importe quelle actrice de ces trois pouvait apparaître vêtue d'un tissu pour suggérer aux autres qu'elles peuvent montrer ce qu'elles veulent si les censeurs ne sont pas là.

Jean Harlow, le premier sex-symbol d'Hollywood--Harlow et Ben Lyon dans Hell's Angels (1930), sa première apparition au cinéma

Par ailleurs, dans le film Un mauvais garçon (No Man of Her Own) réalisé par Wesley Ruggles, sorti en 1932(85 minutes), **Carol Lombard** jouait le rôle de la propriétaire d'une petite librairie de la ville, et elle portait une robe séduisante pour attirer l'attention de **Clark Gable**

ISSN : 2625 - 8943

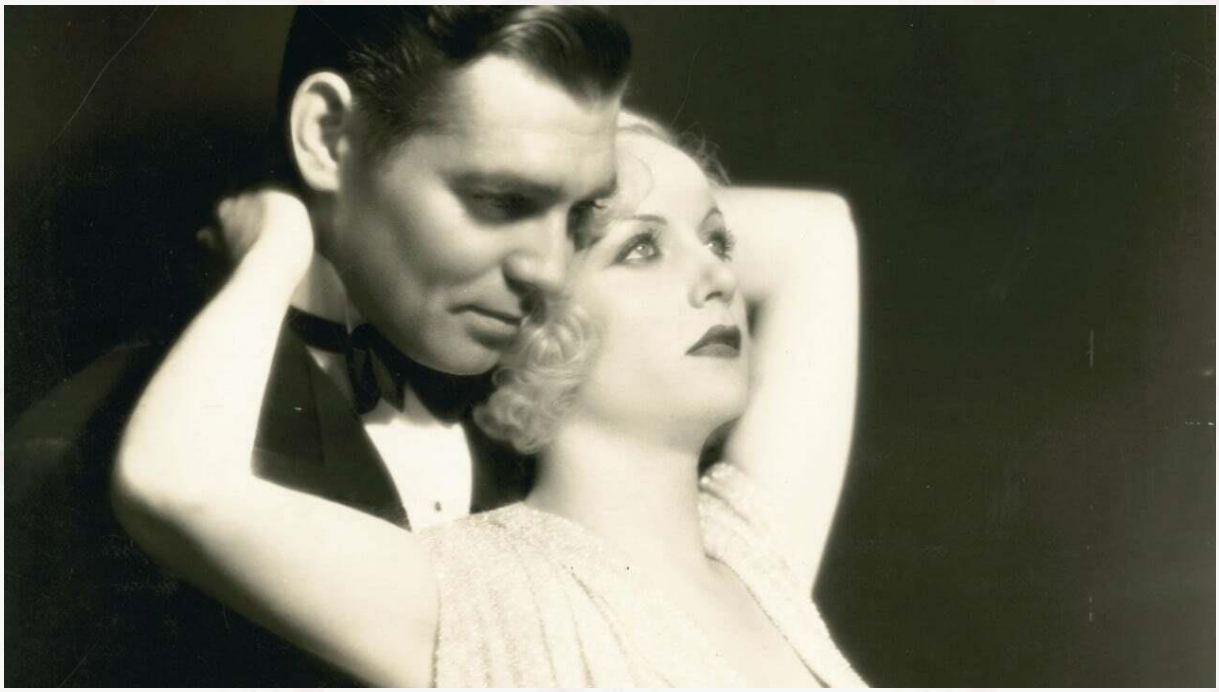

*U*n Mauvais garçon, un film de 1932

D'autre part, si une actrice devait constamment prendre un bain, les réalisateurs réussiraient à utiliser les scènes de baignade dans leurs films. Les scénaristes aussi ont créé des raisons inévitables qui expliquent le déchirement des vêtements de telle fille devant la caméra, et d'autres raisons qui rendent Fay Wray" plus belle, alors qu'elle était entre les mains du gorille, dans le film King Kong d'Ernest B. Schoedsack et Merian C. Cooper, sorti en 1933.

ISSN : 2625 - 8943

Photo de Fay Wray - King Kong(1933)

Certains réalisateurs, comme Cecil **B. De Mille**, se réfèrent aux livres sacrés en décrivant les conséquences de l'infidélité et du péché, et en même temps, ils maudissent la censure qui agaçait leurs films. La séduction a fait un pas en avant avec cette jeune femme blonde aux vêtements moulants, alors que **Lana Turner**" est devenue une source d'admiration et de fascination pour le public .Elle se fait surtout distinguer dans le film La ville gronde (They won't forget), réalisé par Mervyn LeRoy en 1937, par le port d'un sweater qui moule remarquablement ses formes. Grâce à ces pull-overs, trop petits pour elle, on la surnomme "sweater girl " (Pierre - 1991, 1995 - (ISBN 2-258-04027-2).

Suite à l'éclatement de la Seconde Guerre mondiale, les grandes peintures murales de stars de cinéma se sont transformées en « portraits patriotiques », et même le puritain ne pouvait pas se plaindre lorsqu'il voyait de jeunes soldats partir vers une guerre sanglante avec des images érotiques non pornographiques

dans leurs valises ou leurs poches. Elles doivent faire naître la nostalgie et le rêve, et non la frustration trop forte ou le manque déstabilisateur et désespérant. Les images de pin-up (Pin-up Ban, 1944, p. 2) sont alors un bon stimulus sexuel et salutaire pour l'autoérotisme, notamment en période de guerre (Favre, 35 | 2012, 239-264), tandis que les pilotes collaient de telles photos sur le devant de leurs avions. Quant à l'actrice Betty Grable, qui portait un maillot de bain, sa photo suffit pour que le jeune soldat fasse n'importe quoi pour la beauté de ses jambes. Suite à ces conditions, Betty Grable avait « assuré ses jambes pour un million de dollars.»(Perreur: 2010PA030038ff. fftel-00719429ff).

La photo qui rendit Betty Grable populaire auprès des soldats américains durant la Seconde Guerre mondiale.

Bien que **Rita Hayworth** " *dans une scène* [*du film Gilda*] *devenue morceau d'anthologie,* [*l'actrice*], *vêtue d'un fourreau de satin noir retire ses longs gants en chantant l'incendiaire chanson Put the Blame on Mame : le dénudement progressif des mains qui suggère un « strip-tease » intégral en biaisant la censure du code Hays, reste un des sommets de l'érotisme au cinéma*" (Kyrou, 1957, p. 279). Il était clair que

Margarita Carmen Cansino alias Rita Hayworth invitait les spectateurs à mettre fin à l'image d'érotisme et de l'enlever de leur esprit. Quant à l'actrice française, célèbre pour ses beaux baisers, Brigitte Bardot, apparue dans le film Et Dieu…créa la femme, réalisé par Roger Vadim , sorti en 1956, où il « montre une héroïne fière d'exhiber son corps et qui revendique une liberté amoureuse, se moquant des jugements portés sur elle par les garants de la morale. »(Bacharach, septembre 2018). …Après la sortie de ce film Juliette Hardy (Brigitte Bardot) a donné une nouvelle dose assez forte au romantisme et à la séduction sur le grand écran, à une époque où Carroll Baker -de son vrai nom Karolina Piekarsk- émerveillait les spectateurs par son rôle mythique de femme-enfant Baby Doll réalisé par Elia Kazan, sorti le 18 décembre 1956.

Rita Hayworth dans Gilda retirant son long gant noir

Cependant, aux années cinquante, l'époque de la télévision en Occident, l'industrie cinématographique fut obligée de trouver des matériaux qui n'auraient pas de rivaux au petit écran. Même s'il y a beaucoup d'actrices qui imitent **Marilyn Monroe** comme **Jayne Mansfield** et d'autres stars telles que **Joan Collins** et **Gina Lollobrigida, Kim Novak** demeure la plus attirante en portant un

pantalon de jeans, et cherchant toute raison pour attacher sa chemise pour que son nombril et son ventre soient visibles. Or, le petit écran à cette époque n'était pas autorisé à en montrer qu'à partir des années soixante-dix. Par ailleurs, le niveau d'audace s'est redoublé chez certaines actrices, comme **Elizabeth taylor** et **Deborah Kerr**. Cette dernière se déhanchait de façon romantique entre les vagues et sur la plage avec Burt Lancaster dans le film *Tant qu'il y aura des hommes*"[1] réalisé par **Fred Zinnemann** et sorti en 1953.Cette scène de la plage figure dans toutes les anthologies de l'érotisme au cinéma .L'actrice Kerr **décidait**, par la suite, de revoir ses mouvements romantiques en constatant qu'il est difficile pour elle de jouer des scènes sur le sable pendant des heures.

De surcroit, Les années soixante peuvent être considérées comme un tournant important, lorsque le cinéma "pudique" a commencé à porter le nouveau maillot de bain "bikini", l'homme peut maintenant dire à la fille à côté de lui sur la plage que le "bikini" qu'elle porte ressemble à une robe de gymnaste ou une taie d'oreiller après qu'elle ait été refaite. Alors que les femmes "impudiques" en portaient beaucoup moins. Pour la petite histoire on se souvient de Raquel Welch dans le film Un million d'années avant J.C (A Million Years BC) réalisé en 1966 par Don Chaffey, portant une sorte de "bikini" en forme de peaux d'animaux.

La marge de liberté que l'écran avait pu obtenir, durant des années en ce qui concerne le visionnage des produits audio-visuels, a permis à certaines actrices de performer leur maitrise des scènes et des images séduisantes et érotiques , de sorte qu'elles semblaient non-artificielles, à l'instar de Jane Fonda, Barbara

1 Le film était oscarisé huit fois en 1954 dont ceux du meilleur film, meilleur réalisateur et des meilleurs seconds rôles à Frank Sinatra et Donna Reed. Il a été désigné par la Bibliothèque du Congrès des États-Unis a considéré ce film comme un « film culturellement significatif ».D'autre part, son réalisateur signe un film en forme de réquisitoire contre les mœurs brutales et le délabrement moral des institutions militaires

Streisand, Faye Dunaway Jacqueline Bisset et Julie Christie . Le personnage vierge est toujours l'élément le plus fort de la légende filmique .En conséquence, le spectateur réclame des films qui contiennent un degré moins osé de séduction et d'érotisme. Par contre, à cette période il se trouvait de nouvelles actrices, comme Theresa Russell, qui continuaient de souffrir d'un sentiment d'insatisfaction après chaque tournage d'une scène montrant quelque chose de leurs corps. Cela nous ramène aux histoires d'amour de Greta Garbo, qui était l'une des nombreuses femmes ayant joué le rôle de la femme qui doit payer pour ses péchés.

II-Du baiser amoureux à la séduction dans le cinéma égyptien (1927-1970)

Les premiers baisers sur le grand écran furent timides avec le film *Un baiser dans le désert* réalisés par Ibrahim Lama en 1927. À l'époque, ce baiser provoqua un scandale entre un public choqué par l'audace de l'événement, et un autre habitué à voir de telles scènes dans les films occidentaux. Lorsque le cinéma avait commencé à devenir commercial après la Seconde Guerre mondiale, les critères de choix changèrent, de même que l'image de la fille ou de l'épouse qui est généralement aristocratique. Ève, même si elle est pauvre, elle semble être aristocratique à travers son talent et sa performance. Cette image est devenue dominante sur l'écran en commençant par **Samira Khouloussi, Raqiya Ibrahim** et **Raja Abdou**, ces actrices ont joué des personnages féminins élégants et conservateurs, jusqu'à ce que de nouvelles idées dominent le cinéma où s'incarne la séduction dans son vrai sens, loin d'être bon marché.

Affiche du premier long métrage muet de l'histoire du cinéma égyptien et arabe qui ne manque pas de séduction.

1-Entre le corps harmonieux et la féminité sans vulgarité

La séduction est apparue comme l'un des types du jeu filmique et réaliste. De sorte que ce type filmique est là pour traduire l'une des réalités de la société : le filmage d'une belle femme avec un corps bien fait, harmonieux et bien présenté sur tous les niveaux (costumes, maquillage, éclairage…). Cette femme est apparue sur le grand écran, dans une société égyptienne conservatrice, incarnée par **Tahia KarioKa**, **Samia Jamal** et **Naima Akef** dans les films des années quarante et ont connu un grand succès .Ceci est dû aux compétences et aux talents des trois actrices qui ne jouaient pas de rôles de séduction explicites, leurs films ne comportant pas de scènes de nudité. C'est une séduction qui se nourrissait de la beauté et l'ingéniosité de leurs danses loin de l'immoralité .Elles ont réussi à émerveiller le public égyptien jusqu'à nos jours. Des actrices contemporaines n'arrivent pas à réussir leurs rôles de séduction loin de la nudité dans les films des millénaires, elles figurent sur les affiches, elles occupent une place sur le grand écran et au box-office juste par leurs beautés et non plus par leurs talents.

Une mère encourage sa fille à profiter de sa beauté pour gagner les faveurs du patron de son père

Bientôt, la star **Hind Rostom**[2] a bien brillé en passant de petits et éphémères rôles à des rôles que nous avions connus, tels que **Hanuma** dans *Bab al-Hadid* (Gare centrale) et **Niemat** dans le film *Elgassad* (le corps) réalisé par Hassan Al Imam en 1955. La talentueuse **Hind Rostom,** morte en 2011, a pu avoir l'admiration et a suscité les envies des spectateurs .Même si elle n'a pas recouru à la nudité ou à la séduction vulgaire, notre actrice a bien réussi sa tâche grâce à la force de sa personnalité et sa féminité tout en dominant les personnages masculins du film, parce qu'elle jouait bel et bien ses rôles de manière captivante et séduisante.

Souad Hosni (Hakem, n 2002, p. 31.), la demi-sœur de la chanteuse Najet Essaghira , n'était pas classée comme une actrice de séduction dans le vrai sens du terme, mais c'était la séduction en elle-même .Elle la jouait avec sa performance féminine déguisée sous un masque enfantin qui faisait l'admiration de son public.

[2] Egyptian screen legend, seductress Hind Rostom dies at 82. *The Daily News Egypt*. 2011-08-09.

"Cendrillon" est peut être apparue dans des scènes en quelque sorte osées comme dans les films *Karnak* et *Le puits de la privation*, ces scènes ne sont pas intrusives, mais plutôt font parties de l'intrigue dramatique. Le point de vue de son public en ce qui concerne le contenu que présentait **Souad Hosni** n'a pas changé jusqu'aux années soixante-dix du siècle dernier, avec le début de l'émergence des mouvements salafistes (les frères musulmans en Égypte) en même temps que les films des entreprises .Par conséquent, chaque actrice qui présentait une scène de baisers ordinaires est dite (une) actrice séduisante.

Le Puits de privation et Karnak sont des classiques du cinéma ou quand la séduction est au service du sujet

Ainsi, les rôles de séduction dans les années cinquante étaient limités aux femmes veuves ou divorcées. Elles séduisaient des hommes plus jeunes qu'elles, tout comme **Shafaat** (**Tahiya Karioka**) dans *Jeunesse d'une femme* (Shabab emra'a), ou le fils riche qui tombe amoureux de la danseuse, c'est le cas de *Tamr Henna* réalisé par Hussein Faouazi en 1957.Dans ce film **Naima Akef** attendait avec impatience "Ahmed", **Ahmed Ramzi**, le fils du pacha

Une logeuse, femme du peuple, fougueuse et devoyee ,Shafaat (Tahiya Karioka) séduit Emam Beltaji Hassanein (Choukri Sarhane) dans le film La Sangsue

La danseuse du ventre Tamr Henna convoitée par toutes sortes d'hommes, riches et pauvres dont le jaloux Hassan

2-De l'interdiction de projection à l'audace du personnage

Aux années soixante-dix, de nouvelles stars se mettaient contre la règle de l'art de la séduction au cinéma, dont **Shams El Baroudi**, dans son film, interdit de projection jusqu'à nos jours," *Hammam El malatili* حمام الملاطيلي réalisé par **Salah Abu Seif** en 1973. Par la suite, ses films de tentation se succédaient avant qu'ils ne soient classés comme des films pornographiques, et non seulement de simple séduction.

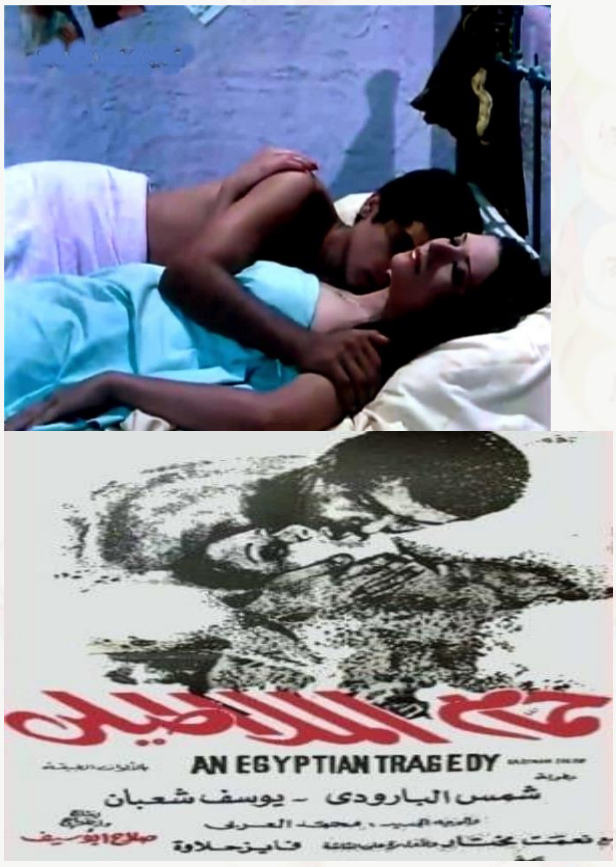

Le film Hammam El malatili évoquait l'homosexualité et la prostitution aussi bien féminine que masculine

La même période a connu aussi l'apparition de **Nahid Charif** sur la scène de la séduction. Elle acquérait par la suite le titre de première actrice de la séduction

pour ses rôles plus audacieux que les autres actrices. Ainsi, **Nahid** figurait dans le film *Les loups ne mangent pas de viande*, réalisé par Samir **Khouri** en 1973,complètement nue dans l'une de ses scènes, un film interdit dans tous les pays arabes, d'autant plus qu'il a été tourné au Koweït, ce qui a suscité la colère du public arabe, alors qu'il était applaudi ailleurs.

Nahed Sherif dans le rôle de Soraya dans le film «Kuwait connection » en 1973

Dès les années quatre-vingt, les principes salafistes se sont enracinés dans la société. Ces mouvements n'hésitaient pas à exploiter les frustrations économiques des couches sociales défavorisées partagées entre la nécessité du respect des traditions et un désir de s'ouvrir sur des cultures moins conservatrices. En conséquence, les gens ont eu recours à la religion et aux pratiques spirituelles face à ce qu'ils considéraient comme une vulgarité artistique.

D'un autre côté, l'industrie cinématographique était confrontée à une grande stagnation, de sorte que ses réalisateurs ont été contraints de recourir à des films de niveau assez médiocre et de chercher à attirer le spectateur à travers des scènes osées. Dans ce sens, les stars **Souhair Hassan Ahmed** connue par **Hayatem**, **Samira Sedki**, Laila Hamada et d'autres actrices de la séduction, recouraient aux costumes transparents et aux danses obscènes injustifiées. Elles sont invitées par les producteurs et les réalisateurs à jouer dans leurs films justes pour éveiller les désirs et les fantasmes du public. Mais cette époque s'est vite achevée avec l'éclat

de **Nabila Obeid** (Sherif. . 2008p. 224.), « la première star d'Égypte » et **Nadia El-Gendy** (Dwight Fletcher, 2015- p. 167.), « la star du public », avec leurs films au contenu sérieux, tels que *La danseuse et le politicien* pour la première et Un *désir sauvage* pour la seconde. Même si la plupart de leurs films contenaient des scènes de danse, une séduction physique toujours forte présente, elles étaient cette fois-ci recouvertes de vêtements transparents qui révèlent plus qu'elles ne cachent.

III-La séduction dans le cinéma marocain est un phénomène polémique

La séduction peut avoir plusieurs significations entre le beau et le vulgaire. De nombreuses actrices marocaines font appel à des moyens qui renvoient et symbolisent la tentation pour des raisons esthétiques ou par volonté de véhiculer des messages importants. Récemment, il y a eu des actrices qui sont devenues synonymes de séduction .Les cinéastes dont les réalisateurs et les producteurs faisaient d'elles des actrices professionnelles et spécialisées dans l'interprétation de rôles qui peuvent créer beaucoup de polémiques.

Dans le cas du cinéma marocain, la question soulève énormément de confusion, soit au niveau de la nature du texte dramatique(scenario), qui ne sert pas du tout la scène qui a pour objectif la séduction, soit au niveau du jeu des actrices qui transforment souvent cette prestation en (une) scène vulgaire ou juste une promotion commerciale du film. Cela est dû à l'absence de créativité qui peut améliorer le niveau de l'écriture cinématographique de la séduction. L'interprétation de ce type de rôles nécessite la maîtrise des outils faisant référence au symbole et à la suggestion. Ces éléments sont des facultés créatives qui ne sont accessibles qu'aux grands réalisateurs .Ceci s'explique par le fait que le jeu de ces rôles au Maroc est une véritable aventure comportant un grand risque dans une société "conservatrice". En conséquence, les artistes marocaines ont su et pu trouver des (solutions de) compromis soit en rejetant totalement de telles scènes, soit d'une manière en justifiant leur présence par la nécessité dramatique.

C'est le cas avec l'actrice **Hanan Ibrahimi** à un certain temps avant qu'elle ne décide de revoir ses rôles, soit en acceptant tous les rôles, quels qu'ils soient leurs risques, tout comme **Nadia Jaouhari**, dans le film **Rhésus, le sang de l'autre.** Alors que la première actrice marocaine qui a créé une polémique de ce type fut **Mouna Fattou**, qui fit parler de son audace en jouant un rôle osé dans l'histoire du cinéma marocain, dans le film **Un amour à Casablanca** réalisé par **Abdelkader Lagtaâ**. Ce rôle audacieux a valu à cette actrice de nombreuses apparitions devant la caméra de plusieurs réalisateurs après la projection de son film scandaleux dans les salles de cinéma, compte tenu de la notoriété qu'elle a pu avoir suite à son interprétation qui a fait couler beaucoup d'encre.

1-**Séduction entre remplissage et créativité**

Le film *Much loved* de **Nabil Ayouch** fait partie de ces films marocains qui montrent « l'Interdit ».Ils sont des films classés dans ce qu'on appelait le cinéma réalité dans la mesure où ce genre est construit de telle manière à « *faire apparaître plus de réalité sur l'écran* »(Bazin, [1975] 1985.P.270.). Ce cinéma qui est une « *représentation de la réalité* » (Bazin, 1958, p.157.). S'appuie essentiellement, comme dans ce cas, sur des scènes chaudes, des danses en vêtements transparents, et sur des thèmes comme le recours au langage de la rue, à la drogue…etc.

Ce film renvoie aux choix de certains cinéastes du cinéma marocain. Cette époque(les deux dernières décennies) est caractérisée par une polémique divisant l'opinion des récepteurs entre ceux qui soutiennent le traitement des tabous sur le grand écran et ceux qui le rejettent en faisant appel à l'éthique et aux traditions d'une société marocaine conservatrice.

La question des scènes torrides et du langage obscène dans le cinéma marocain est de retour créant des discussions et des polémiques après qu'une des plus grandes salles de cinéma au Maroc (Megarama) eut suspendu la projection du

ISSN : 2625 - 8943

film *Film* de son jeune réalisateur **Mohamed Achaour**, moins d'une semaine après sa sortie. La direction de cette salle de cinéma a fait savoir que le public n'acceptait pas le langage du film et ses scènes dites chaudes, alors que le réalisateur du film considérait que c'était la taxe de la représentation de la réalité dans une société qui a peur de son vécu quotidien. Cet évènement fait ressurgir la polémique et le débat qui s'éclatent au sein de la société marocaine chaque fois qu'un film sort dans les salles de cinéma, un film semblable à ceux réalisés ces dernières années, à tel point que l'on en parle comme une mode caractérisant le cinéma marocain.

Après ce film beaucoup de réalisateurs marocains ont choisi la même voie en invitant d'autres actrices, comme Malika Rouimi, l'héroïne de La porte close de Abdelkader Lagtaâ, ainsi que les films Les casablancais» et Amours voilées et d'autres qui se nourrissent de ce tabou, tels que Samira au village, Yasmine et les hommes, Oud elward, Les amours de Hadj Mokhtar Sold, MarocK, et Casa by Night. Les réalisateurs de ces films quittaient alors ce que l'on peut appeler un "cinéma propre" pour faire des films qui reposent sur des sujets de chambre à coucher. Ces réalisateurs estiment que leurs productions reflètent la réalité marocaine dans tous ses états. Dans ce sens, Laïla Marrakchi, réalisatrice du film *Marock* en 2005, s'est interrogée à la sortie de son film « *Avons-nous inventé quelque chose de nouveau ?*»

De même, nombreuses critiques sont adressées aux films contenant des "scènes chaudes». Les actrices et les réalisateurs sont accusés de violer les normes et de se révolter contre les traditions. Ces accusations sont adoptées par les partis islamistes au Maroc et ont porté la polémique au Parlement, exigeant l'interdiction de ce type de films afin que l'État soit responsable de la préservation des valeurs de la société.

D'autre part, l'incident du Festival international du film d'Oran en Algérie (2010) *a constitué l'événement marquant de cette édition, là où un grand nombre de familles*

algériennes ont quitté la salle de projection en protestant contre ce qu'elles ont appelé les scènes chaudes contenues dans le film marocain Les Oubliés de l'histoire de Hassan BenJelloun qui a participé à la compétition de ce festival. La presse algérienne lançait à l'époque une campagne contre le cinéma marocain, d'autant plus que l'une des actrices de ce film marocain est d'origine algérienne, ce qui était considéré, pour eux, comme une insulte voulue destinée aux Algériens. .

Le film "Amours voilées"

Le film "Les jardins de samira"

Conclusion :

Suite au développement technologique, qui a mis le monde entier entre les mains des utilisateurs de la nouvelle technologie, et de ceux qui manipulent et maitrisent les dernières innovations en termes de médias électroniques. Il n'y a plus aucun prétexte justifiant l'utilisation sensorielle de scènes émotionnelles, qu'elles fassent partie de l'histoire dramatique ou qu'elles soient incluses dans le texte, (mais toutes les deux) elles ne constituent plus un souci pour le public. Ce dernier, à un certain temps, était considéré comme le grand partisan de l'économie cinématographique. Aussi, il imposait son goût et son choix aux

cinéastes au niveau de l'industrie, du commerce ou au niveau du marché de consommation. Par conséquent, les producteurs ne pouvaient pas s'opposer aux choix et aux envies du public .Mais une fois que l'ancienne règle est changée et que les théories commerciales divergent, il serait absurde de se nourrir entièrement des scènes de séduction ou de la renommée et la beauté des actrices. La tentation, surtout d'après l'expérience réaliste, n'est plus un moyen pour combler les salles (avoir les salles bien remplies), et pour augmenter le taux de revenu tout en Jouant sur les désirs, les envies et les caprices. Ceci trouve son explication dans la forte présence de tout ce qui fait référence à la technique et à la technologie qui rivalisent avec ce qui est classique grâce aux grandes capacités pour répondre à tous les besoins juste par un simple clic. Alors, les sociétés de production artistique commerciale s'effondrent.

Bibliographie :

1. Kyrou, A. (1957). *Amour-érotisme et cinéma*. Le Terrain Vague.

2. Velez, A. (2010). Les filles de l'eau. Une histoire des femmes et de la natation en France (1905-1939). *Thèse de doctorat en histoire contemporaine*, Université d'Angers.

3. Schwartz, A. (2012, November 12). *The Kiss 1896*. Retrieved from the La Croix newspaper website: [archive] sur le site du journal La Croix (consulté le 17 janvier 2017)

4. Bacharach, P. (2018). *Et Dieu… créa la femme (1956) de Roger Vadim et La Vérité (1960) d'Henri-Georges Clouzot. Scandales cinématographiques et débats dans la société française.* (Mémoire de master 2), École nationale supérieure des Sciences de l'information et des bibliothèques (ENSSIB – Université de Lyon).

5. Bazin, A. (1958). *William Wyler ou le janséniste de la mise en scène*. In *Qu'est-ce que le cinéma?*, tome 1, Ontologie et cinéma. Paris: Editions du Cerf.

6.Bazin, A. (1985). *Qu'est-ce que le cinéma?*. Paris: Éditions du Cerf.

7. Boy, P. (1944, November 16). *Courrier des lecteurs*. *Stars and Stripes*, 116.

8. Favre, C. (2012). "La pin-up US, un exemple d'érotisme patriotique". *Clio. Femmes, Genre, Histoire*, 35.

9. Caper. (1962). *Vintage Adult magazine, Jean Harlow, Mae West, Garbo, Clara Bow, more!* Paperback, Caper magazine.

10. Perreur, C. (2010). *Le rêve américain dans l'œuvre de Romain Gary*. (Thèse de doctorat, Université de la Sorbonne nouvelle - Paris III).

11. Clair Love, J., Pollack, J., & Landsberg, A. (2017). *Silent Film Actresses and Their Most Popular Characters*. *National Women's History Museum*.

12. *Egyptian screen legend, seductress Hind Rostom dies at 82*. (2011, August 9). *The Daily News Egypt*.

13. Black, G. D. (1994). *Hollywood Censored: Morality Codes, Catholics, and the Movies*. Cambridge, New York, and Melbourne: Cambridge University Press.

14. Hakem, T. (2002, June 26). *Souad Hosni, star libérée de l'Egypte nassérienne*. *Le Monde*.

15. Harlow, J. (2016). *Jean Harlow, femme, sex symbol*. Nidottu, Ranska.

16. Coursodon, J.-P., & Tavernier, B. (1995). *50 ans de cinéma américain*. Éditions Nathan.

17. Lieutenant-Duval, V. (2012). *Le continuum des représentations sexuelles dans le film «10» (1979) de Blake Edwards: du baiser amoureux au sexe explicite pour le plaisir.* *Le Temps des médias*, 2012(2), 37-49.

18. Williams, L. (2008). *Screening Sex*. Durham: Duke University Press.

19. Drowne, K. M., & Huber, P. (2004). *The 1920's*. Greenwood Publishing Group.

20. West, M. (1959). *Goodness Had Nothing to Do With It*. Prentice-Hall.

21. Bakrim, M. (2018). *Le miroir et l'écho : Cinéma et société au Maroc*. Imprimerie Bidaoui.

22. Robertson, J. C. (1993). *Le cinéma caché: la censure du cinéma britannique en action, 1913-1975*. Routledge. ISBN 0-415-09034.

23. Boraie, S. (2008). *The golden years of Egyptian film: Cinema Cairo, 1936-1967*. American University in Cairo Press.

24. Reynolds, D. F. (2015). *The Cambridge Companion to Modern Arab Culture*. Cambridge. ISBN 9780521898072. OCLC 894670642

The Value Spectrum in Algerian Society: Between Heritage and Sweeping Changes.

الطيف القيمي في المجتمع الجزائري: بين التراث والتغيرات الجذرية

D: NACER BAADACHE.
Mila University Center. Algeria.
E-mail : lettrearab@gmaile.com

summary:

Communities require a fundamental element to evolve and progress. Perhaps this element is "values" that have historically governed nations. In their absence, other nations have declined into oblivion. Values serve as the framework by which individual behavior is measured in terms of civilization and refinement. They help maintain the identity and cohesion of society, ensuring it continues on the right path. However, implementing this element consistently and permanently seems well-nigh impossible in our present time due to current fractures. Our Algerian society is under fierce attacks from enemies and opportunists aiming to undermine the deeply rooted values inherited from our ancestors. It has become imperative for every concerned individual and researcher to scour for the establishment of a sound education system based on solid values and principles that preserve the dignity of our society. This involves highlighting values that need adjustment or replacement with more refined alternatives, while relying on values that align with the civilized trend to overcome the challenges of the future and the potential threats of globalization. Despite the severe attacks that have scattered and left our society in disarray, Algerian society has held onto its values for a long time, demonstrating a form of resilience against sweeping currents that could have eroded its values.

In light of these considerations, our study is titled: "The Value Spectrum in Algerian Society: Between Heritage and Sweeping Changes." In this research paper, we aim to illustrate the importance of values in Algerian society and their role in igniting a flame of progress and prosperity. We specifically focus on the roles of family and education in constructing a proper value system, without overlooking the reasons for establishing values in our society after the fierce attacks that have left it moving in a vicious circle.

ملخص:

تحتاج المجتمعات إلى عنصر أساسي لكي تتطور وتخطو خطوات ناجحة إلى الأمام، ولعل هذا العنصر هو "القيم" التي بها سادت أمم، وبغيابها انحطت أمم أخرى إلى الحضيض، فهي -أي القيم- الإطار المرجعي الذي نقيس به سلوك الفرد من حيث التمدن والتحضر، وبها يحافظ المجتمع على كيانه وتماسكه لكي يستمر على الوتيرة الصحيحة، غير أن تطبيق هذا العنصر بشكل ثابت ودائم ضرب من المستحيل في أيامنا هذه، وذلك لحدوث شروخ في الوقت الراهن حالت دون الوصول إلى سلم قيم ثابت وراسخ، فمجتمعنا الجزائري يتعرض إلى حملات شرسة من قبل الأعداء والمتربصين الذين حالوا دون الوصول إلى قيم راسخة ثوارثها الآباء عن الأجداد، وهذه الحملات هدفها تذويب وتخريب القيم المتوارثة، ومن هذا المنطلق كان لزاما على كل مهتم وباحث الإسراع إلى تأسيس تربية سليمة قائمة على القيم والمبادئ الراسخة التي تحفظ للمجتمع ماء الوجه، مع إبراز القيم التي يجب أن تعدل أو تستبدل بقيم أخرى أكثر نضجا، مع الاتكاء على القيم التي تساير الركب الحضاري للتغلب على صعاب المستقبل وما تخبأه العولمة من وسائل اندثار لمجتمعنا الجزائري الذي ظل محافظا على قيمه منذ زمن طويل، مع إبداء نوع من الصمود أمام التيارات الجارفة التي كادت تعصف بقيمه.

من هذا المنطلق جاءت دراستنا موسومة بـ : "سلم القيم في المجتمع الجزائري بين المتوارث والجديد الجارف". وسنحاول في هذه الورقة البحثية تبيان مدى أهمية القيم في المجتمع الجزائري ودورها في بعث المجتمع نحو التقدم والرقي، مع التركيز على دور الأسرة والمدرسة في بناء سلم القيم الصحيح، دون نسيان أسباب إرساء القيم في مجتمعنا بعد الهجمات الشرسة التي بددت المجتمع وتركته في حلقة مفرغة.

Introduction:

Values are one of the most sensitive and fundamental topics in the life of individuals and societies. They are closely related to purposeful culture and the cultural progress that nations and communities strive for.

The Algerian society, to which we belong, there is a pressing need for a hierarchy of values that act as a guide for positive behaviors that build individuals. This is why, in the absence of values, individuals experience a state of chaos and alienation in their surroundings.

In this situation, we live in an environment that requires the existence of a moral hierarchy that resembles the existing value frameworks instilled in individuals.

This moral hierarchy ensures their higher goals and constant principles that preserve the necessary cohesion for engaging in a positive social life.

Therefore, the study of social values is a fundamental and necessary requirement. It is a priority. This is because we live amidst tremendous scientific and technological progress. On one hand, this progress has opened doors to societies. On the other hand, it has been a double-edged sword, opening a door to evil that undermines the nation's principles and inherited values.

This is achieved by negatively influencing the components of human life, including thoughts, values, habits, and deeply-rooted traditions. Consequently, in recent times, hybrid societies, which that lack positive inherited values, have emerged.

Hence, a thorough study is necessary to diagnose this new reality that is almost sweeping away the values and undermining them in our society.

From this perspective, we need to explore the following questions:

- What are values? And what is their role in building and prospering societies?
- To what extent is the absence of values a cause of the decay of societies?
- How do we deal with imported and prevalent values in our society?
- How can we preserve positive inherited values in our schools?

Firstly: Definition of Values

Before delving into the definition of values, it's imperative to take a closer look at the reality we're experiencing in Algeria in this era. Perhaps the true essence of this reality unveils new values, to which, our traditionally conservative society has never been familiar. Algerian society has evolved from Islamic

customs and traditions rooted in principles of respect, modesty, and virtuous habits that historically unified Algerian families and the broader community.

Despite France's efforts to obliterate Algerian Arab identity, erode noble morals, suppress the Arabic language, and propagate heretic beliefs, superstitions, and immoral conduct, it has, nonetheless, retained the foundational principles upon which our ancestors were nurtured. Since gaining independence, our society has been characterized by values and ethics across its various regions and institutions. A compelling illustration of this lies in the moral ethos witnessed in Algerian schools post-independence, emphasizing ethics, respect, modesty, and prudishness.

During that era, educators held esteemed positions, revered as cultivators of morals and knowledge. Their influence transcended boundaries and extended far beyond. However, today, the paradigm has shifted dramatically. This shift may be attributed to the profound scientific advancements that have transformed the world into a quagmire where all decayed values converge. These values, in one way or another, have worked to encircle positive values in Muslim societies. The primary objective has been to impose new values where societies, whether Muslim or non-Muslim, would be equated. Exported technology has become a potent tool aimed at reshaping the mindset of individuals in our homeland, altering their societal values, and challenging their inherited beliefs.

The contemporary cultural invasion is aimed at dismantling ideologies, challenging long-held customs and ethics, and exerting control over people's behaviors, thereby subjugating them and eroding their capacity for autonomous choice. Consequently, individuals find themselves stripped of their identities, and the delicate balance between their material and psychological well-being is disrupted. The faculties of the mind falter, and the cohesive system of values, consciousness, and conduct becomes obscured. Such dynamics have left an

indelible mark on our conservative society, fostering a landscape of social and cultural pluralism marked by the interplay and contradictions among its various elements. This multiplicity has given rise to diverse manifestations of values, contributing to the disintegration of cultural frameworks and the destabilization of societal norms.

In this era, terms associated with 'values' have permeated our national discourse, prompting us to seek a clearer understanding of this concept. The Quran articulates various formulations that converge to delineate a comprehensive notion of values, all stemming from the root verb 'قام' (to establish, to stand firm). In Surah Al-Kahf, it is stated, ***'making it perfectly upright, to warn the disbelievers of a severe torment from Him; to give good news to the believers—who do good—that they will have a fine reward.'*** (al-kahf, p. 2) This scripture was revealed straightforwardly, ensuring justice and containing both admonishment and encouragement. Those who transgress are warned of severe consequences, while believers who uphold truthfulness and integrity receive the glad tidings of a bountiful reward. They adhere to beneficial values that not only benefit themselves but also the wider society. In Surah Al-Bayyina, it is stated, 'In it are valuable scriptures,' (bayyina, p. 3)emphasizing the intrinsic worth of these texts, which contain a plethora of benefits for both individuals and society as a whole.

Linguistically, the book *"El Misbah El Munir"* provides a definition of the word "قيمة » value (in English as 'the singular of values (قِيَم), which means in Arabic *"the price assigned to a commodity"* (Al-Fayoumi:, 1987, p. 355), denoting its position or status. The value of the commodity is thereby established, endowing it with a recognized worth.' "In contemporary Arabic usage, the term قيمة'value' commonly denotes religious, moral, and social virtues that underpin human society" (Email Badie Yaqoub, 2004, p. 314).

In technical terms, values encompass "a set of principles, rules, and lofty ideals embraced by individuals. They reach a consensus on these principles, utilizing them as a yardstick for their actions and adjudicating their material and moral conduct accordingly. Each individual assesses an action as either virtuous or detrimental." (Zaher, 1991, p. 35) Additionally, values are construed as "a comprehensive framework encompassing all activities and behaviors undertaken by individuals in various social contexts. They serve as a standard for behavior and a reference point for evaluating individual conduct" (Fahmy, 1999, p. 9)

secondly : The Importance of Values at the Individual Level:

Values play a crucial role in shaping human behavior. Hence, society clings to them because they imbue human existence with noble meanings that can persist amid a milieu permeated with scattered negative values in Arab society. Consequently, values are deemed pivotal in molding the culture of any society. Among the values individuals endeavor to uphold, despite the hurdles encountered in the Arab world, are those of knowledge, labor, reason, solidarity, ethics, honesty, mercy, happiness, as well as safety, cleanliness, duty, respect, benevolence, and the avoidance of harmful actions. Noteworthy is the emphasis on tolerance, forgiveness, patience, compassion, patriotism, order, responsibility, affection for others, humility, and cooperation.

Through values, individuals comprehend the significance of the matters within their purview, thereby forming sincere, positive perceptions of their surroundings. Values serve as foundational pillars fostering constructive interactions within society. Meanwhile, the social landscape evolves over time, necessitating a corresponding evolution in values to align with the changing paradigm. This dynamic gives rise to a value conflict between inherited traditions and the prevailing, forcefully imposed values.

The individual stands at the nexus of this value paradigm. By adhering to values that govern their lives and those of their peers, individuals evolve, becoming valuable both to themselves and others. This divergence from corrupt values and detrimental behaviors, which erode one's character, enables individuals to espouse positive and beneficial values. The importance of values at the individual level manifests in various aspects:

- The importance of values at the individual level is evident in explaining behavior and its underlying motivation. Values serve as crucial tools for understanding human personality, allowing us to interpret the varying behaviors of individuals.
- Sound values aid in shaping a "strong, balanced, and cohesive personality. They provide individuals with a consistent set of principles, unifying their identity, strengthening their willpower, and organizing their elements by aligning their direction. Conversely, unethical individuals often exhibit vacillation and internal conflict" (Attar:, 2009, p. 49).
- Values instill in individuals a sense of purpose in fulfilling their duties, both to themselves and to others with whom they interact socially. When individuals align their actions with the correct framework, they embody virtuous traits that benefit themselves and others.
- Through values and their significance, individuals can comprehend the actions and intentions of others, whether beneficial or harmful. Values also enable individuals to anticipate reactions resulting from the actions of others.
- One of the greatest contributions of values at the individual level is their role in establishing a reference framework independently of external influences that may impact an individual's personality.
- Values guide individuals away from deviations and depreciated values prevalent in contemporary society. Adhering to inherited noble values religiously and socially is the only effective means of guarding against such pitfalls.

- Values empower individuals to make informed choices, protecting them from potential pitfalls. Each individual possesses intellectual orientations that serve as guides for their decision-making.
- Among the benefits to individuals, "values confer worth, esteem, and respectability, fostering trust and reliance from others. The embodiment of these values enhances an individual's reputation and may lead others to entrust them with tasks and responsibilities" (Attar:, 2009, p. 51).
- Finally, individual values manifest in the everyday lives of individuals through decisions made in "their personal interests. Enthusiasm, creativity, humility, loyalty, and other values shape individuals' interactions and decisions" (Samah Othman:, 2023, p. 23).

Third:The Significance of Values in Society:

When values hold considerable importance, shaping individuals and nurturing their character, thus benefiting them personally and fostering virtuous behavior, their significance extends to the societal sphere. This is because individual righteousness alone cannot form a cohesive society governed by principles of goodness, citizenship, responsibility, and solidarity. Hence, in such contexts, concerted efforts are necessary to uplift a society rooted in values, ensuring the preservation of its identity and continuity. Below are key points elucidating the importance of values in society:

- Values serve as guides for members of society, across diverse classes and cultures, in assuming social roles commensurate with their positions and levels. They also encourage the shouldering of responsibilities in harmony with societal needs.
- Values contribute to maintaining social order by shaping behavior to align with ethical principles and by discouraging negative behaviors that lead to deviation.

- The importance of values in society becomes evident in addressing shifts "in values over time and situations. Values aid in identifying these shifts, selecting appropriate ones while combating corrupt and harmful values, thus elucidating their perils.
- From a social standpoint, values promote efficiency and ethics, educate individuals, propagate beneficial ideas, rectify errors, and foster positive emotions and behaviors" (Samah Othman:, 2023, p. 25).
- At this level, values provide a coherent mental framework for social systems, acknowledged by individuals within a society. Their significance lies in shaping the ethical foundation of every human endeavor within a society striving for moral progress, guiding actions towards meaningful goals that distinguish societies.
- Lastly, values play a pivotal role in societal development, particularly in scientific endeavors. Positive values enhance cognition, planning, ambition, and diligence, thus fostering societal advancement and prosperity, elevating it to the ranks of advanced societies. Positive values advocate for collaboration among individuals to collectively advance themselves and society.

Fourthly : Societal Decline in the Absence of Values:

Deeply ingrained values serve as the bedrock for societal progress and prosperity, guiding communities towards a future characterized by justice and equality. A society that embraces comprehensive values advances and thrives, establishing itself on the pillars of well-being and stability. However, when values are absent, a society's condition deteriorates, giving rise to visible signs of decay. Values are fundamental to both individual and societal life, shaping human relationships as essential social constructs and serving as benchmarks necessary

for societal cohesion. Yet, the reality of daily life in our nation, Algeria, unveils a troubling narrative of deteriorating values and waning ethics.

Our society now finds itself ensnared in a web of excessive technology, where gadgets like computers, mobile phones, and electronic tablets dominate the landscape, leaving little room for human interaction and freedom. The pervasive influence of the internet has only exacerbated this situation, ushering in societal ills and embracing Western values that undermine traditional principles. Consequently, Algerian households witness a shift in values, leading to a spiritual vacuum that forewarns of an impending social crisis, endangering every facet of society. We are thus acutely aware of the peril facing society members, especially the youth, as the loss of values and ethics among the upcoming generation threatens societal progress and advancement, upon which our collective future relies.

Fifth: Managing Prevailing and Invasive Values in Our Society:

In light of the proliferation of debased values within our society, it is imperative to promptly elucidate the peril posed by these pervasive values and take measures to counteract and mitigate their influence by:

- Comprehensive awareness campaigns led by stakeholders, specialists, educators, and teachers regarding the gravity of the current state in our schools and the circumstances surrounding our educated youth.
- A complete return to the family unit, recognizing it as the primary catalyst for instilling proper values in children. The family serves as the genuine source from which children derive life's essence. This necessitates dedicated efforts in nurturing the younger generation with sound religious and ethical guidance, coupled with an understanding that prevailing societal values are fleeting storms destined to pass.

- Vigilant monitoring of children both at home and in external environments with meticulous supervision and unwavering attention. Visible signs of moral decline among children, particularly in the middle school demographic, underscore the urgency for vigilant oversight. Unrestricted access to smartphones, exposure to atheistic and deviant online content, and a concerning trend towards explicit material underscore the need for consistent and stringent supervision.
- Implementation of stringent regulations within educational institutions to thwart the adoption of detrimental values among students. This encompasses enforcing guidelines related to appearance, attire, mobile device usage, and other distractions during study periods.
- Enlisting parental involvement as necessary and exerting pressure on them to actively monitor their children. Swift disciplinary action, including expulsion if warranted, should be taken against recalcitrant individuals whose behavior negatively impacts others.
- Introducing innovative mechanisms to enable student recreation without excess, such as limited computer usage aimed at delivering educational content in an engaging manner.
- Elevating the status of educators and empowering them to prioritize activities beneficial to students.
- Developing educational curricula that not only preserve traditional values but also highlight their virtues and their role in individual and societal advancement.

Sixthly: Sustaining Positive Inherited Values in Our Schools:

In this section, we aim to elucidate the pivotal role of schools in instilling enduring values in educated students. Schools serve as the closest and most impactful instrument for a child's development, shaping new, more adaptable

educational approaches. "Thus, there arose a necessity to enhance the proficiency of educational collectives. Society bestowed upon them, much like unto itself, the privilege to dedicate themselves to their endeavors and deepen their expertise, gradually withdrawing from broader societal engagements. Consequently, societal conditions were primed to embrace educational systems, their methodologies, advancements, and regulations. Concurrently, a novel form of educational institution emerged: the school." (Sarhan, 2003, p. 36) Through schools, learners can internalize positive behaviors while sidestepping negative ones. Given that the school represents the student's conduit and sole escape from the realm of aimlessness, it must veer towards a positive trajectory, fostering constructive tendencies and unearthing detrimental behaviors.

The school assumes a significant mantle in nurturing students on positive values and dissuading them from negative behaviors. It must adopt a lucid strategy and assess its endeavors, "assuming a leadership role in cultivating values amid the diverse domains of society and their varied influences. Despite the proliferation of influential bodies contributing to value formation, it is imperative for educational institutions to exercise primacy in planning, coordinating, and guiding all entities operating within this sphere" (Latif:, 1992, p. 147). Schools endeavor to:

- Cultivate students' self-assurance and impart self-awareness, facilitating the development of interpersonal relationships with their surroundings. This involves teaching them to respect and comprehend others, fostering constructive communication without compromising their upbringing.
- Enhance students' cognitive faculties and proficiency in strategic planning to surmount life's challenges. This entails endowing them with the capacity to make affirmative decisions promptly, adeptly address issues, and delineate future goals conducive to personal and societal advancement.

- Educate students on navigating scholastic success, as triumph within educational precincts augurs triumph beyond and across life's tapestry. This necessitates fortifying all positive attributes associated with the school and the values it embodies, alongside instilling principles of respect and stewardship for both institutional and personal assets.
- Foster students' personal development, as schools constitute the social crucible from which students derive their norms and principles. "Adolescents crave an empathetic structure tailored to their exigencies, and a triumphant school provides them with platforms for assuming responsibilities, making judicious decisions, and fostering robust interpersonal bonds." (Mustafa:, 1990, p. 20)

One effective strategy towards this end is to leverage the role of educators, as they serve as potent conduits for instilling positive values and mitigating negativity. Through teachers, schools actualize their objectives of influencing and guiding students towards betterment. Teachers impart to students the virtues of comprehension and open-mindedness, while also delivering valuable education and bestowing upon them attention that fosters a sense of societal importance. Moreover, they impart the cultivation of robust personalities capable of withstanding adversity and rejecting the negative values that have permeated our society of late. Furthermore, teachers inspire students to embrace a spirit of collaboration, shunning individualism and selfishness.

Additionally, schools offer curriculum programs centered on the dissemination of positive values, aiming to mold individuals across all facets and foster personalities capable of effecting change within society. This is achieved through the development of successful educational syllabi tailored to meet students' needs. Classrooms are designed to provide a comfortable environment that does not

alienate individuals, thereby facilitating the formation of positive peer relationships and fostering constructive dialogue.

Conclusion:

In summary, the hierarchy of values within our society is subject to fluid standards. On one hand, we find ancestral values that have been passed down through the correct channels, reaching us in their positive form, and which have characterized Algerian society during its most enlightened periods in terms of ethics and principles. Conversely, there exist foreign values that have infiltrated our society via modern technology. Amidst this dichotomy, a perilous conflict has arisen, causing societal upheaval. Yet, the greatest peril lies in the targeting of our children and youth with degraded values that have eroded their minds and debased their character. Nevertheless, thanks to vigilant individuals, solutions have been devised to curtail these values and confront these significant challenges. The following conclusions have been drawn:

- Values serve as a fundamental catalyst for individual advancement, with progress at the individual level translating into societal progress.
- The absence of values precipitates individual decline and, consequently, societal decay.
- Present-day conflicts represent a clash between inherited values and foreign ones, with our children unwittingly adopting the latter, resulting in severe societal ramifications.
- The endeavors of vigilant individuals have not been in vain in exposing the pitfalls of foreign values, with schools serving as instrumental in combating these detrimental influences.

- Societal progress is inexorably linked to the embrace and propagation of positive values among individuals, the rejection of detrimental values, and a clear recognition of their perils

List of sources and references:

1- Al-Fayoumi: Al-Misbah Al-Munir, Al-Maktabah Al-Ilmiyya - Beirut, 3rd edition, 1987, article (Q.E.M.), p. 355.
2- Diaa Zaher: Values in the Educational Process, Arabian Gulf Foundation, Center for Documentation and Construction Studies, Cairo, 1st edition, 1991
3- Email Badie Yaqoub, The Detailed Dictionary of the Minutes of the Arabic Language, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 2004, p. 314.
4- Khalifa Abdul Latif: The Rise of Values, a psychological study, The World of Knowledge, National Council for Culture, Kuwait, 1992, p. 147.
5- Laila Abdul Rashid Attar: The importance of values for the individual, the group and society, Al Jazeera Press, Printing and Publishing, electronic magazine, No. 13606, Saudi Arabia, 12-29-2009.
6- Munir Al-Morsi Sarhan, in the Sociologies of Education, Dar Al-Nahda Al-Arabi, Beirut, 4th edition, 2003, p. 36.
7- Nourhan Mounir Hassan Fahmy, Religious Values of Youth from a Moral Perspective, Modern University Office, Lebanon, 1st edition, 1999, p. 9.
8- Samah Othman: The importance of values in the life of the individual and society from Rokesh's point of view, Al-Marsal website, October 24, 2023.
9- Surah Al-Kahf: Verse 2.
10- Surah Bayyina: Verse 3.

11- Zidan Mustafa: Psychological development of the adolescent child, Alam al-Kutub, Jeddah, Saudi Arabia, 1st edition, 1990, p. 20.

Translation in Undergraduate Degree Programmes: Rising Students' Awareness toward Translation as a Means to Enhancing their English Language Production

الترجمة في برامج مرحلة التّدرّج الجامعية: رفع وعي الطلاب تجاه الترجمة كوسيلة لتعزيز إنتاجهم للغة الإنجليزية

Dr Ouided SEKHRI,Department of Arts and English,Frères Mentouri University-Constatine 1, Algeria.

widaddoudou92@yahoo.com

Abstract

This paper stresses issues that arise from the teaching of English-Arabic-English translation in undergraduate level at the University of Constantine One. It focuses on the difficulties that arise from the process of translation in both second and third year English students. This is done through an experimental study which is composed of two tests one is given to students before teaching them some theories along with their application that is based on extensive training (exercises). The second is given to them as a continuum of their training in order to see what have students achieved after being exposed to the first test. The results showed that whenever the students are exposed to a great number of exercises whenever they get used to finding equivalents and becoming literate enough especially in the English language which enhances their English language production.

Keywords: undergraduate programmes, translation, training, English language production.

ملخّص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى معالجة المسائل التي تنشأ عن تدريس الترجمة الإنجليزية-العربية-الإنجليزية في المستوى الجامعي بجامعة قسنطينة 1 وذلك من خلال التّركيز على الصعوبات التي تنشأ عن عملية الترجمة لدى طلاب اللغة الإنجليزية في العامين الثاني والثالث. ويتم ذلك من خلال دراسة تجريبية تتكون من اختبارين يُعطى أحدهما للطلاب قبل تعليمهم بعض النظريات جنباً إلى جنب مع تطبيقها الذي يعتمد على تدريب مكثف (تمارين). أما الثاني فيعطى كمتابعة لتدريبهم لمعرفة ما حققه الطلاب بعد خضوعهم للاختبار الأول. أوضحت النتائج أنه كلما تعرض الطلاب لعدد كبير من التمارين كلما اعتادوا على إيجاد مكافِئات في اللغة الهدف و أصبحوا متعلمين بما يكفي خاصة في اللغة الإنجليزية مما يعزز إنتاجهم للغة الإنجليزية.

الكلمات المفتاحية: .برامج مرحلة التّدرّج، التّرجمة، التّدريب، إنتاجية اللغة الإنجليزية.

1. ***Introduction***

Translation is broadening the horizon of one's language. It is an art or a kind of passion. It reflects having the desire to expand the knowledge of one's language as it is always possible to say the same thing in another way, i.e., in another way in a different language. It is the activity of carrying across, i.e., the transportation and relocation of texts from one language to another. Gerding-Salas (2000, para.1) underlines that "the main aim of translation is to serve as a cross-cultural bilingual communication vehicle among peoples." So, translation establishes bridges of appreciation and understanding between different languages, cultures, and societies. Translation is the most demanding profession that many are capable of envisioning as it is a demanding task whose aim is to travel through cultures. Moreover, as House (2013, p. 03) puts it "translation mediates between cultures, and literatures, and it is through translations that linguistic and cultural barriers may be overcome." In this respect, translation is considered as a secondary means of communication since through translation the message communicated in one language may be doubled in another language. This message can also be transmitted to a great number of people all over the world. Hence, in this paper the focus is on the importance of translation studies, the multidisciplinarity of translation, the characteristics of designing a course of translation, translation in undergraduate programmes, and the difficulties students may face when rendering one specialised text from one language to another (here English and Arabic). For that, this question is asked: What are the main issues that researchers face during the translation process? In order, to answer the aforementioned question, it is hypothesised that: Culture is the primordial obstacle students may face when translating specialised texts.

2. *Translation Studies*

The major thing that may be learnt from translation studies is that the effective concern for translation is to be shown not in the generalities but in the concrete, the immediate and the specific. In fact, the issues of translation studies raise from whether to look at the translation teaching from an abstract and theoretical view point or whether to consider it as a practical empirical discipline. The most vital and logical standpoint is taking the latter which is deeply required in the world of academia in both teaching and learning. In other words, the focus should be on knowing the main standards of translation teaching, achievements of undergraduates and graduates in the academic world, the content of syllabuses and the role of lectures. As a result, dealing with translation from a practical perspective helps in solving practical problems which assault translation habits and translation skills of mind. Teaching translation should be based on clarifying the relation between the content and the patterns of translation along with linguistic behaviour and the practical experience of translation. For that, translation teaching and translation learning should be systematized. The role of translation teachers is to provide students with a number of related or unrelated fields in order to avoid over-specialization. The main concern of translation studies is dealing with textual matters as it is difficult to relate between the mind and the source text sender, the translator and the target text reader. As a result, the translator is not always willing to balance between source text and the target text. He is willing to create a new and good product which will reflect the same meaning of source text in the target language (Wilss, 1996a).

Having been involved in translation teaching for about five years, I wonder whether teachers can realize what they are committed to do in relation to pedagogy and the nature of translation as a subject matter. So, there is no fixed dispensation of the methods used as certified teaching values in translation. And for that, nowadays we are getting more and more free from the old-fashioned dichotomy between literal and free translation. Hence, the choice is made between one approach or the other.

From an academic perspective, one major way of dealing with translation is to pay adequate attention both to the message of the source language and the message of the target language taking into consideration linguistic and sociocultural aspects when going from the source text to the target text. In reality the source text provides the translator with the basic guidelines.

Nowadays, translation teaching is finding its way just as other disciplines have found theirs. Amongst those is the combination between knowledge and skills which are coupled and should move together. Thus, the nature of translation determines what the teaching of translation should be. Translation teaching is a diversified discipline for that it needs careful attention when dealing either with its theoretical point of view or when tackling its practical issues. For that, it is worth dealing with some of the characteristics of translation courses and how the teacher should deal with his course in order to dominate the scene of his class.

3. *English Language Production*

According to Breen (1985, p. 60) "one of the main authentic activities within a language classroom is communication about how best to learn to communicate". This implies that the most important activity

in the classroom is learning how to communicate perfectly and in the appropriate way. In reality, language is recognized to be an integral part of establishing dialogues and communicating between nations and peoples for mutual benefit in economy and security. Kramsch (1993) has written that every time we speak we perform a linguistic and a cultural act which implies that culture is embedded within the spoken language. Crozet and Liddicoat (2000) argue that the communicative approach to language teaching has failed to explicitly focus on the socio - cultural supporting of language. Hence, someone whose social identities include being 'a translation teacher' will have acquired the knowledge, values, and behaviours shared with other teachers through a process of socialization since an intercultural speaker as well as a translator needs some knowledge to deal with the different contexts he finds himself in or he encounters in his life especially when dealing with to different languages and trying to render one text from the source language to the target language. As a result, the translation teacher who has the communicative competence needed for presenting his course will be able to transmit this faculty to his students in one way or the other.

For the sake of developing student's ability to communicate effectively and their awareness toward translation, recognizing the following aims should be involved:

- To give learners intercultural competence and enable them to translate as well as providing them with linguistic competence;
- To prepare them for interaction and expose them to others' cultures in order to be able to deal with different texts belonging to different fields;
- To enable them understand texts from other registers reflecting others' cultures; and

- To help them see that dealing with new registers is an enriching experience as it makes them able to acquire new vocabulary and new ways of translating.

4. ***Characteristics and Features of Translation Courses***

One thing that should not be forgotten in presenting Translation courses is the organization of courses since there should be different curriculum with different types of exercises and different materials.

The organization of the Translation course is very important because it is the key factor which leads to achieve a satisfying goal in the course. There are many factors playing a great role in organizing a translation course. In fact, the teacher should be aware of the specific purpose for which English is learnt. The teacher should be aware of the answer of questions such as; what does the student need to learn? What aspects of language are going to be needed and how they are going to be described? (Hutchinson and Waters, 1992, pp. 19- 22). Hutchinson and Waters (1992, p. 22) speak about "learning theory" which provides the theoretical basis for the methodology, by helping us to understand how people learn. Hutchinson and Waters (1992) focused on another aspect which discusses questions such as; 'who', 'why', 'where', and 'when' and their relation with the nature of particular learning situation and target. These are described as 'needs analysis'. In order to organize the course effectively and achieve the intended goals, three steps such as the following should be followed.

A. ***Selecting material***

The choice of materials in translation determines the running of the course and highlights the content of the lesson. Materials can be an

introduction into the new learning techniques and help teachers and learners during the process of learning. Teachers determine which aspects of translation learning will be taken into account. Yet, only one piece of material can serve for developing more than one skill, e.g. reading, listening, vocabulary etc. Materials should also function as a link between already learnt (´existing knowledge´) and new information. (Hutchinson and Waters, 1992).

B. *Types of activities with texts*

As a learning tool, texts can be used as a material for practicing a wide range of skills. The translation course may develop different skills in the learners such as communicative and reading skills and vocabulary. To make the working with a text as more effective as possible, the focus should be on all students' skills. Thus, using productive and receptive such as providing students with audio-tape and video-tape while working with printed texts is a good method of work because it helps them acquire new information about the new learnt theme and enables them dig deeper in their minds to find exact equivalents for the text they want to render from English into Arabic

C. *Creating a learning environment (motivation)*

This criterion is very important. For that, creating a positive atmosphere in the classroom is the primary factor which will help in achieving the setting objectives. Creating a pleasant atmosphere is directly related to motivation which is a very crucial part of students' work since it affects their future negatively or positively. Harmer describes motivation as "some kind of internal drive that encourages somebody to pursue a course of action" (Harmer, 1991: 14). Students should be motivated as much as possible in order to, achieve the real aim of the activities.

5. *The Role of Translation Teacher*

Translation is taught in many universities of the world such as any professional associations of teachers of English. Much attention is devoted to translate on didactics and translation courses and design. Translation teaching has much in common with English as a foreign or Second Language and English for Academic purposes (EAP) yet the teacher is going to be a bilingual or a multilingual teacher. As a result, he should know how to teach the English language (EAP) in relation to English for Specific Purposes, i.e., the specificities of the different registers, and the methods used in rendering a given text from one language to another.

Dudley-Evans and St. John (1998) prefer to name the teacher of ESP using the term "ESP practitioner" as this definition seems to be more detailed and complete. This definition applies for the translation teacher also. They distinguish the following key roles of ESP practitioner that maybe used also for a translation teacher (practitioner):

- ★ teacher
- ★ course designer and materials provider
- ★ collaborator
- ★ researcher
- ★ evaluator

The first role which the teacher of translation should play is 'a teacher' which is synonymous to that of the teacher of GE yet the methodology changes since here the purpose is more specific as it is related to creating a new version in another language. In Translation classes, the students are the primary knowers of the content of materials not the teacher. In the first role played by the teacher, he should create

a communicative atmosphere in the class based on the students' knowledge. In the second role, the translation teacher becomes a course designer and material provider; he prepares the courses and provides students with the materials needed for their studies. The teacher's task does not stop at providing students with printed texts, it exceeded that to the adaptation of published materials when they are not suitable. The third role is a collaborator. In this role the translation teacher, in order to meet the specific needs of the learners and adopt the methodology and activities of the target discipline, must first work closely with field specialists as discussed by Johns et al. (1988) because he is liable to deal with different specialized fields in his classes and to make sttudents practice the amount of knowledge they have learnt in the theory of translation. After that, the teacher is likely to make a research in order to design the aim(s) behind his course in order to fulfil the students' needs. The role of the translation practitioner as a 'researcher' is especially important, with results leading directly to appropriate materials for the classroom. The last role is that of an evaluator. Evaluation is not new in the case of the translation teacher, but it is different in its importance because he should be involved in the testing of students and noticing the effectiveness of the teaching and the students' progress. In addition, the Practitioner of translation should evaluate the testing materials and the course aim which is related mainly to the grasping the theory and putting it into practice as a means to creating a new product in the target language after dealing with the translation process.

6. ***The Training of the Translation Teacher***

Training the teachers is very important for translation courses as it enables them to meet students' needs. Thus, teachers should follow some steps about themselves.

1. ***Selection:*** The selection phase is very important because not all teachers are able to become a translation practitioner. Thus, it is worth selecting those who are willing to be translation practitioners.
2. ***Continuing personal education:*** Teachers should be well educated either in the courses of their studies when they where students in their fourth year (nowadays third year) or in their post graduate studies in their field of specialization, or simultaneously in their professional training.
3. ***General professional training as an educator and teacher:*** This step is related to all teachers since it deals with what all the teachers should know. Teachers should know the psychology and sociology of teaching and have an educational thought especially the role of syllabus and teaching materials and how to manage students' skills.
4. ***Special training as a teacher of a foreign or second language***: This step makes the teachers understand the students' needs which is mainly important for the courses because it will be helpful to them.

7. ***Issues of the Teaching of English-Arabic-English Translation in Undergraduate Level***

It is believed that professional translators need awareness, reflectiveness and resourcefulness, by which we mean:

1. **Awareness** of the translator that he should develop his critical thinking positively "not simply to look through language to the content of the message, but rather to see through language to the ways in which messages are mediated and shaped" (Carter, 1993, p. 142). For that, the translator must go beyond the sole words and texts, and dig deeper in order to see language as a network of connected permissible choices, which are affected by the culture they express, which is in turn influenced by them. As a result, awareness is the first phase that translators should follow towards a professional and ethical attitude towards their job, as learners to make them aware that they are not simply "trans-coders" who are constructing a puzzle where source words are substituted with target words, but constructors of meaning and mediators of culture.

2. ***Reflectiveness*** that it is important for a translator to develop the capacity to practice, store and use more or less specific strategies and procedures involved in translation. My impression is that there is no agreement yet as to what these may be. At the very basic level, text analysis, reading and writing procedures and strategies may be relevant. Project management and group work also have their supporters, and there is quite a large and varied literature on local translation strategies (cf. e.g. Chesterman 1998; Kussmaul 1995, and the literature on process-oriented translation research in general).

3. **Resourcefulness** that attention should be devoted to fostering the ability to exploit a number of resources indefinitely (competencies and capacities) to cope with new and unexpected challenges, and to acquire new resources autonomously, as the need arises.

8. ***The Method of the Research (Students' Training)***

This study is exploratory by nature; it is composed of two tests one is given to students before teaching them some theories along with their application that is based on extensive training (exercises). The second is given to them as a continuum of their training in order to see what they have achieved after being exposed to the first test.

According to Widdowson (1984, pp. 201–212), on the one hand, a fundamental distinction should be drawn in language pedagogy between training and education. The aim of the former is to prepare learners to solve problems that can be identified in advance through the application of pre-set, or "acquired" procedures. Learning through training is a cumulative process, in which the learner is required to put together as large an inventory of pieces of knowledge as possible in the field in which he is being trained. This approach is suitable for teaching *e.g.* Language for Specific Purposes, particularly when the short-term objectives of the course and the long-term aims of instruction coincide to a large extent. One extreme, and therefore clear, example provided by Widdowson of a good training situation is "language for air traffic control purposes".

On the other hand, translation is an activity that requires educated rather than trained professionals. Thus, education cannot be given short periods of time because it is a constitutive feature of translation professionalism. The main aim of education is favouring the growth of the individual, developing his cognitive capacities and enabling him to cope with the most varying situations of this profession.

9. *Teaching Translation in Undergraduate (Second and Third Years) Programmes*

9.1. *The Sample*

The sample of the test consists of eighty (80) students, i.e., two representative groups of second year students and one hundred sixty

(160), i.e., four representative groups of third year from the English Department of Constantine One University. The sample is said to be homogeneous and it fits the research standards because the whole number of second year English students is about fourteen groups with forty students per group and the number of third year English students is about ten groups with fifty students per group. So, either the sample of second year English groups or those of third year English groups are regarded as a representative sample for the whole population. Most of these students come from a literary stream in their secondary school education especially the one that is related to languages (Arts and Foreign Languages). The choice of students of second and third years is due to the fact that second years have just started learning translation and that third years have reached the level of being able to render the message from one language to another effectively as they have studied translation for a whole year and they have dealt with different ways of finding equivalents to both a word and a sentence. However, this is the last year of third year English students in their studies and after that, most of them will get directed to the specialty related to translation and which is called 'Applied Language Studies'. Moreover, they have studied the different theories of translation in general and they may put them into practice.

9.2. *Description of the First Test*

The test which has been given to second year English students before teaching them theories and methods of translation is a list of proverbs which range from the simplest to the most difficult. These proverbs are given to the students for the sake of knowing how they are supposed to deal with types of sentence which they are not familiar

with. The list of proverbs is divided into groups depending on the degree of difficulty. They are as follows:

Group "A" Absolute Equivalence

1. "Like father like son."
   (الولد صنو أبيه)
2. "Do not put of your duty till tomorrow."
   (لا تؤجل عمل اليوم على الغد)
3. "There is nothing new under the sun."
   (لا جديد تحت الشّمس)
4. "All that glitters is not gold."
   (ما كلّ ما يلمع ذهبا)
5. "A drowning man will clutch at a straw."
   (الغريق يتعلّق بقشّة)

This group of proverbs is the easiest for students as they have different possibilities in the target language and can guess one of them. For example, the proverb "like father like son" can have four possible equivalents in the Arabic language which are as:

1. (الولد صورة من أبيه)
2. (من شابه أباه فما ظلم)
3. (الولد سرّ أبيه)
4. (هذا الشّبل من ذاك الأسد)

Group 'B' Similar Equivalence

1. 'Forbidden fruit is sweet'.
   (أحبّ شيء إلى الإنسان ما منعا/كلّ ممنوع مرغوب)
   Literally : (الثّمرة الممنوعة حلوة)
2. "Blood is thicker than water".
   (الدّم لا يصير ماء)

Literally : (الدّم أسمك من الماء)

3. "A bird in hand is worth two in the bush".
   (عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة)
   Literally : (طائر في اليد خير من إثنين في الشّجرة)
4. "Birds of a feather flock together".
   (إنّ الطّيور على أشكالها تقع)
   Literally: (الطير ذات الريش نفسه تجتمع سوية)
   (الفقر ليس خطيئة)
5. "Let bygones be bygones".
   (ما مضى قد مضى/ما فات مات/ عفا الله عمّا سلف)
   Literally: (دع أحداث الماضي أحداثا ماضية)

Compared to the first group of proverbs, this group is difficult to translate yet students can translate it as it is not very difficult to be translated and hence the students can guess the meaning as in:

"Let bygones be bygones":

1. (دع الماضي ماضيا)
2. (ما مضى مضى وانقضى)
3. (لننس الماضي)
4. (عفا الله عمّا مضى)

Group 'C' Different Equivalence

1. "To Lock the stable door after the horse has bolted".
   (سبق السّيف العزل/لا ينفع التّرياق إذا بلغت الرّوح التراقي)
   Literally : (يقفل باب الإصطبل بعد ان هرب الحصان)
2. "A stitch in time saves nine".
   (التّدبير نصف المعيشة/ درهم وقاية خير من قنطار)
   Literally : (درزة في وقت توفّر تسعا)

3. "One man's meat is another man's poison".
   (مصائب قوم عند قوم فوائد)
   Literally : (لحمة زيد قد تكون سمّا لعمرو)
4. "The grass is greener on the other side of the hill/fence".
   (مزمار الحيّ لا يطرب)
   Literally : (العشب أكثر خضرة في الجانب الآخر للتّلّة/ السّياج)
5. "Love me love my dog".
   (وأحبّها وتحبّني ويحبّ ناقتها بعيري)
   Literally : (أحبّني أحبّ كلبي)

This third and last group of proverbs is the most difficult to translate because these proverbs do not have a straightforward literal relations to their Arabic equivalents. Hence, if the literal translations of these proverbs mentioned previously in the examples confirm this. Therefore, the problem here is not easy to overcome. However, a solution of some kind should be suggested by:

(1) Consulting good specialist monolingual as well as bilingual references;

(2) Consulting the teacher;

(3) Resulting the colloquial Arabic;

(4) Or, as a last resort, translating the meaning of the proverb with extra care and full concentration.

9.3. *Description of the Second Test*

The second text is a poem of the American poet Robert Frost (1874-1963) which was given to the same group of the students in order to see if they have achieved a good level after teaching them some strategies and procedures that professional translators are intended to use whenever they are willing to render the meaning of a given item from

the source language to the target language. They were also exposed to the difference between the grammatical structures of both English and Arabic. This is done in order to raise the awareness of students towards how these two distant languages use the same thing in different ways. Since the verses of the poems are easy and clear, even if they are loaded with deep meaning, the majority of students succeeded in getting the intended meaning in simple English but not in a poetic one. This is an achievement to them compared to their level as beginners.

Original Version (English)	Translated Version (Arabic)
Devotion The heart can think of no devotion Greater than being shore to the ocean— Holding the curve of one position, Counting an endless repetition.	**إخلاص** لا يمكن للقلب أن يفكر في إخلاص أعظم من أن يكون شاطئاً للمحيط متمسكاً بمنحنىً لموضع واحد، يَعُدُّ تكراراً لا نهاية له ترجمة الدكتور نزار سرطاوي

Table 1: *Devotion*

10. *Teaching Translation in third Year English Programmes*

10.1. *Description of the First Test*

The first test which has been given to third year English students is a specialized economic text which is characterized for its brief and special style where the passive voice is currently used. It is famous for the use of the present timeless tense. In this type of texts, the most important thing is the action and when it is carried out, not who did the action. The text is composed of two paragraphs. Each of which

comprises simple and straightforwardly expressed sentences whose style is scientific and direct. This economic text is as follows:

A. Original Version (English)

The hydro-carbons sector is the backbone of the economy in Algeria. It accounts for roughly 60% of its revenues, 30% of its GDP (Gross Domestic Products), and over 95% of its exports. Algeria has the seventh largest reserves of natural gas in the world and is the second largest gas exporter; it ranks the fourteenth in oil reserves. Sustained high oil prices in recent years along with economic policy reforms supported by the IMF (International Monetary funds) have improved Algeria's financial indicators.

Algeria has been able to decrease her foreign debt to less than 10% of its GDP after repaying (paying back) what it borrowed from Paris Club and London Club in 2006. However, the government's efforts to diversify economy and to attract the national and external investments outside the hydrocarbons sector have not succeeded in reducing the high rate of unemployment and in improving the living standards. The structural reform within the economy such as the development, the banking sector and the construction of the infrastructure advances (move) slowly hampered by corruption *and bureaucracy.*

B. Translated Version (Arabic)

يعتبر قطاع المحروقات العمود الفقري لاقتصاد الجزائر. إذ يساهم بما يقارب 60 % من عائداتها، و 30 % من الدّخل القومي الخام الإجمالي و أكثر من 95 %من صادراتها. تملك الجزائر (ويمثل احتياطي الجزائر) من الغاز الطبيعي المرتبة السابعة، و هي ثاني أكبر بلد مصدّر لهذه الثّروة كما أنها تقع في المرتبة 14 ضمن قائمة الدول المصدّرة للنّفط. وقد ساهم ارتفاع أسعار النّفط المتواصل في السنوات الأخيرة مع سياسة المصلحين الاقتصادية التي يدعمها صندوق النّقد الدولي في تحسين المؤشرات المالية الجزائرية.

واستطاعت الجزائر أن تخفض ديونها الخارجية إلى أقل من 10% من الدّخل القومي الخام بعد أن سدّدت ما استدانته من نادي باريس ونادي لندن سنة 2006. إلّا أنّ مجهودات الحكومة في تنويع الاقتصاد وجلب الاستثمارات القومية منها والخارجية خارج مجال الطاقة لم تنجح في تقليص النّسبة المرتفعة من البطالة، و في تحسين مستوى المعيشة. فالإصلاح الهيكلي على مستوى الاقتصاد كتطوير القطاع المصرفي و تشييد البنية التّحتية يتقدّمان ببطء تحت وطأة الفساد و البيروقراطية.

10.2. *Description of the Second Test*

The second text directed to third year English students is a politician text composed of two paragraphs. It was given to the students after teaching them the main concepts and theories of translation studies along with some practical exercises. It revolves around a political concept which is 'conspiracy' and how it emerged and developed in recent years. It is composed of two paragraphs. Each of these two paragraphs is composed of simple sentences. The text is as follows:

A. *Original Version (Arabic)*

نظرية المؤامرة

هي فكرة مفادها أنّ كثيرا من الأحداث السياسية أو الاتجاهات الاقتصادية و الاجتماعية هي نتيجة مؤامرات و دسائس يجهلها الجمهور العامّ. و يرى أصحاب نظرية المؤامرة أنّ السّلطات السياسية متورطة في عملية خداع و احتيال كبيرة كقناع لنشاطاتها و نواياها. إذ تعتبر الروايات الرّسمية للأحداث مشبوهة. و قد تكون نظريات المؤامرة قديمة قدم المجتمع ذاته.

و أشهر مثال استحوذ على خيال الجمهور ما ادّعي بشأن اغتيال الرّئيس كينيدي بأنّه لم يتمّ بفعل مجرم منعزل و لكن بتواطؤ من المافيا و الكوبيين و وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، و بتحالف من العسكريين و أرباب الصّناعة. و لقد ازدهرت نظريات المؤامرة أيضا حول اغتيال شخصيات أخرى على غرار روبرت كينيدي و مارتن لوثر كينغ الابن سنة 1968.

B. *Translated Version (English)*

Conspiracy Theory

It is the idea that many important political events or economic and social trends are the products of conspiracies that are largely unknown

by the public. Conspiracy theorists often assume that political authorities are involved in massive deception and cover ups to disguise their actions and intentions. Official versions of events are regarded with suspicion. Conspiracy theories are probably as old as the human society itself.

The most famous example which has gripped the public imagination what was claimed about the assassination of President Kennedy was not by a single (sole) murder act (by a murder act alone) but by conspiracy involving the MAFIA, the Cubans, and the American Central Intelligent Agency (CIA); and by an alliance between the Military and the Industrials. Conspiracy theory prospered (flourished) around the assassination of other personalities such as Robert Kennedy and Martin Luther King the Junior in 1968.

11. *Results and Discussion*

As far as the first test (Translation of proverbs) related to second year English students is concerned, it was very difficult for students to translate it with all its three levels. They have tried to guess the meaning which was sometimes correct and sometimes wrong. In fact, they have been submitted to this test as a starting point in teaching them translation in order to prepare them to the process of translation in their path in the translation subject matter. The results of this test, which has been an opening for teaching second year English students, showed that students ignore what is the essence and the sense of this subject matter as they have just been exposed to this new subject matter at the beginning of this year. So, group 'A' of proverbs was a bit simple for them to translate. As far as, group 'B' is concerned, one group of students has provided us with different equivalents which stand for the

English proverbs which reflects their cultural knowledge. Both groups failed in finding equivalents to the English proverbs of group 'C'.

On the other hand, the results of the second test given to second year English students showed that students have acquired some knowledge compared to the beginning of the year where they were illiterate in this subject matter in particular. They have become literate enough to translate four rhetorical sentences whose style is considered as difficult in a good manner.

However, the first test directed to third year English students is a specialized economic text related to the current situation of Algeria's economy. It has been dealt with for the first time. Even if it is a simple text, the majority of students did not manage to translate it correctly because it is the first time they are exposed to such type of texts. Hence, some of them succeeded to render it in a very good style reflecting their knowledge of the Arabic language and the ability of using their mental faculty in controlling the source and the target languages altogether.

The second test directed to third year English students is another specialized text. It is a politician text. The direction which has been chosen is from Arabic into English. As far as this test is concerned, the results showed that the students have succeeded in the translation of texts even if these texts belong to different specialized registers. In fact, when the direction is from Arabic into English especially when they are taught about the methods that should be used they may succeed in rendering the text. In addition, the procedures and strategies that have been used by translators students are very useful especially: free translation and paraphrasing.

What can be inferred from the results of this test is that students are not well trained in the translation of different texts. So, they are in the beginning of their way towards knowing how to translate some textual elements. They need more practice in order to reach a good level. In a nutshell, the results showed that whenever the students are exposed to a great number of exercises whenever they get used to finding equivalents and becoming literate enough especially in the English language which enhances their English language production.

12. *Pedagogical Recommendations*

Translation pedagogy is still in its infancy. It is in need of its substantial theorization For that, the best way to teach undergraduate students to translate is to replicate a professional potential situation (Bernardini, 2000). Learners are not yet professionals, they do not have the same age and the same experience. Therefore, they may need to carry out such tasks and draw the lessons that the teacher expects them to draw.

By taking the focus on differences into account, negative stereotypes can be reinforced. A focus on similarities may help students identify with the otherness and promote understanding and empathy by the end. So, a teacher should try to design a series of activities to enable learners to discuss and draw conclusions themselves and solely from their own experience of the target culture as a result of what they have heard or read. The teacher might provide some factual information related to the life-styles current in the cultures and patterns usually followed by members of these cultures, which gives the learners the opportunity to compare their culture with what the teacher has provided them and as a result to become able when translating a text from one language to

another. Thus, the important thing is to encourage comparative analysis with learners' own culture in order to learn more about the target culture and enhance the way they understand it. For example, foreigners' views about the learners' country as represented in travel guides or in tourist brochures might be compared with the learners' own experience and views about their own country; they will quickly discover that there is a difference. They can then be asked to think whether their perceptions of the foreign country will be the same as those of the inhabitants themselves or not. As a result, this helps them to acquire the culture of the language they want to translate into.

The teacher does not need to have experience or be an expert on the target culture. The teacher's task is to help learners ask questions, and to interpret answers. Thus, a non-native speaker inferiority complex is only the result of misunderstanding and prejudice. What is more important than native speakers' knowledge is an ability to analyze since a specific training in systemic cultural analysis is of a great importance in becoming a foreign language or a translation teacher, regardless of the teacher's mother-tongue. This is not to deny the importance of linguistic competence and it may be important to follow the authority of the native speaker in linguistic competence, but intercultural competence is a quite different matter because it is also important as it helps the translator to deal with different types of texts in translation pedagogy (Byram, Gribvoka, & Starkey, 2002).

13. *CONCLUSION*

Translation teachers have a great role in developing the ability of students to see the world differently since their choice of words can affect students' way of learning to view others' cultures. This may be

done through equipping students with the skills to interpret the language and cultural images which are experienced outside the classroom. Since translation, language teaching and learning develop critical thinking and learning, learners will be able to develop tolerance towards others and a better understanding of themselves. In short, Critical self-reflection and analytical skills should be part of learning another language and its culture.

5. *Bibliography List*

Bernardini, S. (2000). *Competence, Capacity, Corpora – A Study in Corpus-Aided Language Learning*. Bologna: Clueb.

Byram, M., Gribkova, B., & Starkey, H. (2002). *Developing the Intercultural Dimension in Language Teaching: A Practical Introduction for Teachers*. Strasbourg: DGIV.

Breen, M. P. (1985). "Authenticity in the language classroom". *Applied Linguistics,* 6 (1),
60–70.

Carter, R. (1993). "Language awareness and language learning". In M. Hoey (Ed.) *Data, Description, Discourse*. London: Harper Collins.

Chesterman, A. (1998). "Communication strategies, learning strategies and translation strategies". In K. Malmkjær (Ed.) *Translation and Language Teaching, Language Teaching and Translation*. Manchester: St.Jerome.

Johns, T. F. & Dudley-Evans, T. (1988). An experiment in team teaching overseas postgraduate students of transportation and plant biology. In J. Swales (Ed.), Episodes in ESP. Prentice Hall.

Harmer, J. (1991). *The Practice of English Language Teaching*. Longman, Longman Group UK Limited .

Hutchinson, T. & Alan Waters. (1987). *English for Specific Purposes: A learning centred approach*. Cambridge: CUP.

Johns, T. F. & Dudley-Evans, T. (1988). An experiment in team teaching overseas postgraduate students of transportation and plant biology. In J. Swales (Ed.), Episodes in ESP. Prentice Hall.

Kramsch, C. (1993). *Context and Culture in Language Teaching*. Oxford: Oxford University Press.

Liddicoat, A.J. (2004). *Intercultural Language Teaching Principle for Practice*. New Zealand Language Teacher, 30,17-24.

Wilss, W. (1996a). *Übersetzungsunterricht. Eine Einführung*. Tübingen: Narr.

Wilss, W. (1996b). *Knowledge and Skills in Translator Behavior*. Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins.

Widdowson, H. G. (1984). "English in training and education". In *Explorations in Applied Linguistics* 2. Oxford: Oxford University Pre

The return of refugees in Palestinian poetry

Reviewing the technical, literary and social dimensions of the poems of returning to the homeland

النازحون في الشعر الفلسطيني- دراسة، صفية وأدبية وفنية واجتماعية لقصائد العودة إلى الوطن

Jahad Faiz alslam - Assistant Professor in the Department of Arabic Language and Literature - University of Tehran – Iran Email: feyzoleslam@ut.ac.ir

Kobara Rosno - Education teacher -Iran - Email: *kobrarashno <kobrarashno@gmail.com*

Abstract;

In this article, the various developments that caused the emergence of Israel, followed by the displacement of the Palestinian nation, as well as the issue of the return of the displaced in the poems of Palestinians; will be reviewed.

The return of Palestinian refugees who were forced out of their land is a right recognized by all international laws, and Palestinian poetry is the only tool that has been fully served to achieve this right. There is no topic that has opened its place in Palestinian poetry as much as the right of return.

It can be said that Palestinian poetry is the best memory to protect the right of the Palestinian people to return to their homeland and makes the return motivation stronger in the Palestinian people. In this context, Palestinian poetry has done what it has been able to do in sincerity and has been successful in portraying the refugee camps and their suffering with literary and technical methods.

Key words: displacement, return, poetry, Palestine, homeland

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة الجوانب الفنية والأدبية والاجتماعية في قصائد العودة للشعب الفلسطيني وأمل الرجوع إلى الوطن، فقد كان الأدب والشعر الفلسطيني إحدى الوسائل المعبرة عن إصرار النازحين واللاجئين الفلسطينيين.وعزيمتهم للعودة إلى وطنهم، أولئك الذين تم إجبارهم على مغادرة أرضهم، إذ هي حق معترف به في جميع القوانين الدولية، والشعر الفلسطيني هو الوسيلة الجديرة التي كانت وما زالت في خدمة تحقيق هذا الحق، شعر فلسطين هو أفضل وسيلة للحفاظ على الحق، حيث قد نجح في هذا المجال وبكل إخلاص في تصوير معاناة ومآسي النازحين في الشتات بأسلوب أدبي وفني واجتماعي.

الكلمات المفتاحية: نزوح، عودة، شعر، فلسطين، وطن

Introduction;

Returning to the homeland is the only goal that all Palestinians agree on, and the whole issue of Palestine revolves around it, and this has caused that despite decades of displacement and expulsion from their homeland; They still haven't gotten used to it, and every moment they think more and more about returning and only returning, and even in the most difficult situations, their motto is return. Because it must be said that although the displacement and emigration from the homeland and its painful consequences are a heavy burden on the Palestinian nation, and although the Holy Quds Sharif is in the hands of the usurper Israel, each of these is a part of the problem of the Palestinian nation.

The fact that the return of the Palestinian people to the land of their fathers and ancestors is the whole issue of Palestine, and all other problems will be resolved by themselves in the shadow of its solution, that is why the displacement and calamity and all its consequences are like untold suffering. and failure and... has not been able to extinguish the flame of hope for return and insistence on it in the Palestinian nation, and their optimism to a happy life and far from the pain of displacement, to despair and evil change nose Their insistence and hope to return has become stronger and stronger. And they transfer and teach this insistence and hope to the next generation and their young children.

Throughout history, there have been so many wars and escapes that have caused countless destruction, displacement, sorrow and calamities. But the displacement of the Palestinian nation is a strange story. A story whose sadness pains untainted modern hearts to the point of stopping from beating and makes the heart's blood flow from the audience. Narrating this disaster does not come from any language or logic except the language of poetry and politeness. Among Arab poetry in general and Palestinian poets in particular, if we review hundreds of odes, odes that do not mention the plight of Palestine and Palestinians; It is rarely found.

Palestinian poets, whether those who remained in the occupied territories and resisted, or those who, along with many Palestinian residents, suffered the scars of displacement; All of them, without exception, agree on the problems of exile, hardship of displacement, or insistence on returning to the homeland and recognizing the Palestinian nation as entitled to this right.

Statement of the problem, questions and hypotheses;

Are the poems of the return of refugees to the homeland of Palestinian poets just a personal experience and a story of migration and exile? Or has he been able to express the suffering and hardship of the Palestinian refugees and the right and necessity of their return with a literary, technical and social method? There are other questions such as: - Are the strategies and contexts of return expressed in Palestinian poetry?

- Are the goals of return specified in Palestinian poetry?

-Who wrote the most return poems?

This issue draws several hypotheses:

-Poems about Palestinian refugees who have been able to express the necessity and right to return to their homeland with a literary and technical method.

-The poems about the Palestinian refugees have been able to keep the themes of resistance and struggle against the Israeli invaders alive in the minds of the Palestinian people and the world.

-The themes of the poems of the refugees' return are of literary, technical, social and intellectual importance and privilege.

Research background;

In the field of Palestinian literature and poetry, many research works have been done both inside the country and in other countries, especially in Arab countries, but no book was found independently in the field of return in Palestinian poetry, although articles have been written in Arab countries. The most important of

them is Yusuf Hatini's 2011 article, the author of the article "The Way of Return", "The Way of Return", poems by Tawfiq Ziyad, Wabu Haltam and Isa al-Roumi, and the subject of the certainty of return, "The Certainty of Return", poems by Darvish, Abu Salmi, Rashid, and Fadavi Touqan, as well as the subject of "Halm of Return" Bazeghest" has reviewed poems by Vajiya Salem, Ayoub Taha, Wamfleh, etc., and the authors of this article have used Mr. Hatini's article.

But the authors of this article have tried to write different topics with a comprehensive view of the research.

Research Methodology;

The authors of the research have tried to use the descriptive and historical method of analyzing and reviewing the poems of the Palestinians' return, in such a way that after collecting and reading the poems, they will reach the desired result on the way to the main problem of the research.

The issue of Palestine and its roots;

Palestine is an Arab region that is bounded by the Mediterranean Sea in the west, Lebanon in the north, the Jordan River and Syria in the east, and the Sinai Peninsula - which is a part of Egypt - in the east. . The area of this area is twenty-seven thousand and twenty-four square kilometers. And it has a moderate climate, which is not the same in all its parts, and therefore the occupation of most of its people is agriculture. And there are 876 thousand hectares of arable land in this region. Also, this area is located in the vicinity of the Mediterranean Sea and the Suez Canal, which attracted the attention of Europeans due to its industrial and economic growth and the need for cheap raw materials and a suitable market. So that he considered the colonization plan of this region from a long time ago.

The phenomenon of Zionism was a political movement that began to grow in the second half of the 19th century in contrast to cultural Zionism. Since 1890, it

has increased its activity and at the same time as the First World War, the interests of the great powers (Europe and America) were connected with it and led to the creation of a Jewish state in Palestine. The issuance of the Balfour Declaration in November 1917 by England in order to establish a Jewish national homeland in Palestine was the crystallization of this union of interests.

The first step of the Zionists to obtain Palestine was to try to obtain permission from the Ottoman Sultan, which failed in all cases. With the beginning of the weakness of the Ottoman government, it became clear that the colonialists had planned for the Ottoman conquests, and on this basis, in 1916, a year before the complete collapse of the Ottoman Empire, secret negotiations were held between England and France to delineate the Middle East.

In November 1917, James Balfour, the British Foreign Minister, in a letter to Lord Rothschild, the head of the Bank of England and the head of several companies and a Jewish member of the British Royal Commission, announced the favorable opinion of the British government towards the establishment of a national home for the Jewish people in Palestine. He asked him to inform the Zionist Federation about this matter. In this way, Britain becomes a guiding and supporting factor in realizing the goals of global Zionism and does not spare any efforts in this direction.

During its guardianship over Palestine, England deliberately did things that resulted in the strengthening of Zionism and the weakening of the Palestinian nation. And he openly and brazenly violated even the basic rights of the original owners of the land of Palestine. Among these actions;

In 1920, the caretaker government announced the beginning of the government of a person named Herbert Samuel. He was the first head of the Jewish government appointed by the British caretaker government, a Zionist.

This obvious right-slaying by the international madman and British colonialism had dire consequences for the Palestinian nation, the Islamic-Arab community, which continues until now. Following the approval of the Balfour Declaration, there were many wars and conflicts between the Palestinians on one side and the Jews and the British rulers on the other side along with various strikes. But finally, on November 29, 1948, the United Nations General Assembly approved the establishment of a Jewish state in Palestine. And America was the first government to recognize the existence of this illegitimate government, followed by France and even Russia.

The right of return of Palestinians from the legal aspect;

One of the issues that has attracted the attention of most of the world today is the issue of Palestine and the Palestinian refugees and especially their return to their land. IDPs who today go through the worst conditions in the hope of returning to a normal life in the land of their fathers and ancestors. Therefore, before addressing the main issue of the research, which is dealing with the issue of returning to the homeland and its reflection in Palestinian poetry, the legal aspects of the case are briefly mentioned.

Every person's country is his home and like his home, staying, leaving or returning to it is one of his Muslim rights. On the other hand, he cannot impose himself on other people's country, just as he cannot enter someone else's house by force. In fact, the right of return includes the return to one's property and society with all its traditions and culture. Therefore, this right has been recognized internationally and by other official and legal rules. The recognition of this right by governments and countries means the return of a displaced person who was forced to leave his home country based on a series of factors and events. Therefore, the right to return is: "The right to stay and leave and return

voluntarily to one's country whenever a person wants." (Agha Bakshi, (1375) vol. 2, p. 113).

According to the above definition, the right to return from one's homeland is certain for every person, but sometimes this right may be denied by the government and prevent the return of the expelled person to his/her homeland for any reason. In this case, he finds the title of refugee or displaced person. (same source, p. 113).

In the 1948 Universal Declaration of Human Rights, Article 13 states: "Everyone has the right.

Leaving a country includes one's own country.

Also, the Fourth Geneva Convention declares;

" All types of expulsion and expelling people out of the occupied territory are prohibited".

" The International Covenant on Political Human Rights and Citizenship also stipulates not to prohibit a person from returning to his country, or the International Covenant on the denial of any type of racial discrimination and the denial of the right to return for racial and ethnic reasons" (Ghazi, c. First, 1363, p.87). The right to return to the homeland is a sacred right for the oppressed Palestinian nation, which every sane heart affirms and sanctifies, although the displacement of the Palestinian nation has been going on for a long time, which has imposed excruciating suffering on them, but it has never recovered. They have not settled and will not. Palestinian elders died for this belief and Palestinian men, women and youth live with this belief and hope and efforts to realize it. Its children and babies suck this right drop by drop of mother's milk and grow up with love for Palestine and return to the homeland.

Palestinian resistance literature;

Palestinian literature is said to be a collection of literary works - poetry, fiction, etc. created by the Palestinian people, and in a more general sense, it refers to any type of literary writing that is about the Palestinian resistance. Because Palestine has exceeded the limit and framework of a specific geographical area and has become a global issue.

The resistance of 1936 was the first event that laid the foundation for the emergence of the first generation of Palestinian resistance poets. Before 1936, the poetry of this period had distanced itself from the weakness and imitation of the predecessors, but it had not yet freed itself from the captivity of verbal and original arrangements. The main transformation of poetry took place in 1936. "At this stage, the poet was no longer the speaker of the rulers, but lived for the people and with the people, and was with the pains and joys of the people. At this stage, the poets had the highest role in the development of their culture and the greatest benefit in increasing their knowledge and awareness. It is deserved to consider the poets of this stage as the leaders of contemporary Palestinian poetry. (same source, pp. 115-118).

The poets of this period used the classic form of the ode to express their experiences. Because on the one hand, they were facing the threat of the British and Zionists, who wanted to remove the Arab identity of Palestine and destroy the Palestinian character; therefore, Palestinian poets wanted to preserve Cultural authenticity and national personality benefited from their cultural and traditional heritage. On the other hand, this format has the same rhyme and it is easier and more fluent to read it in public demonstrations. In this way, the poetry of this period is like a declaration. There was a revolution, a poetry that resembled shouts, slogans and sermons. Among the top poets of this period, Ibrahim Toukan, Abdur Rahim Mahmoud and Abu Salmi can be mentioned. This generation is the original generation of resistance, which is always searching for

the rich concepts of freedom, It was liberation, the independence of the country, and pleas and revenge." (Darvish, 1358, Palestinian literature, pp. 29-8).

The third period: This period begins with the disaster of 1948, i.e. the establishment of the Israeli state in Palestine. In the period before the resistance and armed struggle of Palestine, we mentioned that these struggles delayed the realization of the Zionist plans, but against these actions, the British turned to some of their Arab vassals to prevent them through their mediation. The struggle and armed strikes of Palestine became, and unfortunately, the same happened. Finally, the Israeli government was established in 1948, and the era of displacement, suffering and misfortune of the Palestinians began. Moj Satregi, which had started a storm in 1936 and had nurtured many poets such as Ibrahim Touqan and brave fighters such as Ezzeddin Qassam, turned to silence in 1948 and from it, whether in the field of politics or Literature and poetry came out and sank into an aura of despair. In this year, Abdur Rahim Mahmoud was martyred and Abu Salmi chose a corner of loneliness and sadness, and thus each of the writers and poets stopped continuing their previous method, and the fierce fire of the 1936 movement turned into a cold and silent oven, and the spirit of despair, pessimism And the desperation among the Arabs, especially the Palestinians, continued. In this sense, the poets after this year are known as the losers who speak of suffering, tears and lost paradise. Let's see Yusuf al-Khatib's poem:

"My friend, that is Chekauki.../ in the borders/ who has passed the boundaries of a thousand treaties.../ and he came in, he returns freely/ and I am wounded and helpless here/ I wish I could be like Chekauki/ I would take flight/ and in the boundless sphere/ on my orange grove or on a stream/ I would flap my wings.../ I wish I were Chekauki." (2010, http://www.thaqafa.org)

But after 1984, man lives wandering, displaced, alone and without a land. One of the most brilliant poets of this period is Fadavi Touqan, the sister of Ibrahim Touqan. Fadavi Tuqan describes the confused and hopeless spirit of the Palestinian man as follows:

"My life is tears and my heart is overflowing/ It is longing, it is a book of poetry and oud/ And this is our youth/ It is disappointed and failed dreams/ This youth was watered by misfortune." (Touqan, 1993, pp. 17-20).

The generation that wrote poetry in and around Palestine after 1948 is a generation that should be called the "generation of failure", the generation of grief and the generation of broken heads. Examining the poetry of the best Palestinian and Arab speakers about Palestine in the years after 48, shows that this is the general spirit of Palestinian poetry, both those who wrote poetry in the old style and those who chose new forms. (Shafi'i Kodkani, 1359, p. 203).

In this period, due to the new and decisive political and historical events, new titles and topics also enter the literature, although the topics before 48, such as the duty of Muslims and Arabs towards Palestine and protesting the actions of Arab leaders and... still continued, but issues such as displacement and their return to the homeland stand out in the poetry of this period;

A) Palestinian Arab refugees: The 1948 war forced hundreds of thousands of Palestinian Arab Muslims and Christians to leave their homes and lands. In 1967, the war flared up again and more than four hundred thousand people were driven from their homes. Examining the literary works written after the disaster of the defeat of Palestine shows that writers and poets pay a lot of attention to the issue of refugees. In the poetry of the poets, the Palestinian displaced person soon found an oppressed, broken and pushed face who lives hard in the tents of the Mandars while hungry and sick children surround him.

B) Return: The whisper of boredom from life in exile, which was slowly creeping into the minds of some poets, soon turned into loud and all-encompassing cries. The displaced person loudly declares his displeasure at accepting the fate that was imposed on him and made him a worthless being. The truth is that every Palestinian Arab who, after 1948, was forced to live in Yemen, Damascus, Beirut, Cairo. Baghdad and wherever else he has been, he has always felt like a stranger and has never lived with satisfaction and happiness. And this false impression that the refugees are contentedly and happily living in other Arab countries, so that the evil plans of the leaders and politicians can be implemented, should be forgotten. Since the 1950s, you will not find any Palestinian poet whose poetry does not reflect this way of thinking. (same source, p. 144)
(

In the meantime, the image that Fadavi Touqan paints of this issue is more beautiful than all these images. The desire to return to the homeland in two works "Neda al-Araz" (Cry of the Land) and "Al-Toufan wa Al-Shajara" (Storm and Tree) of Fadavi. Touqan is presented in a more evolved form, in the poem (Crying of the Land), he creates the love of return inside him and keeps his thoughts busy for a long time. (Touqan, 1993, pp. 121-123).

The desire to visit the homeland is something higher than sending a message by the wind and the stars, and the poem shows that the displaced must try, no matter how desperately, to join the land he was separated from once again. He remembers the land that gave him its treasures and compares it with the current pitiable situation. He remembers the land that has generously cherished him from childhood to old age. He remembers with fascination the land of the homeland in spring, the wheat field waving in the breeze that holds the treasure of its grains for him in his heart. He saw what was hidden and witnessed the orange trees that spread their fragrance with every breeze and spread shadows in every direction

(Khalid Suleiman, 1376, p. 150) until one night unconsciously - consciously - of course in an imaginary way. - He crosses the border and in his poem it is as if that beautiful space is located on the other side of the border within a few steps of him, as soon as he crosses the border, he quickly reaches it, and in the following, two beautiful images are drawn. to embody the refugee's regret and remorse towards the homeland;

The first image: The golden ears of wheat wave in front of his eyes

Gnouda clusters in the field of "Yahdaneh al-Haqal Khaira Motla"

And the second picture: the orange tree appears in front of him, "Walaha Leh Shajar al-Oranam"

with a pleasant smell and a long shadow

Then, immediately, Soz describes the inside of the displaced from his words like this, along with a stormy thought that took over his being;

How can I endure!

see my land

To see my violated rights.

And I will stay here again like a shy stranger!

Why should I be a foreigner living in a foreign land and

fly to eternity in that strange place.

should i stay Abaki

who says And I am the gossip

No! I will return to my beloved land

I have to come back, I must come back

I will come back, whatever happens). Yes, I will come back, this is a vital book

The code and symbol of the tent;

Poets often use the symbol of "al-khyam and al-khymah al-suddah" in order to depict the hardships and sufferings of displacement in the best way, so that it

evokes nothing but suffering and torment. Although the appearance of the descriptions is different for different poets, but the secret is the same. And perhaps the ode "Kheima" by Kamal Nasser expresses the use of this code, which is a reminder of fear and astonishment, death and pain for lost honor and being forgotten and betrayed;

Terrified in Rahab, the place of crucifixion, forgotten in time.

Hayri Ali illusions in al-Madi, no love in the sky, no affection

The results of the stars are bad on the earth, the scandals are disgusting.

Ekafans are the Law of Laerdi ¬ folding the injuries of Laerdi in Aman

Ya Khaymati Al-Suda Zali Hana Zakari Ali Ashla Hakami Hayan

) .Khaled Ali Mustafa, 1986, p. 87(

Al-Shaer Moin Basiso describes the displacement and homelessness of Palestinian refugees in the form of black tents that cannot protect the refugees from strong winds and floods. And when the flood occurs, there is no sign of the tents or their residents. This shows that the sorrow of homelessness and displacement is a double pain when it is associated with other sufferings such as being homeless. In these verses, he states that the purpose of occupying his land is to uproot his nation by the invaders. But the devastating flood of occupation, no matter how strong and foundational it is, cannot remove the pillar of the nation's tent, because the roots of the Palestinian nation remain forever in the land of Palestine, even though the storm of occupation of every part of this nation has thrown into a corner;

I did not leave the flood without the rope and the rope from that tribe or from that country.

Here is wreckage, here is death, here is drowning, here are the remains of the willow.

Talaq al-Baqiyyah Min Shaabi and I know that we are between the blind and the insane and the renegade.

Talaq al-Baqiya Min Shaabi Fazak Abi Watlak Ammi Wa Ma Fi Al-Khish Min Uhud

)same source, p. 88(

Insist on return;

With a glance at Palestinian poetry, it is easy to understand that every ode and verse written with the theme of return; contains emphasis in different forms; Such as: inna, inna, laqad and many other restrictions that are a sign of insistence and emphasis on returning to the homeland. Also, in these poems, the verb to return is used with the future participle forms such as: Sanaodu, Saaodu, Sanarji, Saarja, Sitaghair, Sanbani, Sannahi, Sanati... The use of these verbs and lexical items like them shows firm faith and confidence in the certainty of return in the future. Returning to the homeland will be realized in the eyes of every Palestinian, even if this time is so long and so much fighting and killing takes place that only one of the Palestinians survives.

My people are before you, as you wish. They are destroyed

If ten of us remain, we will return

And we say it

And we say it and celebrate it

If even one of us remains, we will return (Abdul Rahman Al-Kayyali, 1975, p. 300).

Insistence and confirmation of the remaining principle of a Palestinian identity and maintaining that despite the disappearance of the fact that there is a different identity between them, take a guide and thank you for the insistence of Palestine in this country. A Palestinian who is determined to live up to all its trends and aspects of life, a Palestinian who remains without even its visions and drinks,

food and scotch, a bastard and a bastard, his concern and concern is the ring of Palestine and the soul of a Palestinian who has lost it. This is what Mahmoud Darwish says in the poem “A Lover from Palestine” on the site;

Palestinian eyes and tattoos

Palestinian name

Palestinian dreams and concerns

The Palestinianity of the handkerchief, the feet, and the body

The Palestinianity of words and silence

Palestinian voice

Palestinian of birth and death

)Darwish Mahmoud, 1993, I love you, or I don’t love you, p. 10(

A Palestinian with an existence that has long been long gone from abroad and has left my homeland, without a single whit of frequency, and I am reassured by it. I betrayed my homeland and betrayed it These are tragic stories that are very sad. If you are satisfied with this, you will not be able to pay me for it in your homeland. You will not be able to pay it in exchange for a place in your homeland. You will receive it, or you will receive a fine for it. Or, compensation. Kind What is the purpose and delivery of the name of the poet of Mujawid;

We will return that homeland, and we will not accept anything in return for it

We will not accept a price for it... We have hope that will pay us back.

So be patient, my daughter, be patient tomorrow morning, victory will be ours (Harun Hashim Rashid, 2005, p. 13).

Certainty and insistence on return is a firm and unbreakable belief, and Palestinian poetry is the bearer of this belief and the message of its mission. "Hasan Yahya" the Palestinian poet and writer, anyone who despairs of returning or does not believe in it and forgets his homeland; The owner of an incomplete and sick intellect knows;

The truth will return to its owners one day
As long as there is a share left between the children
...No one forgets the place of his birth
Except for those whose mind is sick
The right to return to the order is number one
Jericho and Jerusalem will return…
And you will return to us as a beacon
Palestine despite the deniers
The nations bear witness to that (http://abyat.com/poem/89551).

Mahmoud Darvish in the poem "Masaa al-Narjas wa Malhah Al-Silafa" shows that he and his nation do not have any doubts about returning to their homeland and see it as a reality. Why use the past tense for something that hasn't happened yet? In the Arabic language, it expresses the certainty of its occurrence.

This ode begins with the description of everyday and normal life issues, which the poet speaks eloquently about. Clear facts with a simple and vernacular language, which despite its simplicity, is beautiful and pleasant and shows the inspiration that comes from a poet committed to the homeland. And at the same time, there are completely technical and literary images in it. From the usual simplicity of a Palestinian home with the utmost love and hope that waves in it. Common things such as onions, garlic and okra when they are hung on the roof of a house for winter storage, milking goats, holding children's marriage ceremonies, are all everyday and very common things in every house, but they show enthusiasm and vitality. And the hope of life is in that house.

"This ode can be examined from various intellectual, political, historical, mythological, unique and linguistic aspects. This ode is inherently the best screamer and expression of the desire to return to the homeland that has been

suffering for years. That and being displaced in different exiles have offended its owners. In this ode, return is equal to victory." (Faiz al-Iraqi, 1998, p. 59).

In this ode, Darvish sings with strong dogma and confidence;

They came back…

From the end of the long tunnel to their mirrors. . And they came back

When their brothers insisted, individually or in groups, and returned

From the legends of defending castles to simple words

They will no longer raise their hands or their banners to perform miracles if they wish.

They returned to celebrate the essence of their existence. And they tidy this air

And they marry their sons to their daughters; And they danced, a body hidden in the marble

.)Mahmoud Darwish, 1994, p. 419(

The insistence on the return and the certainty of it took a more serious form since the formation of the first intifada of the Palestinian nation in 1987, and the poets gave a stronger call for the return. Because the intifada is no longer the mirage-like promises of the heads of the Arab governments, which will bring disappointment. Rather, it is a power based on the tenacity of men and women, children and young people, who shook the enemy's body and robbed him of good sleep. They made him understand that Palestine and Palestine are alive and uncompromising and resistant will not allow their holy land to be trampled by the enemies of humanity.

And we sing of Al-Quds, O children of Babylon

O children of chains

You will return to Jerusalem soon

And soon you will grow up

And soon you will reap the wheat from the memory of the past

Soon tears will become ears of corn

Oh, children of Babylon!

And soon you will grow up

And soon…

Hello

Hello…

In this ode, the repetition of the word "soon" represents the depth of hope and the limitation of the desire to return to Jerusalem, which is a symbol of Palestine and the sanctification of the homeland. Darvish shouting the word "Hallelujah" which means a shout of thanks at the time of opening and happiness; At the end of the poem, he shows his strong belief in the imminent return. (Ghanim, Ghassan, 2010, p. 43).

"Ali Fouda" in an ode titled "Sinbad's Return" expresses the dream of return and the hope for it with an emotional and tender tone. He considers the homeland as a kind mother that he regrets leaving. He misses his kindness and should return to him;

I feel sorry for you, mother

I feel compassion for you in all seasons

And how much - and God knows best - how much I regret

To you... to you, mother

I'm coming

I'm coming…

The repetition of "آنا قدمٌ" expresses the necessity of returning and its certainty. (Houtesh, undated, p. 180).

In the poetry of some poets, it is a secret key for the weapon of resistance, by means of which he calls the enemy to fight and makes him understand that the land of Palestine belongs to the Palestinian nation. A nation that has its roots in

the land of Palestine and the newly arrived occupier is not able to destroy the past and the memories of the Palestinians that they have from the land of their fathers and ancestors. erase and destroy, because the key to this past is in the hand of the Palestinian and it is unattainable for the enemy. This key is also a weapon for the Palestinian to expel his enemy from his land and open the gates of a bright future for himself, his children, and future generations. Palestinian poet Abdul Ghani al-Tamimi says;

The key to my house is still in my hand. I still embrace the memory of my country.

I have never known despair - O executioner - these are your tools, sharpen them... and this is my skin.

O killer, destroy my day, you are not capable of killing my tomorrow.

,2010) http://www.thaqafa.org

Also, the key can be the code of insisting on returning, which is passed from one generation to another so that the home and homeland are not forgotten. Another Palestinian poet, "Vajiya Salem", says;

Liberating the land is the hope, and with the right of return it is complete.

A right for which we would not accept a substitute. There is no substitute for it in the universe.

My key is in my pocket for my great-grandson. He is moving (Hamman Manbaa).

The insistence on returning and being confident about it is not reserved for a generation that has witnessed the disaster and has witnessed crimes such as Deir Yassin and Kafr Ghassim, etc., but with the passage of nearly seventy years since the disaster in Palestine, the generations Later, they have tried and fought deeper and more fruitfully to return to their homeland. They see the life in the homeland and the duty of their land in front of their eyes moment by moment.

Because the generation that saw the disaster knows that it is their duty to narrate the story of the homeland with all its beauty to their children with passion and love. Remembering the martyrs and their struggles, mentioning the inhumane crimes of the occupying enemy, remembering the bitterness of displacement and the box in which he kept the key to his house like a precious treasure; to narrate over and over again without any boredom. And the result of this narrative is the education of a generation that remembers the homeland without any shortage or caste, even though they are still young, and is ready to fight and fight against all aspects of the homeland to return to it, and without a single bit of hopelessness. A bright future is in the loving bosom of the homeland.

Ehab Al-Dali, a young Palestinian girl, has organized this insistence and confidence, and as a result, the hope of return, with eloquent words. These poems show the fact that the love for the homeland and the hope of returning to it has captured the soul of every Palestinian They say you will not remember it

All for five days and forget about it

No, for sure, sixty-three years

It is engraved in our memories and remains in our thoughts

...and hearing the grandmother's voice calling us

Children, let me tell you a story

The story of inheriting our lands that we will not give up

You repeat it over and over again without getting tired of it.

A story of love, struggle and struggle until the missiles came.

Artillery and bullets make some of us fall wounded, prisoners

And martyrs, and grants the rest the title of refugee

He has no home, and he has a key in his hand, and he says, "We will return one day, home".

We will return one day, Dar, and we will have victory (http://www.shaharah.net/2010.)person, and this love and hope is not reserved for a specific generation or a specific class or group.

Fadavi Touqan portrays the insistence to return and its certainty in a different way and expresses his insistence to return by expressing combinations in the form of negative interrogatives.

In this poem, Fadavi describes the situation of a displaced person from Palestine who has spent a lifetime in displacement and homelessness and now thinks to himself and comes to the conclusion that he can no longer live far from his homeland and his rights see usurped and trampled and must return to the homeland even if only his lifeless body reaches the soil of the homeland... and the answer to his questions is only in returning to the homeland.

Will you usurp my land? He takes away my right and I remain
The ally of homelessness, I have become a shameful humiliation here
Should I stay here to die a stranger in a strange land?
Should I stay and who said it? I will return to my beloved land
I will finish this novel myself, I must return.
I will stay here, I will die here, prepare my resting place
...the destruction of two arms longing for a lifeless, resting body (Fadwa Tuqan, 1993, pp. 121-123).

This ode "The Call of the Earth" shows the insistence on returning even if the result is the loss of life. In this long ode, Fadavi Tuqan describes a displaced Palestinian whose nightmare of staying and dying in displacement ignites a fire inside him and forces him to leave. He walks and overcomes many hardships, reaches the border of the homeland, the smell of the homeland and a thousand other pleasant feelings about the homeland, like whispering with the trees, make

him unconscious and Suddenly, the sound of two gunshots breaks the silence, and the next day at dawn, a lifeless body is seen on the ground.

The result of the discussion;

-Today, the issue and problem of Palestine is the most fundamental issue in the world, both from a legal, political and cultural point of view. Because despite the passage of more than 70 years since the issue of Palestine, the international assemblies have not been able to find a basic solution for the full and complete return of the rights of the Palestinian nation to that nation. Palestine uses any means to defend its deprived rights, poetry and literature being one of the most important of them.

-The return in Palestinian poetry is more prominent than any other topic and has a very strong reflection.

-In Palestinian poetry, you can hardly find an ode that does not talk about return.

-As much as the suffering and sorrow of displacement and distance from the homeland becomes more annoying, the hope and effort to return among Palestinians becomes stronger and finds more expression in Palestinian poetry.

-With reference to the poetry of Palestine, the idea of return and the insistence and assurance of the realization of this right is not reserved for a specific group and generation of the Palestinian nation, but is transferred from one generation to another until its final realization.

-The poems of the refugees' return are one of the most obvious and important examples of the resistance poetry of the Palestinian nation.

-The idea of return is expressed stronger in the minds of Palestinian poets every day than in the past, and they will never surrender to the passage of time.

- Lyric poetry, which is the song of humanity and his message that he sings, and an art by which he expresses his feelings and emotions, his joy and sadness, his

nostalgia and pain, his happiness and tragedy, bursting from the depths of his conscience, feelings and emotions.

-Narrative and dramatic poetry that left its impact on Palestine and its cause. It is poetry for a future that the Palestinian person dreams of.

-Epic poetry, a literary art based on heroic poetry, and aims to glorify a collective, religious, national, or human feeling.

- Rhetoric and directness at the beginning of the occupation, and this poetic quality continued until the late seventies, as the tragedy took poetry from lyricism and romanticism to rhetorical and directness as a result of the terrible event and the urgent need for incitement and resistance.

-Simplicity and clarity. Tragedy poetry was characterized by sophistication, clarity, and simplicity of the linguistic dictionary.

-The spirit of belief, commitment, and resistance is poetry that does not carry for us crying, -lamentation, despair, or the spirit of retreat and retreat. Rather, it carries to this world and to future generations the spirit of belief, resistance, and hope for return.

Sources and references;

-Houtesh, Abdul Rahman. Al-Thawra poetry in contemporary Arabic literature, Al-Rabat, Al-Maarif Library for publication and distribution.

-Hatini, Youssef,: Return to Al-Sha'ar al-Falestini. http://www.thaqafa.org2010..

-Khaled, Suleiman; Palestine and contemporary Arab poetry, translated by Shahreh Bagheri, Tehran, Cheshmeh, 1376.

-Sun, Ghazi; Zionist Terrorism in Occupied Palestine, translated by Hamid Ahmadi, vol. 1, (Tehran, Amir Kabir Publishing House, 1363).

-Darvish, Mahmoud, Ahbak or La Ahbak, Beirut, Dar al-Odeh, 8th edition, 1993.

-Dervish; Mahmoud, Palestinian Literature, translated by Musa Eswar, Tehran, Soroush, 1358, first edition.

-Darvish, Mahmoud, Diwan Mahmoud Darvish, Beirut, Darul-Odeh, M. The second volume, the first edition, 1994.

-Shafii Kodkani, Mohammad Reza, Contemporary Arab poetry, Tehran, Tos, 1359, first edition.

-Tuqan, Fadavi, Al-Amaal Shayari al-Kamalah, Beirut-Lebanon, Al-Masua'a Arabiya for Studies and Publishing. First edition, 1993.

-Ali, Agha Bakshi in collaboration with Mino Afshari Rad; Dictionary of Political Sciences, Volume 2 (Tehran, Center for Information and Scientific Documents of Iran (1375(

-Al-Iraqi, Fayez, Shaar al-Intifada fi al-Badin al-Fikri and Fani, Damascus, Syria, Ittihad al-Katab al-Arab, 1998.

-Ghanim, Ghassan, Al-Quds and Al-Shaar al-Hadith, The Literary Position, Urban Literary Magazine, Tadree on the Union of the Books of the Arabs in Syria - Sunnah al-Arbaun - Al-Adab 466 Shabat 2010, p. 43.

-Al-Kayali, Abd al-Rahman, al-Shaar al-Falestini fi Nakba Palestine, Beirut, Lebanon, Al-Masua al-Arabiyyah for publishing. First edition, 1975.

-Mustafa, Khalid Ali, Al-Shaar al-Falestini fi Nakba Palestine, Baghdad, Iraq, Dar al-Shaon al-Thaqafiya Al-Alamiya, second edition, 1986.

-Hashem Rashid, Haroon, Al-Amaal Al-Shaariyyah Al-Kamalah, Amman-Jordan, Daram Jadlawi Publishing House, 2005.

Internet sites;

http://www.shaharah.net/2010- .

http://abyat.com/poem/2010-.

http://abyat.com/poem/2010-.

,2010http://www.thaqafa.org-

إصدارات

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية

برلين – ألمانيا

ISSN : 2625-8943

رقم التسجيل

VR.3373.6326.B

لمزيد من المعلومات حول المجلة
يرجى زيارة موقعها على النت
http://democaticac.de